مكتبة الجاحظ
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون

الكتاب الأول

الحيوان

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر والتحقيق العلمى فى المسابقات الأدبية التى نظمها المجمع اللغوى ١٩٤٩ — ١٩٥٠]

الجزء الأول

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر
عباس ومحمد محمود الحلبى وشركاهم - خلفاء

تقديم مكتبة الجاحظ

عمر الله باليقين قلبك ، وأفاض عليك من الخير ، وعقد بيننا وبينك سبباً من الرضا ، وحبّب إلينا كما حبّب إليك الحقّ ، وأمتع عينك وقلبك ، بما سيطالعك من عجب الجاحظ ، وما افتنّ فيه وأبدع ؛ وأضفى عليك البشاشة وأسبغ ظلّ العافية (١) .

١ – بيان الجاحظ

وبعد فالجاحظ إمامٌ فذٌّ من أئمة البيان في العربيّة ، وليس من الإسراف والمغالاة أن نعدّه زعيمَ البيانِ العربيّ ، نطلق القولَ في ذلك إطلاقا .

هو زعيمٌ للبيان العربيّ في قوّته وأسره ، وفي دقّته وصحّته ، وحلاوته وجماله وفنّه .

كان الجاحظ زعيماً للبيان العربيّ ، وهو كذلك أحد زعماء المكتبة العربيّة ، التي كانت في الصدر المقدّم من مكتبات الدنيا ، فيما أسدتْ للإنسانية والفكر العربيّ واللّسان العربيّ من خير ، وما بسطتْه على ظلام المدنيات المتهافتة من نور .

٢ – عصر الجاحظ

كان الجاحظ في العصر الذهبيّ للأمة العربية : عصر هارون والمأمون ؛ والعلومُ والآدابُ والفنون يومئذٍ تزخر بها معاهد البَصرة وبغدادَ والكوفةِ

(١) الجاحظ مذهب في البيان ، من سار في أوله دفعه الإعجاب إلى أن يحاول السلوك إلى غايته . وقد أبى على فضله ، إلا أن أجعل صدر تقديمي له في مثل صورة بيانه .

وقُرطبةَ ، وسائر عواصم الإسلام ، وكان المعين فيّاضا مُترَعاً ، والعقولُ في نشاط وفَورة ، والتّأليفُ والتّرجمةُ لها دَوىّ النّحل فى كلّ صُقع . الدِّينُ يدعو إلى العلم والنُّور ، والمالُ تلمع وجوهُه فى عيون أهل الفضل ، فيُذكى العزائمَ ، ويُبرِم العَقْد . والعلمُ وَلودٌ ، وصاحبُه كلَّما ارتوى منه عادَ به فى سبيل الظَّمأ ، وحيثُما شبِع منه رجع به فى سبيل الجوع .

٣ — التآليف فى عصر الجاحظ

عاصر الجاحظُ ثلاثةً ممَّن ضربوا بسهمٍ كبيرٍ فى وفارَةِ الإنتاج الفكرى والتّأليف ، واستَوَوْا على غايةٍ قصَّر عنها من عداهم :

أحدهم : أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنَّى (١١٠ـــ ٢٠٩) ، وكان من أهل البصرة ، وُلد وتوفِّى بها[١] . قال صاحب الوفيات : « وتصانيفه ، تقارب مائتى مصنف[٢] » . وقد سرد منها ابن النديم فى فهرسه مائة وخمسة[٣] ، وقال فيه الجاحظ : « لم يكن فى الأرض خارجىٌّ ولا جَماعىٌّ أعلمُ بجميعِ العلم منه[٤] » .

والثانى : أبو الحسن علىٌّ بن محمَّد المدائنىٌّ (١٣٥ـــ٢٢٥) له نحو مائتين وأربعين مصنفاً ، على ما أحصيت فى فهرس ابن النديم ، وقد روى الجاحظُ عنه فى البيان وفى الحيوانِ رواياتٍ كثيرة .

وثالث هذه الجماعة : هشام بن محمد الكلبى الكوفى (... ـــ ٢٠٦) عددت كتبَه فى الفهرس فألفيتُها نحو مائة وتسعةٍ وثلاثين مؤلفاً[٥] .

(١) جلس إليه الجاحظ كما فى البيان (٣ : ٢٦٥) .
(٢) الوفيات (٢ : ١٠٦) .
(٣) الفهرس ٧٩ مصر ، ٥٣ ليبسك .
(٤) البيان للجاحظ (١ : ٣٤٧) .
(٥) ١٤٧ مصر ، ١٠١ ليبسك . ولم يمكنى تحديد العدد فى هذا الموضع والذى قبله لمرونة عبارة ابن النديم .

كان للجاحظ فى هؤلاء الرَّهط أُسوةٌ ، وحافزٌ فى المسابقة والمنافسة ؛ إلى ماوهبه الله من لَسَنٍ واقتدار ، ومن ذكاءٍخارقٍونَفاذ ، وذاكرة — فى العلم — قوية[1] ، واستهتار بالمعرفة والتبيُّن .

حدّث أبو هفّان[2] قال : « لم أر قطُّ ولا سمعتُ مَن أحبَّ الكتبَ والعلومَ أكثرَ من الجاحظ ، فإنَّه لم يقع بيده كتابٌ قطُّ ، إلا استوفى قراءتَه ، كائناً ماكان ، حتى إنه كان يكترى دكاكين الورَّاقين ، ويثبت[3] فيها للنَّظر » .

وللجاحظ فى صدر الجزء الأول من الحيوان ، نعتٌ للكتب ، يقع منه الدَّليلُ على ما ملأ الله به صدرَ هذا الرَّجل من إيمانٍ بما للعلم والكتاب من شرفٍ وجاه ، وما للتفهُّمِ والقراءة من مكانٍ عالٍ ، ومنزل كريم .

والعجَبُ أنَّ تلك الأسفارَ التى عُنِىَ بها صاحبُنا ، لم تبرَّ به ولم تبادلْه الوفاء ، فغَدرتْ به ، « وكان موته بسقوط مجلَّدات العلم عليه[4] ! ! » .

٤ — مؤلفات الجاحظ

خرج الجاحظُ عن زُهاء ثلاثمائة وستّين مؤلَّفاً فى ألوانٍ شتَّى من المعرفة ، رأى أكثرها فى مشهد أبى حنيفة النعمان ببغداد ، سبطُ ابن الجوزىّ[5] المتوفَّى سنة ٦٥٤ .

---

(١) ذكر الجاحظ ، كما فى تاريخ بغداد (١٢ : ٢١٤) ومعجم الأدباء (٦ : ٥٦) مرجليوث ، أنه نسى كنيته ثلاثة أيام ثم ذهب إلى أهله فقال : بمن أكنى ؟ فقالوا : بأبى عثمان ! ! وهكذا طغت ذاكرته فى العلم على ذاكرته فى غيره .

(٢) كان أخباريا راوية مصنفا . الفهرست ٢٠٧ مصر ، ١٤٤ ليبسك .

(٣) فى الأصل : « يبيت » .

(٤) شذرات الذهب (٢ : ١٢٢) .

(٥) مرآة الزمان الورقة ٥٨ من المجلد الثالث من الجزء العاشر (مصورة دار الكتب =

ذاك أقصى تقدير وصلت إليه كتب الجاحظ ، الذى يقول فيه المسعودىّ[1] : « ولا يعلم أحدٌ من الرواة وأهل العلم أكثر كتباً منه » . على أنّ أدْنى ماتنزلُ إليه فى التقدير ، أن تكونَ مائةً ونيّفاً وسبعين كتاباً . قال ابن حجر فى لسان الميزان[2] : « وسرد ابنُ النَّديم كتبه ، وهى مائة ونيِّف وسبعون كتابا » .

وياقوت فى معجم الأدباء[3] قد ذكر فهرست كتبه ورسائله ، فأثبت منها مائةً وثمانية وعشرين مصنفاً .

وليس بنا أن نُحقق مبلغَ عددِ هذه الكتب ، ولكنَّ ما نريد أن نقول ، أنَّ الجاحظ فى الرّعيلِ الأول من مؤلفى عصرِه وكتّابه .

والآن نَسْأل : أين ذهبت هذه الكتبُ جميعاً ، وفى أيّ مطْرح طوّح بها الزّمان ! ! لقد ضرب الدّهرُ على كثيرها ، فعادت فى مثل صنعة الساحر ، لمعتْ حيناً ثم انكفأت .

أفنقول : إنّ أعاصيرَ الخلافِ المذهبىِّ عَصَفَتْ بها ، فلِمَ ضاعتْ آثارُ غيرِه من أهل السنّة والجماعة ؟ !

الحقُّ أنّ الجمودَ الذهنىَّ وهبوط الهمم ، كان لهما معظم الأثر فى ضياع هذه النفائس وفقدِها ، والحقُّ أنَّ الفَوضى السياسيَّةَ التى مُنيت بها الأممُ الإسلاميةُ فى مَسائها الأول ، والتى كانت قائمةً ــ فى أكثر ما تقوم ــ على التدمير والتخريب والانتقام ــ جعلت تهدم فى هذا الصَّرح الفكرى ، حتى أتت على كثير من قواعده ، ولم تُبق إلا وشلاً من محيط ! !

= المصرية) . والنص فيها : «أما مصنفاته فثلثمائة وستون مصنفا ، ووقفت على أكثرها فى مشهد الإمام أبى حنيفة » .

(١) فى مروج الذهب ٤ : ١٣٥ .

(٢) لسان الميزان (٤ : ٣٥٧) .

(٣) معجم الأدباء (٦ : ٧٥ — ٧٨) مرجليوث .

ومهما أحزننا فقدُ كثيرٍ من آثار الجاحظ ، فإنَّ ممّا يجلب إلينا العزاءَ ، أن تبقىَ الأيّامُ منها قدراً لايستهان به ولا بنفاسته ، قد سار بعضُه بين الأدباء فكان له فضلٌ كبير فى تقويم ألسنتهم ، وتأدُّبهم ، وحمتْ بعضَه الآخرَ خزائن متناثرةٌ فى أرجاءِ المعمورة ، سأعمل جهدى على إخراج مايمكن منها ، بعون الله ، مامُدَّ لى فى الحياة .

٥ — ابن النديم والجاحظ

والعجَب أن الناظر فى فهرس ابن النديم لايكاد يرى فيه شيئاً عن الجاحظ ، إلا عرَضاً واستطراداً ، مع أن ابنَ النّديم كان من أساطين الوراقة ، وأبرعَ مختصٍّ بفن الكتب والمكتبات .

لقد عجبت ، ووجدت شيخ العروبة وفقيدها « أحمد زكى باشا » قد سبقنى بهذا فى أثناء تحقيقه لكتاب التاج ، وكشف السرَّ عن ذلك ، بما أقام من دليل قاطع ، أن النسخة المطبوعة من الفهرس مبتورة ناقصة(١) . وقد أسلفتُ قريباً(٢) نصًّا من لسان الميزان ، يؤيد ماذهب إليه شيخ العروبة .

٦ — منحى الجاحظ فى التأليف

صنع الجاحظ هذه الكتبَ جميعاً . ولم يكن همُّه همَّ غيره من المؤلِّفين ، فى الجمع والرِّواية والحفظ ، وإنَّما كان وُكدُه أن يبتكرَ وأن يُطرف ، وأن يخلُق للنَّاس بديعاً ، يمسح على جميعها بالدُّعابة والهزْل ، ويُشيع الفكاهةَ

---

(١) مقدمة التاج ٤٣ — ٤٤ .
(٢) انظر ص ٦ من هذا التقديم .

فى أثناء الكلام . فجمع بذلك قلوبَ القارئين إليه ، واستولى منهم بذلك على شتَّى ميولهم إلى مايكتب ، فصَبَوْا إليه وأغرموا بهغَراما !

وطرق الجاحظُ فى كتابته أبواباً عجيبة ، وتقرَّب إلى العامّة [1] وحَرَص أشدّ الحرْص على استرضائهم . ولم ينسَ فى ذلك أن يستميل إعجاب الخاصة فى المعارف العالية ، والسياسات الرفيعة .

٧ — قيمة كتب الجاحظ

قال أبو حيّان [2] : « ومن عجيب الحديث فى كتبه ، ماحدَّثنا به علىُّ ابن‌عيسى النحوىُّ الشيخ الصالح ، قال : سمعتُ ابن الأخشاد شيخَنا أبا بكر يقول : ذكر أبو عثمان فى أول كتاب الحيوان أسماء كتبه ، ليكون ذلك كالفهرست . ومرّ بى فى جملتها : الفرق بين النبى والمتنبى ، وكتاب دلائل النبوة ، وقد ذكرهما هكذا على التفرقة ، وأعاد ذكر الفرق فى الجزء الرابع [3] لشيءٍ دعاه إليه فأحببتُ أن أرى الكتابين ، ولم أقدرْ على واحدٍ منهما . وهو كتاب دلائل النبوة ، وربما لُقِّب بالفَرْق خطأ . فهمَّنى ذلك وساءنى ، فى سوء ظفرى به . فلمَّا شخَصت من مصرَ ودخلتُ مكَّة —

---

(١) قال الجاحظ فى البيان ١ : ١٣٧ : « وإذا سمعتمونى أذكر العوام فإنى لست أعنى الفلاحين والحشوة ، والصناع والباعة ، ولست أعنى الأكراد فى الجبال ، وسكان الجزائر فى البحار ، ولست أعنى من الأمم مثل الببر والطيلسان ، ومثل موقان وجيلان ، ومثل الزنج وأمثال الزنج . وإنما الأمم المذكورون من جميع الناس أربع : العرب وفارس ، والهند ، والروم ، والباقون همج وأشباه الهمج .
وأما العوام من أهل ملتنا ودعوتنا ولغتنا وأدبنا وأخلاقنا فالطبقة التى عقولها وأخلاقها فوق تلك الأمم ، ولم يبلغوا منزلة الخاصة منا » . فهذا مايعنى الجاحظ بهذه الكلمة .

(٢) انظر معجم الأدباء (٦ : ٧٢ — ٧٣) مرجليوث .

(٣) الحيوان (٤ : ٣٧٨) س ٩ .

– حرسها الله تعالى – حاجًّا، أقمت منادياً بعرفاتٍ ينادى – والناسُ حضورٌ من الآفاقِ على اختلاف بُلدانهم وتنازُح أوطانهم، وتباينُ قبائلهم وأجناسهم، من المشرق إلى المغرب، ومن مهبِّ الشّمال إلى مهبِّ الجنوب، وهو المنظر الذى لايشابهُهُ منظر – : رحم الله من دلَّنا على كتاب الفرق بين النبى والمتنبى لأبى عثمان الجاحظ، على أى وجه كان!

قال: فطاف المنادى فى ترابيع عرفات وعاد بالخيبة وقال: حجّت الناس مِنًى ولم يعرفوا هذا الكتاب، ولا اعترفوا به!

قال ابن الأخشاد: وإنما أردت بهذا أن أُبْلغ نفسى عذرَها».

قال ياقوت: «وحسبك بها فضيلةً لأبى عثمانَ، أن يكون مثلُ ابن الأخشاد – وهو من هُو، فى معرفة عُلوم الحكمة، وهو رأسٌ عظيم من رءوس المعتزِلة – يُستهام بكتب الجاحظ حتى ينادى عليها بعرفات والبيت الحرام. وهذا الكتاب موجودٌ فى أيدى النَّاس اليوم لاتكاد تخلو خزانةٌ منه. ولقد رأيت أنا منه نحو مائةِ نسخةٍ أو أكثر».

والمسعودىُّ، وهو ممن يُعدُّ فى خصوم الجاحظ، يقول فى مروج الذهب[1] فى نعت كتب الجاحظ: «وكتب الجاحظ مع انحرافه المشهور[2]، تجلو صدأ الأذهان، وتكشف واضح البرهان؛ لأنّه نظَمَها أحسن نظْم، ورصَفَها أحسنَ رصْف، وكساها من كلامه أجزَلَ لفظ. وكان إذا تخوَّفَ ملَلَ القارئ، وسآمةَ السَّامع، خرج من جِدٍّ إلى هزْل، ومن حكمةٍ بليغةٍ إلى نادرة طريفة. وله كتُب حِسان، منها كتاب البيان والتبيين، وهو أشرفها؛ لأنه جمع فيه بين المنثور والمنظوم، وغُرر الأشعار، ومستحسن الأخبار، وبليغ الخطب؛

(١) مروج الذهب (٤ : ٤٧).
(٢) يريد ما كان عليه من الاعتزال وعداوة الشيعة. وكان المسعودى شيعيا.

مالو اقتصر عليه مقتصرٌ لاكتفى به ، وكتاب الحيوان ، وكتاب الطفيليين والبخلاء . وسائر كتبه فى نهاية الكمال ، مالم يقصد منها إلى نصب ، ولا « صوابها أو) إلى دفع حقّ » .

وهذا حديث آخر ، تعرف به مكانة كتب الجاحظ ، وما أدركت من شأو وغاية :

قال أبو القاسم السيرافى(١) : « حضرْنا مجلسَ الأستاذ أبى الفضل ابن العَميد ، فجرى ذكرُ الجاحظ ، فغضَّ منه بعضُ الحاضرين، وأزرى به ، وسكت الوزيرُ عنه . فلمَّا خرج الرّجلُ قلت له : سكتَّ أيُّها الأستاذُ عن هذا الرَّجل فى قوله ، مع عادتك فى الردِّ على أمثاله ! فقال : لم أجدْ فى مقابلته أبلغَ من تَركه على جَهله . ولو واقفتُه وبيَّنْتُ له ، لنظر فى كتبه وصار بذلك (إنساناً) ياأبا القاسم . فكتُب الجاحظِ تعلِّم العقلَ أوّلاً ، والأدبَ ثانياً ! ! ولم أستصلحه لذلك » .

والخليفة المأمون العباسى ، كان من قُرَّاءِ الجاحظ ، ومن المقدِّرين لعلمه وفضْله فى كتبه .

قال الجاحظ ـــ وهو يسرد طائفة من بلاغات المأمون(٢) : « ولما قرأ المأمون كتبى فى الإمامة ، فوجدها على ما أمر به ، وصرتُ إليه ـــ وكان قد أمر اليزيدى بالنَّظر فيها ليخبره عنها . قال لى : قد كان بعضُ مَن نرتضى عقله ، ونصدِّق خبره ، خبَّرنا عن هذه الكتب بإحكام الصنعة وكثرة الفائدة فقلت : قد تُربى الصِّفةُ على العِيان ، فلما رأيتها رأيت العِيان قد أربَى على الصِّفة ، فلما فَليتها أربَى الفلى على العيان كما أربى العِيان على الصِّفة ! ! » .

---

(١) الحديث فى وفيات الأعيان (١ : ٣٨٩) .
(٢) البيان (٣ : ٣٧٤) .

٨ – ذَيع كتب الجاحظ

وكانت كتب الجاحظ تذيع وتنتشر ، وتطير إلى الآفاق ، فى حياته ، للرَّغبة الملحة فيها ، ولحرص الناس على ما فيها من خير كثير .

وإليك صورةً تُنبيك عن مبلغِ هذا الذَّيع ، وتَقِفُكَ على مقداره :

روى الخطيب البغدادىُّ فى كتابه[1] عن يحيى بن علىّ ، أنه قال : حدثنى أبى قال : قلت للجاحظ : إنى قرأت فى فصل من كتابك المسمَّى كتاب البيان والتبيين[2] : إن ممّا يستحسن من النِّساءِ اللحنَ فى الكلام ، واستشهدتَ ببيتى مالك بن أسماء – يعنى قوله[3] :

وحديث ألذُّه هو ممّا ... يَنْعَتُ النَّاعِتونَ يُوزَنُ وَزْنا

منطق صائب وتلحَن أحيا ... ناً وخير الحديث ماكانَ لحنا

قال : هو كذاك . قلت : أفما سمعتَ بخبر هندٍ بنت أسماء بنِ خارجة مع الحجاج ، حين لحنت فى كلامها ، فعاب ذلك عليها فاحتجّت ببيت أخيها ، فقال لها : إن أخاك أراد أن المرأة فَطِنة ، فهى تلحن بالكلام إلى غير المعنى فى الظّاهر ، لتستر معناه وتورِّىَ عنه ، وتُفهِمه من أرادت بالتَّعريض ، كما قال الله تعالى : ﴿ ولتَعْرِفَنَّهُمْ فى لَحْنِ القَوْلِ ﴾ ولم يُرد الخطأ من الكلام . والخطأ لا يُستحسَن من أحد ؟ ! فوجَم الجاحظ ساعة ثم قال : لو سقط إلىَّ هذا الخبرُ لما قلت ما تقدم ! فقلت له : فأصلحه . فقال : آلآن وقد سار الكتاب فى الآفاق ! ! هذا لا يصلح ! » .

---

(١) تاريخ بغداد (١٢ : ٢١٤) . وانظره كذلك فى معجم الأدباء (٦ : ٦٥) مرجليوث .
(٢) انظر البيان (١ : ١٤٧) .
(٣) فى استملاح اللحن من بعض نسائه .

وصورةً أخرى[1] : قيل لأبى هفّان وقد طال ذكر الجاحظ لأبى هفان — : لم لا تهجو الجاحظ ، وقد ندّد بك ، وأخذ بمخنّقك ؟ ! فقال : أمثلى يُخدَع عن عقله ؟ ! والله لو وَضَع رسالةً فى أَرنبة أنْفى ، لما أمْسَت إلا بالصِّين شهرة !

على مثل ذلك كانت كتبُه تغزو الآفاق ، وتطيرُ فى الدُّنيا ، إلى أن كُتب لها ما كُتب .

٩ — ورّاقو الجاحظ

لم يكن بُدٌّ للجاحظ ، وقد منحه الله فى القراءة والتأليف ، اقتداراً نادراً وصبراً عجيباً ، من أن يستعين بمن يأنس فيه العون ، ليتمكّن من تحقيق مطمحه ، فكان له ورّاقون[2] ، يكتبون له ويكتبون عنه .

عثرت على اسم أحد هؤلاء الورّاقين فى موضعين : أحدهما أمالى القالى[3] حيث نجد هذا النص : وقرأت على أبى بكر بن دُريد ، لليلى الأخيلية — وقال لى : كان الأصمعىُّ يرويها لحميد بن ثور الهلالى — قال أبو على : فكذا وجدته بخط ابن زكريا « ورّاق الجاحظ » فى شعر حميد :

يأيها السَّدِم الملوِّى رأسـه ليقود من أهل الحجاز بريما »

والموضع الثانى : معجم الأدباء[4] ، حيث ذكر ياقوتُ كتابى « النساء »

---

(١) معجم الأدباء (٦ : ٧١) مرجليوث .
(٢) ما كان أجدر بكلمة الوراق أن تستعمل فى معنى « السكرتير » التى حيرت اللغويين .
(٣) أمالى القالى ١ : ٢٤٨ .
(٤) معجم الأدباء (٦ : ٧٥) مرجليوث .

و « النعل » وقال : « قال ابن النَّديم : ورأيت أنا هذين الكتابين بخطّ زكرّياء بن يحيى ، ويكنى أبا يحيى ، ورّاق الجاحظ » .

وقد عرّف ابن النَّـديم باسم ذلك الوراق فذكر والده وكنيته ، على حين ذكره القالىُّ غُفلاً ، ممّا يرجّح لدينا أنْ يكون الصواب فى اسم هذا الورّاق ، مانقل ياقوتٌ عن ابن النَّديم .

وللجاحظ وراق آخر ، هو عبد الوهاب بن عيسى بن أبى حيّة الورّاق . وقد ينسب إلى جدّه . رَوى عن إسحاق بن إسرائيل ويعقوب بن أبى شيبةَ . قال الزبيدى[1] نقلا عن الحافظ : « وكان وراقا للجاحظ ، وعاش إلى رأس الثلاثمائة » .

وفى تاريخ بغداد [2] أنه عبد الوهاب بن عيسى بن عبد الوهاب ابن أبى حيّة . وكنيته أبو القاسم . سمع إسحاق بن أبى إسرائيل ، ومحمد بن معاوية ابن مالج ، ويعقوب بن إبراهيم الدَّورقى ، ومحمد بن شجاع الثَّلجىّ ، ويعقوب بن شيبة السدوسى . روى عنه أبو عمرو بن حيويه ، والدارقطنى ، وابن شاهين ، وأبو حفص الكنانىّ ، وكان صَدوقاً فى روايته ، ويذهب إلى الوقف فى القرآن . أخبرنا الأزهرىّ أخبرنا أبو الحسن الدارقطنى قال : عبد الوهاب بن عيسى بن أبى حيّة ثقة يُرمى بالوقف . أخبرنا السِّمسار أخبرنا الصفّار ، حدثنا ابن قانع ، أن أبا القاسم بن أبى حيَّة مات فى شعبان من سنة تسع عشرة وثلثمائة .

---

(١) تاج العروس ١٠ : ١٠٨ س ٣ - ٤ .
(٢) تاريخ بغداد ٥٦٩٥ .

تقديم كتاب الحيوان

١ — كتب الحيوان

سبق اليونانيُّون أسلافَنا العَرب ، إلى التَّأليف فى علم الحيوان . قال صاحب كشف الظنون فى حديثه عن علم الحيوان [1] : « وفيه كتبٌ قديمة وإسلامية : منها كتاب الحيوان لديمقراطيس ، ذكر فيه طبائعه ومنافعه . وكتاب الحيوان لأرسطاليس ، تسع عشرة مقالة ، نقله ابن البطريق من اليونانى إلى العربى . وقد يوجد سريانيًّا نقلاً قديماً ، أجود من العربى . ولأرسطو أيضاً كتاب فى نعت الحيوان الغير الناطق ، وما فيه من المنافع والمضارّ » . وذكر بعد ذلك كتاب الحيوان للجاحظ ، ومختصره لأبى القاسم هبة الله بن القاضى الرشيد جعفر [2] المتوفى سنة ٨٠٦ ، وللموفق البغدادى أيضاً .

ونستطيع أن نقول : إنّ الجاحظَ أوّلُ واضعٍ لكتاب عربىٍّ جامعٍ فى علم الحيوان . وقد كان قبلَه وفى عصره محاولاتٌ شتَّى لطائفةٍ من العلماء ، يتحدَّثون فيها عن الحيوان ، نذكر منها :

كتب الإبل

لأبى حاتم السِّجستانى (٠٠٠ — ٢٤٨) ، وللأصمعىّ (١٢٢—٢١٦) ، ولأبى عُبيدة (١١٠ — ٢٠٩) ، وللنَّضر بن شُميل (١٢٢ — ٢٠٣) ،

(١) كشف الظنون ١ : ٤٥٦ .

(٢) وسماه روح الحيوان . ابن خلكان ٢ : ١٨٨ .

ولأبي زيادٍ الكلابيّ[1] ، ولأحمد بن حاتم الباهليّ (٠٠٠ — ٢٣١) .

كتب الخيل

لابن قُتيبة (٢١٣ — ٢٧٦) ، وابن الأعرابي (١٥٠ — ٢٣١) ، وأبي عُبيدة ، وأبي جعفر محمَّد بن حبيب البغداديّ (٠٠٠ — ٢٤٥) وأبي محلّم محمّد بن هشام الشيبانيّ (٠٠٠ — ٢٤٥) ، ولأحمد بن حاتم .

كتب الغنم والشاء

لأبي الحسن الأخفش (٠٠٠ — ٢١٥) ، وللنَّضر بن شميل ، وللأصمعيّ .

كتب الوحوش

للأصمعي ، ولأبي زيد أستاذ الجاحظ (١١٩ — ٢١٥) ، ولأبي حاتم السِّجستاني .

كتب الطير

لأبي حاتم السجستانيّ ، والنَّضر بن شميل ، وأحمد بن حاتم الباهليّ .

كتب البازي والحمام والحيات والعقارب

لأبي عبيدة .

---

(١) اسمه يزيد بن عبد الله بن الحر ، أعرابي بدوى . قال دعبل : قدم بغداد أيام المهدى حين أصابت الناس المجاعة ، ونزل قطيعة العباس بن محمد فأقام بها أربعين سنة ، وبها مات . وكان شاعرا من بنى كلاب . ابن النديم ٦٧ مصر ، ٤٤ ليبسك .

كتاب الفرس

للأصمعي .

كتابا النحل والحشرات

لأبي حاتم السجستاني . وللأصمعيّ كتاب في النَّحل والعسل (١) .

* * *

وهذه الكتب لم تؤلَّفْ للقصد العلميّ الخالص ، وإنما أريد بها أن تكون باحثةً في اللُّغة أوّلاً ، فهي بمثابة مُعجمات لغويَّة خاصّة بما أُلِّفت له ، فهي لاتبحث في طبع الحيوان وخصائصه بحثاً ، ولا تعنى بدقائقه وغرائزه وأحواله وعاده، وإنّما تجعل همَّها الأوّلَ والثانيَ هو اللغة ، وقد يكون منها أن تبحث البحثَ العلمي ، ولكن على سبيل الاستطراد ومشايعة القول .

وأسوق إليك نموذجاً من نصوص تلك الكتب ، لتنكشف أمامك صورةُ ماأسلفت .

فهذا أوّلُ كتاب الإبل للأصمعي (٢) :

« قال أبوسعيد عبد الملك بن قُرَيبٍ الأصمعيّ : أجودُ وقتٍ يُحمل فيه على النَّاقة أن تَجَمَّ سنةً ويحملَ عليها . فيقال : قد أُضربت الفحلَ ، وأضْرَبَها الفحلُ . فإذا حمل عليها في كلِّ عام فذلك الكِشاف . يقال ناقة كَشُوفٌ ، وقد أَكشَفَ بنو فلان العام فهم مُكشِفون : إذا لقحتْ إبلُهم على هذا الوجه . قال رؤبة :

(١) اعتمدت في استخراج هذه الكتب على وفيات الأعيان ، وبغية الوعاة ، ونزهة الألباء ، وفهرس ابن النديم ، وكشف الظنون ، ومعجم الأدباء .

(٢) ص ٦٦ — ٦٧ من مجموعة الكنز اللغوي المطبوع في بيروت ١٣٢٢ .

* حربٌ كشافُ لقحت إعثاراً *

وإليك نصًّا آخر من خلاله(1) :

« ومّما يذكر من ألوان الإبل ، يقال بعير أحمر وناقةحمراء، وإذا بُولغ في نعت حُمرته قيل: كأنه عِرْق أرطاة . ويقال أجلَدُ الإبلِ وأصبرُها الحُمْر . فإذا خَلَط الحمرةَ قُنوءٌ فهو كُمت . فإذا خالطَ الحمرةَ صفرةٌ قيل : أحمر مدَمّى . قال حُميد بن ثَور :

وصار مدمّاها كُميتاً وشُــبّهت قروحُ الكُلى منها الوِجَار المهدَّما »

وهذا آخر كتاب الإبل للأصمعى(2) :

« أسماء عدد الإبل : الذَّود : ما بين الثّلاثة إلى العشرة . والصِّرمة: القطعة التى ليست بالكثيرة . والصُّبَّة : فوق ذلك إلى العشرين إلى الثلاثين ، إلى الأربعين .

والعكَرة : إلى الخمسين ، إلى السِّتِّين إلى السَّبعين .

والهجْمة : المائة وما داناها . والهُنيدة : مائة . والعرْج : الإبل إذا كثرت فبلغت مائتين قيل عرج . والبَرْك : إبل القوم جميعاً ، التى تروح عليهم . قال متمِّم :

ولا شارف حبشاء ريعت فرجّعتْ حنيناً ، فأبكى شجوُها البركَ أجمعا

٢ — كتاب الحيوان للجاحظ

هذه صورة من صور كتب القوم فى الحيوان . أمّا الجاحظ فأمامك

(1) ص ١٢٧ من الكتاب السابق .

(2) ص ١٥٧ . وكتاب الوحوش للأصمعى طبع فى فينا سنة ١٨٨٨ ، والخيل له فى فينا ١٨٩٥ ، والشاء له فى بيروت ١٨٩٦ .

كتابُه ، ينطقُ بين يديك بالقصد العلمى التفصيلى للحيوان جميعاً ، ولكلِّ مملكةٍ من ممالكه ، ولكلِّ جنسٍ من أجناسه . وهو فضلٌ للجاحظ على جميع من سبقه أو عاصره ممّن كتب فى الحيوان . وإن أعوزه بعضُ الترتيب والتهذيب فهو شأنُ كلِّ كتابةٍ جديدة ، فى أمرٍ متشعِّبِ الأطراف ، ممدودِ النواحى .

٣ ـ مرجع الجاحظ فى تأليف الحيوان

والآن نسأل : ماذا كان مرجع الجاحظ فى هذه الموسوعة العظيمة ، وأين أصاب هذا الفيض المتدافع ؟

لقد استفتيت كتاب الحيوان نفْسَه ، بإدمان قراءته ، وتقليب صفحاته فوضح لى أنّ صاحبَه اعتمد فى تأليفه على أمور خمسة رئيسة :

أولها : الينبوع الذى لاينضب من القرآن وحديث الرسول .

والثانى : وعليه كان أكثر اعتماده ـ : (الشعر العربى) فالشعر العربىُّ وبخاصةٍ البدوىُّ منه ، قد تحدَّث عن الحيوان حديثاً طويلا ، تحدَّث عن الأنيس منه ولم يهمل الوحشىّ ، بل أشرك بين هذا وذاك .

فالعرب تحدَّثوا عن الإبل فى شعرهم وأطالوا الكلام ، تحدَّثوا فى نعتها فلم يذَرُوا دقيقةً من دقائقها ، وتكلَّموا فى حملها ونتاجها ، ورأْمها وحنينها ، وحلْبها وألبانها ، وألوانها ونِجارها ونسبها ، وأصواتها ودُعائها ، ورعيها وشربها وسَيرها وسُراها[1] .

وكان لهم فى الخيل نعتٌ مفصَّل ، وعنايةٌ بمثل مااعتَنوا به فى الإبل .

---

(١) مما أقوم به الآن إعداد كتاب يبحث فى أثر الإبل فى حياة العرب وأدبهم ولغتهم ، أرجو الله العون فى إتمامه .

ووفوا كذلك لكلابهم وشائهم . ولا تكاد تجد قصيدة معدودةً للعرب إلاّ وللحيوان الأنيس فيها شأن .

أما الوحشيّات — وفلواتُهم مواطنُ غنيّةٌ بها — فلم يُغفلوها ، ونطق شعرهم بالأسد[1] ، والنّمر ، والذئب[2] ، والثعلب ، والضبّ ، وغيرها .

وذكروا من الطيور النُّسورَ والعِقبان والرَّخَم ، والحِدأ والقطا والحَجَل .

ولو أردتُ أن أستقصيَ سائرَ مانعتوا من الحيوان ، فى شعرهم وحَديثهم وأسمارهم — مااستطعتُ . ولو استطَعْتُ لامتدَّ القول وفاض .

والجاحظ يرى أنَّ العرب — والأعراب منهم خاصة — قد ثَقِفوا معرفة الحيوان ، وبرعوا فى ذلك البراعَةَ ، واستوعبُوا حالَه وعادَه . وهو يقول فى ذلك[3] :

« وقلَّ معنًى سمعنَاه فى باب معرفة الحيوان من الفلاسفة وقرأناه فى كتب الأطباء (والمتكلّمين) إلا ونحن قد وجدناهُ أَو قريباً منه فى أشعار العرب والأعراب » .

وقال فى الكلام على السِّباع المشتّركة الخلْق[4] : « وقد ذكرنا منها ما كان مثل الضَّبع والسِّمع والعسبار ؛ إذ كانت معروفةً عند الأعراب ، مشهورة فى الأخبار ، منوَّهاً بها فى الأشعار » .

---

(١) أشهر عربى وصف الأسد هو أبو زبيد الطائى . انظر خبره فى الأغانى وطبقات ابن سلام ومعجم الأدباء .

(٢) كانوا يفخرون أحيانا بإشراكهم الذئب فيما يطعمونه . وممن عرف بذلك الفرزدق . وله خبر مع الذئب فى إطعامه لحم شاة له . خمسة دواوين العرب ١٦٠ .

(٣) الحيوان (٣ : ٢٦٨) .

(٤) الحيوان (٦ : ٢٨) .

وهو يُظهر السّببَ فى جَودةِ معرفِة الأعرابِ للحيوان ، بقوله(١) :

« وربّما ، بل كثيراً مايُبْتلَوْن بالنّاب والمخلب ، واللّدْغ واللّسع ، والعضّ والأكل . فخرجت بهم الحالُ إلى تعرُّف حالِ الجانى والجارح والقاتل ، وحالِ المجنىّ عليه والمجروح والمقتول ، وكيف الطّلبُ والهرب ، وكيف الدّاءُ والدّواء ؛ لطول الحاجة ، ولطول وقوعِ البصر . مع مايتوارثون من المعرفة بالدّاء والدّواء » .

والكتابُ مفصَّل بكثير من الشعر العربى ، موشّع بعيون ما نظم العرب والأعراب فى الحيوان من شعر .

وللجاحظ ثقة تامة فى الشّعر العربى ، فهو يصدّره فى الردّ على أرسطو ، ويحتجُّ به عليه . قال بعد أن سرد قول أرسطو فى عقوق العُقاب(٢) : « هذا قول صاحب المنطق فى عقوق العقاب وجفائها لأولادها .

فأمّا أشعار العرب فهى تدلُّ على خلاف ذلك ، قال دريد بن الصِّمّة(٣) :

وكلّ لجوج فى العنان كأنها إذا اغتمست فى الماء فتخاءُ كاسرُ

لها ناهض فى الوكر قد مَهَدَتْ له كما مَهَدَتْ للبَعْلِ حسناءُ عاقرُ »

* * *

والمادة الثالثة من مواد الكتاب ، هى (كتاب الحيوان لأرسطو(٤)) . وقد نقل عنه الجاحظ نصوصاً ليست من الكثرة بمكان ، ولكنها من القيمة والنّفاسة بمكان عظيم .

وصاحبنا رجلٌ جرىء العقل ، عنيفُ الفكر ، فهو لايقبل هذه النُّصوص

(١) الحيوان (٦ : ٢٩) .
(٢) الحيوان (٧ : ٣٧) .
(٣) فى الأغانى (١٠ : ٤٥) والمزهر (٢ : ٢٣٨) أنه معقر بن حمار البارقى .
(٤) سبق التعريف بهذا الكتاب ص ١٤ .

بعلاّتها ، بل يطرحها على الممتحَن ، ولا يطأطئ بفكره لها ، وإنما يصعد به عالياً ليرى وجه الحق فيها . وقلّما ترك واحداً منها إلاّ تكلم فيه ، وعرضَه على الحجّة .

فمن ذلك ماقال[1] : « وقد ذكر صاحبُ المنطق أنّه قد أبصر ثوراً وثب بعد أن خصى ، فنزا على بقرة فأحبلها » ، وعقب ذلك بقوله : « ولم نجد هذا عن معاينة ، والصدور تضيق بالردِّ على أصحاب النظر ، وتضيق بتصديق هذا الشكل » .

ذلك . وقد رأيت فى الكلام الذى أسلفتُ ، ردَّه عليه بالشعر العربى .

وقال أرسطو فى الفيل[2] : « هو أجرد الجلد ؛ فلذلك يشتد جزعه من البرد » ، فقال الجاحظ : « فإن كان أجرد الجلد ، فما قولهم فى أحاديثهم : طلبوا من الملك الفيل الأبيض ، والفيلَ الأبقع ، وجاء فلانٌ على الفيل الأسود ؟! » .

وقال الجاحظ فى ردّه على أرسطو[3] : « وقد سمعنا ماقال صاحب المنطق من قبل . وما يليق بمثله أن يخلِّد على نفسه فى الكتب شهاداتٍ لايحققها الامتحان ، ولا يعرف صدقها أشباهه من العلماء » .

وأحياناً يعتذر صاحبنا عن أرسطو ، بأن المترجمين لكتابه لم يحسنوا النّقل ، ولم يتوخوا الدقة والمطابقة . فهو يقول[4] : « ولعل المترجم قد أساء فى الإخبار عنه » ويقول[5] : « فكيف أسكن بعد هذا إلى أخبار البحريين

(١) الحيوان (٥ : ٥٠٢) .
(٢) الحيوان ٧ : ٢٢٨) .
(٣) الحيوان ١ : ١٨٥) .
(٤) الحيوان ٢ : ٥٢) .
(٥) الحيوان (٦ : ١٩) .

وأحاديث السماكين ، وإلى ما فى كتاب رجل — يعنى أرسطو — لعلّه إن وجد هذا المترجم أن يقيمه على المِصْطبة ، ويبرأ إلى الناس من كذبه عليه ، ومن إفساد معانيه ، بسوء ترجمته » .

وله نحوٌ من هذا الكلام فى الردّ على صاحب المنطق فى مواضع أخر من كتابه[1] نكتفى بالإشارة إليها .

* * *

والمادة الرابعة من مواد الكتاب ، هى تلك المحاولة ، وذلك (الكلام الذى ولّده المعتزلة) . وقد دفع بهم ذاك التيّار العارم ، إلى مواطنَ شتَّى من نواحى الحجاج والجَدَل . وكأنّما خلق اللهُ كلَّ رجل من أهل الاعتزال لساناً دائب التصرُّف والعمل . فهم إن فرَغوا من الكلام فى الصفات والخالق ، وفى التعديل والتجوير ، وفى الوعد والوعيد ، فزِعوا إلى الكلام فى السّانحة والخاطرة ، وفيما يَظهر للعَين أنّه دَقيقٌ مَهين .

والكتاب معرِض طريفٌ لهذه المنازعات الكلاميّة ولا سيَّما الجزأين الأوَّل والثانى منه . فكثيراً مايمرُّ على بصرك : « قال صاحب الكلب » و : « قال صاحب الديك » و : « قال صاحب الحمام » و . .

ويبدو أيضاً ، أنّه كان فى عصر الجاحظ نزاعٌ كلامى خاصٌ ، فى المقايسة بين الكلب والديك ، يتقدَّم الفريقَ الأوَّلَ أبو إسحاق إبراهيم النّظام ، ويتزعَّم الرَّهط الآخر مَعبد[2] .

كما أنَّ بعضَ الناس كانوا ينظرون إلى هذا النَّمَط وإلى هذا الضَّرْب من الجدل يتداوله اثنان من رؤساء المتكلِّمين ، بعين الاستغراب والاستنكار .

---

(١) انظر منها الحيوان : ٣ : ٥١٧ ، ٤ : ١٥٦ ، ٥ : ٥٤١ ، ٦ : ١٧ ، ٧ : ١٢٤ .

(٢) انظر الحيوان : ١ : ٣٥٦ . وانظر كذلك ٢ : ١٥٣ .

وقد ردّ عليهم الجاحظ ردًّا مسهباً ، صدَّره بقوله[1] : « فإن قلت : وأى شىء بلغ من قدر الكلب وفضيلة الديك ، حتى يتفرَّغ لذكر محاسنهما ومساويهما ، والموازنة بينهما ، والتَّنْويه بذكرهما ، شيخان من عِلية المتكلِّمين ومن الجلَّة المتقدمين . . . » ثم هو ينشئ بعد ذلك دِفاعاً صادقاً ، يستغرق نحو عشر صفحات . وفيه يحاول أن يقول : إنَّ البحث فى شأن الحيوان ، ضربٌ من ضروب التعبُّد ، ولونٌ من ألوان البحوث الدينية ، التى تنتهى بصاحبها إلى معرفة عظمة الله ، وعظم ماأبدع وبَرَا .

وقد بلغ الأمر بأحد كبار المعتزلة ، فى عنايته بالحيوان والحديث فيه ، أن صنع قصيدتين ، ذكر فيهما الحيوان وعجائبه ، « وقد جمع فيهما كثيراً من هذه الغرائب والفوائد ، ونبّه بهذا على وجوه كثيرة من الحكمة العجيبة ، والموعظة البليغة[2] » .

ذلك الرجل هو بشر بن المعتمر ، وكان رأساً لفرقةٍ من المعتزلة ، سميِّت بالبشرية[3] وتوفى سنة ٢١٠هـ .

وقد تصدّى أبو عثمان لشرح القصيدتين فى الجزء السادس من الحيوان ، وتكلّم فيهما كلاماً طويلا ، استغرق نحو نصف الجزء .

* * *

والمادة الخامسة من موادِّ الكتاب هى تلك الخبرة الشخصية ، وذلك الوَلوعُ الذى كان يدفَع بصاحبنا إلى السؤال ممَّنْ يتوسَّم فيه العلم . وكان الجاحظ

---

(١) الحيوان ١ : ٩٣ – ١٠٤ ساسى .

(٢) العبارة للجاحظ نفسه فى الحيوان ٦ : ٢٨٤ .

(٣) مفاتيح العلوم ١٩ ومعجم الزركلى ١٤٧ .

بطبعه شعبياً ، مع أنه كان مقرّباً نافذَ الكلمة عند الوزراء والخلفاء[1] . فهو قد جالس الملاّحين مراراً ، وسمع من أحاديثهم . فمن ذلك مايقول[2] : «وسمعت حديثاً من شيوخ ملاّحي الموصل ، وأنا هائب له ، ورأيت الحديث يدور بينهم . . »

وهو يتحدّث مع صائد العصافير ويقول[3] : « وخبَّرني من يصيد العصافير . . » .

وأحياناً يخالط الحوّائين ، ويقف منهم موقفَ المستَمِع إلى الشّكوى . وفى ذلك يقول[4] : « وشكا إليّ حوّاءٌ مرةً فقال : أفقرني هذا الأسودُ ومنعَني الكسبَ ؛ وذلك أنَّ امرأتي جهِلت فرمَتْ به في جُونةٍ فيها أفاعي ثلاثٌ أو أربع ، فابتلعهنَّ كلَّهن — وأراني حيّة منكرة ! »

وله نِقاش فى شأن الفيل مع عبدٍ يدعى « غانما[5] » . وما حدا به إلى الحديث معه إلا أنه من ذوى الخصام والجدل كما عرفت .

٤ – متى ألف كتاب الحيوان

قيل لأبي العيناء : ليت شعري ، أيّ شيء كان الجاحظ يحسن ؟ فقال : ليت شعري ، أيّ شيء كان الجاحظ لايحسن[6] ؟! .

---

(١) انظر لذلك تاريخ بغداد ١٢ : ٢١٩ : حيث يقول الجاحظ : « حالى أن الوزير يتكلم برأيي ، وينفذ أمرى ، ويؤاثر (صوابها : يواتر) الخليفة الصلات إلى » .

(٢) الحيوان ٢ : ١٢٦ .

(٣) الحيوان ٢ : ٣٢٩ .

(٤) الحيوان ٦ : ٤٠١ وانظر ٤ : ٤١٩ .

(٥) الحيوان ٧ : ١٠٩ .

(٦) جمع الجواهر للحصرى ١٦٥ .

نعم ، كان الجاحظ أعجوبةَ الدنيا ، تعرف ذلك إذا قرأتَ كتاب الحيوان ولمستَ مايحتاج إليه من جُهد ، وما يتطلبه من وَعيٍ واسع ، وانتباه دقيق ثم عرفتَ بعد ذلك كلّه أن تلك المعلمةَ الخالدةَ ، صنعها صاحبُها وأتمَّ حوكَها ، وهو فى سنٍّ عاليةٍ ، مفلوجٌ يقول فى شِكاية مرضه : « أنا من جانبى الأيسر مفلوج ، فلو قُرض بالمقاريض ماعلمت به ، ومن جانبى الأيمن مُنقْرَس ، فلو مرّ به الذُّبابُ لأَلِمت ! ! [1] » .

قال الحُصْرىّ [2] : « ومن إحدى عجائبه ، أنه ألّف كتاب الحيوان وهو على تلك الحال » ، يعنى السنَّ العالية ، والفالج الشديد .

وما بالنا نذهب بعيداً والجاحظ نفسه يقول [3] : « وقد صادف هذا الكتاب منى حالاتٍ تمنعُ من بلوغ الإرادة فيه : أوّل ذلك العلّة الشديدة . . » .

وهنا مشكلةٌ تطلعُ علينا من ثنايا نصوصٍ عدّة ، فقد قالوا إنّ الجاحظ فُلج فى آخر أيامه [4] وقالوا كذلك إنّه ألّف كتابَه الحيوان باسم محمد ابن عبد الملك الزّيات [5] المتوفى سنة ٢٣٣ ، وأنّه أهداه إليه فأعطاه خمسة آلاف دينار [6] ، فهل نقول إنَّ الجاحظَ ظلَّ مفلوجاً ثنتين وعشرين سنة [7] فى الأقل ؟ ! ذلك ماتنفيه العادة ، ويحيله الكثير من الواقع فيما يرى الناس .

(١) ابن خلكان .
(٢) فى جمع الجواهر ١٦٥ .
(٣) الحيوان ٤ : ٢٠٨ .
(٤) الوفيات وتاريخ بغداد وشذرات الذهب ٢ : ١٢٢ .
(٥) معجم الأدباء ٦ : ٧٥ مرجليوث .
(٦) معجم الأدباء ٦ : ٧٦ مرجليوث .
(٧) هى فرق مابين وفاة ابن الزيات سنة ٢٣٣ ووفاة الجاحظ سنة ٢٥٥ فى أصح الروايات .

ولـكنّنا نرجع إلى تاريخ علّته من المراجع التى بين أيدينا فنجد أن صاحب « سرح العيون[1] » قد عنى بذكر ذلك ، حيث قال :

« وكانت سبب علّة الجاحظ أنّه حضر مائدةَ ابن أبى دواد ، وفى الطّعام سمكٌ ولبن ، وكان ابن بَخْتِيَشُوعَ الطّبيبُ حاضراً ، فنهاه عن الجمْع بينهما ، فقال الجاحظ : إنَّ السمكَ إن كان مضادًّا للّبن فإنِّى إذا أكلتهُما دفَعَ كلٌّ منهما ضررَ الآخر . وإن كانا متساويين فكأنِّى أكلتُ شيئاً واحداً ! فقال ابن بختيشوع : أنا لاأحسن الـكلام ، ولـكن إن شئت أن تُجَرِّب فـكُلْ . فأكل فأصابه فالجٌ عظيم » .

فإذا عرفنا أنَّ أحمد بن أبى دوادٍ قد توفّى سنة ٢٤٠[2] وابتُلى بالفالج بعد موت عدوِّه ابن الزيات بسبعة وأربعين يوماً فى سنة ثلاث وثلاثين[3] . إذا عرفنا ذلك أمكننا أن نقول إنَّ مرض الجاحظ كان قبل سنة ٢٣٣ ، سنة وفاة ابن الزيات ، وأنه استمر مريضاً بالفالج أكثر من اثنتين وعشرين سنة ، وأن المعنىَّ بقولهم : « آخر أيامه » هو الشطر الأخير من حياته .

وأحبُّ أن أشير هنا إلى أنَّ الجاحظ ابتدأ فى تأليف كتاب الحيوان ، قبل أن يبدأ فى صِنوه الآخر فى الذّيع والشهرة : البيان والتبيين . وقد عثرت بنصٍّ قاطعٍ فى البيان[4] يدلّ على ذلك . قال : « كانت العادة فى كتب الحيوان أن أجعل فى كلِّ مصحف من مصاحفها عشر ورقات من

(١) سرح العيون ص ١٣٦ . وانظر مثـل هـذا النص مضطرباً فى عيون الأنباء ١ : ١٨١ .

(٢) مروج الذهب ٤ : ٩٧ وشذرات الذهب ٢ : ٩٣ .

(٣) مروج الذهب ٤ : ٩٧ .

(٤) البيان ٣ : ٣٠٢ .

مقطَّعات الأعراب ونوادر الأشعار ؛ لِمَا ذكرت من عَجَبك بذلك . فأحببت أن يكون حظٌّ هذا الكتاب فى ذلك أوفر، إن شاء الله تعالى » .

كما أودُّ أن أشير أيضاً إلى أنَّ الجاحظ كان يسمِّى كلَّ جزء من أجزاء الحيوان مصحفاً . وفى النسخة الشنقيطية من الحيوان نجد مكتوباً فى نهاية كل جزء : « تم المصحف . . من كتاب الحيوان ويليه المصحف . . » .

٥ - جهد الجاحظ فى تاليف الحيوان

هو يحدثنا بذلك فيقول(١) : وقد صادف هذا الكتاب منى حالات تمنع من بلوغ الإرادة فيه : أوَّل ذلك : العلّة الشَّديدة . والثانية : قلّة الأعوان . والثالثة : طول الكتاب . والرابعة : أنِّى لو تكلَّفت كتاباً فى طوله وعدد ألفاظه ومعانيه ، ثمّ كان من كتب العرض والجوهر ، والطَّفرة والتوليد والمداخلة ، والغرائز والنّحاس(٢) لكان أسهلَ وأقصر أيّاما وأسرعَ فراغا ؛ لأنِّى كنت لا أفزع فيه إلى تلقّط الأشعار وتتبُّع الأمثال واستخراج الآى من القرآن ، والحجج من الرواية، مع تفرُّق هذه الأمور فى الكتب » .

بهذا شرح صاحبنا جهده فى تأليف الكتاب ، وبيَّن مابذل فى تأليفه وجمعه ، من عنَت ومشقّة .

---

(١) الحيوان ٤ : ٢٠٨ وانظر ص ٢٠٩ منه أيضاً .
(٢) النحاس هنا بمعنى الطبيعة .

٦ — عدد أجزاء الكتاب

جرى بعضُ الناسخين والطابعين ، على ألاّ يتقيّدوا فى النّسخ أو الطّبع بتقسيم المؤلِّف لكتابه ، وكنت خشيتُ أن يكون وقَعَ هذا التّصرُّف فى كتابنا هذا ، وأدركنى الرَّيبُ فى ذلك . ولكنِّى وجدتُ من نصوص الكتابِ مايشهد بأنّ تقسيم المطبوعةِ الأولى من الحيوان هو نفسُه تقسيم الجاحظ . فى الجزء السابع بالصفحة التاسعة ، نجد هذا النصّ . « قد كتبنا من كتاب الحيوان ستّة أجزاء . وهذا الكتاب السابع هو الذى ذكرنا فيه الفيل بما حضرنا . . . » .

ونجد فى ثنايا الكتاب نصوصاً أخر تشهد بصحة هذا التقسيم [١] .

وإنّ فى مطابقة نهايات أجزاء المطبوعة الأولى ، لنهايات أجزاء المخطوطة الشنقيطية المرموز إليها برمز « سه » التى يصرِّح فيها بختام كلِّ جزء بهذه العبارة : « تمّ المصحف . . . من كتاب الحيوان ويليه المصحف . . . » — إن فى ذلك لدليلا آخر على صحة التقسيم التى سنتبعه .

٧ — قيمة كتاب الحيوان

لايعرف فضلَ هذا الكتاب ، إلاَّ من نظر فيه طويلاً ، وتناول نواحِيَه بالدَّرس والتبيُّن .

وقد يُوهم اسمُه أنّه قد خصِّص بالحيوان وما يمتُّ إليه بسبب . ولكنّ

(١) الحيوان ٤ : ٥ ، ٥ : ٥ ، ٦ : ٥ — ٦ ومما يضم إلى ذلك قول ياقوت فى معجم الأدباء : « كتاب الحيوان وهو سبعة أجزاء » .

الحقَّ أنَّ الكتاب معلمة واسعة ، وصورة ظاهرة لثقافة العصر العبَّاسى ، المتشعِّبة الأطراف .

فقد حوى الكتابُ طائفةً صالحةً من المعارف الطبيعيّة(١) ، والمسائل الفلسفيَّة ، كما تحدَّث فى سياسة الأقوام والأفراد ، وكما تكلَّم فى نزاع أهل الكلام وسائر الطوائف الدينية .

تحدَّث الكتاب فى كثير من المسائل الجغرافية ، وفى خصائص كثير من البلدان ، وفى تأثير البيئة فى الحيوان والإنسان والشجر ، كما تناول الحديثَ فى الأجناس البشرية وتبايُنها ، وكما عَرَض لبعض قضايا التاريخ .

وفيه كذلك حديثٌ عن الطب والأمراض : أمراضِ الحيوان والإنسان وبيان لكثيرٍ من المفردات الطبِّيَّة ، نباتيّها وحيوانيّها ومعدنيّها .

تحدَّث فيه الجاحظ عن العرب والأعراب ، وأحوالهم وعادِهم ، ومزاعمهم وعلومهم ؛ كما أفاضَ القولَ فى آى الكتاب العربىّ ، وحديث الرسول العربىّ ، وكما فصَّل بعضَ مسائلِ الفقه والدين .

والكتاب كذلك ديوانٌ جمَعَ الصَّفوةَ المختارةَ من حُرِّ الشعر العربى ونادره . وناهيك باختيار أبى عثمان ! وإن أردت الأمثالَ فهو قد جمع لك منها القدرَ الكبير ، أو أحببت الحديث فى البيان ونقد الكلام و الشِّعر ، وجدتَ ماترتاح إليه نفسُك وتطمئن .

أمَّا فُكاهة الجاحظ فهذه قد نُثِرت فى الكتاب نثرا ، وإنَّها لتطالعك بين الفَينة والأخرى ، متمثِّلةً فيما يَروى من نادرةٍ ، أو يحكى من قصَّة ،

(١) ولعل هذا ماحدا بالمغفور له أحمد تيمور باشا ، أن يضع نسخته الخطية فى قسم الطبيعيات من مكتبته .

وأما المجون فلا عليك أن تمر به لتظهر لك ناحية من النواحى التى غلبت على كثير من متأدبى عصر الجاحظ ، التى لم يكن فيها حَرج حينئذٍ ولا خشية .

هذه صفةٌ للكتاب مجملة ، أوجَزْتها إيجازًا ولم أُردْ تفصيلَها ، فذلك إنّما يكون فى كتاب .

على أنَّ الفهرس الذى ابتدعته وأسميته « فهرس المعارف » سوف يجلِّى للقارئ أشياءَ وأشياءَ غيرَ ماذكرت ، وبه يظهر كثيرٌ ممَّا كمن فى جَنَبات ذلك الكنْز القَيِّم .

تصحيح الكتاب

١ — قراءة الكتاب

كان أوّل عهدى بدراسة هذا الكتاب منذ أربع سنوات مضين ، وكنت أجدُنى أمضى فى الكتاب وأتابع قراءته ، رغمَ ماكان يحفل به من خطأ وتحريف وتصحيف ، وأنه لم يكن بحال تشجّع قارئه على المتابعة ؛ ممَّا كان عليه من سوء نظام واستعجام .

وكنت أثناء قراءتى أكتب تصحيحاتٍ على جوانبه بقدر ما استطاعه جهدى ، كما عنيت بوضع عنوانات وأرقام تربط أجزاءه بعضها ببعض .

والذى يقرأ للجاحظ يرى فيه طبيعة التكرار ، وهو يحرص بذلك على تثبيت مايريد القارئ على وعيه وفهمه ، فالجاحظ معلِّم حريص على إفادة تلميذه ؛ ولكنّ تلميذه لايجلسُ بين يديه ، أو يسايرُه ليتلقَّى عنه المعرفة ، بل يؤلِّف له أستاذُه الكتابَ جامعاً ، ويدعُه يُفيد ممَّا يقرأ ويتفهّم . وللجاحظ كلام فى هذا المعنى بالجزء الأول من الحيوان[1] . ولقد نفعنى هذا التّكرار فى مقارنة النُّصوص وتصحيحها .

---

(١) ص ٨٥ .

٢ — البدء فى تحقيقه

وعُدْت لقراءة الحيوان فى الصّيف الماضى ، فطلب إلىّ حضرات ناشرى هذا الكتاب أن أقومَ بإعداده للطّبع .

فبسطنى لهذا الأمر ما كنت قد أثبت من تصحيحات ، ووجدت أنَّ من الضرورى أن أنتفع بالنسخ الخطيّة والمصورة المودعة دارَ الكتب المصرية ، حتى يخرج الكتابُ للنّاس أقربَ ما يكون إلى السّلامة .

شرعتُ فى مقارنة النُّصوص بالنُّسخ . فهالنى الأمرُ واستعظمت التَّبِعة التى أُلقيت على عاتِقى ؛ للتَّخالُف الشَّديدِ مابين النسخة والأخرى فى صور الألفاظ ، وفى الزيادة والنقص ، والإعجام والإهمال . وحاولت أن أنكِصَ وأرتدَّ عن الميدان الذى هابه قبلى رجلٌ ورجل .

لولا أن شدَّ من عزمى تشجيع حضرة الأخ الجليل ، فخر أهل الحديث فى مصر غيرَ مدافَع ، « الأستاذ الكبير الشيخ أحمد محمد شاكر » ، فقد قرّبَ — حفظه الله — إلىَّ الأمرَ ، واستنهضنى ، وبسط لى من عَونه الأدبىّ ، ماهوّن علىّ ، ماكنت أعدُّه فى المحال .

وإنى لأسجّل له هنا شكرًا صادقا ، واعترافاً بما أسدى وأرشد ، وما أعان وعضد . فجزاه الله خير مايجزَى به عالمٌ فاضل !

٣ — مراجع التحقيق

ولجأت بعد مقابلة النسخ إلى الانتفاع بالكتب الأخرى ، فكنت أجد بها تصحيحاتٍ عجيبةً لتحريفات عجيبة وقعت فى الكتاب . ووجدت فى البيان والتبيين تصحيحات كثيرة للشعر والنصوص ، وفى كتب ابن

قتيبة : « عيون الأخبار » و « المعارف » و « تأويل مختلف الحديث » تحقيقاتٍ جمَّةً للأخبار والأعلام ، وما قيل فى الحيوان[1] . ولعل السرَّ فى ذلك أن الجاحظ كان قد أجاز ابن قتيبة برواية بعض كتبه[2] ، وأنه كان معاصراً له[3] .

ولست أغمِط سائر الكتب ، التى أفردْتُ لها ثَبَتا ، حقَّها من الاشتراك فى إقالة عثرة هذا الكتاب الجليل .

٤ ـ تنظيم الكتاب

كان لابدَّ لى وأنا أخرج هذا الكتاب أن أعرضه على النّاس فى ثوبِ عصرهم ، وأن أخرُج به من ظلام الماضى إلى نور هذا الزَّمن . فاستقصيتُ جهدى فى أن أرتِّبه ترتيباً حديثاً لا يُخلُّ بوضعه الأوَّل ، ولا يعتدى على حقِّ مؤلِّفه . فلم أبتدعْ فيه إلا الضَّبْطَ والتَّرقيم ، بعد عرْض كلماته على المعجمات .

وثانيةً أنِّى فصلت أثناءه بعنوانات تميِّز مسائله ، وتظهرها أعلاماً لطريقه المهيع الممتدّ ، ولم أشأْ أن أجعلَها معوجّة اللهجة مسايرةً لما طرأ على لغة هذا الزَّمن من أساليب الأعاجم ، بل قرّبتُها تقريباً من لغة الجاحظ نفسه ؛ واقتبستها اقتباساً من تضاعيف كلامه ؛ ليكون بذلك التّساوُقُ والتَّناسب . وقد ميَّزْت هذه العنوانات الإضافيَّة بأقواس خاصة ، وتركت الأصيلة منها مجرّدة من الأقواس . فهذا فصْلُ مابين هذه وتلك .

---

(١) فى عيون الأخبار ٢ : ٦٢ ـ ١٠٤ كلام فى الحيوان نجد مثله فى أجزاء متفرقة من كتاب الحيوان ، وسيمر عليك ذلك فى حواشى الكتاب .

(٢) انظر عيون الأخبار ٣ : ١٩٩ ، ٢١٦ ، ٢٤٩ حيث صرح ابن قتيبة بإجازة الجاحظ له .

(٣) ولد ابن قتيبة سنة ٢١٣ ، وتوفى سنة ٢٨٦ .

ولما كان من أسلوب تصحيح هذا الكتاب ، أن يُعارَض بعضه ببعض ، وأن يقارَنَ بين نصوصه المتشابهة — وذلك يقتضى الإشارةَ إلى صفحاتٍ من أجزاء قد تتلو الجزء الذى يطبع ، فقد رأيتُ أن أثبت على جوانب طبعتنا هذه ، أرقامَ صفحات الطبعة الأولى . كما أن لذلك مزيّةً ثانية ، هى تمكين القارئ من الانتفاع بكل الإشارات ، التى يشار بها فى الكتب المختلفة إلى مواضع خاصّة من هذا الكتاب .

٥ — أسقاط الكتاب

وقد وضعتُ أسقاطَ الكتاب بين إشارات الزيادة : [ ] ، ونبّهت فى كل منها على مصدر التكميل ، أما ماورد من هذه الإشارات مهملاً من التنبيه فهو ماكان من أجود نسخة من نسخ الكتاب : وهى مصورة « كوبريلى » المرموز إليها برمز « ل » وقد انفردت هذه النسخة بإثبات سقط كبير وقع فى جميع النسخ[1] .

٦ — النسخ المعتمدة فى هذه المطبوعة

هذه المطبوعة الحديثة من كتاب الحيوان نتاجُ مابين المطبوعة الأولى وعدة نسخ مختلفة ، بعضها مخطوط ، وبعضها مصور .

١ — فأوّل تلك النسخ ، هى المصورة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٤٢٨٥ ، وأصلها فى مكتبة كوبريلى ، وهذه النسخة جيِّدة مقروءة ، وعلى صدرها تاريخ يرجع إلى سنة تسع وخمسين وثمانمائة . والموجود منها أربع

(١) انظر لذلك الجزء الأول من الحيوان ٩٧ — ١٠٦ .

مجلدات هى الأول والثالث والخامس والسابع . وقد رمزت إليها فى التحقيق بالرمز « ل » .

٢ — وثانيها النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٩ ش وهى نسخة كاملة فى مجلّدين ، مكتوبة بخطوط مختلفة ، وهى فى جودتها تتلو سابقتها . وقد رمزت إليها بالرمز « ش » .

٣ وثالثها النسخة الخطية التى تحمل رقم ٥٥٦ فى دار الكتب المصرية ، وتبتدئ بأول الكتاب وتنتهى بالصفحة الثمانين من الجزء الثانى من النسخة المطبوعة ، وكتب فى صدرها : « مشترى من قومسيون حصر الأملاك بالضبطية فى ٢٣ يونية سنة ٨٨٣ » وقد رمزت إليها بالرمز م .

٤ — ورابعها النسخة المخطوطة المحفوظة برقم ١٠ ش بدار الكتب المصرية . خطّها محمد جاد القماش الأشمونى سنة ألف وثلثمائة وخمسة . وهى فى بدئها وانتهائها مثل سابقتها وقد رمزت إليها برمز « ١٠ ش » .

٥ — وخامسها النسخة التيمورية ، برقم ٤٥ طبيعيات ، كتب على صدرها :

« مشترى من تركة المرحوم عبد الحميد بك دقيق مصر كان سنة ١٢٨٠ وصار فى ملك سعادتلو أفندى حسن باشا سرى يكن زاده دامت معاليه واستقامت مساعيه ، طالعه كاتبه الفقير على الليثى خادم الإمام ، وفيه مافيه فليتأمل قاريه » وفى نهايتها : « برسم كتبية العبد الحقير موسى بن جرجس ابن أبى نوفل الطرابلسى الكاتب اشتراه من الشاكر الشاعر فى سنة ١١٥٧ هجرية ، ثم انتقل بالشراء الشرعى إلى ملك حضرة الأستاذ الشيخ على الليثى » .

وهذه النسخة مثل سابقها فى البدء والانتهاء . وهذه لم أرمز إليها ، بل صرحت باسمها .

٦ — والسادسة النسخة المطبوعة فى المطبعة الحميدية، ثم مطبعة التقدم من سنة ١٣٢٣ إلى سنة ١٣٢٥ . وقد قام بطبعها الوراق المعروف المرحوم « محمد ساسى » . وهى فى سبعة أجزاء . ولم يمكنى الاهتداء إلى معرفة الأصول التى طبعت عنها . ولكن يظهر مما أثبت فى أسفل صفحاتها من تعليقات أنها طبعت من عدة نسخ خطية ؛ فقد ورد فى أسفل (٢ : ٥) عبارة :

« كما فى النسخ التى بأيدينا » وقد رمزت إلى هذه النسخة بالرمز « ط » .

٧ — مخطوطة مكتبة امبروزيانا رقم ١٤٠ R,F, D . وهى تحتوى على ٨٧ ورقة وبها تاريخ تمليك يرجع إلى سنة ١٠٢٤ وقد قام أوسكار لوفجرين وكارل جون لابوم بجامعة أبسالا سنة ١٩٤٦ بنشر ٢٤ صفحة ، من هذه الصفحات . ووقعت إلى نسخة من ذلك المنشور المصور ، وراجعت عليه مايقابله من نصوص .

٧ - تيسير الانتفاع بالكتاب

لقد عنيت جمهرة المستشرقين عناية خاصة بوضع الفهارس لما ينشرون من كتب العرب ، وابتدعوا ذلك ابتداعاً ، فلهم فضل السبق .

ولا ريب أن الفهارس للكتب العربية ، ولا سيما القديم منها ، هى بمكان الحيا للأرض الطيبة ، به تؤتى نفعها وثمرتها ، وبخاصةٍ فى هذا العصر ، الذى أصبح الوقت فيه نهباً مقسما بين مطالب المدنية وتعقيدات الحضارة ، فلا يبقى لراغب العلم فيه والثقافة ، إلا اليسير من زمنه ، ليفرغ فيه لما نصب نفسه له . فأصبح بذلك فى حاجةٍ ملحّة إلى مايمكّنه من تحصيل الكثير فى اليسير من الزمن ، وإلى مايذلل له الاضطلاع بالبحث الطويل الدقيق فى الوجيز من الوقت .

لذلك ولما تضمنه هذا الكتاب من غزارة خير ، ووفارة فضل ، أنشأت طائفة من الفهارس لجملة الكتاب هى كما ترى :

١ — فهرس تفصيلى لأجناس الحيوان .

٢ — فهرس لأعلام الحيوان .

٣ — فهرس لأعلام الناس .

٤ — فهرس للقبائل والطوائف ونحوها .

٥ — فهرس للبلدان والأماكن ونحوها .

٦ — فهرس للأمثال .

٧ — فهرس للشعر .

٨ — فهرس للأرجاز .

٩ — فهرس للغة .

١٠ — فهرس للكتب .

١١ — فهرس لأيام العرب .

١٢ — فهرس للمعارف العامة .

وقد أفردت لها مجلدا كبيراً ، يلحق بالكتاب فى نهايته إن شاء الله . وآثرت ذلك ابتعاداً عن التكرار والإعادة .

والفهرس الأخير منها ، وهو فهرس المعارف ، قد قسمته على أجزاء الكتاب ، فجعلت لكل جزء نصيباً منه ، كى يتمكن القارئ من متابعة الانتفاع بالكتاب إلى أن يتم نشره ، ثم أضم أطرافه فأجعل منها ، فهرساً واحداً .

وسيجد القارئ فى نهاية كل جزء ، فهارس خاصة به ، جعلتها على نمط طريف ، مقتبساً ثانيها وثالثها ورابعها ، من عنوانات الكتاب : أصيلها والإضافى منها .

* * *

وبعد ، فأقولها صريحةً بيّنة : أنْ ليس يوجد فى عصرنا هذا من يستطيع أن يخرجَ هذا الكتاب الذى أخرجتُه ، مبرّأً من العيب ، سليمًا من التحريف ؛ فهذا عصر قد انقطعت دونه الرواية ، وأوصد أمامه بعض أبواب العلم ، واختفى عن النّاس فيه كثيرٌ من أعلام الثقافة العربية فى عصرها الأوّل .

أقول : ليس يُوجَد الفرد ، وأقول : ليست توجد الجماعة . ولست هنا بسبيل التّمثيل بفرد أو جماعة ، فذلك يعرفه من نظر فيما يُحيى الناشرون من أثر الأسلاف .

وأمّا أنا فلستُ بمكان من يدّعى العصمة ، أو يَخال السلامة ، فليس يكون ذلك إلاّ لمن ذهب عن نفسه ، وتعلق بالباطل .

ولكنّنى يعجبنى أنّى بذلتُ فيه غاية الجهد ، وأنى التزمتُ جانبَ الأمانة ، فلم أُسقط حرفاً ولم أزِدْ حرفاً ، إلا استأذنت القارئ ، ولا أبدلت حرفاً بآخر إلا نبّهت القارئ إلى ماصنعت .

وجعلت من دأبى فى الشرح والتحقيق أن أشير إلى المصادر دالاًّ على مواضع النصوص منها ، بذكر أرقامها ؛ ليطمئنّ القارئ ، وليكون شريكاً فى النّظر والتأمّل .

وعسى أن أكون قد أصبت فى عملى هذا بعض التوفيق ، وظهرتُ على كثير من الحقّ .

ومن الله أستمدّ العون فى هـذا العمل ، الذى أستهِمُ به فى بعث الآثار الفكرية ، الخالدة على الدهر ، وفى خدمة هـذه اللغة الكريمة القوية .

وأدعو اللهَ جاهداً ، أن أكون أبداً فى طريق الإخلاص ، وعلى نهج الحقّ والإنصاف .

منشية البكرى
فى يوم الاثنين ١٠ من رجب سنة ١٣٥٧

عبد السلام محمد هارون

تقديم الطبعة الثانية

لم أكن أتوقع عند ظهور الطبعة الأولى أن عملى هذا سيلقى تقديرا ، فقد كنت أهونَ على نفسى فى مقام العلم وجلاله ، أن يسوقنى هذا العمل إلى أن أغترّ أو أُخدَع عن قدرى كما يغترّ بعض الناس أو يُخدع . ومن نعمة الله علىّ — وله الفضل — أننى وقد علتْ بى السنُّ لاأزال ، كما كنت فى صدر الشباب ، أسخر ممن يضعون أنفسهم فوق أقدارهم ، ولا أزال أشعر فى صدقٍ بما يشعر به طالب العلم من حاجةٍ إلى الاستزادة ، ومن الرجوع إلى الحق حينما يلمع نوره ، ومن الاعتراف بالفضل لمن أفاد علماً أو علَّم حرفاً .

وقد دأبت منذ ظهور الجزء الأول من الطبعة الأولى — وذلك نحو من سبعة وعشرين عاما — أن أراجع بين الفينة والأخرى نصوص الكتاب وما يظهر من أجزائه ، وأعنى بتنقيحه وإصلاح مايبدو فيه من هنات .

وأتاحت لى فرصة إخراجى وتحقيقى لكثير من كتب التراث العربىّ أن تظهر فى أثناء ذلك تصحيحات وتعليقات كنت أدوّنها على جوانب نسختى ، انتظارا لليوم الذى أتمكن فيه من إعادة طبع هذه المعلمة الضخمة .

وكنت قد اعتمدت فى إخراج النشرة الأولى على ست مخطوطات بيّنت خمساً منها فى تقديم النشرة الأولى [1] ، أما السادسة فهى النسخة المحفوظة بدار الكتب

---

(١) ص ٣٤ — ٣٦ .

الأزهرية تحت رقم (٤٨٤ أباظة) . وقد كنت عارضت بها ابتداء من الجزء الرابع ورمزت لها بالرمز (هـ) كما أشرت إلى ذلك فى ملحقات الجزء الرابع من النشرة الأولى بالصفحة ٥٢٢ . وهى نسخة حديثة فى ثلاث مجلدات بقلم النسخ بخط محمد بن عبدالله الزمرانى سنة١٣١١ . وقد انتفعت بما فيها من تصحيحات توافق كثيراً مما أجده فى نسخة الشنقيطى مع خلاف يسير جدا . وذلك ابتداء من الجزء الرابع إلى نهاية الكتاب . وكنت أتمنى أن أتمكن من إتمام معارضة هذه النسخة ابتداء من الجزء الأول إلى الثالث، ولكن لم أجد ذلك فى الإمكان لصعوبة تصوير المخطوطات فى هـذه الفترة من إخراج الطبعة الثانية ، ولأنى لا أومن بأن يكل المحقق إلى غيره معارضة المخطوطات ، وكنت فيما قبلُ أنتقل بنفسى إلى مواضع المخطوطات لمعارضتها .

ومنذ ثمانى سنوات عثرت على نسخة سابعة ، هى ٢٤ صفحة مصورة عن مخطوطة من الحيوان محفوظة فى مكتبة الأمبروزيانا ، بميلانو فى إيطاليا برقم ١٤٠ R.F:D وقام بنشر هذه الصفحات مصورة كل من الأستاذين أوسكار لوفجرين وكارل جون لابوم فى نشريات جامعة أبسالا سنة ١٩٤٦ فعارضت بتلك الصفحات المصورة مايقابلها من الجزأين الأول والثانى من هذا الحيوان وكانت معارضة غير كاملة لأنى كنت أتوقع أن أتمكن من العثور على صورة المخطوطة كاملة فيما بعد . وقد ظهرت آثار تلك المعارضة فى بعض صفحات هذه النشرة من الجزء الأول[1] .

ولم أعلم بأن معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية قد اجتلب صورة تلك المخطوطة كاملة إلا بعد الفراغ من طبع هذا الجزء ، فرجعت إلى تلك

(١) انظر ص ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٤٢ ، ١٤٩ ، ١٨٧

المصورة التى وجدت أنها تشمل ٨٨ لوحا وهى مختلّة الترتيب اختلالا بيّناً ، وحاولت أن أعيدها سيرتها الأولى ، وبعد لأى شديد واستعانة عريضة بالفهارس الفنية التى وضعتها لكتاب الحيوان استطعت ترتيبها والاستفادة منها استفادة كاملة فى المعارضة . وقد أذن لى معهد المخطوطات فى إجراء ذلك الترتيب العلمى فأصلحت وضع النسخة بعد أن بينت على كل جزء من أجزاء الألواح ما كان عليه قبل الترتيب وما صار إليه بعد الترتيب .

والمصورة كما ذكرت فى ٨٨ لوحا تمثل ٨٧ ورقة من أصلها المخطوط اختلطت فيها أوراق من الجزء الأول بأوراق من الجزء الثانى ، وتاريخ تمليكها سنة ١٢٠٤ وتجليدها سنة ١٠٢٥ وقد كتبت بخط قديم يرجع إلى القرن السابع الهجرى ، وهى دقيقة الضبط وإن كان بها بعض التحريف والنقص ، وبالصفحة ١٧ سطرا ماعدا الصفحات التى تظهر فيها بعض صور الإنسان والحيوان والنبات الذى يرد له ذكر فى الكتاب ، ومنها صور بعض علاقات الجنس . وتبدو فى تلك الصور جميعا سمة الفن الفارسى .

وقد أجريت معارضة لهذه النسخة فيما يخص هذا الجزء الأول وأثبتها مع دراسة وتحقيق فى أواخر هذا الجزء الأول .

أما معارضة ماعثرت عليه من نصوص الجزء الثانى فقد احتل مكانه الطبيعى بين نصوص وحواشى ذلك الجزء وقد رمزت لها بالرمز « مب » .

وإليك بيانين :

أحدهما للوضع الذى كانت عليه النسخة المصورة قبل ترتيبها ، وهو الترتيب القائم الآن بمخطوطة الأمبروزيانا فى مكتبتها .

والآخر للوضع الصحيح الذى مكننى البحث من أن أظهره فأردَّ به النسخة إلى نصابها .

١ ـ الترتيب الذى عليه مخطوطة الأمبروزيانا

رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات
	١ ـ قطعة من الجزء الأول
١ ب	٢٢٢ : ٢ — ٢٢٣ : ١
٢ ا	٢٢٣ : ١ — ٢٢٤ : ٥
٢ ب	٢٢٤ : ٦ — ٢٢٥ : ١٢
٣ ا	٢٢٥ : ١٢ — ٢٢٧ : ٣
٣ ب	٢٢٧ : ٣ — ٢٢٨ : ٦
٤ ا	٢٢٨ : ٦ — ٢٢٩ : ١١
٤ ب	٢٢٩ : ١١ — ٢٣٠ : ٦
٥ ا	٢٣٠ : ٧ — ٢٣١ : ١١
٥ ب	٢٣١ : ١١ — ٢٣٢ : ١٠
٦ ا	٢٣٢ : ١٠ — ٢٣٣ : ١٧
٦ ب	٢٣٣ : ١٧ — ٢٣٥ : ٣
٧ ا	٢٣٥ : ٣ — ٢٣٦ : ٢
٧ ب	١٩٢ : ١٢ — ١٩٣ : ١٠
٨ ا	١٩٣ : ١٠ — ٢٩٤ : ١٢
٨ ب	١٩٤ : ١٢ — ١٩٥ : ٤
٩ ا	١٩٥ : ٤ — ١٩٦ : ٩
٩ ب	١٩٦ : ٩ — ١٩٧ : ٣
١٠ ا	١٩٧ : ٣ — ١٩٨ : ٦
١٠ ب	١٩٨ : ٧ — ١٩٩ : ٣
١١ ا	١٩٩ : ٤ — ٢٠٠ : ٧
١١ ب	٢٠٠ : ٧ — ٢٠١ : ٩

رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات
١٢ ا	٢٠١ : ٩ — ٢٠٣ : ١
١٢ ب	٢٠٣ . ١ — ٢٠٤ : ٤
١٣ ا	٢٠٤ : ٤ — ٢٠٥ : ٨
١٣ ب	٢٠٥ : ٨ — ٢٠٦ : ١٣
١٤ ا	٢٠٦ : ١٣ — ٢٠٨ : ٣
١٤ ب	٢٠٨ : ٣ — ٢٠٩ : ٧
١٥ ا	٢٠٩ : ٧ — ٢١٠ : ١٠
١٥ ب	١٨٩ : ١٦ — ١٩١ : ٧
١٦ ا	١٩١ : ٧ — ١٩٢ : ١٢
١٦ ب	١٦٧ : ٣ — ١٦٨ : ٤
١٧ ا	١٦٨ : ٤ — ١٦٩ : ٢
١٧ ب	١٦٩ : ٥ — ١٧٠ : ١١
١٨ ا	١٧٠ : ١١ — ١٧٢ : ٢
١٨ ب	١٧٢ : ٤ — ١٧٢ : ١٥
١٩ ا	١٧٢ : ١٥ — ١٧٤ : ٢
١٩ ب	١٧٤ : ٢ — ١٧٥ : ٧
٢٠ ا	١٧٥ : ٨ — ١٧٦ : ١
٢٠ ب	١٧٦ : ٢ — ١٧٧ : ٧
٢١ ا	١٧٧ : ٧ — ١٧٧ : ١٢
٢١ ب	١٧٧ : ١٣ — ١٧٩ : ٦
٢٢ ا	١٧٩ : ٦ — ١٨٠ : ١٣
٢٢ ب	١٨٠ : ١٣ — ١٨٢ : ٦

رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات
٢٣ ا	١٨٢ : ٧ — ١٨٣ : ٢
٢٣ ب	١٨٣ : ٣ — ١٨٤ : ٢
٢٤ ا	١٨٤ : ٢ — ١٨٤ : ١٦
٢٤ ب	١٨٤ : ١٦ — ١٨٦ : ٦
٢٥ ا	١٨٦ : ٧ — ١٨٧ : ٩
٢٥ ب	١٨٧ : ١٠ — ١٨٨ : ٨
٢٦ ا	١٨٨ : ٨ — ١٨٩ : ١٥
٢٦ ب	١٤٢ : ١٤ — ١٤٣ : ٤
٢٧ ا	١٤٣ : ٤ — ١٤٤ : ٤
٢٧ ب	١٤٤ : ٤ — ١٤٥ : ١١
٢٨ ا	١٤٥ : ١٢ — ١٤٧ : ٢
٢٨ ب	١٤٧ : ٢ — ١٤٨ : ٧
٢٩ ا	١٤٨ : ٨ — ١٤٩ : ٤
٢٩ ب	١٤٩ : ٤ — ١٤٩ : ١٢
٣٠ ا	١٤٩ : ١٢ — ١٥١ : ٢
٣٠ ب	١٥١ : ٢ — ١٥٢ : ٧
٣١ ا	١٥٢ : ٩ — ١٥٤ : ١
٣١ ب	١٥٤ : ١ — ١٥٥ : ٦
٣٢ ا	١٥٥ : ٧ — ١٥٧ : ٢
٣٢ ب	١٥٧ : ٢ — ١٥٨ : ٨
٣٣ ا	١٥٨ : ٨ — ١٥٩ : ١٦
٣٣ ب	١٥٩ : ١٦ — ١٦١ : ٤
٣٤ ا	١٦١ : ٤ — ١٦٢ : ٩
٣٤ ب	١٦٢ : ٩ — ١٦٣ : ١٦
٣٥ ا	١٦٣ : ١٦ — ١٦٤ : ١٦
٣٥ ب	١٦٤ : ١٧ — ١٦٥ : ١٨
٣٦ ا	١٦٥ : ١٨ — ١٦٧ : ٣
٣٦ ب	١٢١ : ٧ — ١٢٢ : ٤
٣٧ ا	١٢٢ : ٤ — ١٢٣ : ١٠
٣٧ ب	١٢٦ : ٨ — ١٢٧ : ٨
٣٨ ا	١٢٧ : ٨ — ١٢٨ : ١٠
٣٨ ب	١٢٣ : ١٠ — ١٢٥ : ٢
٣٩ ا	١٢٥ : ٢ — ١٢٦ : ٨
٣٩ ب	١٢٨ : ١٠ — ١٢٩ : ١٣
٤٠ ا	١٢٩ : ١٣ — ١٣١ : ٤
٤٠ ب	١٣١ : ٤ — ١٣٢ : ٣
٤١ ا	١٣٢ : ٣ — ١٣٣ : ٢
٤١ ب	١٣٥ : ٢ — ١٣٥ : ١٣
٤٢ ا	١٣٥ : ١٤ — ١٣٦ : ١٤
٤٢ ب	١٣٩ : ١ — ١٣٩ : ٩
٤٣ ا	١٣٩ : ١٠ — ١٤١ : ٤
٤٣ ب	١٣٦ : ١٥ — ١٣٧ : ١٩
٤٤ ا	١٣٧ : ١٩ — ١٣٨ : ١٧
٤٤ ب	١٤١ : ٣ — ١٤٢ : ٧
٤٥ ا	١٤٢ : ٧ — ١٤٢ : ١٣
٤٥ ب	٧٦ : ١٤ — ٧٧ : ١٩
٤٦ ا	٧٧ : ١٩ — ٧٩ : ٣
٤٦ ب	٨٢ : ١٠ — ٨٤ : ٦
٤٧ ا	٨٤ : ٨ — ٨٥ : ١١
٤٧ ب	٨٥ : ١٢ — ٨٧ : ٣

رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات
٤٨ ا	٨٧ : ٣ — ٨٨ : ٧
٤٨ ب	٩٢ : ٦ — ٩٣ : ١٠
٤٩ ا	٩٣ : ١٠ — ٩٤ : ١١
٤٩ ب	٩٤ : ١٢ — ٩٥ : ١٢
٥٠ ا	٩٥ : ١٣ — ٩٧ : ٧
٥٠ ب	٩٩ : ٣ — ١٠٠ : ٢
٥١ ا	١٠٠ : ٢ — ١٠١ : ٤

٢ ـ قطعة من الجزء الثانى

٥١ ب	١١١ : ٩ — ١١٢ : ١١
٥٢ ا	١١٣ : ٢ — ١١٤ : ١١
٥٢ ب	١١٤ : ١١ — ١١٥ : ١٦
٥٣ ا	١١٥ : ١٦ — ١١٧ : ٨
٥٣ ب	١١٧ : ٨ — ١١٩ : ٣
٥٤ ا	١١٩ : ٣ — ١٢٠ : ١٣
٥٤ ب	١٢٠ : ١٣ — ١٢٢ : ١٠
٥٥ ا	١٢٢ : ١٠ — ١٢٤ : ١٢
٥٥ ب	١٢٤ : ١٢ — ١٢٦ : ١٠
٥٦ ا	١٢٦ : ١٢ — ١٢٩ : ١
٥٦ ب	١٢٩ : ١ — ١٣٠ : ٨
٥٧ ا	١٣٠ : ٨ — ١٣٢ : ٤
٥٧ ب	١٣٢ : ٤ — ١٣٤ : ٨
٥٨ ا	١٣٤ : ٨ — ١٣٦ : ١
٥٨ ب	١٣٦ : ١ — ١٣٧ : ٦
٥٩ ا	١٣٧ : ٧ — ١٣٨ : ١٢
٥٩ ب	١٣٨ : ١٢ — ١٤٠ : ١١

رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات
٦٠ ا	١٤٠ : ١١ — ١٤٢ : ٧
٦٠ ب	١٤٢ : ٧ — ١٤٤ : ٥
٦١ ا	١٤٤ : ٥ — ١٤٥ : ١٠
٦١ ب	٣٥ : ٢ — ٣٧ : ٤
٦٢ ا	٣٧ : ٤ — ٣٩ : ١٠
٦٢ ب	٣٩ : ١١ — ٤٢ : ٣
٦٣ ا	٤٣ : ٢ — ٤٦ : ٤
٦٣ ب	٤٩ : ١٣ — ٥٠ : ١٢
٦٤ ا	٥٠ : ١٢ — ٥١ : ٢
٦٤ ب	٥٢ : ١٦ — ٥٣ : ٧
٦٥ أ	٥٣ : ٧ — ٥٥ : ١٠
٦٥ ب	٥٩ : ١ — ٦٢ : ١
٦٦ ا	٦٢ : ٢ — ٦٦ : ٤
٦٦ ب	٦٦ : ٥ — ٦٩ : ٤
٦٧ ا	٦٩ : ٤ — ٧١ : ١٠

٣ ـ قطعة من الجزء الأول

٦٧ ب	٤٩ : ١٤ — ٥١ : ٤
٦٨ ا	٥١ : ٤ — ٥٢ : ٦
٦٨ ب	٥٢ : ٦ — ٥٣ : ١٠
٦٩ ا	٥٣ : ١١ — ٥٥ : ٥
٦٩ ب	٥٥ : ٥ — ٥٦ : ١٠
٧٠ ا	٥٦ : ١١ — ٥٧ : ١٣
٧٠ ب	٥٧ : ١٣ — ٥٩ : ٥
٧١ ا	٥٩ : ٦ — ٦٠ : ١٤
٧١ ب	٦٠ : ١٥ — ٦٢ : ٢

رقم اللوح	مايقابله من الصفحات
٧٢ ا	٦٢ : ٢ — ٦٣ : ٥
٧٢ ب	٦٣ : ٥ — ٦٤ : ١٠
٧٣ ا	٦٤ : ١٠ — ٦٥ : ٩
٧٣ ب	٦٥ : ١٠ — ٦٦ : ١٣
٧٤ ا	٦٧ : ١ — ٦٨ : ٢
٧٤ ب	٦٨ : ٣ — ٧٠ : ٣
٧٥ ا	٧٠ : ٣ — ٧١ : ٥
٧٥ ب	٧١ : ٥ — ٧٢ : ١٣
٧٦ ا	٧٢ : ١٣ — ٧٤ : ٧
٧٦ ب	٧٤ : ٨ — ٧٥ : ١٤
٧٧ ا	٧٥ : ١٤ — ٧٦ : ١٤
٧٧ ب	٢٣ : ١٤ — ٢٥ : ٣
٧٨ ا	٢٥ : ٣ — ٢٦ : ١٣
٧٨ ب	٢٦ : ١٣ — ٢٨ : ٨
٧٩ ا	٢٨ : ٨ — ٣٠ : ١
٧٩ ب	٣٠ : ١ — ٣١ : ٧
٨٠ ا	٣٤ : ٦ — ٣٤ : ١٤
٨٠ ب	٣٥ : ١ — ٣٦ : ٧
٨١ ا	٣١ : ٧ — ٣٢ : ١٥
٨١ ب	٣٣ : ١ — ٣٤ : ٦
٨٢ ا	٣٦ : ٧ — ٣٧ : ٨
٨٢ ب	٣٧ : ١٠ — ٣٨ : ١٣
٨٣ ا	٣٨ : ١٣ — ٤٠ : ١
٨٣ ب	٤٠ : ١ — ٤١ : ٥
٨٤ ا	٤٠ : ١٥ — ٤٢ : ٨
٨٤ ب	٤٢ : ٨ — ٤٣ : ١٢
٨٥ ا	٤٣ : ١٢ — ٤٤ : ١٤
٨٥ ب	٤٤ : ١٤ — ٤٥ : ١٨
٨٦ ا	٤٥ : ١٩ — ٤٧ : ٥
٨٦ ب	٤٧ : ٥ — ٤٨ : ١٠
٨٧ ا	٤٨ : ١٠ — ٤٩ : ١٣
٨٧ ب	٢٠ : ١٤ — ٢٢ : ٨
٨٨ ا	٢٢ : ٩ — ٢٣ : ١٣

٢ — الترتيب الصحيح لنسخة الأمبروزيانا

صفحات المطبوعة	رقم اللوح	صفحات المطبوعة	رقم اللوح
الجزء الأول		٤٤ : ١٤ — ٤٥ : ١٨	٨٥ ب
٢٠ : ١٤ — ٢٢ : ٨	٨٧ ب	٤٥ : ١٩ — ٤٧ : ٥	٨٦ ا
٢٢ : ٩ — ٢٣ : ١٣	٨٨ ا	٤٧ : ٥ — ٤٨ : ١٠	٨٦ ب
٢٣ : ١٤ — ٢٥ : ٣	٧٧ ب	٤٨ : ١٠ — ٤٩ : ١٣	٨٧ ا
٢٥ : ٣ — ٢٦ : ١٣	٧٨ ا	٤٩ : ١٤ — ٥١ : ٤	٦٧ ب
٢٦ : ١٣ — ٢٨ : ٨	٧٨ ب	٥١ : ٤ — ٥٢ : ٦	٦٨ ا
٢٨ : ٨ — ٣٠ : ١	٧٩ ا	٥٢ : ٦ — ٥٣ : ١٠	٦٨ ب
٣٠ : ١ — ٣١ : ٧	٧٩ ب	٥٣ : ١١ — ٥٥ : ٥	٦٩ ا
٣١ : ٧ — ٣٢ : ١٥	٨١ ا	٥٥ : ٥ — ٥٦ : ١٠	٦٩ ب
٣٣ : ١ — ٣٤ : ٦	٨١ ب	٥٦ : ١١ — ٥٧ : ١٣	٧٠ ا
٣٤ : ٦ — ٣٤ : ١٤	٨٠ ا	٥٧ : ١٣ — ٥٩ : ٥	٧٠ ب
٣٥ : ١ — ٣٦ : ٧	٨٠ ب	٥٩ : ٦ — ٦٠ : ١٤	٧١ ا
٣٦ : ٧ — ٣٧ : ٨	٨٢ ا	٦٠ : ١٥ — ٦٢ : ٢	٧١ ب
٣٧ : ١٠ — ٣٨ : ١٣	٨٢ ب	٦٢ : ٢ — ٦٣ : ٥	٧٢ ا
٣٨ : ١٣ — ٤٠ : ١	٨٣ ا	٦٣ : ٥ — ٦٤ : ١٠	٧٢ ب
٤٠ : ١ — ٤١ : ٥(١)	٨٣ ب	٦٤ : ١٠ — ٦٥ : ٩	٧٣ ا
٤٠ : ١٥ — ٤٢ : ٨	٨٤ ا	٦٥ : ١٠ — ٦٦ : ١٣	٧٣ ب
٤٢ : ٨ — ٤٣ : ١٢	٨٤ ب	٦٧ : ١ — ٦٨ : ٢	٧٤ ا
٤٣ : ١٢ — ٤٤ : ١٤	٨٥ ا	٦٨ : ٣ — ٧٠ : ٣	٧٤ ب

(١) هذا نتيجة لاضطراب نصوص النسختين .

صفحات المطبوعة	رقم اللوح	صفحات المطبوعة	رقم اللوح
٧٠ : ٣ — ٧١ : ٥	٧٥ ا	١٣١ : ٤ — ١٣٢ : ٢	٤٠ ب
٧١ : ٥ — ٧٢ : ١٣	٧٥ ب	١٣٢ : ٣ — ١٣٣ : ٢	٤١ ا
٧٢ : ١٣ — ٧٤ : ٧	٧٦ ا	١٣٥ : ٢ — ١٣٥ : ١٣	٤١ ب
٧٤ : ٨ — ٧٥ : ١٤	٧٦ ب	١٣٥ : ١٤ — ١٣٦ : ١٤	٤٢ ا
٧٥ : ١٤ — ٧٦ : ١٤	٧٧ ا	١٣٦ : ١٥ — ١٣٧ : ١٩	٤٣ ب
٧٦ : ١٤ — ٧٧ : ١٩	٤٥ ب	١٣٧ : ١٩ — ١٣٨ : ١٧	٤٤ ا
٧٧ : ١٩ — ٧٩ : ٣	٤٦ ا	١٣٩ : ١ — ١٣٩ : ٩	٤٢ ب
٨٢ : ١٠ — ٨٤ : ٦	٤٦ ب	١٣٩ : ١٠ — ١٤١ : ٤	٤٣ ا
٨٤ : ٨ — ٨٥ : ١١	٤٧ ا	١٤١ : ٤ — ١٤٢ : ٧	٤٤ ب
٨٥ : ١٢ — ٨٧ : ٣	٤٧ ب	١٤٢ : ٧ — ١٤٢ : ١٣	٤٥ ا
٨٧ : ٣ — ٨٨ : ٧	٤٨ ا	١٤٢ : ١٤ — ١٤٣ : ٤	٢٦ ب
٩٢ : ٦ — ٩٣ : ١٠	٤٨ ب	١٤٣ : ٤ — ١٤٤ : ٤	٢٧ ا
٩٣ : ١٠ — ٩٤ : ١١	٤٩ ا	١٤٤ : ٤ — ١٤٥ : ١١	٢٧ ب
٩٤ : ١٢ — ٩٥ : ١٢	٤٩ ب	١٤٥ : ١٢ — ١٤٧ : ٢	٢٨ ا
٩٥ : ١٣ — ٩٧ : ٧	٥٠ ا	١٤٧ : ٢ — ١٤٨ : ٧	٢٨ ب
٩٩ : ٣ — ١٠٠ : ٢	٥٠ ب	١٤٨ : ٧ — ١٤٩ : ٤	٢٩ ا
١٠٠ : ٢ — ١٠١ : ٤	٥١ ا	١٤٩ : ٤ — ١٤٩ : ١٢	٢٩ ب
١٢١ : ٧ — ١٢٢ : ٤	٣٦ ب	١٤٩ : ١٢ — ١٥١ : ٢	٣٠ ا
١٢٢ : ٤ — ١٢٣ : ١٠	٣٧ ا	١٥١ : ٢ — ١٥٢ : ٧	٣٠ ب
١٢٣ : ١٠ — ١٢٥ : ٢٠	٣٨ ب	١٥٢ : ٩ — ١٥٤ : ١	٣١ ا
١٢٥ : ٢ — ١٢٦ : ٨	٣٩ ا	١٥٤ : ١ — ١٥٥ : ٦	٣١ ب
١٢٦ : ٨ — ١٢٧ : ٨	٣٧ ب	١٥٥ : ٧ — ١٥٧ : ٢	٣٢ ا
١٢٧ : ٨ — ١٢٨ : ١٠	٣٨ ا	١٥٧ : ٢ — ١٥٨ : ٧	٣٢ ب
١٢٨ : ١٠ — ١٢٩ : ١٣	٣٩ ب	١٥٨ : ٧ — ١٥٩ : ١٦	٣٣ ا
١٢٩ : ١٣ — ١٣١ : ٤	٤٠ ا	١٥٩ : ١٦ — ١٦١ : ٤	٣٣ ب

صفحات المطبوعة	رقم اللوح	صفحات المطبوعة	رقم اللوح
١٦١ : ٤ — ١٦٢ : ٩	٣٤ ا	١٨٩ : ١٦ — ١٩١ : ٧	١٥ ب
١٦٢ : ٩ — ١٦٣ : ١٦	٣٤ ب	١٩١ : ٧ — ١٩٢ : ١٢	١٦ ا
١٦٣ : ١٦ — ١٦٤ : ١٧	٣٥ ا	١٩٢ : ١٢ — ١٩٣ : ١٠	٧ ب
١٦٤ : ١٧ — ١٦٥ : ١٨	٣٥ ب	١٩٣ : ١٠ — ١٩٤ : ١٢	٨ ا
١٦٥ : ١٨ — ١٦٧ : ٣	٣٦ ا	١٩٤ : ١٢ — ١٩٥ : ٤	٨ ب
١٦٧ : ٣ — ١٦٨ : ٤	١٦ ب	١٩٥ : ٤ — ١٩٦ : ٩	٩ ا
١٦٨ : ٤ — ١٦٩ : ٢	١٧ ا	١٩٦ : ٩ — ١٩٧ : ٣	٩ ب
١٦٩ : ٥ — ١٧٠ : ١١	١٧ ب	١٩٧ : ٣ — ١٩٨ : ٦	١٠ ا
١٧٠ : ١١ — ١٧٢ : ٢	١٨ ا	١٩٨ : ٧ — ١٩٩ : ٣	١٠ ب
١٧٢ : ٤ — ١٧٢ : ١٥	١٨ ب	١٩٩ : ٤ — ٢٠٠ : ٧	١١ ا
١٧٢ : ١٥ — ١٧٤ : ٢	١٩ ا	٢٠٠ : ٧ — ٢٠١ : ٩	١١ ب
١٧٤ : ٢ — ١٧٥ : ٧	١٩ ب	٢٠١ : ٩ — ٢٠٣ : ١	١٢ ا
١٧٥ : ٨ — ١٧٦ : ١	٢٠ ا	٢٠٣ : ١ — ٢٠٤ : ٤	١٢ ب
١٧٦ : ٢ — ١٧٧ : ٧	٢٠ ب	٢٠٤ : ٤ — ٢٠٥ : ٨	١٣ ا
١٧٧ : ٧ — ١٧٧ : ١٢	٢١ ا	٢٠٥ : ٨ — ٢٠٦ : ١٣	١٣ ب
١٧٧ : ١٣ — ١٧٩ : ٦	٢١ ب	٢٠٦ : ١٣ — ٢٠٨ : ٣	١٤ ا
١٧٩ : ٦ — ١٨٠ : ١٣	٢٢ ا	٢٠٨ : ٣ — ٢٠٩ : ٧	١٤ ب
١٨٠ : ١٣ — ١٨٢ : ٦	٢٢ ب	٢٠٩ : ٧ — ٢١٠ : ١٠	١٥ ا
١٨٢ : ٧ — ١٨٣ : ٢	٢٣ ا	٢٢٢ : ٢ — ٢٢٣ : ١	١ ب
١٨٣ : ٣ — ١٨٤ : ٢	٢٣ ب	٢٢٣ : ١ — ٢٢٤ : ٥	٢ ا
١٨٤ : ٢ — ١٨٤ : ١٦	٢٤ ا	٢٢٤ : ٦ — ٢٢٥ : ١٢	٢ ب
١٨٤ : ١٦ — ١٨٦ : ٦	٢٤ ب	٢٢٥ : ١٢ — ٢٢٧ : ٢	٣ ا
١٨٦ : ٧ — ١٨٧ : ٩	٢٥ ا	٢٢٧ : ٣ — ٢٢٨ : ٦	٣ ب
١٨٧ : ١٠ — ١٨٨ : ٨	٢٥ ب	٢٢٨ : ٦ — ٢٢٩ : ١١	٤ ا
١٨٨ : ٨ — ١٨٩ : ١٥	٢٦ ا	٢٢٩ : ١١ — ٢٣٠ : ٦	٤ ب

صفحات المطبوعة	رقم اللوح	صفحات المطبوعة	رقم اللوح
٢٣٠ : ٧ — ٢٣١ : ١١	٥ أ	١١٣ : ٢ — ١١٤ : ١١	٥٢ أ
٢٣١ : ١١ — ٢٣٢ : ١٠	٥ ب	١١٤ ، ١١ — ١١٥ : ١٦	٥٢ ب
٢٣٢ : ١٠ — ٢٣٣ : ١٧	٦ أ	١١٥ : ١٦ — ١١٧ : ٨	٥٣ أ
٢٣٣ : ١٧ — ٢٣٥ : ٣	٦ ب	١١٧ : ٨ — ١١٩ : ٣	٥٣ ب
٢٣٥ : ٣ — ٢٣٦ : ٣	٧ أ	١١٩ : ٣ — ١٢٠ : ١٣	٥٤ أ
الجزء الثاني		١٢٠ : ١٣ — ١٢٢ : ١٠	٥٤ ب
٣٥ : ٢ — ٤٧ : ٤	٦١ ب	١٢٢ : ١٠ — ١٢٤ : ١٢	٥٥ أ
٣٧ : ٤ — ٣٩ : ١٠	٦٢ أ	١٢٤ : ١٢ — ١٢٦ : ١٠	٥٥ ب
٣٩ : ١١ — ٤٢ : ٣	٦٢ ب	١٢٦ : ١٢ — ١٢٩ : ١	٥٦ أ
٤٣ : ٢ — ٤٦ : ٤	٦٣ أ	١٢٩ : ١ — ١٣٠ : ٨	٥٦ ب
٤٩ : ١٣ — ٥٠ : ١٢	٦٣ ب	١٣٠ : ٨ — ١٣٢ : ٤	٥٧ أ
٥٠ : ١٢ — ٥١ : ٢	٦٤ أ	١٣٢ : ٤ — ١٣٤ : ٨	٥٧ ب
٥٢ : ١٦ — ٥٣ : ٧	٦٤ ب	١٨٤ : ٨ — ١٣٦ : ١	٥٨ أ
٥٣ : ٧ — ٥٥ : ١٠	٦٥ أ	١٣٦ : ١ — ١٣٧ — ٦	٥٨ ب
٥٩ : ١ — ٦٢ : ١	٦٥ ب	١٣٧ : ٧ — ١٣٨ : ١٢	٥٩ أ
٦٢ : ٢ — ٦٦ : ٤	٦٦ أ	١٣٨ : ١٢ — ١٤٠ : ١١	٥٩ ب
٦٦ : ٥ — ٦٩ : ٤	٦٦ ب	١٤٠ : ١١ — ١٤٢ : ٧	٦٠ أ
٦٩ : ٤ — ٧١ : ١٠	٦٧ أ	١٤٢ : ٧ — ١٤٤ : ٥	٦٠ ب
١١١ : ٩ — ١١٢ : ١١	٥١ ب	١٤٤ : ٥ — ١٤٥ : ١٠	٦١ أ

وقد عنيت فى هذه النشرة بإضافة تحقيقات وتعليقات وتخريجات لم تكن من قبل، كما أبدلت أرقام الإشارة إلى صفحات الحيوان بأرقام نشرتى الأولى التى حرصت فى هذه النشرة الثانية أن أحتفظ بنظامها وعددها كى لا تختل الفهارس ، بعد أن كنت أشير فى الحواشى إلى أرقام صفحات مطبوعة الساسى .

وكذلك أبدلت أرقام البيان والتبيين بأرقام نشرتى الثانية له ، وصنعت مثل ذلك فى بعض الكتب التى تعددت طبعاتها لأعيدها إلى أرقام موحدة : وحذفت الفهارس التى كنت ألحقها بكل جزء لأننى استنفدتها فيما بعد فى صنع الفهارس الفنية العامة ولم أستبق إلا فهرس الأبواب لكل جزء .

وأما بعد فإنى أحمد الله أن أمكننى من تحقيق أمنية طال عليها العهد ، وأحمده كذلك لما أعان ووفق ، فإنه بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ؟

مصر الجديدة فى { ٢٠ من ربيع الثانى سنة ١٣٨٥ . / ١٧ من أغسطس سنة ١٩٦٥ }

عبد السلام محمد هارون

كتاب الحيوان

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الأول

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

١٣٨٤ هـ = ١٩٦٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتى

٢ جَنَّبَكَ اللهُ الشُّبْهة ، وعَصَمك من الحيرة ، وجَعَل بينك وبين المعرفة نسباً ، وبين الصدق سَبَباً ، وحبَّب إليك التثبُّت ، وزيَّن فى عينك الإنصاف ، وأذاقك حلاوةَ التقوى ، وأشعرَ قلبك عِزَّ الحقّ ، وأودَعَ صدرَك بَرْدَ اليقين[1] وطرد عنك ذلَّ اليأس ، وعرَّفك مافى الباطل من الذلَّة ، وما فى الجهل من القِلَّة .

ولعمرى لقد كان غيرُ هذا الدعاء أصوبَ فى أمرك ، وأدلَّ عَلَى مقدارِ وزنك ، وعلى الحال التى وضعْتَ نفسك فيها ، ووَسمت عرضَك بها ، ورضيتها لدينِك حظًّا[2] ، ولمروءتك شِكْلا ؛ [فقد انتهى إلىَّ مَيلُكَ على أبى إسحاق ، وحَمْلُك عليه ، وطعنُك على مَعْبَدٍ ، وتنقّصك له فى الذى كان جَرَى بينَهما فى مساوى الديكِ ومحاسِنِه ، وفى ذكرِ منافع الكلب ومضارِّه ، والذى خرجَا إليه من استقصاءِ ذلك وجمْعِه ، ومن تتبُّعِه ونظمِه ، ومن الموازَنَة بينَهما ، والحُكْمِ فيهما . ثم عبتَنى بكتاب حيل اللصوص ، وكتاب غِشّ الصناعات ، وعبتَنى بكتاب المُلَح والطُّرَف ، وما حَرَّ من النوادر وبَرَد ، وما عاد بارده[3] حارًّا لفَرْط برده حتى

(١) فى ط : « البر واليقين » . وما أثبته فى ل ، ١٠ س وهو الصواب .

(٢) كذا فى ل ، ١٠ س وهو تصحيح مافى ط « ورضيتها لعرضك حظا » .

(٣) فى ل : « وعاد باردها » وما هنا عن م .

أمتَعَ بأكثَرَ من إمتاع الحارّ ، وعبتنى بكتاب احتجاجات البخلاء ، ومناقضتِهم للسُّمَحاء ، والقولِ فى الفرق بين الصدق[1]] إذا كان ضارًّا فى العاجل ، والكذب إذا كان نافعاً فى الآجِل ، ولِمَ جُعل الصدقُ أبداً محموداً ، والكذبُ أبداً مذموماً ، والفرق بين الغَيرة وإضاعة الحُرْمة ، وبين الإفراط فى الحميّة والأنَفَة ، وبين التقصير فى حفظ حقِّ الحرمة ، وقلّة الاكتراث لِسوء[2] القالَة ؛ وهل الغيرة اكتساب وعادة ، أم بعض مايعرض من جهة الديانة ، ولبعض التزيُّد فيه والتحسن به ، أو يكون ذلك فى طباع الحريّة ، وحقيقة الجوهريّة ، ما كانت العقولُ سليمة ، والآفات منفيَّة[3] والأخلاطُ معتدلة .

وعبتَنى بكتاب الصُّرَحاء والهُجَناء ، ومفاخرة السُّودان والحمران ، وموازنةِ مابين حقِّ الخئولة والعمومة ؛ وعبتَنى بكتاب الزرع والنخل والزيتون والأعناب ، وأقسام فضول الصناعات ، ومراتب التجارات ؛ وبكتاب فضل مابين الرجال والنساء ، وفرقِ مابين الذكور والإناث ، وفى أيِّ موضع يَغلبن ويفضُلْن ، وفى أى موضع يكنَّ المغلوباتِ والمفضولات ، ونصيب أيِّهما فى الولد أوفَر ، وفى أيِّ موضع يكون حقُّهنّ أوجب ، وأىّ عملٍ هو بهنَّ أليق ، وأىّ صناعةٍ هنّ فيها أبلغ .

وعبتَنى بكتاب القحطانيّة و [كتاب] العدنانيّة فى الردّ على

---

(١) سقطت هذه العبارة من جميع النسخ الخطية أيضا ماعدا ل و م .

(٢) فى ط : « بسوء » وتصحيحه من ل . قال فى القاموس « ما أكترث له : ماأبالى به » وقال الزبيدى : الأصل فيه ألا يستعمل إلا فى النفى وشذ، استعماله فى الإثبات .

(٣) هذا مافى ل . وفى ط : « منيفة » وبذلك يفسد المعنى .

القحطانية ، وزعمتَ أنِّى تجاوزتُ فيه حدَّ الحميَّة إلى حدِّ العصبيَّة ،
وأنِّى لم أصل[١] إلى تفضيل العدنانيّة إلا بتنقُّص[٢] القحطانيّة . وعبتَنى ٣
بكتاب العرب والموالى ، وزعمتَ أنِّى بخَسْت الموالىَ حقوقَهم ، كما أنِّى أعطيتُ
العربَ ما ليس لهم . وعبتَنى بكتاب العرب والعجم ، وزعمت أنَّ القولَ
فى فرقٍ مابين العرب والعجم ، هو القولُ فى فرقٍ مابين الموالى والعرب ؛
ونسبتَنى إلى التكرار والتردادِ ، وإلى التكثير ، والجهل بما فى المُعاَد من
الخَطَل ، وحَمْلِ الناسِ المؤن .

وعبتَنى بكتاب الأصنام ، وبذكر اعتلالات الهند لها ، وسبب عبادة العرب إيّاها ، وكيف اختلفا فى جهة العِلَّة[٣] مع اتّفاقهما على جملة الديانة ، وكيف صار عُبَّاد البِدَدَة[٤] والمتمسكون بعبادة الأوثان المنحوتة ، والأصنام المنجورة ، أشدَّ الديّانين إلْفاً لما دانوا به[٥] ، وشغفاً بِمَا تعبَّدوا له[٦] ، وأظهَرَهم جِدًّا ، وأشدَّهم على من خالفهم ضِغنا ، وبما دانوا ضِنًّا[٧] ، وما الفرق بين البُدِّ والوَثَن ، وما الفَرق بين الوثَن والصنم ، وما الفرق بين

---

(١) فى ل : « أصر » ومؤداهما واحد .

(٢) فى ط : « بتنقيص » والمثبت هنا فى ل . وفى القاموس « وهو يتنقصه : يقع فيه ويذمه » .

(٣) فى ط : « العلسة » وتصحيحه من ل .

(٤) فى ط : « عبادة البدرة » وهو تصحيف صوابه مافى ل . والبددة : جمع بد — بضم الباء — وهو الصنم ، معرب « بت » ، وجمعه بددة وأبداد .

(٥) فى ل : « أشد الناس إلفا لما دانوا به » .

(٦) فى ط : « وشغفا لمــا » وصــوابه ماأثبته عن ل . يقال شغف بالشىء إذا علق قلبه به .

(٧) فى ل : « صبابة وعجبا » .

الدُّمية والجثّة ، ولِمَ صوَّروا فى محاريبهم وبيوت عباداتهم ، صوَرَ عظمائهم ورجالِ دعوتهم ، ولم تأنَّقوا فى التصوير ، وتجوَّدوا[١] فى إقامة التركيب ، وبالغوا فى التحسين والتفخيم ، وكيف كانت أوَّليَّة تلك العبادات ، وكيف اقترفت تلك النِّحل ، ومن أىّ شكل كانت خُدَع تلك السدنة ، وكيف لم يزالوا أكثرَ الأصنافِ عدداً ، وكيف شمل ذلك المذهب الأجناسَ المختلفة :

وعبتَنى بكتاب المعادن ، والقولِ فى جواهر الأرض ، وفى اختلاف أجناس الفِلِزِّ والإخبار عن ذائبها وجامدها ، ومخلوقها ومصنوعها ، وكيف يسرع الانقلاب إلى بعضها ، ويُبطِئ عن بعضها ؛ وكيف صار بعضُ الألوان يَصبُغ ولا ينصبغ ، وبعضها يَنْصَبِغُ ولا يصْبُغ ، وبعضها يصبُغ وينصبغ ، وما القولُ فى الإكسير والتلطيف .

وعبتَنى بكتاب فرق ما بين هاشمٍ وعبد شمس ، وكتاب فرق ما بين الجنّ والإنس ، وفرق ما بين الملائكة والجنّ ، وكيف القولُ فى معرفة الهدهد واستطاعة العفريت[٢] ، وفى الذى كان عنده عِلْمٌ من الكتاب ، وما ذلك العلم[٣] ، وما تأويل قولهم : كان [عنده اسم الله الأعظم]

---

(١) فى ط : « تجردوا » بالراء . وصوابه مافى ل . وتجود : فعل الجيد .

(٢) فى ط : « وكيف القول فى استيلاء العفريت على سليمان وفى الهدهد » ، وهو كلام مشوه محرف وضعت بدله مافى ل . ومعرفة الهدهد هى التى يشير إليها القرآن الكريم بآية « وجئتك من سبأ بنبأ يقين » . وأما استطاعة العفريت فهو مافى قوله تعالى « قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك » . يعنى عرش بلقيس .

(٣) فى ط : « وما الذى هو ذلك العلم » وهو تحريف صوابه فى ل .

وعبتنى بكتاب الأوفاق والرياضات ، وما القولُ فى الأرزاق والإنفاقات [وكيف أسباب التثمير والترقيح[١]] ،وكيف يَجتلب[٢] التجار الحُرَفاء ، وكيف الاحتيال للودائع ، [وكيف التسبُّب إلى الوصايا ، وما الذى يوجب لهم حسن التعديل ، ويصرف إليهم باب حسن الظن ؛ وكيف ذكرنا غشّ الصناعات والتجارات ، وكيف التسبُّب إلى تعرف ما قد ستروا وكشف ما موَّهوا ؛ وكيف الاحتراس منه والسلامة من أهله . وعبتنى برسائلى] وبكلّ ماكتبت [به] إلى إخوانى وخُلَطائى ، من مَزْح وجِدّ ، ومن إفصاح وتعريض ، ومن تغافُل وتوقيف ، ومن هجاء لايزال مِيسَمه باقياً ، ومديح لا يزال أثرُه نامياً ؛ ومن مُلَح تُضحِك ، ومواعظَ تُبكى . ٤

وعبتَنى برسائلى الهاشميّات ، واحتجاجى فيها ، واستقصائى معانيَها ، وتصويرى لها فى أحسَن صورة ، وإظهارى لها فى أتمّ حلية . وزعمتَ أنّى قد خرجتُ بذلك من حدّ المعتزلة إلى حدّ الزيديّة ، ومن حدّ الاعتدال فى التشيُّع والاقتصاد فيه ، إلى حدّ السرف والإفراط فيه . وزعمتَ أنّ مقالة الزيدية خطبة مقالةِ الرافضَة[٣] ، وأنّ مقالة الرافضة خطبة مقالة الغاليَة[٤] . وزعمتَ أنّ فى أصل القضيّة والذى جَرَتْ عليه العادة ، أن كلّ كبير فأوّلُه صغير ، وأنّ كلّ كثير فإنما هو قليل جُمع [مِنْ] قليل ، وأنشدت قول الراجز[٥] :

---

(١) ترقيح المال : إصلاحه والقيام عليه .
(٢) فى ط : « تجرد » وصوابه فى ل .
(٣) فى ط : « خطيئة مقالة الرافضية » وتصحيحه من ل .
(٤) فى ط : « خطيئة مقالة الغالية » وصوابه مافى ل .
(٥) أنشد الجاحظ هذا الرجز فى المحاسن والأضداد ٤٤ .

قد يَلحَق الصغيرُ بالجليلِ وإنّما القَرْمُ من الأَفِيلِ
وسُحُقُ النخلِ من الفَسِيلِ

وأنشدتَ قول الشاعر(١) :

ربَّ كبير هاجَه صغيرُ وفى البُحور تَغرَق البحورُ

وقلتَ : وقال يزيدُ بن الحكم(٢) :

فاعلم بُنَيَّ فإنّه بالعلم يَنتفِع العليم
إنّ الأمورَ دقيقُها مما يَهيج له العظيم

وقلتَ : وقال الآخر :

صار جِدًّا ما مزحتَ به ربَّ جِدٍّ سَاقه اللعبُ

وأنشدت قول الآخر(٣) :

ما تَنْظُرون بحقِّ وَردةَ فيكمُ تُقضَى الأمورُ ورهطُ وَردةَ غُيَّبُ(٤)
قد يبعثُ الأمْرَ الكبيرَ صغيرُه حتّى تظلَّ له الدماءُ تَصَبَّبُ

وقالت كَبْشة بنت مَعْدِ يكَرِب :

---

(١) البيت فى المحاسن والأضداد ص ٤٤ .

(٢) يزيد هذا ، شاعر إسلامى عاصر جريرا والفرزدق . مر الفرزدق به يوما فقال : من هذا الذى ينشد شعرا كأنه من أشعارنا ؟ فقالوا : يزيد بن الحكم ، فقال : نعم أشهد أن عمّى ولدته ! والبيتان من أبيات له اختارها أبو تمام فى الحماسة ٢ : ٤٥ وهو يخاطب بهذه الأبيات ولده بدرا .

(٣) فى ط : « قول الآخر وهو قول عنترة » ، وعبارة « وهو قول عنترة » دخيلة على الكتاب بدليل أنها فى ل مثبتة بخط مخالف . كما أن البيتين لطرفة بن العبد مثبتان فى ديوانه طبع ١٩٠٩ ص ٣٧ ، والشعر والشعراء ٢٧ ، وخزانة الأدب ١ : ٤١٧ ، ومعاهد التنصيص ١ : ١٢٣ .

(٤) وردة : هى أمه ، وكان أبو طرفة قد مات وهو غلام ، فلما اقتسم أعمامه المال ظلموا أمه . . ماتنظرون : أى تنتظرون .

جَدعتمْ بعبد الله آنُفَ[1] قومِه بنى مازن أَنْ سَبَّ راعى المحَزَّم[2]

وقال الآخر[3] :

أيَّةَ نارٍ قَدَحَ القـادحُ وأىَّ جِـدٍّ بَلَغَ المازحُ

وتقول [العرب]: « العَصَا من العُصَيَّة ، ولا تلد الحيَّةَ إلا حَيَّةٌ[4] » .

وعبتَ كتابى فى خلْق القرآن ، كما عبتَ كتابى فى الردِّ على المشبِّهة وعِبْتَ [كتابى] فى القول فى أصول الفتيا والأحكام ، كما عبتَ كتابى فى الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه وبديعِ تركيبه . وعبتَ معارضَتى للزيدِيَّة وتفضيلى[5] الاعتزالَ على كلِّ نِحْلة ، كما عبتَ كتابى فى الوعد والوعيد ، وكتابى على النصارى واليهود[6] ثمَّ عبتَ جملةَ كتبى فى المعرفة والتمست تهجينَها بكلِّ حيلة ، وصغَّرت من شأنها ، وحطَطت من قدرها ، واعترضت على ناسخيها والمنتفعين بها ، فعبتَ كتاب الجوابات ، وكتاب المسائل ، وكتابَ أصحابِ الإلهام ، وكتابَ الحجَّة فى تثبيت النبوّة ، وكتابَ الأخبار ، ثمّ عبتَ إنكارى بصيرةَ غنام المرتدّ ، وبصيرةَ كلِّ جاحد وملحد، وتفريقى بين اعتراض الغُمْر[7] ، وبين استبصار المحقّ ، وعبتَ

(١) فى ط : « آناف » وأثبت ما فى ل ، س ، ١٠ س . وأنف يجمع على أنوف وآنف وآناف .

(٢) فى ط ، ل س ، ١٠ س : « المخزم » بالخاء ، وتصحيحه من الخزانة بضبط البغدادى ٣ : ٧٧ . والبيت من أبيات ستة رواها البغدادى وذكر لها قصة طويلة طريفة .

(٣) هو أبو نواس الحسن بن هانئ كما فى البيان والتبيين ٣ : ١٩٨ .

(٤) فى ط : « حيية » ويغلب أن يكون تصحيف طبع .

(٥) فى ط : « تفضيل » والوجه مافى ل .

(٦) فى ط : « النصرانى واليهودى » وأثبت مافى ل .

(٧) هذا مافى ل ، س ، ١٠ س . وفى ط « القمر » وهو تحريف . والغمر : الجاهل الذى لم يجرب الأمور .

كتابَ الردِّ على الجَهْمِيّة فى الإدراك ، وفى قولهم فى الجَهالات(١) ، وكتاب الفرقِ ما بينَ النبيّ والمتنبى ، والفرقِ ما بينَ الحِيَل والمخاريق(٢) ، وبينَ الحقائقِ الظاهرة والأعلام الباهِرة(٣) . ثمّ قصدتَ إلى كتابى هذا بالتصغير لقدره والتهجين لنظمه ، والاعتراض(٤) على لفظه ، والتحقير لمعانيه ، فزَرَيت على نحْتِهِ وسَبكه ، كما زَرَيت على معناهُ ولفظِه ، ثمّ طعنتَ فى الغرض الذى إليه نزعْنا ، والغاية التى إليها قَصَدنا(٥) . على أنّه كتابٌ معناهُ أنبَهُ من اسمِهِ ، وحقيقتهُ آنَقُ من لفظه ، وهو كتابٌ يحتاجُ إليه المتوسِّط العامى ، كما يحتاجُ إليه العالم الخاصى(٦) ، ويحتاج إليه الرَّيِّض كما يحتاج إليه الحاذق : أما الرّيض فللتعلّم والدرْبة ، وللترتيب والرياضة ، وللتمرين وتمْكين العادة ؛ إذْ كان جليلُه يتقدم دقيقه ، وإذ كانت مقدِّماته مرتبةً وطبقاتُ معانيه منزّلة . وأما الحاذقُ فلكفايةِ المؤونة ؛ لأن كلَّ من التقط كتابا جامعاً ، وباباً من أمّهات العلم مجموعا ، كان له غُنْمه ، وعلى مؤلّفه غُرْمُه ، وكانَ له نفعُه ، وعلى صاحِبِهِ كَدُّه ، معَ تعرُّضِهِ لمطاعِن البُغاة ، ولاعتراض المنافِسين ، ومع عرْضِهِ عقلَه المكدودَ على العقولِ الفارغة ، ومعانيه على الجهابِذة ، وتحكيمِه فيه المتأوِّلين والحسَدَة . ومتى ظَفِر بمثله صاحبُ علم ، أو هجَمَ عليه طالبُ فقه ، وهو وادعٌ رافِه ، ونَشيط جَامٌّ ،

(١) ماعدا ل : « الجهات » تحريف . وانظر ٢ : ١٣٩ و ٤ : ٢٨٨ .
(٢) فى ط : « المخارق » .
(٣) فى ل : « القاهرة » وفى ط « الباصرة » وصوابهما ما فى س ، ١٠ س .
(٤) فى ط : « والاغتماض » .
(٥) فى ل : « أجرينا » .
(٦) هذا ما فى ل . وفى ط : « كما يحتاج إليه الخاص » .

ومؤلِّفه مُتعَبٌ مكدود ، فقد كُفِى مَؤُونَة جمعه وخزنِه ، وطلبِه وتتبُّعِه ، وأغناه ذلك عن طول التفكير ، واستنفادِ العمر وفَلِّ الحدّ ، وأدرَك أقصى حاجتِه وهو مجتمعُ القُوَّة . وعلى أنَّ له عند ذلك أن يجعَلَ هُجومَه عليه من التوفيق ، وظفَره به باباً من التسديد .

وهذا كتابٌ تستوى فيه رغبةُ الأُمم ، وتتشابَه فيه العُرْبُ والعَجَم ، لأنه وإن كانَ عَرَبيًّا أعرابيًّا ، وإسلاميًّا جَماعيًّا ، فقد أخَذَ من طُرَفِ ٦
الفلسفة ، وجمع بين معرفةِ السماعِ وعلْمِ التجرِبة ، وأشرَكَ بين علمِ الكتاب والسنة ، وبينَ وِجْدان الحاسَّة ، وإحساس الغريزة . ويشتهيه الفِتيان كما تشتهيه الشيُوخ ، ويشتهيه الفاتِكُ كما يشتهيه الناسِك ، ويشتهيه اللاعبُ ذو اللَّهوِ كما يشتهيه المجِدّ[1] ذو الحَزْم ، ويشتهيه الغُفْلُ كما يشتهيه الأريب ، ويشتهيه الغبيُّ كما يشتهيه الفَطِن .

وعبتَنى بحكاية قولِ العثْمانيَّة[2] والضِّرارية ، وأنت تسمعنى[3] أقول فى أوَّل كتابى : وقالت العثمانية والضراريَّة ، كما سمعتَنى أقول : قالت الرافضة والزيدية ، فحكمتَ علىَّ بالنصْب لحكايتى [قول العثمانية] ، فهلاَّ حكمتَ على بالتشيُّع لحكايتى [قول الرافضة] !! وهلا كنتُ عندك من الغالِيَة لحكايتى حجج الغالية ، كما كنتُ عندك من الناصِبَة لحكايتى قولَ الناصِبة ! ! وقد حكينا فى كتابنا قولَ الإباضيَّة والصُّفْرية ، كما حكينا قولَ الأزارِقة والزيدية . وعلى

---

(١) فى ل : « الجدى » نسبة إلى الجد ضد الهزل .

(٢) فى ط : « بحكاية سر قول العثمانية » ، وكلمة « سر » هذه لاوجود لها فى جميع النسخ المخطوطة .

(٣) كذا فى ل . وفى ط : « كما سمعنى » .

هذه الأركان الأربعة بُنِيَت الخارجية ، وكلُّ اسمٍ سواها فإنما هو فرعٌ ونتيجةٌ ، واشتقاقٌ منها ، ومحمولٌ عليها . وألاَّ كنَّا عندَك من الخارجية ، كما صرنا عندَك من الضِّرَاريَّة والناصِبَة . فكيف رضيتَ بأن تكون أسرَعَ من الشيعة ، أسرع إلى أعراض الناس من الخارجية(١) ، اللهم إلاّ أن تكون وجدتَ حكايتى عن العثمانيّة والضِّراريَّة أشبعَ وأجمعَ ،وأتمَّ [وأحكم]،وأجود [صنعة ، وأبعد غاية . ورأيتنى قد وهَّنت حقَّ أوليائك، بقدر ما قوَّيتُ باطل أعدائك ! ! ولو كان ذلك كذلك ، لكان شاهدك من الكتاب حاضراً ، وبرهانك على ماادعيت واضحا] .

وعبتَنى بكتاب العباسية ، فهلاَّ عبتَنى بحكايةِ مقالةِ مَن أبى وجوبَ الإمامة ، ومَنْ يرى الامتناع من طاعة الأئمة الذين زعموا أنّ تَرْكَ النَّاس سُدًى بلا قيِّم أردُّ عليهم ، وهملاً بلا راع أربحُ لهم ، وأجدَرُ أنْ يجمع لهم ذلك بين سلامَةِ العاجل ، وغنيمة الآجل ، وأنَّ تركَهم نَشَراً لا نظامَ لهم ، أبعدُ من المَفاسِد ، وأجمعُ لهم عَلَى المراشد ! ! بل ليس ذلك بك ، ولكنَّه بهرَك ما سمعتَ ، وملأَ صدرَك الذى قرأت ، وأبعَلكَ وأبْطَرَك ، فلم تتّجه للحجّة وهى لك معرضة ، ولم تعرف المقاتل وهى لك بادية(٢) ، ولم تَعرِف بابَ المخرج إذ جهلتَ بابَ المدخَل ، ولم تعرفِ المصادر إذ جهلتَ الموارد .

رأيتَ أنَّ سبَّ الأولياء أشفى لدائك ، وأبلغَ فى شفاء سَقَمك ؛ ورأيتَ أن إرسالَ اللسان أحضَرُ لَذَّةً ، وأبعدُ من النَّصَب ، ومِن إطالة الفكرة ، ومن الاختلافِ إلى أرباب هذه الصناعة .

---

(١) فى ل : « فكيف رضيت بأن تكون الشيعة إلى أعراض الناس أسرع من المارقة » .

(٢) فى ط : « وهى لك معوضة ، ولم تعرف المقابل وهى لا بادية » .

ولو كنتَ فطِنت لعجْزك ، [و[١]] وصَلْتَ نقصَك بتمامِ غيرِك ، واستكفَيْتَ من هو موقوفٌ على كفايةِ مثلك ، وحَبيسٌ على تقويم أشباهك ٧ كان ذلك أزينَ في العاجِل ، وأحقَّ بالمثُوبة في الآجل ، وكنتَ إنْ أخطأَتكَ الغنيمةُ لم تُخْطِك السلامة ، وقد سَلِم عليك المخالفُ بقدر ما ابتُلِي [به] منكَ الموافِق . وعلى أنّه لم يُبتَل منك إلا بقدْرِ ما ألزمتَه من مُؤْنَةِ تثقيفك ، والتشاغُلِ بتقويمك . وهل كنتُ في ذلك إلاّ كما قال العربيُّ :

« هَلْ يَضُرُّ السَّحابَ نَبْحُ الكلابِ » .

وإلاّ كما قال الشاعر :

هل يَضُرُّ البحرَ أمسى زَاخِراً أَنْ رَمَى فيهِ غُلامٌ بحَجَرْ[٢]

وهل حالُنا في ذلك إلاّ كما قال الشاعر[٣] :

ماضرَّ تغلِبَ وائلٍ أَهجَوْتَها أمبُلْتَ حَيْثُ تَناطَحَ البَحْرَانِ

وكما قال حسَّانُ بنُ ثابت[٤] :

ما أُبالِي أَنَبَّ بالحَزْنِ تَيسٌ أم لَحَانِي بظهْرِ غَيْبٍ لَئِيمُ

وما أشكُّ أنَّكَ قد جعلت طول إعراضنا عنك مَطِيَّةً لك ، ووجَّهتَ حِلمَنا عنك إلى الخوف منك ، وقد قال زُفَر بنُ الحارث لبعضِ مَنْ لم يرحقَّ الصفح ، فجعل العفْوَ سبباً إلى سوء القول :

---

(١) زيادة ضرورية لاستقامة الكلام .

(٢) البيت رواه الجاحظ في البيان ٣ : ٢٤٨ . والرواية هناك « مايضير » .

(٣) هو الفرزدق ديوانه ٨٨٢ والبيان ٣ : ٢٤٨ والخزانة ٢ : ٥٠١ .

(٤) ديوانه ٣٧٨ .

فإنْ عدتَ وَاللهِ الذى فوقَ عَرْشِه مَنَحْتُكَ مسنون[١] الغِرَارَيْنِ أزْرَقا
فإنّ دواءَ الجهل أن تُضْرَبَ الطُّلَى وأنْ يُغْمس العِرِّيضُ حتى يغرّقا[٢]

وقال الأوّل :

وضَغائنٍ داوَيتُها بضغائنٍ حتّى شَفَيتُ وبالحُقُودِ حُقُودا

وقال الآخر :

وما نَفَى عنك قوماً أنت خائفُهم كَمِثْل وَقْمِك جُهّالاً بجُهّالِ[٣]
فاقْعَسْ إذَا حَدِبوا واحدَبْ إذا قعسوا وَوَازِنِ الشَّرَّ مثقالاً بمثقالِ

فإنّا وإن لم يكن عندنا سِنَانَ زُفَرَ بنِ الحارث ، ولا معارضةُ هؤلاء الشرَّ بالشرّ ، والجهلَ بالجهل ، والحِقد بالحِقد ، فإن عندى ما قال المسعوديُّ[٤] :

فمُسَّا تراب الأرضِ منه خُلِقتُما وفيه المعادُ والمصيرُ إلى الحشر
ولا تأنفا أن تَرْجِعا فتسلِّما فما كسىَ الأفواهَ شرًّا من الكِبْرِ[٥]

---

(١) فى ط : « مصقول » . وغرار السيف أى حده لايوصف بالصقل ، وإنما يوصف بالحدة . فالوجه (مسنون) كما فى ل وكما فى البيان ٤ : ٥٦ .

(٢) فان من الجهل أن تضرب الطلى وأن تلمس العريض حتى يغرقا
هكذا ورد البيت فى ط وهو تحريف أصلحته من ل ومن البيان للجاحظ . والطلى : الأعناق أو أصولها ، جمع طلية أو طلاة ، بضم الطاء فى كل منهما . والعريض كسكيت : الذى يتعرض للناس بالشر .

(٣) جاء البيت فى ط على هذه الصورة :
وما تعى عنك قوما أنت خائفهم كثل رقمك جهالا بجهال
وصححناه من البيان ٣ : ٣٣٤ ومن ل ، س والروض الأنف ١ : ١٧٠ ومجالس ثعلب ٤٩١ . والوقم : القهر والإذلال والكبح .

(٤) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود . وهذه الأبيات من عشرة أبيات رواها المرتضى فى أماليه ٢ : ٦٠ ، ٦١ وذكر قصة لها ، انظر لها أيضا جمع الجواهر ص ٣ .

(٥) فى الأمالى : « فما حشى الأقوام » وفى جمع الجواهر : « فما حشى الإنسان » . وفى ل ، س « ولا تعجبا أن ترجعا » . يخاطب عمر بن عبد العزيز وعبد الله بن عمرو بن عثمان ، كذا فى المحبر ٢٩٧ .

فلو شئتُ أدْلَى(١) فيكما غير واحد علانيةً أو قالَ عندى فى السِّرِّ
فإنْ أنا لم آمُرْ ولم أنْهَ عنكُما ضَحِكْتُ له كيما يَلِجَّ ويَسْتَشْرِى(٢) ٨

وقال النَّمِر بن تَولَب :

جزَى اللهُ عنِّى جَمْرَةَ ابنةَ نوفلٍ جَزَاءَ مُغِلٍّ بالأمانةِ كاذِبِ(٣)
بما خَبَّرَتْ عنِّى الوُشاةَ ليكذِبوا علىَّ وقد أوليتُها فى النوائِبِ

يقول : أخرجتْ خبرَها ، فخرج [إلى(٤)] من أحبُّ أن يعابَ عندها .

ولو شئتَ أن نعارضَك لعارضناك فى القول بما هو أقبحُ أثراً وأبقى وَسْماً ، وأصدقُ قِيلاً ، وأعدلُ شاهداً . وليس كلُّ مَن تَرَكَ المعارَضَة فقد صفح ، كما أنَّه ليس من عارَضَ فقد انتصرَ ، وقد قال الشاعر قولاً ، إن فهمتَه فقد كفَيْتَنا مَئُونَةَ المُعارَضَة ، وكفيتَ نفسَك لزومَ العارِ ، وهو قوله(٥) :

إن كنتَ لا ترهَبُ ذمِّى لِمَا تَعْرِفُ مِنْ صَفْحِى عن الجاهِلِ
فاخشَ سُكُوتى إذ أنا منصت فيكَ لمسموعِ خَنَا القائلِ(٦)
فالسامعُ الذمِّ شريكٌ لهُ ومُطعِمُ المأكولِ كالآكِلِ

---

(١) فى ط : «أولى» ، وصوابه مافى ل ، س، ١٠ س والأمالى . وفسرها المرتضى بقوله : معناه لو شئت اغتيابكما عندى غير واحد .

(٢) فى ط « يلح » بالحاء، وأثبت ماهو فى أمالى المرتضى و ل ، ١٠ س والبيان .

(٣) كذا فى ل ، ١٠ س . . وغل وأغل بمعنى خان . . وفى ط « مقل » وتحريفه ظاهر . وفى س : « مخل » . وجمرة بالجيم اسم زوجته ، كما فى الأغانى ١٩ : ١٥٨ .

(٤) زيادة يقتضيها السياق . والمعنى أنها أظهرت سر الحب ، فذاع حتى وصل إلى الوشاة الذين يتمنى هو أن يعابوا عندها .

(٥) نسب إلى العتابى فى الأغانى ١٢ : ١٠ ولباب الآداب ٣٦٠ ورسالة فصل مابين العداوة والحسد . ونسب إلى كعب بن زهير فى الخزانة ٤ : ١٢ .

(٦) كذا فى الخزانة وجمع الجواهر ٣ وشرح بانت سعاد ٣ والشريشى ٢ : ١٥٠ . وفى ل ، س « فاخش سكوتى آذنا منصتا ». وآذنا : مصغياً .

مقالةُ السُّوء إلى أهلها أسرَعُ من مُنْحَدِر سائلِ
ومن دعا الناسَ إلى ذمِّه ذمُّوه بالحقِّ وبالباطل
فلا تَهِجْ إنْ كنتَ ذا إربَةٍ حربَ أخى التجربةِ العاقل
فإنَّ ذا العَقل إذا هِجْتَه هجتَ به ذا خَبَلٍ خابل
تُبْصِرُ فى عاجلِ شَدَّاته عليك غِبَّ الضرَرِ الآجلِ

وقد يقال : إنّ العفوَ يُفسد من اللئيم بقدر إصلاحه من الكريم ، وقد قال الشاعر :

والعَفوُ عندَ لبيبِ القومِ موعِظةٌ وبعضهُ لسَفيهِ القومِ تدريبْ

فإنْ كنّا[1] أسأنا فى هذا التقريعِ والتوقيفِ ، فالذى لم يأخُذ فينا بحُكم القرآنِ ولا بأدَب الرسول عليه الصلاة والسلام، ولم يَفزَع إلى مافى الفِطَن الصحيحة ، وإلى ما توجبهُ المقاييسُ المطَّرِدةُ ، والأمثالُ المضرُوبة، والأشعار السائرة ، أولَى بالإساءة وأحقُّ باللائمة ، قال الله عزَّ وجل: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ . وقد قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام : «لا تَجْنِ يمينُكَ عَلَى شِمَالك» .

وهذا حكمُ الله تعالى وآدابُ رسوله والذى أُنْزِلَ به الكتابُ ودلَّ عليه من حُجَج العقول .

فأمَّا ما قالوا فى المثل المضروب [« رَمَتْنِي بِدَائِهَا وانسَلَّتْ » ، وأمّا] قولُ الشعراءِ ، وذمُّ الخطباءِ لِمنْ أخَذَ إنساناً بذنْب غيره، وما ضرَبُوا فى ذلك من الأمثال ، كقول النابغة حيث يقول فى شعره :

وكَلَّفْتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ وترَكْتَه كذِى العُرِّ يُكوَى غيرُه وهو رَاتِعُ

(١) فى ط : « فانا كنا » وتصحيحه من ل ، س ، ١٠ س .

وكانوا إذا أصابَ إبلَهُم العرّ كَوَوُا السليمَ ليدفعَه عن السقيم ، فأسقمُوا الصحيحَ من غير أن يُبْرِئوا السقيم .

وكانوا إذا كثُرتْ إبلُ أحدِهم فبلَغَتِ الألف ، فقئُوا عَيْنَ الفحْل ، فإنْ زادَت الإبلُ على الألف فقئُوا العينَ الأخرى ، وذلك المفقَّأُ والمعمَّى اللذان سمعتَ في أشعارِهم .

قال الفرزدق :

غلبتك بالمفقئ والمعنَّى وبيتِ المُحْتَبِي والخافقاتِ(١)

[وكانوا يزعمون أن المفقأ يطرد عنها العين والسواف(٢) والغارة ، فقال الأوّل :

فقأتُ لها عَيْنَ الفَحِيل عِيافَةً وفيهنّ رَعْلاءُ المسامعِ والحامي(٣)

(١) هذا البيت دخيل على الكتاب ، ويبعد من مثل الجاحظ أن يفكر في الاستشهاد به في هذا الموضع إذ لا علاقة له به ، وإنما يشير الفرزدق بكلمة « المفقئ » إلى قصيدته التي يقول فيها مهاجيا لجرير :

ولست وإن فقأت عينك واجدا أبا لك إن عد المساعي كدارم

وبكلمة « المعنى » إلى قوله :

وإنك إذ تسعى لتدرك دارما لأنت المعنى ياجرير المكلف

و « بيت المحتبى » إشارة إلى قوله :

بيتاً زرارة محتب بفنائه ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

و « الخافقات » يريد قوله :

وأين تقضى المالكان أمورها بحق وأين الخافقات اللوامع

انظر ابن سلام ٣٢٩ — ٣٣٠ والنقائض ٧٦٨ ليدن ولسان العرب (عنى) .
وقد ورد البيت مصحفاً على الوجه الآتي :

غلبتك (بالمفقأ والمعمى) وبيت (المحتبى) والخافقات

(٢) السواف : الموتان يقع في الإبل ، يقال بالفتح وبالضم .
(٣) البيت في البيان ٣ : ٥٤ . والفحيل : المنجب في ضرابه ، وعنى بالعيافة التفاؤل .

الرعلاء : التى تشقّ أذنها وتترك مدلّاة ، لكرمها] .

وكانوا يقولون فى موضع الكفّارة والأُمْنِيَّة ، كقول الرجل : إذا بلغَتْ إبلى كذا وكذا وكذلك غنَمى ، ذَبَحْتُ عند الأوثان كذا وكذا عتيرة . والعتيرة من نُسُك الرَّجبيّة والجمع عتائر — والعتائر من الظباء — فإذا بلغتْ إبلُ أحدِهم أو غنمُه ذلك العددَ ، استعملَ التأويلَ وقال : إنَّما قلتُ إنّى أذبحُ كذا وكذا شاة ، والظباء شاء كما أنّ الغنم شاء ، فيجعل ذلك القربانَ شاءً كلَّه ممَّا يَصيد من الظباء ، فلذلك يقول الحارثُ بن حِلِّزَةَ اليشكُرىُّ :

عَنَتاً باطلاً وظُلْماً كما تُعْـــتَرُ عَنْ حَجْرَةِ الرَّبِيضِ الظِّباءُ

بعد أن قال :

أمْ علَينا جُناحُ كِنْدَةَ أن يَغْـــنَمَ غَازِيهُمُ ومِنَّا الجزاءُ

وكانوا إذا أوردُوا البقرَ فلم تشرَبْ ، إمَّا لكَدَر المـاء ، أو لقلَّةِ العطَش ، ضرَبوا الثورَ ليقتَحِم الماء ، لأنَّ البقــرَ تَتْبَعه كما تتْبع الشَّوْلُ الفحل ، وكما تتبع أُتُنُ الوحشِ الحِمار . فقال فى ذلك عَوْفُ بن الخرِع (١) :

تمنَّتْ طيِّءٌ جَهْلاً وجُبْناً وقد خالَيتُهم فأَبَوْا خِلائى (٢)

هَجَوْنى أنْ هَجَوْتُ جِبَال سَلمى كضَرْبِ الثَّورِ للبقرِ الظِّماء

وقال فى ذلك أنَس بن مُدْرِك فى قتله سُلَيك بنَ السُّلَكَة :

إنّى وقَتْلى سُلَيْكًا ثمَّ أعْقِلَهُ كالثَّورِ يُضرَب لمَّا عافَتِ البَقَرُ (٣)

أنِفْتُ لِلْمَرءِ إذْ نِيكتْ حَلِيلتُه وأن يُشَدَّ على وجعائها الثَّفَرُ (٤)

(١) فى ط : « عوض بن اجزع » ، وهو على الصواب الذى أثبته ، فى ل ، س
١٠ س .

(٢) خاليتهم : تركتهم .

(٣) عافت : امتنعت عن شرب المـاء .

(٤) الوجعاء : الاست . والثفر بالتحريك : السير فى مؤخر السرج .

وقال الهَيَّبانُ الفهمىّ (١) :

كما ضُرِبَ الْيَعْسُوب أَنْ عافَ بَاقِرٌ ... وما ذَنْبُهُ أَن عافَتِ الماءَ بَاقِرُ

ولمّا كان الثورُ أميرَ البقر ، وهى تطيعُه كطاعة إناث النحل لليعسوب ، سمّاه باسم أميرِ النحْلِ .

وكانوا يزعمون أنّ الجنّ هى التى تصدُّ الثِّيرانَ عن الماءِ حتى تُمْسِكَ البقرُ عن الشرب حتى تهلِك ، وقال فى ذلك الأعشى :

فإنّى وما كلَّفتُمونى — وربِّكم — ... لأعلَمُ مَنْ أمْسَى أعقَّ وأحوبا (٢)

لَكالثَّور والجنّىُّ يَضرِبُ ظَهرَه ... وما ذنبُه أن عافَتِ الماءَ مَشرَبا

وما ذنبُه أَنْ عافَتِ الماءَ باقِرٌ ... وما إن تَعَافُ الماءَ إلاَّ ليُضْرَبا (٣)

كأنّه قال : إذا كان يُضْرَب أبداً لأنها عافت الماء ، فكأنّها إنما عافَتِ الماءَ ليُضْرَب .

وقال يحيى بن منصور الذُّهْلىّ فى ذلك :

لكالثّور والجنىّ يَضْرِبُ وَجْهَه ... وما ذَنْبُه إن كانَتِ الجنُّ ظالِمه

وقال نَهْشَلُ بنُ حَرِّىٍّ (٤) :

أَتُتْرَكُ عارِضٌ وبنو عَدِىٍّ ... وتَغْرَمَ دارِمٌ وهُم بَرَاءُ

كدأْبِ الثَّوْرِ يُضْرَبُ بالهَرَاوَى ... إذا ما عَافَتِ البَقَرُ الظِّمَاءُ (٥)

وكيف تكلّفُ الشِّعْرَى سُهيلاً ... وبينَهما الكواكبُ والسَّماءُ

---

(١) فى الأصل : « الهيتان ». وانظر الإصابة ج ٢ ص٩ والقاموس « هيب » . وفى ط ، س : « الفقمى » صوابه فى ل .

(٢) فى ط ، س ، ١٠ س : « أحربا » بالراء . وما أثبته عن ل .. يقال حاب بكذا : أثم ، والمصدر الحوب بفتح الحاء وتضم . وفى القرآن الكريم « إنه كان حوبا كبيرا » .

(٣) باقر : اسم جمع البقر . ومثله بقير وبيقور وباقور وباقورة .

(٤) له ترجمة فى خزانة البغدادى ١ : ٢٨٤ بولاق .

(٥) فى الأصل : « بالبرارى » ، صوابه من حماسة البحترى ٣٥٣ .

وقال أبو نُوَيرة بن الحصين ، حين أخذه الحكم بن أيُّوب بذَنْب العَطرَّق[1] :

أبا يُوسُفٍ لو كنتَ تَعلَمُ طاعَتِي ونُصْحِي إذَنْ ما بِعتَنِي بالمحلَّق[2]

ولا ساقَ سَرّاق العِرَافة صالحٌ[3] بَنِيَّ ولا كُلِّفْتُ ذَنْبَ العطرق[1]

وقال خِداش[4] بن زُهير حين أُخِذ بِدماء بنى محارِب[5] :

أُكلفُ قَتْلَى مَعْشر لستُ مِنهمُ ولادارُهُمْ دارِي ولانصرُهُمْ نَصْرِي

أُكَلَّفُ قَتلَى العِيصِ عِيصِ شُواحِط وذلك أمرٌ لم تُثَفّ لَهُ قِدْرِي[6]

وقال الآخر :

١١ إذا عَرَكت عِجْلٌ بنا ذنْبَ طيٍّ عَرَكْنا بتَيمِ اللاتِ ذنبَ بَنِي عِجْلِ

ولما وَجَدَ اليهودِيُّ أخا حنبض[7] الضبابيّ فى منزله فخصاه فمات ، وأخذ حنبض بنى عَبْسٍ بجنايَة اليهودىّ ، قال قيسُ بن زُهَيْر : أتأخذُنا بذنْبِ غيرِنا ، وتسألنا العَقلَ والقاتلُ يهودىٌّ من أهل تيماء ؟ فقال : والله أنْ لو قتلَتْه الريح ، لودَيْتُمُوه ! فقال قيس لبنى عَبْس : الموتُ فى بنى ذُبيانَ خَيْرٌ من الحياةِ فى بَنى عامر ! ثم أنشأ يقول :

أُكلَّفُ ذا الخُصْيَيْنِ إن كانَ ظَالماً

وإن كنتُ مظلوماً وإن كنتُ شاطِنا[8]

---

(١) فى ط « العطرف » بالفاء ، وصوابه فى ل ، س ، ١٠ س .
(٢) ماعدا ل و ١٠ س « إذن هاديتنى » . تحريف . وانظر الخزانة ٣ : ٢١٥ . وفى الخزانة : « والمحلق الضبى ولاه الحكم بن أيوب سفوان » .
(٣) فى ط : « سراف العرافة » وتصحيحه من ل ، س ، ١٠ س .
(٤) فى ط : « خراش » وما هنا عن ل . وخداش شاعر جاهلى ، من أشراف بنى عامر
(٥) فى ط : « بذنب ابن محارب » وتصحيحه من ل وكما يتضح من الشعر .
(٦) فى ط : « عيص شواهد » وهو تحريف مافى ل ، س ، ١٠ س . وفيها كذلك « لم يكلف له » وصوابه مافى ل ، س ، ١٠ س . وثفى القدر : وضع لها الأثافى وانظر معجم البكرى ٨١٥ وجمهرة أشعار العرب ١٠٩ .
(٧) ماعدا ل « أبا حنبض» ، صوابه فى ل والميدانى ٢ : ٥٩
(٨) شاطنا : بعيدا نائيا .

خصاه امرؤٌ من آلِ تيماءَ طائر
ولا يَعْدمُ الإنسيُّ والجنُّ كائنا(١)
فَهَلاَّ بنى ذُبيانَ — أمُّكَ هَابِلٌ —
رَهَنْتَ بفَيفِ الرِّيحِ إن كُنْتَ رَاهِنا(٢)
إذا قلتُ قد أفلتُّ من شَرِّ حنبضٍ
أتانى بأُخْرَى شرّه مُتَبَاطِنا
فقد جَعَلَتْ أكبادُنا تجتويكُمُ
كما تجتوِى سُوقُ العِضاهِ الكرازِنا(٣)

(قتل لقمان بن عاد لنسائه وابنته)

ولما قَتَل لُقمانُ بنُ عادٍ ابنتَه — وهى صُحْرأختُ لُقَيم — قال حين قَتَلها: ألَسْتِ امرأة! وذلك أنّه قد كان تزوج عِدَّةَ نساء، كلُّهنَّ خُنَّهُ فى أنفُسهنّ، فلمَّا قَتَلَ أُخراهنَّ ونزل من الجبل، كان أوّلَ من تلقّاه صُحْر ابنته، فوثَبَ عليها فقتلها وقال: وأنت أيضاً امرأة! وكان قد ابْتُلِى بأنَّ أختَه كانت مُحْمِقة(٤) وكذلك كان زوجُها، فقالتْ لإحدَى نساءِ لُقْمان: هذه ليلةُ طُهْرِى وهى ليلتُك، فدَعِينى أنامُ فى مَضجَعِك، فإنَّ لقمانَ رجلٌ مُنْجِب،

---

(١) فى ل: «من آل يتماء طابن» وفيها «طابنا» موضع «كائنا».
(٢) فى الأصل: «بهيف الريح» تحريف. وانظر خبر يوم فيف الريح فى الأغانى ١٥: ٧٠ وأمثال الميدانى ٢: ٣٥٨ والكامل لابن الأثير ١: ٣٨٧.
(٣) الكرزن وقد يكسر والكرزين: الفأس الكبير.
(٤) المحمقة والمحمق أيضا: المرأة تلد الحمق. قال السيوطى فى شرح شواهد المغنى ٦٧: وكانت تحت رجل أحمق.

فعسَى أن يقَع علىَّ فأُنْجِبَ . فوَقَعَ على أُختِه فَحَمَلَتْ بِلُقَيْم . فهو قولُ النَّمِرِ بن تَولَب(١) :

لُقَيمُ بنُ لُقمانَ من أُختِهِ ... فكانَ ابنَ أُختٍ لهُ وابنَما
ليالِيَ حمَّق فاستحصَنَتْ ... عليه فَغُرَّ بها مُظْلِما(٢)
فأحبَلَهَا رَجُلٌ مُحكِمٌ ... فجاءت به رجلاً مُحْكِماَ(٣)

فضربت العربُ فى ذلك المثلَ بقتل لقمانَ ابنتَه صُحرًا ، فقال خُفافُ ابن نَدْبة فى ذلك :

وعَيَّاش يُدِبُّ لى المنايا ... وما أذنَبْتُ إلّاَذْنَبَ صُحْر(٤)

وقال فى ذلك ابن أُذَيْنَة(٥) :

١٢ أتجمَع تَهيَاماً بليلَى إذا نأَتْ ... وهِجْرانَها ظُلماً كماظُلِمَتْ صُحْرُ

وقال الحارثُ بن عُبَاد :

قرِّبا مربطَ النعامةِ مِنِّى ... لَقِحَتْ حربُ وائلٍ عَنْ حِيالِ(٦)
لم أكنْ من جُنَاتِها عَلِمَ اللّـ ... ـهُ وإنِّى بحَرِّها اليومَ صالِى

وقال الشاعر ، وأظنُّه ابنَ المقفَّع :

---

(١) شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه ، ووفد إلى النبى صلى الله عليه وسلم وكتب له كتابا ، وروى عنه حديثا ، وكان أحد أجواد العرب المذكورين وفرسانهم .

(٢) فى ط « فعربه » . وغربها : خدع بها . ومظلما : فى الظلام .

(٣) المحكم : المنجب الذى يلد حكيما ، ويقابله المحمق : الذى يلد الحمقى .

(٤) فى ثمار القلوب ٢٤٥ « وعباس يمهد لى المنايا » وفى ل « وعياش يدب إلى » . وأدبها : جعلها تدب .

(٥) هوعروة بن أذينة ، وأذينة لقب لأبيه ، واسم أبيه يحيى . شاعر مقدم من أهل المدينة ويعد فى الفقهاء والمحدثين أيضا ، ولكن غلب عليه الشعر ، وله ترجمة مستفيضة فى الأغانى ٢١ : ١٠٥ - ١١١ .

(٦) النعامة : فرس الحارث . وعن حيال : أى بعد انقطاع عن الحمل . والمعنى أنه قد جد الجد .

فلا تَلُمِ المرءَ فى شـأنِهِ فربَّ مـلومٍ ولَمْ يُذْنِبِ

وقال آخر :

لعلَّ لَهُ عُذْراً وأنتَ تَلُومُ وكم لائمٍ قد لَامَ وهْوَ مُليم[١]

(حديث سِنِّمار)

وقال بعض العرب ، فى قتل بعضِ الملوكِ[٢] لِسِنِّمار الرومى ؛ فإنه لما علا الخَوَرْنَق ورأى بُنْياناً لم يرَ مثله ، ورأى فى ذلك المستشرف ، وخاف إن هو استبقاه أن يموت فيبنى مثلَ ذلك البنيانَ لرجُلٍ آخرَ من الملوك ، رمَى به من فوق القصر ، فقال فى ذلك الكلبى[٣] فى شيءٍ كان بينه وبين بعضِ الملوك :

جَزَانى جَزَاهُ اللهُ شَرَّ جزائهِ جَزَاءَ سِنِمَّارٍ وما كان ذَا ذنبِ

سِوَى رَصِّه البنيانَ سَبعين حِجَّةً يُعَلَّى عليه بالقَرَامِيدِ والسَّكْبِ[٤]

فلما رأى البُنْيانَ تمَّ سُحُوقُه وآضَ كمِثْلِ الطَّوْدِ ذِى الباذِخ الصَّعْبِ[٥]

وظنَّ سِنِمَّارٌ به كُلَّ حبوة وفازَ لَدَيْهِ بالمودَّةِ والقُربِ[٦]

---

(١) كذا ، وحفظى أن الشعر الأول عجز ، صدره كما فى الميدانى ٢ : ١٢٦ :
تأن ولا تعجل بلومك صاحباً

(٢) قال الهيثم بن عدى : إنه النعمان بن أمرئ القيس بن عمرو بن عدى. وقال ابن الكلبى : هو بهرام جور بن يزدجرد .

(٣) فى ثمار القلوب ص ١٠٩ أنه شراحيل الكلبى . وفى أمالى ابن الشجرى ١ : ١٠٢ أنه عبد العزى بن امرئ القيس .

(٤) القراميد : مفرده قرمد كجعفر وهو الآجر. والسكب : النحاس أوالرصاص ، ويحرك . وفى ثمار القلوب « عشرين حجة » وفى معجم البلدان « ستين حجة » .

(٥) فى معجم البلدان « كمثل الطود والشامخ الصعب » .

(٦) فى ل : «حبرة » بمعنى السرور .

فقال اقذفوا بالعِلْج مِنْ رأس شاهقٍ فذاكَ لعَمْرُ اللهِ مِنْ أعظَمِ الخطْب

وجاء المسلمونَ ، يروى خَلَفٌ عن سَلَف ، وتابعٌ عن سابِق ، وآخَرُ عنْ أوّل ، أنَّهمْ لم يختلِفُوا فى عيبِ قول زِياد[1] : « لآخُذَنَّ الوَلِيَّ بالوَلِيِّ ، والسَّمِي بالسَّمِيِّ ، والجارَ بالجارِ » ، ولم يختلفُوا فى لَعْن شاعِرهم حيث يقول:

إذا أُخِذَ البَرِىءُ بِغَيْرِ ذَنْبٍ تجَنَّبَ ما يُحاذِرُه السَّقِيمُ

قال : وقِيل لِعَمْرو بن عُبَيد : إنّ فلاناً لما قدَّم رجلاً لِيُضْرَبَ عُنُقه ، فقيل له : إنّه مجنون ! فقال : لولا أنَّ المجنونَ يَلِدُ عاقلا لخلَّيت سبيلَه . قال:

١٣ فقال عَمْرو : ماخَلَقَ اللهُ النَّارَ إلاّ بالحقّ !

ولمّا قالت التغلبِيَّةُ للجَحَّاف ، فى وَقْعَة البِشْر[2] : فضَّ اللهُ فاكَ وأعماك ، وأطالَ سُهادَك ، وأَقلَّ رُقادَك ، فوَاللهِ إنْ قتَلْتَ إلاَّ نساءً أعالِيهنَّ ثُدِىٌّ ، وأسافِلُهُنَّ دُمًى ! ! فقال لِمَنْ حَولَه : لولا أن تَلِدَ هذِه مثلَها لخلَّيتُ سَبيلَها ! فبلغ ذلك الحسنَ فقال : أمَّا الجحَّاف فجَذْوةٌ من نارِ جهنَّم .

قال : وذمَّ رجلٌ عند الأحنَفِ بنِ قيس الكَمْأَةَ بالسَّمْنِ ، فقال عند ذلك الأحنفُ: « رُبَّ مَذْمُومٍ لاذَنْبَ لَه[3] » .

فبهذِه السيرةِ سرتَ فينا .

وما أحسنَ ما قال سعيدُ بنُ عبدِ الرحمن[4] :

وإنّ امرأً أمْسَى وأصْبَحَ سالمًا مِنَ النَّاسِ إلاَّ ما جَنَى لَسَعِيدُ

(١) هو ابن أبيه. والكلام فى خطبته البتراء المعروفة . انظر البيان ٢ : ٦٣ .

(٢) فى ط : « البسر » وهو تصحيف ، والبشر : جبل يمتد من الشام إلى الفرات. وانظر المعجم والأغانى ١٩ : ١٣٠.

(٣) الخبر فى البيان والتبيين ٢ : ٣٤٤ ، ٣٧٤ .

(٤) هو سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت .

(عناية العلماء بالملح والفكاهات)

وقلتَ : وما بالُ أهلِ العلمِ والنظرِ ، وأصحابِ الفكرِ والعِبَر ، وأربابِ النِّحَلِ ، والعلماءِ وأهلِ البصر بمخارجِ المِلَل ، وورثةِ الأنبياء ، وأعوانِ الخلفاء ، يكتُبُون كتبَ الظُّرَفاءِ والمُلَحَاء ، وكُتب الفُرَّاغِ والخُلَعاء ، وكتبَ الملاهى والفُكَاهات ، وكتبَ أصحابِ الخصوماتِ ، وكتبَ أصحابِ المِراءِ ، وكتبَ أصحاب العصبيَّةِ وحَمِيَّةِ الجاهليّة ! ! ألِأنَّهم لايحاسِبون أنفسهم ، ولا يُوازِنون بينَ ما عليهم ولهم ، ولا يخافُون تصفُّحَ العلماءِ ، ولا لأئمة الأرِبَّاءِ[(١)] ، وشنف الأكْفَاء ، ومَشْنأة[(٢)] الجلَساء ! ؟

فهلاَّ أمسكتَ — يَرْحَمُكَ الله — عَنْ عَيْبِها والطَّعْنِ عليها ، وعن المَشُورَةِ والموعِظة ، وعن تخويفِ مافى[(٣)] سوء العاقبةِ ، إلى أنْ تبلغَ حالَ العلماء ، ومراتبَ الأكْفاء ؟ !

فأمَّا كتابُنا هذا ، فسنذكرُ جُمْلَةَ المذاهب[(٤)] فيه ، وسَنَأْتى [بعد ذلك] على التفسير ، ولَعلَّ رأيَكَ عند ذلك أنْ يتحوَّل ، وقولَكَ أن يتبدل ، فتثْبِتَ أو تكونَ قد أخذتَ من التوقُّفِ بنصيب ، [إن شاء الله] .

---

(١) كذا فى ل . وفى ط « ولأئمة الأدباء » .

(٢) فى ط : « شنأة » وصوابه شناءة ، وأثبت مافى ١٠ س وأما فى ل فهى « مساءة » . والشنف بالتحريك وكذا المشنأة بمعنى ، هو البغض .

(٣) فى ل : « مافيه » .

(٤) فى ط : « المذاهب » والوجه ماأثبته من ل ، س .

(أقسام الكائنات)

وأقول : إنّ العالَمَ بما فيه من الأجسام على ثلاثة أنحاء : متّفق ، ومختلف ، ومتضادٌّ ؛ وكلُّها فى جملة القول جمادٌ ونامٍ . وكان حقيقةُ القولِ فى الأجسام من هذه القِسْمة ، أن يقال : نامٍ وغيرُ نامٍ . ولو أنَّ الحكماء وضعُوا لكلِّ ما ليس بنامٍ اسماً ، كما وضعُوا للنامى اسماً ، لاتبّعنا أثرَهُمْ ؛ وإنما ننتهى إلى حيثُ انتهوا . وما أكثرَ ما تكونُ دلالةُ قولِهم جماد ، كدلالة قولهم مَوَات . وقد يَفترقان فى مواضعَ بعضَ الافتراق . وإذا أخرجت[1] من العالَمِ الأفلاكَ والبروجَ والنجومَ والشمسَ والقمر ، وجدتَها غيرَ نامية ، ولم تجدْهم يسمُّون شيئاً منها بجَماد ولا مَوات ، وليس لأنَّها تتحرَّكُ من تِلقاء أنفُسِها لم تُسَمَّ مواتاً ولا جماداً .

وناسٌ يجعلونها مدبِّرة غير مدبَّرة ، ويجعلونها مسخِّرة غير مسَخَّرة[2] . ويجعلونها أحْيَا من الحيوان ؛ إذْ كان الحيوانُ إنّما يَحْيا ١٣
بإحيائها لَه ، وبما تُعطيه وتُعيره . وإنما هذا منهم رأى ، والأُمَمُ فى هذا كلِّه على خلافِهم ، ونحنُ فى هذا الموضعِ إنّما نعبِّر عن لُغتنا ، وليس فى لُغتنا إلاّ ما ذكرنا .

والناسُ يسمُّون الأرضَ جماداً ، وربّما يَجعلونها مَوَاتاً إذا كانتْ لم

---

(١) فى ط : « خرجت » .

(٢) ماعدا ل و س : « مدبرة وناس غير مدبرة ويجعلونها مسخرة وغير مسخرة » وما هنا صوابه .

تُنْبِتْ قديماً ، وهى مَوَات الأرض ، وذلك كقولهم : مَنْ أحيَا أرضاً مواتاً فهى له .

وهم لايجعلون الماءَ والنارَ والهواءَ ، جماداً ولا مَوَاتاً ، ولا يسمُّونَها حيواناً ما دامت كذلك ، وإن كانت لاتضاف إلى النَّماء والحسّ .

والأرضُ هى أحدُ الأركانِ الأربعة ، التى هى الماءُ والأرضُ والهواءُ والنار ، والاسمانِ لايتعاوَرَانِ عندَهم إلاّ الأرض .

(تقسيم النامى)

ثمَّ النامِى على قسمين : حيوان ونبات ، والحيوانُ على أربعة أقسام : شىءٌ يمشى ، وشىء يطير ، وشىء يسْبَحُ ، وشىءٌ يَنْسَاح[1] . إلاّ أنّ كلَّ طائرٍ يمشى ، وليس الذى يَمْشى ولا يَطِير يسمى طائراً . والنوعُ الذى يَمشى على أربعةِ أقسام : ناس ، وبهائم ، وسباع ، وحشرات . على أنّ الحشَرَاتِ راجعةٌ فى المعنى إلى مشاكلةِ طباع البهائمِ والسباع . إلاّ أنّنا فى هذا كلِّه نتبع الأسماءَ القائمة[2] المعروفة ، البائِنات بأنفُسِها ، المتميِّزاتِ عند سامعيها ، مِنْ أهلِ هذه اللغةِ وأصحاب هذا اللسان ، وإنَّما نُفْرِد ما أفْرَدوا ، ونَجْمَع ما جَمَعوا[3] .

---

(١) ينساح : يمشى على بطنه .

(٢) فى ط « الفارقة » .

(٣) فى ط « وإنما يفرد ماأفردوا ويجمع ماجمعوا » .

(تقســـــيم الطير)

والطيرُ كلٌّ سَبُعٍ وبَهيمة وهَمَج . والسباعُ من الطير على ضَربَيْن : فمنها العِتاقُ والأحرارُ والجوارحَ ، ومنها البغاث[١] وهو كلٌّ ماعظمَ من الطير : سبعاً كان أو بهيمة ، إذا لم يكنْ من ذواتِ السلاحِ والمخالبِ المعقَّفة ، كالنُّسورِ والرَّخَم والغِربان ، وما أشبهها مِنْ لئامِ السباع .

ثم الخشَاش ، وهو ما لطُفَ جِرمُه وصَغُر شخصه ، وكان عديمَ السلاحِ [ولا يكون[٢]] كالزُّرَّقِ[٣] واليُؤيُؤ[٤] والبادنجار[٥] .

فأما الهَمَج فليس من الطير ، ولكنَّه ممَّا يطير . والهمَجَ فيما يطيرُ ، كالحشراتِ فيما يمشى .

والحيّاتُ من الحشرات ، وأىُّ سبعٍ أدخَلُ فى معنى السَّبُعيَّة مِنَ الأفاعى والثعابين ؟ ولكن ليس ذلك من أسمائها ، وإن كانتْ من ذوات الأنيابِ وأكَّالة اللُّحوم وأعداءِ الإنسِ وجَميعِ البهائم ، ولذلك تأكلُها الأوعَال[٦] والخنازيرُ والقَنافِذُ والعِقبان[٧] والشاهْمُرك[٨] والسنانير ، وغير ذلك من البهائم والسباع . فَمنْ جَعَلَ الحيَّاتِ سِباعاً ، وسمَّاها بذلك عند بعضِ القولِ والسببِ فقدْ أصابَ ، ومن جَعَلَ ذلك لها كالاسمِ الذى هو العلامةُ

---

(١) فى القاموس ، البغاث مثلثة : طائر أغبر جمعه كغزلان ، وشرار الطير .

(٢) كلمة يفتقر إليها الكلام .

(٣) الزرق : طائر يصاد به ، بين البازى والباشق ، وفيه ختل وخبث .

(٤) اليؤيو : من جوارح الطير يشبه الباشق .

(٥) كذا فى ط وس و ١٠ س . وفى ل « البادنجان » . وأراها محرفة عن « الباشق » ، انظر الحيوان ٢ : ١٨٨ .

(٦) فى ط « الأوغال » وتصحيحه من ل ومن الحيوان للجاحظ ٢ : ٥٢ و ٦ : ٥٥ .

(٧) فى ط « الغربان » .

(٨) الشاهمرك : الفتى من الدجاج قبل أن يبيض بأيام قلائل ، وهو معرب شاه مرغ ، ومعناه ملك الطير . الدميرى .

كالكَلْبِ والذئب والأسَد فقد أخطأ :

ومن سِباعِ الطيرِ شكلٌ يكون سِلاحُه المخالبَ كالعُقاب وما أشبهها ، وشيءٌ يكونُ سِلاحُه المناقيرَ كالنُّسُورِ والرَّخَمِ والغِرْبان ، وإنّما جعلْناها سباعاً لأنّها أكّالةُ لحوم .

ومِنْ بهائم الطير ما يكون سلاحُه المناقيرَ كالكَرَاكِيّ وما أشبهها ، ومنه ما يكونُ سلاحُه الأسنانَ كالبُومِ والوَطْوَاطِ وما أشبهها ، ومنه ما يكون سلاحُه الصياصي كالدِّيَكة ، ومنه ما يكون سلاحه السَّلْح[1] كالحُبارى[2] والثعلب أيضا كذلك .

والسَّبع من الطير : ما أكل اللحمَ خالصاً ، والبهيمةُ : ما أكلت الحبَّ خالصاً . وفى الفنِّ الذى يجمعها من الخلْقِ المركَّبِ والطبع المشتَرَك ، كلامٌ سنأتى عليه فى موضعه إن شاء الله تعالى .

والمشتَرَك عندهم كالعصفور ؛ فإنّه ليس بذى مِخْلَبٍ معقَّف ولا مِنْسَر[3] وهو يلقط الحبَّ ، وهو مع هذا يصيد النَّمْل[4] إذا طار ، ويَصيد الجرادَ ، ويأْكُلُ اللحم ، ولا يَزُقُّ فِرَاخَه كما تزقُّ الحمامُ ، بل يُلْقِمها كما تُلْقِمُ السباعُ من الطير فراخَها . وأشباهُ العصافيرِ من المشتَرَك كثيرٌ ، وسنذكُر ذلكَ فى موضعه إن شاء الله تعالى .

---

(١) السلح والسلاح كغراب : النجو .

(٢) فى ط « كالجارى » والصواب « كالحبارى » كما فى ل . وهى من الطيور التى سلاحها سلاحها .

(٣) المنسر كمجلس ومنبر : منقار الطير الجارح .

(٤) فى ط « النحل » والصواب « النمل » كما فى ل فان النحل طائر بطبعه ، وأما النمل فيعرض له الطيران حين الكبر ، قال أبو العتاهية :

وإذا استوت للنمل أجنحة ... حتى يطير فقد دنا عطبه

وليس كلُّ ما طار بجَناحين فهو من الطير ؛ قد يطير الجِعْلانُ والجُحْلُ واليَعاسِيبُ والذِّبابُ والزَّنابيرُ والجَرادُ والنمْل والفَراشُ والبَعوضُ والأَرضَة والنحلُ وغيرُ ذلك ، ولا يسمَّى بالطير . وقد يقال ذلك لها عند [بعض] الذكرِ والسبب . وقد يسمُّون الدجاجَ طيراً ولا يسمُّون بذلك الجراد ، والجرادُ أَطْيَر (١) ، والمثلُ المضروبُ به أشهر ، والملائكةُ تَطِيرُ ، ولها أجنحةٌ وليستْ من الطير . وجَعفر بن أبي طالب ذو جناحين يَطِير بهما في الجنَّة حيثُ شاء ، وليس جعفرٌ من الطير .

واسم طائرٍ يقَع على ثلاثة أشياء : صورة ، وطبيعة ، وجَناح . وليس بالريشِ والقَوادِمِ (٢) والأباهِرِ (٣) والخوافي (٤) ، يسمَّى طائراً ، ولا بعدمه يسْقط ذلك عنه . ألا ترى أنَّ الخفَّاشَ والوَطواطَ من الطير ، وإن كانا أمْرَطَينِ ليس لهما رِيشٌ ولا زَغَبٌ ولا شَكِيرٌ ولا قَصَبٌ (٥) وهما مشهورانِ بالحمل والولادة ، وبالرَّضاع ، وبظهور حَجْم الآذان ، وبكثرة الأسنان . والنعامة ذاتُ ريشٍ ومِنقارٍ وبَيضٍ وجَناحين ، وليست من الطير .

وليس أيضاً كلُّ عائمٍ سمكة ، وإن كان مناسباً للسمك في كثير من معانيه . ألا تَرَى أنّ في المـاء كَلْبَ الماء ، وعنْزَ المـاء ، وخِنزيرَ الماء ؛ وفيه الرِّقُّ (٦) والسُّلَحْفاة ، وفيه الضِّفْدَع وفيه السرطان ، والبَيْنيبُ (٧) ،

---

(١) في ط « طير » والصواب ما في ل . وأطير : أشد طيرانا .

(٢) القوادم والقدامى – كحبارى – أربع أو عشر ريشات في مقدم الجناح . الواحدة قادمة .

(٣) الأبهر : الجانب الأقصر من الريش ، جمعه أباهر .

(٤) الخوافي : ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت .

(٥) الزغب : الريش القصير . والشكير : صغار الريش بين كبارها . والقصب : ضرب من صغار الريش .

(٦) قال الدميري : بكسر الراء وبالقاف : ضرب من دواب المـاء يشبه التمساح . والرق أيضاً : العظيم من السلاحف ، وجمعه رقوق .

(٧) ورد هذا الاسم محرفا في جميع النسخ فهو في ط « التيتل » وفي ل « البمليل » وفي س « الشبتل » وصوابه في الدميري قال : « على وزن فيعيل سمك بحرى معروف عند أهل البحر » . وانظر معجم المعلوف ٢٥١ .

والتِّمساح والدُّخس والدُّلْفين واللُّخْمُ والبنبك[١] ، وغيرُ ذلك من الأصناف .
والكَوسَج والد اللُّخْم ، وليس للكوسج أبٌ يُعرَف . وعامَّةُ ذا يَعيش فى الماء ، ١٦
ويبيت خارجاً من الماء ، ويَبيضُ فى الشطِّ ، ويَبيض بيضاً له صُفْرَةٌ ، وقَيْضٌ وغِرْقِئٌ ، وهو مع ذلك ممّا يكون فى الماء مع السمك .

(تقسيم الحيوان إلى فصيح وأعجم)

ثمَّ لا يخرج الحيوان بعد ذلك فى لغة العرب من فصيح وأعجم ، كذلك يقال فى الجملة ، كما يقال الصامت لما لا يَصْنَع صمتاً قطُّ ولا يجوز عليه خلافه ، والناطق لِمَا لَمْ يتكلَّمْ قطُّ ، فيحملون ما يرغو ، ويَثغو ، ويَنهِق ، ويَصْهِل ، ويَشْحَج ، ويَخُور ، ويَبْغَم ، ويَعْوِى ، ويَنبَح ، ويَزْقُو ، ويَضْغُو ، ويَهْدِر ، ويَصْفِر ، ويُصَوْصِى ، ويُقَوْقِى ، ويَنْعَبُ ، ويَزْأَر ، ويَنْزِبُ[٢] ، ويكِشُّ ، ويَعِجُّ[٣] ، على نطقِ الإنسان إذا جمع بعضه على بعض. ولذلك أشباهٌ ، كالذكور والإناث إذا اجتمعا ، وكالعِيرِ التى تسمَّى لَطِيمة ،

---

(١) فى الأصل : « البلبل » والصواب ما كتبته عن القاموس وعن معجم المعلوف ٢٢٥ قال الفيروزبادى « والبانبك ، كتنفذ وجندل : دابة كالدلفين ، أو سمك يقطع الرجل نصفين فيبلعه » .

(٢) فى ط « يترب » وفى ل « ينبر » وهو تحريف ما أثبت .

(٣) الرغاء للإبل ، والثغاء للشاء ، والنهيق للحمير ، والصهيل للخيل ، والشحيج للبغال ، والخوار للثيران ، والبغام للظباء ، والعواء للذئاب ، والنباح للكلاب ، والزقاء للديكة ، والضغاء للسنانير ، والهدير للفحول ، والصفير للنسور ، والصوصأة للجراء ، والقوقأة للدجاج ، والنعيب للغربان والبوم ، والزئير للأسد ، والنزيب للظباء أو ذكورها خاصة ، والكشيش للأفاعى تحدثه بجلودها . والعجيج : الصياح ، وأحسب هذه الكلمة « ينج » والفحيح صوت الأفاعى تحدثه بأفواهها .

وكالطُّعْن ، فإنَّ هذه الأشياءَ إذا وجد بعضُها إلى بعض ، أو أُخذ بعضُها من بعض ، سُمِّيَتْ بأنْبه النوعَين ذِكْرًا ، وبأقواهما . والفصيحُ هو الإنسان ، والأعجم كلُّ ذى صوتٍ لا يفهَمُ إرادتَه إلاّ ما كان من جنسه . ولعمرى إنا نفهم[١] عَن الفرَس والحمارِ والكلبِ والسِّنَّور والبعير ، كثيراً من إرادته وحوائجه وقصوده[٢] ، كما نفهم إرادةَ الصبىِّ فى مَهْده ونعلم[٣] — وهو من جليل العلم — أنّ بكاءه يدلُّ على خلافِ ما يدُلُّ عليه ضَحِكُه . وحَمْحَمَةُ الفرَس عند رؤية المِخلاة[٤] ، على خلاف ما يدلُّ عليه حَمحمتُه عند رؤية الحِجْر ، ودُعاء الهِرَّةِ الهرَّ خلافُ دعائِها لولدها ، وهذا كثير .

والإنسانُ فصيح ، وإنْ عبَّرَ عن نفسِه بالفارسيّة أو بالهنديّة أو بالروميّة ، وليس العربىُّ أسوأ فهماً لِطَمْطَمَةِ الرومىِّ [من الرومى] لبيانِ لسان العربىّ . فكلُّ إنسانٍ من هذا الوجه يقال له فصيح ، فإذا قالوا : فصيح وأعجَم ، فهذا هو التأويل فى قولهم أعجم ، وإذا قالوا العرب والعجم ولم يلفظوا بفصيح وأعجم ، فليس هذا المعنى يريدون ، إنّما يَعنُون أنّه لايتكلَّم بالعربيّة ، وأنَّ العربَ لا تفهم عنه . وقال كُثَيِّر :

فبُورِكَ ما أعطَى ابنُ لَيلَى بِنيَّةٍ وصامتُ ما أعطَى ابنُ ليلى وناطقُه

---

(١) كذا على الصواب فى ل . . وفى ط « إن التعميم » .

(٢) فى الأصول « وقصوره » بالراء ولم يظهر معناه ، فكتبت مكانه « قصوده » جمع قصد .

(٣) فى ط : « ونفهمه » . وانظر البيان ١ : ١٦٢ .

(٤) فى ط « الفحل » وليس بالوجه . والوجه ما فى ل ، وورد فى ط زيادة « من » قبل « حمحمة » وإثباتها يفسد التركيب .

ويقال « جاء بما صَأَى[1] وصمت » . فالصامت مثل الذهب والفضّة ، وقوله صَأَى[1] يعني الحيوانَ كلَّه ، ومعناه نطق وسكَت ؛ فالصامت في كلِّ شيءٍ سوَى الحيوان .

ووجدْنا كونَ العالَم بما فيه حكمةً ، ووجدْنا الحِكمةَ على ضربَين : شيءٌ جُعِلَ حكمةً وهو لا يَعقِل الحكمةَ ولا عاقبةَ الحكمة ، وشيءٌ جُعِل حكمةً وهو يَعْقِل الحكمة وعاقبةَ الحكمة . فاستوى بذاكَ الشيء العاقلُ وغير العاقل ١٧
في جهةِ الدّلالةِ على أنّهُ حكمة ؛ واختلفا من جهةِ أنَّ أحدهما دَليلٌ لايَستَدِلّ ، والآخر دليل يستدل ؛ فكلُّ مُسْتَدِلٍّ دليل وليس كلُّ دليل مستدلا ، فشارك كل حيوانٍ سوى الإنسان ، جميعَ الجمادِ في الدّلالة ، وفي عدم الاستدلال[2] ، واجْتَمَع للإنسان أنْ كان دليلاً مستَدِلاً .

ثُمَّ جُعِل للمستدِلِّ سببٌ يدلُّ به على وجوهِ استدلاله ، ووُجوهِ ما نتج له الاستدلال ، وسَمَّوا ذلك بياناً .

(وسائل البيان)

وجُعِل البيانُ على أربعة أقسام : لفظ ، وخطّ ، وعَقْد[3] ، وإشارة ،

---

(١) في ط « ضأى » بالضاد ، وهو تصحيف صوابه ما في ل ، س .

(٢) في ط « وفي عدم الاستدلال وسموا ذلك بيانا » . و « وسموا ذلك بيانا » عبارة إضافية لامعنى لها .

(٣) تحدث الجاحظ عن العقد في البيان ١ : ٢٧ ، ٧٦ ، وقال : إنه الحساب دون اللفظ والخط ، وقد علق الجاحظ عليه أهمية كبرى إذ يقول « وفي عدم اللفظ وفساد الخط ، والجهل بالعقد فساد جل النعم ، وفقدان جمهور المنافع » . فيظهر أن ذلك الضرب من الحساب كان شائعا في عصره . ووجدت للبغدادي كلاماً في (العقد) ٣ : ١٤٧ بولاق ، قال « واعلم أن العقود والعقد نوع من الحساب يكون بأصابع اليدين يقال له : حساب اليد ، وقد ورد منه في الحديث : وعقد عقد تسعين . وقد ألفوا فيه كتبا وأراجيز » . وانظر الخزانة .

وجُعِل بيانُ ٱلدليلِ ٱلذى لا يستدِلُّ تَمْكِينَهُ المستدِلَّ من نفسه ، واقتيادَه كلَّ من[1] فكَّر فيه إلى معرفةِ ما استُخْزِنَ من البرهان ، وَحُشِىَ[2] من ٱلدَّلالة ، وأُودِع مِن عَجِيب الحكمة . فالأجسامُ الُخرْسُ الصامتة ، ناطقةٌ مِن جهة ٱلدَّلالة ، ومُعْرِبةٌ من جهة صحَّة الشهادة ، على أنَّ ٱلذى فيها من التدبير والحِكمة ، مخبرٌ لمن استخبَرَه ، وناطقٌ لِمَنْ استنطقه ، كما خبَّر الهُزَالُ وكُسُوف اللونِ ، عن سُوءِ الحال ، وكما ينطق السِّمَنُ وحُسْنُ النَّضْرَة ، عن حسن الحال . وقد قال الشاعر [وهو نصيب] :

فعاجُوا فأثنَوا بالذى أَنْتَ أَهلُه ولو سكتوا أثنتْ عليكَ الحقائبُ

وقال آخر :

مَتى تَكُ فى عدوٍّ أو صديقٍ تُخَبِّرْكَ العيونُ عن القلوبِ

وقد قال العُكْلِىُّ[3] فى صِدق شمِّ ٱلذئب وفى شدّةِ حسِّه واستِرواحه :

يَستخبِرُ الريحَ إذا لم يَسْمَعِ بمثل مقراعِ الصَّفا الموقَّعِ[4]

وقال عنترة ، وهو يصف نَعِيبَ غُراب :

حَرِقُ الجَنَاحِ كأنّ لَحْيَىْ رأسه جَلَمانِ بالأخبار هَشٌّ مُولَع[5]

---

(١) فى ط « واقتياده فكل » وأصلحت العبارة من ل .

(٢) فى ط « وحتى » وهو تصحيف ظاهر توجيهه فى ل .

(٣) هو أبو الرديني العكلى ، كما فى البيان ١ : ٨٢ . وانظر اللسان (مخر) .

(٤) قال الجاحظ فى البيان : المقراع : الفأس التى يكسر بها الصخر . والموقع : المحدد .

(٥) فى ط « خرق » بالخاء وهو تصحيف ، صوابه فى ل وفى البيان . قال الجاحظ فى البيان ١ : ٨٢ : « الحرق : الأسود ، شبه لحييه بالجلمين لأن الغراب يخبر بالغربة والفرقة ، ويقطع كما يقطع الجلمان » . وقد ذكر ابن رشيق هذا البيت فى العمدة ١ : ٢٠٢ وجعله من التشبيهات العقم ، التى لم يسبق أصحابها إليها ولا تعدى أحد بعدهم عليها .

وقال الفضل بن عيسى بن أبان فى قصصه(1) : سَل الأَرْضَ ، فقلْ : مَنْ شقَّ أنهارَكِ ، وغَرَسَ أشجارَكِ ، وجَنَى ثِمارَكِ ؛ فإنْ لم تُجبكَ حِواراً ، أجابتْكَ اعتبارا .

فموضوعُ الجسم ونَصْبته ، دليلٌ على مافيه وداعيةٌ إليه ، ومنبهة(2) عليه . فالجمادُ الأبكمُ الأخرسُ من هذا الوجه ، قد شاركَ فى البيان الإنسانَ الحىَّ الناطق. فَمَنْ جَعَل أقسام البيان خمسة ، فقد ذهَبَ أيضاً مذهباً له جوازٌ فى اللغة ، وشاهدٌ فى العقل . فهذا أحدُ قِسمَى الحكمة ، وأحَدُ مَعْنَيَى(3) ما استخزنها(4) ٩٨ اللهُ تعالى من الوديعة .

(ما يعجز عنه الإنسان مما قدر عليه الحيوان)

والقسمة الأُخرى ما أودَعَ صدورَ صنوفِ سائر الحيوان ، مِنْ ضُروب(5) المعارف ، وفَطَرها عليه من غريب(6) الهدايات ، وسخَّر حناجرَها لَهُ من ضروبِ النَّغَم الموزونة ، والأَصواتِ الملحَّنة ، والمخارِجِ الشجيَّة ، والأَغانى المطربة ؛ فقد يقال إنَّ جميعَ أصواتها معدَّلة ، وموزونة موقَّعة ، ثمَّ الذى سهَّل لها من الرفق العجيبِ فى الصنعة ، مما ذَلَّله اللهُ تعالى لمناقيرها وأكُفِّها ، وكيف فَتَحَ لها من باب المعرفةِ على قدر ما هَيَّأَ لها من الآلة ، وكيفَ أعطَى كثيراً مِنها مِنَ الحسِّ اللطيفِ ، والصنْعةِ البديعة ، من غير تأديبٍ وتثقيف ، ومن غيرِ تقويمٍ وتلقين ، ومن غيرِ تدريج وتمرين ، فَبَلَغَتْ بِعَفْوها وبمقدار قوى فِطَرتها ، من البَديهةِ

---

(1) انظر البيان ١ : ٨١ .
(2) فى ط « ومهيمنة » والوجه ما فى ل .
(3) فى الأصل « معنى » والصواب التثنية .
(4) فى الأصل « استخزنهما » والضمير راجع إلى « الحكمة » .
(5) فى ط « ضرب » وصوابه فى ل .
(6) فى ط « غيريب » وهو تصحيف ظاهر .

والارتجال ، ومن الابتداء والاقتضاب ، ما لا يَقْدِرُ عليه حُذّاقُ رجالِ الرأى ، وفلاسفةُ علماءِ البشر ، بِيَدٍ ولا آلة . بل لا يبلغ ذلك من الناسِ أكملُهُمْ خصالا وأتمُّهُمْ خلالاً ، لا مِن جهة الاقتضاب والارتجال ، ولا من جِهة التعسُّف والاقتدار ، ولا من جهة التقدُّم فيه ، والتأنِّى فيه ، والتأتِّى له . والترتيبِ لمقدِّماته ، وتمكين الأسباب المُعِينةِ عليه . فصار جهد[1] الإنسان الثاقبِ الحسِّ ، الجامِع القُوى ، المتصرِّفِ فى الوجوه ، المقدَّم فى الأُمور ، يَعجِز عن عَفْوِ كثيرٍ منها ؛ وهو ينظرُ إلى ضروب ما يجىء منها ، كما أعطيت العنكبوتُ ، وكما أعطِيَت السُّرْفَة ، وكما عُلِّم النحْل ، بل[2] وعُرِّفَ التُّنَوِّطُ مِن بديعِ المعرفة ، ومِن غَرِيبِ الصنعة ، فى غير ذلك مِن أصناف الخلق . ثم لم يوجب لهم[3] العجزَ فى أَنْفُسِهِمْ فى أكثر ذلك ، إلاَّ بما قوى عليه الهَمَجُ والخَشَاشُ وصِغارُ الحشرات ، ثم جعل الإنسان ذا العقلِ والتمكين[4] ، والاستطاعة والتصريف ، وذا التكلُّفِ والتجربَة ، وذا التأنِّى والمنافَسَة ، وصاحبَ الفهْمِ والمسابَقَة[5] ، والمتبصِّرَ شأنَ العاقبة ، متى أحسَنَ شيئا كان كلُّ شيءٍ دونَه فى الغُمُوض عليه أسهلَ ، وجَعَل سائِرَ الحيوانِ ، وإن كان يحسنُ أحدُها ما لا يحسنُ أحذَقُ الناس متى أحسنَ شيئاً عجيبا ، لم يمكنْهُ أن يُحسِن ما هو أقربُ منه فى الظنّ ، وأسهلُ منه فى الرأى ، بل لا يحسِنُ ما هو أقرب منه فى الحقيقة . فلا الإنسانُ جَعَلَ

---

(١) فى ط « جملة » وصوابه فى ل .

(٢) هذا الحرف ليس فى ل .

(٣) فى ط ، ل « يوجدهم » موضع « يوجب لهم » وماأثبته هو الوجه .

(٤) فى ط « ليعلم الإنسان أن ذا العقل والتمكين » ووجهه مافى ل لتتم المقارنة بقوله بعد : « وجعل سائر الحيوان . . الخ » .

(٥) فى الأصل « السابقة » وكتبت ما هو أشبه بالكلام .

نفسه كذلك ، ولا شيءٌ من الحيوان اختارَ ذلك ، فأحسَنَتْ هذه الأجناسُ
بلا تعلُّم ، ما يمتَنِع على الإنسان وإن تعلَّم ، فصار لا يحاوله ؛ إذْ كان ١٩
لاَ يطمع فيه ، ولا يحسُدُها ؛ إذ لا يؤمِّل اللَّحَاقَ بها . ثمّ جعل تعالى وعزَّ ،
هاتين الحكمتين بإزاء عُيونِ الناظِرين ، وتُجاهَ أسماعِ المعتَبِرين ، ثمَّ حثَّ
على التفكير والاعتبار ، وعلى الاتّعاظ والازدِجار ، وعلى التعرُّفِ والتبَيُّنِ ،
وعلى التوقُّفِ والتذكُّر ، فَجَعَلَها مذكِّرةً منبِّهة ، وجَعَلَ الفِطر تُنْشِئُ[1]
الخواطرَ ، وتجُولُ بأهلها فى المذاهب. ذَلِكَ ٱللهُ رَبُّ العالَمِينَ ، ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللهُ
أَحْسَنُ الخَالِقِينَ ﴾ .

(مزج الهزل بالجدّ فى الكتاب)

وهذا كتابُ موعظةٍ وتعريفٍ وتفقُّهٍ وتنبيه . وأراكَ قد عِبتَه قبل أن تقفَ على حُدودِه ، وتتفكَّرَ فى فصوله ، وتَعتبِرَ[2] آخرَه بأوله ، ومَصادِرَه بموارده ، وقد غلّطَك فيه بعضُ ما رأيتَ [فى أثنائه] من مزحٍ لم تعرف معناه ، ومن بَطالةٍ لم تطّلِعْ على غَورها ؛ ولم تدرِ لم اجتُلِبت ، ولا لأَيِّ علّةٍ تُكُلِّفت ، وأيّ شيءٍ أُرِيغَ بها ، ولأيِّ جِدٍّ احتُمِل ذلك الهزل ، ولأيِّ رياضةٍ تُجُشِّمتْ تلك البَطالة ؛ ولم تَدْرِ أَنَّ المزاحَ جِدٌّ إذا اجتُلِب ليكون علّةً للجِدِّ ، وَأَنَّ البَطالة وَقارٌ ورَزانة ، إذا تُكُلِّفت لتلك العاقبة .
ولمّا قال الخليلُ بن أحمد : لا يصل أحدٌ من علم النحو إلى ما يحتاجُ إليه .

---

(١) هذا مافى ل . وفى ط « وجعل الفكر ينشئ » .
(٢) فى الأصل « تتفكر » والوجه : « تعتبر » .

حتَّى يتعلَّم ما لا يحتاج إليه ، قال أبو شمر : إذا كان لا يُتوصَّل إلى ما يحتاج إليه إلاّ بما لا يحتاج إليه ، فقد صار ما لا يُحتاج إليه يُحتاج إليه . وذلك مثل كتابنا هذا ؛ لأنّه إن حَمَلْنَا جميعَ من يتكلَّف قراءةَ هذا الكتابِ على مُرِّ الحق ، وصُعوبة الجدّ ، وثِقل المئونة ، وحِلية الوقار ، لم يصبر عليه مع طوله إلاّ من تجرَّدَ للعلم ، وفهم معناه ، وذاق من ثمرته ، واستشعر قلبه من عزِّه ، ونال سروره على حسب ما يُورثُ الطولُ من الكَدّ ، والكثرةُ من السآمة . وما أكثر مَن يُقَاد إلى حظِّه بالسواجير(١) ، وبالسوق العنيف ، وبالإخافة الشديدة .

(نعت الكتاب)

ثم لم أرَكَ رضِيتَ بالطعن على كلِّ كتاب لى بعينه ، حتَّى تجاوزتَ ذلك إلى أنْ عبت وضْعَ الكتبِ كيفما دارت بها الحالُ ، وكيفَ تصرفَتْ(٢) بها الوجوه . وقد كنتُ أعجَب من عيبك البعضَ بلا علم ، حتَّى عِبتَ الكلَّ بلا علْم ، ثم تجاوزْت ذلك إلى التشنيع ، ثم تجاوزتَ ذلك إلى نصب الحربِ فعبتَ الكِتَابَ ؛ ونعم الذخر والعقدة(٣) هو ، ونعم الجليس والعُدَّة ، ونعم النشرة والنزهة ، ونعم المشتغل والحرفة ، ونعم الأنيس لساعة الوحدة ، ونعم المعرفةُ ببلاد الغربة ، ونعم القرين والدخيل ، ونعم الوزير والنزيل . والكتاب وعاءٌ مُلِئَ علماً ، وَظَرْفٌ حُشِيَ ظَرْفاً ، وإناءٌ شُحِن مُزَاحاً وجِدًّا ؛

---

(١) الساجور : خشبة تعلق فى عنق الكلب . وسجره : شده به كسوجره . وانظر البيان ٣ : ٥٠ .

(٢) فى الأصل : « تصرف » .

(٣) العقدة ، بضم العين : ما فيه بلاغ الرجل وكفايته .

إنْ شئتَ كان أبينَ من سَحْبانِ وائل ، وإن شئت كان أعيا من باقِل ، وإن شئتَ ضَحِكْتَ مِنْ نوادِرِه ، وإن شئتَ عَجِبتَ من غرائبِ فرائده ، وإن شئتَ ألهتْك طرائفُه ، وإن شئتَ أشجَتْك مواعِظُه . وَمَنْ لَكَ بِوَاعِظٍ مُلْهٍ ، وبزاجرٍ مُغرٍ ، وبناسكٍ فاتِك ، وبناطقٍ أخرسَ ، وببارِدٍ حارّ . وفى البارد الحارِّ يقولُ الحسنُ بن هانىءٍ[1] :

قُلْ لزُهيرٍ إذا انتحَى وشدا   أَقْلِلْ أَوَ اكْثِر فأَنْتَ مِهْذَارُ[2]
سَخُنْتَ مِنْ شِدَّةِ البُرُودَةِ حَـ   ـتَّى صِرْتَ عِنْدِى كأَنَّكَ النارُ[3]
لايَعْجَبِ السامعُون مِنْ صِفَتِى   كذلك الثلجُ بارِدٌ حارُ[4]

ومَنْ لَكَ بطبيب[5] أعرابىّ ، وَمَنْ لَكَ برُومىٍّ هِنْدِىّ ، وبفارسى[6] يُونَانىّ ، وبقَدِيمٍ مولَّد ، وبميِّتٍ ممتَّع[7] ، وَمَنْ لَكَ بشىءٍ يَجْمَعُ لَكَ الأَوَّلَ والآخِر ، والناقص والوافر ، والخفىَّ والظاهر ، والشاهدَ والغائبَ ، والرفيعَ والوضيع ، والغثَّ والسمين ، والشَّكْلَ وخِلافَه ، والجنسَ وضدَّه . وبعد : فمتى رأيتَ بستاناً يُحَمل فى رُدْن[8] ، وروضةً تُقَلُّ[9]

(١) الأبيات فى الديوان ١٨١ وعيون الأخبار كذلك ٢ : ٧ والعقد ٦ : ٧٥ .
(٢) فى ط « إذا انتحى لشدا » وتصحيحه من ل والديوان ، وعيون الأخبار . وفى ط « مهدار » بالدال .
(٣) فى أخبار أبى نواس لابن منظور ١٤ : « هذا شىء أخذه أبو نواس من مذاهب حكماء الهند ، فإنهم يقولون : إن الشىء إذا أفرط فى البرودة انقلب حارا . وقالوا : إن الصندل يحك منه اليسير فيبرد ، فإذا أكثر منه سخن » .
(٤) خفف راء (حار) لضرورة الوزن .
(٥) فى ط « بطيب » وأصلحته من ل ومن المحاسن ٤ .
(٦) فى ط «بفارس» وصوابه فى ل والمحاسن ٤ .
(٧) فى ط « ممتنع » وفى المحاسن : « ونجيب ممتع » .
(٨) الردن : أصل الكم . ويظهر أنهم يستعملونه كذلك فى الكم نفسه .
(٩) فى ط « تقلب » ، والوجه « تقل » لتتلاءم مع « يحمل » إذ هما بمعنى . وفى المحاسن « تنقل » .

فى حِجْرٍ ، وناطقاً ينطِق عن الموتَى ، ويُترجمُ عن الأحياء ! ! وَمَنْ لك بمؤنس لاينام إلاّ بنومِك ، ولا ينطق إلاّ بما تهوَى ؛ آمَنُ مِنَ الأرض ، وأكتمُ للسرِّ من صاحب السرِّ ، وأحفَظُ للوديعةِ من أرباب الوديعة ، وأحفَظ لما استُحْفِظَ من الآدميِّين ، ومن الأعْرَابِ المعربين[1] ، بل مِنَ الصِّبيانِ قبلَ اعتراضِ الاشتغال ، ومن العُميانِ قبلَ التمتّع بتمييز الأشخاص ، حينَ العنايةُ تامّةٌ لم تَنْقُص ، والأذهانُ فارغةٌ لم تنقَسِم ، والإرادَةُ وافرةٌ لم تتشعَّب ، والطِّينَةُ ليِّنة ، فهى أقبلُ ماتكون للطبائعِ ، والقضيبُ رطبٌ ، فهو أقربُ مايكون من العُلوق ، حينَ هذه الخصالُ لم يَخْلَق جديدُها ، ولم يُوهَنْ غَرْبُهَا ، ولم تتفرّق قُواها ، وكانت كما قال الشاعر[2] :

أتانى هواها قبل أنْ أعرِفَ الهَوى فصادفَ قلباً خالياً فتمكّنا

وقال عَبْدة بن الطَّبيب[3] :

لاتأمَنوا قوماً يَشِبُّ صبيُّهم بَيْنَ القوابلِ بالعَداوةِ يُنْشَعُ[4]

ومن كلامهم : التعلُّمُ فى الصِّغَر كالنقشِ فى الحجر. وقد قال جِرَانُ العَودِ[5] :

[تُرِكْنَ برجلة الروحاء حتَّى تنكّرتِ الديارُ على البَصيرِ]
كَوَحْيٍ فى الحِجارةِ أو وُشُومٍ بأَيْدِى الرُّومِ بَاقِيَةِ النَّئُور ٢١

وقال آخر ، وهو صالحُ بن عبد القُدُّوس :

وإنّ مَن أدَّبتَه فى الصِّبَى كالعُود يُسْقَى الماءَ فى غَرْسِهِ

---

(١) فى ط « المتعربين » وإنما يتعرب الأعاجم . وهو تحريف صوابه فى ل .
(٢) هو مجنون بنى عامر كما فى بيان الجاحظ ٢ : ٤٢ .
(٣) البيت ساقط من ل . . وفى ط « نميرة بن الطبيب » والتصحيح من س .
(٤) نشع الصبى وأنشعه : أوجره . والنشوع : الوجور .
(٥) شاعر نمرى اسمه عامر بن الحارث ، لقب بذلك لقوله يخاطب امرأتيه :
خذا حذرا ياجارتى فإننى رأيت جران العود قد كاد يصلح
وله ديوان طبعته دار الكتب .

حَتَّى تَرَاهُ مُورِقاً ناضِرًا بعدَ الذى قد كان فى يُبْسِهِ[1]

وقال آخر :

يُقَوِّمُ مِنْ مَيلِ الغُلامِ المؤدِّبُ ولا يَنْفَعُ التأديبُ والرأسُ أشيَبُ

وقال آخر :

وَتَلُومُ عِرْسَكَ بَعْدَ ما هَرِمَتْ وَمِنَ العَنَاءِ رِياضَةُ الهَرِمِ

وقد قالَ ذو الرُّمَّةِ[2] لعيسى بن عمر[3] : اكتبْ شِعرى ؛ فالكتابُ أحبُّ إلىَّ من الحفظ . لأنّ الأعرابىَّ ينسى الكلمةَ وقد سهر فى طلبها ليلَته ، فيضَعُ فى موضعها كلمةً فى وزنها ، ثم يُنشِدها الناسَ ، والكتاب لا يَنْسَى ولا يُبدِّلُ كلاماً بكلام .

وعبتَ الكتابَ ، ولا أعلمُ جاراً أبرَّ ، ولا خَليطاً أنصف ، ولا رفيقاً أطوعَ ، ولا معلِّما أخضعَ ، ولا صاحباً أظهرَ كفايةً ، ولا أقلَّ جِنَايَةً ، ولا أقلَّ إمْلالاً وإبراما ، ولا أحفَلَ أخلاقاً ، ولا أقلَّ خِلافاً وإجراماً ، ولا أقلَّ غِيبةً ، ولا أبعدَ من عَضِيهة[4] ، ولا أكثرَ أعجوبةً وتصرُّفاً ، ولا أقلَّ

(١) المحفوظ « من يبسه » .

(٢) فى ط « ذو الرومة » وواضح تحريفه .

(٣) عيسى بن عمر الثقفى ، أبو عمر ، مولى خالد بن الوليد ، نزل فى ثقيف فنسب إليهم ، إمام فى النحو والعربية ، أخذ عن أبى عمرو وعبد الله بن أبى إسحق ، وروى عن الحسن البصرى والعجاج ورؤبة ، وعنه الأصمعى ، ويقال إنه له نيفا وسبعين مصنفا ذهبت كلها ، وكان يتقعر فى كلامه . حكى عنه الجوهرى فى الصحاح وغيره ، أنه سقط عن حمار فاجتمع إليه الناس فقال : « مالى أراكم تكأكأتم على كتكأكئكم على ذى جنة ؟ ! افرنقعوا عنى » . واتهمه عمر بن هبيرة بوديعة ، فضربه نحو ألف سوط ، فجعل يقول : « والله إن كانت إلا أثيابا فى أسيفاط قبضها عشاروك ! » . وانظر بغية الوعاة ٢٧٠ .

(٤) العضيهة : الكذب والإفك والبهتان .

تصلُّفاً وتكلُّفاً، ولا أبعدَ مِن مِراءٍ ، ولا أتْرَكَ لشَغَب، ولا أزهَدَ في جدالٍ ، ولا أكفَّ عن قتالٍ ، من كتاب . ولا أعلَمُ قريناً أحسنَ مُوافاةً ، ولا أعجَل مكافأة ، ولا أحضَرَ مَعُونةً ، ولا أخفَّ مَئُونَة، ولا شجرةً أطولَ عمراً، ولا أجمعَ أمراً ، ولا أطيَبَ ثمرةً ، ولا أقربَ مُجتَنَى ، ولا أسرَعَ إدراكاً ، ولا أوجَدَ في كل إبَّانٍ ، من كتاب . ولا أعلَمُ نِتاجاً في حَدَاثةِ سِنِّه وقُرْب ميلادِه ، ورُخْص ثمنِه ، وإمكانِ وُجودِه ، يجمَعُ من التدابيرِ العجيبَة والعلومِ الغريبة ، ومن آثارِ العقولِ الصحيحة ، ومحمودِ الأذهانِ اللطيفة ، ومِنَ الحِكَمِ الرفيعة ، والمذاهب القويمة[1] ، والتجاربِ الحكيمة ، ومِنَ الإخبارِ عن القرون الماضية ، والبلادِ المتنازحة ، والأمثالِ السائرة ، والأمم البائدة ، مايجمَعُ لك الكتابُ . قال الله عزّ وجلّ لنبيه عليه الصلاة والسلام ﴿ إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ فوَصَفَ نَفْسَهُ ،

٢٣ تبارك وتعالى ، بأنْ علَّمَ بالقَلَم ، كما وصف نفسَه بالكرَم ، واعتدَّ بذلك في نِعَمه العِظام، وفي أياديه الجِسام . وقد قالوا : القَلَمُ أحدُ اللسانَين، وقالوا : كلُّ مَنْ عَرَف النِّعمةَ في بَيانِ اللسانِ ، كان بفضل النِّعمة في بيانِ القلم أعرَف . ثمَّ جَعَلَ هـذا الأمرَ قرآناً ، ثمَّ جعلَه في أوَّل التنزيل ومستَفْتَح الكتاب .

(كون الاجتماع ضروريا)

ثمَّ اعلمْ ، رحِمَك الله تعالى ، أنّ حاجةَ بعض الناس إلى بعضٍ ، صفةٌ لازمةٌ في طبائعهم ، وخِلقةٌ قائمةٌ في جواهرِهم، وثابتةٌ لاتُزايلُهم، ومُحيطةٌ بجماعتِهم ، ومشتملةٌ على أدناهم وأقصاهم ، وحاجتُهُمْ إلى ما غاب عنهم —

(١) في الأصل « القديمة » بالدال .

ممَّا يُعيشُهم ويُحْييهم ، ويُمسِك بأرْماقِهم ، ويُصلِحُ بالهم ، وَيجْمَع شملَهم ، وإلى التعاوُنِ فى دَرْكِ ذلك ، والتوازُرِ عليه — كَحَاجَتِهم إلى التعاون على معرفة ما يضرُّهم ، والتوازرِ على ما يحتاجون من الارتفاق بأمورهم التى لم تَغِبْ عنهم ، فحاجَةُ الغائبِ مَوصُولةٌ بحاجةِ الشاهد،لاحتياج الأدنَى إلى معرِفة الأقصى ، واحتياجِ الأقصى إلى معرفَةِ الأدنى ، معانٍ متضمّنةٌ ، وأسبابٌ متّصلة ، وحبالٌ منعقدة . وجعل حاجتَنا إلى معرفة أخبارِ مَنْ كان قبلَنا ، كحاجةِ [من كان قبلنا إلى أخبار مَنْ كان قبلهم ، وحاجةِ] من يَكُونُ بعدَنا إلى أخبارِنا ؛ ولذلك تقدَّمت فى كتب الله البِشارات بالرُّسل ، ولم يسخِّر لهم جميعَ خلْقه ، إلاّ وهم يحتاجُون إلى الارتفاق بجميع خلْقه . وجعلَ الحاجَةَ حاجَتَين : إحداهما قِوامٌ وقُوت ، والأخرى لذّةٌ وإمْتاعٌ وازديادٌ فى الآلَة ، وفى كلِّ ما أجذَلَ النفوس ، وجمع لهم العَتاد[1] . وذلكَ المقدارُ مِنْ جميع الصِّنْفَين وفقٌ لكثرةِ حاجاتِهم وشَهوَاتِهم ، وعلى قدْر اتّساعِ معرفتِهم وبُعْدِ غَوْرِهم ، وعلى قَدْرِ احتمال[2] طبع البشريَّة وفِطرةِ الإنسانيَّة . ثم لم يقطعِ الزيادةَ إلا لعجْزِ خلقِهم عن احتمالها ، ولم يجز أن يفرق بينهم وبين العجْز ، إلاّ بعدَم الأعيان ، إذ كان[3] العجزُ صفةً من صفاتِ الخلق ، ونعتاً من نُعوتِ العبيد .

لم يخلق الله تعالى أحداً يستطيعُ بلوغَ حاجتِه بنفسه[4] دونَ الاستعانة

---

(١) فى ط : « المعتاد » وصوابه فى ل .

(٢) فى ط : « اعتبار » وتصحيحه من ل .

(٣) فى ط : « إذا » وهو تحريف يقع كثيرا فى مواضع تشبه هذا .

(٤) فى ط : « بنسفه » والوجه ماأثبت عن ل .

ببعضٍ من سخَّرَ له ، فأدناهم مسخَّرٌ لأقصاهم ، وأجلُّهم ميسَّر لأدقِّهم .
وعلى ذلك أحوَجَ الملوكَ إلى السُّوقة في بابٍ ، وأحوَجَ السُّوقَةَ إلى الملوك
في باب ، وكذلك الغنيُّ والفقير ، والعبدُ وسيِّدُه . ثُمَّ جَعلَ الله تعالى كلَّ
شيءٍ للإنسان خَوَلاً ، وفي يَدِه مُذَلَّلاً مُيَسَّرًا[1] إمّا بالاحتيال له والتلطُّفِ
في إراغَتِه واستمالتِه ، وإمّا بالصَّوْلةِ عليه ، والفتكِ به ، وإمّا أَنْ يأْتِيَهُ
سهواً ورهواً . على أنّ الإنسانَ لولا حاجَتُهُ إليها ، لما احتالَ لها ، ولا صَالَ
عليها . إلاّ أنّ الحاجةَ تفترِق في الجنس والجهةِ والجِبِلَّة ، وفي الحظِّ والتقدير . ٢٣

ثمَّ تعبَّدَ الإنسانَ بالتفكُّرِ فيها ، والنظرِ في أُمورِها ، والاعتبارِ
بما يَرَى ، ووَصَلَ بينَ عُقولِهم وبَيْنَ معرفةِ تلك الحِكَم الشريفة ، وتلك
الحاجاتِ اللازمة ، بالنظرِ والتفكير ، وبالتنقيب[2] والتنقير ، والتثبت[3]
والتوقُّف ؛ ووَصَلَ معارفَهم بمَواقعِ حاجاتِهم إليها ، وتشاعُرِهم بمواضعِ
الحكم فيها بالبيانِ عنها .

(البيان ضروري للاجتماع)

وهو البيانُ الذي جعلَه الله تعالى سبباً فيما بينَهم ، ومعبِّراً عن حقائق
حاجاتِهم ، ومعرِّفاً لمواضع سدِّ الخلَّة ورفْع الشبهة ، ومداواةِ الحيرة ، ولأنّ
أكثرَ الناسِ عن الناس أفهمُ منهم عن الأشباحِ المماثلة ، والأجسامِ
الجامدة ، والأجرامِ الساكنة ، التي لا يُتَعَرَّفُ ما فيها من دَقائق الحكمةِ

---

(١) في ط : « مذ ، إلا ميسرا » والوجه ما في ل .

(٢) كذا في ل : وهو الصواب . وفي ط : « والتنقب » .

(٣) كذا في ل وهو الوجه . والذي في ط : والتشبث » .

وكُنوزِ الآداب ، وينابيعِ العلم ، إلاّ بالعقلِ الثاقب اللطيف ، وبالنظرِ التامِّ النافذ ، وبالأداةِ الكاملة ، وبالأسبابِ الوافرة ، والصبرِ على مكروه الفكر ، والاحتراسِ من وُجوه الخُدَع ، والتحفُّظِ من دواعي الهوى ؛ ولأنَّ الشَّكْلَ أفهَمُ عن شكله ، وأسكَنُ إليه وأصَبُّ به . وذلك موجودٌ في أجناسِ البهائم ، وضُروبِ السباع . والصبيُّ عن الصبيِّ أفهمُ له ، وله آلَفُ وإليه أنزَع ، وكذلك العالِمُ والعالم ، والجاهل والجاهل ، وقال الله عزّ وجلّ لنبيِّه عليه الصلاة والسلام ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً ﴾ لأنَّ الإنسان عن الإنسان أفهم ، وطباعَه بطِباعه آنس ؛ وعلى قدْر ذلك يكونُ موقعُ ما يسمع منه .

ثمَّ لم يرضَ لهم من البنيان بصنفٍ واحد ، بل جَمع ذلك ولم يفرِّق ، وكثَّر ولم يقلِّل ، وأظهَرَ ولم يُخْفِ ، وجعَل آلة البيانِ التي بها يتعارَفُون معانِيَهُم ، والتَّرْجُمانَ الذي إليه يرجِعون عند اختلافِهم ؛ في أربعة أشياء ؛ وفي خَصْلةٍ خامسة ؛ وإن نقصت عن بلوغ هذه الأربعة في جهاتها ، فقد تُبدِّل بجنسها الذي وُضِعت له وصُرِفتْ إليه ، وهذه الخصال هي : اللفظ ، والخطّ ، والإشارة ، والعَقْد ؛ والخصلة الخامسة ما أوجَدَ من صحَّة الدَّلالةِ ، وصدقِ الشهادة ووُضوحِ البرهان ، في الأَجْرَامِ الجامدة والصامتة ، والساكنة التي لاتَتَبيَّن [1] ولا تحسُّ ، ولا تَفهَم ولا تتحرَّك إلّا بداخلٍ يدخل عليها ، أو عندَ مُمْسِكٍ خلِّي عنها ، بعد [أنْ] كان تقييده لها .

ثمَّ قسَّم الأقسامَ ورتَّب المحسوسات ، وحصَّل الموجوداتِ ، فجعل اللفظَ للسامع ، وجعل الإشارةَ للناظر ، وأشرَكَ الناظرَ واللامس في معرفة

---

(١) في ل : « لاتنبس » ، أي تنطق . والتبين هنا معناه التفهم .

٢٤ العَقْد ، إلّا بما فضّل الله به نصيبَ الناظرِ فى ذلك على قدْرِ نصيبِ اللامس . وجَعَلَ الخطّ دليلاً على ما غابَ من حوائجه عنه ، وسبباً موصُولاً بينه وبين أعوانه ؛ وجعله خازناً لما لا يأمَن نسيانَه ، ممَّا قد أحصاه وحفِظه ، وأتقنه وجمعه ، وتكلف الإحاطة به ؛ ولم يجعل للشامِّ والذائق نصيبا .

(خطوط الهند)

ولولا خطوطُ الهندِ لضاع من الحساب الكثيرُ والبسيط ، ولبطلت[١] مَعرفةُ التضاعيف ، ولعَدِموا الإحاطةَ بالباورات وباورات الباورات[٢] ، ولو أدركوا ذلك لَما أدركُوه[٣] إلّا بعد [أنْ] تغلُظَ المئُونة ، وتنتقِضَ المُنّةُ ، ولصارُوا فى حالِ مَعْجَزَةٍ وحسور ، وإلى حالِ مَضيعَةٍ وكَلالِ حدّ ، مع التشاغُلِ بأمورٍ لولا فقدُ هذه الدَّلالةِ لكان أربحَ لهم ، وأرَدَّ عليهم ، أن يُصرَفَ ذلك الشغلُ فى أبوابِ منافع الدين والدنيا .

(نفع الحساب)

ونفع الحساب معلوم ، والخلَّةُ فى موضعِ فقدِه معروفة . قال الله تعالى : ﴿ الرَّحْمٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ . ثم قال : ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ . وبالبَيَانِ عرَفَ الناسُ القرآنَ . وقال الله تباركَ وتعالى

---

(١) فى ط : « ولبلطت » .

(٢) رسمت هذه الكلمات باثبات ألفات بعد واواتها فى ط : ورسمت فى ل بحذفها .

(٣) فى ط : « ولو أدكروا ذلك لما أدكروه » وهو تحريف أصلحته من ل .

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ، وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ ، لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ فأجْرَى الحسابَ مُجرَى البيان بالقرآن . وبحُسْبان منازلِ القمر ، عرفنا حالاتِ المدِّ والجزْر ، وكيف تكونُ الزيادةُ في الأهِلَّة وأنصافِ الشهور[1] ، وكيف يكونُ النقصانُ في خلال ذلك ، وكيف تلك المراتبُ وتلك الأقدار .

(فضل الكتابة)

ولولا الكتبُ المدوَّنة والأخبار المخلَّدة ، والحِكم المخطوطة التي تُحصِّنُ الحسابَ وغيرَ الحساب ، لبَطَل أكثر العلم ، ولغلَب سُلطانُ النِّسيانِ سلطانَ الذكْر ، ولَمَا كان للناس مفزعٌ إلى موضعِ استذكار . ولو تمَّ ذلك لحُرِمْنا أكثرَ النفع ؛ إذ كنَّا قد علمْنا أنَّ مقدار حفْظ الناسِ لعواجل حاجاتهم وأوائلها ، لايَبلغ من ذلك مبلغًا مذكوراً ولا يُغْنِي فيه غَنَاء[2] محمودا . ولو كُلِّفَ عامّةُ مَن يطلب العلمَ ويصطَنِع الكتب ، ألاّ يزال حافظا لفهرست كتبه لأعجزه ذلك ، ولكلِّفَ شططاً ، ولَشَغله ذلك عن كثيرٍ ممّا هو أولى به . وفهمُك لمعاني كلامِ الناس ، ينقطع قبل انقطاعِ فهْمِ عين الصوتِ مجرَّدا ، وأبعَدُ فهمِك لصوتِ صاحبك ومُعامِلك والمعاونِ لك ، ما كان صياحًا صرفا ، وصوتًا مصمَتًا ونداءً خالصا ، ولا يكون ذلك إلاّ وهو بعيدٌ من المفاهمة ، وعُطْلٌ من الدَّلالة . فجعل اللفظُ

(١) انظر الحيوان ٧ : ٤١ .

(٢) في ط : « غنا » وصوابه المد كما في ل .

لأقرَب الحاجاتِ ، والصوتَ لأنفَسَ من ذلك قليلا ، والكتابُ للنازح
٢٥ من الحاجاتِ . فأمّا الإشارة فأقربُ المفهومِ منها : رَفْعُ الحواجبِ ، وكسرُ الأجفان ، وليُّ الشِّفاهِ وتحريك الأعناق ، وقبْض جلدةِ الوجه ؛ وأبعدُها أن تلوى بثوبٍ على مقطع جبل ، تُجاهَ عينِ الناظر ، ثمَّ ينقطع عملُها ويدرُس أثرها ، ويموت ذكرها ، ويصير بعدُ كلُّ شيءٍ فضَل عن انتهاء مدَى الصوت ومنتهى الطرف ، إلى الحاجة وإلى التفاهم بالخطوطِ والكتب . فأىُّ نفعٍ أعظمُ ، وأىُّ مِرْفَقٍ أعوَنُ من الخطِّ ، والحالُ فيه كما ذكرنا ! ! وليس للعَقْد حظُّ الإشارةِ فى بُعد الغاية .

(فضل القلم)

فلذلك وضع الله عزّ وجلّ القلم فى المكان الرفيع ، ونوَّه بذكره فى المنْصِب الشريف حين قال ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ فأقسَمَ بالقَلَم كما أقسمَ بمـا يُخَطُّ بالقلم ؛ إذ كان اللسانُ لا يتعاطى شأوَه ، ولا يشُقُّ غبارَه ولا يجرى فى حلبته ، ولا يتكلف [بُعْدَ] غايتِه . لكنْ لمـا أنْ كانت حاجات الناسِ بالحَضْرة[1] أكثرَ مِنْ حاجاتهم فى سائر الأماكن ، وكانت الحاجَةُ إلى بيانِ اللسانِ حاجةً دائمة واكدة ، وراهِنةً ثابتة ، وكانت الحاجةُ إلى بَيانِ القلم أمراً يكونُ فى الغَيبة وعنـد النائبة ، إلاَّ ما خُصَّت به الدواوين ؛ فإنّ لسانَ القلم هناك أبسَطُ ، وأثَرَهُ أعَمُّ ، فلذلك

---

(١) الحضر بالتحريك والحضرة والحاضرة والحضارة بالكسر ويفتح : خلاف البادية .

قدَّموا اللسانَ على القلم . فاللسانُ الآنَ إنَّما هو فى منافع اليدِ[1] والمرافق التى فيها ، والحاجاتِ التى تبلُغها .

(فضل اليد)

فمن ذلك حظُّها وقِسْطُها من منافع الإشارة ، ثم نَصِيبُها فى تقويم القلم ، ثم حَظُّها[2] فى التصوير ، ثم حَظُّها فى الصناعات ، ثم حَظُّها فى العَقْد ، ثم حَظُّها فى الدَّفْع عن النفس ، ثمَّ حَظُّها فى إيصال الطعام والشراب إلى الفم ، ثم التوضُّؤ والامتساح[3] ، ثم انتقادِ الدنانيرِ والدراهمِ ولُبسِ الثِّياب ، وفى الدفع عن النفس ، وَأَصْنَافِ الرَّمْى ، وأصنافِ الضرْب ، وأصناف الطعْن ، ثم النَّقْرِ بالعُود وتحريكِ الوتر ؛ ولولا ذلك لبَطَل الضرْبُ كلُّه أو عامَّتُه . وكيف لا يكون ذلك كذلك ولها ضَرْبُ الطبْل والدُّفّ ، وتحريكُ الصفَّاقَتين[4] ، وتحريك مخارِق خروق المزامير ، وما فى ذلك من الإطلاق والحبس . ولو لم يكنْ فى اليدِ إلاَّ إمساكُ العِنان والزِّمام والخطام ، لكانَ من أعظمِ الحظوظ .

وقد اضطرَبوا فى الحكْم بين العَقْد والإشارة ، ولولا أنّ مغْزانا فى هذا الكتابِ سوى هذا الباب ، لقد كانَ هذا ممَّا أُحِبُّ أن يعرفَه إخوانُنا

---

(١) فى ل « إنما يوفى منافع اليد » .

(٢) هذه الكلمة ومكرراتها هى فى ط : « خطها » وهو تصحيف أصلح من ل .

(٣) فى ط : « والتمسح » .

(٤) الظاهر أنها آلة موسيقية تشبه تلك التى يستعملها أصحاب الموسيقى النحاسية : قرصين نحاسيين يضرب أحدهما بالآخر .

وخلطاؤنا . فلا ينبغى لنا أيضاً أن نأخذ فى هذا الباب من الكلام ، إلاّ بعدَ
٢٦ الفَراغ ممّا هو أولى بنا منه ، إذ كنتَ لم تنازِعْنى ، ولم تَعِبْ كتبى ، من طريقِ
فضل[1] ما بين العَقْد والإشارة ، ولا فى تمييز ما بين اللفظ وبينهما ، وإنّما
قَصَدْنا بكلامنا إلى الإخبار عن فضيلة الكتاب .

(فضل الكتاب)

والكتابُ هوالذى يؤدّى إلى الناس كتبَ الدين[2] ، وحسابَ الدواوين مع خفّة نقلِه ، وصِغَر حجمه ، صامتٌ ما أسكتَّه ، وبليغٌ ما استنطقته . ومَن لك بمسامر لا يبتديك فى حالِ شُغْلك ، ويدعُوك فى أوقاتِ نشاطِك ، ولا يُحوِجك إلى التجمُّل له والتذمُّم منه . ومَن لكَ بزائرٍ إن شئتَ جعل زيارتَه غِبًّا ، وورُوده خِمْسا ، وإن شئت لَزِمَك لزومَ ظلِّك ، وكان منك مكانَ بعضِك .

والقلمُ مكتفٍ بنفْسه ، لا يحتاج إلى ما عندَ غيرِه ؛ ولا بدَّ لبيان اللسانِ من أمور : منها إشارة اليد ، ولولا الإشارةُ لَمَا فهموا عنك[3] خاصَّ الخاصِّ إذا كان أخصُّ الخاصِّ قد يدخل فى باب العامّ ، إلاّ أنّه أدنى طبقاته ؛ وليس يكتفى خاصُّ [الخاصّ] باللفظ عمّا أدّاه ، كما اكتفى عامُّ العامّ والطبقاتُ التى بينه وبين أخصِّ الخاصّ .

والكتابُ هو الجليس الذى لا يُطريك ، والصديق الذى لا يغْريك ،

---

(١) كذا . ولعلها « فصل » .

(٢) فى ل : « كتب علم الدين » .

(٣) فى ط « عن » وتصحيحه من ل .

والرفيقَ الذى لا يَمَلُّكَ ، والمستَميح الذى لا يستَريثُك[1] ، والجارُ الذى لا يَسْتَبْطِيك ، والصاحبُ الذى لا يريد استخراجَ ما عندَك بالملَق ، ولا يعاملُك بالمَكر ، ولا يخدَعك بالنِّفاق ، ولا يحتالُ لك بالكَذِب . والكتابُ هو الذى إنْ نظرتَ فيه أطالَ إمتاعَك ، وشحَذَ طباعَك ، وبسَط لسانَك ، وجوَّدَ بَنانك ، وفخَّم ألفاظَك ، وبجَّح[2] نفسَك ، وعَمَّر صدرك ، ومنحكَ تعظيمَ العوامِّ وصَداقَةَ الملوك ، وعَرفتَ به فى شهر ، ما لا تعرفُه من أفواهِ الرجال فى دهْر ، مع السلامةِ من الغُرم ، ومن كدِّ الطلب ، ومن الوقوفِ بباب المكتسِب بالتعليم ، ومِن الجُلوس بين يدَىْ مَن أنت أفضلُ منه خُلُقاً ، وأكرمُ منه عِرْقا ، ومع السلامةِ من مجالَسَة البُغَضاء ومقارنةِ الأغبياء . والكتابُ هو الذى يُطيعُك بالليل كطاعتِه بالنهار ، ويطيعُك فى السفر كطاعته فى الحضر ، ولا يعتلُّ بنومٍ ، ولا يعتَريه كَلالُ السهرِ . وهو المعلِّمُ الذى إن افتقرتَ إليه لم يُخفِرْك ، وإن قطعتَ عنه المادَّة لم يقطعْ عنك الفائدة ، وإن عُزِلتَ لم يدَعْ طاعتَك ، وإن هبَّتْ ريحُ أعاديك لم ينقلبْ عليك ، ومتى كنتَ منه متعلِّقاً بسبب أو معتصِما بأدْنى حبْل ، كان لك فيه غنًى من غيره ، ولم تَضْطَرَّك [معه] وحشةُ الوَحدةِ إلى جليس السوء . ولو لم يكن مِن فضْله عليك ، وإحسانِه إليك ، إلاّ منعُه لكَ من الجلوس على بابك ، والنظرِ إلى ٢٧
المارَّةِ بك ، مع ما فى ذلك من التعرُّض للحقوقِ التى تَلزَم ، ومن فُضولِ

(١) المستميح : طالب العرف . واستراثه : استبطأه . وفى ط : « يشتريك » . وفى ل : « يستزيدك » وهما تحريف ماأثبت .

(٢) البجح محركة : الفرح ، وبجح به كفرح ، وبجحته تبجيحا فتبجح : أى أفرحته ففرح .

النظَر ، ومن عادةِ الخوضِ فيما لا يعنيك[1] ، ومِن ملابسةِ صغارِ الناس ، وحضورِ ألفاظهم الساقطة ، ومعانيهم الفاسِـدة ، وأخلاقهم الرديَّة ، وجَهالاتهم المذمومة ، لكان فى ذلك السلامة ، ثم الغنيمةُ ، وإحرازُ الأصل ، مع استفادةِ الفرع . ولو لم يكن فى ذلك إلاّ أنّه يشغَلُك عن سُخْف المُنَى وعن اعتياد الراحة ، وعن اللعب ، وكلِّ ما أشبهَ اللعب ، لقد كان على صاحبه أسبَغَ النعمةَ وأعظَمَ المِنَّة .

وقد علمنا أنَّ أفضلَ ما يقطع به الفُرَّاغ نهارَهم ، وأصحابُ الفُكاهات ساعاتِ ليلِهم ، الكتاب . وهو الشيء الذى لا يرى لهم فيه مع النيل أثرٌ فى ازدياد تجربةٍ ولا عقلٍ ولا مروءة ، ولا فى صونِ عرض ، ولا فى إصلاح دِين ، ولا فى تثمير مال ، ولا فى ربِّ صنيعة[2] ولا فى ابتداء إنعام .

(أقوال لبعض العلماء فى فضل الكتاب)

وقال أبو عبيدة ، قال المهلَّب لبنِيه فى وصيَّتِه : يا بَنِيَّ لا تقوموا فى الأسواقِ إلاّ على زرَّادٍ أو ورَّاق[3] .

وحدَّثنى صديقٌ لى قال : قرأتُ على شيخٍ شامىٍّ كتاباً فيه مِن مآثر غطفان فقال : ذهبَ المكارمُ إلاّ من الكتب .

وسمعتُ الحسن اللؤلؤى[4] يقول : غَبَرت أربعين عاما ما قِلْتُ

---

(١) بدل هذه الجملة فى ط « ومن عادة الحرص » .

(٢) رب الصنيعة : تعهدها .

(٣) الزراد : صانع الدروع . والمهلب يوصى بنيه باستكمال أسباب الفروسية والعلم .

(٤) فى ط « أبا الحسن اللؤلؤى » والصـواب ماأثبته . والحسن هذا هو ابن =

ولا بِتٌّ] ولا اتكأت] إلاّ والكتابُ موضوعٌ على صدري[1] .

وقال ابن الجهْم : إذا غشِيَني النعاس فى غير وقتِ نوم — وبئس الشيءُ النومُ الفاضِلُ[2] عن الحاجة — قال : فإذا اعترانى ذلك تناولتُ كتاباً من كُتب الحِكَم ، فأجدُ اهتزازى للفوائد ، والأريحيَّة[3] التى تعتريني عند الظفَر ببعض الحاجة ، والذى يغشَى قلْبِى من سرور الاستبانة وعزِّ التبيين[4] أشدَّ إيقاظاً مِن نَهيق الحمير وهَدَّةِ الهدْم .

وقال ابن الجهم : إذا استحسنتُ الكتابَ واستجدتُه ، ورجوتُ منه الفائدة ورأيتُ ذلك فيه — فلو ترانى وأنا ساعةً بعدَ ساعةٍ أنظرُ كم بقى من ورقِهِ مخافةَ استنفاده ، وانقطاعِ المادَّة من قَلْبِه ، وإن كان المصحفُ عظيمَ الحجم كثيرَ الورق ، كثيرَ العدد — فقد تَمَّ عيشى وكَمُلَ سرورى .

وذكر العتبى[5] كتاباً لبعض القدماء فقال : لولا طولُه وكثرةُ ورقه

= زياد اللؤلؤى الكوفى ، قاض فقيه من أصحاب أبى حنيفة ، أخذ عنه وسمع منه ، وكان عالماً بمذهبه بالرأى . وله عدة كتب فى الفقه . عن معجم الأعلام للزركلى . . وقد روى الجاحظ فى البيان ٢ : ٣٣٠ ، ٣ : ٣٧٨ أن الحسن اللؤلؤى كان فى بعض الليالى بالرقة يحدث المأمون ، والمأمون يومئذ أمير ، إذ نعس المأمون ، فقال له اللؤلؤى : نمت أيها الأمير ؟ ففتح المأمون عينه وقال : سوقى والله ! خذ ياغلام بيده ! !

(١) إشارة إلى التزامه القراءة وعدم هجرها إلا وقت النعاس . وغبرت : مكثت . وقال يقيل : نام وقت الظهيرة .

(٢) فى ط : « الفاصل » والصواب مافى ل .

(٣) فى الأصل « الأريحة » والوجه ماأثبت .

(٤) كذا . ولعلها » التبين » .

(٥) فى ل : « القيني » وهو تصحيف مافى ط . وقد اشتهر بهذا اللقب ثلاثة رجال أحدهم محمد بن أحمد بن عبد العزيز الأموى القرطبى الأندلسى وكان قاضيا وتوفى سنة ٢٥٤ هـ . . وثانيهم محمد بن عبد الجبار العتبى أبو نصر ، مؤرخ من الكتاب الشعراء ، أصله من الرى ونشأ فى خراسان ثم استوطن نيسابور وانتهت إليه رياسة الإنشاء فى خراسان والعراق وتوفى سنة ٤٢٧ . وثالثهم هذا الذى يعنيه الجاحظ =

لنسختُه . فقال ابن الجهم : لكنّي ما رغّبني فيه إلاّ الذى زهّدك فيه ؛ وما قرأتُ قطُّ كتاباً كبيراً فأخلانى من فائدة ، وما أُحصِى كم قرأتُ من صغارِ الكتب فخرجتُ منها كما دخلت .

٢٨ وقال العتبى ذاتَ يومٍ لابن الجهم : ألا تتعجّبُ من فلانٍ ! نَظر فى كتابِ الإقليدس مع جارية سَلْمَويه(١) فى يومٍ واحد ، وساعة واحدة ، فقد فرغتِ الجاريةُ من الكتابِ وهو بعدُ لم يُحكِم مقالةً واحدة ، على أنّه حُرٌّ مخيَّر ، وتلك أَمَةٌ مقصورة ، وهو أحرصُ على قراءةِ الكتاب مِن سَلْمَوَيهِ على تعليمِ جارية . قال ابن الجهم : قد كنت أظنُّ أنّه لم يفهم منه شكلاً واحداً ، وأُرَاكَ تزعم أنّه قد فرغ من مقالة ! ! قال العتبى : وكيف ظننتَ به هذا الظنَّ ، وهو رجلٌ ذو لسانٍ وأدب ؟ قال : لأنّى سمعتُه يقول لابنِه : كم أنفقتَ على كتابِ كذا ؟ قال : أنفقتُ عليه كذا ، [قال(٢)] : إنّما رَغّبَنى(٣) فى العلم أنّى ظننتُ أنّى أنفق عليه قليلاً وأكتسِب كثيراً ، فأمّا إذ صرتُ أنفِق الكثيرَ ، وليس فى يدى إلاّ المواعيدُ ، فإنّى لا أريد العلمَ بشىء ! !

= وهو محمد بن عبد الله من بنى عتبة بن أبى سفيان . أديب كثير الأخبار ، له شعر حسن من أهل البصرة ووفاته فيها . وله تصانيف حسان منها « أشعار النساء اللاتى أحببن ثم أبغضن » و « الأخلاق » و « الخيل » . قال ابن النديم ١٧٦ : « كان العتبى وأبوه سيدين أديبين فصيحين » وانظر حواشى البيان ٢ : ١٨٢

(١) هو سلمويه بن بنان طبيب فاضل ، خدم المعتصم واختص به حتّى إن المعتصم لما مات سلمويه قال « سألحق به ، لأنه كان يمسك حياتى ويدبر جسمى » وكان سلمويه قد اكتسب من خدمة الخلفاء سياسة اقترنت بعقله ، فحدث له منها حسن الرأى والنظر فى العواقب لنفسه ولغيره ممن يستنصحه ، وتوفى سنة ٢٢٥ انظر القفطى ١٤١ وابن أبى أصيبعة ١ : ١٦٤ والزركلى ١ : ٣٨٠ .

(٢) حرف يستقيم به الكلام

(٣) فى الأصل « رغبتنى »

(السماع والكتابة)

فالإنسان لا يعلمُ حتى يكثُرَ سماعُه ، ولا بُدَّ من أن تكون كتبُه أكثرَ من سَماعِه ؛ ولا يعلمُ ، ولا يجمع العلم ، ولا يُختَلَف [إليه][1] ، حتى يكون الإنفاقُ عليه من ماله ، ألذَّ عندَه من الإنفاق من مال عدوِّه . ومَن لم تكن نفقتُه التى تخرج فى الكتب ، ألذَّ عنده من إنفاق عُشَّاق القيان ، والمستهتَرين بالبنيان[2] ، لم يبلغ فى العلم مبلغاً رضيًّا . وليس ينتفِع بإنفاقه ، حتَّى يؤْثِر اتِّخاذَ الكتبِ إيثارَ الأعرابى فرسَه باللبن على عياله ، وحتَّى يؤَمِّل فى العلم ما يؤَمِّل الأعرابى فى فرسه .

(حرص الزنادقة على تحسين كتبهم)

وقال إبراهيم بن السندىّ مرة : وددْتُ أنَّ الزنادقة لم يكونوا حرصاء على المغالاة[3] بالورق النقىِّ الأبيض ، وعلى تخيُّر[4] الحبرِ الأسودِ المشرقِ البرَّاق ، وعلى استجادةِ الخطِّ والإرغاب لمن يخطّ ، فإنِّى لم أَرَ كورَق كتبهم ورقاً ، ولا كالخطوط التى فيها خطًّا . وإذا غرِمتُ مالاً عظيماً — مع حبِّى للمال وبُغْضِ الغُرْم — كان سخاءُ النفس بالإنفاق على الكتب ، دليلاً على تعظيم العلم ،

---

(١) ليست بالأصل ، وزدتها ليظهر المعنى . والمراد أن يختلف إليه تلاميذه .

(٢) المستهتر : المولع بالشىء المنهمك فيه . وفى ط : « ألذ عنده من عشق القيان وإنفاق المستهزئين بالبيان » ، وهى عبارة مضطربة أبدلتها بما فى ل لتصح .

(٣) فى ط « حرصى على المقالات » وصوابه ما فى ل . وحريص إنما يجمع على حراص — كرمان ، وحراص ، بكسر الحاء ، وحرصاء .

(٤) فى ط : « تحلل » والتصحيح من ل .

وتعظيمُ العلم دليلٌ على شرف النفس ، وعلى السلامة من سُكْر الآفات .
قلت لإبراهيم : إنّ إنفاقَ الزنادقةِ على تحصيل الكتب ، كإنفاق النصارى على البِيَع ، ولو كانت كتبُ الزنادقةِ كتبَ حِكَمٍ وكتبَ فلسفة ، وكتبَ مقاييسَ وسُنَنٍ [و] تبيُّنٍ وتبيين (١) ، أو لو كانت كتُبهم كتباً تُعرِّف الناسَ أبوابَ الصِّناعات ، أو سُبُلَ التكسُّب والتجارات ، أو كتبَ ارتفاقاتٍ ورياضاتٍ ، أو بعض ما يتعاطاه الناسُ من الفطن والآداب — وإنْ كان ذلك لا يقرِّب من غِنًى ولا يُبْعِد من مأثَم — لكانوا ممَّن قد يجوز أن يُظَنَّ بهم تعظيمُ البيان ، والرغبةُ
٢٩ فى التبيُّن (٢) ، ولكنَّهم ذهبوا فيها مذهبَ الدِّيانة ، [و] على طريقِ تعظيم المِلّة ، فإنّما إنفاقهم فى ذلك ، كإنفاق المجوس على بيت النار ، وكإنفاقِ النصارَى على صُلْبان الذهب ، أو كإنفاق الهند على سَدَنةِ البِدَدَة . ولو كانوا أرادوا العلمَ لكان العلمُ لهم مُعرضاً ، وكتبُ الحكمة لهم مبذولةً ، والطرقُ إليها سهْلةً معروفة . فما بالُهُم لا يصنعون ذلك إلاّ بكتُب دياناتهم ، كما يزخرفُ النصارى بيوتَ عباداتهم ! ولو كان هذا المعنى مستحسَناً عند المسلمين ، أو كانوا يرون أنّ ذلك داعيةٌ إلى العبادة ، وباعثةٌ على الخشوع ، لبلَغُوا فى ذلك بعَفْوهم ، ما لا تبلُغُه النصارى بغاية الجهْد .

(مسجد دمشق)

وقد رأيتُ مسجِدَ دِمَشْق ، حين استجاز هذا السبيل ملِكٌ من ملوكها ، ومَنْ رآه فقد علم أنّ أحداً لا يرومه ، وأنَّ الرومَ لا تسخوا أنفُسهم

---

(١) فى الأصل « نبيين وتبيين » وصححته بما ترى .
(٢) فى ط : « التبيين » .

به ، فلمَّا قام عمرُ بنُ عبد العزيز ، جَلَّله بالجلال ، وغَطَّاه بالكرابيس[1] ، وطبَخَ سلاسلَ القناديلِ حتَّى ذهب عنها ذلك التلألُؤُ والبريق ، وذهب إلى أنّ ذلك الصنيعَ مجانِبٌ لسنَّة الإسلام ، وأنَّ ذلك الُحسنَ الرائعَ والمحاسنَ الدِّقاق ، مَذهَلَةٌ للقلوب ، وَمشغَلةٌ دونَ الخشوع ، وأنّ البالَ لايكون مجتمِعاً وهناك شيء يفرِّقه ويعترض عليه .

(صفة كتب الزنادقة)

والذى يدلُّ على ما قلنا ، أنّه ليس فى كتبهم مثلٌ سائر ، ولا خبرٌ طَريف ، ولا صنعةُ أدبٍ ، ولا حكمةٌ غريبة ، ولا فلسفةٌ ، ولا مسألةٌ كلاميَّة ، ولا تعريفُ صِناعة ، ولا استخراجُ آلة ، ولا تعليمُ فِلاحةٍ ، ولا تدبير[2] حرب ، ولا مقارَعة[3] عن دِين ، ولا مناضَلة عن نِحْلة ، وجُلُّ ما فيها ذِكر النور والظلمة ، وتناكُحُ الشياطين ، وتسافُدُ العفاريت ، وذكر الصنديد ، والتهويل بعمود السنخ[4] ، والإخبار عن شقلون ، وعن الهامة [والهامة] . و [كلُّه] هَذْرٌ وعِيٌّ وخُرافة ، وسُخْرِيَة وتكذُّب ، لاترى فيه موعظةً حسنة ، ولا حديثاً مُونِقا ، ولا تدبيرَ مَعاشٍ ، ولا سياسةَ عامة ، ولا ترتيبَ خاصَّة[5] . فأىُّ كتابٍ أجهلُ ، وأىُّ تدبيرٍ أفسدُ من كتابٍ

(١) الكرباس بالكسر : ثوب من القطن الأبيض ، معرب فارسيته بالفتح ، غيروه لعزة فعلال . والنسبة كرابيسى ، كأنه شبه بالأنصارى .

(٢) فى ط : « تدبر » والوجه مافى ل .

(٣) ماعدا ل : « منازعة » .

(٤) فى ط « الصبح » .

(٥) فى ط « ولا سياسة عاملة ولا ترتيب خاصية » والعبارة مشوهة أصلحتها من ل .

يوجِب على الناس الإطاعة ، والبخوع(١) بالديانة ، [لا(٢)] على جهة الاستبصار والمحبَّة ، وليس فيه صلاحُ مَعاشٍ ولا تصحيحُ دين ! ؟ والناسُ لايحبُّون إلا ديناً أو دنيا : فأمَّا الدنيا فإقامةُ سوقها [وإحضار نفعها . وأما الدِّين فأقلُّ مايُطمع فى استجابة العامة] ، واستمالة الخاصَّة ، أنْ يصوَّر فى صورةٍ مغلِّطة ، ويموَّهَ تمويهَ الدِّينارِ الْبَهْرَج ، والدرهمِ [الزائف] الذى لايغلط فيه الكثير ، ويعرفُ حقيقته القليل(٣) . فليس إنفاقُهم عليها من حيثُ ظننت . وكلُّ دين يكون أظهر [اختلافاً وأكثرَ] فساداً ، يحتاج من الترقيع والتمويه(٤) ، ومن الاحتشاد له والتغليظ(٥) فيه إلى أكثر . وقد علمْنا أنَّ النصرانيَّةَ أشدُّ انتشاراً من اليهوديَّة تعبداً ، فعلى حسب ذلك يكون تزيُّدُهم فى توكيده ، واحتفالُهم فى إظهار تعليمه .

(فضل التعلم)

وقال بعضهم : كنتُ عندَ بعضِ العلماء ، فكنتُ أكتب عنه بعضاً وأدَعُ بعضاً ، فقال لى : اكتبْ كلَّ ماتسمعُ ، فإن أخسَّ ماتسمعُ خيرٌ من مكانه أبيض(٦) .

---

(١) فى ط : « والتخرج » .

(٢) زيادة يقتضيها الكلام .

(٣) فى ط : « ويموه تمويه (الدنيا والبهرج) والدرهم الذى (لا) يغلط فيه الكثير ويعرف (حقيقة) القليل » . ووجهت العبارة من ل ، بعد أن حذفت (لا) .

(٤) فى ط : « احتاج من الترقيع والتمويه » وتصحيحه من ل .

(٥) ماعدا ل « والتغليط » بالطاء المهملة .

(٦) هذا مافى ل . ويطابقه مافى المحاسن والمساوى ١ : ٩ وانظر الحيوان ٥ : ٢٤٨ . وفى سائر النسخ « فإن مكان ماتسمع أسود خير من مكانه أبيض » لكن فى ط : « من مكان » .

وقال الخليل بن أحمد : تكثَّرْ من العلم لتعرف ، وتقلَّلْ منه لتحفظ .

وقال أبو إسحاق : القليل والكثير للكتب ، والقليلُ وحدَه للصدر .

وأنشدَ قول ابن يَسير (١) :

أما لو أعِى كلَّ ما أسمَعُ وأحفَظُ من ذاكَ ما أجمعُ
ولم أستفِدْ غيْرَ ماقد جمعـــتُ لَقِيلَ هوالعالِمُ المِصقَع (٢)
ولكنَّ نفسي إلى كلِّ نو عٍ من العلم تسمعُه تنزِعُ
فلا أنا أحفظُ ما قد جمعــتُ ولا أنا مِن جمعه أشبعُ
وأحصَر بالعِيِّ في مجلسي وعِلمي في الكُتْبِ مستودَعُ
فمن يكُ في علمِهِ هكذا يكنْ دهرَهُ القهقَرَى يرجِعُ
إذا لم تكنْ حافظاً واعياً فجمعُك للكتبِ لاينفع

(التخصص بضروب من العلم)

وقال أبو إسحاق : كلَّفَ ابنُ يسيرٍ الكتبَ ما ليس عليها . إن الكتبَ لا تحيي الموتَى ، ولا تحوِّل الأحمقَ عاقلا ، ولا البليد ذكيًّا ، ولكنَّ الطبيعةَ إذا كان فيها أدنى قَبُول ، فالكتبُ تشحَذُ وتَفتِق ، وتُرهِف وتَشفِي . ومن أرادَ أن يعلمَ كلَّ شيء ، فينبغي لأهلِهِ أن يداووه !

---

(١) هو محمد بن يسير الرياشي ، يقال إنه مولى لبني رياش الذين منهم العباس بن الفرج الرياشي الأخباري الأديب . وكان شاعرا ظريفا من شعراء المحدثين ، متقللا ، لم يفارق البصرة ، ولا وفد إلى خليفة ولا شريف منتجعا ، ولا تجاوز بلده . وكان ماجنا هجاء خبيثا ، وكان من بخلاء الناس . انظر الأغاني ١٢ : ١٢٤ — ١٣٦ . والشعر نسبه الجاحظ في المحاسن ص ٨ إلى الأصمعي ولكنه هنا يؤكد — بتعقيبه الشعر — أنه لابن يسير . وهو بدون نسبة في المحاسن والمساوى ١ : ٩ .

(٢) في الأصول « خير ماقد جمعت » والصواب ماأثبته .

فإنّ ذلك إنما تصوَّرَ له بشيءٍ اعتراه ! ! فمَنْ كان ذكيًّا حافظاً فليقصِد إلى شيئين ، وإلى ثلاثة أشياء ، ولا ينزِع عن الدرس والمطارَحَة ، ولا يدعُ أن يمرَّ على سمعه وعلى بصره وعلى ذهنه ، ما قدَر عليه من سائر الأصناف ، فيكون عالماً بخواصّ ، ويكون غيرَ غفلٍ من سائرِ ما يجرى فيه الناسُ ويخوضون فيه . ومن كان مع الدرس لايحفظ شيئاً ، إلّا نسِيَ ما هو أكثرُ منه ، فهو من الحفظ من أفواه الرجال أبعد .

(جمع الكتب)

وحدَّثني موسى بنُ يحيى قال : ما كان في خِزانةِ كتبِ يحيى ، وفى بيت مدارسه[1] كتابٌ إلّا وله ثلاثُ نسخ .

وقال أبو عمرو بنُ العَلاء : ما دخلتُ على رجل قطُّ ولا مررتُ ببابه ،

٣١ فرأيتُه ينظرُ فى دفترٍ وجليسُه فارغُ اليد ، إلّا اعتقدتُ أنّه أفضلُ منه وأعقل .

وقال أبو عمرو بن العلاء : قِيل لنا يوماً : إنّ فى دار فلانٍ ناساً قد اجتمعوا على سَوءة ، وهم جُلوسٌ على خميرة لهم[2] ، وعندهم طُنبُورٌ . فتسوَّرنا عليهم[3] فى جماعةٍ من رجالِ الحيِّ ، فإذا فتًى جالسٌ فى وسط

---

(١) فى ل : « مدراسه » وهو تحريف صوابه فى ط . والمدارس : جمع مدرس كمنبر ، وهو الكتاب . وأما المدراس فهو الموضع الذى يقرأ فيه القرآن ، ومنه قالوا : مدراس اليهود . فالوجه ماأثبته عن ط .

(٢) فى ط : « على خبيرة » وما هنا عن ل و س . فإن ضبطت بضم الخاء كان معناها الخمر (بعد تصغيرها) وإن ضبطت بفتح الخاء كان المراد بها الحصيرة الصغيرة من السعف . ولكل وجه . وانظر ثمار القلوب ٤٧ والأغانى ٧ : ١٧٥ .

(٣) فى ل : « فذمرنا عليهم » . صواب هذه « فدمرنا » بالدال المهملة ، أى دخلنا بغير إذن . انظر اللسان (دمر) وما سيأتى فى ص ٢٩٦ .

الدار ، وأصحابُه حوله ، وإذا هم بيضُ اللّحَى ، وإذا هو يقرأ عليهم دفتراً فيه شعر . فقال الذى سعى بهم : السَّوءة فى ذلك البيت ، وإنْ دخلتموه عثَرتم عليها ! فقلت : والله لا أكشفُ فتًى أصحابُه شيوخ ، وفى يده دفترُ علم ، ولو كان فى ثوبه دمُ يحيى بنِ زكريَّاء ! !

وأنشد رجلٌ يُونُسَ النحوىَّ :

استودَعَ العلمَ قرطاساً فضيّعَه فبئسَ مستودَعُ العلمِ القراطيسُ

قال ، فقال يونس : قاتَلَه الله ، ما أشدَّ ضَنانَتَه بالعلم ، وأحسنَ صيانته له ، إنَّ علمَك مِن روحِك ، ومالَكَ مِن بدنك ، فضعْه منكَ بمكان الرُّوح ، وضعْ مالَكَ بمكان البدن ! !

وقيل لابن داحة — وأخرجَ كتابَ أبى الشمقمق ، وإذا هو فى جلود كوفيَّة ، ودَفَّتَين طائفيّتَين (١) ، بخطٍّ عجيب — فقيل له : لقد أُضيع من تجوَّدَ بشعر (٢) أبى الشمَقْمق ! فقال : لاجرم والله ! ! إنَّ العلمَ ليُعطيكم على حسابِ ما تعطونه ، ولو استطعتُ أن أودِعَه سُويداءَ قلبى ، أو أجعلَه محفوظاً على ناظرى ، لفعلت .

ولقد دخلت على إسحاقَ بن سليمان فى إمْرته ، فرأيتُ السِّماطَين والرجالَ مُثُولاً كأنَّ على رءوسهم الطير ، ورأيتُ فِرْشَتَه وبِزَّته ؛ ثم دخلتُ عليه وهو معزول ، وإذا هو فى بيتِ كتبِه ، وحواليه الأسفاطُ والرُّفوق ، والقماطِرُ والدفاتِر والمَساطر والمحابر ، فما رأيتُه قطُّ أفخمَ ولا أنبلَ ، ولا أهيبَ

(١) فى ط : « طائفيين » والصواب مافى ل ، نسبة إلى الطائف .
(٢) فى ل : « لشعر » باللام بدل الباء .

ولا أجزَلَ منهُ فى ذلك اليوم ؛ لأنَّه جمعَ مع المهابَة المحبَّة ، ومع الفخامة الحَلاوة ، ومع السُّودَد الحِكْمة .

وقال ابن داحة : كان عبدُ الله بنُ عبدِ العزيز بنِ عبد اللهِ بن عمر ابن الخطَّاب ، لايجالِسُ الناسَ ، وينزلُ مَقْبُرَةً من المقابر ، وكان لايكادُ يُرى إلَّا وفى يده كتابٌ يقرؤه . فسُئِل عن ذلك ، وعن نزولِه المقبُرة فقال : لم أرَ أوْعظَ من قبر ، ولا أمتَع[1] من كتاب ، ولا أسلَمَ من الوَحدة . فقيل له : قد جاء فى الوَحدة ما جاء ! فقال : ما أفسَدَها للجاهِل [وأصلحها للعاقل !] .

(ضروب من الخطوط)

وضروبٌ من الخطوطِ بعد ذلك ، تدلُّ على قدرِ منفَعَة الخطِّ . قال الله تبارك وتعالى ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ وقال الله عزّ وجلّ ﴿ فِى صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ . مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ . بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴾
٣٢ وقال ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ وقال ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ وقال ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ .

ولو لم تكتب أعمالُهم لكانت محفوظةً لا يدخلُ ذلك الحفظَ نسيانٌ ، ولكنَّه تعالى وعزَّ ، علم أنّ كتابَ المحفوظِ ونسخَه ، أوكَدُ وأبلغُ فى الإنذار والتحذير ، وأهيبُ فى الصدور .

---

(١) كذا فى ط : وفى المحاسن ص ٤ « ولا آنس » فلعل صحة ماهنا « أمتع » من الإمتاع .

وخطٌّ آخر ، وهو خطُّ الحازى والعرَّاف(١) والزَّاجر . وكان فيهم حليس(٢) الخطَّاط الأسدىّ ، ولذلك قال شاعرهم فى هجائهم :

فأنتم عضاريط الخميسِ إذا غزَوْا   غَناؤكم تِلْكَ الأخاطيطُ فى التُّرْبِ(٣)

وخُطوطٌ أخَر، تكون مستراحًا للأَسيرِ والمهموم والمفكِّر ، كما يعترى المفكِّرَ من قَرْعِ السنِّ ، والغضبانَ من تصفيقِ اليد وتجحيظِ العين . وقال تأبَّطَ شرًّا :

لَتقْرَعَنَّ عَلَيَّ السنَّ مِنْ نَدَمٍ   إذا تذكَّرتَ يومًا بعضَ أخلاقى

وفى خطِّ الحزينِ فى الأرض يقول ذو الرُّمَّة(٤) :

عَشِيَّةَ مالِي حِيلةٌ غيرَ أَنَّنِي   بِلَقْطِ الحَصَى والخطِّ فى الدارِ مُولَعُ(٥)

أخطُّ وأمحو الخطَّ ثم أُعيدُهُ   بكفِّيَ والغِرْبانُ فى الدارِ وُقَّعُ

وذكر النابغةُ صنيعَ النساءِ ، وفزَعَهنَّ إلى ذلك ، إذا سُبِين واغتربن وفكَّرن ، فقال :

---

(١) فى ط : « الحادى والقراف » وتحقيقه من ل . والحازى : صاحب الكهانة فى العرب . والعراف : الكاهن أو الطبيب . قال عروة بن حزام :

جعلت لعراف اليمامة حكمه   وعراف حجر إن هما شفيانى

(٢) كذا فى س : ورسائل الجاحظ طبع الساسى ص ١٣٠ . وورد فى ل برسم « حلبس » وفى ط برسم « جلس » .

(٣) العضاريط : جمع عضرط كقنفذ ، وعضارط كعلابط ، وعضروط كعصفور ، قال فى القاموس : «هو الخادم على طعام بطنه ، والأجير ، واللئيم» . والشعر لأبى نواس فى ديوانه ١٥٩ يهجو به تميما وأسدا .

(٤) قال الثعالبى فى الثمار ٢١٤ « ابناعيان ضرب من الزجر ، وهو أن يخط الناظر فى فى أمر بأصبعه ، ثم بأصبع أخرى ويقول : ابنا عيان ! أسرعا البيان ! ! ثم يخبر بما يرى . وهو مشتق من قولك : أريانى ماأريد عيانا . وهذا معنى قول ذى الرمة :

عشية مالى حيلة غير أننى   بلقط الحصى والخط فى الدار مولع »

وانظر العقد ٦ : ١٤٩ .

(٥) فى الثمار كما كتبت « بلقط » بالقاف بدل الفاء ، وفى الأصل : « بلفظ » وانظر تفسير الجاحظ الآتى .

ويَخطُطْنَ بالعِيدانِ فى كلِّ منزلٍ … ويَخبأنَ رُمّانَ الثُّدِىِّ النواهدِ

وقد يفزع إلى ذلك الخجِلُ والمتعلِّل، كما يفزع إليه المهمومُ وهو قولُ القاسم ابن أميَّةَ بنِ أبى الصَّلْت :

لاينقرون الأرضَ عند سُؤالِهم … لتلمُّسِ العِلَّاتِ بالعِيدانِ(١)

بل يبسُطون وجوهَهم فترَى لها … عندَ اللقاء كأحسَنِ الألوانِ

وقال الحارث بن الكِنْدىّ ، وذكرَ رجلاً سأله حاجةً فاعتراه العبثُ بأسنانه ، فقال :

وآضَ بكَفِّهِ يحتَكُّ ضِرساً … يُرِينا أنَّهُ وَجِعٌ بضِرْسِ

وربما اعترى هؤلاء عدُّ الحصى ، إذا كانوا فى موضعِ حصى ، ولم يكونوا فى موضع تراب ، وهو قول امرئ القيس :

ظِلْتُ رِدَائِى فوقَ رَأْسِىَ قاعداً … أعدُّ الحصَى ما تَنْقَضِى حَسَرَاتِى

٣٣ وقال أميَّةُ بنُ أبى الصَّلْت :

نَهَرًا جَارِيًا وبيتاً عَلِيًّا … يعتَرِى المعتَفِين فضلُ نداكا

فى تراخ من المكارمِ جَزْلٍ … لم تعلِّلْهمُ بلَقْطِ حَصاكا(٢)

وقال الآخر ، وهو يصف امرأةً قُتِل زوجُها ، فهى محزونةٌ تلقُط الحصى :

وبيضاءَ مِكسال كأنَّ وشاحَها … على أمِّ أحوى المُقْلَتَين خَذُولِ(٣)

---

(١) فى ط : « ينكثون » ، وهو تصحيف ، وفى س « ينكتون » ، وفى ل وكذلك عيون الأخبار ٣ : ١٥٢ ومعجم المرزبانى ٣٣٢ « لاينقرون » كما أثبت . وانظر مجالس ثعلب ١٧٣ والعمدة ٢ : ٢٣٦ ولباب الآداب ٢٥٧ .

(٢) « تراخ » لعلها « براح » كسحاب ، وأصل معناه الفسيح من الأرض . و « تعللهم » هى فى ط : « تعلقهم » وليس بشىء . وفى ل « تعلل لهم » وهو خطأ كتابى .

(٣) فى ط : « المقتلين » وهو تصحيف عجيب . وأحوى المقلتين يعنى به الظبى . والخذول من وصف أمه ، وهى التى خذلت أصحابها فانفردت عنهم قائمة على ولدها ، فهى فزعة ولهة على خشفها ، وهى تمد عنقها وترتاع ، وذلك أحسن لها .

عَقَلتُ لهـا مِنْ زَوجِهَا عَدَدَ الحصى

مع الصُّبح ، أو في جُنح كلِّ أصيلِ

يقول : لم أُعْطِهَا عقْلًا عن زوجها ، ولم أُورِثْهَا إلّا الهمَّ الذى دعاها إلى لقط الحصى . يخبر أنّه لمنعَتِه ، لا يُوصَل منه إلى عقلٍ ولا قَوَد .

(أقوال الشعراء في الخط)

ومِمّا قالوا في الخطّ ، ما أنشدنا هشامُ بن محمد بن السائب الكلبي قال : قال المقنَّع الكندىّ في قصيدةٍ له ، مدح فيها الوليدَ بنَ يزيد :

كالخطِّ في كُتُبِ الغلام أجادَه[1] بمداده ، وأسَدَّ من أقلامه[2]

قلمٌ كخُرطوم الحمامةِ مائلٌ مُستَحفِظٌ للعـلم من علّامِه

يَسِم الحروفَ إذا يشاءُ بناءها لبيانها بالنَّقْط من أرسامِه

مِن صُوفةٍ نَفث المداد سُخامه حتى تغـيَّرَ لونُها بسُخامِه

يَحْفَى فيُقْصَمُ من شَعيرة أنفِه[3] كقُلامة الأُظْفُورِ من قلّامِه

وبأنفه شَقٌّ تلاءم فاستوَى سُقِىَ المـدادَ ، فزاد في تَلْآمِه

مُسْتعجِمٌ وهو الفصيحُ بكلِّ ما[4] نطق اللسانُ به على استعجامِه

---

(١) في ط : « كتف » وفى ل « كف » والوجه ما كتبته من س .

(٢) في ط : « بمراده » وهو تصحيف ظاهر .

(٣) في ط : « يخفى » وإنما هو « يحفى » بالحاء كما في ل ، أى يرق سنه ، فيتعثر في الكتابة . وهو مأخوذ من حفا القدم والخف والحافر .

(٤) في ط : « متعجم » وأثبت ما في ل ؛ لأنه الوجه . واستعجم : سكت ، ومنه قول النابغة :

فاستعجمت دار نعم ما تكلمنا والدار لو كلمتنا ذات أخبار

وله تراجِمةٌ بألســـنةٍ لهمْ   تبيانُ ما يَتلُونَ من تَرجَامِه
ما خــطَّ من شيء به كتّابه   ما إن يبوحُ به على استكتامِه
وهجاؤه قاف ولام بعــدها   ميم معلّقةٌ بأســـفلِ لامِه

ثم قال :

قالتْ لجارتها الغزَيِّلُ إذ رأت   وجهَ المقنّع من وراءِ لِثامِه
قد كان أبيضَ فاعتراه أُدْمَةٌ   فالعينُ تُنكره من ادْهِيامِه
كم من بُويزِل عامِها مهرّية   سُرُحِ اليدين ومن بُويزِل عامِه
وَهَبَ الوليدُ برَحْلها وزمامها[1]   وكذاكَ ذاكَ برَحلِه ، وزِمامِه ٣٤
وقُرَيرِحٍ عتــد أُعِدَّ لِنيِّه   لبنُ اللَّقُوحِ فعادَ مِلءَ حِزامِه[2]
وهبَ الوليدُ بسَرْجها ولجامها   وكذاك ذاك بسَرجِه ، ولجامِه
أهدَى المقنّع للوَليدِ قصيدةً   كالسيفِ أُرهِف حدُّه بحُسامِه
وله المآثرُ في قريشٍ كلِّها   وله الخلافةُ بعد موتِ هشامِه

وقال الحسن بن جَماعة الجُذَامِيُّ[3] فى الخطِّ :

---

(١) فى ط : « وزماعها » والصواب ما كتبت من ل .

(٢) الني بالكسر : الشحم . القريرح : مصغر قارح ، وهو من ذى الحافر ، بمنزلة البازل من الإبل . العتد محركة وككتف : المعد للجرى ، أو الشديد التام الخلق . اللقوح : الناقة قد لقحت . . وكان العرب يسقون كرائم الخيل ألبان الإبل . قال الأعرج المعنى (الحماسة ١ : ١٣٠) :

أرى أم سهل ماتزال تفجع   تلوم وما أدرى علام توجع
تلوم على أن أمنح الورد لقحة   وما تستوى والورد ساعة تفزع
إذا هى قامت حاسرا مشمعلة   نخيب الفؤاد رأسها مايقنع
وقمت إليه باللجام ميسرا   هنالك يجزينى بما كنت أصنع

وقال قبيصة بن النصرانى الجرمى (الحماسة ١ : ٢٤٦) :

هاجرتى يابنت آل سعد   أأن حلبت لقحة للورد
جهلت من عنانه الممتد   ونظرى فى عطفه الألد

(٣) كذا فى ل و س . . وقد ورد « جماعة » بالحاء فى ط .

إليكَ بِسِرِّى باتَ يُرقِلُ عالمٌ   أصمُّ الصدى مُحروزِفُ السِّنِّ طائع (1)

بَصيرٌ بمـا يُوحَى إليه ومالَهُ   لسانٌ ولا أُذْنٌ بها هُوَ سامعُ

كأنَّ ضميرَ القلبِ باح بِسرِّه   لديه ، إذا ماحَشْحَشَتْهُ الأصابع

له رِيقةٌ من غـير فوثٍ تمدُّه   ولامِنْ ضُلوعٍ صِدْقَمتها الأضالِعُ (2)

وقال الطائىُّ ، يمدح محمَّدَ بن عبدِ الملك الزَّيات :

وما بَرِحَتْ صُوراً إليكَ نَوازعاً   أعنَّتُها مُذْ راسلَتْكَ الرسائلُ

لكَ القلمُ الأعلى الذى بشباته   يُصَابُ من الأمرِ الكُلَى والمفاصلُ (3)

لك الخلَواتُ اللاءِ لولا نجيُّها   لما احتفلت للمُلْكِ تلك المحافلُ (4)

لُعابُ الأفاعى القاتلاتِ لُعابُهُ   وأَرْىُ الجَنَى اشتارَتْه أيدٍ عَواسِلُ

له رِيقَةٌ طَلٌّ ولكنَّ وقعَها   بآثارِها فى الشرقِ والغرب وابلُ

فصيحٌ إذا استنطقْتَه وهو راكبٌ   وأعجمُ إن خاطبْتَه وهو راجِلُ

إذاما امتطى الخمسَ اللِّطافَ وأُفرغت   عليه شِعابُ الفكرِ وهى حَوافِلُ

أطاعَتْه أطرافُ القَنا وتقوَّضَتْ   لنَجواه تقويضَ الخيامِ الجَحافلُ

إذا استغزر الذهن الجلىّ وأقبلتْ   أعالِيه فى القِرطاس وهى أسافلُ (5)

---

(1) فى ط : « إليك سرى » وتصحيحه من س . الصدى : جسد الآدمى بعد موته . فهو بذلك يعنى أن القلم عجيب فى وعيه للسر مع صممه . والصدى كذلك : رجع الصوت ، فكأن القلم ينطق فى القرطاس ، دون أن يبين صدى صوته .

(2) فى ل و س : « ضمنتها » . وفى البيت تحريف كما ترى .

(3) فى ط : « بشباته » موضع يشباته ، وهو تحريف صوابه فى ل والديوان .

(4) فى ط : « لولا نجيها لما اختلفت » وتصحيحه من ل والديوان .

(5) فى ط : « إذا استشعر الذهن الجلى » وأثبت ما فى ل .

وقد رفدته الخِنْصَرانِ وسدَّدت   ثلاثَ نواحِبه الثلاثُ الأناملُ[١]
رأيتَ جليلاً شأنُهُ وهو مُرْهَفٌ   ضنى وسميناً خَطْبُه وهو ناحلُ[٢]
أرى ابنَ أبي مروانَ أمَّا لِقاؤُه   فدانٍ وأمَّا الحُكمُ فيه فعادلُ

٣٥ وقد ذكر البُحتُرىُّ فى كلمةٍ له ، بعضَ كهولِ العسكر[٣] . ومن أَنْبَل أبناء كتّابهم[٤] الجلّة فقال :

وإذا دجَتْ أقلامُه ثم انتحَتْ   برقَت مصابيحُ الدُّجَى فى كتبه

(الـكتابات القديمة)

وكانوا يجعلون الـكتاب حفراً فى الصخور ، ونقشاً فى الحجارة ، وخِلْقة مُرَكَّبةً فى البُنْيان ؛ فربَّما كان الـكتابُ هو الناتِئ ، وربَّما كان الـكتابُ هو الحفر ، إذا كان تاريخاً لأمرٍ جَسيم ، أو عهداً لأمرٍ عظيم ، أو مَوعظةً يُرتَجى نفعُها ، أو إحياءَ شرفٍ يريدون تخليد ذكره ، [أو تطويل مدته] ، كما كتبوا على قُبَّة غُمْدَان[٥] ، وعلى باب القَيرُوان[٦] ،

---

(١) فى ط : « وقد رمزته الخنصران وشددت » وهو تحريف ماأثبته من ل والديوان .

(٢) فى ط : « نضى » وصوابه من الديوان و ل .

(٣) هو الحسن بن وهب ، وليت شعرى لم لم يصرح الجاحظ باسمه ، مع أن الجاحظ له رسالة إلى الحسن بن وهب ، فى مدح النبيذ وصفة أصحابه ، ذكر صدرا منها عبيد الله ابن حسان ، فى كتابه « الفصول المختارة » انظر هامش الكامل ١ : ٩٧ . والبيت المذكور من قصيدة فى ديوان البحترى ٦٧ مطلعها :

من سائل لمعذل عن خطبه   أو صافح لمقصر عن ذنبه

(٤) فى ط : « أنيل ابنا كتابهم » وتصحيحه من ل .

(٥) غمدان : قصر بين صنعاء وطيوة ، واختلف فى اسم بانيه ، وله صفة عجيبة فى معجم البلدان .

(٦) هى المدينة المعروفة فى إفريقية ، مصرت فى الإسلام فى أيام معاوية .

وعلى باب سَمَرْقَنْد[١] ، وعلى عمود مأرِب[٢] ، وعلى ركن المشقَّر[٣] ، وعلى الأبلَق الْفَرْد[٤] ، وعلى باب الرها[٥] ؛ يعمِدُون إلى الأماكن المشهورة ، والمواضع المذكورة ، فيضعون الخطَّ فى أبعدِ المواضع من الدُّثور ، وأمنَعِها من الدروس ، وأجدرَ أنْ يراها من مرَّ بها ، ولا تُنسى على وجه الدهر .

(فضل الكتابة وتسجيل المعاهدات والمحالفات)

وأقول : لولا الخطوطُ لبَطَلت العهودُ والشروطُ والسِّجلاَّتُ والصِّكاك ، وكلُّ إقطاعٍ ، وكلُّ إنفاق ، وكلُّ أمان ، وكلُّ عهدٍ وعَقْدٍ ، وكلُّ جِوارٍ وحِلف . ولِتعظيمِ ذلك ، والثقةِ به والاستنادِ إليه ، كانوا يَدْعُونَ فى الجاهليَّةِ مَنْ يكتبُ لهم ذكرَ الحِلْف والهُدْنة ؛ تعظيماً للأمر ، وتبعيداً من النسيان ، ولذلك قال الحارثُ بن حِلِّزة ، فى شأنِ بكرٍ وتغلب[٦] :

واذكرُوا حِلْفَ ذِى المَجَاز وما قُـ ـدِّمَ فيه العهودُ والكفلاءُ

---

(١) بلدة عظيمة فى التركستان ، والأصمعى يروى أنه كتب على بابها بالحميرية . انظر المعجم .

(٢) مأرب : بين صنعاء وحضرموت من بلاد اليمن .

(٣) المشقر : حصن كان بالبحرين . وفى ط : « الركن المشقر » ، وأصلحته من ل والمحاسن ٣ .

(٤) قال ياقوت : هو حصن السموءل بن عادياء اليهودى ، مشرف على تيماء ، بين الحجاز والشام ، على رابية من تراب ، فيه آثار أبنية من لبن ، لاتدل على مايحكى عنها من العظمة والحصانة ، وهو خراب .

(٥) مدينة بالجزيرة .

(٦) البيتان من معلقة الحارث المشهورة ، التى مطلعها :

آذنتنا ببينها أسماء رب ثاو يمل منه الثواء

وقد رواهما الجاحظ فى البيان ٣ : ٧ وقال فى البيت الثانى : « الحـون : الخيانة . ويروى : الجور » .

حَذَرَ الجورِ والتَّعدِّى ، وهلْ يَنْـقُض ما فى المَهارِقِ الأهواءُ !
والمهارق ، ليس يراد بها الصُّحُفُ والكتب ؛ ولا يقال للكتب مَهارقُ حتّى تكونَ كتبَ دينٍ ، أو كتبَ عهودٍ ، وميثاقٍ ، وأمان .

(الرقوم والخطوط)

وليس بين الرُّقوم والخطوط فَرق ، ولولا الرقوم لهلكَ أصحابُ البَزِّ والغُزول ، وأصحابُ الساجِ وعامَّةِ المتاجر ، وليسَ بينَ الوُسوم[1] التى تكون على الحافر كلِّه والخفِّ كلِّه والظِّلفِ كلِّه ، وبين الرقوم فرق ، ولا بينَ العقودِ والرقوم فرق ، ولا بين الخطوط والرقوم كلِّها فرق ، وكلُّها خطوط ، وكلها كتابٌ ، أو فى معنى الخطِّ والكتاب ، ولا بين الحروف المجموعةِ والمصوَّرَةِ من الصوت المقطَّع فى الهواء ، ومن الحروف المجموعة المصوَّرة من السواد فى القرطاس فرق .

٣٦ واللسان : يصنَع فى جَوبة[2] الفم [وهوائه الذى فى جوفِ الفم] وفى خارجه ، وفى لَهاته ، وباطنِ أسنانه ، مثلَ ما يصنع القلمُ فى المدادِ واللِّيقةِ والهواءِ والقرطاسِ ، وكلُّها صورٌ وعلاماتٌ وخَلْقٌ مواثل ، ودَلالات ، فيعرف منها ما كانَ فى تلك الصُّوَر لكثرةِ تَردادها على الأسماع[3] ، ويعرف منها ما كان مصوَّراً من تلك الألوان لطول تكرارها على الأبصار ، كما استدلُّوا بالضَّحك على السرور ، وبالبكاء على الألم . وعلى مثلِ ذلكَ عرفوا معانىَ الصوتِ ، وضروبَ صورِ الإشارات ، وصورِ جميع الهيئات ،

---

(١) فى الأصل « الرسوم » بالراء وإنما هى « الوسوم » جمع وسم .
(٢) ماعدا ل : « جوبة » .
(٣) كذا فى ل . ووردت محرفة فى ط برسم « الأسماء » .

وكما عرف المجنون لقَبه ، والكلبُ اسْمَه . وعلى مثل ذلك فهِم الصبيُّ الزجرَ والإغراء ، ووعى المجنون الوعيد والتهدُّد[1] ، وبمثل ذلك اشتدَّ حُضْرُ الدابّة مع رفع الصوت ، حتّى إذا رأى سائسَه حمحم . وإذا رأى الحمامُ القيِّمَ عليه انحطَّ للقطِ الحبّ ، قبل أن يُلقِيَ له مايلقطه . ولولا الوسومُ[2] ونُقُوش الخواتم ، لدخل على الأَموالِ الخللُ الكثير ، وعلى خزائنِ الناس الضررُ الشديد .

(الخط والحضارة)

وليس فى الأرض أمّةٌ بها طِرْق[3] أوْ لها مُسْكَة ، ولا جيلٌ لهم قبضٌ وبسْط ، إلاّ ولهم خطّ . فأمّا أصحاب الملك والمملكة ، والسلطانِ والجِباية ، والدِّيانة والعبادة ، فهناك الكتابُ المتقَن ، والحساب المحكَم ؛ ولا يخرج الخطُّ من الجزْم والمسنَد المنمنم والسمون[4] كيف كان ، قال [ذلك] الهيثمُ [ابن عدى] ، وابنُ الكلبى .

(تخليد الأمم لمآثرها)

[قال] : فكلُّ أمّةٍ تعتمدُ فى استبقاءِ مآثِرها ، وتحصين مناقبها ، على ضربٍ من الضروب ، وشكل من الأشكال .

---

(١) فى ل : « وودع المخنوق الوعيد والتهدد » وفى ط : « وردع المجنون الوعيد والتهدد » أما كلمة « المخنوق » . فواضحة التحريف وكذلك « ودع » . وكتبت « وعى » موضع « ردع » لتتناسب مع « فهم » فى الفقرة السابقة .

(٢) فى الأصل « الرسوم » وصوابه « الوسوم » .

(٣) الطرق بالكسر : معناه هنا القوة .

(٤) بدله فى ط ، س : « كذا » ويبدو أنها من النساخ . وانظر رسائل الجاحظ ١٣٨ ساسى .

(تخليد العرب لمآثرها)

وكانت العربُ في جاهليّتها تحتال في تخليدها ، بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون ، والكلام المقفّى ، وكان ذلك هو ديوانها . وعلى أنّ الشعرَ يُفيد فضيلةَ البيانِ ، على الشاعر الراغبِ ، والمادح ، وفضيلةَ المأثُرة ، على السيِّد المرغوبِ إليه ، والممدوحِ به . وذهبت العجَم عَلَى أن تقيِّد مآثرَها بالبُنيان ، فبنوا مثلَ كرد بيداد[1] ، وبنى أرْدشير بيضاء إصطَخْر ، وبيضاء المدائن ، والَحضْر ، والمدن والحصُون ، والقناطر والجسور ، والنواويس . قال : ثمَّ إنّ العربَ أحبَّتْ أن تشاركَ العجمَ في البناء ، وتنفردَ بالشعر ، فبنوا غُمدان ، وكعبةَ نَجْرَان[2] ، وقصرَ مارد ، وقصر مأرِب ، وقصر شــعوب[3] والأبلق الفرد ؛ و [فيه وفي[4]] مارد ، قالوا « تمرَّدَ ماردٌ وعزَّ الأبلق » وغيرَ ذلك من البُنيان . قال : ولذلك لم تكن الفرسُ تبيح شريفَ البُنيان ، كما لا تبيح شريف الأسماء ، إلاّ لأهل البيوتات ، كصنيعهم في النواويس والحمَّامات والقِباب الخضر ، والشُّرَف على حيطان الدار ، وكالعَقْد على الدِّهليز وما أشبهَ ذلك ، فقال بعض من ٣٧

(١) كذا في ط . ومكانه في ل « كرد بنداذ » .

(٢) كعبة نجران : بيعة بناها بنو عبد المدان بن الديان الحارثي ، على بناء الكعبة ، وعظموها مضاهاة للكعبة ، وكان فيها أساقفة معتمون ، وهم الذين جاءوا إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى المباهلة . انظر ياقوت .

(٣) شعوب : قصر باليمن معروف بالارتفاع . كذا قال ياقوت .

(٤) زيادة ضرورية لاستقامة الكلام ، وصاحب هذا القول هو الزباء ، فيما روى ياقوت في رسم (مارد) قال في مارد : « حصن بدومة الجندل ، وفيه وفي الأبلق قالت الزباء ، وقد غزتهما ، فامتنعا عليها : تمرد مارد وعز الأبلق . فصارت مثلا لكل عزيز ممتنع .

حضر « كُتُبُ الحكماءِ وَما دَوَّنت العلماءُ من صنوف البلاغات والصِّناعات، والآداب والأرفاق(١) ، من القرون السابقة والأمم الخالية ، ومن له بقيَّة ومن لا بقيّة له ، أبقى ذكراً وأرفعُ قدراً وأكثر ردًّا ، لأنَّ الحكمةَ أنفعُ لمن ورثها ، من جهة الانتفاع بها ، وأحسنُ في الأحدوثة ، لمن أحبَّ الذكر الجميل » .

(طمس الملوك والأمراء آثار من سبقهم)

والكتبُ بذلك أولَى من بُنيان الحجارة وحِيطان المدَر ؛ لأنَّ من شأن الملوك أنْ يطمِسوا على آثارِ مَن قبلَهُم ، وأن يُميتوا ذكرَ أعدائهم ، فقد هدَموا بذلك السببِ [أكثرَ] المدنِ وأكثرَ الحصون ، كذلك كانوا أيَّامَ العجَم وأيَّامَ الجاهليّة ، وعلى ذلك همْ في أيّام الإسلام ؛ كما هدم عُثمانُ صومعةَ غُمدان ، وكما هدمَ الآطامَ(٢) التي كانت بالمدينة ، وكما هدم زيادٌ كلَّ قصر ومصنَع كان لابن عامر(٣) ، وكما هدم أصحابُنا بناءَ مدن الشامات(٤) لبني مروان .

---

(١) الأرفاق : جمع رفق بالكسر ، وهو مايستعان به .

(٢) الآطام : جمع أطم بضمة وبضمتين وهو القصر ، أو الحصن المبنى بالحجارة ، أو كل بيت مربع مسطح .

(٣) هو عبد الله بن عامر بن كرز بن حبيب بن ربيعة ، أمير فاتح ، ولد بمكة وولى البصرة في أيام عثمان . وافتتح سجستان صلحا ومدنا كثيرة في الشرق . وكان شجاعا سخيا، وصولا لقومه ، رحيما محبا للعمران . وتوفى سنة ٥٩هـ . ولما بلغ نبأ وفاته معاوية ، قال: يرحم الله أبا عبد الرحمن ، بمن نفاخر ونباهى ؟ وانظر الجهشيارى ١٤٨ .

(٤) الشامات : فسرها ابن عبد ربه في العقد ٦ : ٢٥١ - ٢٥٢ بأنها خمس : فلسطين ومدينتها بيت المقدس ، والأردن ومدينتها طبرية ، والغوطة ومدينتها دمشق ، وحمص ، وقنسرين ومدينتها حلب .

(تاريخ الشعر العربي)

وأما الشعرُ فحديثُ الميلاد ، صغيرُ السنِّ ، أوّلُ من نَهَجَ سبيلَه ، وسهَّل الطريقَ إليه : امرؤُ القيس بن حُجْر ، ومُهَلْهِل بنُ ربيعة . وكُتُبُ أرِسطاطاليسَ ، ومعلِّمِه أفلاطون ، ثم بَطْلَيموس ، وديمقراطس[1] ، وفلان وفلان ، قبلَ بدءِ الشعر بالدهور قبلَ الدهور[2] ، والأحقاب قبلَ الأحقاب . ويدلُّ على حداثةِ الشعر ، قولُ امرئ القيس بن حُجْر :

إنَّ بني عوفٍ ابتَنَوا حسناً ضيَّعه الدُّخلُلُون إذ غَدَرُوا[3]
أدَّوا إلى جارهم خفارته ولم يَضِعْ بالمَغِيب مَنْ نَصَرُوا[4]
لا حِمْيَرِيٌّ وَفَى ولا عُدَسٌ ولا استُ عَيرٍ يحكها الثَّفر[5]
لكنْ عُوَيرٌ وَفَى بذمَّتِه لا قِصَرٌ عابَهُ ولا عَوَرُ[6]

فانظُرْ ، كم كان عمرُ زُرارةَ ! وكم كان بين موت زُرارة ومولدِ النبي عليه الصلاة والسلام ؟ ! فإذا استظهرنا الشعرَ ، وجدنا له — إلى أن جاء اللهُ بالإسلام — خمسين ومائةَ عام ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام[7] .

قال : وفضيلة الشعر مقصورةٌ على العرب ، وعلى من تكلَّم بلسان

---

(١) في ط : « ذي بقراط » ، وما أثبته في ل . . وانظر القفطي (حرف الدال المهملة ثم حرف الذال المعجمة) .

(٢) في الأصل : « وقبل الدهور » .

(٣) جاءت (حسنا) بالنون في الأصل ، ويظهر أنه تصحيح مافي الديوان ١٥٩ . والمراد به المعروف والجميل . والدخلل ، كما قال أبو بكر : الذي يداخل الرجل في أمره ويصاحبه عليه .

(٤) الخفارة : الذمة والعهد ، والخاء مثلثة .

(٥) حميري وعدس : رجلان من بني حنظلة .

(٦) أبو بكر شارح الديوان : كان عوير قد أجار هندا بنت حجر أخت امرئ القيس ، فوفى لها حتى أتى بها نجران ، فمدحه بوفاء الذمة ، ونزهه من كل عيب يشين غيره .

(٧) انظر لتوضيح هذا ماأثبت في الاستدراكات .

العرب ، والشعر لايُستطاع أن يترجَم ، ولا يجوز عليه النقل ؛ ومتى حوِّل تقطَّع نظمُه وبطلَ وزنُه ، وذهب حسنُه وسقطَ موضعُ التعجب ، [لا] كالكلامِ المنثور . والكلامُ المنثور المبتدأُ على ذلك أحسنُ وأوقعُ من المنثور [الذى تحوّل من] موزون الشعر . ٣٨

قال : وجميع الأمم يحتاجون إلى الحكم فى الدين ، والحكم فى الصناعات ، وإلى كلِّ ما أقام لهم المعاشَ وبوَّب لهم أبوابَ الفِطَن ، وعرَّفهم وجوهَ المَرَافق ؛ حديثُهم كقديمهم ، وأسودُهم كأحمرِهم ، وبعيدُهم كقريبهم ؛ والحاجة إلى ذلك شاملةٌ لهم .

(صعوبة ترجمة الشعر العربى)

وقد نُقلَتْ كتبُ الهند ، وتُرجمت حكمُ اليونانيّة ، وحُوِّلت آدابُ الفرس ؛ فبعضُها ازدادَ حُسنا ، وبعضها ما انتقص شيئاً ، ولو حوّلت حكمة العرب ، لبطل ذلك المعجزُ الذى هو الوزن ؛ مع أنَّهم لو حوَّلوها لم يجدوا فى معانيها شيئاً لم تذكرْه العجم فى كتبهم ، التى وضعت لمعاشهم وفِطَنهم وحِكَمهم . وقد نُقِلَتْ هذه الكتبُ من أمَّةٍ إلى أمّة ، ومن قَرن إلى قرن ، ومِن لسانٍ إلى لسان ، حتى انتهت إلينا ، وكنّا آخرَ مَنْ ورِثها ونظَر فيها . فقد صحَّ أنَّ الكتبَ أبلغُ فى تقييدِ المآثِر ، من البُنيان والشعر .

(قيمة الترجمة)

ثم قال بعضُ مَنْ ينصر الشعر ويحوطُه ويحتجُّ له : إنَّ الترجُمانَ لايؤدِّى أبداً ما قال الحكيمُ ، على خصائِص معانيه ، وحقائِق مذاهبه ،

ودقائق اختصاراته ، وخفيّاتِ حدوده ، ولا يقدِر أنْ يوفيها حقوقَها ، ويؤدّىَ الأمانة فيها ، ويقومَ بما يلزمُ الوكيلَ ويجبُ على الجَرِىّ[1] ، وكيف يقدِر على أدائها وتسليمِ معانيها ، والإخبار عنها على حقّها وصدقها ، إلّا أنْ يكونَ فى العلم بمعانيها ، واستعمالِ تصاريفِ ألفاظِها ، وتأويلاتِ مخارجِها ، مثلَ مؤلِّف الكتاب وواضعه . فمتى كان رحمه الله تعالى ابنُ البِطريق ، وابن ناعمة ، وابن قرّة ، وابن فِهريز ، وثيفيل[2] ، وابن وهيلى ، وابن المقفّع ، مثلَ أرسطاطاليس ؟ ! ومتى كان خالدٌ[3] مثلَ أفلاطون ؟ !

(شرائط الترجمان)

ولا بدَّ للتَّرْجمان من أن يكون بيانُهُ فى نفس الترجمة ، فى وزْن علمه فى نفسِ المعرفة ، وينبغى أن يكون أعلمَ الناس باللغة المنقولة والمنقولِ إليها ، حتّى يكون فيهما سواءً وغاية . ومتى وجدناه أيضاً قد تكلّم بلسانين ، علمنا أنّه قد أدخلَ الضيمَ عليهما ؛ لأنَّ كل واحدةٍ من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذُ منها ، وتعترضُ عليها . وكيف يكونُ تمكُّنُ اللسان منهما مجتمعين فيه ، كتمكُّنِه إذا انفرد بالواحدة ، وإنّما له قوّةٌ واحدة ، فإنْ تكلَّمَ

(١) فى الأصل « المجرى » وإنما هو « الجرى » وهو فى معنى الوكيل ، كما فى القاموس.

(٢) ابن فهريز هو حبيب ، أو عبد يشوع بن فهريز . ابن النديم ٢٤ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ . وأما ثيفيل : فهو تيوفيل بن توما أحد المترجمين لأرسطو . مجلة الثقافة العدد ٢٨ .

(٣) هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، ولى الخلافة ثلاثة أشهر . . وقد قام بأول نقل فى الإسلام ، قال الجاحظ فى البيان ١ : ٣٢٨ : « وكان خالد بن يزيد بن معاوية خطيبا شاعرا ، وفصيحا جامعا ، وجيد الرأى كثير الأدب ، وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء » . توفى خالد سنة ٨٥ هـ .

بلغةٍ واحدة استُفْرِغَتْ تلك القوّةُ عليهما ، وكذلك إنْ تكلّم بأكثرَ مِنْ لغتين ، على حساب ذلك تكون الترجمةُ لجميع اللغات . وكلّما كانَ البابُ من العلم أعسرَ وأضيق ، والعلماءُ به أقلّ ، كان أشدَّ على المترجم ، وأجدرَ أن يخطئ فيه . ولن تجد ألبتّةَ مترجماً يفِى بواحدٍ من هؤلاء العلماء . ٣٩

(ترجمة كتب الدين)

هذا قولُنا فى كتب الهندسة ، والتنجيم ، والحساب ، واللحون ؛ فكيف لو كانت هذه الكتبُ كتبَ دِينٍ وإخبار عن الله — عزّ وجلّ — بما يجوز عليه ممّا لايجوز عليه ، حتّى يريد أنْ يتكلّم على تصحيح المعانى فى الطبائع ، ويكون ذلك معقوداً بالتوحيد ، ويتكلّمَ فى وجوهِ الإخبار واحتمالاته للوُجوه ، ويكونَ ذلك متضمِّنا بما يجوز على الله تعالى ، ممّا لايجوز ، وبما يجوزُ على الناس مما لايجوز ، وحتّى يعلمَ مستقرَّ العامِّ والخاصّ ، والمقابلاتِ التى تَلقَى الأخبارَ العامّيةَ المخرَج فيجعلَها خاصيّة ؛ وحتّى يعرفَ من الخبر ما يخصُّه الخبر الذى هو أثر ، ممّا يخصُّه الخبر الذى هو قرآن ؛ وما يخصُّه العقل مما تخصُّه العادة أو الحال الرادَّةُ له عن العموم ؛ وحتّى يعرفَ ما يكونُ من الخبر صِدقًا أو كذبا ، وما لايجوز أن يسمّى بصدقٍ ولا كذب ؛ وحتّى يعرفَ اسمَ الصدق والكذب ، وعلى كم معنًى يشتمل ويجتمع ، وعند فقد أىِّ معنًى ينقلب ذلك الاسم ؛ وكذلك معرفة المُحالِ من الصحيح ، وأىّ شىءٍ تأويلُ المحال ؛ وهل يسمّى المحال كذبا أم لايجوز ذلك ، وأىّ القولين أفحشُ : المُحال أم الكذب ، وفى أىِّ موضع يكون المحالُ أفْظَع [1] ، والكذب أشنع ؛ وحتّى يعرف المثلَ والبديع ، والوحى

(١) فى الأصل « أقطع » .

والكناية ، وفصْل ما بين الخطَلِ والهَذْر ، والمقصورِ والمبسوطِ والاختصار ؛ وحتّى يعرف أبنيةَ الكلام ، وعاداتِ القوم ، وأسبابَ تفاهمهم ، والذى ذكرنا قليلٌ من كثير . ومتى لم يعرفْ ذلك المترجمُ أخطأَ فى تأويل كلامِ الدين . والخطأُ فى الدين أضرُّ من الخطأ فى الرياضة والصناعة ، والفلسفةِ والكيْمياء ، وفى بعض المعيشة التى يعيش بها بنو آدم .

وإذا كان المترجِم الذى قد تَرجَم لايكمل لذلك ، أخطأ على قدْرِ نقصانه من الكمال . وما عِلْمُ المترجِم بالدليل عن شبه الدليل ؟ وما علْمه بالأخبار النجوميّة ؟ وما علمه بالحدود الخفيّة ؟ وما علمه بإصلاح سقطات الكلام ، وأسقاط الناسخين للكتب ؟ وما علمُه ببعض الخطرفة لبعض المقدّمات ؟ وقد علمنا أنَّ المقدِّمات لابدَّ أنْ تكون اضطراريّة ، ولا بدَّ أن تكون مرتَّبةً ، وكالخيط الممدود[1] . وابنُ البطريق وابن قرّة[2] لايفهمان هذا موصوفاً منزَّلا ، ومرتَّباً مفصَّلا ، من معلِّمٍ رفيقٍ ، ومن حاذقٍ طَبٍّ ؛ فكيف بكتابٍ قد تداولتْــه اللغاتُ واختلافُ الأقلام ، وأجناسُ خطوطِ المِلل والأمم ؟ !

ولو كان الحاذقُ بلسان اليونانيِّين يرمى إلى الحاذق بلسان العربيّة ، ثم كان العربىُّ مقصِّرًا عن مقدار بلاغة اليونانىّ ، لم يجد المعنى والناقل التقصير ، ولم يَجِد اليونانىُّ الذى لم يرضَ بمقدار بلاغته فى لسان العربيّة بُدًّا من الاغتفار والتجاوز ، ثمّ يصير إلى ما يعرض من الآفات لأصناف الناسخين ؛ وذلك أن نسختَه لا يَعدَمها الخطأ ، ثمَّ ينسخُ له من تلك النسخة

---

(١) فى ط : « كالخط المنحور » وقد كتبت بدله مافى ل .

(٢) فى الأصل : « وأبو قرة » .

مَن يزيده من الخطأ الذى يجده فى النسخة ، ثمّ لاينقص منه ، ثم يعارِض بذلك مَن يترك ذلك المقدار من الخطأ على حاله ، إذا كان ليس من طاقته إصلاحُ السَّقَط الذى لايجدُه فى نسخته .

(مشقة تصحيح الكتب)

ولربَّما أراد مؤلِّف الكتاب أن يصلح تصحيفاً ، أو كلمةً ساقطة ، فيكون إنشاء عشرِ ورقاتٍ [1] من حرِّ اللفظ وشريفِ المعانى ، أيسرَ عليه من إتمام ذلك النقص ، حتى يردَّه إلى موضعه من اتِّصال الكلام ؛ فكيف يُطيق ذلك المعارض المستأجَر ، والحكيمُ نفسهُ قد أعجزه هذا الباب ! وأعجب من ذلك أنَّه يأخذ بأمرَين : قد أصلحَ الفاسدَ وزاد الصالحَ صَلاحا . ثم يصير هذا الكتاب بعد ذلك نسخةً لإنسانٍ آخَر ، فيسير فيه الورَّاقُ الثانى سيرةَ الورَّاق الأوّل ؛ ولا يزال الكتابُ تتداوله الأيدى الجانية ، والأعْرَاض المفسِدة [2] ، حتَّى يصير غَلَطًا صِرفاً ، وكذِبا مصَمتا ، فما ظنُّكم بكتابٍ تتعاقبه المترجمون بالإفساد ، وتتعاوره الخطَّاط بشرٍّ من ذلك أو بمثله ، كتابٍ متقادِم الميلاد ، دُهْرِىّ الصنعة !

(بين أنصار الكتب وأنصار الشعر)

قالوا : فكيف تكون هذه الكتبُ أنفعَ لأهلها من الشعر المقفَّى ؟

قال الآخر : إذا كان الأمرُ على ما قلتم ، والشأنُ على مانزَّلتم ، أليس

---

(١) فى ط : « أنشأ عشر ورقات » وتصحيحه من ل .

(٢) فى ط : « الأغراض المفسدة » وتوجيهه من ل .

معلوماً أنَّ شيئاً هذه بقيَّتُهُ وفضلتُه وسُؤْرُه وصُبَابته ، وهذا مظهرُ حاله على شدَّة الضيم ، وثبات قوته على ذلك الفسادِ وتداوُلِ النقص ، حريٌّ بالتعظيم ، وحقيقٌ بالتفضيلِ على البنيان[1] ، والتقديمِ على شعرٍ إن هو حُوِّل تهافَتَ ، ونفعُه مقصورٌ على أهله ، وهو يُعدُّ من الأدب المقصور ، وليسَ بالمبسوط ، ومن المنافع الاصطلاحيَّة وليست بحقيقة بيِّنة[2] . وكلُّ شيءٍ في العالم من الصناعات والأرفاق والآلات ، فهي موجودات[3] في هذه الكتبِ دونَ الأشعار ، وهاهنا كتبٌ هيَ بيننَا وبينكم ، مثل كتاب أُقليدِس ، ومثل كتاب جالينوس ، ومثل المجسْطي[4] ، ممّا تولّاه الحجَّاج[5] ،
٤١ وكتبٌ كثيرةٌ لا تحصى فيها بلاغٌ للناس ، وإن كانت مختلفة ومنقوصة مظلومة ومغيَّرة[6] ، فالباقي كافٍ شافٍ ، والغائب منها كان تكميلاً لتسلُّط الطبائع الكاملة .

فأما فضيلة الشعر فعلى ما حكينا ، ومنتهى نفعِه إلى حيث انتهى بنا القول[7] .

---

(١) في ط : « على البيان » وإنما هو « البنيان » كما يفهم من سياق الكلام وكما في ل .

(٢) في ط : « وليست بحقيقته بينة » وصوابه في ل .

(٣) في ط : « فهي جودات » وأصلحت تشويه العبارة من ل .

(٤) في ط : « المجشطي » بالشين ، وإنما هو « المجسطي » كتاب بطليموس ، وقد قام بترجمته كثير من النقلة قالوا : وصحح المأمون كثيرا من حسابه وأقيسته لمحيط الأرض والدرجة الأرضية ، فكان أرصاد علمائه أول أرصاد في الإسلام ، وسموا مجموع أرصادهم « الرصد المأموني » .

(٥) هو الحجاج بن يوسف بن مطر الكوفي ، كما في إخبار العلماء للقفطي ٤٦ — ٤٧ .

(٦) في الأصل : « ومفسرة » .

(٧) في ط « بناء القول » وصحته في ل .

وحسْبُك ما في أيدي الناس من كتب الحساب ، والطبّ ، والمنطق ، والهندسة ، ومعرفةِ اللُّحون ، والفِلاحة ، والتِّجارة ، وأبواب الأصباغ . والعِطر ، والأطعمة ، والآلات . وهم أتوكم بالحكمة ، وبالمنفعة التى فى الحمَّامات وفى الأصطرلابات ، والقَرِسطونات[1] وآلات معرفة الساعات ، وصنعة الزجاج والفُسَيفِساء[2] ، والأسرنج[3] والزنجفور[4] واللازَوَرد[5] والأشربة ، والأنْبَجَات[6] ، والأيارجات[7] ولكم الميتا ، والنشادر

(١) هذا اللفظ وجدته فى رسالة الجاحظ إلى الفتح بن خاقان فى مناقب الترك (هامش الكامل ١ : ٢٦٢) قال : « وصاغوا من المنافع كالقرسطونات والقبانات . . » الخ ووجدته فى كتاب التربيع والتدوير له أيضا ص ١٣٨ طبع الساسى قال : « وخبرنى عن القرسطون كيف أخرج أحد رأسيه ثلاثمائة رطل زاد ذلك أم نقص ووزن جميعه ثلاثون رطلا زاد ذلك أو نقص » ويفهم من قرنه بكلمة (القبان) وهى الميزان ومن وصفه فى العبارة الثانية ، أنه ضرب من الموازين ، وهو الذى يسميه العامة عندنا فى مصر (القبانى) . وانظر النزهة المبهجة لداود ١ : ١٥ .

(٢) الفسيفساء : ألوان من الخرز تركب فى حيطان البيوت من داخل .

(٣) قال الخوارزمى فى مفاتيح العلوم ١٤٩ : الأسرنج : أسرب يحرق ، ويشب عليه النار حتى يحمر .

(٤) رسمت هذه الكلمة فى القاموس وفى مفاتيح العلوم برسم « الزنجفر » جاء فى الأول : صبغ معروف . . وجاء فى الثانى : أنه يتخذ من الزئبق والكبريت ، يجمعان فى قوارير ، ويوقد عليها ، فيصير زنجفرا . . قال الخوارزمى : والوزن أن تأخذ واحدا من زئبق ، وواحدا من كبريت .

(٥) الخوارزمى ١٤٨ : هو حجر فيه عيون براقة يتخذ منها خرز .

(٦) الأنبجات : جمع أنبج ، قال الخليل : حمل شجرة بالهند ، يربب بالعسل على خلقة الخوخ ، محرف الرأس ، فى جوفه نواة كنواة الخوخ . وقال الخوارزمى فى مفاتيح العلوم ١٠٤ : فمن هنا تسمى الانبجات ، وهى التى ربيت بالعسل من الأترج والإهليلج ، ونحو ذلك . اهـ وهى فى ط « الأنبجاث » بالثاء وهو تصحيف .

(٧) فى الأصل « الافشارجات » وإنما هى « الأيارجات » قال فى القاموس : والأيارجة بالكسر وفتح الراء ، معجون مسهل معروف ، جمعه أيارج معرب إيارة ، وتفسيره الدواء الإلهى . وانظر مفاتيح العلوم للخوارزمى ١٠٤ س ٤ .

والشَّبَه[1] وتعليق الحيطان والأساطين ، وردُّ ما مال منها إلى التقويم . وطم صبُّ الزردج ، واستخراج النَّشَا سْتَج[2] ، وتعليق الخَيش ، واتِّخاذ الجمَّازات[3] ، وعمل الحَرَّاقات[4] ، واستخراج شراب الداذِيّ[5] وعمل الدَّبابات[6] .

(ما ابتدعه الحجاج من السفن والمحامل)

وكان الحجَّاجُ أوّلَ مَن أجرى فى البحر السفن المقيَّرة المسمَّرة غيرَ المخرَّزة ، والمدهونة والمسطَّحة ، وغيرَ ذواتِ الجؤجؤ ؛ وكان أوَّلَ مَن عمِل المحامل . ولذا قال بعضُ رُجَّاز الأكرياء[7] :

أوَّل خَلْقٍ عَمِلَ المحامِلا أخزَاهُ ربِّى عاجلاً وآجِلا

وقال آخر :

شَيَّبَ أصداغِى فهُنَّ بيضُ مَحَامِلٌ لِقدِّها نَقِيضُ[8]

وقال آخر[9] :

---

(١) فى ط : « الشب » وتصحيحه من ل . والشبه والشبهان محركتين : النحاس الأصفر . هذا قول الفيروزبادى . وانظر التفسير الآتى .

(٢) فى ط : « النستاستج » وهو تحريف مافى ل . قال فى القاموس « والنشا وقد يمد : النشاستج معرب حذف شطره » والنشا معروف .

(٣) سيفسرها الجاحظ قريبا .

(٤) الحراقات : سفن فيها مرامى نيران ، يرمى بها العدو .

(٥) قال الفيروزبادى ، الداذى : شراب للفساق .

(٦) فى ل « الزرياب » وهو الذهب أوماؤه معرب . وأما الدبابات فجمع دبابة ، قالوا إنها آلة تتخذ للحرب ، فتدفع فى أصل الحصن فينقبونه وهم فى جوفها .

(٧) مثل هذا الكلام فى البيان ٢ : ٣٠٣ .

(٨) الرجز وسابقه فى البيان ٢ : ٣٠٤ .

(٩) هو رجل من فقيم ، كما فى اللسان (فرض) .

شيَّب أصداغِى فهن بيَّضُ محَامِلٌ فيها رجال قبَّضُ
لو يتكون سنة لم يغرضوا

وقال القوم : لولا ما عرَّفوكم من أبواب الحُمْلانات[1] لم تعرفوا صنعة الشَبَه ، ولولا غَضارُ الصين على وجه الأرض لم تعرفوا الغَضار . على أنَّ ٱلذى عَمِلْتُمُ[2] ظاهرٌ فيه التوليد، منقوصُ المنفعة عن تمام الصِّينىّ . وعلى أن الشَّبَهَ لم تستخرجوه ، وإنَّما ذلك من الأُمور التى وقعت اتّفاقاً ، لسقوط الناطف[3] من يد الأجير فى الصُّفْر ٱلذائب ، فخِفتم إفساده ، فلَمَّا رأيتم ما أعطاه من اللون عَمِلْتُم[4] فى الزيادة والنقصان ، وكذلك جميعُ ما تهيَّأ لكم ، ولستم تخرُجون فى ذلك من أحدِ أمرَين : إمَّا أن تكونوا استعملتم الاشتقاق من علمِ ما أورثوكم ، وإمّا أن يكون ذلك تهيَّأ لكم من طريق الاتِّفاق ! !

(الجمازات)

وقد علمتم أنَّ أوَّلَ شأن الجَمَّازَاتِ ، أنَّ أُمَّ جعفر أمرت الرحَّالِينَ أن يَزيدُوا فى سيرِ النجيبة[5] التى كانت عليها ، وخافت فوتَ الرشيد ، ٤٢
فلما حُرِّكت مشَت ضروباً من المشى ، وصنوفا من السير[6] ، فجَمزت فى

(١) فى القاموس : الحملان فى اصطلاح الصاغة : مايحمل على الدراهم من الغش .
(٢) فى ط : « علمتم » وهو تحريف .
(٣) الناطف : ضرب من الحلوى. انظر حواشى ٣ : ٣٧٦ .
(٤) فى ط : « علمتم » .
(٥) فى ل : « البختية » .
(٦) فى ل : « وضروبا من المرفوع » .

خلال ذلك ، ووافقت امرأةً تحسن الاختيار ، وتفهم الأمور ، فوجدت لذلك الجمزِ راحةً ، ومع الراحة لذّة ، فأمرتْهم أن يسيروا بها فى تلك السِّيرة ، فما زالوا يقرِّبون ويبعِّدون ، ويخطئون ويصيبون ، وهى فى كلِّ ذلك تصوِّبهم وتخطئُهم على قدر ما عرفَتْ ، حتى شَدَوا من معرفة ذلك ما شَدَوا ، ثمَّ إنّها فرّغتهم لإتمام ذلك حتى تمَّ واستوى . وكذلك لا يخلو جميعُ أمركم ، من أن يكون اتِّفاقاً ، أو اتِّباعَ أثر .

(الترغيب فى اصطناع الكتاب)

ثم رجع بنا القولُ إلى الترغيب فى اصطناع الكتاب ، والاحتجاجِ على مَنْ زَرَى(١) على واضِع الكتب ، فأقول : إنّ من شكر النعمة فى معرفة مغاوى الناس ومَرَاشِدِهم ، ومضارِّهم ومنافِعهم ، أن يُحْتَمَلَ ثِقْلُ مئونتهم فى تقويمهم ، وأن يُتَوَخَّى إرشادُهم وإن جهِلوا فضلَ ما يُسْدَى إليهم ؛ فلن يُصَانَ العلمُ بمثل بذْله ، ولن تُستَبقى النعمةُ فيه بمثل نشره . على أنَّ قراءةَ الكتبِ أبلغُ فى إرشادهم من تلاقيهم ؛ إذ كان مع التّلاقى يشتدُّ التصنُّع ، ويكثُر التظالُم ، وتُفرط العصبيّة ، وتقوَى الحَمِيَّة ؛ وعند المواجَهةِ والمقابلَة ، يشتدُّ حبُّ الغلَبة ، وشهوةُ المباهاةِ والرياسة ، مع الاستحياء من الرجوع ، والأنفةِ من الخضوع ؛ وعن جميعِ ذلك تحدُث الضغائن ، ويظهرُ التباين . وإذا كانت القلوبُ على هذه الصِّفةِ وعلى هذه

---

(١) أثبت ما فى ل ، وهى فى ط : « ذرى » مصحفة . وزرى عليه كأزرى : عابه ، والأول أكثر .

الهيئة ، امتنعتْ من التعرُّف ، وعميت عن مواضع الدلالة ، وليست في الكتب عِلَّةٌ تمنَع من دَرْك البُغْية ، وإصابة الحجَّة ، لأنَّ المتوحِّد بِدَرْسها[1] ، والمنفرد بفهم معانيها ، لا يباهي نفسَه ولا يغالب عقلَه ، وقد عَدِم مَنْ له يُباهي وَمِنْ أجله يغالب .

(الكتاب قد يفضل صاحبه)

والكتابُ قد يفضُل صاحبَه ، ويتقدَّم مؤلِّفَه ، ويرجِّح قلمَه على لسانِه بأمور : منها أنّ الكتابَ يُقرأ بكلِّ مكان ، ويظهرُ ما فيه على كلِّ لسان ، ويُوجَد مع كلِّ زمان ، على تفاوُتِ ما بينَ الأعصار ، وتباعُدِ ما بين الأمصار ؛ وذلك أمرٌ يستحيل في واضع الكتاب ، والمنازع[2] في المسألة والجواب . ومناقلةُ اللسان وهدايته لا تجوزان[3] مجلسَ صاحبه ، ومبلغَ صوتِه . وقد يذهب الحكيمُ وتبقى كتبُه ، ويذهب العقلُ ويبقى أثره . ولولا ما أودعت لنا الأوائلُ في كتبها ، وخلَّدت من عجيبِ حكمتها ، ودوَّنت من أنواعِ سِيَرِها ، حتَّى شاهدنا بها ما غاب عنَّا ، وفتحنا بها كلَّ مستغلق كان علينا ، فجمَعنا إلى قليلِنا كثيرَهم ، وأدركْنا ما لم نكن ٤٣
ندركُه إلاّ بهم ، لقد خسَّ[4] حظنا من الحكمة ، ولضعف سَبَبُنا إلى المعرفة . ولو لجأنا إلى قدر قوَّتنا ، ومبلغ خواطرِنا ، ومنتهى تجارِبنا

---

(١) في ط : « يدرسها » و « يفهم » والوجه ما كتبت من ل .

(٢) في ط : « والمتنازع » .

(٣) في ط : « لايجوزان » .

(٤) في ط : « لما حسن » والعبارتان صحيحتان ، ولعل أفضلهما ماأثبته من ل .

لما تدركه حواسُّنا ، وتشاهدُه نفوسنا ، لقلَّت المعرفةُ ، وسَقَطت الهمّة ، وارتفعت العزيمة ، وعاد الرأيُ عقيماً ، والخاطر فاسداً ؛ ولَكلَّ الحدُّ وتبلَّد العقل .

(أفضل الكتب)

وأكثرُ مِنْ كتبٍ م نفعاً ، وأشرف منها خَطَرا ، وأحسنُ موقعا ، كتُبُ ٱللهِ تعالى ، فيها الهُدَى والرحمة ، والإخبارُ عن كلِّ حكمة ، وتعريفُ كلِّ سيِّئةٍ وحسَنة . وما زالت كتبُ ٱلله تعالى فى الألواحِ والصُّحُف ، والمهارِق(١) والمصاحِف . وقال ٱلله عزَّ وجلَّ ﴿الم ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ . وقال ﴿مَا فَرَّطْنَا فى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ﴾ . ويقال لأَهل التَّوراةِ والإنْجيل : أهلُ الكِتاب .

(مواصلة السير فى خدمة العلم)

وينبغى أن يكونَ سبيلُنا لِمَنْ بعدَنا ، كسبيلِ مَن كان قبلنا فينا . على أنَّا وقد وجدْنا من العبرة أكثرَ ممَّا وجدوا ، كما أنَّ مَن بعدَنا يجدُ من العِبرة أكثرَ ممَّا وجدْنا . فما ينتظر العالمُ بإظهار ما عندَه ، وما يمنَع الناصرَ للحقِّ من القيامِ بما يلزمُه ، وقد أمكن القولُ وصلَح الدهرُ وخَوى نجم التَّقِيَّة(٢) ،

---

(١) فى ط : « المحار » وهو تحريف صوابه فى ل .

(٢) فى ل : « حوى نجم التقية » وفى ط « حوى نجم التقيد » وقد أصلحت العبارتين بما ترى. وخوى النجم : اختفى وذهب ، وأصله من خوت الدار : تهدمت . والتقية : الحذر والخوف .

وهَبَّتْ رِيحُ العلماء ، وكسَدَ العِيُّ والجهل ، وقامت سوقُ البيان والعلم ؟ !

وليس يجدُ الإنسانُ فى كل حينٍ إنساناً يدرِّبه ، ومقوِّما يثقِّفه . والصبرُ على إفهام الريِّض شديد ، وصرفُ النفسِ عن مغالبة العالم أشدُّ منه ، والمتعلِّم يجدُ فى كلِّ مكانٍ الكتابَ عتيداً ، وبما يحتاج إليه قائما وما أكثرَ مَن فرَّط فى التعليم أيَّام خُمولِ ذكره ، وأيَّام حَداثةِ سنِّه ! ! ولولا جِيادُ الكتبِ وحسَنُها ، ومُبَيِّنُها ومختَصَرها ، لَمَا تحرَّكت هممُ هؤلاءِ لطلب العلم ، ونزعت إلى حبِّ الأدب ، وأنِفَتْ من حالِ الجهل ، وأن تكون فى غِمار الحَشْو ، ولَدخل على هؤلاء من الخللِ والمضرَّة ، ومن الجهل وسوء الحال ، ما عسى ألا يمكن الإخبارُ عن مقداره ، إلّا بالكلام الكثير ، ولذلك قال عمرُ رضى الله تعالى عنه : « تفقَّهوا قبلَ أن تسودوا » .

(كتب أبى حنيفة)

وقد تجدُ الرجلَ يطلبُ الآثارَ وتأويلَ القرآن ، ويجالس الفقهاء خمسين عاماً ، وهو لايُعدُّ فقيهاً ، ولا يُجعَل قاضيا ، فما هو إلّا أن ينظرَ فى كتبِ أبى حنيفة ، وأشباه أبى حنيفة ، ويحفَظَ كتبَ الشروط فى مقدارِ سنةٍ أو سنتين ، حتى تمرَّ ببابه فتظنَّ أنّه من بعضِ العُمَّال[1] ، وبالحَرَا[2] ٤٤ ألّا يمرَّ عليه من الأيّام إلّا اليسير ، حتَّى يصير حاكماً على مصرٍ من الأمصار ، أو بلدٍ من البلدان .

---

(١) فى ل : « باب بعض العمال » والعبارتان سليمتان .

(٢) رسمت هذه الكلمة بالياء المشددة فى المطبوعة وهو خطأ . وإنما هى « الحرا » بالألف . قال صاحب القاموس « والحرا : الخليق . ومنه بالحرا أن يكون ذاك ، وإنه لحرى بكذا وحرى كغنى وحر ، والأولى لاتثنى ولا تجمع » .

(وجوب العناية بتنقيح المؤلفات)

وينبغي لمن كَتَبَ كتاباً ألا يكتُبَه إلّا على أنَّ النّاس كلَّهم له أعداء ، وكلُّهم عالمٌ بالأمور ، وكلُّهم متفرِّغ له ؛ ثمَّ لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه غُفْلا ، ولا يرضى بالرأى الفطير ؛ فإنَّ لابتداء الكتابِ فتنةً وعُجْباً ، فإذا سكنت الطبيعةُ وهدأت الحركة ، وتراجَعَتِ الأَخلاطُ ، وعادت النفسُ وافرة ، أعاد النَّظرَ فيه ، فيَتَوَقَّفُ عند فصوله توقُّفَ من يكونُ وزنُ طمَعُه[1] فى السلامة أنقَصَ من وزنِ خوفِه من العيب ، ويتفهَّم معنى قولِ الشاعرِ[2] :

إنَّ الحديثَ تَغُرُّ القومَ خلوتُه   حتَّى يَلِجَّ بهم عِيٌّ وإكثارُ

ويقفُ عند قولهم فى المثل : « كلُّ مُجْرٍ فى الخلاءِ يُسَرُّ[3] » فيخاف أن يعترَيه ما اعترى مَنْ أجرى فرسَه وحدَه ، أو خلا بعلمه عند فقدِ خصومه وأهلِ المنزلةِ من أهل صناعته .

(تداعى المعانى فى التأليف)

وليعلم أنَّ صاحبَ القلمِ يعتريه ما يعترى المؤدِّبَ عند ضربه وعقابه ،

---

(١) فى الأصل : « طبعه » .

(٢) هو ابن هرمة كما فى رسالة الوكلاء للجاحظ ١٧١ ساسى والبيت كذلك فى البيان ١ : ٢٠٣ وأدب الكتاب للصولى ١٥٧ . وقد رواه الصولى برواية أخرى فانظره .

(٣) جاء فى البيان ١ : ٢٠٣ « وفى المثل المضروب كل مجر فى الخلاء مسر ، ولم يقولوا مسرور . وكل صواب » . والوجه فى المثل « يسر » كما هو هنا وكما فى الميدانى ٢ : ٧٣ وانظر أصل المثل فيه .

فَمَا أكثر من يَعزِم على خمسةِ أسواط فيضرب مائة ؟ ! لأنَّه ابتدأ الضربَ وهو ساكنُ الطباع ، فأراه السكونُ أنَّ الصواب فى الإقلال ، فلما ضرب تحرَّك دمُه ، فأشاع فيه الحرارةَ فزادَ فى غضبه ، فأراه الغضبُ أنّ الرأى فى الإكثار . وكذلك صاحب القلم ؛ فمَا أكثرَ من يبتدئ الكتابَ وهو يُريد مقدارَ سطرين ، فيكتب عشرة ! والحفظُ مع الإقلال أمكَن ، وهو مع الإكثار أبعَد .

(مقايسة بين الولد والكتاب)

واعلم أنَّ العاقلَ إنْ لم يكن بالمتتبِّع ، فكثيراً مايعتريه ما يعتريه من ولده ، أنْ يحسُنَ فى عينه منه المقبَّحُ فى عين غيره ، فليعلمْ أنَّ لفظَه أقربُ نسباً منه مِن ابنه ، وحركَتَه أمسُّ به رِحْماً من ولَده ؛ لأنَّ حركتَه شىءٌ أحدثَه من نفسه وبذاتِهِ ، ومن عين جوهرِه فَصَلَت[1] ، ومن نفسهِ كانت ؛ وإنَّما الولدُ كالمَخْطَةِ يتمخَّطها ، والنُّخامةِ يقذفها ، ولا سواءٌ إخراجُك مِنْ جزئك شيئا لم يكن منك ، وإظهارُك حركةً لم تكن حتَّى كانت منك . ولذلك تجدُ فتنةَ الرجُل بشِعرِه ، وفتنَتَه بكلامِه وكتبِه ، فوقَ فتنته بجميعِ نعمته .

(ما ينبغى أن تكون عليه لغة الكتب)

وليس الكتابُ إلى شىءٍ أحوجَ منه إلى إفهام معانيه ، حتَّى لايحتاج

---

(١) فى ط : « وبداءته من عين جوهره فعلت ». وإصلاح العبارة وإتمامها من ل .

السامع لما فيه من الرويَّة ، ويحتاجُ مِنَ اللفظ إلى مقدارٍ يرتفع به عَنْ ألفاظ السِّفْلَةِ والحشو[١] ، ويحطُّه من غريب الأعراب ووَحْشِيِّ الكلام ، ٤٥ وليس له أَنْ يهذِّبَه جدًّا ، وينقِّحَه ويصفِّيه ويروِّقه ، حتى لاينطِقَ إلّا بِلُبِّ اللُّبِّ ، وباللفظ الذى قد حذف فُضُولَه ، وأسقَطَ زوائِدَه[٢] ، حتَّى عاد خالصاً لاشَوْب فيه ؛ فإنّه إنْ فعل ذلك ، لم يُفْهَمْ عنه إلّا بأن يجدِّد لهم إفهاماً مِرَارا وتَكراراً ، لأنَّ النَّاسَ كلَّهم قد تعوَّدُوا المبسوطَ من الكلام ، وصارت أفهامُهم لاتزيد على عاداتهم إلّا بأن يعكس عليها ويؤخذ بها . ألا تَرَى أَنَّ كتاب المنطق الذى قد وُسِم بهذا الاسم ، لو قرأتَه على جميعِ خطباء الأمصار وبلغاءِ الأعراب ، لما فهموا أكثرَه ، وفى كتاب أُقليدِسَ كلامٌ يدور ، وهو عربيٌّ وقد صُفِّى ، ولو سمِعه بعضُ الخطباء لما فهمه ، ولا يمكن أن يفهِّمه من يريد تعليمه ، لأنَّه يحتاج إلى أن يكون قد عرَف جهةَ الأمر ، وتعودَّ اللفظ المنطقيَّ[٣] الذى استُخرِج من جميع الكلام .

(قول صحار العبدى فى الإيجاز ، ونقده)

قال معاويةُ بن أبى سفيان ، رضى الله تعالى عنهما ، لصُحَارٍ العبدى[٤] :

---

(١) فى ط : « الحشوة » وكلاهما صحيح ومعناها : صغار الناس وأسقاطهم .

(٢) فى ل : « وتعرف زوائده » .

(٣) فى ط : « وتعود للفظ المنطق » وهو تحريف .

(٤) هو صحار بن عياش — وقيل ابن عباس — بن شراحيل بن منقذ العبدى من بنى عبد القيس . خطيب مفوه كان من شيعة عثمان ، له صحبة وأخبار حسنة ، وكان نسابة ، توفى نحو سنة ٤٠ هـ . الإصابة ٤٠٣٦ والاشتقاق ٢٠١ .

ما الإيجاز ؟ قال : أَنْ تجيبَ فلا تبطئ ، وتقولَ فلا تخطئ . قال معاوية : أوكذلك تقول ! ! قال صحار : أَقِلْنِي يا أميرَ المؤمنين ! لا تخطئ ولا تبطئ .

فلو أَنَّ سائلاً سأَلك عن الإيجاز ، فقلت : لا تخطئ ولا تبطئ ، وبحضرتك خالدُ بنُ صفوان(١) ، لماَ عرَف بالبديهة وعندَ أَوَّلِ وهلة ، أَنَّ قولَك « لا تخطئ » متضمِّنٌ بالقول ، وقولَك « لا تبطئ » متضمِّن بالجواب . وهذا حديثٌ كما ترى آثروه ورَضُوه ، ولو أن قائلاً قال لبعضنا : ما الإيجاز ؟ لظننتُ أنّه يقول : الاختصار .

(حقيقة الإيجاز)

والإيجاز ليس يُعنَى به قلَّةُ عددِ الحروفِ واللفظِ ، وقد يكونُ البابُ من الكلام مَنْ أتى عليه فيما يسع بطن طُومارٍ(٢) فقد أوجز ، وكذلك الإطالة ، وإنَّمَا ينبغي له أن يحذف بقدرِ مالا يكون سبباً لإغلاقه ، ولا يردِّد وهو يَكتفِي في الإفهام بشِطره(٣) ، فما فضَل عن المقدار فهو الخطل .

(استغلاق كتب أبي الحسن الأخفش)

وقلتُ لأَبي الحسن الأَخفش : أنت أعلمُ الناسِ بالنَّحو ، فلم لا تجعَلُ

---

(١) هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم التميمي المنقري ، كان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك ، نشأ بالبصرة ، وكان أكثر أهلها مالا ، ولم يتزوج ، توفي نحو سنة ١١٥ هـ .

(٢) الطومار والطامور : الصحيفة ، جمعه طوامير .

(٣) في ط : « ولا لترداده وهو يكتفي من الإفهام بشطاره » وعدلت القول من ل .

كتبك مفهومة كلَّها ، وما بالُنا نفهمُ بعضَها ولا نفهم أكثرها ، وما بالُك تقدِّم بعضَ العويصِ وتؤخِّر بعض المفهوم ؟ ! قال : أنا رجلٌ لم أضَعْ كتبي هذه لله ، وليست هي من كتبِ الدين ، ولو وضعتُها هذا الوضع[1] الذي تدعُونى إليه ، قلَّت حاجاتُهم إلىَّ فيها ، وإنَّما كانت غايتى المَنَالة ، فأنا أضعُ بعضَها هذا الوضع[1] المفهومَ ، لتدعوَهم حلاوةُ ما فهِموا إلى التماس فهْمِ مالم يفهموا ، وإنَّما قد كسَبتُ فى هذا التدبير ، إذ كنتُ إلى التكسُّب ذهبت ، ولكنْ ما بالُ إبراهيمَ النظَّامِ ، وفلانٍ وفلان ،
٤٦ يكتبون الكتبَ لله بزعْمِهم ، ثم يأخذُها مثلى فى مواقفته[2] ، وحُسْنِ نظَره ، وشدَّةِ عنايته ، ولا يفهمُ أكثرَها ؟ !

وأقول : لو أنَّ يوسفَ السَّمْتيَّ ، كتب هذه الشروطَ ، أيَّامَ جلسَ سَلمان ابن رَبيعة[3] شهرين للقضاء ، فلم يتقدَّم إليه رجُلان ، والقلوب سليمةٌ والحقوقُ على أهلِها موفَّرة ، لكان ذلك خطلاً ولغوًا ؛ ولو كتبَ فى دهره شروطَ سَلمان ، لكان ذلك غَرارةً ونقصا ، وجهلاً بالسياسة ، وبما يصلحُ فى كلِّ دهر .

(مواضع الإسهاب)

ووجدنا الناسَ إذا خطبُوا فى صلحٍ بين العشائر أطالوا ، وإذا أنشدوا

---

(١) بدلها فى ط : « الموضع » والوجه ماأثبت من ل .

(٢) فى ط : « موافقته » والوجه مافى ل . والمواقفة : الخصومة والجدال .

(٣) هو سلمان بن ربيعة بن يزيد الباهلى الصحابى ، من القادة القضاة ، استقضاه عمر على الكوفة ، ثم ولى غزو أرمينية فى زمن عثمان ، وقتل فيها سنة ٣٠ هـ .

الشعر بين السِّماطين فى مديح الملوك أطالوا . وللإطالة موضعٌ وليس ذلك بخطَل ، وللإقلال موضعٌ وليس ذلك من عَجْز .

ولولا أنِّى أتّـكل على أنَّك لا تملُّ بابَ القولِ فى البعير حتَّى تخرجَ إلى الفيل ، وفى الذَّرَّة[1] حتَّى تخرجَ إلى البعوضة ، وفى العقربِ حتَّى تخرجَ إلى الحيَّة ، وفى الرجل حتَّى تخرجَ إلى المرأة ، وفى الذِّبان والنحل[2] حتى تخرج إلى الغِرْبان والعِقْبان ، وفى الـكلبِ حتَّى تخرجَ إلى الديك ، وفى الذئب حتَّى تخرجَ إلى السبُع ، وفى الظِّلفِ حتَّى تخرجَ إلى الحافر ، وفى الحافر حتَّى تخرجَ إلى الخُفّ ، وفى الخفّ حتَّى تخرجَ إلى البُرْثُنِ ، وفى البرْثُنِ حتَّى تخرجَ إلى المخلَب ، وكذلك القول فى الطيرِ وعامَّةِ الأَصناف ، لَرأيتُ أنَّ جملة الـكتاب[3] ، وإنْ كثُر عددُ ورقه ، أَنَّ ذلك ليس مما يُمِلُّ ، ويُعتَدُّ علىَّ فيه بالإطالة ، لأَنَّه وإن كان كتاباً واحداً فإنّه كتبٌ كثيرة ، وكلُّ مُصحَفٍ منها فهو أمٌّ على حِدَة ، فإنْ أرادَ قراءةَ الجميع لم يَطُل عليه الباب الأَوَّلُ حتَّى يهجمَ على الثانى ، ولا الثانى حتَّى يهجمَ على الثالث ؛ فهو أبداً مستفيدٌ ومستَطْرِف ، وبعضُه يكون جَمَامًا لبعض ، ولا يزالُ نشاطُه زائداً . ومتى خرج مِنْ آى القرآن صارَ إلى الأَثَر ، ومتى خرج من أثر صار إلى خبر ، ثم يخرج من الخبر إلى شعر ، ومن الشعرِ إلى نوادر ، ومن النوادر إلى حكمٍ عقليّة ، ومقاييس سِداد[4] ، ثم لا يترك هذا البابَ ؛ ولعلّه

(١) فى ط : « الدرة » بالدال وإنما هى « الذرة » بالذال كما فى ل . والذر : ضرب من النمل صغار .

(٢) كذا فى ل . وفى ط : « وفى الذباب » فقط .

(٣) فى ط : « فرأيت أن جملة الـكتاب » .

(٤) فى الأصل : « شداد » والمقياس ينعت بالسداد لا بالشدة .

أن يكون أثقلَ ، والملالُ إليه أسرع ، حتّى يفضِىَ به إلى مزحٍ وفكاهة ، وإلى سُخْفٍ وخُرافة ، ولستُ أراه سُخفا ، إذ كنتُ إنما استعملتُ سِيرة الحكماء ، وآدابَ العلماء .

(مخاطبة العرب و بنى إسرائيل فى القرآن الكريم)

ورأينا ٱللّه تبارك وتعالى ، إذا خاطب العربَ والْأَعْرَابَ ، أخرجَ الكلامَ مُخْرَجَ الإشارة والوحى والحذف ، وإذا خاطَبَ بنى إسرائيل أو حكَى عنهم ، جعلَه مبسوطا ، وزاد فى الكلام . فأصوبُ العمل اتّباعُ
٤٧ آثار العلمَاء ، والاحتذاءُ على مثالِ القدماء ، والأَخذُ بما عليه الجماعة .

(أقوال لبعض الشعراء فى الكتب)

قال ٱبن يسير[١] فى صفةِ الكتب ، فى كلمةٍ له :

أقبلْتُ أهرُب لا آلو مُباعدةً فى الأَرض منهمْ فَلم يُحْصِنِّىَ الهربُ
بقصر أوسٍ فَمَا والت خنادِقُه ولا النواويسُ فالماخورُ فالخَرب[٢]
فأيَّمَا موئلٍ منها اعتصمتُ به فمِن ورائى حثيثاً منهمُ الطلبُ
لمَّا رأيتُ بأنى لستُ معجزَهم فوتاً ولا هَرَبًا ، قرَّبت أحتجِبُ

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٥٩ .

(٢) يبتدئ البيت فى ط بكلمة : « فقصر » وينتهى بكلمة « فالخرب » وقد أبدلتهما بما فى ل . وقصر أوس ، كان بالبصرة ، منسوب إلى أوس بن ثعلبة ، أحد الولاة الأمويين .

فصرتُ فى البيت مسروراً بهم جَذِلا ... جَارَ البراءة لا شكوَى ولا شَغَبُ (١)
فرداً يحدِّثنى الموتى وتنطِقُ لى ... عن علمِ ما غاب عنِّى منهمُ الكتبُ
هم مُؤْنِسون وأُلَّاف غَنِيتُ بهمْ ... فليس لى فى أنيسٍ غيرهم أَرَبُ
لِلّهِ من جُلَسَاءٍ لا جَليسهمُ ... ولا عشيرُهُمُ للسُّوءِ مرتَقِبُ
لا بادراتِ الأَذَى يخشَى رفيقُهمُ ... ولا يُلاقِيه منهمْ مَنْطِقٌ ذَرِبُ (٢)
أبقَوا لنَا حِكَماً تبقى منافعُهَا ... أُخْرَى اللياليِ على الأَيَّام وانشعبوا (٣)
فأيّما آدبٍ منهم مددتُ يدى ... إليه فهو قريبٌ من يَدِى كَثَبُ (٤)
إن شئتُ من مُحكَم الآثارِ يرفعُها ... إلى النبىِّ ثِقَاتٌ خِيرةٌ نُجُبُ
أو شئتُ من عَرَبٍ علماً بأوَّلِهم ... فى الجاهليَّة أنبتْنى به العرب (٥)
أو شئتُ مِنْ سِيَرِ الأَملاكِ مِنْ عَجَمٍ ... تُنْبِى وتُخْبِرُ كيف الرأىُ والأَدبُ
حتَّى كأنِّىَ قد شاهدتُ عصرَهُمُ ... وقد مضَتْ دونهم من دَهرِهم حِقَبُ
يا قائلاً قصُرَت فى العلم نُهيتُهُ (٦) ... أمسى إلى الجهل فيما قال ينتسِبُ
إنَّ الأَوائلَ قد بانوا بعلمهم ... خلافَ قولِك قد بانوا وَقدْ ذهبوا (٧)

---

(١) فى الأصول « به جذلا » والصواب « بهم » . وابن يسير هنا قد جعل للكتب ضمير جماعة العقلاء كما فى الأبيات الأول . وأما « جار البراءة » فهى ماصح لى من مقارنة مافى الأصول فهى فى ط : « جار البوأة » وفى س « جار البواءة » وفى ل « حاز البراءة » .

(٢) منطق ذرب : كلام حاد مزعج .

(٣) فى ط « والشعب » وصوابه فى ل .

(٤) فى ط « كتب » وهو تصحيف مافى ل . وكثب : قريب .

(٥) فى ط : « بها العرب » والضمير عائد إلى العلم .

(٦) النهية والنهى : العقل . وقد تستعمل النهى جمعا للنهية .

(٧) كذا فى ل . وفى ط :

إن الأوائل قد بانوا بعلمهم ... خلاف قولك مابانوا وما ذهبوا

وهذا البيت مقول القول فى البيت السابق ، والبيت الآتى رد على قول هذا القائل .

ما ماتَ منا امرؤ أبقَى لنا أدباً   نكونُ منه إذا ما ماتَ نكتسبُ(١)

وقال أبو وَجْزة(٢) وهو يصف صحيفةً كُتب له فيها بستِّينَ وَسْقًا :

راحَتْ بِستِّينَ وَسْقًا في حقيبتِها   ما حُمِّلَتْ حِمْلَها الأدنى ولا السَّدَدا

ما إنْ رأيتُ قلوصاً قبلَها حَمَلَتْ   ستِّينَ وَسقاً وما جابت به بلدَا(٣)

وقال الراجز :

٤٨ تَعَلَّمَنْ أنَّ الدواة والقلَمْ   تبقى ويُفْنِي حادثُ الدَّهر الغَنَمْ(٤)

يقول : كتابُكَ الذى تكتبُه علىَّ يبقى فتأخذنى به ، وتذهب غنمى فيما يذهب .

(نشر الأخبار فى العراق)

ومِمَّا يدلُّ على نفع الكتاب ، أنَّه لولا الكتابُ لم يجُزْ أن يعلمَ أهل الرَّقَّةِ والموصِلِ وَبغدادَ ووَاسط ، ما كان بالبصرة ، وما يحدث بالكوفة

---

(١) فى ط : « ماماتَ مثل امرئٍ » والوجه مافى ل .

(٢) فى ط : « أبو وجرة » بالراء وإنما هو بالزاى ، واسمه يزيد بن عبيد ، من بنى سعد بن بكر بن هوازن ، أظآر النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان شاعرا مجيدا ، وهو أول من شبب بعجوز . كذا قال ابن قتيبة فى ترجمته فى الشعراء ٦٨٤ . توفى أبو وجزة بالمدينة سنة ١٣٠ هـ .

(٣) فى ط : « جاءت » وصواب الرواية ما أثبته من ل ، س ومن الكامل ١٠٧ ليبسك ، وقد زاد المبرد بيتاً قبل الأول ، وآخر بعد الثانى . قال المبرد فى شرح البيت الأول : « إنما أراد مايوجب ستين وسقا ، لا أن الناقة حملت ستين وسقا » . وحديث الشعر فى الكامل ، ويفهم منه أن أبا وجزة امتدح آل الزبير ، فكتبوا إليه بستين وسقا من تمر وقالوا : هى لك عندنا فى كل سنة .

(٤) فى ط : « تعلمى أن » وصوابه فى ل .

فى بياضِ يوم ، حتَّى تكونَ الحادثةُ بالكوفةِ غُدوة ، فتعلمُ بها أهلُ البَصرة قبلَ المَساء .

[وذلك مشهورٌ فى الحمام الهدَّى، إذا جُعلت بُرُدا[1] ، قال الله جلّ وعزّ — وذكر سليمانَ وملكَه الذى لم يؤتِ أحداً مثلَه — فقال ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ إلى قوله ﴿أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ فلمْ يلبثْ أن قال الهُدْهُدُ ﴿جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ . إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ، وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ،وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ قال سليمان ﴿اذْهَبْ بِكِتَابِي هٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾ وقد كان عندَه مَن يبلِّغ الرسالةَ على تمامها ، مِن عِفريت ، ومِن بعض مَن عنده علمٌ من الكتاب ، فرأى أنَّ الكتابَ أبهى وأنبَلُ ، وأكرمُ وأفخَمُ من الرسالة عن ظهر لسان ، وإن أحاطَ بجميعِ مافى الكتاب . وقالت مَلكةُ سَبَأ ﴿يَا أَيُّهَا المَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ . فهذا مما يدلّ على قدْر اختيار الكتب .

(استخدام الكتابة فى أمور الدين والدنيا)

وقد يريد بعضُ الجِلَّةِ الكبارِ ، وبعضُ الأُدباءِ والحكماءِ ، أن يدعو بعضَ مَن يجرى مَجْراه فى سلطانٍ أوْ أدبٍ ، إلى مأدُبةٍ أو نِدام[2] ، أو خُروجٍ إلى متنزَّه ، أو بعض ما يشبهُ ذلك ، فلو شاءَ أن يبلِّغهُ الرسولُ

(١) جمع بريد . والكلام من مبدأ هذه الفقرة إلى ص ١٠٦ ساقط من جميع النسخ ، وأثبته من ل .

(٢) مصدر نادمه ، بمعنى جالسه على الشراب . والندام أيضا ، جمع النديم . ولكنه ليس مرادا هنا .

إرادته ومعناه ، لأصابَ مَن يُحسن الأداء ، ويصدُق في الإبلاغ ، فيرى أنّ الكتاب في ذلك أسرَى وأنبَه وأبلغ .

ولو شاء النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، ألاّ يكتبَ الكتبَ إلى كسرَى ، وقَيْصَرَ ، والنَّجَاشيِّ ، والمقوقس ، وإلى ابني الجُلَنْدَى(١) ، وإلى العباهلة من حمير ، وإلى هوذَة بن على ، وإلى الملوك والعظماء ، والسادة النجباء ، لفعل ، ولوجد المبلِّغَ المعصوم من الخطأ والتبديل ، ولكنّهُ عليه الصلاة والسلام ، عَلِم أنّ الكتابَ أشبهُ بتلك الحال ، وأليق بتلك المراتب ، وأبلغُ في تعظيم ما حواه الكتاب .

ولوشاء الله أن يجعَل البشارات على الألسنة بالمرسلين ، ولم يودعها الكتب لفعل ، ولكنه تعالى وعزّ ، علم أن ذلك أتمّ وأكمل ، وأجمع وأنبل .

وقد يكتب بعضٌ من له مرتبةٌ في سلطان أو ديانة ، إلى بعضٍ من يشاكله ، أو يجرى مجراه ، فلا يرضى بالكتاب حتّى يخزمه ويختمه ، وربّما لم يرض بذلك حتى يُعَنْوِنه ويعظمه . قال الله جلّ وعزّ ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى . وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ فذكر صحفَ موسى الموجودة ، وصحفَ إبراهيم البائدة المعدومة ، ليعرف الناسُ مقدارَ النفع ، والمصلحة في الكتب .

(نظام التوريث عند فلاسفة اليونانية)

قالوا : وكانت فلاسفة اليونانية ، تورث البنات العَين ، وتورث البنين الدين : وكانت تصل العجز بالكفاية ، والمئونة بالكلفة . وكانت تقول :

---

(١) الجلندى : اسم ملك عمان . وفي الأصل « بني الجلندى » والصواب ما أثبته عن الإصابة ١٣٠٥ والسيرة ٩٧١ . وابنا الجلندى هما جيفر — بوزن جعفر — وعياذ (أو عباد) .

لا تورثوا الابنَ من المال ، إلاّ ما يكونُ عوناً له على طلب المال ، واغذُوه بحلاوة العلم ، واطبَعوه على تعظيم الحكمة ، ليصير جمْع العلم أغلبَ عليه من جمع المال ، وليرى أنّه العُدَّة والعَتاد ، وأنّه أكرم مستفاد .

وكانوا يقولون : لا تورِّثوا الابن من المال إلاّ ما يسد الخلة ، ويكون له عونا على درك الفضول ، إن كان لابُدَّ من الفضول ؛ فإنَّه إن كان فاسداً زادت تلك الفضول فى فساده ، وإن كان صالحا كان فِيما أورثتموه من العلم وبقّيتم له من الكفاية ، مايكسبه الحال ، فإن الحال أفضل من المال ، ولأَنَّ المالَ لم يزَلْ تابعاً للحال ، وقد لا يتبع الحال المال . وصاحب الفضول بعرَض فساد ، وعلى شفا إضَاعة ، مع تمام الحُنكَة ، واجتماع القوَّة ، فما ظنُّكم بها مع غَرارة[1] الحداثة ، وسوء الاعتبار ، وقلة التجربة .

وكانوا يقولون : خير ميراثٍ ما أكسبك الأَركان الأَربعة ، وأحاط بأصول المنفعة ، وعجَّل لك حلاوة المحبَّة ، وبقّى لك الأحدوثة الحسنة ، وأعطاك عاجل الخير وآجله ، وظاهره وباطنه .

وليس يجمع ذلك إلاّ كرامُ الكتب النفيسة ، المشتملة على ينابيع العلم ، والجامعة لكنوز الأَدب ، ومعرفةِ الصناعات ، وفوائدِ الأَرفاق ، وحجج الدين الذى بصحته ، وعند وضوح برهانه ، تسكن النفوس ، وتثلج الصدور ، ويعود القلب معمورا ، والعزُّ راسخاً ، والأَصل فسيحاً[2] .

وهذه الكتب هى التى تزيد فى العقل وتشحذه ، وتداويه وتصلحه ، وتهذبه ، وتنفى الخَبَث عنه ، وتفيدك العلم ، وتصادق بينك وبين الحجَّة ، وتعوّدك الأَخذ بالثقة ، وتجلب الحالَ ، وتكسب المال .

---

(١) الغرارة : الغفلة وقلة التجريب . وفى الأصل الغزارة وهو تحريف .
(٢) كذا .

(وراثة الكتب)

ووراثة الكتب الشريفة، والأبواب الرفيعة ، منبهة للمورِّث ، وكنز عند الوارث ، إلا أنه كنز لا تجب فيه الزكاة ، ولا حقُّ السلطان . وإذا كانت الكنوز جامدة ، ينقصها ما أخذ منها ، كان ذلك الكنز مائعا يزيده ما أخذ منه ، ولا يزال بها المورِّث مذكوراً فى الحكماء ومنوَّها باسمه فى الأسماء ، وإماماً متبوعاً وعَلَمًا منصوبا ، فلا يزال الوارث محفوظاً، ومن أجله محبوبا ممنوعا ، ولا تزال تلك المحبَّة نامية ، ما كانت تلك الفوائد قائمة ؛ ولن تزال فوائدها موجودةً ماكانت الدار دار حاجة ، ولن يزال من تعظيمها فى القلوب أثر ، ماكان من فوائدها على الناس أثر .

وقالوا : من[1] ورَّثته كتابا ، وأودعته علما ، فقد ورثته ما يُغِل ولا يَستَغِلّ ، وقد ورثته الضيعة التى لا تحتاج إلى إثارة[2] ، ولا إلى سقى ، ولا إلى إسجال بإيغار[3] ، ولا إلى شرط ، ولا تحتاج إلى أكّار[4] ، ولا إلى أن تُثار[5] ، وليس عليها عُشر ، ولا للسلطان عليها خَرْج . وسواء أفدته علما أو ورثته آلة علم ، وسواءٌ دفعْتُك إليه الكفايةَ ، أو ما يجلب الكفاية . وإنما تجرى الأمور وتتصرف الأفعال على قدر الإمكان . فمن لم يقدر إلاّ على دفع السبب ، لم يجب عليه إحضار المسبَّب . فكتُب الآباء ، تحبيب للأحياء ، ومحى لذكر الموتى .

---

(١) فى الأصل : « متى » والوجه ماأثبت .

(٢) الإثارة هنا بمعنى الحرث .

(٣) أسجل له الأمر : أطلقه . وأوغر الملك الرجل الأرض : جعلها له من غير خراج .

(٤) الأكار هنا بمعنى الخبير من المخابرة (والمخابرة أن يزرع الرجل أرض غيره ، على أن يكون له النصف ونحوه مما تغل الأرض) .

(٥) قد سبق قوله « لاتحتاج إلى إثارة » فهو تكرار ، أو فى الكلام تحريف .

وقالوا : ومتى كان الأديب[1] جامعاً بارعا ، وكانت مواريثه كتباً بارعة وآدابا جامعة ، كان الولد أجدر أن يرى التعلُّم حظا ، وأجدر أن يسرع التعليمُ إليه ، ويرى تركه خطأ ، وأجدرَ أن يجرى من الأدب على طريق قد أُنهج له ، ومنهاج قد وطئ له ، وأجدرَ أن يسرى إليه عِرقٌ مَن نَجلَه ، وسقى من غرسه ، وأجدر أن يجعل بدل الطلب للكسْب[2] ، النظر فى الكتب ، فلا يأتى عليه من الأيّام مقدارُ الشغل بجمع الكتب ، والاختلاف فى سماع العلم ، إلا وقد بلغ بالكفاية وغاية الحاجة . وإنّما تُفسد الكفاية من [له][3] تمت آلاته[4] ، وتوافت إليه أسبابه . فأما الحدَث الغرير ، والمنقوص الفقير ، فخير مواريثه الكفاية إلى أن يبلغ التمام ، ويكمل الطلب . فخير ميراثٍ وُرّث كتبٌ وعلم ، وخير المورّثين من أورث ما يجمع ولا يفرّق ، ويبصّر ولا يُعمى ، ويُعطى ولا يأخذ ، ويجود بالكلّ دون البعض ، ويدع لك الكنزَ الذى ليس للسلطان فيه حقّ ، والرِّكازَ[5] الذى ليس للفقراء فيه نصيب ، والنِّعمةَ التى ليس للحاسد فيها حيلة ، ولا لِلُّصُوص فيها رغبة ، وليس للخصم عليك فيه حجّة ، ولا على الجار فيه مَئونة .

(قول ديمقراط فى تأليف كتب العلم)

وأما ديمقراط فإنه قال : ينبغى أن يعرَف أنه لابدَّ من أن يكون لكلّ كتاب علمٍ وضعَه أحدٌ من الحكماء ، ثمانيةُ أوجه : منها الهمَّة ، والمنفعة ، والنسبةُ ، والصحَّة ، والصِّنف ، والتأليف ، والإسناد ، والتدبير ، فأَوَّلُها أن

(١) فى الأصل : « الأدب » .

(٢) فى الأصل : « الكتب » .

(٣) زيدت هذه الكلمة فى الأصل بخط مخالف .

(٤) فى الأصل « آدابه » وإنما هى « آلاته » بمعنى أسبابه .

(٥) الركاز بمعنى الكنز .

تكون لصاحبه همّة ، وأن يكون فيا وضع منفعة ، وأن يكون له نسبة يُنْسَب إليها ، وأن يكون صحيحاً ، وأن يكون على صِنف من أصناف الكتب معروفا به ، وأن يكون مؤتلفاً من أجزاء خمسة ، وأن يكون مسندا إلى وجه من وجوه الحكمة ، وأن يكون له تدبير موصوف .

فذُكِر أن أبقراط قد جمع هذه الثمانية الأوجه فى هذا الكتاب ، وهو كتابه الذى يسمى (أفوريسموا) ، تفسيره كتاب الفصول.

(مقاولة فى شأن الكلب)

وقولك: وما بلَغ من قدر الكلب مع لؤم أصله، وخُبث طبعه، وسقوط قدره ، ومهانة نفسه ، ومع قلَّةِ خيره وكثرة شره ، واجتماع الأمم كلِّها على استسقاطه ، واستسفاله ، ومع ضربهم المثل فى ذلك كلِّه به ، ومع حاله التى يعرف بها ، من العجز عنْ صولة السِّباع واقتدارها ، وعَن[1] تمنُّعها وتشرُّفها ، وتوحُّشها وقلة إسماحها ، وعن مسالمة البهائم وموادعتها ، والتمكين من إقامة مصلحتها والانتفاع بها ، إذ لم يكن فى طبعها دفع السباع عن أنفسها ، ولا الاحتيال لمعاشها . ولا المعرفة بالمواضع الحريزة من المواضع المخُوفة ، ولأنَّ الكلب ليس بسبع تام ، ولا بهيمة تامة ، حتّى كأنه من الخلْق المركَّب والطبائع الملفَّقة ، والأخلاط المجتلبة ، كالبغل المتلوِّن فى أخلاقه ، الكثير العيوب المتولِّدة عن مزاجه .

وشرّ الطبائع ما تجاذبته الأعراق المتضادَّة ، والأخلاق المتفاوتة[2] ، والعناصر المتباعدة ، كالراعبيِّ من الحمام ، الذى ذهبت عنه هداية الحمام ،

(١) فى الأصل : « ومن » .
(٢) فى الأصل : « المتفاوة » .

وشكل هديره وسرعة طيرانه ؛ وبطل عنه عمر الوَرَشان ، وقوّة جناحه وشدة عصبه ، وحسنُ صوته ، وشَحْوُ(١) حلقه ، وشكل لحونه ، وشدّة إطرابه ، واحتماله لوقع البنادق وجرح المخالب . وفى الراعبى أنّه مُسرْوَل مثقل ، وحدث له عِظَمُ بدن ، وثقل وزن لم يكن لأبيه ولا لأمّه .

وكذلك البغل ، خرج من بين حيوانين يلدان حيوانا مثلهما ، ويعيش نتاجُهما ويبقى بقاءهما ، وهو لايعيش له ولد وليس بعقيم ، ولا يبقى للبغلة ولد وليست بعاقر ، فلو كان البغل عقيما ، والبغلة عاقراً ، لكان ذلك أزيَدَ فى قوتهما ، وأتمّ لشدتهما . فمع البغل من الشَّبَق والنَّعظ ما ليس مع أبيه ، ومع البغلة من السَّوَس(٢) ، وطلب السفاد ، ما ليس مع أمّها . وذلك كلُّهُ قدح فى القوّة ، ونقص فى البنية(٣) . وخرج غرموله أعظم من غراميل أعمامه وأخواله ، فترك شبههما ، ونزع إلى شىء ليس له فى الأرض أصل ، وخرج أطول عمراً من أبويه ، وأصبرَ على الأثقال من أبويه .

أو كابن المذكَّرة من النساء ، والمؤنث من الرجال ، فإنه يكون أخبث نتاجا من البغل ، وأفسد أعراقاً من السِّمع ، وأكثر عيوبا من العِسبار ، ومِنْ كلّ خلقٍ خلق إذا تركب من ضِدّ ، ومن كل شجرة مُطَعَّمَةٍ بخلاف .

وليس يعترى مثلُ ذلك الخِلاسىّ من الدجاج ، ولا الورداني(٤) من الحمام .

---

(١) الشحو : الاتساع . وفى الأصل « وشجى » وليس له وجه .

(٢) يقال سوست الدابة سوسا ، بمعنى اغتلمت ، كما فى كتاب البغال للجاحظ ص ٣٢٠ . وفى الأصل : « الشوس » تصحيف .

(٣) فى الأصل « فى للبنية » .

(٤) الدميرى : طائر متولد بين الورشان والحمام ، وله غرابة لون .

وكلُّ ضعف دخل على الخلقة ، وكل رقّة عرضت للحيوان ، فعلى قدر جنسه . وعلى وزن مقداره وتمكنه ، يظهر العجزُ والعيب .

وزعم الأصمعيُّ ، أنّه لم يسبق الحلبةَ فرسٌ أهضم قط .

وقال محمد بن سلاّم : لم يسبق الحلبة أبلق قط ولا بلقاء[١] .

والهداية فى الحمام ، والقوّة على بعد الغاية[٢] . إنما هى للمصْمَتَة من الخضر[٣] .

(الشيات فى الحيوان ضعف ونقص)

وزعموا أنَّ الشِّياتِ كلَّها ضعف ونقص – والشِّيَة : كلُّ لون دخل على لون – وقال الله جلّ وعزّ ﴿إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَاذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَاشِيَةَ فِيهَا﴾ .

(ابن المذكرة من المؤنث)

وزعم عثمان بن الحكم[٤] أنَّ ابن المذكرة من المؤنث ، يأخذ أسوأ خصال أبيه ، وأردأ خصال أمه ، فتجتمع فيه عظامُ الدواهى ، وأعيان المساوى ، وأنَّه إذا خرج كذلك ، لم ينجع فيه أدب ، ولا يَطمع فى علاجه طبيب ، وأنَّه رأى فى دور ثقيف ، فتًى اجتمعتْ فيه هذه الخصال ، فما كان فى الأرض يومٌ ، إلّا وهم يتحدثون عنه بشىء ، يصغُر فى جنْبِه أكبَرُ ذنبٍ كان يُنسَب إليه !

(١) انظر الحيوان ٥ : ١٦٦ .

(٢) الغاية : المدى الذى يرسل إليه حمام الزاجل .

(٣) المصمتة : التى لا يخالط لونها لون آخر .

(٤) هو عثمان بن الحكم بن صخر الثقفى ، له خبران فى الأغانى (٩ : ٢٣ ، ١٧ : ١٧) .

وزَعَمْتَ أنَّ الكلب في ذلك كالخنثى ، الذى هو لا ذكر ولا أنثى ، أو كالخصى الذى لمَّا قُطِع منه ما صار به الذَّكَر فحلا ، خرجَ من حدِّ كمالِ الذكَر بفقدان الذكَر ، ولم يكملْ لأن يصير أنثى ، للغريزة الأصلية ، وبقيّةِ الجوهريّة .

وزَعَمْتَ أنَّه يصير كالنبيذ الذى يفسده إفراطُ الحرّ ، فيخرجه من حدِّ الخل ، ولا يدخلُه فى حدِّ النبيذ .

وقال مرداس بن خذام (١) :

سَقَينا عِقالاً بالثَّوِيّةِ (٢) شَرْبةً ... فمالت بلُبِّ الكاهلِيِّ عِقالِ
فقُلتُ اصطبِحْها يا عِقالُ فإنَّما ... هى الخمرُ خيَّلْنا لهـا بِخَيالِ
رَمَيْتُ بأُمِّ الخلِّ حبَّةَ قلبِه ... فلم ينتعش منها ثلاثَ ليالِ

فجعل الخمر أُمَّ الخلّ قد يتولد عنها . وقد يتولّد عن الخل — إذ كان خمراً مرة — الخمرُ .

وقال سعيد بن وهب (٣) :

هَلاَّ وأنت بماءِ وجهك تُشْتَهَى ... رَوْدَ الشَّبابِ قليلَ شَعْرِ العارض !
فالآن حين بدَتْ بخدِّك لِحية ... ذهَبَتْ بملحك مثل كفِّ القابضِ
مثل السلافة عادَ خمرُ عصيرها ... بعدَ اللَّذاذة خَلَّ خمرٍ حامضٍ

ويصير أيضاً كالشعر الوسط ، والغناء الوسط ، والنادرة الفاترة ، التى لم

---

(١) فى الأغانى (١٠ : ٨٧) جذام . وفى ثمار القلوب ٢٠٧ : « جزام » وانظر قصة الشعر فى المخصص ١٣ : ١٨٩ والمؤتلف والمختلف ١٠٩ ومعجم المرزبانى ٣٧٠ .

(٢) الثوية : موضع بالكوفة أو قريب منها . وانظر نسبة البيت فى معجم البلدان .

(٣) سعيد بن وهب ، هو أبو عثمان مولى بنى سامة بن لؤى ، شاعر مطبوع ، أكثر شعره فى الغزل والتشبيب بالمذكر ، وكان من كتاب البرامكة ، متقدما عندهم ، قالوا : وكان ذا فجور ومجون ، ثم تاب وأقلع ، وكانت وفاته فى أيام المأمون . انظر الأغانى ٢١ : ٦٩ — ٧٢ وفهرس ابن النديم ١٧٨ ، ٢٣٦ مصر .

تخرج من الحرِّ إلى البرد فتضحك السِّن ، ولم تخرُج من البرد إلى الحر فتضحك السِّن[١]] .

باب
ذكر مايعترى الإنسان بعد الخصاء وكيف ما كان قبل الخصاء

قالوا : كلُّ ذى ريح مُنتِنةٍ ، وكُلُّ ذى ذَفْرٍ وصُنَانٍ كريهِ المشَمَّةِ[٢] ، كالنَّسر وما أشبهه ، فإنَّه متى خُصى نقَص نتْنُه وذهبَ صُنانه ، غيرَ الإنسان ، فإنَّ الخصىَّ يكونُ أنتنَ ، وصنانُه أحدَّ ، ويعمُّ أيضاً خبْثُ العرقِ سائرَ جسَده ، حتى لتُوجَد لأجسادهمْ رائحةٌ لا تكون لغيرهم . فهذا هذا .

وكلُّ شىءٍ من الحيوان يُخصَى فإنَّ عظمَه يدِقُّ ، فإذا دقَّ عظمُه استرخَى لحمه ، وتبرَّأ من عظمه ، وعاد رَخْصًا رطْبا ، بعد أن كان عَضِلا[٣] صُلْباً ، والإنسان إذا خُصِىَ طال عظمُه وعرُض ، فخالف أيضا جميعَ الحيوان من هذا الوجه .

وتعرض للخصيان أيضا طول أقدامٍ ، واعوجاج فى أصابع اليد ، والتواءٌ فى أصابع الرِّجْل ، وذلك مِن أوَّلِ طعْنهم فى السنِّ . وتعرِض لهم سرعة التغيُّر والتبدُّل ، وانقلاب من حدِّ الرطوبة[٤] والبضاضة وملاسة الجلد ، وصفاءِ اللون ورقَّته ، وكثرةِ الماء وبريقه ، إلى التكرُّش والكمود ،

---

(١) هذه نهاية السقط الذى ابتدأ من ص ٩٧ .

(٢) فى ط : « وقيل ذى ذفر وصنان وكريه المشمة » وهو كلام محرف .

(٣) فى ل : « عصلا » والوجه ما كتبت من ط .

(٤) فى ل : « والانقلاب من حد الرطوبة » .

وإلى التقبُّض والتخدُّد[١] ، وإلى الهُزال ، وسوء الحال ، فهذا الباب يعرِض للخصيان ، ويعرض أيضاً لمعالجى النبات من الأكرة[٢] مِن أهل الزرع والنخل ، لأنَّكَ ترى الخصيَّ وكأنَّ السيوفَ تلمع فى لونه[٣] ، وكأنَّه مِرْآةٌ صينيَّة ، وكأنه وَذيلة مجلوَّة ، وكأنه جُمَّارَة رَطْبة ، وكأنه قضيبُ فِضَّةٍ قد مسَّهُ ذهب ، وكأن فى وجناته الورد ، ثم لا يلبثُ كذلك إلا نُسَيْئاتٍ[٤] يسيرةً ، حتى يذهبَ ذلك ذَهابا لا يعود ، وإن كان ذا خِصبٍ ، وفى عيش رَغَد ، وفى فراغ بالٍ ، وقلَّةِ نصَب .

(من طرائف عبد الأعلى القاصّ)

وكان من طرائف ما يأتى به عبد الأعلى القاصّ ، قوله فى الخصى ، وكان لغلبة السلامة عليه يُتوهَّم عليه الغفلة ، وهو الذى ذكر الفقيرَ مرة فى قصصه فقال : الفقير مرقته سُلْفة ، ورداؤه عِلْقة ، وجَرْدَقته فِلْقة ، وسمكته شلقَة[٥] ، [وإزاره خرقة] .

قالوا : ثمَّ ذكر الخصيَّ فقال : إذا قُطِعت خُصيته ، قَوِيت شَهوته وسَخُنت مَعِدته ، ولانَتْ جِلدتُه ، وانجردت شَعْرته ، واتَّسعت فَقْحته ، ٤٩
وكثُرتْ دمعته ! !

---

(١) فى الأصل : « التحدد » وإنما هو « التخدد » بمعنى التقبض .

(٢) فى ط : « ويعرض أيضا لبنات الأكرة » وتصحيحه من ل .

(٣) فى مفاخرة الجوارى والغلمان : « تلمع فى وجهه » .

(٤) النسأة بالضم والنسيئة بمعنى النظرة — بكسر الظاء — وتصغر النسأة وتجمع ، فتكون نسيئات ، والمراد بها الوقت القليل .

(٥) (السلفة) : ما يتعلل به قبل الغداء . ويسميها العامة اليوم « تصبيرة » . . وأما (العلقة) فهو قميص بلا كمين ، أو ثوب يجاب ولا يخاط جانباه ، تلبسه الجارية وهو إلى الحجزة . . وأما (الفلقة) فبمعنى النصف . والجردقة : الرغيف ، معرب كرده . وأما (الشلقة) بالكسر أو بفتح الأول وكسر الثانى فهى واحدة الشلق : ضرب من صغار السمك .

وقالوا ، الخصيُّ لا يصلَح كما لا تصلَح المرأة ، وإذا قطع العضوُ الذى كان به فحلاً تامًّا ، أخرجه ذلك من أكثرِ معانى الفحول وصفاتهم ، وإذا أخرجه من ذلك الكمال ، صيَّره كالبغل الذى ليس هو حماراً ولا فرساً ، وتصيرُ طباعُه مقسومةً على طباعِ الذكر والأنثى ، وربما لم يَخْلُص له الخلقُ ولم يَصْفُ ، حتّى يصير كالخلق من أخلاق الرجال ، أو يلحق بمثله من أخلاق النساء ، ولكنَّه يقع ممزوجا مركبا ، فيخرج إلى أن يكون مذبذبا ، لا إلى هٰؤلاء ولا إلى هٰؤلاء . وربما خرجت النتيجة وما يولّده التركيب ، عن مقدار معانى الأبوين ، كما يجوزُ عمرُ البغْل عمرَ أبويه ، وكذلك ما عددنا فى صدر هذا الكلام[1] .

(طلب النسل)

وقالوا[2] : وللإنسان قوًى معروفةُ المقدارِ ، وشهواتٌ مصروفةٌ فى وجوهِ حاجاتِ النفوس ، مقسومةٌ عليها ، لا يجوزُ تعطيلُها وتركُ استعمالها ، ما كانت النفوسُ قائمةً بطبائعها ومِزاجاتها وحاجاتها . وبابُ المنكَح مِن أكبرِها ، وأقواها ، وأعمِّها .

ويدخل فى باب المنكَح ما فى طبائعهم من طلبِ الولد ، وهو بابٌ من أبوابهم عظيم ؛ فمنهم من يطلبه للكثْرة والنُّصرة ، وللحاجة إلى العدد والقوَّة ، ولذلك استلاطت العربُ الرجالَ ، وأغضتْ[3] على نسب المولود

---

(١) فى ط : « الكتاب » وهو تحريف .

(٢) فى ط : « قال » والوجه ما فى ل .

(٣) أغضى على الشيء : سكت . وفى ط : « وأغضبت » والوجه ما كتبته من ل .

على فراش [أبيه][١] ، وقد أحاط علمُه بأنَّه من الزوج الأوَّل. قال الأشهب ابن رُمَيلة[٢] :

قال الأقاربُ لا تغرُرْكَ كثرتُنا وأَغْنِ نفسكَ عنَّا أيها الرجُلُ
علَّ بَنِيَّ يشدُّ اللهُ كثرتَهم والنَّبْعُ يَنْبُتُ قُضْباناً فيكتهل[٣]

وقال الآخَر[٤] :

إنَّ بَنِيَّ صِبْيَةٌ صَيْفِيُّونْ أَفْلَحَ مَنْ كان لَهُ رِبْعِيُّونْ

يشكو كما ترى صِغَر البنين ، وضعف الأسر[٥] .

وما أكثر ما يطلب الرجل الوَلدَ نفاسةً بماله على بنى عمِّه ، ولإشفاقِه من أن تليه القضاةُ وترتع فيه الأمناء ، فيصيرَ مِلكًا للأولياء ، ويقضىَ به القاضى الذِّمامَ ويصطنع به الرجال .

وربما همَّ الرجلُ بطلب الولد لبقاء الذكر ، وللرغبة فى العقب ؛ أو على جهة طلَبِ الثواب[٦] فى مباهاة المشركين ، والزيادةِ فى عدد المسلمين ، أو للكسب والكفاية ، وللمدافعة والنُّصْرة ، وللامتناع ، وبقاء نوع الإنسان ؛ ولما طبع الله تعالى بنى آدم عليه ، من حبِّ الذُّرِّيَّةِ وكثرةِ النسل ، كما طبع

(١) فى الأصل : « على فراشه » وبذلك لا يكون للضمير فى كلمة (علمه) الآتية مرجع . وعلى الأصل أيضا لانجد لضمير (فراشه) مرجعا مناسبا .

(٢) وقيل الشعر لنهشل بن حرى كما فى البيان ، والبيتان فيه ٣ : ٩٦ .

(٣) فى البيان : « أعظمهم » بدل « كثرتهم » . وفى ط « النبغ » بالغين ، والصواب ما أثبت من ل والبيان . والنبع : شجر تعمل منه القسى والسهام .

(٤) هو أكثم بن صيفى ، كما فى نوادر أبى زيد ٨٧ قال أبو زيد « يقال أصاف الرجل إذا ترك النساء شابا لم يتزوج ، ثم تزوج بعد ماأسن ، ويقال لولده صيفيون . . . والربعيون : الذين ولدوا وآباؤهم شباب فهم رجال » . و « إن » هى فى ط « عسى » وتصحيحه من ل : والنوادر .

(٥) فى ط : « السن » .

(٦) فى ط : « الصواب » وهو تحريف ظاهر .

الله تعالى الحمام والسنانير على ذلك ، وإن كان إذا جاءه الولد زاد في همّه ونصبه ، وفي جُبْنِه وبخْله ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الْوَلَد مَجْبَنَةٌ مَبْخَلَةٌ مَجْهَلَةٌ » فيحتمل في الولد المؤَن المعروفة ، والهموم الموجودة لغير شيء قصَد له ، وليس في ذلك أكثرُ من طلب الطباع ، ونزوعِ النفس إلى ذلك.

وذكر أبو الأخزر الحِمَّانى عَير العانة[1] بخلاف ما عَليه أصحابُ الزَّواج من الحيوان ، فقال عند ذكر سِفاده :

لا مُبتَغِي الذرْء ولا بالعازِلِ[2]

لأنَّ الإنسانَ من بين الحيوان المُزَاوِج ، إذا كرِهَ الولدَ عزَل ، والمزاوج من أصناف الحيوانات إنّما غايتُها طلبُ الذرْء[3] والولد . لذلك سُخِّرت ، وله هُيِّئت ، لِمَا أراد اللهُ تعالى من إتمامِ حوائجِ الإنسانِ . والحمارُ لا يطلبُ الولدَ ، فيكون إفراغه في الأتان لذلك ، ولا إذا كان لا يريد الولد عزَل كما يعزل الإنسان ، غير أنّ غايتَه قضاءُ الشهوة فقط ، ليس يَخْطُر[4] على باله أنّ ذلك الماءَ يُخلَق منه شيء .

[وروى ابن عون عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال « ليس في البهائم شيء يعمل عمل قوم لوط إلا الحمار »] .

وعامَّة اكتساب الرجال وإنفاقهم ، وهمّهم وتصنّعهم ، وتحسينهم لما يملكون ، إنّما هو مصروفٌ إلى النساء والأسباب المتعلقة بالنساء ، ولو لم يكن إلاّ التنمُّص[5] والتطيُّب والتطوُّس[6] [والتعَرُّس[7]] والتخضُّب ،

---

(١) في ط : « وذكر أبو الأخزر الحمام غير العافة » وهو مثل من أمثلة التحريف الشنيع .

(٢) في ط : « لامبتغى الذر ولا بالعازل . وفي ل : « الذرء ولاالعازل » والوجه ما أثبت .

(٣) في ط : « الذر » .

(٤) في الأصل : « يذكر » .

(٥) النمص : نتف الشعر . والتنمص : التزين بذلك الأسلوب .

(٦) التطوس : التزين . . وبدل « التطوس » في ط : « التطرز » وليس بشيء .

(٧) التعرس : التحبب .

والذى يُعَدُّ لها من الطيب والصِّبغ ، والْحَلْى ، والكِساء ، والفُرُش ، والآنية ، لكان فى ذلك ماكفى . ولو لم يكن له إلاّ الاهتمامُ بحفظها وحراستها ، وخوفُ العارِ من جنايتها والجناية عليها ، لكان فى ذلك المؤْنةُ العظيمة ، والمشقة الشديدة .

(قول فى الغرائز وبيان سبب شره الخصى)

فإذا بطل العضوُ الذى من أجله يكون اشتغالُ النفس بالأصناف الكثيرة ، من اللذّة والألَم ، فباضطرارٍ أنْ تعلمَ أنَّ تلك القُوَى لم تَبطل من التركيب ، ولم تَعدَمْها الخلقة ، وإنّما سُدَّ دونَها بسدٍّ ، وأدخل عليها حجاب ، فلا بدَّ لها إذا كانت موجودةً من عمل ، لأنَّ عملَ كلِّ جوهرٍ لا يُعدَم إلاّ بعدَم ذاته ، فإذا صُرِفَتْ من وجهٍ فاضَتْ[١] من وجه ، ولا سيما إذا جمَّت ونازعتْ ، ولا بُدَّ إذا زخَرت وغَزُرت ، وطغت[٢] وطَمَتْ ، من أن تفيضَ أو تفتح لنفسها باباً ، وليس بعد المنكح بابٌ له موقعٌ كموقعِ المطعم ، فاجتمعت تلك القوى التى كانت للمنكح وما يشتمل عليه باب المنكح ، إلى القوّة التى عنده للمطعم ، فإذا اجتمعت القوّتان فى بابٍ واحد كان أبلغ فى حكمِهِ ، وأبعدَ غايةً فى سبيله ، ولذلك صارَ الخَصىُّ آكَلَ من أخيه لأمّه وأبيه ، وعلى قدر الاستمراء يكون هضمه ، وعلى قدر حاجةِ طبعه [وحركة نفسه و][٣] الحرارةِ المتولّدةِ عن الحرَكة يكونُ ٥١

(١) كذا على الصواب فى ط . . وفى ل : «غاضت» :

(٢) فى ط : « طفت » وتصحيحه من ل .

(٣) فى ط : « على قدر حاجة طبعه وحاجة الحرارة المتولدة عن الحركة » وأصلحت الكلام من ل .

الاستمراء ، لأن الشهوة من أمتن(١) أبواب الاستمراء ، والحركة من أعظم [أبواب] الحرارة .

(تفوق رغبة الإناث على الذكور فى الطعام)

ودوامُ الأكل فى الإناثِ أعمُّ منه فى الذكور ، وكذلك الحِجْرُ دون الفَرَس ، وكذلك الرَّمَكة دونَ البِرذَون ، وكذلك النعجة(٢) دونَ الكبش ، وكذلك النساءُ فى البيوت دونَ الرجال . وما أشكُّ أنَّ الرجلَ يأكلُ فى المجلسِ الواحدِ ما لا تأكل المرأة ، ولكنَّها تستوفى ذلك المقدارَ وتُربى عليه مقطَّعاً غيرَ منظوم ، وهى بدوامِ ذلك منها ، يكون حاصلُ طعامِها أكثرَ . وهنَّ يُناسِبْن الصبيانَ فى هذا الوجه ، لأنَّ طبعَ الصبيِّ سريعُ الهضم ، سريعُ الكلَب ، قصيرُ مدَّةِ الأكل ، قليلُ مقدارِ الطُّعْم ، فللمرأةِ كثرةُ معاودتها ، ثمَّ تَبِينُ بكثرةِ مقدارِ المأكول . فيصير للخَصىِّ نصيبان : نصيبُه من شِبْه النساء ، ثم اجتماعُ قوى شهوتيه فى بابٍ واحد ، أعنى شهوةَ المنكَح التى تحولت ، وشهوةَ المطعم .

قال ، وقيل لبعض الأعراب : أىُّ شىء آكَلُ ؟ قال : بِرْذَونَةٌ رَغُوث(٣) .

ولشدَّةِ نَهَمِ الإناثِ ، صارت اللبؤة أشدَّ عُرَاماً وأنزقَ ، إذا طلبت الإنسانَ لتأكله ، وكَذلك(٤) صارت إناثُ الأجناس الصائدة [أصيَدَ] ،

---

(١) فى الأصل : « أنتن » وهو تحريف ما كتبت .

(٢) فى ط : « الرمكة » والوجه ما أثبت من ل .

(٣) رغوث : مرضعة . والخبر فى البيان ٣ : ٢١٢ .

(٤) فى الأصل : « ولذلك » .

كالإناثِ من الكلاب [والبُزاةِ] وما أشبهَ ذلك ، وأحرصَ ما تكونُ عندَ ارتضاع جِرائها [من أطبائها] ، حتّى صار ذلك منها سبباً للحِرص والنَّهم في ذلك .

(صوت الخصى)

ويعرض له عند قطع ذلك العضوِ تغيُّرُ الصوت ، حتى لايخفى على من سمِعه من غير أن يرى صاحبَه أنّه خَصِيٌّ ، وإن كان الذى يخاطبه ويناقله الكلامَ أخاه أو ابنَ عمِّه ، أو بعضَ أترابه مِن فُحولة جنسه ، وهذا المعنى يعرض لخِصيان الصقالبَة أكثر ممَّا يعرِض للخراسانية ، والسودان من السِّنْد والحُبْشان . وما أقلَّ مَن تجده ناقصا عن هذا المقدار ، إلّا وله بيضة أو عِرْق ، فليس يُحتاج فى صِحَّةِ تمييز ذلك ، ولا فى دقة(١) الحسِّ فيه ، إلى حِذْقٍ بقيافة ، بل تجد ذلك شائعا فى طباع السِّفلة والغَثْرَاءِ(٢) ، وفى أجناس الصِّبيان والنساء .

(شَعر الخصى)

ومتى خُصى قبلَ الإنباتِ لم يُنْبِتْ ، وإذا خُصِى بعد استحكام نباتِ الشعر فى مواضعه ، تساقط كله إلّا شعرَ العانة ، فإنه وإن نقَص من غَلَظه ومقدارِ عَدده فإنَّ الباقىَ كثير . ولا يعرِضُ ذلك لشعر الرأس ، فإنَّ شعرَ

(١) فى ط : « رقة » وما كتبت من ل أشبه بكلام الجاحظ .
(٢) كذا فى ط ، وهو الصواب . وفى ل : «العتر» . وفى القاموس : « الغثرة محركة، والغثراء، والغثر بالضم ، والغيثرة : سفلة الناس » .

الرأس والحاجبين وأشفار العينين يكون مع الولادة . وإنما يعرض لما يتولد من فضول البدن .

وقد زعم ناسٌ أنَّ حكمَ شَعرِ الرأس خلافُ حكم أشفار العينين ، وقد ذكرنا ذلك فى موضعه من باب القول فى الشعر ، وهذه الخصال من أماكن شَعر النساء ، والخصيان والفحولة فيه سواء ، وإنما يعرض لسوى
٥٢ ذلك من الشعر الحادثِ الأصول . الزائدِ فى النبات . ألا ترى أن المرأة لاتصلَعُ ، فناسبها [الخصىُّ] من هــذا الوجه ، فإنْ عرضَ له عارضٌ فإنما هو من القرَع ، لامن جهة النَّزَع والجَلَح ، [والجَلَه] والصَّلَع [1] وكذلك النساء فى جميع ذلك .

والمرأة ربَّما كان فى قُصَاص مقاديم شعرِ رأسها ارتفاع ، وليس ذلك بنزَعٍ ولا جلَح ، إذا لم يكن ذلك حادثا يُحدثه الطعنُ فى السنّ .

وتكون مقاطعُ شعر رأسه ومنتهى حدود قُصاصه ، كمقاطع شعر المرأة ومنتهى قُصاصها ، وليس شعرُها كلما دنا من موضع الملاسَة والانجراد يكون أرقَّ حتى يقلَّ ويضمحلَّ ، ولكنه ينبُت فى مقدارِ ذلك الجلد على نبات واحد ، ثم ينقطع عند منتهاه انقطاعا واحداً . والمرأة ربَّما كانت سبلاء ، وتكون لها شَعَراتٌ رقيقة زَغَبيَّةٌ كالعِذار موصولا بأصداغها ، ولا يعرض ذلك للخَصى إلا من علة فى الخصاء ، ولا يرى أبداً بعد مقطَع من صُدْغَيه شيءٌ من الشَّعر ، لا من رقيقه ولا من كثيفه .

---

(١) النزع : انحسار الشعر من جانبى الجبهة . والجلح : انحساره عن جانبى الرأس . والجله والصلع : انحسار شعر مقدم الرأس .

(ذوات اللحى والشوارب)

وقد توجد المرأة ذات لحية . وقد رأيت ذلك ، وأكثرُ ما رأيته في عجائز الدَّهاقين ، وكذلك الغَبَب والشارب ، وقد رأيت ذلك أيضاً . وهي ليست في رأى العين بخُنْثَى ، بل [نَجِدها] أنثى تامَّة ، إلا أن تكون لم تضرب في ذلك بالسبب الذي يقوَى ، حتى يظهر في غير ذلك المكان . [ولا تعرض اللحى للنساء ، إلا عند ارتفاع الحيض] ، وليس يعوض ذلك للخَصِي .

وقد ذكر أهلُ بَغداد ، أنَّه كان لابنةٍ من بنات محمَّدِ بنِ راشدٍ الخنَّاق ، لحيةٌ وافرة ، وأنَّها دخلت مع نساءٍ متنقِّباتٍ إلى بعض الأعراس لتَرَى العُرس وجَلْوَةَ العَرُوس ، ففطِنت لها امرأة فصاحت : رجلٌ والله ! وأحال[1] الخدم والنساءُ عليها بالضرب . فلم تكن لها حيلةٌ إلا الكشفَ عن فرْجِها ، فنزَعن عنها[2] وقد كادت تموت .

ويفضل أيضاً الخصيُّ المرأةَ في الانجراد والزَّعَر ، بأن تجدَ المرأة زَبَّاءَ الذراعين والساقين ، وتجد رَكَب[3] المرأة في الشعْر كأنَّه عانةُ الرجل ، ويعرض لها الشعر في إبطيها وغير ذلك .

ولا يعرِض للخصيِّ ما يعرض للديك إذا خُصِي : أن يذبُلَ غُصروفُ عُرْفِه ولحيته .

والخصاءُ ينقُص من شدَّة الأسر ، وينقُض[4] مُبْرَمَ القُوَى ، ويُرْخِي مَعاقِدَ العَصَب ، ويقرِّب من الهرَم والبِلَى .

---

(١) في ل : « فأقبل » .
(٢) في ل : « فكففن » .
(٣) الركب بالتحريك : العانة أو منبتها أو الفرج أو ظاهره .
(٤) في ط : « وينقص » بالصاد . وصوابه في ل .

(مشى الخصى)

ويعرِض للخصيِّ أن يشتدَّ وقعُ رجله على أرض السَّطح ، حتى لو تفقَّدتَ وقعَ قدمه وقدَم أخيه الفحل [الذى هو أعبلُ[١] منه] لوجدتَ لوقْعِه ووطْئه شيئاً لاتجده لصاحبه . وكأنَّ العضوَ الذى كان يشدُّ
٥٣ توتير النَّسَا[٢] ، ومَعاقد الوركين[٣] ومعاليق العصب ، لمَّا بطل وذهب الذى كان يمسكُه ويرفعه ، فيخفّ لذلك وقْعُ رجلِه ، صار كالذى لايتماسَكُ ولا يحمل بعضه بعضا .

(أثر الخصاء فى الذكاء)

ويعرض له أنَّ أخوين صَقْلَبِيَّيْنِ مِن أمّ وأبٍ ، لو كان أحدهُما توأمَ أخيه ، أنَّه متى خُصِيَ أحدُهما خرَج الخصيُّ منهما أجوَدَ خِدمةً ، وأفطن لأبواب المعاطاة والمُنَاولةِ ، وهو لها أتقَنُ وبها أليق ، وتجده أيضاً أذكى عقلا عند المخاطبة ، فيُخصُّ بذلك كلِّه ، ويبقى أخوه على غثارة[٤] فطرته ، وعلى غباوة غريزته ، وعلى بلاهة[٥] الصَّقْلَبيَّة ، وعلى سوءِ فهم العجَميّة .

ويدُ الإنسان لاتـكون [أبداً] إلا خرْقاء ، ولا تصير صَناعا مالم تـكنْ

---

(١) أعبل منه : أضخم منه .

(٢) فى ط : « وكان العضو الذى به يشتد يشد توتير النسا » وفى ل : « وكـأن العضو الذى كان يشد توتـير عرق النساء » وقد أصلحت العبارة بمـا ترى . ولا يقال عرق « النسا » وإنما هو « النسا » بدون إضافة . قال الزجاج : لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه .

(٣) فى ط : « ومعاليق الوركين » وليس بشيء .

(٤) فى ط : « غشاوة » وفى ل : « عثارة » بالعين ولعل صوابهما ماأثبت . والأغثر : الأحمق الجاهل .

(٥) فى ط : « بلاهته » وأبدلتها بما فى ل ؛ ليتم تساوق الـكلام .

المعرفةُ ثِقافاً لها . واللسان لا يكون أبراً ، ذاهباً فى طريق البيان ، متصرفاً فى الألفاظ ، إلا بعد أن تكونَ المعرفةُ متخلِّلَةً به ، منقّلة له ، واضعةً له فى مواضع حقوقِه ، وعلى أماكن حظوظِه ، وهو علّةٌ له فى الأماكن العميقة ، ومصرِّفةٌ له فى المواضع المختلفة .

فأوّلُ ماصنع الخصاءُ بالصَّقْلَبِيِّ تزكيةُ عقلهِ ، وإرهافُ حدِّه ، وشحْذُ طبعهِ ، وتحريكُ نفسه . فلما عرَف كانت حركته تابعةً لمعرفته ، وقوّته على قدر ما هيّجه(١) .

فأمّا نساءُ الصقالبة وصبيانهم ، فليس إلى تحويل طبائعهم ، ونقْل خَلْقهم إلى الفطنة الثاقبة ، وإلى الحركة الموزونة ، وإلى الخدمة الثابتــة الواقعة بالموافقة ، سبيلٌ . وعلى حسَب الجهْل يكون الخُرْق ، وعلى حسب المعرفة يكون الحِذق . وهذا جملةُ القول فى نسائهم ، وعلى أنّهنَّ لا حظوظَ لهنَّ عند الجلوة ، ولا نفاذَ لهنَّ فى صــناعة ؛ إذ كنَّ قد مُنِعن فهمَ المعاطاة ومعرفةَ المناولة .

والخِصيانُ معَ جــودة آلاتهم ووَفَارة طبائعهم فى معرفــةِ أبوابِ الخِدْمة ، وفى استواءِ حالهم فى باب المعاطاة ، لم تر أحداً منهم قطُّ نفَذَ فى صناعةٍ تُنسَب إلى بعضِ المشقّة ، وتضافُ إلى شيءٍ من الحكمة ، ممّا يُعرَف ببُعْد الرَّوِيَّةِ ، والغوصِ بإدامة الفكرة ، إلا ما ذكرُوا من نَفَاذ ثقف(٢) فى التحريك للأوتار ، فإنّه كانَ فى ذلك مقدَّماً ، وبه مذكورا .

---

(١) فى ط : « ماىجه » وأثبت مافى ل .

(٢) كذا فى ل وفى ط : « دامة » وفى س : « نقف » .

إلاَّ أنَّ الخصيَّ من صباه ، يُحسِن صنعة الدُّبُوق(١) ، ويُجيد دُعاءَ الحمام الطوُّريِّ(٢) ، وما شئتَ من صغار الصناعات .

وقد زعم البصريُّون أن حَديجاً(٣) الخصيّ ، خادمَ مُثَنَّى بن زُهَير ، كان يُجارِي(٤) مُثَنَّى في البصَر بالحمام ، وفي صحّة الفِراسة ، وإتقان المعرفة ، وجودة الرياضة . وسنذكُر حالَه في باب القول في الحمام إن شاء الله تعالى .

٥٤ هذا قولهم فيمن خُصي من الصقالبة . وملوكُنا لعقول خِصيان خُراسانَ أحمد ، وهم قليل ، ولذلك لم نأتِ من أمرهم بشيء مشهور ، وأمر مذكور .

(خصيان السند)

وأما السِّند ، فلم يكن فيهم أيضاً من الخِصيان إلاّ النَّفرُ الذين كان خصاهم موسى بنُ كعب ، وقد رأيت أنا بعضَهم ، وزعم لي أنَّه خَصَى أربعةً هو أحدهم ، ورأيتُ الخِصاء ، قد جذبَه إلى حبِّ الحمام ، وعمل التكك(٥) ، والهراش بالديوك ، وهذا شيءٌ لم يُجْرِ منه على عِرق ، وإنما قاده إليه قطعُ ذلك العضو .

---

(١) الدبوق ، هنا : جمع دبق بالكسر ، وهو والدابوق والدابوقاء : غراء يصاد به الطير . والدبوق كتنور قال في القاموس : لعبة معروفة . . وليست مرادة في هذا الكلام .

(٢) في ط : « الضواري » وفي ل : « الصوار » وصوابهما « الطوري » وهو الوحشي .

(٣) في ط : « خديجا » بالخاء . وقد كتبت ما في ل و س .

(٤) في ط : « يجرى » .

(٥) التكة : رباط السراويل والجمع تكك ، ويبدو لي أنها معربة ، كما صرح بذلك الخفاجي في شفاء الغليل ، ولم يتعرض صاحب القاموس لذلك .

(خصيان الحبشة والنوبة والسودان)

فأمّا الخصيان من الحُبْشان والنُّوبة وأصناف السودان ، فإنّ الخصاء يأخذُ منهم ولا يعطيهم ، وينقُصهم ولا يزيدهم ، ويحطُّهم عن مقادير إخوانهم ، كما يزيد الصقالبةَ عن مقادير إخوتهم ، لأن الحبشيَّ متى خُصِي سقطَتْ نفسه ، وثقُلت حركته ، وذهب نشاطه ، ولا بدَّ أن يعرض له فساد ، لأنه متى استُقْصي جِبابُه لم يتماسك بوله[1] ، وسَلِس مخرجه ، واسترخى الممسك له ، فإن هم لم يستقصوا جِبابه ، فإنما يُدخل الرجل منزله مَن له نصفُ ذلك العضو[2] . وعلى أنك لاتجد منهم خَصِيا أبداً ، إلاّ وبِسُرَّته بُجْرَةٌ ، ونفخة[3] شنيعة ، وذلك عيبٌ شديد ، وهو ضرب من الفتق ، مع قُبحه في العَين ، وشُنْعته في الذِّكْر . وكلُّ ماقَبُح في العين فهو مؤلم ، وكل ماشنُع في النفس فهو مؤذٍ . وما أكثَرَ ماتجد فيهم الألطَع[4] ، وذلك فاشٍ في باطن شفاههم . ومتى كانت الشفاه هُدْلا ، وكانت المشافرُ منقلبة ، كانت أظهر للَّطَع ، وهو ضرب من البرص . والبياض الذى يعرض لغَراميل الخيل وخُصَاها[5] ، ضربٌ أيضاً من البرص ، وربما عَرَض مثل ذلك لحشفةِ قضيب المختون ، إمّا لطَبَع الحديد ، وإمّا لقرب[6] عهده بالإحداد وسقْيِ الماء ، إلاّ أنَّ ذلك لا يعدُو مكانه .

---

(١) فى ط : « ولم يتماسك بوله » والوجه حذف الواو كما فى ل .

(٢) فى الكلام نقص وتحريف ولعل صواب العبارة : « فأما من لم يستقص جبابه فقلما يدخل الرجل منزله منهم ... الخ » .

(٣) فى ط : « وبخة » وليس بشىء . وقد أبدلتها بما فى ل . والبجرة : العقدة فى البطن والوجه والعنق .

(٤) اللطع : بياض فى باطن الشفة . وأكثر مايعترى ذلك السودان .

(٥) فى ط : « وخصاؤها » وليست مرادة . وما هنا جمع خصية .

(٦) فى ط و س : « لقدم » وهو خطأ صوابه فى ل . ويؤيده ماكتبه الجاحظ فى الحيوان ٧ : ٢٦ . « ومن أن تكون الموسى حديثة العهد بالإحداد » . وطبع الحديد : رداءته .

وكلما عظُمت الحشفةُ انبسَطَ ذلك البياضُ على قدر الزيادة فيها ، وإنَّما ذلك كالبياض الذى يعرِض من حَرْق النـار وتشييطها⁽¹⁾ ، وكالذى يعرض للصقالِبَة من التَّعالُج بالكَىِّ . وربَّما اشـتدَّ بياضُه حتى يفحُشَ ويُردِيه⁽²⁾ ، إلا أنَّه لا يفشو ولا ينتشر ، إلاّ بقدر ما ينبسط مكانه ، ويتحوَّل صاحبه رجُلاً ، بعد أن كان صبِيًّا⁽³⁾ . وليس كالذى يعرِض من البلغم ومن المِرَّة . وبعضُ البرص يذهب حتى كأنه لم يكن ، وبعضُـه لا يذهب ولا يقف ، بل لا يزال يتفشَّى ويتَّسع حتى ربَّما سلخه ، ولا يذهب إلاّ بأنْ يذهب به نبى⁽⁴⁾ ، فيكون ذلك علامةً له . ومن البهق الأبيض مايكاد يلحق بالبَرَص⁽⁵⁾ ، ولـكن الذى هوَّن أمره الذى ترونَ من كثرةِ بُرءِ الناس منه .

٥٥ ثمَّ الخصاء يكونُ على ضروبٍ ، ويكون فى ضروب ، فمن ذلك ما يعرِض بعدَ الـكِبَر للأحرار ، كما يعرض للعبيد ، وللعرب كما يعرض للعجم ، كما خَصَى بعضُ عَبَاهلةِ اليمن⁽⁶⁾ علقمةَ بنَ سهلٍ الخصىَّ .

(علقمة الفحل وعلقمة الخصى)

وإنما قيل لعلقمةَ بن عَبَدَةَ الفحلُ ، حين وقعَ على هذا اسمُ الخصى

---

(١) فى ط : « وتشييطه » .

(٢) هو تسهيل « يردئه » أى يجعله رديئا ويفسده .

(٣) كـذا . ولعل صوابه « رجلا » بكسر الجيم من الرِّجلة بضم الراء : بياض فى إحـدى رجلى الدابة . أما « صبيا » فلعلها « مصمتا » . والمصمت : الذى لا يخالط لونه لون آخر .

(٤) فى ط : « شىء » وقد أبدلته بما فى ل . وكان عيسى عليه السلام يبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله .

(٥) فى ط : « مايكون ملحقا بالبرص » .

(٦) عباهلة اليمن : أقيالهم .

وكان عبداً صالحاً ، وهو كان جَنَبَ الجديل(١) وداعراً ، الفحلين الكريمين ، إلى عمان ، وكان من نازليها . وهو كان أحدَ الشهودِ على قُدامة ابنِ مَظْعونٍ فى شرب الخمر ، وهو الذى قال لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : أتَقبَلُ شهادةَ الخصىِّ ؟ قال : أما شهادتك فأقبَلُ .

وهو عَلقمةُ بن سهْلِ بن عمارة ، فلمَّا سمّوه الخصىّ ، قالوا لعلقمةَ بن عَبَدة : الفحل . وعلقمةُ الخصىّ الذى يقول :

فلن يَعْدَمَ الباقون قبراً لجثّتى(٢) ولن يعـدَم الميراثَ منِّى المواليـا
حِراصٌ على ما كنت أجمعُ قبْلَهم هَنيئاً لهمْ جَمْعِى وما كنتُ واليا
ودُلِّيتُ فى زَوْراءَ ثُمَّتَ أعنَقوا لشأنهمُ قَدْ أفْرَدُونى وشانيا
فأصبح مالى من طريفٍ وتالدٍ لغيرى ، وكانَ المالُ بالأمس ماليا

وكما عرَض للدَّلال ونَومَةِ الضُّحى ، مِن خصاءِ عُثمانَ بن حيَّانَ [المرّىّ] والى المدينة لهما ، بكتابِ هشام بن عبد الملك(٣) .

(أثر تحريف كتاب هشام بن عبد الملك)

فمِنْ بنى مرْوان من يدَّعى أنَّ عاملَ المدينةِ صحَّف ، لأنه رأى فى الكتاب : «أحصِ مَنْ قِبلَك مِنَ المخنَّثين» فقرأها : « اخْصِ مَنْ قِبلَك من

(١) فى ط : « الجزيل » وصوابه « الجديل » كما فى ل والقاموس ، قال : فحل للنعمان ابن المنذر . . وأما داعر فهو فحل منجب . وجنب البعير : قاده إلى جنبه .
(٢) تختلف الروايات اختلافا كثيرا فى هذا الشطر . انظر الخزانة ٢ : ١٧٦ – ١٨٠ وذيل أمالى القالى ١٣٥ والعقد ٣ : ٣٥٧ حيث توجد قصيدة هذه الأبيات ، منسوبة إلى مالك بن الريب .
(٣) عند الجهشيارى ٤٥ أنه كتاب عمر بن عبد العزيز إلى أبى بكر محمد بن عمرو بن حزم .

المخنَّثين» . وذكر الهيثمُ عن الكاتب الذى تولّى قراءة ذلك الكتاب ، أنّه قال : وكيف يقولون ذلك ولقد كانت الخاء معجمةً بنقطةٍ ، كأنها سُهيل [أو تمْرةٌ صيحانية(١)] ؟ ! فقال اليقطرى(٢) : ما وجْهُ كتابِ هشامٍ فى إحصاءِ عدَد المخنَّثين ؟ وهذا لا معنى له ، وما كان الكتابُ إلاّ بالخاء المعجمة دون الحاء المهملة . وذُكِر عن مشايخَ من أهل المدينة أنهم حكَوا عنهما أنهما قالا : الآن صِرنَا نساءً بالحقّ ! ! كأنَّ الأمرَ لو كان إليهما لاختارَا أن يكونا امرأتين ! قال : وذُكِر أنهما خرجا بالخصلتين من الخصاء والتخنيث ، من فُتورِ الكلام ولِين المفاصل والعظام ، ومن التفكُّك والتثنِّى ، إلى مقدار لم يرَوا أحداً بلغه ، لا من مخنَّثات النساء ، ولا من مؤنَّثى الرجال .

(أبو همام السنوط)

وكما عرَض لأبى همـام السَّنُوط(٣) مِن امتلاخِ اللُّخْم مذاكيرَه وخصيَيه(٤) ، أصابَه ذلك فى البحر فى بعضِ المغازى(٥) ، فسقطت لحيتُه ، ولقِّب بالسَّنُوط ، وخَرَج لذلك نَهِماً وشَرِهاً .

---

(١) الصيحانى : ضرب من التمر أسود صلب الممضغة . وسمى صيحانيا لأن صيحان اسم كبش كان ربط إلى نخلة بالمدينة فأثمرت تمرا فنسب إلى صيحان . وفى قطعة الأمبروزيانا : «كأنها تمرة» فقط .

(٢) فى ط ، ل ، س ، والأمبروزيانا «البقطرى» بالباء ، وقد كتب بالياء فى مواضع متعددة من الحيوان والبيان .

(٣) ذكره الجاحظ فى البخلاء ١٧٦ وجاء محرفا بالمسوط . والسنوط بالفتح والتخفيف : من لا لحية له أصلا ، أو الخفيف العارضين .

(٤) فى ط : «من امتلاخ لحم مذاكيره وخصييه» وهو تحريف صوابه فى ل . وجاء فى القاموس : اللخم بالضم : سمك بحرى . وقد ضبط فى معجم المعلوف ص ٢٢٥ بالفتح سهوا ؛ قال : وهو يعرف بالقرش فى سواحل البحر الأحمر .

(٥) فى ل : «أصابه ذلك فى البحر سمكة فى بعض المغازى» .

وقال ذات يوم : لو كان النخلُ بعضُه لا يحمل إلاَّ الرُّطَب ، وبعضُه لا يحمل إلاّ التمرَ ، وبعضُه لايحملُ إلاّ المجزَّع[١] ، وبعضُه لايحمل إلاّ البُسر ، ٥٦ وبعضُه لا يحمل إلا الخَلاَل ، وكنَّا متى تناولْنا من الشِّمْراخ بُسْرَةً ، خلقَ آللهُ مكانها بُسرتين ، لَمَا كان بذلك بأس ! ثم قال : أستغفرُ الله ! لوكنتُ تمنيَّتُ أن يكونَ بدل نواةِ التمر زُبدة كان أصوَب ! !

ومنه مايعرض من جهة الأوجاع التى تعرِض للمذاكير والخصيتين ، حتى ربما امتلخَهما طبيبٌ ، وربَّما قطَع إحداهما ، وربما سقطتا جميعاً من تلقاءِ أنفسهما .

(نسل منزوع البيضة اليسرى)

والعوامُّ يزعمون أنَّ الولدَ إنّما يكونُ من البيضة اليسرى[٢] . وقد زعمَ ناسٌ من أهل سليمان بن عليٍّ ومواليهم ، أنَّ ولدَ داود بن جعفر الخطيب المعتزليّ ، إنَّما وُلِد له بعد أن نُزِعت بيضتُه اليُسرى ، لأمر كانَ عرض له .

والخصيُّ الطيّان ، الذى كان فى مسجد آبن رَغبان[٣] ، وُلِدَ له غلام ، وكان ليس له إلاَّ البيضةُ اليُمنى ، فجاء أشبهَ به من الذُّباب بالذُّباب والغرابِ بالغرابِ ، ولو أبصَرَه أجهلُ خلقِ الله تعالى بِفراسةٍ ، وأبْعدُهم من قِيافةٍ ، ومن مخالَطَةِ النخَّاسين ، أو من مجالسةِ الأعراب ، لعلِمَ أنَّه سُلالتُه

(١) فى ط ، س : « المخزع » و ل : « المنصف » وصواب الأول « المجزع » وهو البسر أرطب إلى نصفه .

(٢) هذا كلام فى البيان ١ : ٣٣٠ .

(٣) فى ط : « ابن زغبان » بالزاى وأبدلته بما فى ل ، ومافى معجم البلدان ، وقال ابن قتيبة فى المعارف ٣٦٦ : « ابن رغبان الذى ينسب إليه المسجد ببغداد ، هو مولى حبيب ابن مسلمة . . وكان حبيب عظيم القدر ، يلى الولايات زمن عثمان ومعاوية » .

وخلاصــته ، لا يحتاج فيــه إلى مجزِّز المُدْلجى[(١)] . ولا إلى ابن كريز[(٢)] الخُزَاعى .

(خصاء الروم)

ومن أهل الملل من يَخْصى ابنَه ويقفُه على بيت العبادَة . ويجعله سادناً ، كصنيع الرُّوم ، إلا أنهم لا يُحدثون فى القضيب حدثاً ، ولا يتعرضــون إلا للأنثيين ، كأنهم إنما كرهوا لأولادهم إحبالَ نســأَهم ورواهبهم[(٣)] فقط ! ! فأما قضاءُ الوَطَر وبلوغُ اللذة ، فقد زعموا أنهم يبلُغون من ذلك مبلغا لا يبلُغه الفحل ، كأنهم يزعُمون أنه يستقصى جميعَ ما عِندها ويستَجْلبه ، لفَرْط قوّته على المطاولة .

(الروم أول من ابتدع الخصاء)

وكلُّ خصاءٍ فى الدنيا فإنمــا أصلُه من قِبَل الروم ، ومن العجب أنهم نصارى ، وهم يدَّعون من الرأفة والرحمة ، ورقَّة القلبِ والكَبِد ، ما لا يدَّعيه أحد من جميع الأصناف ، وحسبك بالخِصاء مُثْلةً ! وحسبك بصنيع الخاصى قسوة ! ولا جَرَم أنهم بعثوا على أنفسهم من الخِصيان ، من طَلَب الطوائل وتذكُّر الأحقاد ، ما لم يظنُّوه عندَهم ، ولا خافوه من قِبَلِهم ،

---

(١) فى ط : « محرز » وإنما هو « مجزز » كما فى ل ، والقاموس والإصابة . وهو صحابى له ذكر فى الصحيحين . . وكان الرجل قائفا .

(٢) فى ل : « كرز » .

(٣) فى ط : « ودواهيهم » وتصحيحه من ل . والرواهب : جمع راهبة .

فلا هم ينزِعون ، ولا الخِصيانُ ينْكِلون ، لأنَّ الرِّماية فيهم فاشية ، وإن كان الخصيُّ أسواراً بلغَ منهم[1] ، وإن كان جمع معَ الرماية الثَّرْوة ، واتخذ بطَرْسُوس ، وأذَنَة ، الضِّياعَ واصطنعَ الرجال ، واتخذ العُقَدَ المُغِلَّة[2] فمضرَّة كلٍّ واحدٍ منهم عليهم ، تَفِي بمَضَرَّةِ قائدٍ ضخم . ولم ترَ عَداوةً قطُّ تجوز مقدارَ عداوتهم لهم ، وهذا يدلُّ على مقدار فرطِ الرغبة فى النساء ، وعلى شهوةٍ شديدةٍ للمباضَعة ، وعلى أنهم قد عرفوا مقدار ما فقدوا ، وهذه ٥٧
خصلةٌ كريمة مع طلب المثوبة ، وحسن الأحدوثة .

(خصاء الصابئة)

فأما الصابئون ، فإنَّ العابدَ منهم ربَّما خصى نفْسَه ، فهو فى هذا الموضع نقد تقدم الروميَّ ، فيما أظهرَ من حُسْنِ النيَّة ، وانتحل من الديانةِ والعبادة ، بخِصاء الولد التامِّ[3] ، وبإدخاله النقصَ على النَّسلِ ، كما فَعَل ذلك أبو المبارك الصابى . وما زال خلفاؤنا وملوكنا يبعثون إليه ، ويسمعون منه ، ويَسمَر عندَهم ، للَّذى يجدونه عنده من الفهم والإفهام ، وطُرَف الأخبار ، ونوادر الكتب ، وكان قد أربى على المائة ، ولم أسمعْ قطُّ بأغزَلَ منه ، وإنْ كان يصدُق عن نفسه فما فى الأرض أزنى منه .

---

(١) ط : « وإن كان الخصى أسود أبلغ منهم » وتصحيحه من ل . والأسوار بالضم وبالكسر : قائد الفرس والجيد الرمى بالسهام .

(٢) فى ط : « واتخذ العقد والعبيد المغلة » . والعقد : جمع عقدة ، وهى الضيعة .

(٣) فى ط : « بخصلة الولد التام » .

(حديث أبي المبارك الصابي)

حدَّثني محمد بن عباد قال : سمعتُه يقول — وجرى ذكرُ النساءِ ومحلِّهن من قلوب الرجال ، حتَّى زعموا أنَّ الرجلَ كلما كانَ عليهن أحرصَ كان ذلك أدلَّ على تمامِ الفُحولة فيه ، وكان أذهبَ له في الناحيـة التي هي في خلقتِه ومعناهُ وطبعهِ ، إذ كان قد جُعِل رجلاً ولم يُجعل امرأة — قال ابن عبّاد ، فقال لنا : ألستمْ تعلمون أنِّي قد أربَيتُ على المائة ، فينبغي لمن كان كذلك أن يكون وهْنُ الكِبَرِ ، ونفادُ الذِّكْرِ (١) ، وموتُ الشهوة ، وانقطاعُ ينبُوع النطْفة ، قد أماتَ حنينه إلى النساء وتفكيرَه في الغزَل ؟! قال : قلنا : صَدقتَ . قال : وينبغي أن يكون مَن عوَّد نفسه تركَهنَّ مُدداً ، وتخلى عنهن سنينَ ودَهراً (٢) ، أن تكون العادة وتمرينُ الطبيعة ، وتوطينُ النفسِ ، قد حطَّ من ثقل منازعة الشهوة ، ودواعي الباءة ، وقد علمتمْ أنَّ العادَة [التي] هي الطبيعة الثانية ، قد تستحكم ببعض عمـدِ هَجْرٍ لملامسة النساء (٣) . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي أن يكونَ مَن لم يذُقْ طعمَ الخَلوة بهنَّ ولم يجالسهنَّ متبذلات ، ولم يسمَعْ حديثَهنَّ وخِلاَبتهنَّ للقلوب ، واستمالتهن للأهواء ، ولم يَرَهُنَّ منكشفاتٍ عارياتٍ ، إذا تقدم له ذلك معَ طولِ الترْك ، ألا يكون بقي معه من دواعيهن شيء ؟! قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي أن يكون لِمَنْ قد علِم أنه مجبوبٌ ، وأنَّ سببه إلى خِلاطهنَّ محسوم ، أن يكون اليأسُ من أمتن أسبابه إلى الزهد

(١) الذكر هنا في معنى التذكار .
(٢) في ل : « زهدا » بدل « مددا » وفي ط « منهن » موضع « عنهن » .
(٣) في ل : « عمر » موضع « عمد » و « هجراني » موضع « هجر » .

والسلوة ، وإلى موت الخواطر . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغى أن يكونَ من دعاةُ الزُّهـدُ فى الدنيا ، وفيما يحتويه النساءُ مع جمالهنَّ وفتنةِ النُّسَّاكِ بهنّ ، واتّخاذِ الأنبياء لهنّ . إلى أن خَصَى نفسه ، ولم يُكْرِهْه عليه أبٌ ولا عدوٌّ ، ولا سَباه سابٍ ، أن يكون مقدارُ ذلك الزهدِ هو المقدار الذى يُميت الذِّكْرَ لهنَّ ، ويُسَرِّى عنـه ألم فقد وُجودِهنَّ[١] ، وينبغى لمن ٨ ه
كان فى إمكانه أن ينشئ العزم[٢] ويختارَ الإرادة التى يصير بها[٣] إلى قطع ذلك العضوِ الجامع لكبار اللذّات ، وإلى ما فيه من الألم ، ومع ما فيه من الخطر ، وإلى ما فيه من الْمُثلة والنَّقصِ الداخل على الخلقة ، أن تكون الوساوس فى هذا الباب لا تعرُوه ، والدواعى لا تقْروه[٤] . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغى لِمَنْ سَخَتْ نفسه عن السَّكَن وعن الوَلَد ، وعن أن يكون مذكوراً بالعقب الصالح ، أن يكون قد نسىَ هذا البابَ ، إن كان قد مرَّ منه على ذُكْر . هذا وأنتم تعلمونَ أنِّى سَمَلْتُ عينِى يومَ خَصَيت نفسى ، فقد نسيتُ كيفية الصُّوَرِ وكيف تَرُوع ، وجَهات المراد منها ، وكيف تُراد ، أفمـا كان[٥] [مَنْ كان كذلك] حَرِيًّا أن تكون نفسُه ساهيةً لاهيةً مشغولةً بالبابِ الذى احتمل له هـذه المكاره ؟! قال : قلنا : صدقت . قال : أوَ لوْ لم أكنْ هَرِماً[٦] ، ولم يكن ها هنا طولُ اجتنابٍ ، وكانت الآلةُ قائمةً أليس فى[٧] أنِّى لم أذُقْ حيواناً منذُ ثمانينَ

(١) فى ل : « ويستوى عندهن فقدهن ووجودهن » .
(٢) فى ط : « وينبغى لمن كان فى مكانه ألا ينسى العزم » .
(٣) فى ط : « يصيب بها » .
(٤) قراه يقروه : قصده . وفى الأصل « تطروه » .
(٥) فى ط : « فما كان ذلك » وتصحيحه من ل .
(٦) فى الأصل : « أوليس لولم أكن هرما » .
(٧) فى الأصل : « ألا » .

سنة ولم تمتلِ عُروقى[١] من الشرابِ مخافةَ الزيادة فى الشهوة ، والنقصان من العزم — أليسَ[٢] فى ذلك ما يقطع الدواعى ، ويُسْكِن الحركة إن هاجت ؟ ! قال : قلنا : صدقت . قال : فإنّى بعدَ جميعِ ما وصفتُ لكم ، لأَسْمَعُ نغْمةَ المرأةِ فأظنُّ مرّةً أنّ كَبِدى قد ذابت ، وأظنُّ مرّةً أنّها قد انصدعت ، وأظنُّ مرّةً أنّ عقلى قد اختُلِس ، وربّما اضطرَب فُؤادى عند ضَحِك إحداهُنّ ، حتّى أظنَّ أنّه قد خرجَ مِن فِى ، فكيف ألومُ عليهنّ غيرِى ؟ !

فإن كان — حفظك الله تعالى — قد صدَق على نفسه فى تلك الحال ، بعد أن اجتمعت فيه هذه الخصال ، فما ظنُّك بهذا قبل هذا الوقت بنحو ستّين سنة أوْ سبعين سنةً ؟ ! وما ظنُّك به قبلَ الخصاء بساعة ؟ ! وليس فى الاستطاعةِ ولا فى صفةِ الإمكان : أن يحتَجِز عن إرادة النساء ، ومعَه من الحاجةِ إليهنّ والشهوةِ لهنّ هذا المقدارُ ! الله تعالى أرحمُ بخلقِه ، وأعدَلُ على عباده ، من أن يكلِّفَهم هِجرانَ شىءٍ ، قد وصلَه بقلوبهم هذا الوصلَ ، وأكّدَه هذا التأكيد .

وقد خصى نفسَه من الصابئين رجالٌ ، قد عرَفناهم بأسمائهم وأنسابهم ، وصفاتهم وأحاديثهم . وفى الذى ذكرنا كفايةٌ إن شاء الله تعالى .

(استئذان عثمان بن مظعون فى الخصاء)

وقد ذُكِر أنَّ عثمانَ بن مَظْعونٍ ، ٱستَأْذَنَ النبيَّ صلى ٱللهُ عليه وسلم فى السياحة فقال : « سِيَاحَةُ أُمَّتِي الْجَمَاعَةُ » . واستأذَنَه فى ٱلخصاءِ فقال :

---

(١) فى ط : « تشمل » وماأثبته من ل .
(٢) فى الأصل : « لكان » .

« خِصاء أمّتى الصوم ، والصوم وِجاء » . فهذا خِصاءُ الديانة .

(خصاء الجلب وقسوته) ٥٩

فأمّا من خصى الجَلَب(١) على جهة التجارة ، فإنه يَجُبُّ القضيب ، ويمتلخ الأنثيين ، إلاّ إن تقلّصت إحداهما من فَرْط الفَزَع(٢) ، فتصيرُ إلى موضعٍ لا يمكن ردُّها إلاّ بعلاج طويل ، فللخاصى عند ذلك ظلمٌ لا يفى به ظُلم ، وظلم يُربى على كلّ ظلم(٣) ، لأنّه عندَ ذلك لا يحفِل بفوت المتقلِّص(٤) ، ويقطع ما ظهر له ؛ فإن برئ مجبوبَ القضيب أو ذَا بيضةٍ واحدة ، فقد تركه لا امرأةً ولا رجُلا ولا خَصِيًّا ، وهو حينَئذٍ مِمّن تخرُج لحيتُه ، ومِمّن لا يدعه الناسُ فى دُورهم ومواضعِ الخصوص من بيوتهم ، فلا يكونُ مع الخصيان مقرَّباً ومكرَّما ، وخَصِيبَ العَيش منعَّما ، ولا هو إذا رُمِى به فى الفحول ، كان له ما للفحول من لَذَّةِ غِشيان النساء ، ومِن لذّةِ النسل والتمتُّعِ بشم الأولاد ؛ فلم يزَل عندَ الفحولِ مستضعَفاً محتقراً ، وعند الخصيان مجرَّحا مطرحا(٥) ، فهو أسوأُ حالا من السَّدِمِ المعنَّى(٦) فلا أعلم قتْلَهُ — إذا كان

---

(١) الجلب : ماجلب من خيل وغيرها .

(٢) ط : « القزع » والصواب مافى ل .

(٣) ل : « وظلم يربى على الظلم الأول وعلى كل ظلم » .

(٤) ط : « بموت المقلص » وصوابه فى ل .

(٥) ل : « مخرجا مطردا » .

(٦) اللسان : السدم : الذى يرغب عن فحلته ، فيحال بينه وبين ألافه ، ويقيد إذا هاج ، فيرعى حوالى الدار ، وإن صال جعل له حجام يمنعه عن فتح فمه . قال الوليد بن عقبة :

قطعت الدهر كالسدم المعنى تهدر فى دمشق وما تريم

القتلُ قِتلةً صريحة[1] مُريحة — إلاّ أصغرَ عند الله تعالى ، وأسهلَ على هذا المظلوم من طول التعذيب . والله تعالى بالمرصاد .

(خصاء البهائم)

وأمّا خصاءُ البهائم ، فمنه الوِجاءُ ، وهو أن يشدَّ عصَبُ مجامع الُخصية من أصل القضيب ، حتَّى إذا نَدَرت البيضة ، وجَحَظت الُخصية ، وجأَها حتى يرضَّها ، فهى عند ذلك تذبُل وتنخسف ، وتذوِى وتستَدِقّ ، حتى تذهبَ قُواها ، وتنسدَّ المجارى إليها ، ويسرىَ ذلك الفسادُ إلى موضع تربية النُّطْفة ، فيمنَعها من أن تكثُر أو تعذب أو تخثُر .

ومنها ما يكون بالشدِّ والعصْب ، وشدَّةِ التحزيق ، والعَقْدِ بالخيط الشديد الوَتير الشديد الفتل ، فإذا تركه على ذلك عمِل فيه وحزَّ ، أو أكَلَّ ومنعَه من أن يجرىَ إليه الغذاءُ ، فلا يلبثُ أن ينقطعَ ويسقط .

ومنه الامتلاخ ، وهو امتلاخ البيضتين .

(خصاء الناس)

فأمّا خصاءُ الناس ، فإنّ للخاصى حديدةً مرهَفَةً مُحْماة ، وهى الحاسمة ، وهى القاطعة . قال أبو زيد : [يقال] خصَيت الدابة أَخصِيها خِصاءً ، ووجأتها أَجَؤُها وِجاءً . ويقال : برئتُ إليك من الخصاء أو الوجاء ، ولايقال ذلك إلاّ لما كان قريبَ العهد لم يبرأ منه ، فإذا برئ لم يُقَل له[2] .

---

(١) ل : « سريحة » .

(٢) فى الأصل : « لم يقله » وهو خطأ فى الرسم أوجبه تكرار اللام ، والوجه ما كتبت .

وأما الخِصاءُ فهو أنْ يسلَّ الُخصيتين ، والوجاء أن توجَأ العروقُ والخصيتان على حالها . والمعصوب من التيوس الذى تُعصَب خُصيتاه حتى تسقطا . والواحد من الخصيان خَصِيٌّ ومخصىّ . ويقال ملست الخصيتَين أملُسهما ملْسا ، ومتَنْتُهما أمتنهما متْنا ، وذلك أن تشقّ عنهما الصَّفَن فتسلَّهُما بعروقهما . والصَّفَن : جلدة الُخصيتين .

(خصاء البهائم والدِّيكة)

والخِصاءُ فى أَحداثِ البهائم ، وفى الغنم خاصةً ، يدع اللَّحمَ رَخْصاً ونديًّا عذبا ؛ فإنْ خَصَاه بعد الكبر ، لم يقو خِصاؤُه — بعدَ استحكامِ القوّة — على قلْب طباعه . وأجود الخِصاء ما كانَ فى الصِّغَر ، وهو يسمَّى بالفارسية ثربخت[١] يُعنَى بذلك أنّه خُصِىَ رطبا . والَخصىُّ من فحولها أحمَلُ للشحم ، لعدم الهيْج والنَّعْظ ، وخروج قواه مع ماء الفِحْلة[٢] . وكثرةُ السِّفاد تورث الضَّعْفَ والهُزالَ فى جميعِ الحيوان . وقد ذُكِر لمُعاوية كثرة الجماع فقال : ما استُهتِرَ به أحدٌ إلّا رأيت ذلك فى مُنَّته[٣] .

والديك يُخصى ليَرطب لحمُه ويطيب ويحمِل الشحم .

(خصاء العرب لفحولة الإبل)

وكانت العربُ تَخصِى فُحولَةَ الإبلِ لئلَّا يأكلَ بعضُها بعضاً ، وتستبقى ما كان أجودَ ضِراباً ، وأكثرَ نَسْلا ، وكلَّ ما كان مِئناثا[٤]

(١) ط : « بربخت » .
(٢) ط : « عما يجامع الفحلة » وهو تحريف .
(٣) ط : « متنه » . والمنة : القوة . والخبر فى البيان ٢ : ٨١ وكتاب البغال ٣٠٤ .
(٤) ط : « ماسا » وهو تحريف صوابه فى ل .

وكان شابًّا ولم يكن مِذكارا ، وهم يسمُّون الإذكار المحْقَ الخفىّ(١) . وما كان منها عَيَاياءَ طَبَاقاءَ ، فمنها ما يجعل السَّدِمَ المعنَّى . وإذا كان الفحلُ لا يُتَّخذ للضِّراب ، شدُّوا ثِيلَه شدًّا شديداً ، وتركوه يهدِر ويُقَبقِب فى الهَجْمة ، ولا يصل إليهنّ وإن أردنَه ، فإذا طلبْنَ الفحلَ جِيءَ لهنّ بفحلٍ قَعْسرىٍّ(٢) ويقولون: « لَقْوَةٌ لاقَتْ قَبِيسا ! » . والقَبِيس من الجِمال : السريع الإلقاح ، واللَّقوة : السريعة القَبول لماءِ الفحلِ .

وشكت امرأةٌ زوجَها ، وأخبرتْ عن جهلِه بإتيانالنساء، وعِيِّه وعجْزِه، وأنَّه إذا سقط عليها أطبَقَ صدرَه — والنساءُ يكرهْنَ وقُوعَ صدورِ الرجال على صدورهنَّ — فقالت : زَوْجِى عَيَاياءُ طَباقاء ، وكلُّ داءٍ لَهُ داءٌ !!

وقال الشاعر :

طَباقَاءُ لم يَشْهدْ خُصوماً ولم يَقُدْ ... رِكاباً إلى أكوارِها حينَ تعكف(٣)

(خصاء العرب للخيل)

وكانوا يَخْصُون الخيل لشبيه بذلك(٤) . ولعلَّة(٥) صهيلها ليلةَ البَيَات ، وإذا أكمنوا الكُمَناء أوْ كانوا هُرَّابا .

---

(١) ط : « وهم يسمون المذكار المحق الخفى » وهو تحريف مافى ل .

(٢) القعسرى : الضخم الشديد . وفى الأمبروزيانا : « نحى وجىء لهن بفحل قبيس » .

(٣) ط : « لم يكن » و « حين تعلف » وفى ل والامبروزيانا « لم ينخ » و « حين تعكف » وأصلحت البيت كما ترى من ل والبيان ١ : ١١٠ .

(٤) ط : « للتشبه بذلك » .

(٥) ل : « ولقلة » .

(القول فى كلمة خنذيذ)

ويزعم من لاعلم له ، أنَّ الخنذيذ(١) فى الخيل هو الخصىُّ . وكيف يكون ذلك كما قال ، مع قول خُفَاف بن نَدْبة :

وخناذيذ خصيةً وفُحولا(٢)

وقال بشرُ بنُ أبى خَازم :

وخنذيذٍ تَرَى الغُرْمُولَ منهُ كَطىِّ البُرْدِ يَطويه التِّجَارُ(٣)

وليس هذا أرادَ بِشر ، وإنَّما أراد زمانَ الغزو ، والحالَ التى يعترى الخيلَ فيها هذا المعنى ، كما قال جد الأحيمر(٤) :

لا لا أعقُّ ولا أحُو ب ولا أُغيرُ على مُضَرْ

لكنَّما غزوِى إذا ضجَّ المطىُّ من الدَّبَرْ ٦١

وإنَّما فخَر بالغزْوِ فى ذلك الزمان .

وأما الخنذيذ فهو الكريم التامُّ ، وربَّما وصفوا به الرجل . وقال كثير :

على كل خنذيذ الضَّحَى متمطِّرٍ وخَيْفانةٍ قد هذَّب الجرى آلَها(٥)

وقال القطامى :

---

(١) يتكرر فى ط رسم هذه الكلمة ومشابهاتها برسم « خنزير » و « خنازير » وهو تصحيف أصلحته من ل ، ومن اللسان ، ومن البيان ٢ : ١١ - ١٢ وأدب الكاتب ١٦٣ والاقتضاب ٣٦٢ وصحاح الجوهرى .

(٢) البيت منسوب فى البيان ٢ : ١١ إلى البرجمى ، وهو فى اللسان خفاف بن عبد قيس من البراجم ، وفى الصحاح خفاف بن قيس ، فيكون غير خفاف بن ندبة ، إذ أن ابن ندبة من بنى الشريد ، وهو ابن عم الخنساء ، وليس بنو الشريد من البراجم . وصدر البيت المذكور هو كما فى اللسان : وبراذين كابيات وأتنا .

(٣) البيت فى البيان ٢ : ١١ .

(٤) فى الأصل « جد الأحيمز » وتصحيحه من بيان الجاحظ ٣ : ٢٠٠ والأحيمر السعدى شاعر كان من لصوص العرب مثل عبيد بن أيوب العنبرى . وله ترجمة فى الشعراء لابن قتيبة . وأما جده فهو الحارث بن يزيد كما فى البيان .

(٥) المتمطر : السريع . وهى فى الأصل « متمطرا » وليس بشىء . وآلها : شخصها .

[على] كلِّ خنذيذِ السَّراة مُقلِّصٍ   تخنَّثَ منـــه لحمُه المتكاوِسُ[1]

ومن الدليل على أنَّهم ربما جعَلوا الرجلَ إذا ما مدحوه خنذيذا ، قولُ بعضِ القيسيين[2] ، مِن قيسِ بنِ ثعلَبة :

دعوتُ بنى سعدٍ إلىَّ فشمَّرتْ   خناذيذُ مِن سعدٍ طِوالُ السواعدِ

(عبد الله بن الحارث وعبد الملك بن مروان)

وقال عبدُ الله بن الحارث ، وكتب بها إلى عبدِ الملكِ بن مرْوان ، حين فارقَ مُصعَبا :

بأىِّ بلاءٍ أم بأيَّةِ عِلَّـــةٍ   يُقدَّم قبلى مُســـلِمٌ والمهلَّبُ

ويُدعَى ابنُ منجوف أمامى كأنَّه   خَصِىٌّ دنا للماء من غير مَشْرَبِ[3]

فقلت ليونس : أقوى ! فقال : الإقواءُ أحسَنُ من هذا ! قال : فلمَّا أخذتْه قيسٌ نصبُوه، فجَعلوا يرمُونه بالنبل ويقولون: أذاتَ مغازل[4] تَرَى؟! [يريدون بيت ابن الحرّ[5]] :

ألم تر قيساً ــ قيسَ عَيلانَ ــ برقعت   لِحاهَا وباعت نبلهـــا بالمغازل

فلما أُتى مُصعبٌ برأسِه ، قال لسُويد : يأبا المِنهال ! كيف ترى ؟ قال : أيُّهَا الأمير ! هو واللهِ الذى أتَى المـاءَ من غير مَشْرَب .

---

(١) الزيادة من ل .

(٢) ط : « القسيسين » وهو تحريف . والبيت فى البيان ٢ : ١٢ منسوبا إلى العبسى ، فصوابه القيسى .

(٣) ط : « ويدعى ابن منجوت » والصواب « ابن منجوف » واسمه سويد ، وله أخبار فى البيان والأغانى .

(٤) ط : « منازل » بالنون .

(٥) هو عبيد الله بن الحر الجعفى ، قائد من قواد العرب ، كان من أصحاب عثمان ، وبعد مقتله انحاز إلى معاوية ، وشهد صفين . وكان له منازعات مع مصعب بن الزبير ، ولما خاف من الأسر ، ألقى بنفسه فى الفرات ، فمات غريقا سنة ٦٨ .

وقال أعشى هَمْدان :

وأبو بُريذِعةَ الذى حُدِّثْتَهُ فينا أذَلُّ مِن الخصىِّ الدَّيزجِ [١]

وتعرِض الخصىَّ سُرعةُ الدَّمعة ، وذلك مِن عادةِ طبائع الصبيان ثم النِّساءِ ، فإنَّه ليس بعدَ الصبيان أغزَر دَمعةً من النساء ، وكفاك بالشيوخ الهرمين .

(أخلاق الخصى)

ويعرض للخصىِّ العبثُ واللَّعِبُ بالطير ، وما أشبهَ ذلك من أخلاق النساء ، وهو من أخلاق الصبيان أيضاً .

ويعرض له الشَّرَهُ عندَ الطعام ، والبخلُ عليه ، والشحُّ العامُّ فى كلِّ شىء ، وذلك مِن أخلاق الصِّبيانِ [ثم النِّساء[٢]] .

وقال الشاعر :

كأنَّ أبا رُومان قيساً إذا غدَا خَصِىٌّ بَراذِينٍ يُقَاد رَهيصُ
له مِعْدَةٌ لايشتكى الدهرَ ضَعْفَها وحَنجرةٌ بالدورقين قَموصُ

ويعرض للخصىِّ سرعةُ الغضبِ والرضا ، وذلك من أخلاق الصِّبْيان ٦٢
والنِّساء . ويعرض له حبُّ النميمة ، وضيقُ الصدر بما أُودِع من السرّ ، وذلك من أخلاق الصبيان والنساء . ويعرض له دون أخيه لأُمِّه وأبيه ، ودون ابنِ عمِّه وجميعِ رهطِه ، البصَرُ بالرَّفْع والوضْع ، والكنسِ والرشِّ ، والطَّرحِ والبسْطِ ، والصبرُ على الخدمة ، وذلك يعرِض للنساء .

(١) ط : « الريذج » والصواب ما أثبت من ل . والديزج : قال ابن قتيبة فى أدب الكاتب ١٠٥ : « الأخضر هو فى كلام العجم الديزج » . وقال الإسكافى فى مبادئ اللغة ١٢٣ : « والأخضر الأطحم المسمى بالفارسية الديزج » .

(٢) التكملة من نسخة الأمبروزيانا .

ويعرض له الصبرُ على الرُّكوب ، والقوّة على كثرةِ الركْض حتّى يجاوز فى ذلك رجالَ الأتراكِ وفرسانَ الخوارِج . ومتى دفَع إليه مَولاه دابَّتَه ودخل إلى الصلاة ، أو ليغتسل فى الحمام ، أو ليعودَ مريضاً ، لم يترُكْ أن يُجرِيَ تلك الدابَّةَ ذاهباً وجائياً ، إلى رجوعِ مولاه إليه .

ويعرض له حبٌّ الرمى بالنُّشّاب ، لِلّذى يدور فى نفسه من حبِّ غزوِ الرُّوم. ويعرض له حبٌّ أن تَمْلِكَه الملوك ، على ألّا تقيمَ له إلّا القوتَ ، ويكونَ ذلك أحبَّ إليه من أنْ تملِكَه السُّوقةُ ، وإن ألحقتْه بعيشِ الملوك ! !

ومن العجب أنَّهم مع خروجِهم من شَطْر طبائع الرجال ، إلى طبائع النساء ، لا يعرِض لهم التخنيث . وقد رأيت غيرَ واحدٍ من الأعرابِ مخنَّثاً متفكِّكا ، ومؤنثا يَسيلُ سيلاً ، ورأيتُ عدّةَ مجانينَ مخنَّثين ، ورأيتُ ذلك فى الزِّنج الأقحاح . وقد خبَّرنى من رأى كُردِيًّا مخنثاً ، ولم أر خَصيًّا قط مخنَّثاً[١] ، ولا سمعتُ به ؛ ولا أدرى كيف ذلك ولا أعرف المانعَ منه . ولو كان الأمرُ فى ذلك إلى ظاهِر الرأى ، لَقَدْ كان ينبغى لهم أن يكونَ ذلك فيهم عامًّا[٢] !

ومما يَزيدنى فى التعجُّب من هذا الباب ، كثرةُ ما يعرِض لهم من الحُلاَق[٣] ، مع قلّةِ ما يعرِض لهم من التخنيث ، مع مفارقتِهم لشطرِ معانى الرجال إلى شبه النساء .

ويزعم كثير من الشيوخ المعمَّرين ؛ وأهلِ التجربة المميِّزين ، أنَّهم اختبروا أعمارَ ضُروبِ الناس ، فوجدوا طُولَ[٤] الأعمارِ فى الخصيان أعمَّ

---

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) فى الأصل : « ولكن كان الأمر . . . ولقد . . . الخ » وقد قومت العبارة بما ترى .

(٣) الحلاق ، كغراب : أن يفسد متاعه ، فينعكس ميله الجنسى .

(٤) ط : « أطول » وتصحيحه من ل . وانظر مفاخرة الجوارى والغلمان ١٢٤ .

منه فى مثلِ أعدادهم[1] من جميع أجناس الرجال ، وأنّهم تفقدوا أعمارَهم وأعمارَ إخوتِهم وبنى أعمامهم الذين لم يُخصَوْا ، فوجَدُوا طول العُمُر فى الخِصيان أعمَّ ؛ ولم يجدوا فى عمومِ طوال العمر فيهم واحداً نادراً ؛ كفلانٍ وفلانٍ من الفحول .

وزعموا أنّهم لم يجدوا لطول أعمارِهمْ علّةً إلّا عدَمَ النِّكاح ، وَقلّة استفراغِ النُّطَف لقُوى أصلابهم .

قالوا : وكذلك لم نجدْ فيما يعايشُ الناسَ فى دُورهم ، من الخيل والإبل ، والحمير ، والبقر ، والغنم ، والكِلابِ ، والدَّجاج ، والحمام ، والدِّيَكة ، والعصافير ؛ أطول أعماراً من البغال . ٦٣

وكذلك قالوا : وجدْنا أقلّها أعماراً العصافيرَ . وليس ذلك إلّا لكثْرةِ سِفادِ العصافير وقلّةِ سِفادِ البغال .

وجعل هؤلاء القومُ زيادةَ عمر البغلِ على عمرِ أبوَيه دليلا على أنّ قول الناسِ : لا يعيشُ أحدٌ فوق عمر أبويه خطأ . وأولئك إنما عنوا الناسَ دونَ جميع الحيوان .

(النتاج المركب)

وقالوا : قد وجدنا غُرمولَ البغل أطولَ من غرمول الحمار والفرس والبرذون ؛ وهؤلاء أعمامُه وأخواله ؛ فقد وجدْنا بعض النِّتاجِ المركَّبِ ، وبعضَ الفروعِ المستخرجة ، أعظمَ من الأصل ؛ ووجدنا الحمام الرَّاعِبى[2] أعظمَ من الوَرَشان الذى هو أبوه ، ومن الحمامةِ التى هى أمُّه ؛ ولم نجدْه أخذَ من عمر الوَرَشان شيئا ؛ وخرج صَوْتُه من تقدير أصواتهما ؛ كما خرج شَحِيج البغْل مِن نهيق الحمار وصهيل الفرَس . وخرَج الرَّاعِبى مُسروَلاً ؛

---

(١) الأعداد : جمع عد بمعنى الند وزنته ، فالأعداد : الأنداد .

(٢) ط : « الزاغبى » ، والصواب مافى ل . قال فى المجمل : الحمامة الراعبية : ترعب فى صوتها ترعيبا ، وذلك قوة صوتها . تاج العروس .

ولم يكن ذلك فى أبويه ؛ وخرج مُثْقَلاً سيِّئَ الهداية . وللوَرَشان هداية ، وإن كان دونَ الحمام ؛ وجاء أعظمَ جُثّة من أبويه ؛ ومقدارُ النَّفَس مِن ابتداءِ هَديلِه إلى منقطَعِه ؛ أضعافُ مقدارِ هديلِ أبويه .

وفَوالجُ البُخْتِ إذا ضرَبت فى إناث البُخت ؛ لم يخرُج الحُوَارُ إلاّ أدَنّ[1] قصيرَ العُنق ؛ لا ينال كلأً ولا ماءً إلّا بأنْ يُرْفَعا إليه ؛ فيصيرُ — لمكانِ نُقْصان خلقه — جَزورَ لحم ؛ ولا يكون من اليعمَلات ولا من السابقة ؛ ولو عالُوه وكفَوه مُؤْنة تكلف[2] المأكولِ والمشروب ، ثم بلغَ إلى أنْ يَصيرَ جملاً يمكنُه الضِّراب . وكذلك [الأنثى التى هى] الحائل إلى أن تصيرَ ناقة ؛ فلو ألقحها الفحلُ لجاء ولدُها أقصرَ عنقا من الفيل ، الذى لو لم يجعل اللهُ تعالى له خُرطوما يتناولُ به طعامَه وشرابه ، لمات جُوعا وهُزالا ؛ وليس كذلك العِرَاب . وإذا ضربت الفوالجُ فى العراب جاءت هذه الجوامز[3] والبُخْت الكريمة التى تجمع عامّة خصال العراب وخصالِ البُخْت ؛ فيكونُ ما يُخرِج التركيبُ من هذين الجنسين أكرمَ وأفخمَ وأنفس وأثمن . ومتى ضربت فحولُ العِرَاب فى إناث البُخْت جاءت هذه الإبل البَهْوَنِيَّة[4] [والصَّرصرانية[5]] فتخرج أقبح منظراً من أبويها ، وأشدَّ أسْراً من أبويها . [وقال الراجز : ولا بهونى من الأباعر]

---

(١) ط : « أتانا » وهو تصحيف عجيب ، أبدلته بما فى ل . والدنن ، محركة : انحناء فى الظهر ، ودنو وتطامن فى الصدر والعنق . وهو أدن ، وهى دناء .

(٢) ط : « تكليف » . (٣) ط : « الجواميز » .

(٤) ط : « اليهوتية » . ل : « اليهونية » وكلاهما تحريف ، وقد جاء فى القاموس « والبهونية من الإبل مابين الكرمانية والعربية » . وجاء فى المخصص ٧ : ١٣٥ واللسان « والبهنوى — بتقديم النون — من الإبل : مابين الكرمانية والعربية ، وهو دخيل فى العربية » .

(٥) فى القاموس والمخصص : « الصرصرانيات : بين البخاتى والعراب ؛ أو الفوالج » وفى الأصل : «وهى الصرصرانية » ، وإنما هما ضربان .

وبعد ؛ فإنّ هذه الشِّهريّة الُخراسانية ؛ يخرج لها أبدانٌ فوقَ أبدانِ أمّهاتِها وآبائها من الخيل والبراذين ؛ وتأخذ من عِتْق الخيل ، ومن وثاجة(١) البراذين ؛ وليس نِتاجها كنتاج البِرذَونِ خالصاً والفرس خالصا .

وما أشبهَ قرابةَ الحمارِ بالرَّمكة والحِجْرِ ؛ من قرابةِ الجمل الفالج ٦٤
البُخْتيّ بقرابةِ القَلوص الأعرابيَّة .

(الحمر الوحشية)

ويقال إن الحمرَ الوحشيَّة ؛ وبخاصَّةٍ الأخدريَّة ؛ أطولُ الحمير أعماراً وإنما هى من نِتَاج الأخدَر ؛ فرس كانَ لأَرْدَشير بن بابَك صار وحشيًّا(٢) فحمَى عِدَّةَ عاناتٍ فضرب فيها ، فجاء أولادُه منها أعظمَ مِن سائرِ الحمر وأحسنَ ، وخرجَتْ أعمارُها عن أعمارِ الخيل وسائرِ الحُمُر — أعنى حمر الوحش — فإنَّ أعمارَها تزيد على الأهليَّة مِراراً عدَّة .

(عير أبى سيارة)

ولا يعرفون حماراً وحشيًّا عاشَ أكثر وعُمِّر أطول من عير أبى سيَّارَة عُمَيلة بن أعزل(٣) ؛ فإنهم لايشكُّون أنّه دَفَع عليه بأهلِ الموسم أربعين عاما ! !

قال الأصمعىُّ : لم يكن عيراً وإنما كان أتانا .

---

(١) ط : « وشاجة » وإنما هى « وثاجة » كما فى ل . والوثاجة : الاكتناز .

(٢) ط : « صار حمارا وحشيا » والصواب ما أبدلت من ل و س .

(٣) ط : « غميلة بن أعزل » وإنما هو « عميلة » بالعين كما فى ل والبيان ١ : ٣٠٧ وفيه قال عيسى بن حاضر : لو أراد أبو سيارة عميلة بن أعزل أن يدفع بالموسم =

(لهج ملوك فارس بالصيد)

وزعموا — وكذلك هو فى كتبهم — أنَّ ملوكَ فارسَ ؛ كانت لهجة بالصيد ؛ إلا أنَّ بهرام [جور] هو المشهورُ بذلك فى العوامّ .

وهم يزعمون أنّ فيروز بن قباذ[١] الملك الفارسىّ ؛ ألحَّ فى طلبِ حمار أخدرى ؛ وقد ذُكِر له ووُصف ؛ فطاوَله عند طلبه والتماسه ؛ وجدَّ فى ذلك فلجَّ به عند طلبه الاغترام ؛ وأخرجته الحفيظةُ إلى أن آلى ألَّا يأخذَه إلا أسراً ؛ ولا يطاردَه إلا فرداً ؛ فحمل فرَسه عليه[٢] ؛ فحطَّه فى خَبَار[٣] فجمع جَراميزه وهو على فرسه ووثَب ؛ فإذا هو على ظهره ؛ فقمَّص به ، فضم فخذيه فحطَّم بعض أضلاعه ؛ ثم أقبل به إلى معظم الناس ؛ وهم وقوف ينظرون إليه وهو راكبه .

قالوا : وكان الملك منهم إذا أخذ عَيراً أخدريًّا وغيرَ ذلك ؛ فإذا وجدَه فتيا[٤] وسمَه باسمه[٥] وأرَّخ فى وسمِه يومَ صيده وخلَّى سبيله ؛ وكان كثيراً إذا ما صاده الملكُ الذى يقوم به بعدَه ؛ سار فيه مثلَه تلك السِّيرةَ وخلَّى سبيله ؛ فعرَف آخرُهم صنيعَ أوّلِهم ؛ وعرفوا مقدارَ مقاديرِ أعمارها .

= على فرس عربى أو جمل مهرى لفعل ، ولكنه ركب عيرا أربعين عاما ، لأنه كان يتأله اهـ . وقد أفاض الثعالبى فى ثمار القلوب فى الحديث عنه ص ٢٩٥ .

(١) ط : « فيروز بن قبار » وتصويبه من ل .

(٢) ط : « إلا فردا (اقتداراً لخيار الأرض الرخوة) فحمل عليه » بإقحام الجملة الموضوعة بين قوسين كبيرين ، وواضح أنها تعليق لأحد الكتاب ، حيث فسر الخبار بأنه الأرض الرخوة ، وصحفها آخر فجعلها « لخيار » .

(٣) ط : « خيار » وصوابه فى ل .

(٤) ط : « متينا » .

(٥) ط : « وسمه باسم » .

(الحكمة فى تخالف النزعات والميول)

ولولا أنَّ ناساً من كلِّ جيل ، وخصائصَ من كلِّ أمَّة ، يلهجون ويتكلَّفون بتعرُّف معانى آخرين لدرستْ ، ولعلَّ كثيراً من هؤلاء يُزْرى على أولئك ، ويعجِّب الناسَ من تفرُّغهم لما لايجدى ، وتركهم التشاغلَ بما يُجْدِى ، فالذى حبَّب لهذا أن يرصُدَ عمر حِمار أو وَرَشانٍ أو حيَّة أو ضبٍّ ، هو الذى حبَّب إلى الآخَر أن يكون صيَّاداً للأفاعى والحيَّات ، يتتبَّعُها ويطلُبها فى كلِّ وادٍ وموضِع وجَبَلٍ للترياقات . وسخَّرَ هذا ليكون سائسَ الأُسْدِ والفُهود والنُّمور والببور [(١)] ، وترَكَ من تِلقاء نفسه أن يكونَ راعىَ غنم ! !

والذى فرَّق هذه الأقسامَ ، وسخَّر هذه النفوسَ ، وصَرف هذه العقول لاستخراجِ هذه العلوم من مدافِنها ، وهذه المعانى من مخابِيها ، هو الذى سخَّر ٦٥ بَطْليمُوسَ مع مُلْكه [(٢)] ، وفلاناً وفلاناً للتفرُّغِ للأمور السماويَّة ، ولرعايةِ النجوم واختلافِ مَسير الكواكب . وكلٌّ ميسَّرٌ لِما خُلِق له ، لتَتِمَّ النعمة [(٣)] ولتكمُل المعرفة ، وإنما تأبَى التيسير للمعاصى [(٤)] .

فأمَّا الصناعاتُ فقد تقصُر الأسبابُ بعضَ الناس على أن يصير حائكا ، وتقصُر بعضَهم على أن يكون صَيْرَفيًّا . فهى وإن قصَرتْه على الحِياكة ، فلم تقصُرْه على خُلْف المواعيد وعلى إبدال الغُزُول ، وعلى تشقيق العملِ دونَ الإحكام والصدق وأداءِ الأمانة ؛ ولم تقصر الصيرفىَّ على التطفيف [(٥)] فى الوزنِ والتغليط

---

(١) فى الأصل : « البيور » وإنما هى « الببور » جمع ببر ، وللفريق المعلوف كلام جيد فى التعريف بهذا الحيوان ص ٢٤٨ من معجمه .

(٢) يرى الجاحظ – كما يرى بعض المؤرخين – أن بطليموس كان ملكا من ملوك البطالسة اليونانيين ، وللقفطى تحقيق دقيق فى هذا الوهم فى كتابه ص ٦٨ .

(٣) ط : « لتتم النعمة » .

(٤) ل : « وإنما نأبى التيسير للعاصى » . والمعتزلة يريدون به تعالى عن نسبة الشر أصلا

(٥) ل : « التقطيف » .

فى الحساب ؛ وعلى دسِّ المموِّه ؛ تعالى الله عزَّ وجلَّ عن ذلك علواً كبيراً .

(خضوع النتاج المركب للطبيعة)

ولوكان أمرُ النِّتاج وما يحدث بالتراكيب ويخرج من التزاويج ؛ إلى تقدير الرأى وما هو أقربُ إلى الظنِّ ؛ لكانت الأظْلاف[1] تجرى مَجْرَى الحوافر والأخفاف . ألا ترى أنَّ قرابة الضأن من الماعز ؛ كقرابة البُخْت من العراب ؛ والخيل من الحمير ! !

وسبيل نتائج الظِّلْف على خلافِ ذلك ؛ لأنَّ التيسَ — على شدَّة غُلمته — لا يعرض للنعجة [إلاّ بالقليل الذى لا يُذكر . وكذلك ما يحدث بينهما من الولد كذلك : إمّا ألاّ يتمّ خَلقُه ، وإما ألاّ يعيش[2]] ؛ وكذلك الكبشُ والعنز فضلا عن أن يكون بينهما نتاج[3] لأنه قد يضرب الجنسُ فى الجنس الذى لا يُلْقحه ؛ ولا يكون اللِّقاح إلا بعد ضراب .

وطَلَب التيسِ للنعجة قليل[4] وأقلُّ من القليل ؛ وكذلك الكبش للعنز ؛ وأقلُّ من ذلك أنْ تتلاقح[5] ولا يبقى ذلك الولد ألبتة[6] .

وقد تجاسَرَ ناسٌ على توليدِ أبوابٍ من هذا الشكل ؛ فادَّعوا أموراً ؛ ولم يحفِلوا بالتقريع والتكذيبِ عند مسألة البرهان ! !

(زعم فى الزرافة)

زعموا أنَّ الزرافة خلقٌ مركب من بين الناقة الوحشية وبين البقرة الوحشية ،

---

(١) ط : « الأخفاف » .

(٢) التكملة من الأمبروزيانا .

(٣) ط : « فيهما نتائج » .

(٤) ماعدا الأمبروزيانا : « ويطلب التيس للنعجة قليلا » .

(٥) فى معظم النسخ : « ألا تتلاقح » صوابه من الأمبروزيانا .

(٦) الكلام من « وطلب » الخ ساقط من ل . ما عدا الأمبروزيانا : « ولا يمنع ذلك » تحريف .

وبين الذِّيخ وهو ذكر الضباع ؛ وذلك أنهم لمَّا رأوا أنَّ اسمها[١] بالفارسية (أشتر كاو بلنك[٢]) ؛ وتأويل « أشتر » بعير ، وتأويل « كاو » بقرة ، وتأويل « بلنك »[٣] الضبع ؛ لأن الضباعَ عُرْج ؛ كذلك الذكر والأنثى يكون بهما خُمَاع ؛ كما عرض للذئب القزَل — وكلُّ ذئبٍ أقزَل — وكما أنَّ كلَّ غرابٍ يحجِل كما يحجِل المقيَّد من الناس ؛ وكما أنَّ العصفورَ لا يمشى ؛ ومشيُه أن يجمَع رجليه أبداً معاً فى كلِّ حركةٍ وسكون . وقولهم للزرافة أشتر كاو بلنك[٢] اسم فارسىٌّ ؛ والفُرس تسمِّى الأشياء بالاشتقاقات ؛ كما تقول للنعامة : اشتر مرغ ؛ وكأنَّهم فى التقدير قالوا : هو طائر وجمل ؛ فلم نجد هذا الاسمَ أوجبَ أن تكون النعامةُ نِتاجَ ما بين الإبل والطير ؛ ولكن القوم لما ٦٦ شبهوها بشيئين متقاربين ؛ سمَّوها بذينك الشيئين . وهم يسمون الشىء المرَّ الحلو « تَرْش شِيرِين » وهو فى التفسير حلوٌ حامض . فجسَر القومُ فوضعوا لتفسير اسم الزرافة حديثاً[٤] ؛ وجعلوا الخلِقَة ضرْبا من التراكيب ؛ فقالوا : قد يعرض الذيخ فى تلك البلاد للناقة الوحشية فيسفدها ، فتلقَح بولدٍ يجىء خَلقُه ما بين خلْق الناقةِ والضبع ؛ فإن كان أنثى فقد يعرض[٥] لها الثور الوَحشى فيضربها ؛ فيصير الولد زرافة ؛ وإن كان ولدُ الناقة ذكراً عرَض للمهاة فألقحها فتلد زرافة . فمنهم من حجر ألبتَّةَ أن تكون الزرافة الأنثى تلقَح من الزرافة الذكر ؛ وزعموا أنَّ كلَّ زرافةٍ فى الأرض ، فإنَّما[٦] هى

(١) ط : « أسماءها » وهو تحريف ظاهر .
(٢) ط : « اشتركا ويلنك » .
(٣) ط : « يلنك » .
(٤) ط : « فوضعوا التفسير اسما للزرافة حديثا » .
(٥) ط : « فيعرض لها » .
(٦) ط : « إنما » .

من النِّتاج الذى ركَّبوا ؛ وزعموا أنَّ ذلك مشهورٌ فى بلاد الحبَشة ؛ وأقاصى اليمن . وقال آخرون : ليس كلُّ خلقٍ مركَّب لا ينسِل ولا يبقَى نجلُه ولا يتلاقَح نسله ؛ على ما حكينا من شأن الوَرشان والرّاعبى (١) . وهؤلاء وما أشبههم يُفسدون العلم ، ويتَّهمون الكتب ، وتغرُّهم كثرةُ أتباعهم ممَّن تجدُه مستهتَراً بسماع الغريب ، ومُغرَماً بالطرائف والبدائع . ولو أُعطُوا معَ هذا الاستهتارِ (٢) نصيباً من التثبُّتِ ، وحظًّا من التوقى ؛ لسَلِمت الكتبُ من كثير من الفساد .

(النتاج المركب فى الطيور)

وأنا رأيتُ طائراً له صوتٌ غير حسن ؛ فقال لى صاحب الطيور : إنّه من نِتاج ما بين القُمْرىِّ (٣) والفاختة (٤) .

وقُنَّاص الطيرِ ، وَمن يأتى كلَّ أُوقة (٥) وغيضةٍ فى التماس الصيد ؛ يزعمون أنّ أجناساً من الطير الأوابد والقواطعِ ، تلتقى على المياه فتتسافد ؛ وأنَّهم لا يزالون يرون أشكالاً لم يروها قطُّ ؛ فيقدِّرون أنَّها من تلاقح تلك المختلفة .

---

(١) ط ، ل : « الوردانى والزاغبى » وهو تحريف صوابه ما كتبت كما فى ص ١٣٧ من هذا الجزء .

(٢) ط : « ولو أعطوا بدلا من هذا الاستهتار » .

(٣) ابن سيده : « القمرى : طائر صغير من الحمام » .

(٤) الدميرى : « الفاختة : واحدة الفواخت من ذوات الأطواق » . ابن سيده : « ضرب من الحمام المطوق ، واشتقاق الفاختة من الفخت وهو القمر أول ما يبدو لونها » .

(٥) ط : « أودية » وهو تحريف صوابه فى ل . والأوقة بالضم : محضن الطير على رءوس الجبال .

(زعم بعض الأعراب فى الحرباء)

وقال أَبو زيدٍ النحوىّ ، وذكر عمّن لقى من الأعراب أنّهم زعموا أنّ ذكرَ أمّ حُبَين هو الحرباء . قال : وسمعت أعرابيًّا من قيسٍ يقول لأمّ حُبين حُبينة ، والحُبينة هواسمها . قال : وقيسٌ تسمّى ذكر العَظاءة العَضْرفوط .

وقال يحيى الأغرّ : سمعتُ أعرابيا يقول : لا خيرَ فى العَظاءة ، وإنْ كان ضَبًّا مَكُونا . قال : فإذاً سامٌّ أبرَص ، والوَرَل ، والوَحَر ، والضّبُّ والحَلَكاء ، كلُّها عندَه عَظاءة .

(ولد الثعلب من الهرّة الوحشية)

وزعم يحيى بن نُجَيم[1] أنَّ الثعلب يسفد الهرة الوحشية ، فيخرج بينهما ولدٌ . وأنشد قول حسان بنِ ثابت رضى الله تعالى عنه :

أبوك أبوك وأنتَ ابنُـه   فبئس البُنَىُّ وَبئس الأبُ ٦٦
وأمُّكَ سَـوْداءُ نُوبيّـةٌ   كأنَّ أناملها العنظب[2]
يبيتُ أبوكَ بها مُغْدِفا[3]   كما ساورَ الهرّةَ الثعلبُ

---

(١) ط و س : « عليم » .

(٢) العنظب : الذكر من الجراد . ويروى « الحنظب » كما فى الدميرى ٢ : ٣٩٦ والديوان ٦١ . والحنظب : الذكر من الجراد ، أو الخنفساء ، أو ضرب آخر من الخلق المركب . وفى الأصول « سوداء ما دونه » وتصحيحه من الدميرى والديوان .

(٣) ل : « مغدفا » وفى الدميرى : « سافدا » وصواب أولاهما بالفاء كما أثبت فتكون بذلك مساوية للثانية فى المعنى . وفى ط : « معرسا » كما فى الديوان ، أى سافدا .

وأنشد أبو عبيدة قولَ عبد الرحمن بن الحكم :

ألا أبلغْ مُعاوية بنَ حربٍ　　مُغلغلةً عن الرجُل اليماني
أتغضَبُ أَنْ يقال أَبوك عَفٌّ　　وتَرضى أن يُقالَ أبوك زَانِى
فأشهد أنّ رِحْمَكَ مِن قُرَيشٍ　　كَرِحْمِ الفيل مِنْ وَلَدِ الأَتَانِ (١)

قال كَيسان : ولأى شئ قال :

كرحم الفيل من ولد الأتان

إنما كان ينبغى أن يقول : كرِحْم الفِيل من الخنزير . قال أبو عبيدة : أَراد هو التبعيدَ بعينه ، وأنت تُريد ما هو أقرب .

(زعم بعض المفسرين والأخباريين فى حيوان سفينة نوح)

وزعم بعض المفسِّرين وأصحابِ الأخبار ، أنَّ أهلَ سفينةِ نوحٍ كانُوا تأذَّوا بالفأْر ، فعَطَس الأسدُ عَطْسةً فرمى من مِنْخَريه بزوجِ سنانير ؛ فلذلك السِّنَّوْرُ أشبهُ شيءٍ بالأسدِ . وسلَح الفيلُ زوجَ خنازير ؛ فلذلك الخنزيرُ أشبهُ شيءٍ بالفيل . قال كيسان : فينبغى أن يكون ذلك السِّنَّورُ آدَمَ السنانير ، وتلك السِّنَّورَة حَوَّاءَها . [قال أبو عبيدة لكيسان : أولم تعلمْ أنت أنّ لكل جنس من الحيوان آدم وحواء ؟ !] وضحك [فضحك] القوم .

---

(١) فى ط « فأشهد أن آلك » و « آلك » محرف « إلك » ، والرواية المشهورة : « من زياد » وأثبت ما فى ل ... والأبيات فى الحيوان ٧ : ٧٣ والخزانة ٢ : ٥١٨ بولاق منسوبة كذلك إلى عبد الرحمن بن الحكم أخى مروان بن الحكم . وهى فى الشعراء لابن قتيبة ٧٩ والموشح ٢٧٣ منسوبة إلى يزيد بن مفرغ . وفى الأغانى ١٢ : ٧١ : « والناس ينسبونها إلى ابن مفرغ لكثرة هجائه لزياد . وذلك غلط » .

(شرح سعد القرقرة)

ولمّا رأى أبو قُردُودةَ سعدَ القرقرة ، أكلَ عنــد النُّعمان مسلوخاً بعظامه قال :

بين النعامِ وبينَ الـكلبِ مَنْبِتُه وفى الذئاب له ظِئر وأخْوالُ[١]

يقول : إنَّ سعداً ضرب فى أعراقه نجر النعام[٢] الذى يلتهم الجمر ، ويلتقم الحجارة ، فيطفئ الجمرَ ويُميع الصخْرَ[٣] ، وضرب فى أعراقه [نَجْرُ[٤]] الـكلبِ الذى يرضُّ كلَّ عظم ، ولا يقبض عليه بكفّه إلاّ هو واثق بفتّه ، ولا يسيغه إلاّ وهو على ثقةٍ من استمرائه[٥] . فأمَّا الذئب فإنّه لا يروم بفكّيه شيئاً إلاّ ابتلعَه بغير معاناةٍ ، عظماً كان أو غيرَه ، مصــمتاً كان أو أجْوفَ .

ولذلك قال الراجز[٦] :

أطلَسُ يُخْفِى شخصَه غُبَارُه فى فِيهِ شَــفْرتُه ونارُه

فأبو قُردُودةَ لم يُردْ أنَّ الذئب والـكلبَ خالاه ، وأنَّ النعام نَجَلَه ، وإنما قال ذلك على المثَل والتشبيه . ولم يردْ أنَّ له ظئراً من الـكلاب ، وخالا من الذئاب . وشَبيهُ ذلك[٧] قول أمير المؤمنين المأمون لبعض الناس : يا نُطَفَ ٦٨

(١) ط : « وفى الذئاب ظئيرات وأخوال » .

(٢) فى الأصول : « نجل » باللام ، وإنما هو « نجر » بالراء بمعنى الطبع .

(٣) ط : « يميغ » وإنما هى « يميع » بمعنى يسيل كما فى ل .

(٤) زيادة يفتقر إليها الـكلام .

(٥) فى ل زيادة بعد هذا الـكلام لم أر إثباتها فى الصلب لانبهامها وهى : « ما كان يمكنه أن يأكل فى مقعد ما أكل » .

(٦) البيتان فى البيان ١ : ١١٤ مضافا إليهما بيتان آخران هما :

هو الخبيث عينه فراره بهم بنى محارب مزداره

وقد تـكلم كثير من العلماء فى هذا الشعر . انظر الأمالى (٣ : ١٢٩) والـكامل ٢٠٨ والعمدة (١ : ١٦٨) وديوان المعانى (٢ : ١٣٤) .

(٧) فى الأصل : « وليس ذلك على » وهو تحريف .

الحَمَّارين(١) ، ونزائع الظُّؤورة ، وأشباه الخُؤولة .

وعلى شبيهٍ بذلك قال سلم بن قُتَيبة(٢) لبعض من ذَكره ، وهو عند سليمان بن عليٍّ : أيُّها الأسير ، إنَّ آلَ فلان أعلاجُ خلقِ الله وأوباشُه ، لئامٌ غُدُر ، شرَّابون بأَنْقُعٍ(٣) ، ثمَّ هذا بعدُ فى نفْسه ، نُطفةُ خَمَّار فى رَحِمِ صَنَّاجة .

(زواج الأجناس المتباينة من الناس)

وقال لى أبو إسحاق : قال لى أبوالعباس — وأبو العباس هذا كانَ خَتَنَ إبراهيمَ على أخته ، وكان رجلاً يَدِين بالنجوم ، ولا يقرُّ بشيءٍ من الحوادث إلاّ بما يجرى على الطباع . قال أبو إسحاق : وقال لى مرَّة : أتعرفُ موضِع الحُظْوةِ من خَلْوة النساء ؟ . قُلْتُ : لا واللهِ لاأعرفُه . قال : بل اعلمْ أن لايكونُ الحظُّ إلاَّ فى نِتاج شِكلين متباينين ، فالتقاؤهما هو الإكسير المؤدِّى إلى الخلاص : وهو أن تُزاوِج بينَ هِنديَّةٍ وخُراسانىٍّ ، فإنها لا تلد إلاَّ الذهبَ الإبريز . ولكن احرُس ولدَها ؛ إن كان الولدُ أنثى فاحذَر عليها من شدَّة لِواطِ رِجال خُراسانَ وزِناء نساءِ الهند ، واعلمْ أن شهوتَها للرجال على قدرِ حُظْوتِها عندَهم ، واعلمْ أنَّها ستساحق النساءَ على أعراقِ الخراسانيَّة ، وتَزْنى بالرجال على أعراق الهند ، واعلمْ أنّه ممَّا يزيد فى زِناها ومساحَقتها معرفتُها بالحُظوة عند الزُّناة ، وبالحظِّ عند السحاقات(٤) .

---

(١) فى الأصول « الخمار » والوجه الجمع .

(٢) ط : « سلام بن قتيبة » وإنما هو « سلم » كما فى ل . وله أخبار فى الأغانى .

(٣) ط : « شرابون ما نقع لهم » والصواب ما فى ل . والكلام مثل . والنقع بالفتح الماء المستنقع ، جمعه أنقع ، فيقال فى المثل : إنه لشراب بأنقع . يضرب لمن جرب الأمور أو للداهى المنكر ، لأن الدليل إذا عرف الفلوات حذق سلوك الطرق إلى الأنقع .

(٤) ل : « عند النساء » .

(مما زعموا فى الخلق المركب)

وقالوا فى الخلق المركَّب ضُروباً(١) من الحقّ والباطل ، ومن الصدق والكذب . فمن الباطِل زعمُهم أنَّ الشَّبُّوط ولد الزَّجْر(٢) من البُنِّىّ ، وأنَّ الشَّبُّوط لا يُخْلَق من الشَّبُّوط ،وأنّه كالبغلِ فى(٣) تركيبه وإنساله . ورووا ذلك عن أبى واثِلة إياس بنِ معاوية [بن قرّة] .

وزعموا أنّ أمَّ جعفر بنت جعفر بن المنصور ، حصَرت(٤) فى حوضٍ لها ضخمٍ، أو بركةٍ كبيرةٍ عددا كثيراً من الزجر والبُنِّىّ ، وأنَّها لم تخلِطْ بهما غيرَهما ، فمات أكثرُه وبقيتْ بقيـةٌ كانت الصميمَ فى القوَّة ، وفى احتمال تغيُّر المكان فلم تحمل البيضَ حِيناً ، ثمَّ إنّها(٥) حملت بالشبابيط .

(مطر الضفادع والشبابيط)

وزعم حُريثٌ أنّه كان بأيذَج(٦) ، فإذا سحابة [دهماء] طخياء(٧) تكاد تمسُّ الأرض ، وتكاد تمسُّ قِمَمَ رُءُوسهم ، وأنَّهم سمعوا فيها كأصواتِ المجانيق(٨) ، وكَهدير الفحول فى الأشوال ؛ ثم إنَّها دفعَت بأشدِّ مطر رُئى أو سُمِع به ، حتى استسلَموا للغرق ؛ ثمَّ آندفعتْ بالضفادع العظام(٩) ، ثم

---

(١) الأمبروزيانا : « بضروب » .
(٢) ط : « الزخر » بالخاء وإنما هو الزجر كما فى ل . قال الفيروزبادى : سمك عظام .
(٣) ما عدا الأمبروزيانا : « وتركيبه » .
(٤) ط : « حضرت » .
(٥) ط : « فلم تحمل البيض حمائم إنما » وتصحيحه من ل .
(٦) فى القاموس « أيذج كأحمد بلدة من كور الأهواز ، وقرية بسمرقند » .
(٧) ط : « ضحياء » وصوابه ما فى ل . والطخياء : الشديدة السواد .
(٨) ل : « المجاش » وهى جمع مجش أو مجشة ، وهى الرحى .
(٩) انظر الاستدراكات .

اندفعت بالشبابيط السِّمان الجِدال [١] فطبخوا واشتووا ، وملَّحوا وادَّخروا .

(غرور أبي واثلة والخليل بن أحمد)

ورووا عن أبي واثلة أنَّه زعمَ أنَّ من الدليلِ على أنَّ الشَّبُّوط كالبغل ،
٦٩ أنَّ الناسَ لم يجدوا في طول ما أكلوا الشبابيطَ في جوفِها بَيْضاً قطُّ . فإن كان هذا الخبرُ عن هذا الرجُلِ المَذكُورِ بشدَّةِ العقل ، المنعوتِ بثُقُوب الفِراسة ودِقَّةِ الفطنة صحيحاً ، فما أعظَمَ المصيبةَ علينا فيه ، وما أخلَقَ الخبرَ أن يكون صحيحاً ؛ وذلك أنِّي سمعتُ له كلاماً كثيراً من تصنيف الحيوان وأقسامِ الأجناس ، يدلُّ على أنَّ الرجلَ حينَ أحسَنَ في أشياءَ وهَّمه العُجْبُ بنفسِه أنَّه لا يَروم شيئاً فيمتنعُ عليه ، وغرَّه مِن نفسه الذى غرَّ الخليل ابنَ أحمد ، حينَ أحسَنَ في النحوِ والعَرُوض ، فظنَّ أنَّه يُحسِن الكلامَ وتأليفَ اللُّحون ، فكتبَ فيهما كتابَين لا يُشِير بهما ولا يُدلُّ عليهما إلاَّ المِرَّةُ المحترِقة ، ولا يؤدِّى إلى مثل ذلك إلاَّ خِذلانٌ من الله تعالى ؛ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يُعجزه شيء .

(بيض الشبوط وتناسله)

والشَّبُّوط — حفظك الله تعالى — جِنسٌ كثيرُ الذكور قليلُ الإناث ، فلا يكون إناثه أيضاً يجمعْن البيض ، وإذا جمعنَ فلو جمعتَ بيضَ عشرٍ منهنَّ

---

(١) ط : « الخزال » والصواب « الخدال » كما في ل . والخدال : جمع خدلة ، وهى الممتلئة الأعضاء لحما في رقة عظام .

لمَا كان كشَطْر بَيض بُنِّيَّةٍ واحدة . وقد رأيتُ بَيْضَ[1] الشَّبُّوط وذقته للتعرُّف فوجدته غيرَ طائل ، ولا مُعجِبٍ . وكلُّ صيَّادٍ تسـألُه فهو يُنْبِيك أنَّ له بيضاً ، ولكنَّه إذا كانَ يكونُ ضئيلاً قليلا ، لأنَّ الشبابيطَ فى أصلِ العدد من أقلِّ السمك ، وكذلك الجنس منه إذا كانت الأنثى منه مِذكارا .

(موطن الشبوط)

على أنَّه رُبَّ نهرٍ يكونُ أكثرُ سمَكه الشَّبُّوط ، وذلك قليل ، كنهر رَامَهُرْمز . والشَّبُّوط لا يتربَّى فى البحـار ، ولا يسكن إلاَّ فى الأودية والأنهار ؛ ويكره الماءَ الملحَ ويطلبُ الأَعذبَ فالأَعذب ؛ ويكون فى الماء الجارى ، ولا يكون فى الساكن . وسنذكر شأنَه فى موضعه من هـذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

(رد على ما زعموا فى الزرافة)

ولم يصب أبو واثلة ، وكذَبوا على أمِّ جعفر . فإذا[2] قالوا فى الزَّرافة ما قالوا[3] فلا تأمَنْهم على ما هو دُونَه . وإن كان مَن كذَب على الموتى واستشهد الغُيَّبَ أحذَق ، فصاحبُ الزرافة قد استعمل بعض هـذه الحيلة ، وصاحبُ الشَّبُّوط يكذِب على الأحياء ، ويستشهد الحضور . وإن كان الذى دعا إلى القول فى الزرافة أنهم جعلوا تركيب اسمه دليلا على تركيب

---

(١) فى الأصل : « فقد » والوجه ما أثبت . ماعدا ل « بعض » .

(٢) ل : « وإذ » .

(٣) انظر ص ١٤٢ .

الحلق . فالجاموس بالفارسية كاوماش ، وتأويله ضأنىّ بقرىّ ؛ لأنهم وجدوا فيه مشابهةَ الكباش وكثيراً من مشابهة الثور ، وليس أنّ الكِباشَ ضربت فى البقر فجاءت بالجواميس .

(رأى للفرس فى تقسيم الحيوان)

وزعم الفرسُ أنّ الحيوان كلّه الذى يلد حيوانا مثلَه مِمّا يمشى على أربع قوائم ، لا تخلو أجناسها من المعز والضأن ، والجواميسُ عندهم ضأن البقر ، والبُخْت عندهم ضأن الإبل ، والبَراذين عندهم ضأن الخيل .

(زعم فى الإبل)

والناس يقولون فى الإبل أقاويلَ عجيبةً : فمنهم مَن يزعمُ أن فيها عِرقا من سِفاد الجنّ ، وذهبوا إلى الحديث : أنهم إنما كرهوا الصلاة فى أعطان الإبل لأنها خُلِقَتْ من أعنان الشياطين[1] فجعلوا المثلَ والمجاز على غير جهته . وقال ابن ميّادة :

فلما أتانى ما تقول مُحارِبٌ تغنّتْ شياطين وجُنّ جُنونُها

(١) ط : « أعناق » وهو تحريف صوابه فى ل واللسان وابن الأثير . ذكر ابن منظور أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن الإبل فقال : « أعنان الشياطين لاتقبل إلا مولية ولا تدبر إلا مولية » . قال ابن منظور : فإنه أراد أنها على أخلاق الشياطين ، وحقيقة الأعنان النواحى . قال ابن الأثير : كأنه قال كأنها لكثرة آفاتها من نواحى الشيطان فى أخلاقها وطبائعها . وفى حديث آخر : « لاتصلوا فى أعطان الإبل لأنها خلقت من أعنان الشياطين » .

قال الأصمعى : المأثور من السيوف الذى يقال : إنّ الجنَّ عملته .

وهم يسمُّون الكِبر والخُنزُوانةَ والنَّعَرة التى تضاف إلى أنف المتكبِّر شيطاناً ؛ قال عمر: حتى أنزِعَ شيطانَه ، كما قال : حتى أنزِع النَّعَرة التى فى أنفه(١) . ويسمُّون الحيَّةَ إذا كانت داهية منها شيطانا ، وهو قولهم : شيطان الحَماطة(٢) . قال الشاعر :

تعالج مَثْنَى حَضْرمىٍّ كأنه تَعَمُّجُ شَيْطانٍ بذى خِروعٍ قَفْرِ(٣)

شبَّه الزِّمامَ بالحيَّة . وعلى مثل ذلك قال الشاعر :

شناحية فيها شناح كأنها حباب بكف الشأو من أسطع حشر(٤)

والحباب : الحية الذكر ، وكذلك الأيم(٥) . وقد نُهى عن الصلاةِ عند غيبوبة الشمس ، وعند طلوع القرص إلى أن يتتامّ ذلك . وفى الحديث : « إنّها تطلُع بين قَرْنَى شَيطان » .

(ضرورة حذق اللغة للعالم والمتكلم)

فللعرب أمثالٌ واشتقاقاتٌ وأبنِية ، وموضعُ كلام يدُلُّ عندهم على

---

(١) ابن الأثير : النعرة بالتحريك : ذباب أزرق له إبرة يلسع بها ويتولع بالبعير ويدخل أنفه فيركب رأسه . سميت بذلك لنعيرها . ثم استعيرت للنخوة والكبر . وصاحب القاموس يضبط الكلمة إذا كانت بمعنى الكبر كهمزة وبالتحريك ، وإذا كانت بمعنى الذباب كهمزة فقط .

(٢) الحماطة : شجر شبيه بالتين أحب شجر إلى الحيات ، أو التين الجبلى أو الأسود الصغير أو الجميز . عن القاموس .

(٣) ط : « تعامج متنا » والصواب ما أثبت من ل ومن المخصص ولسان العرب (شطن) . ونسبه الجاحظ فى ٤ : ١٣٣ إلى طرفة .

(٤) الشناحية : الطويلة . وفى ل : « أسطح جسر » ولعل فى البيت تحريفا .

(٥) الأيم كسكيس والإيم بالكسر : الحية الأبيض اللطيف ، أو عام ، جمعه أيوم . وانظر معجم المعلوف ٢٦٩ .

معانيهم وإرادتهم ، ولتلك الألفاظ مواضعُ أُخَرُ ، ولها حينئذ دَلالات أخر ؛ فمن لم يعرفْها جَهِل تأْويلَ الكتابِ والسُّنّة ، والشاهدِ والمثلِ ؛ فإذا نظَر فى الكلام وفى ضروبٍ من العلم ، وليس هو من أَهل هــذا الشأْن ، هلك وأَهلك .

(الإبل الوحشية)

وزعم ناسٌ أنَّ من الإبل وحشيًّا وكذلك الخيل ، وقاسوا ذلك على الحمير والسَّنانير والحمام وغيرِ ذلك[١] ، فزعموا أنَّ تلك الإبلَ تسكنُ أرض وَبَارٍ ؛ لأنَّها غيرُ مسكونة . ولأنَّ الحيوانَ كلَّما اشتدَّت وحشيَّتُه كان للخَلاء أطلب . قالوا : وربَّما خرجَ الجملُ منها لبعضِ ما يعرِض ، فيضرب فى أدنى هَجْمةٍ من الإبل الأهلية . قالوا : فالْمَهْرِيَّةُ من ذلك النِّتاج .

وقال آخرون : هذه الإبلُ الوحشيَّة هى الحُوش ، وهى التى مِن بقايا إبل
وَبَار ، فلمَّا أهلكهم الله تعالى كما أهلك الأمَم مثلَ عادٍ وثمودَ والعمالقة وطَسْمٍ
وجَدِيسَ وجاسم ، بقِيَتْ إبلُهم فى أماكنهم التى لا يَطُورها إنْسِىٌّ[٢] فإن ٧١
سقَطَ إلى تلك الجِيزة بعض الخلعاء[٣] ، أَوْ بَعْضُ من أضلَّ الطريق حشَت[٤]

(١) ط : « وقاسوا ذلك على الحمير والسنانير وما سوى ذلك من الحمير والسنانير والحمام وغير ذلك » . وفى ل : « وقاسوا ذلك على الحمير ، والسنانير وغير ذلك » . وقد سردت القول كما ترى .

(٢) كذا فى ل . وطار المكان يطوره طوراً وطورانا : حام حوله . وفى ط : « لايطردها أحد » . قال فى القاموس : « وطردتهم : أتيتهم وجزتهم » فالعبارتان سليمتان .

(٣) ط : « الجزيرة » موضع « الجيزة » و « الخلفاء » موضع « الخلعاء » . وما فى ط : تصحيف . والجيزة : الناحية .

(٤) ط : « حشا » .

الجنُّ في وجهه ؛ فإنْ ألحَّ خبَلته ؛ فضربَتْ هذه الحوش[١] في العُمانيّة ؛ فجاءت هذه المَهْرِيَّة ؛ وهذه العسجديَّة التي تسمى الذهبيَّة .

وأنشدني سعدان المكفوف[٢] عن أبي العميثل قول الراجز[٣] :

ما ذمَّ إبْلِي عَجَمٌ ولا عَرَبْ   جُلودُها مِثلُ طَواويسِ الذَّهَبْ

وقال الآخر[٤] :

إذا اصطكَّتْ بضيق حَجْرَتاها   تَلاقَى العَسجديَّةُ واللَّطِيمُ

والعسجد من أسماء الذهب .

قالوا : وإنَّما سُمِّيتْ صاحبةُ يزيد بن الطَّثَرِيَّة حُوشِيَّةً على هذا المعنى[٥] .

وقال رؤبة :

جرت رحانا من بلاد الحُوش[٦]

(١) ط : « الوحوش » .

(٢) ط : « وأنشد ابن سعدان المكفوف » وكتبت ما في ل و س . . وسعدان هذا هو ابن المبارك أبو عثمان الضرير النحوي . له ترجمة في البغية للسيوطي ٤ : ٢ وتاريخ بغداد ٤٧٨١ ، ونزهة الألباء ٢٠٦ ، وهم يذكرونه في رواة العلم والأدب ويقولون : إنه روى عن أبي عبيدة . وأما ابن سعدان ، فهو أبو جعفر محمد بن سعدان الضرير النحوي ، كان من أكابر القراء وله كتاب مصنف في النحو ، وتوفي سنة ٢٣١ ، وله ترجمة في البغية ٤٥ ، وتاريخ بغداد ٢٨٤٦ ، والنزهة ٢١٢ . ورواية الجاحظ عن كل منهما محتملة .

(٣) ل : « عن أبي العميثل الراجز » ولم ينعته واحد ممن ترجموا له بهذا الوصف انظر فهرس ابن النديم ٤٨ ليبسك و ٧٢ مصر وابن خلكان ١ : ٢٦٢ ومعجم الزركلي ٢ : ٥٥٥ . وأبو العميثل هو عبد الله بن خليد الأعرابي الشاعر ، وتوفي سنة ٢٤٠ .

(٤) هو عاهان بن كعب بن عمرو بن سعد كما في اللسان (لطم) قال : العسجدية إبل منسوبة إلى سوق يكون فيها العسجد ، وقال ابن بري : العسجدية التي تحمل الذهب . وقال : اللطيم جمع لطيمة وهي العير التي تحمل المسك .

(٥) في الأصل : « على المعنى هذا » .

(٦) كذا في س و ل وهو الصواب . والرحى : جماعة الإبل . وفي ط والعمدة ٢ : ٢٠٥ « رجالا » . ورواية اللسان :   إليك سارت من بلاد الحوش

(رد على ما زعموا من مطر الضفادع والشبابيط)

وأما الذى زعم أنَّهم مُطِروا الشَّبوط ، فإنه لما ظنّ أنَّ الضفادعَ التى تُصابُ بعَقِبِ المطر ؛ بحيثُ لا ماءٌ ولا وحلٌ ولا عينٌ ولا شريعة — فإنهم ربَّما رأوها وسط الدَّوِّ والدَّهناء والصَّمَّان(١) — ولم يشُكَّ أنَّها كانت فى السحاب، وعلِم أنَّها تكون فى الأنهار ومنابع المياه ، وليس ذلك من الذكر والأنثى ؛ قاسَ على ذلك الظنِّ السمك ؛ ثم جسَرَ فجعلَ السمكَ شَبُّوطا . وتلك الضفادعُ إنما هى شىءٌ يُخلَق تلك الساعة ، من طباع الماء والهواء والزمان وتلك التُّرْبة ؛ على مقاديرَ ومقابلات ، وعلى ما أجرى الله تعالى عليه نشأة الخلق .

(امتناع التلاقح بين بعض الأجناس المتقاربة)

وقد تُعرف القرابةُ التى تكون فى رأى العين بين الشكلين من الحيوان فلا يكون بينهما تسافُدٌ ولا تلاقُح ؛ كالضأن والمعز ، وكالفأر والجُرْذان ، فليس بالعجَب فى البقر والجواميس أن تكون كذلك . وقد رأينا الخِلاسىَّ من الدجاج والدِّيَكة ؛ وهو الذى تخلَّقَ من بين المولَّدات والهِنديَّات ؛ وهى تحمل اللحم والشحم .

وزعم لى مسعود بن عثمان ، أنه أهدى إلى عمرو بن مَسْعَدة ؛ دجاجة وُزِنَ فيها سبعة عشرَ رِطلا بعد طرح الأسقاط وإخراج الحشوة .

---

(١) ط : « الدور » موضع « الدو » ، « السنان » موضع « الصمان » والصواب ما كتبت من ل . والدو : الفلاة . والدهناء : الفلاة أيضا . والصمان : كل أرض صلبة ذات حجارة إلى جنب رمل .

(أثر زواج الأجناس المتباينة من الناس)

ورأينا الخِلاسىَّ من الناس ، وهو الذى يتخلَّق بين الحبشىِّ والبيضاء ، والعادةُ من هذا التركيب أنّه يخرج أعظمَ من أبويه وأقوى من أصليه ومشمريه . ورأينا البَيْسَرىَّ(١) من الناس ، وهو الذى يُخلَق من بين البيض والهند ؛ لا يخرج ذلك النِّتاجُ على مقدار ضخم الأبوين وقوّتهما ، ولكنه يجىءُ أحسنَ وأملح . وهم يسمُّونَ(٢) الماءَ إذا خالطته الملوحة بيسراً(٣) قياساً على هذا ٧٢
التركيب الذى حكَينا عن البيض والهنديّات . ورأينا الخِلاسىَّ من الكلاب ؛ وهو الذى يُخْلَق بين السَّلُوقىِّ وكلب الراعى ؛ ولا يكون ذلك من الزِّئنى والقلطى(٤) ، ومن كلاب الدُّور والحرَّاس . وسنقول فى السِّمْع(٥) والعِسبار ؛ وفى غيرِهما من الخَلْقِ المركَّب إن شاء الله تعالى .

(أطول الناس أعماراً)

وذكروا أنَّهم وجدوا أطولَ أعمار الناس فى ثلاثة مواضع : أوَّلها سَرْوحمير ، ثم فَرغانة ، ثم اليمامة ، وإنّ فى الأعراب لأعماراً أطول ، على أنَّ لهم فى ذلك كِذْباً كثيراً ، والهندُ تُربى(٦) عليهم فى هذا المعنى . هكذا يقول علماء العرب .

---

(١) البياسرة : جيل بالسند تستأجرهم النواخذة لمحاربة العدو ، والواحد بيسرى .
(٢) ط : « يسمونه » .
(٣) كذا فى ل ، ولعل صوابه « بيسريا » وفى ط : « يسرا » .
(٤) الزئنى : القصير القوائم ، وقد تحدث عنه الجاحظ فى الحيوان ٢ : ١٧٩ . والقلطى : القصير جداً .
(٥) ط : « السملع » وهو تحريف ما فى ل .
(٦) ط : « تزرى » .

(أثر النبيذ فى عمر الإنسان)

وكان عثمانُ ماش ويزال وجدعان[١] ، يذكرون أنّهم عدُّوا أربعينَ فتًى مِنْ فتيانِ قريش وثقيف أعذارَ عامٍ واحد فأحصَوْا عشرينَ من قريش، وعشرين من ثقيف ، وتوخَّوا المتجاوِرين فى المحلَّة والمتقاربين فى ٱلدُّور من الموفَّرين على النبيذ ، والمقصورين على التنادُم . وأنّهم أحصَوا مثلَ ذلك العدد وأشباهَ أولئك فى السِّن ممَّن لا يذوق النبيذَ ولا يعرفُ شراباً إلا المَاَءَ ، فذكَرُوا أنَّهُمْ وجدُوا بعدَ مرورِ دهرٍ عامَّةَ من كان يشرَبُ النبيذَ حيًّا ، ومن لا يشربه قد مات عامَّتُهم ، وكانوا قد بلغوا فى السنِّ . أما عثمان ويزال[٢] فكانا من المعمَّرين ، وقد رأيتهما جميعاً ولم أسمع هذا منهما ، وسنأتى على هذا البابِ فى موضعه من ذكر المعمَّرين ، ونميِّز الصدقَ فيه من الكذب ، وما يجوز وما لا يجوز إن شاءَ ٱللهُ تعالى .

(بعض ما يعرض للخصيان)

وما أكثر ما يعرض للخصيان البولُ فى الفراش وغيرِ ذلك ، ولا سيَّما إذا بات أحدُهم ممتلئا من النبيذ .

ويعرض لهم أيضاً حبُّ الشراب والإفراط فى شهوته وشدَّة النَّهم .

ويعرض لهمْ أيضاً إيثار المُخْفِس[٣] وحبُّ الصِّرْفِ ، وذلك أيضاً

---

(١) ل : « ويذال وجدعان » .

(٢) ل : « ويذال » .

(٣) ط : « المحبس » وليس بشىء . وفى ل : « المخفش » وهما تحريف ما كتبت . والمخفس : الشراب السريع الإسكار .

ممّا يعرض للنساء ، والإفراط فى شهوتهنّ وشدَّة الهمّة لَهُنَّ والغيرة عليهنَّ .
ويحتلمون ، ويَجنُبون ويغتسلون ، ويرون الماء غَير الرائق ولا الغليظ ، الذى
له ريح طلع الفُحَّال[1] .

ويعرض للخصىِّ شدَّةُ الاستخفاف بمن لم يكن ذا سلطان عظيم أو مالٍ كثيرٍ أو جاهٍ عريض ، حتّى ربمَّا كان عند مولاه بعضُ من عسى أن يتقدَّم هؤلاء المذكورين الذين يكون الخصىُّ كلِفاً بهم وبتعظيمهم ، ومُغرَماً بخدمتهم ، فى الأدبِ والحسب ، وفى بُعْدِ الهمَّة وكرم الشِّيمة ، فيعمِد عندَ دخولِ ذلك الرجلِ الذى له السلطانُ والجاهُ والمالُ إلى متَّكإ ٧٣
هذا الأديبِ الكريم ، والحسيبِ الشريف ، فينزِعه من تحت مِرْفَقِهِ ، غيرَ محتفل بذلك ولا مكترثٍ لما فيه . ويضعُه له من غير أَنْ يكونَ موضع المرافق بعيداً . أَوْ[2] كان ذلك ممَّا يفُوت بعضَ الفوت ، ويفعل ذلك وإن كان يباشر هذا الأديب الكريم مولاه وهو على يقين أنه لا يرى ذلك الموسرَ وصاحبَ الجاهِ أبداً[3] .

(أقوال فى منع خصاء الخيل وإباحته)

وقد حرَّم بعضهم خِصاء الخيل خاصَّة ، وبعضُهُم زاد على ذلك حتَّى حَرَّم خِصاء البهائم . وقال بَعْضُهُمْ : إذا كان الخِصاءُ إنَّما اجتلَبه فاعلُه أَوْ تَكَلَّفهُ صاحبُهُ على جهة التماسِ المنفعَة ، أو على طريقِ التجارة ،

---

(١) ط : « النخل » .
(٢) ط : « إذا » .
(٣) ط : « وهو على يقين أنه ليس من حكم الخصاء أن يرى . . . الخ » وهذبت القول من ل .

فذلك جائز ، وسبيلُه سبيل المِيسَم ، فَإِنّ المِيسمِ نار ، وألمه يجوزُ كلَّ ألم . وقد رأينا إبلَ الصدَقة موسُومة ، ووسَمَت العربُ الخيلَ وجميعَ أصنافِ النَّعَم فى الإسلام ، على مِثل صنيعِها فى الجاهليَّة . وقد كانت القَصواءُ ناقة النبى صلى ٱلله عليه وسلم موسومة ، وكذلك العضْباءُ .

(أقوال فى وسم الحيوان)

وقال آخرون : الخِصاء غيرُ شبيه بالمِيسم ؛ لأنَّ فى الخِصاء من شدَّة الألمِ ، ومن المُثْلة ، ومن قطْع النَّسْل ، ومن إدخال النقصِ على الأعضاء ، والنقصِ لموادِّ القوى ، ما ليسَ فى المِيسم وغيرِه ، وهو بقطع الأَلية أشبَه ، والسِّمَةُ إنَّمَا هى لَذْعة ، والخِصاءُ مجاوِزٌ لكلِّ شديدة[1] .

قال القوم : ولا بأسَ بقطع الأَليةِ إذا مَنعت بِثِقلِها أو عِظَمها الشاةَ من اللَّحاقِ بالقطيع وخِيف عليها من ٱلذئب . وقطعُ الألية فى جواز العقول[2] أشبهُ من الميسم ؛ لأنَّ المِيسمَ ليس للبعير فيه حظٌّ ، وإنَّما الحظُّ فيه لربِّ المال ، وقطعُ الأليةِ من شكل الختان ، ومن شكل البَطِّ[3] والفصْد ، ومن جنس الوَجُور والبيطرة ، ومن جنس اللَّدُود[4] والحِجامة ، ومن جنس الكىِّ عند الحاجة ، وقطعِ الجارحة إذا خِيف عليها الأَكِلَة .

---

(١) ط : « شدة » .

(٢) ط : « القول » .

(٣) البط : الجرح . والمبطة : المبضع .

(٤) اللدود كصبور : مايصب بالمسعط من الدواء فى أحد شقى الفم .

(وسم الإبل)

قال الأوَّلون : بل[١] لعمرى إنَّ للإبل فى السِّمات لأعظمَ المنافع ؛ لأنَّها قد تشرَب بِسِماتها ولا تُذَاد عن الحوض إكراماً لأربابها ؛ وقد تضِلُّ فتُؤْوَى ؛ وتُصاب فى الهُوَاشات[٢] فتُردّ .

قالوا : فإنا لانسألكم إلّا عن سماتِ الخيل والبغالِ والحمير والغنم . وبعدُ فكيف نستجيز أنْ نَعمَّها بالإحراق بالنار ؛ لأمر عسى ألّا يحتاج إليه من ألفِ بعيرٍ بعيرٌ واحد ؛ ثم عسى ألّا يحتاج [من جميع] ذلك فى جميع عمره [إلّا] إلى شَرْبةٍ واحدة .

وقال القوم : إنّما المياسم فى النَّعَم السائمة كالرُّقوم فى ثياب البزّاز ؛ ومتى ارتفعت الرقومُ ومُنِعت المياسم ، اختلَطَت الأموال ، وإذا اختلطت ٧٤
أمكَنَ فيها الظلم ، والمظلومُ باذلٌ نفسَه دونَ المعيشة[٣] والهَضِيمة .

وقالوا : ليس قطعُ الأليةِ كالمجثَّمة وكالشىء المصبور ، وقد نُهينا عن إحراق الهوامِّ ، وقيل لنا : لاتعذِّبوا بعذاب الله تعالى ، والميسمُ نار ، وقطعُ الألية من شكل قَطْعِ العروق ، وصاحبُ المجثَّمة يقدِر أن يرمِيَ — إن كان به تعلُّم الرماية — شيئاً لا يألم ولم يُنْهَ عن تعذيبه ، فما[٤] يَردُّ الشىء المصبور من العذاب مَرَدًّا بوجه من الوجوه .

---

(١) ط : « قل » وهو تحريف مافى ل .

(٢) الهواشات بالضم : الجماعات من الناس والإبل .

(٣) كذا ولعلها « النكيثة » بمعنى الخطة الصعبة .

(٤) فى الأصل : « فيما » .

(القول فى نقص بعض أجزاء الحيوان أو نقضها أو إيلامها)

وقال آخرون : ليس لك أن تُحدِث فى جميع الحيوانِ حدَثاً من نقْضٍ أو نقص أو إيلام ، لأنك لاتملك النشأة[١] ، ولا يمكنك التعويضُ له ؛ فإذا أذِن لك مالك العين ، بل مخترعه ومنشىء ذاته والقادر على تعويضه ، وهو الله عزَّ وجلَّ ، حلَّ لك من ذلك ما كان لايحلّ . وليس لك فى حُجَّة العقل أن تصنعَ بها إلّا ما كان به مصلحةٌ ، كعلاج الدَّبَر[٢] وكالبيطرة .

وقال آخرون : لنا أن نصنعَ كلَّ ما كان يُصنَع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعدَه ، ممّا لم يكن مدفوعا[٣] عندَ بعضِهم ، إلّا أن يكون نَهْىُ ذلك البعضِ من جماعتهم[٤] ، فى طريق الخلافِ والردِّ والمفارقَة ولا يكون عندهم قولاً من الأقاويل ؛ فإنَّ ذلك فى سبيل العلاج بعد أن كان المتكلِّف يَعْرِفُ وجهَ الملام . والمذهب فى ذلكَ معروف[٥] ، وإن كان خارجا من ذلك الحدِّ ، فقد علمنا أنَّه أُبيح من طريق التعبُّد والمحنة ، كما جعل الله تعالى لنا ما أحلَّ ذبحَه من البهائم ، وكما جعَل لنا أن نقتُل القملَ والبراغيثَ والبعوض ، وإن لم يكن منها إلّا مقدارُ الأذى فقط . والقتل لايكون قصاصا من الأذى ، ولكن لمَّا أباح لنا خالقُ الشىء

(١) ل : « الشىء » .
(٢) ط : « كصلاح الدين » وهو تحريف عجيب صوابه فى ل .
(٣) ط : « مرفوعا » وتصحيحه من ل .
(٤) فى الأصل : « عن جماعتهم » .
(٥) ل : « يعرف وجه العلاج فالمذهب ... الخ » .

والقادرُ على تعويضه قتلَه ، كان قتلُه أسوغَ فى العقل مع الأذى ، مِنْ ذبح البهيمة مع السلامة من الأذى .

قال : وليس كل مؤذٍ ولا كل [ذى] أذى(١) حكم الله تعالى فيه بإباحة القتل ، والله عزَّ وجلَّ ، بمقادير الأمورِ وبحكم المختلِف والمتَّفِق ، والقليلِ من ذلك والكثير ، أحكَمُ وأعلم .

وقد أمرَ الله تعالى إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام ، بذبح إسحاق أو إسماعيل عليهما الصلاة والسلام ، فأطاع الوالدُ وطاوع الولد .

والجواب الماضى إنما هو(٢) قول من قال بالتعويض ، [و] هو قول النظَّام . وأكثرُ المتكلِّمين يعترِضون عليه فيه .

(منع خصاء الإنسان وإباحته)

ولا يزال — يرحمك الله تعالى — بعضُ الملحِدين من المعاندين ، أو بَعْضُ الموحِّدين من الأغبياء المنقوصين ، قد طعَن فى مِلْكِ الخصىِّ وبيعِه ٧٥
وابتياعه ، ويذكرون الخصىَّ(٣) الذى كان المقوقِس عظيمُ القِبط أهداه إلى النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، مع ماريةَ القِبطيَّة أمِّ إبراهيم عليه السلام . قالوا : فقد ملك عليه الصلاة والسلام خَصِيًّا بعد أن عرَفه وأحاط علمُهُ بأنَّه خصىٌّ ، وأنتم تزعمون أنَّ الخِصاءَ حرام ، وأنَّ من اشترى من الخاصى خَصِيًّا ثم زاد على قيمته وهو فحل ، فقد أعان على الخصاءِ وحثَّ عليه ، ورغَّب فيه ، وأنَّه من أفحش الظلم وأشدِّ القسوة ، وزعمتم أنَّ من فعَل ذلك

---

(١) ط : « وليس كل ضرر ولا كل أذى » .
(٢) ط : « على » موضع « إنما هو » .
(٣) ذكر فى كتاب البغال ٣٥٦ أنه أخو مارية القبطية .

فهو شريكُ الخاصى فى الإثم ، وأنَّ حالَه كحال المعروفين بالابتياع من اللصوص . وقلتم : وكذلك من شهد القِمار[1] وهِراشَ الكلاب ، ونِطاحَ الكِباش وقتالَ الديوك ، وأصحاب المجارحات[2] وحرب الفئتين الضالَّتين . وقلتم : لأنَّ هذه المواضعَ لو لم تحضرها النَّظَّارةُ لما عملوا تلك الأعمال ، ولو فعلوها ما بَلغوا مقدارَ الشَّطر ، لغلَبة الرياءِ والسُّمعة على قلوبِ الناس ، فكذلك الخاصى ، والمشترى ، والمبتاع من المشترى ، شركاءُ متعاوِنون ، وخُلَطاءُ مترادفون . وإذا كان المبتاع يَزيد فى السِّلْعة لهذه العلَّة ، والبائع يزيد فى السَّوْم لهذا السبب ، وقد أقررتم بأنَّ النبى صلى الله عليه وسلم قد قَبِل له من المقوقس ، كما قبلَ مارية ، واستخدمه ، وجرى عليه ملكُه وأمرُه ، فافهمْ — فهّمك الله تعالى — ما أنا مجيبٌ به فى هذه المسألة . والله الموفِّقُ ، وعلى الله قَصْدُ السبيل .

أقول : قبلَ كلِّ شيء لايخلو هذا الحديث الذى رويتموه من أنْ يكون مرضيَّ الإسناد ، صحيحَ المخرج ، أو يكونَ مسخوط الإسناد ، فاسدَ المخرج . فإن كان مسخوطاً ، فقد بطلت المسألة ، وإن كان مرضيًّا ، فقد علمنا أنّه ليس فى الحديث أنَّه قَبِله منه بعد أنْ علِم أنّه خصىٌّ ، وعلى أنَّ قبولَ الهديّة خلافُ الابتياع ؛ لأنَّ بائعَ الخصىِّ إنّما يحرُم عليه التماسُ الزيادة ، وكذلك المبتاعُ إنّما يحرم عليه دفعُ الزيادة إذا كان لو سلم إليه بذلك الثمن فحلًا أجملَ منه وأشبَّ وأخدمَ منه لم يزدْه ، والبائع أيضاً لا يَستام بالفحل سَومَه بالخصى . وقبول الهديَّة ، وقبول الهِبَة ، وسبيلُ البيع والابتياع

---

(١) ل : « السعايين » .
(٢) ط : « المخارجات » .

لا بأس به إذا كان على ما وصفنا ؛ وإنّما هديّة الخصيّ كهديّة الثوب والعِطر ، والدابَّةِ والفاكهة . ولأنَّ الخصيَّ لايحرم مِلكُه ولا استخدامُه ، بل لايحلُّ طرده ونفيُه ، وعتقُه جائز ، وجوازُ العِتق يوجب الملك . ولو باعه المالك على غير طلبِ الزيادة ، أو لو تابَ من الخِصاء أو استحلَّه مما أتى ٧٦
إليه ، لَمَا حرم على الخاصى نفسِه استخدامه . والخصيُّ مالٌ وملك ، واستخدامه حسَنٌ جميل ؛ ولأنَّ خِصاءه إيّاه لايَعتِقه عليه ، ولا يُزيل عنه ملكه إلا بمثل ما وَجَبِ به مِلكُه[1] .

وأخرى : أنَّ فى قَبول هديَّةِ ذلك المِلِكِ ، وتلقّى كرامتِه بالإكرام تدبيراً وحكمة . فقد بطلت المسْألة ، والحمدُ لله كما هو أهله .

وقد رووا مع ذلك أيضا : أنَّ زِنباعاً الُجذَامىّ ، خصَى عبداً له ، وأنَّ النبى صلى الله عليه وسلم أعتقَه عليه فيما بلغنا . والله أعلم .

وربّما سألوا عن الشىء وليس القولُ فيــه يقَع فى نسق القول فى الخصىّ ، وفى الخلْق المركَّب ، ولكنْ إذ قد أجبْنا فى مسألةٍ كلاميَّة من مسائل الطعْن فى النبوَّة ، فلا بأسَ أن نُضيف إليها أخرى ، ولا سيَّما إذا لم تَطُلْ فتَزِيدَ فى طُولِ الكتاب .

وقد لايزال الطاعنُ يقول : قد علمْنا أنَّ العربَ لم يَسِمُوا حروب أيّام الفِجار بالفجور[2] وقريش خاصّة ، إلّا أنّ القتال فى البلدِ الحرام ، فى الشهر الحرام كان عندهم فجورا ، وتلك حروبٌ قد شهدها النبىُّ صلى الله عليه وسلم

---

(١) ل : « إلا مثل مايوجب له به ملكه » .
(٢) ط : « بالعجور » .

وعلى آله ، وهو ابن أربعَ عشرةَ سنةً ، وابن أربعَ عشرة سنة يكونُ بالغا ، وقال : « شَهِدْتُ الفِجارَ فكنْتُ أنبُلُ على عمومتى » .

وجوابنا فى ذلك : أنَّ بنى عامر بن صعصعة ، طالبوا أهلَ الحرَم من قريشٍ وكِنانة ، بجريرة البرّاض بن قيس ، فى قتله عروة الرحّال ، وقد علموا أنَّهم يُطالِبون مَنْ لم يجنِ ومن لم يعاونْ ، وأنَّ البرّاض بنَ قيس كان قبلَ ذلك خليعاً مطرودا ، فأتوَهم إلى حَرَمهم يُلزِمونهم ذنبَ غيرهم ، فدافعوا عن أنفسِهم ، وعن أموالهم ، وعن ذراريهم ، والفاجر لايكون المسْعِيَّ عليه ، ولذلك أشهدَ الله تبارك وتعالى نبيَّه عليه الصلاة والسلام ذلك الموقف ، وبه نُصروا كما نُصِرت العربُ على فارسَ يومَ ذى قارٍ ، به عليه الصلاة والسلام وبمخرجه . وهذان جوابان واضحان قريبان ، والله الموفِّق للصواب ، وإليه المرجع والمآب .

(محاسن الخصى ومساويه)

ثم رجَعَ بنا القولُ إلى ذكرِ محاسِنِ الخصىّ ومساويه[١] .

الخصىُّ يَنْكِحُ ويتّخذ الجوراىَ ويشتدُّ شغفه بالنساء ، وشغفُهنَّ به ، وهو وإن كان مجبوبَ العضو فإنّه قد بقى له ما عسى أن يكون فيه من ذلك ما هو أعجبُ إليهنّ . وقد يحتلم ويَخرجُ منه عند الوطء ماءٌ ، ولكنَّه قليلٌ ، متغيِّر الريح ، رقيقٌ ضعيف . وهو يباشِرُ بمشقّة ، ثم لايمنعه من المعاوَدة الماءُ الذى يخرج منه إذْ كان قليل المقدار[٢] لايخرجه من القوّة إلى الضعف ، ٧٧

---

(١) انظر المحاسن والمساوى للبيهقى ٢ : ٢٠٧ - ٢١٣ .

(٢) فى الأصول : « إذا كان قليل المقدار » .

مثل الذى يعترى من يخرج منه شىء يكون من إنسان، وهو أخثرُ ، وأكثر، وأحدُّ ريحا ، وأصحُّ جوهراً .

والخصىُّ يجتمع فيه أُمنيَّةُ المرأة، وذلك أنها تبغض كلَّ سريعِ الإراقة، بطىءِ الإفاقة ، كما تكره كلَّ ثقيلِ الصدر ، وخفيف العَجُز ، والخصىُّ هو السريع الإفاقة ، البطىء الإراقة، المأمونُ الإلقاح، فتقيمُ المرأةُ معَه، وهى آمِنة العار الأكبر ، فهذا أشدُّ لتوفير لذَّتها وشهوتها . وإذا ابتذلن الخصيان . وحَقَرن العبيد ، وذهبت الهيبةُ من قلوبهنّ ، وتعظيمُ البعول، والتصنُّع لذوى الأقدار باجتلاب الحياء وتكلُّفِ الخجل ، ظهَر كلُّ شىءٍ فى قوى طبائعهنّ وشَهوَاتهنّ ، فأمكنَهَا النَّخير[1] والصِّياح ، وأن تكون مَرَّةً من فوقُ ، ومرَّةً من أسفل ، وسمحت النفسُ بمكنونِها ، وأظهرَت أقصى ما عِندها .

وقد تجد فى النساء مَنْ تؤْثِر النساءَ ، وتجدُ فيهنَّ من تُؤْثر الرجال ، وتجد فيهنَّ مَنْ تؤْثرُ الخِصيان ، وتجد فيهنَّ من تجمَعُ ولا تفرِّق ، وتعمُّ ولا تخصُّ ، وكذلك شأنُ الرجال فى الرجال ، وفى النساء والخصيان . فالمرأة تنازِع إلى الخصىِّ لأنَّ أمرَه أسترُ وعاقبتَه أسلم ، وتحرِص عليه لأنَّه ممنوعٌ منها ، ولأنَّ ذلك حرام عليها ، فلها جاذبان : جاذبُ حرصٍ كما يُحْرَص على الممنوع ،وجاذبُ أَمْنٍ كما يُرغَب فى السلامة . وقال الأَصمعى : قال يونس ابن عُبَيد[2] : لو أُخِذْنا بالجَزَعِ لصَبَرنا[3] . قال الشاعر :

---

(١) ط : « الشخير » .

(٢) يونس بن عبيد من أصحاب ابن سيرين : وكان بينهما مداعبة . روى فى عيون الأخبار ٣ : ٤١ أن يونس بن عبيد قال : أتيت ابن سيرين فدعوت الجارية فسمعته يقول : قولوا له إنى نائم — يريد سأنام — فقلت : معى خبيص . فقال : مكانك حتى أخرج إليك ! .

(٣) انظر البيان ٣ : ١٣١ وعيون الأخبار ٢ : ٢ .

وزادها كَلَفاً بالحبِّ أَنْ منعَتْ   وحَبُّ شيءٍ إلى الإنسان ماَمُنِعا(١)

والحرصُ على الممنوعِ بابٌ لايَقْدِر على الاحتجاز منه ، والاحتراسِ من خُدَعه ، إلّا كلٌّ مبرِّز فى الفطنة ومتمهِّل [فى] العزيمة ، طويلِ التجارب ، فاضِل العقل على قُوَى الشهوات . وبئس الشىءُ القرينُ السوء . وقالوا : صاحب السُّوءِ قِطعةٌ من النار .

وبابٌ من هذا الشكل ، فَبِكم أعظُم حاجةٍ إلى أن تعرفوه وتقِفُوا عندَه ، وهو مايصنع(٢) الخبَرُ السابق إلى السمع ، ولا سيَّما إذا صادفَ من السامع قلَّةَ تجربة ، فإنْ قرَن بين قلَّة التجربةِ وقلَّةِ التحفُّظِ ، دخل ذلك الخبر السابقُ إلى مستقرِّه دُخولًا سهلًا ، وصادفَ موضعاً وطيئا ، وطبيعة قابلة ، ونفسا ساكنة ؛ ومتى صادفَ القلبَ كذلك ، رسَخَ رسوخاً لاحيلة فى إزالته . ومتى أُلقِيَ إلى الفتيان شىءٌ من أمور الفَتيات ، فى وقت الغَرَارةِ ، وعند غلَبةِ الطبيعة ، وشبَابِ الشهوَة ، وقلَّة التشاغُل ؛ وكذلك ٧٨
متى أُلقِي إلى الفِتيان شىءٌ من أمورهنَّ وأُمُورِ الغِلْمان ، وهناك سُكْر الشَّباب ، فكذلك تكون حالهم . وإنَّ الشُّطَّار لَيخلُو أحدُهم بالغلام الغَرير فيقول له : لايكون الغلامُ فتًى أبداً حتَّى يصادِقَ فتًى [وإلّا فهو تِكش ، والتكش عندهم الذى لم يؤدّبه فتًى ولم يخرِّجه] ، فما الماءُ العذْبُ البارد ، بأسرعَ فى طباع العطشان ، من كلمته ، إذا كان للغُلام أدنَى هوًى فى

(١) ط : « أحب » . ومشهور الرواية وما فى ل هو ماأثبت . وفى عيون الأخبار ٢ : ٣ : « وزاده » موضع « وزادها » وصواب الرواية « وزادنى » ؛ فإن البيت للأحوص كما فى الأغانى ١١ : ٢٢ . وقبله :

كم من دنى لها قد صرت أتبعه   ولو صحا القلب عنها كان لى تبعا

(٢) ط : « يضع » .

الفتوّة[١] ، وأدنَى داعيةٍ إلى المنالة[٢] . وكذلك إذا خلَت العجوز المدربة[٣] بالجارية الحَدَثة [كيف تخلبها . وأنشدنا :

فأتتها طَبَّةٌ عالمةٌ تخلط الجِدَّ بأصناف اللعبْ
ترفعُ الصوتَ إذا لانت لها وتَنَاهى عند سَورات الغَضَب]

وقال الشاعر[٤] فيما يشبهُ وقوعَ الْخَبَرِ السابق إلى القلب :

نقِّلْ فؤادَك حيثُ شئْتَ مِنَ الهوى ما الحبُّ إلاَّ للحبيبِ الأوَّلِ
كم منزلٍ فى الأرضِ يألفُه الفتَى وحنينُه أبدا لأوَّلِ مَنْزِلِ

وقال مجنون بنى عامر :

أتانى هَواهَا قَبْلَ أنْ أعرِفَ الهوَى فصادفَ قلباً خالياً فتمكَّنَا

(أثر التكرار فى خلق الإنسان)

وبابٌ آخر ممّا يدعو إلى الفساد ، وهو طولُ وقوعِ البصرِ على الإنسان الذى فى طبعه أدنى قابلٍ ، وأدنى حركةٍ عند مثله . وطولُ التدانى ، وكثرةُ الرؤيةِ هما أصلُ البلاء ، كما قيل لابنة الُخسّ : لم زَنيتِ بعبْدِك ولم تزنى بحرٍّ[٥] ، وما أغْرَاك به ؟ قالت : طُولُ السِّوَاد ، وقُرْبُ الوِساد .

ولو أنَّ أقبحَ الناسِ وجهاً ، وأنتنَهم ريحاً ، وأظهرَهم فقراً ، وأسقطَهم

(١) ط : « الفتنة » .

(٢) ط : « الشطارة » .

(٣) ط : « المذربة » .

(٤) هو أبو تمام كما فى الأغانى ١٧ : ١٤٦ . والبيتان فى ديوانه ٤٥٧ .

(٥) فى الأصل « ولم تزن بحر » والوجه ما كتبته . . وابنة الخس هى هند . ولهـا أخبار كثيرة فى البيان .

نفساً ، وأوضعهم حسَباً ، قال لامرأةٍ قد تمكّنَ من كلامِها ، ومكّنته من سَمْعِها : وَٱللهِ يامولاتى وسيّدتى ، لقد أسهَرْتِ ليلى ، وأرّقْتِ عَينى ، وشغلْتِنِى عن مُهِمِّ أمرى ، فما أعقِلُ أهلاً ، ولا مالاً ، ولا ولداً ؛ لَنَقَضَ طِباعَها ، ولفسَخ عَقْدَها ، ولو كانتْ أبرعَ الخلْقِ جمالاً ، وأكملَهم كمالاً ، وأملحهم مِلحا . فإنْ تهيَّأَ مع ذلك مِن هذا المتعشِّق ، أنْ تدمَع عينهُ ، احتاجت هــذه المرأة أن يكون معها وَرَعُ أمِّ ٱلدرداء ، ومُعاذة العدويّة ، ورابعةَ القيسيَّة ، والشجَّاء[1] الخارجيَّة .

(زهد الناس فيما يملـكونه ورغبتهم فيما ليس يملـكونه)

وإنَّمَـا قال عمر بن الخطَّاب رضى ٱللهُ تعالى عنــهُ : « اضربُوهنَّ بالعُرْى » لأنَّ الثيابَ هى المدعاةُ إلى الخُروج فى الأَعراس ، والقيامِ فى المَناحات ، والظهورِ فى الأَعياد ، ومتَى كثر خروجُها لم يعدَمها أن ترى من هو من شكل طبعها . ولو كان بعلُها أتمَّ حسنا ، وٱلذى رأتْ أنقصَ حسنا ، لكان مالا تملكه ، أطرفَ ممَّــا تملكُه ، ولـكان مالم تنلْه ، ولم تَستكثر منهُ ، أشدَّ لها اشتغالا وأشد لها اجتذابا . ولذلك قال الشاعر :

٧٩ ولِلعينِ مَلْهًى بالتِّلادِ ولم يقُدْ هوى النفسِ شيءٌ كاقتيادِ الطرائِفِ[2]

وقال سعيد بن مسلم : لَأَنْ[3] يرى حرمتى ألفُ رجل على حالٍ تـكشَف

---

(١) ل : « الشبجاء » وصوابه « الشجاء » كما فى ط . ولها حديث مع زياد فى الأمالى ٣ : ١٧٤ .

(٢) ط : « ولم يفد » بدل « لم يقد » و « كافتياد » موضع « كاقتياد » .

(٣) ط : « لئن » .

منها وهى لا تراهم ، أحبُّ إلىّ من أن ترى حُرْمتِي رجلاً واحداً غيرَ منكشف .

وقال الأوّل : لا يضرُّك حُسْنُ من لم تعرف ؛ لأنَّك إذا أتبعتها بصَرك ، وقد نقضت طبعك ، فعلمْتَ أنَّك لا تصل إليها بنفسك ولا بكتابك ولا برسولك ، كان الذى رأيت منها كالحلم ، وكما يتصور للمتمنِّى ، فإذا انقضى ما هو فيه مِنَ المنى [1] ، ورجعت نفسُه إلى مكانها الأوّل ، لم يكن عليه من [فقدها إلاّ مثلُ] فقد ما رآه فى النوم ، أو مثَّلته له الأمانىّ [2] .

(عقيل بن علفة وبناته)

وقيل لعَقيل بن عُلَّفة [3] : لو زوَّجْتَ بناتِك ! فإنَّ النساءَ لحمٌ على وَضَمٍ إذا لم يكنَّ غانيات ! ! قال : كلا ، إنِّى أُجيعُهنَّ فلا يأشَرْنَ ، وأُعْريهنَّ فلا يظهرْن [4] ! ! فوافقت إحدى كلمتيه قولَ النبى صلى الله عليه وسلَّم [ووافقت الأخرى قول عمر بن الخطاب ؛ لأن النبى صلى الله عليه وسلّم قال] : « الصَّوْمُ وِجَاء » . وقال عمر : استعينُوا عليهنّ بالعُرْى . وقد جاء [فى الحديث : « وفِّروا أشعارهن فإنَّ] ترك الشعر مَجْفَرة [5] .

---

(١) ط : « . . . كالحلسة إذ كان ذلك يقضى مافيه من المنى » وهو تحريف .

(٢) ط : « الأمانى مؤنسة » .

(٣) ط : « علقمة » وهى على الصواب فى ل . ولعقيل أخبار طريفة فى الأغانى ١١ : ٨١ — ٨٩ .

(٤) ط : « يأثرن » موضع « يأشرن » و « يظهرهن » بدل « يظهرن » وما فيها تحريف .

(٥) مجفرة : قال أبو عبيد : يعنى مقطعة للنكاح ونقصا للماء . وانظر اللسان (جفر)

وقد أتينا على هذا الباب في الموضع الذى ذكرنا فيه شأن الغَيرة ، وأوّلَ الفسادِ ، وكيف ينبُت ، وكيف يُحصَد .

(بعض ميول الخصيان)

وقد رأيتُ غيرَ خَصىٍّ يتلوَّط ، ويطلب الغلمان [فى المواضع ، ويخلو بهم ويأخذهم] على جهة الصداقة ، ويحمل فى ذلك الحديد ، ويقاتل دون السخول(١) ، ويتمشى مع الشطَّار .

وقد كانَ فى قطيعةِ الربيعِ خصىٌّ أثيرٌ عندَ مولاه ، عظيم المنزلة عنده ؛ وكان يثق به فى مِلْكِ يمينِه ، وفى حُرَمه من بنتٍ وزوجَةٍ وأختٍ ، لا يخصُّ شيئاً دونَ شيء ، فأشرَفَ ذاتَ يومٍ على مِرْبَدٍ له ، وفى المربد غنمٌ صفايا ، وقد شدَّ يدَى شاةٍ وركبها من مؤخَّرها يكُومُها ، فلمَّا أبصره بَرِقَ وَبَعِلَ(٢) وسُقِطَ فى يديه ، وهجم عليه أمرٌ لو يكون رآه من خصىٍّ لعدوٍّ لَهُ(٣) لَمَا فارقَ ذلك الهولُ أبداً قلبَه ، فكيف وإنّما عاينَ الذى عاين فيمَن كان يخلُفُه فى نسائه مِن حُرَمه ومِلْكِ يمينه . فبينا الرجلُ وهو واجم [حزين(٤)] ، وهو ينظر(٥) إليه [وقد تحرَّق عليه غيظاً] إذْ رفَع الخصىُّ رأسَه ، فلمَّا أثبتَ مولاهُ مَرَّ مُسرِعا نحوَ باب الدار ليركَبَ رأسَه ، وكان المولى أقربَ إلى الباب منه ، فسبقه إليه ، وكان الموضعُ الذى رآه منه

---

(١) ط : «السجون» .

(٢) كذا فى ل . وفى ط « بعد » ولا وجه له . . وأما (بعل) فهى بمعنى دهش وفرق فلم يدر مايصنع .

(٣) ط : « لعدوه » .

(٤) موضع هذه الكلمة فى ط : « قد برق » .

(٥) ط : « ينتظر » وهو تحريف .

موضعاً لا يُصعَد [إليه] ، فحدَثَ لشقائِهِ أمرٌ لم يجد مولاه [معه] [١] بُدًّا من صُعودِه ، فلبثَ الخصيُّ ساعةً ينتفِض من حُمَّى كِبتْه ثم فاظ ، ولم يُمسِ إلاَّ وهو فى القبر .

ولفرْط إرادتِهم النساء ، وبالحسرة التى نالتهم ، وبالأسف الذى دخلَهم ، أبغَضُوا الفحولَ بأشدَّ مِنْ تباغُضِ الأعداءِ فيما بينهم ، حتَّى ليس بين الحاسدِ الباغى وبينَ أصحابِ النِّعَم المتظاهرة ، ولا بين المَاشى المعنَّى وبينَ ٨٠ راكب الهِمْلاجِ الفارِه ، ولا بين ملوكٍ صاروا سُوقةً ، وبينَ سُوقَةٍ صاروا ملوكا ، ولا بينَ بنى الأعمام مع وقوعِ التنافسِ، أو وقوعِ الحربِ ، ولا بين الجيرانِ والمتشاكلين فى الصناعات ، من الشنف والبغضاء ، بقدرِ ما يلتحف عليه الخصيانُ للفحول [٢] .

وبُغضُ الخصىِّ للفَحل من شِكل بُغض الحاسِدِ لذى النعمة ، وليس مِنْ شكل ما يولِّده التنافسُ وتُلحِقُه الجنايات .

(نسك طوائف من الناس)

ولرجالِ كلِّ فَنٍّ وضربٍ من الناس ، ضربٌ من النسك ، إذْ لابدَّ لأحدِهم من النزوع ، ومن تركِ طريقته الأولى : فنسكُ الخصىِّ غزْو الروم ، لِمَا أَنْ كانوا هم الذين خَصَوهم ، ولُزُومُ أَذَنة والرِّباطُ بطَرَسُوسَ وأشباهِها . فظنَّ عند ذلك أهلُ الفِراسة أَنَّ سببَ ذلك إنّما كان لأنَّ الرُّومَ لِمَا كانوا هم الذين خَصَوهم ، كانوا مغتاظين عليهم [٣] ، وكانت

---

(١) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٢) ط : « المتشاكسين » موضع « والمتشاكلين » و « التنفير » موضع « الشنف » و « يلتحق » موضع « يلتحف » وما فيها محرف .

(٣) ط : « متغايظين عليهم » .

متطلّبةً إلى التشفّى منهم ، فأخرج لهم حبُّ التشفّى شدّةَ الاعتزامِ على قتلهم ، وعلى الإنفاقِ فى كلِّ شيء يَبلُغ منهم . ونُسكُ الخراسانىِّ أن يُحجَّ : ونسكُ البنوى(١) أن يَدَع الديوان . ونسكُ المغنّى : أن يُكثر التسبيحَ وهو يشربُ النبيذ ، والصلاةَ على النبى صلى الله عليه وسلم ، والصلاة فى جماعة . ونسك الرافضىّ : إظهارُ تركُ النبيذ . ونسك السّوادىِّ تركُ شرب المطبوخ فقط . ونسكُ اليهودىِّ : إقامة السبت . ونسك المتكلِّم : التسرُّع إلى إكفارِ أهل المعاصى ، وأنْ يرمَى الناسَ بالجبْر ، أو بالتعطيلِ ، أو بالزندقة ، يريد أن يوهم أموراً :

منها أنَّ ذلك ليس إلاّ من تعظيمه للدِّين ، والإغراق فيه ، ومنها أن يقال : لو كان نَطِفا ، أو مرتابا ، أو مجتنحا على بليَّة(٢) ، لما رمى الناسَ ، ولرضى منهم بالسلامة ، وما كان ليرميَهم إلاّ للعزِّ الذى فى قلبه ، ولو كان هناك من ذُلِّ الرِّيبة شىء لقطَعَه ذلك [عن](٣) التعرُّض لهم ، أو التنبيه على ما عسى إنْ حرَّكهم له أنْ يتحرَّكوا . ولم نجدْ فى المتكلِّمين أنْطفَ ولا أكثرَ عيوبا ، ممَّن يرمى خصومَه بالكفر .

(أبو عبد الله الجماز وجارية آل جعفر)

وكان أبو عبد الله الجمَّاز ، وهو محمد بن عمرو(٤) ، يتعشّق جاريةً

---

(١) فى القاموس : « الأبناء قوم من العجم سكنوا اليمن والنسبة أبناوى وبنوى محركة » وفى رسائل الجاحظ ١٥ ساسى مايفيد أنهم من خراسان . . وهى فى ط : « الجندى » تحريف . وانظر حواشى البيان ٣ : ١١٤ وفيها تفصيل .

(٢) « النطف » : الرجل المريب . . وفى ل : « محتجنا » بدل « مجتنحا » .

(٣) زيادة يقتضيها الكلام .

(٤) من أهل البصرة شاعر أديب ، كان ماجنا خبيث اللسان ، دخل بغداد أيام الرشيد =

لآلِ جعفر يقال لها طُغْيان ، وكان لهم خصِيٌّ يحفظُها إذا أرادتْ بيوتَ المغنِّين ،
وكان الخصيُّ أشدَّ عشقاً لها من الجمَّاز ، وكان قد حال بينَه وبينَ كلامِها ، ٨١
والدنوِّ منها ، فقال الجماز [وكان اسم الخادم سنانا] :

ما للمَقِيتِ سِنانٍ وللظِّباءِ المِلاحِ
لَبِئْسَ زانٍ خَصِيٌّ غازٍ بغير سلاحِ[1]

وقال أيضاً فيه وفيها :

نَفْسِي الفداءُ لظبيٍ يحبُّني وأُحبُّهْ
من أجلِ ذاكَ سِنانٌ إذا رآني يَسُبُّهْ
هَبْهُ أجابَ سِناناً يَنيكهُ أين زُبُّه

وقال أيضاً فيهما :

ظبيٌ سِنانٌ شريكي فيه فبئسَ الشريكُ
فلا يَنِيكُ سِنانٌ ولا يَدَعْنا نَنيكُ

(ما قيل من الشعر في الخصاء)

وقال الباخَرزيّ[2] يذكرُ محاسنَ خِصال الخصيان :

ونساء لمطمئنٍّ مُقيمٍ ورجال إن كانت الأسفار

= وفي أيام المتوكل . وأعجب به المتوكل وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فأخذها وانحدر فمات فرحا بها . تاريخ بغداد ١١٤٣ .

(١) ط : « ليس خصى بزان » وفي ل : « أليس زان خصى » ورأيت الصواب فيما كتبت . وانظر المحاسن والمساوى ٢ : ٢٠٩ .

(٢) ماعدا ل والأمبروزيانا : « الماخورى » .

[وقال حميد بن ثور يهجو امرأته :

جُلُبَّانةٌ ورهاء تخصى حمارها بفِى من بغَى خيراً إليها الجلامدُ[١]]

وقال مزرِّد بن ضِرار :

[فجاءتْ كخاصى العَيرِ لم تَحْلَ عَاجةً ولا جَاجَةٌ منها تلُوحُ على وَشْمِ[٢]

وقال عمرو الخارَكى[٣]] :

إذا لامَ على المرد نصيحٌ زادَنى حرصا

ولا والله ما أقْلِـــع ما عُمِّرت أو أُخْصَى

وقال آخر[٤] :

رَمَاكَ اللهُ من أيْرٍ بأفعَى ولا عافاكَ من جَهْد البَلاءِ

جَزَاكَ اللهُ شَرًّا من رفيقٍ إذا بلغت بى رَكَبَ النساء

أجُبْناً فى الكريهة حين نلقى وما تنفكُّ تُنعِظ فى الخلاءِ

فلا والله ما أمسَى رفيقى ولولا البولُ عُوجِل بالخصاء

---

(١) الجلبانة : الصخابة السيئة الخلق . والورهاء : الحمقاء .

(٢) فى اللسان : « أبو زيد : الجاجة الخرزة التى لا قيمة لها . غيره : مارأيت عليه عاجة ولا جاجة . وأنشد لأبى خراش الهذلى يذكر امرأته وأنه عاتبها فاستحيت وجاءت إليه مستحيية » . وأنشد البيت ثم قال : « يقال جاء فلان كخاصى العير : إذا جاء مستحيا وخائبا أيضا . والعاجة : الوقف من العاج تجعله المرأة فى يدها » . والبيت فى ديوان الهذليين ٢ : ١٢٩ . وجاء فى الأصل هكذا :

فجاءت كخاصى العير لم تحل حاجة ولا حاجة منها تلوح على وشم

وتصحيحه من اللسان فى مادتى (جوج) و (عوج) ومن الصحاح (جوج) ، ومن أمثال الميدانى (١ : ١٥٠) مع نسبته إلى أبى خراش الهذلى ، كما فى اللسان .

(٣) ياقوت فى (خارك) : « منهم الخاركى الشاعر فى أيام المأمون أو مايقاربها » . والشعر فى معجم المرزبانى ٢١٩ برواية محرفة .

(٤) الأبيات فى المحاسن للجاحظ ١٧٥ .

وقال بعض عبد القيس :

ماكان قَحذَمٌ ابنُ واهِصَة الْخُصى   يرجو المناكحَ فى بنى الجارودِ(١)
ومِن انتكاس الدهرِ أن زُوِّجتَها   ولكلِّ دهرٍ عَثرةٌ بجُدُود(٢)
لو كان منذرُ إذ خطبت إليهم   حيًّا لكان خَصَاك بالمغمود ٨٢

وقال أبو عبيدة : حدَّثنى أبو الخطاب قال : كان عندنا رجلٌ أحدبُ فسقَط فى بئرٍ فذهبت حَدَبته وصار(٣) آدَر فقيل له : كيف تجِدك(٤) ؟ [فقال] : الذى جاءَ شرٌّ من الَّذِى ذهب !

وأبو الحسن عن بعض رجاله(٥) قال : خرج معاويةُ ذاتَ يومٍ يمشى ومَعه خَصِيٌّ له ، إذ دخلَ على ميسونَ ابنة بحدل(٦) وهى أمٌّ يزيد ، فاستترت منه فقال : أتستترين منه ، وإنَّما هو مثلُ المرأة ؟ قالت : أتُرَى أنَّ المثلة به تُحِلُّ ما حرَّم الله تعالى ؟ !

ذكر ما جاء فى خصاء الدوابّ

ذكر آدمُ بن سليمان عن الشعبىّ قال : قرأت كتابَ عمر رضى الله

(١) ط : « مخدم » وهما تحريف ماأثبت من ل . و « واهصة » تصحيح مافى ل ، وهو « وابصة » . وجاءت هذه الكلمة فى ط : « راضخة » والوهص والرضخ بمعنى ، وهو الدق . وانظر اللسان (وهص) .
(٢) ل : « وجدود » ط : « بهجود » والصواب ماأثبت . والجد : الحظ .
(٣) ط : « صاد » وصوابه من ل .
(٤) ط : « نجدك » وهو تحريف مافى ل .
(٥) ط : « رجال الأدب » .
(٦) ط : « بجدل » وإنما هو « بحدل » بالحاء كما فى ل والأغانى والخزانة (٣ : ٥٩٣ بولاق) .

تعالى عنـه إلى سعد ، يَنْهَى عن حذْف أذناب الخيل وأعرافها ، وعن خصائها ، ويأمره أن يُجْرِيَ من رأس المائتين . وهو أربعة فراسخ .

وسُفيان الثَّورى عن عاصم بن عبد ٱلله بن عمر[1] أنَّ عمر رضى ٱلله تعالى عنه كان ينهى عن خِصَاء البهائم ويقول : هل الإنمــاء إلاّ فى ٱلذكور .

وشَرِيك بن عبد ٱلله ، قال : أخبرنى إبراهيم بن المهاجر ، عن إبراهيم النَّخَعى أنّ عمرَ رضى الله تعالى عنه نَهَى عن خصاءِ الخيل .

وسفيان الثورى عن إبراهيم بن المهاجر قال : كتب عمرُ بن الخطاب رضى الله تعالى عنـه لبعض عماله : لا تُجرِيَنَّ فرساً إلاَّ من المائتين ، ولا تَخْصِينَّ فرسا .

قال : وسمعتُ نافعاً يقول : كان عبد الله بن عمر يكرَه خِصاءَ الذكورِ من الإبل ، والبقر ، والغنم .

وعبيد الله بن عمر عن نافع : أنَّ ٱبن عمر رضى الله تعالى عنهما كان يكره الخصاء ويقول : لا تقطعوا نامِيةَ خَلْقِ اللهِ تعالى .

وعبد الله وأبو بكر ٱبنا نافع عن نافع قال : نهى رسول الله صلى الله عليهِ وسلم عن أن تُخْصَى ذكورُ الخيلِ ، والإبلِ ، والبقر ، والغنم ، ويقول : فيها نشأة الخلق ، ولا تصلح الإناث إلاَّ بالذكور .

---

(١) فى ل : « عن عاصم بن عبيد الله بن عاصم ، عن سالم بن عبد الله ، عن عبد الله ابن عمر » . وعاصم الذى يروى عنه الثورى هو عاصم بن سليمان الأحول البصرى المتوفى سنة اثنتين — أو ثلاث — وأربعين ومائة . كما فى تاريخ بغداد ٩ : ١٥٢ ، ١١ : ٢٤٣ . ففى الإسناد نظر .

ومحمد بن أبي ذئب[1] قال : سألت الزُّهرىَّ : هل بخِصاء البهائم بأس ؟ قال : أخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود ، أنَّ رسـول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهِرين ، نهى عن صَبْرِ الروح . قَالَ الزُّهرىُّ : والخِصاءُ صبرٌ شديد .

وأبو جعفَر الرَّازىّ قال : حدَّثنا الرَّبيعُ بن أنس ، عن أنس بن مالك فى قوله تعالى : ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ ﴾ قال : هو الخِصاء . ٨٣

وأبو جرير عن قتادة عن عِكرِمة عن ابن عبَّاس نحوه .

أبو بكر الهذلىّ قال : سألتُ الحسنَ عن خِصـاء الدواب فقال : تسألنى عَن هذا ؟ لعن الله من خَصَى الرجال .

أبو بكر الهذلىُّ عن عِكرِمة فى قوله تعالى : ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ ﴾ قال : خصاء الدواب . قال : وقال سعيد بن جبير : أخطأ [عكرمة] ، هو دين الله .

نَصر بن طريف قال : حدَّثنا قَتادة عن عِكرمة فى قوله تعالى : ﴿ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللهِ ﴾ قال : خصاء البهائم . فبلغ مجاهداً فقال : كذَبَ هو دين الله .

فمن العجب أن الذى قال عكرمة هو الصواب ، ولو كان هو الخطأ لما جاز لأحد أن يقول [له : كذبت . والناسُ لا يضـعون هذه الكلمةَ

---

(١) ط : « ذؤيب » موضع « ذئب » ، وهو تحريف ماأثبت من ل . ومحمد هـو ابن عبد الرحمن بن أبي ذئب . وأبو ذئب هو هشام بن شعبة . وترجمة محمـد فى تاريخ بغـداد ٢ : ٢٩٦ — ٣٠٥ والمعارف لابن قتيبة ٢١٣ . وانظر تأويـل مختلف الحديث ص ١١ .

فى موضع خطأ الرأى ممَّن يُظَنُّ به الاجتهاد ، وكان ممَّن له أن يقول] .

ولو أنَّ إنساناً سمع قولَ الله تبارك وتعالى : ﴿ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ ﴾ قال : إنَّما يعنى الخِصاء ، لم يقبل ذلك منه ؛ لأنَّ اللفظ ليست فيه دلالةٌ على شىءٍ دونَ شىء ، وإذا كان اللفظُ عامًّا لم يكن لأحدٍ أن يقصد به إلى شىءٍ بعينه[1] إلاَّ أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك مع تلاوةِ الآية ، أو يكونَ جبريلُ عليهِ السلام قال ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ؛ لأنَّ الله تبارك وتعالى لا يضمر[2] ولا ينوى ، ولا يخصُّ ولا يعمُّ بالقصد ؛ وإنَّما الدلالةُ [فى] بِنيةِ الكلام نفسِه ، فصورة[3] الكلام هو الإرادة وهو القصد ، وليس بينه وبين الله تعالى عملٌ آخر كالذى يكون من الناس ، تعالى اللهُ عن قول المشبِّهة علوًّا كبيراً .

أبو جرير[4] عن عمار بن أبى عمار[5] أنَّ ابنَ عباسٍ قالَ فى قوله تعالى : ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ ﴾ قالَ : هو الخصاء .

وأبو جرير عن قَتادة عن عِكرمة عن ابن عبَّاسٍ مثله .

أبو داود النَّخَعِىّ ، عن محمَّدِ بن سعيدٍ عن عبادة بن نسىّ ، عن إبراهيم بن محيريز قال : كان أحبَّ الخيلِ إلى سَلَفِ المسلمين ، فى عهد عمر ، وعثمان ، ومعاوية ، رضى الله تعالى عنهم ، الخِصْيان ؛ فإنَّها أخفى للكمينِ والطلائع ، وأبقَى على الجُهْدِ .

---

(١) ط : « بعيد » والوجه ما فى ل .
(٢) ط : « لايصر » .
(٣) ط : « فصار » .
(٤) ط : « جزء » فى كل موضع يذكر فيه « جرير » .
(٥) ل : « عن عمار بن عمار » .

أبو جرير قال : أخبرنى ابن جُريج عن عطاء أنَّه لم يرَ بأساً بخصاء الدواب .

وأبو جرير عن أيُّوبَ عن ابن سيرين ، أنَّه لم يكن يرى بأساً بالخصاء ؛ ويقول : لو تُرِكت الفحولةُ لأكل بعضُها بعضاً .

وعمر ويونس عن الحسن : أنّه لم يكن يرى بأساً بخصاء الدواب .

سفيان بن عُيينة عن ابن طاوس عن أبيه : أنّه خَصى بعيراً .

[وسفيان بن عيينة عن مالك بن مِغول عن عطاء ، أنه سئل عن خصاء البغل فقال : إذا خفت عِضاضه] .

(أقوال فى النتاج المركب) ٨٤

ولْنَصِلْ هذا الكلام بالكلام الذى قبل هذا فى الخلق المركب [وفى تلاقح الأجناس المختلفة . زعموا أن العِسبارَ ولد الضبع من الذئب ، وجمعه عسابر و] . قال الكميت :

وتجمَّع المتفرِّقو نَ من الفَراعِل والعَسابِر (١)

يرميهم بأنَّهم أخلاطٌ وَمُعَلْهَجُونَ .

(السمع ولد الذئب من الضبع)

وزعموا أنّ السِّمع ولد الذئب من الضبع ، ويزعمون أنّ السِّمع

(١) روى صاحب اللسان هذا البيت وقال : « فقد يكون – يعنى العسابر – جمع العسبر (كقنفذ) وقد يكون جمع عسبار وحذفت الياء للضرورة . والفرعل : ولد الضبع من الضبعان » يعنى الذكر من الضباع .

كالحيَّةِ لا تعرف العِلَل ، ولا تموتُ حَتْفَ أنفِها ، ولا تموت إلاّ بِعَرَض يَعْرِض لها . ويَزْعمون أنّه لا يَعدو شيءٌ كعدو السِّمع ، وأنّه أسرعُ مِنَ الريح والطَّير .

وقال سهم بن حنظلة يصف فرسه :

فاعْصِ العواذل وارْمِ اللَّيلَ في عرض

بذى شـــبيب يُقاسِى لَيْلَهُ خَبَبَا

كالسِّمع لم يَنقب البَيْطَار سرّته ولم يَدِجْه ولم يَغمِز له عَصَبَا[1]

وقَالَ ابن كُناسة[2] يصف فرسا :

كالعقاب الطلوب يَضْرِبُها الطْـ ـلُّ وقد صَوَّبَتْ على عِسبار[3]

وقال سؤر الذئب[4] :

هو سِمْعٌ إذا تمطَّرَ شيئــاً وعُقابٌ يحثُّها عِسْــبارُ

يقول : إذا اشتدَّ هربُ المطلوبِ الهاربِ من الطالب الجادّ ، فهو أحثُّ للطالب ؛ وإذا صار كذلك صار المطلوبُ حينئذٍ فى معنى من يحثُّ الطلب ، إذ صار إفراطُ سرعَتِه سببا لإفراط طلبِ العُقاب .

وقال تأبط شرًّا[5] ؛ [أو أبو محرز خلف بن حيَّان الأحمر] :

---

(١) ط : « ولم يرجه » موضع « ولم يدجه » والودج : قطع الودج : عرق فى العنق . وانظر معجم المرزبانى ٣٤١ .

(٢) ط : « أبو كناسة » وصوابه فى ل . وله ترجمة فى فهرست ابن النديم ٧١ ليبسك ، ١٠٥ مصر . توفى سنة ٢٠٧ .

(٣) ط : « والعقاب » .

(٤) البيت ساقط من ل .

(٥) ط : « ابن أخت تأبط شرا » . والقصيدة فى حماسة أبى تمام (١ : ٣٤١ — ٣٤٧) .

مُسْبِلٌ بالحيِّ أحوى رِفَلٌّ　　وإذا يَعْدُو فسِمْعٌ أَزَلُّ

وإنّما قال أَزَلّ وجعَلَه عاديا ووصفهُ بذلك ، لأنَّه ابن الذئب .

وقال الأصمعي :

يدير عيني لمظةٍ عِسبارَه(١)

وقال في موضع آخر :

كأن منها طرفه استعارَه(٢)

وقال آخر :

تَلقى(٣) بها السِّمْعَ الأَزَلَّ الأطلَسَا

(الديسم ولد الذئب من الكلبة)

وزعموا أنَّ ولدَ الذئب من الكلبة الدَّيْسَم ، ورووا لبشّارِ بنِ بُرْد في دَيْسَمٍ العَنَزِيّ أنّه قال :

أَدَيْسَمُ يا ابنَ الذئبِ مِنْ نسلِ زارعٍ
أَتَرْوِى هِجائى سادراً غيْرَ مُقْصِرِ

وزارع : اسم الكلب ، يقال للكلاب أولاد زارعٍ .

(زعم لأرسطو في النتاج المركب)

وزعم صاحب المنطق أنّ أصنافاً أُخَرَ من السباع المتزاوجات

(١) ط : « لاطة » موضع « لمظة » ولعل صوابهما « لظة » بمعنى ملمحة ، كما يظهر أن هناك كلاما ساقطا بعد « قال الأصمعي » ، تقديره « يقال عسبار وعسبارة . وأنشد » وأن عبارة « وقال في موضع آخر » مقحمة على الكتاب .

(٢) ل : « شباة » موضع « منها » .

(٣) ط : « يلقى » .

٨٥ المتلاقِحات مع اختلاف الجنس والصورة ، معروفة النتاج مثل الذئاب التى تسفَد الكلابَ فى أرض رُومِيَة . قال : وتتولَّد أيضا كلابٌ سَلوقيةٌ من ثعالبَ وكلاب . قال : وبين الحيوان الذى يسمَّى باليونانيَّة طاغريس(١) وبين الكلب ، تحدث هذه الكلابُ الهندية . قال : وليس يكون ذلك من الولادة الأولى .

[قال أبو عثمان : عن بعض البصريين عن أصحابه قال : وزعموا] أَنَّ نِتاجَ الأُولَى يخرُج صعباً وحشيًّا لايلقَّن(٢) ولا يؤلَّف .

(تلاقح السبع والكلبة)

وزعم [لى بعضهم عن رجلٍ من أهل الكوفة من بنى تميم] أنَّ الكلبةَ تعرِض لهذا السبع حتَّى تلقَح ، ثم تعرض لمثله مراراً حتى يكون جرو البطن الثالث قليلَ الصعوبة يقبلُ التلقين ، وأنَّهم يأخذون إناثَ الكلاب ، ويربطونها فى تلك البرارىّ ، فتجىءُ هذه السباعُ وتسفَدُها ، وليس فى الأرض أنثى تُجتَمَع على حبِّ سفادها ، ولا ذكرٌ يجتمع له من النزوع إلى سفاد الأجناسِ المختلفة ، أكثرَ فى ذلك من الكلب والكلبة .

قال : وإذا رَبَطوا هذه الكلابَ الإناثَ فى تلك البرارى ، فإن كانت هذه السباع هائجةً سفِدَتها ، وإن لم يكن السبع هائجاً فالكلبة مأكولة . وقال أبو عدنان(٣) :

---

(١) كذا فى نهاية الأرب ٩ : ٢٥٦ و ل . وفى ط : « طاعويس » .
(٢) كذا فى ل ونهاية الأرب . وفى ط « يألف » .
(٣) قال الجاحظ فى شأنه : « وما كان عندنا بالبصرة رجلان أدرى بصنوف العلم ، ولا أحسن بيانا من أبى الوزير ، وأبى عدنان المعلمين ، وحاطما من أول ماأذكر =

أيا باكِىَ الأطلالِ فى رَسْمِ دمنةٍ
تَرُودُ بها عِينُ المَهَا والجآذرُ
وعاناتُ جَوَّال وهَيْقٌ سَفَنَّجٌ وسنداوة فضفاضة وحَضَاجِرُ(١)
وسِمْعٌ خَفِيٌّ الرِّزِّ ثِلْبٌ ودَوْبَلٌ
وثَرْمَلَةٌ تعتادها وعَسابِرُ(٢)

وقد سمعنا ما قال صاحبُ المنطق من قبل ، وما نظنُّ بمثله أن يخلِّد على نفسه فى الكتب شهاداتٍ لايحقِّقُها الامتحان ، ولا يعرِف صدقَها أشباهُه من العلماء ، وما عندنا فى معرفةِ ما ادَّعى إلّا هذا القول .

وأمّا الذين ذَكروا فى أشعارهم السِّمْع والعِسبار ، فليس فى ظاهر كلامهم دليلٌ على ما ادَّعى عليهم الناسُ من هذا التركيب المختلف ، فأدَّينا الذى قالوا وأمسكْنا عن الشهادة ، إذ لم نجد عليها بُرهانا .

(أولاد السعلاة)

وللنَّاس فى هذا الضَّرْب ضروبٌ من الدعوى ، وعلماءُ السوء يُظهرون تجويزَها وتحقيقَها ، كالذى يدَّعون من أولاد السَّعَالِى من الناس ، كما ذكروا عن عمرو بن يربوع ، وكما يروى أبو زيدٍ النحويُّ عن السِّعلاة

= من أيام الصبا » البيان ١ : ٢٥٢ ، وقد عده ابن النديم ممن صنف فى غريب الحديث . الفهرست ٨٧ ليبسك ، ١٢٩ مصر .

(١) السنداوة : الذئبة ، كما فى الدميرى . والفضفاضة : اللحيمة الجسيمة . وبدلها فى ط : « تصبى به » . وحضاجر : اسم للضبع أو لولدها ، معرفة لا ينصرف لأنه اسم لواحد على بنية الجمع .

(٢) ط : « ثبت » مكان « ثلب » . وفى القاموس : الثلب بالكسر وككتف : المعيب .

التى أقامت فى بنى تميم حتى وَلَدت فيهم ، فلمَّا رأتْ برقاً يلمَعُ من شقِّ بلاد السَّعالِى ، حنَّت وطارت إليهم ، فقال شاعرهم(١) :

رأى بَرْقاً فأوْضَعَ فَوْقَ بَكْرٍ فَلَا بِكِ ما أسَالَ وما أغاما(٢)

٨٦ وأنشدنى أن الجنَّ طرقوا بعضهم فقال(٣) :

أتَوا نارى فَقُلْتُ مَنُون أنتمْ فقالوا الجِنُّ قلتُ عِمُوا ظَلَامَا

فقلتُ إلى الطَّعام فقال منهم زعيمٌ نَحْسُدُ الإنسَ الطَّعاما

ولم أعِب الرواية ، وإنَّما عبتُ الإيمانَ بها ، والتوكيدَ لمعانيها . فما أكثرَ من يَروى هذا الضربَ على التعجُّبِ منه ، وعلى أن يجعَلَ الرواية [له] سبباً لتعريفِ النَّاس حقَّ ذلك من باطِلِه ، وأبو زيدٍ وأشباهُه مأمونون على النَّاس ؛ إلّا أنَّ كلَّ من لم يكن متكلِّما حاذقاً ، وكان عند العلماء قدوةً وإماما ، فما أقربَ إفسادَه لهم من إفسادِ المتعمِّد لإفسادهم !

وأنشدوا فى تثبيتِ أولاد السعلاة :

تقول جمع من بُوان ووَتِدْ وحَسَنٌ أنْ كَلَّفَتْنِي مَا أجِدْ(٤)

وَلَمْ تقل جِيء بأبَانٍ أو أُحُدْ(٥) أو ولدِ السِّعلاةِ أو جِروِ الأسَدْ

أو ملكِ الأعجام مأسوراً بقِدّْ(٦)

---

(١) هو عمرو بن يربوع بن حنظلة ، كما فى نوادر أبى زيد ١٤٦ .

(٢) ط : « فلأيا » موضع « فلا بلك » وماأثبته من ل ومن النوادر .

(٣) الشعر لشمير (أو سمير) بن الحارث الضبى كما فى النوادر ١٢٣ وخزانة الأدب ٣ : ٣ بولاق . وانظر الخزانة ٣ : ٦ .

(٤) ط : « أقول » مكان « تقول » وفى ل : « وحسن كلفتنى . . . » ، وفى كلتيهما « مالم أجد » وهو تحريف .

(٥) ط : « مالم تقل » موضع « ولم تقل » .

(٦) ل : « الأعجم » . ابن منظور : رجل أعجم وقوم أعجم ، قال :

سلوم لو أصبحت وسط الأعجم فى الروم أو فى فارس أو فى الديلم

إذا لزرناك ولو بسلم

وقال آخر(١) :

يا قاتَلَ اللهُ بَنِي السِّعلاةِ عمراً وقابوساً شِرَارَ النَّاتِ

(ما زعموا فى جرهم)

وذكروا أَنَّ جُرْهُماً كان من نِتاج ما بين الملائكة وبنات آدم ، وكان المَلَكُ من الملائكة إذا عصى ربَّه فى السماء أهبَطَه إلى الأرضِ فى صورةِ رجل ، وفى طبيعته ، كما صنع بهاروت وماروت حين كان من شأنهما وشأنِ الزُّهَرة ، وهى أناهيد(٢) ما كان ، فلمَّا عصى اللهَ تعالى بعضُ الملائكة وأهبطَه إلى الأرض فى صورةِ رجل ، تزوَّج أمَّ جُرهمٍ فولدتْ له جُرهما ، ولذلك قال شاعرهم(٣) :

لاهُمَّ إنَّ جُرْهُما عِبادُكا النَّاس طِرْفٌ وهُمُ تِلادُكا(٤)

(ما زعموا فى بلقيس وذى القرنين)

ومن هذا النسل ومن هذا التركيب والنجل(٥) كانت بِلْقِيسُ ملكةُ

(١) هو علباء بن أرقم كما فى النوادر ١٠٤ . والبيت الثانى يروى بدله فى الأمالى ٢ : ٦٨ :

عمرو بن يربوع شرار النات

(٢) هذه الكلمة وماقبلها ساقطتان من ل . وقد ذكر الخوارزمى فى مفاتيح العلوم ١٢٢ أسماء الكواكب بالفارسية ، فقال : « كيوان ، هرمز ، بهرام ، خور ، ناهيد ، تير ، ماه » ، بمعنى زحل ، المشترى ، المريخ ، الشمس ، الزهرة ، عطارد ، القمر .

(٣) هو عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمى ، كما فى شرح الأنبارى للقصائد السبع ص ٢٥٥ .

(٤) ماعدا ل والأمبروزيانا : « طارف » .

(٥) ط : « النحل » وصوابه « النجل » كما فى ل .

سبأ ؛ وكذلك كان ذو القرنين كانت أمُّه فيرى آدميَّة وأبوه عبرى[١] من الملائكة . ولذلك[٢] لما سمع عمرُ بن الخطَّاب رضى الله تعالى عنه رجلاً ينادي : ياذا القرنين ، فقال : أفرَغْتُمْ من أسماء الأنبياء فارتفعتم إلى أسماء الملائكة ؟ .

وروى المختارُ[٣] بن أبي عبيد أنَّ عليًّا كان إذا ذَكَر ذا القرنين.

٨٧ قال : ذلك الملكُ الأمرط .

(ما زعموا فى تلاقح الجن والإنس)

وزعموا أنَّ التناكُح والتلاقُح قد يقع بين الجنِّ والإنس ، لقوله تعالى: ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِى الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ . وذلك أن الجنِّيَّات إنَّما تعرِض لصَرْع رجالِ الإنس على جهة التعشُّق وطلبِ السِّفاد[٤] ، وكذلك رجال الجنِّ لنساء بنى آدم ، ولولا ذلك لعرض الرِّجالُ للرِّجال ، والنساءُ للنساء ، ونساؤهم للرجال والنساء .

ومن زعَم أن الصَّرْعَ من المِرَّة ، ردَّ قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ وقال تعالى : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ . فلو كان الجانُّ لا يفتضُّ

---

(١) فى ل : « قبرى » بدل « فيرى » وهى فى رسائل الجاحظ ٩٧ ساسى « قيرى » . و « عبرى » بدلها فى الرسائل : « عيرى » .

(٢) ط والأمبروزيانا « وكذلك » .

(٣) هو المختار الثقفى من زعماء الثائرين على بنى أمية ، وكان يقال له كيسان ، وإليه تنسب الطائفة الكيسانية . توفى سنة ٦٧ .

(٤) ل : « الفساد » وليس بشىء .

الآدَميَّاتِ ، ولم يكنْ ذلك قطُّ ، وليس ذلك فى تركيبه ، لمَا قال الله تعالى هذا القَول .

(ما زعموا فى النسناس وغيره)

وزعموا أنّ النَّسْنَاسَ تركيبُ ما بين الشِّق والإنسان . ويزعمون أنَّ خلقاً من وراء السدِّ تركيبٌ من النَّسْنَاسِ ، والناس ، والشقِّ ، ويأجوج ومَأْجوج . وذكروا عن الوَاق واق والدوَال باى[1] أنهُمْ نِتاجُ ما بينَ بعضِ النَّباتِ والحيوان. وذكروا أنَّ أمَّةً كانت فى الأرض ، فأمرَ الله تعالى الملائكة فأجلوَهم ؛ وإيَّاهم عَنَوا بقولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . ولذلك قال الله عزَّ وجلَّ لآدم وحواء : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . فهذا يدلُّ على أن ظالما وظُلماً قد كان فى الأرض .

قال الأصمعىُّ — أو خلَفٌ — فى أرجوزة مشهورة ، ذكرَ فيها طُولَ عمرِ الحيَّة :

أرْقَشُ إنْ أسبَطَ أو تَثَنَّى   حَسِبْتَ وَرْساً خالَطَ اليرَنَّا[2]
خالَطَهُ مِنْ هَاهُنَا وَهَنَّا   إذا تراءاهُ الحواةُ استَنَّا[3]

قال : وكان يقال لتلك الأمَّة مهنا[4] .

---

(١) ط : « الدوال » ل : « الدوال بأى » وانظر حواشى البغال ص ٣٧٤ .
(٢) الورس : نبت أصفر يزرع باليمن ويصبغ به . وقيل : صنف من الكركم . كذا فى المصباح . واليرنأ : الحناء .
(٣) ط : « إذا أتى إد الحداة استنا » . واستن : أسرع .
(٤) ط : « يهنا » ، وفى رسائل الجاحظ ٩٩ « بهيا » .

(قول المجوس فى بدء الخلق)

وزعم المجوس أنَّ الناسَ من ولد مهنة ومهنينة ، وأنَّهما تولدا فيما بينَ ارحام الأرَضين ، ونطفتين ابتدرتا[١] من عينَى ابن هُرمُز حين قتله هرمز . وحماقات أصحابِ الاثنَين كثيرةٌ فِى هذا الباب . ولولا أنِّى أحببْتُ أن تسمَعَ نوعا من الكلام ، ومبلغَ الرأى ، لتُحدِثَ لله تعالى شكراً على السلامة ، لما ذكرتُ كثيراً من هذا الجنس .

(عبد الله بن هلال صديق إبليس وختنه)

وزعم ابن هيثم أنَّه رأى بالكوفة فتًى من ولد عبد الله بن هلال الحميرى[٢] ، صديق إبليس وختَنِهِ ، وأنَّهم كانوا لا يشكُّون أنَّ إبليسَ جَدُّه من قِبَل أمَّهاتِه . وسنقولُ فى ذلك بالذى يجبُ إن شاء الله تعالى . وصِلَةَ هذا الكلام تجىءُ بعد هذا إن شاء الله تعالى .

(حوار فى الكلب والديك)

٨٨ وقلت : ولو تمَّ للكلب معنى السبع وطباعه ، لما ألف الإنسانَ ، واستوحش من السبع ، وكرِه الغياض ، وألِف الدُّور ، واستوحَشَ من البرارِى وجانب القفار ، وألِفَ المجالسَ والدِّيار . ولو تمَّ له معنى البهيمة

---

(١) ط : « انتدرتا » .

(٢) كان فى زمن الحجاج ، وكان صاحب شعبذة ونيرنجات ، يدعى أن إبليس يترامى له ويصادقه ويكاتبه ويطلعه على أسراره . ثمار القلوب ٥٧ .

فى الطبع والخلق والغذاء ، لما أكل الحيوانَ ، وكَلِب على النّاس . نعمْ حتّى رُبّما كَلِب وَوَثَبَ على صاحبِه وكابَ على أهله . وقد ذكر ذلك طرفةُ فقال :

كُنْتَ لَنَا والدُّهورَ آونةً   تَقْتُلُ حالَ النَّعيمِ بالبُؤُس
كَكَلْبِ طَسْمٍ وقد تَرَبَّبَه[1]   يَعُلُّه بالحَليبِ فى الغَلَسِ
ظلَّ عليه يوماً يُفَرْفِرُه   إلاَّ يَلَغ فى الدماء يَنْتَهِسِ

وقال حاجب بن دينار[2] المازنىُّ فى مثل ذلك :

وكم من عدُوٍّ قد أعنتمْ عليكمُ   بمالٍ وسُلطانٍ إذا سَلِم الحَبْلُ
كذِى الكلبِ لمَّا أسمَنَ الكَلْبَ رابَهُ
بإحدى الدَّواهى حينَ فارَقَه الجهلُ

وقال عوف بن الأحوص[3] :

فإنِّى وقيساً كالمسمِّنِ كَلْبَه   تُخَدِّشُه أنْيَابُه وأظَافِرُه .

وأنشد ابن الأعرابى لبعضهم[4] :

وهُمْ سَمَّنُوا كلباً ليأكُلَ بعضَهمْ   ولو ظَفِروا بالحزْمِ مَا سُمِّنَ الكَلْب

وفى المثل[5] : « سمِّن كَلْبَكَ يأْكُلْكَ » .

---

(١) ط : « يربيه » . والأبيات ليست فى ديوان طرفة . والبيت الثانى والثالث فى ثمار القلوب ٣١٤ وفيه حديث عن كلب طسم . وانظر أيضا السهيلى ٢ : ٦٣ .

(٢) ط : « ذبيان » وإنما هو « دينار » كما فى ل والبيان ٢ : ١٨٣ .

(٣) انظر يوم الفروق فى مجمع الأمثال ٢ : ٥٧ . وقيس المذكور فى البيت هو قيس بن زهير . والرواية فى مجمع الأمثال ، وفى ثمار القلوب ٣١٥ « فخدشه أنيابه وأظافره » .

(٤) هو مالك بن أسماء ، كما فى الثمار ٣١٥ .

(٥) ط : « الأثر » .

وكان رجلٌ من أهل الشام مع الحجَّاج بن يوسف ، وكان يحضُر طعامَه ، فكتب إلى أهله يخبرُهم بما هو فيه من الخِصْب ، وأنه قد سَمِن فكتبت إليه امرأته[1] :

أتُهدِى لىَ القِرطاسَ والُخبزُ حاجَتِي   وأنتَ على بابِ الأميرِ بَطِينُ
إذا غِبْتَ لم تَذْكُرْ صَدِيقاً وإن تقمْ   فأنتَ على ما فى يَدَيك ضَنِينُ
فأنت ككَلْبِ السَّوْءِ فى جُوعِ أهلِه   فيُهْزَلُ أهلُ الكلب وهو سَمِينُ

وفى المثل : « سمن كلب فى جوعِ أهلِه » ، وذلك أنه عند السُّواف[2] يصيب المال ، والإخداجِ[3] يعرض للنُّوق ، [يأكُلُ الجِيفَ فيسمَن[4]] . وعلى أنه حارِسٌ مُحترَسٌ منه ، ومؤنسٌ شديد الإيحاشِ من نفسه ، وأليفٌ كثير الخيانةِ على إلفِه . وإنما اقتنوه على أنْ ينذِرَهم بموضع السارق ،
٨٩: وتركوا طَرده لينبهُهم[5] على مكان المبيِّت . [وهو أسرقُ من كل سارق ، وأدومُ جِنايةً من ذلك المبيِّت] . ويدلُّ على أنَّه سروقٌ عندَهم ، قولُ الشاعر :

أَفِى أَنْ سرَى كلبٌ فبيَّت جُلَّةً   وجَبْجَبةً للوَطب لَيْلَى تُطَلَّقُ[6]

---

(١) الخبر والأبيات فى أمالى القالى ٢ : ١٣٦ مع اختلاف فى الرواية .
(٢) ط : « الصواف » وإنما هو « السواف » كما فى ل . والسواف كغراب : الموتان فى الإبل .
(٣) أخدجت الناقة : أتت بولد ناقص .
(٤) زدتها ليتم الكلام ، اعتمادا على مافى نوادر أبى زيد ٢٤٨ ، وأمثال الميدانى (٢ : ٢٦٣) .
(٥) فى الأصل : « لينبئهم » ولم يعهد تعدية هذا الفعل بعلى . وأثبت مافى نهاية الأرب ٩ : ٢٥٧ .
(٦) ط : « أخى » بدل « أفى » ، و « حلة » مكان « جلة » . وتصحيح البيت من ل واللسان (جبب) . وفيه « سلمى » موضع « ليلى » . والجلة ، بالضم : وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر ويكنز . والجبجبة ، بفتح الجيمين أو ضمهما : الكرش يجعل فيه اللحم المقطع يتزود به فى الأسفار . وقال ابن الأعرابى : هو جلد جنب البعير يقور ويجعل فيه اللحم الذى يدعى الوشيقة . والوشيقة : لحم يغلى إغلاءة ثم يقدد ، فهو أبقى مايكون .

فهو سَرَّاق ، وصاحب بَيات ، وهو نَبَّاشٌ ، وآكلُ لحوم الناس . ألا إنّه يجمعُ سرقة الليل مع سرقة النّهار ، ثم لا تجده أبداً يمشى فى خزانةٍ ، أو مطبَخ ، أو عَرْصةِ دار ، أو فى طريقٍ ، أو فى بَرارىّ ، أو فى ظهرِ جَبل ، أو فى بَطْن وادٍ ، إلاّ وخطمُه فى الأرض يتشمَّم ويستروح ، وإنْ كانت الأرضُ بيضاءَ حَصَّاءَ(١) ودَوِّيّةً ملساء ، أو صخرةً خلقاء ؛ حرصاً وجشعاً ، وشرها وطمعا . نعم حتّى لا تجده أيضا يرى كلبا إلاّ اشتمّ استَه ، ولا يتشمّم غيرهَا منهُ ، ولا تراه يُرمَى بحجر أيضاً أبداً إلاّ رجَع إليه فعضّ عليه ؛ لأنّه لمّا كان لا يكاد يأكلُ إلاّ شيئا رمَوا به [إليه] صار ينسَى لِفَرْط شرَهِه وغلَبة الجشعِ على طبعه ، أنَّ الرامىَ إنّما أراد عقْره أو قتلَه ، فيظنّ لذلك أنّه إنّما أراد إطعامه والإحسانَ إليه . كذلك يخيِّل إليه فرْطُ النَّهم وتُوهِمُه غلبَةُ الشَّرَه ، ولكنّه رمَى بنفسِه على الناس عجزاً ولؤماً ، وفُسولةً ونقصاً ، وخافَ السباعَ واستوحش من الصَّحارى .

ولمَّا سمعوا بعضَ المفسرِّين يقول فى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ. لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ إنَّ المحروم هو الكلب؛ وسمعوا فى المثل : « اصنَعُوا المعروفَ ولو إلى الكلب » عَطفوا عليه واتّخذُوه فى الدُّور . وعلى أنَّ ذلك لا يكون إلاّ من سِفْلتهم وأغبيائهم ، ومن قلَّ تقزُّزُهُ(٢) وكثُر جهلُه ، وردَّ الآثارَ إمّا جهلاً وإمّا معاندة .

وأما الديك فمِن بهائم الطير وبغاثها ، ومن كلولها والعيال على

(١) ط : « وحصباء » والوجه ماأثبت من ل ، كما فى نهاية الأرب ٩ : ٢٥٧ نقلا عن الحيوان . والحصاء : الجرداء .

(٢) ط : « تقذره » .

أربابها ، وليس مِنْ أحرارها ولا مِنْ عِتاقِها وجوارحها ، ولا ممَّا (١) يطرِب بصوته ويُشجِي بلحنه ، كالقَمارِيِّ والدَّباسيِّ والشَّفانين (٢) والوراشِين والبلابل والفواخت ، ولا ممَّا يُونِق بمنظره ويمتع الأبصــارَ حسنُه ، كالطواويس والتَّدارِج ، ولا مما يعجِب بهدايته ويُعقَــد الذمام بإلْفه ونِزاعه ، وشدَّةِ أُنسه وحنينه ، وتُريده بإرادته لك ، وتَعطِف عليهِ لحبِّهِ إياك ، كالحمام ، ولا هو أيضاً من ذوات (٣) الطيران منها ، فهو طائرٌ لايطير ، وبهيمةٌ لا يَصيد ، ولا هو أيضاً ممــا يكون صيداً فيمْتِـع من هذه الجهة ويُراد لهذه اللَّذة .

والخُفَّاش أمرَطُ ، وهو جيِّدُ الطيرَان ، والدِّيكُ كاسٍ وهو لا يطير . وأيُّ شيءٍ أعجبُ من ذي ريشٍ أرضيٍّ ، ومن ذي جلدةٍ هوائيّ .

٩٠ وأجمعُ الخلق لخصال الخير الإنسان ، وليس الزُّواجُ إلاّ في الإنسان وفي الطير ، فلوكان الديك من غير الطير ثمَّ كان ممن لا يزاوج ، لقد كان قد مُنِـع هذه الفضيلة وعَدِم هذه المشاكَلَة الغريبة ، وحُرم هذا السَّببَ الـكريم والشِّبْه المحمود . فكيف وهو لا يزاوج ، وهو من الطيرِ الذي ليس الزواجُ والإلْف وثباتُ العهْد ، وطلَبُ الذرء وحبُّ النَّسل ، والرجوعُ إلى السكن والحنين إلى الوطن — إلاَّ له وللإنسان . وكلُّ شيء لا يزاوج فإنَّما دخله النقصُ وخسِر هذه الفضيلَة من جهةٍ واحدة ، وقد دخل الديكَ النقص

(١) ط : « ممن » وكذلك يتكرر هذا الخطأ في كل موضع أتت فيه « مما » . وقد جاء على الصواب الذي أثبته ، في ل .

(٢) ط : « الشغانين » وصوابه بالفاء كما في ل . وهو جمع شفنين بالكسر ، وقد تحدث عنه الجاحظ في ٣ : ١٤٦ ، ٥١٦ و ٧ : ٦٩ ، ١٨٧ من الحيوان وكذلك الدميري .

(٣) في الأصل : « ذوي » ولا يكون ذلك إلا للعاقلين ، والوجه ما أثبت .

مِنْ جهتين . ووصف أبو الأخزَر الحِمَّانىُّ الحِمارَ وعَيْرَ العانةِ خاصَّةً[١] ، فإنَّه أمثلُ فى باب المعرفة من الأهْلىّ . فذكر كيف يضرِب فى الأُتُن ، ووصَفَ استبهامَه عن طلب الولد ، وجهلَه بموْضِع النَّزْء ، وأنَّ الولدَ لم يجئْ منه عن طلبٍ له ، ولكن النُّطفة البريئة من الأسقام ، إذا لاقت الأرحام البريئة مِن الأسقام حَدَث النِّتاج على الخلقة ، وعلى ما سوِّيت عليه البِنية[٢] . وذكر أنّ نزوَه على الأتان ، من شكل نَزْوه على العير ، وإنّما ذلك على قدْر ما يحضُره من الشَّبَق ، ثمَّ لا يلتفِت إلى دُبرٍ من قُبُل ، وإلى ما يَلقَحُ [من مثلِه مِمَّا لا يُلقَحُ] فقال :

* لا مُبْتَغِى الضِّنْءِ ولا بالعازلِ[٣] *

يقول : هو لا يريد الولَد ولا يعزل .

والأشياء التى تألفُ الناسَ ولا تريدُ سِواهم ، ولا تحنُّ إلى غيرهم ، كالعصفور والخطّاف والكلْب والسِّنَّور . والدِّيك لا يألَفُ منزِلَه ولا رَبْعه ولا يُنازِع[٤] إلى دجاجته ولا طَرُوقته ، ولا يحنُّ إلى ولده ، بل لم يَدرِ قطُّ أنّ له ولداً ؛ ولو دَرَى لكان على دِرَايته دليلٌ ، فإذ قد وجدناه لبيضِه[٥] وفراريجِه الكائنةِ منه ، كما نجدُه لما لم يلدْه ولما ليسَ من شَكله ولا يرجِع إلى نسبه ، فكيف تُعرَف الأمور إلاَّ بهذا وشبهه . وهو مع ذلك

---

(١) ط : « وغير العانة خاصة » وصوابه فى ل . وانظر ص ٥٠ .

(٢) ط : « عن » بدل « على » .

(٣) ط : « لضنىء » .

(٤) كذا فى ل . وفى ط : « يحن » فتضعف العبارة بالتكرار .

(٥) ط : « فإذا وجدناه لبيضه » والوجه ما فى ل .

أبلَهُ لا يعرِف أهلَ دارِه ، ومبهوتٌ لا يُثْبِتُ وَجهَ صَاحِبه ؛ وهو لم يُخْلَق إلاّ عندَه وفى ظلِّه ، وفى طعامِه وشرابِه ، وتَحْتَ جناحه .

والكلْبُ على ما فيه يعرف صاحبَهُ ، وهو والسِّنَّور يعرِفان أسماءهما ، ويألَفَان موضعَهما ، وإن طُردا رَجعا ، وإن أُجِيعا صَبَرَا ، وإن أُهِينا احتملا .

والديك يكون فى الدار من لَدُنْ كانَ فَرُّوجاً صغيراً إلى أن صار ديكاً كبيراً ، وهو إن خرَج من باب الدار ، أوسقط على حائط من حيطان الجيران ، أو على موضعٍ من المواضع ، لم يعرِفْ كيف الرُّجوعُ ، وإن كان يُرَى
٩١ منزلُه قريباً ، وسهل[1] المطلبِ يسيراً ، ولا يَذكُر ولا يتذَكَّر ، ولا يهتدى ولا يتصوَّر لَه كيف يكونُ الاهتداء ، ولو حنَّ لَطَلَبَ ، ولو احتاج لالتمس . ولوكان هذا الخبْرُ فى طباعه لظَهَر ، ولكنَّها طبيعةٌ بلهاءُ مستبهمة ، طامحة[2] وذاهلة ، ثمَّ يسفَدُ الدَّجاجةَ ولا يعرفُها ، هذا مع شدَّةِ حاجته إليهنَّ وحِرصِه على السِّفاد ، والحاجةُ تفتِقُ الحيلَة ، وتَدُلُّ على المعرفة ، إلاَّ ما عليه الديك ؛ فإنَّه مع حِرصِهِ على السِّفاد ، لايعرفُ التى يسفَد ، ولا يقصِد إلى ولدٍ ، ولا يحضُن بيضاً ولا يعطِفُه رَحِمٌ ، فهو من هاهنا أحمقُ من الحُبارَى وأعقُّ من الضبِّ .

وقال عثمان بن عفَّان رضى الله تعالى عنه : « كلُّ شىءٍ يحبُّ ولدَه حتى الحُبَارى » . فضرَب[3] بها المثلَ كما ترى فى المُوقِ والغفْلة ، وفى الجهل والبَلَه . وتقول العرب : « أعَقُّ من الضَّبِّ » ؛ لأنَّه يأكلُ حُسُولَه .

---

(١) ط : « وسبيل » .
(٢) لعلها « جامحة » .
(٣) الأمبروزيانا : « يضرب » .

(أكل الهرة أولادها)

وكرُمَ عند العرَب حظُّ الهِرَّة ، لقولهم : « أَبَرُّ مِنْ هِرَّة ، وأعقُّ مِنْ ضَبٍّ » فوَجَّهوا أكلَ الهرَّةِ أولادَها على شدَّة الحبِّ لها ، ووجَّهوا أَكْلَ الضبِّ لها على شدَّةِ البغْض لها ، وليس ينجو مِنْهُ شيءٌ منها إلاّ بشُغْلِه بأَكْل إخْوته عنه ، وليس يحرُسُها ممَّا يأكلُها إلاَّ ليأكلَها . ولذلك قال العَمَلَّسُ ابن عَقِيل ، لأبيه[1] عَقِيل بن عُلَّفَة :

أكلْتَ بَنِيكَ أكْلَ الضبِّ حتَّى وَجدتَ مَرارةَ الكَلَإِ الوبيلِ
فلو أنَّ الأُلَى كانوا شهوداً منَعْتَ فِناءَ بيتك من بَجيلِ

وقال أيضاً[2] :

أكلْت بَنِيك أكلَ الضبِّ حتَّى ترَكْت بَنِيك لَيْسَ لَهُمْ عَدِيد

وشبَّه السَّيِّدُ بن محمَّد الحميريُّ ، عائشةَ رضى الله تعالى عنها فى نصْبِها الحربَ يوم الجملِ لقتال بنيها ، بالهرَّةِ حين تأكلُ أولادَها ، فقال :

جاءتْ معَ الأَشْقَينَ فى هَوْدَجٍ تُزْجِى إلى البَصْرَةِ أجْنَادَها
كأنَّهــا فى فِعلِهــا هِرَّةٌ تُرِيدُ أن تأكُلَ أولادَهَا

(رعاية الذئبة لولد الضبع)

وتقول العرب أيضاً : « أحمَقُ مِنْ جَهِيزَة » ، وهى عِرس الذئب ؛ لأنَّها تدعُ ولدها وترضع ولد الضبع .

قال : وهذا معنى قولِ ابن جِذْل الطِّعَان[3] .

كمُرْضِعَةٍ أولادَ أُخرَى وضَيَّعَتْ بَنِيهاَ فلم ترْقَع بذلك مَرْقَعا ٩٢

---

(١) ل : « لابنه » والصــواب ما فى ط . وفى الأغانى ١١ : ٨٩ أن الشعر لأرطاة ابن سهية .

(٢) هذه الجملة والبيت بعدها ، ليسا فى ل . وانظر العقد ٦ : ٤٩ .

(٣) ط : « ابن جزل الطعان » وتصحيحه من ل . والبيت فى الثمار ٣١٣ والرواية فيه : « فلم تحسن بما فعلت صنعاً » . وانظر حماسة البحترى ١٧٠ .

(رعاية الذئب لولد الضبع)

ويقولون : إنَّ الضبعَ إذا صِيدَت أو قُتلت ، فإنَّ الذئب يأتى أولادَها باللحم . وأنشد الكُميت :

كما خَامَرَتْ فى حِضْنِها أمُّ عامرٍ لِذِى الحبل حتى عَالَ أوسٌ عِيالَها (١)

وأوس هو الذئب . وقال فى ذلك :

فى كلِّ يومٍ من ذُؤَالَه ضِغْثٌ يَزِيد على إبَالَه
فلأَحْشأنَّك مِشْقَصاً أوساً أُوَيسُ من الهبالة (٢)

الأوس : الإعطاء ، وأويس هو الذئب . وقال فى ذلك الهذلىّ (٣) :

يا ليتَ شعرى عنك والأَمْرُ أَمَمْ ما فَعَلَ اليومَ أُويسٌ فى الغنمْ

وقال أميَّةُ بنُ أبى الصَّلْت :

وأبو اليتامى كانَ يُحْسِنُ أوسهم ويَحُوطُهم فى كلِّ عامٍ جامدِ (٤)

(حمق النعامة)

ويقولون : « أَحْمَقُ مِنْ نَعَامة » كما يقولون : « أَشْرَدُ مِنْ نعامة » قالوا ذلك لأنّها تدَعُ الحضْن على بيضِها ساعةَ الحاجة إلى الطُّعم ، فإن هى

(١) ل : « لذى الحبل » وهى رواية ابن قتيبة فى عيون الأخبار ٢ : ٧٩ . وبرواية ابن منظور للبيت فى مادة (أوس) « غال أوس » ، وتفسيرها بقوله : « أكل جراءها » بذلك لايصح الاستشهاد لما استشهد له الجاحظ .

(٢) ط : « فلأحشونك » والصواب مافى ل . انظر أدب الكاتب ٥٧ والاقتضاب . وحشأه : رماه . والمشقص : سهم طويل أو عريض . والبيتان لأسماء بن خارجة كما فى اللسان (أبل) .

(٣) الشعر فى اللسان (وخم) منسوب إلى عمرو ذى الكلب . وهو هذلى كما فى الأغانى .

(٤) ط : « جاحد » . والعام الجامد : عام الجدب والقحط وامتناع الغيث .

فى خروجها ذلك رأتْ بيضَ أخرى قد خرجت للطُّعم ، حضَنت بيضَها ونسِيت بيضَ نفسها ، ولعلَّ تلك أن تُصادَ فلا ترجعُ إلى بيضها بالعَرَاء حتَّى تهلِك .

قالوا : ولذلك قال ابن هَرْمة[1] :

فإنِّى وتَرْكى نَدَى الأكرَمينَ ... وقَدْحِى بكَفِّىَ زَنْدًا شَحَاحا

كتاركةٍ بيضَها بالعَرَاء ... ومُلبِسةٍ بَيضَ أُخرَى جناحا

وقد تحضُن الحمامُ على بيض الدَّجاج ، وتحضُن الدَّجاجةُ بيضَ الطاوُس ، فأمَّا أن يَدَعَ بَيضَه ويحضُنَ بيضَ الدَّجاجة ، أو تدَعَ الدجاجةُ بيضَها وتحضُن بيضَ الطاوس فلا . فأمَّا فرُّوجُ الدَّجاجة إذا خرج من تحت الحمامة ، فإنَّهُ يكونُ أكيسَ . وأمَّا الطاوُس الذى يخرج من تحت الدَّجاجة فيكون أقلَّ حسناً وأبْغَضَ صوتاً .

(الفرخ والفروج)

وكلُّ بيضةٍ فى الأرض فإنَّ اسمَ الذى فيها والذى يخرُج منها فرخ ، إلاَّ بيضَ الدَّجاج فإنَّه يسمى فرُّوجا ، ولا يسمَّى فرخا ، إلاَّ أنَّ الشعراء يجعلون الفرُّوج فرخاً على التوسُّع فى الكلام ، ويجوِّزون فى الشعر أشياء لا يجوِّزونها فى غير الشعر ، قال الشاعر :

لَعَمْرِى لَأَصْواتُ المكَاكِىِّ بالضُّحَى ... وسَودٌ تَدَاعى بالعشىِّ نَواعِبُه[2] ٩٣

أحبُّ إلينا من فِراخِ دَجاجةٍ ... ومِنْ دِيكِ أنباطٍ تَنُوسُ غباغِبُه[3]

---

(١) تكلم فى هذا الشعر الثعالبى فى الثمار ٣٥٣ والدميرى ٢ : ٥٠٢ . ولابن طباطبا كلام جيد فيه انظر له الموشح ٢٣٧ .

(٢) السود ، بالفتح : سفح مستو كثير الحجارة السود . وفى ط : « وسوء » وتصحيحه من ل .

(٣) ل وكذا فى المخصص ١٦٧ : « صغار ومن ديك تنوس عباغبه » .

وقال الشمَّاخ بن ضِرار [1] :

ألا مَنْ مُبلغٌ خاقانَ عنِّى ... تأمَّلْ حِينَ يَضرِبُك الشِّتاءُ
فتجعل فى جنابك من صغير [2] ... ومن شيخٍ أضرَّ به الفَنَاءُ
فراخ دَجاجةٍ يَتْبَعْنَ دِيكاً ... يَلُذْنَ به إذا حَمِس الوَغَاءُ

[فإنْ] قلت : وأىُّ شىء بلَغَ من قدْر الكلبِ وفضيلةِ الديك ، حتَّى يتفرَّغ لذكر محاسنِهما ومساويهما ، والموازنةِ بينهما والتنويه بذكرهما ، شيخان من عِلْيةِ المتكلِّمين ، ومن الجلة [3] المتقدِّمين . وعلى أنَّهما متى أبرما هذا [4] الحكمَ وأفصحا بهذه القضيَّة ، صار بهذا التدبير بهما حظٌّ وحكمة وفضيلة وديانة ، وقلدَهما كلُّ مَن هو دونَهما ؛ وسيعودُ ذلك عذراً لهما إذا رأيتهما يوازيان بين الذِّبَّان [5] وبناتِ وَرْدانَ ، وبين الخنافس والجِعْلان ، وبين جميع أجناس الهَمَج وأصناف الحشراتِ ، والخشاش ، حتَّى البعوض والفَراش والديدان والقِردان [6] فإن جاز هذا فى الرأى وتمَّ عليه العمل ، صار هذا الضَّربُ من النظر عِوضاً من النَّظَر فى التوحيد ، وصار هذا الشكلُ من التمييز خَلَفا من التعديل والتجوير ، وسقَط القولُ فى الوعد والوعيد ، ونُسى القياسُ والحكم فى الاسم ، وبطَلَ الردُّ على أهلِ الملل ، والموازنةُ بين جميع النِّحَل ، والنظرُ فى مراشد الناس ومصالحهم ، وفى منافِعهم ومَرافقهم ؛ لأنَّ قلوبَهم لا تتَّسع للجميع ، وألسنَتَهم لا تنطلِق بالكلِّ . وإنَّما الرأىُ أن تَبدأ من الفتق بالأعظم ، والأخوف فالأخوف .

---

(١) فى (٧ : ٨٥) أنه شماخ بن أبى شداد .
(٢) ل : « حبالك » موضع « جنابك » .
(٣) ل : « جلة » .
(٤) ط : « مدعا » .
(٥) ل : « رأيناهم يوازنون .. الخ » . ط : « الذباب » موضع « الذبان » .
(٦) القردان : جمع قراد ، وهو دويبة تنتشر فى أعطان الإبل .

وقلتَ : [و] هــذا بابٌ من أبواب الفراغ وشكل من أشكال التطرُّف(١) وطريق من طرق المزاح ، وسَبيلٌ من سُبُل المضاحك . ورجالُ الجِدِّ غير رجالِ الهزْل ، وقد يحسُن الشيءُ بالشَّبَابِ ويقبُح مثلُه من الشيوخ ، ولولا التحصيلُ والموازَنة ، والإبقاء على الأدب ، والدِّيانة بشدَّة المحاسبة ، لما قالوا : لـكلِّ مقامٍ مَقال ،ولـكلِّ زمانٍ رجالٌ ، ولـكلِّ ساقطةٍ لاقطة ، ولـكلِّ طعامٍ أكلة(٢) .

(تنوع الملـكات وقوتها وضرورة ظهورها)

قد زعم أناسٌ أنَّ كلَّ إنسانٍ فيــه آلة لِمَرْفِقٍ من المرافق ، وأداةٌ لمنفعةٍ(٣) من المنافع ، ولا بدَّ لتلك الطبيعة من حركةٍ وإنْ أبطأَت ، ولا بدَّ لذلك الـكامنِ من ظهور ؛ فإنْ أمكنَهُ ذلك بعثَه ، وإلاَّ سَرَى إليه كما ٩٤
يسرى السمُّ فى البدن ، و [نمَى] كما يَنْمِى العرق ؛كما أنَّ البُزور البرِّيَّةَ ، والحبَّةَ الوحشيَّةَ الـكامنةَ فى أرحام الأَرَضِين ، لا بدَّ لهــا من حركةٍ عندَ زمانِ الحركة ، ومن التفتُّق والانتشار فى إبَّانِ الانتشار . وإذا صارت الأمطارُ لتلك الأرحامِ كالنُّطفة ، وكان بعضُ الأرض كالأُمِّ الغاذية(٤) فلا بدَّ لـكلِّ ثديٍ قويٍّ أن يُظهِر قُوَّتَه ، كما قال الأوَّلُ :

* ولا بدَّ للمصدورِ يوما من النَّفْث(٤) *

---

(١) ط : « التطرق » .
(٢) ل : « آكل » .
(٣) ط : « آلة المرفق من المرافق وأداة المنفعة» وهو تحريف ما فى ل .
(٤) ل : « ولا بد للمصدور من النفث » .

[وقال (١)] :

* ولا بدّ من شَكوَى إذا لم يكنْ صَبر *

ولذلك صارَ طلبُ الحسابِ أخفَّ على بعضهم ، وطلبُ الطِّبِّ أحبَّ إلى بعضهم. وكذلك النِّزاع إلى الهندسة ، وشغَفُ أهلِ النُّجوم بالنُّجوم. وكذلك أيضاً ربَّما تحرَّك له بعد الكِبْرَة ، وصَرَف (٢) رغبتَه إليه بعد الكهولة ، على قدر قوَّة العِرْق في بدنه ، وعلى قدْر الشَّواغلِ له وما يعترضُ عليه ، فتجد واحداً يَلهج بطلب الغِناء واللحون ، وآخر يلهج بشهوة القتال ، حتى يَكْتَتِبَ مع (٣) الجُند ، وآخرِ يختار [أن يكون] ورّاقا ، وآخر يختارُ طلبَ الملك ، وتجِدُ حرصَهم على قدر العلل الباطِنة المحرِّكة لهم ، ثمَّ لا تَدْرِى كيف عرضَ لهذا هـذا السَّببُ دونَ الآخَرِ إلاَّ بجملة من القول ، ولا تجـدُ المختارَ لبعض هذه الصناعات على بعضٍ يعلمُ لم (٤) اختارَ ذلك في جملةٍ ولا تفسير ، إذْ كان لم يَجْرِ منه عَلَى عِرْق ، ولا اختارَه على إرْث .

(من سار على غير طبعه)

وليس العجبُ من رجلٍ في طباعه سببٌ يَصِل بينه وبينَ بعض الأمور ويحرِّكه في بعض الجهات ، ولكنَّ العجبَ ممَّن يموت مغنِّيا وهو لا طبعَ

(١) جعل هذا الشطر والكلام الذى قبله بيتا واحدا ، وذلك لا يستقيم . والزيادة رأيتها ضرورية لاستقامة الكلام . والآتى عجز بيت صدره كما فى البيان ٣ : ٢٢٠ و ٤ : ٦٣ :

* وما كثرة الشكوى بأمر حزامة *

(٢) ط : « وأصرف » .

(٣) ل : « يكتب » وصوابه ما أثبت من ط . واكتتب : كتب نفسه فى ديوان السلطان .

(٤) ط : « لما » .

له فى معرفة الوزن، وليس له جِرمٌ حسَن[1] ؛ فيكون إن فاته أن يكون معلِّما ومغنِّيَ خاصَّة أنْ يكون مُطرباً ومُغَنِّيَ عامّة . وآخر قد ماتَ عَلَى أن يُذكَر بالجود ، وأن يسخَّى على الطعام ، وهو أبخَلُ الخلق طبعاً ، فتراه كلفاً باتّخاذ الطيِّبات ومستهتَراً بالتكثير منها ، ثمّ هو أبداً مفتَضِحٌ وأبداً منتقِض الطباع ، ظاهرُ الخطإ ، سيِّئُ الجزع عندَ مؤاكلةِ من كان هو الداعيَ له ، والمرسِلَ إليه ، والعارفَ مقْدارَ لقْمِه ونهايةَ أكله .

فإنْ زعمتم أنَّ كلَّ واحدٍ من هؤلاء إنَّما هو رهنٌ بأسبابه ، وأسيرٌ فى أيدى عِلَله ، عذَرتم جميعَ اللئام وجميع المقصِّرين ، وجميعَ الفاسقين والضالِّين . وإن كان الأمر [إلى] التمكينِ دونَ التسخير ، أفليس من أعجبِ العجَب ومن أسوإِ التقدير التمثيل[2] بين الدِّيَكة والكِلاب . ٩٥

قَدْ عَرَفنا قولَك ، وفهِمْنَا مذهبَك .

فأمَّا قولُك : « وما بلَغ من خطَر الديك وقدر الكلب » فإنَّ هذا ونحوَه كلامُ عبدٍ لم يفهَمْ عن ربِّه ، ولم يَعقِل عن سيِّده ، إلاَّ بقدْر فهمِ العامَّةِ أو الطبقةِ التى تلى العامَّة . كأنَّكَ ، فهَّمك الله تعالى ، تظنُّ أنَّ خَلْقَ الحيَّةِ والعقرَب ، والتدبيرَ فى خلقِ الفَراش والذباب ، والحكمةَ فى خلْق الذئاب والأسدِ وكلِّ مبغَّضٍ إليك أو محقَّر عندك ، أو مسخَّرٍ لك أو واثبٍ عليك ، أنّ التدبير فيه مختلِفٌ أو ناقص ، وأنَّ الحكمةَ فيه صغيرةٌ أو ممزوجة .

---

(١) الجرم ، بالكسر : الصوت ، والحلق .

(٢) ط « والتمثيل » والواو هنا لاموضع لها .

(مصلحة الكون ، في امتزاج الخير بالشر)

اعلم أنَّ المصلحةَ في أمرِ ابتداء الدنيا إلى انقضاءِ مُدَّتها امتزاجُ الخيرِ بالشرِّ ، والضارِّ بالنافع ، والمكروهِ بالسارِّ ، والضَّعةِ بالرِّفعة ، والكثرةِ بالقِلَّة . ولو كان الشرُّ صِرْفاً هلَكَ الخلقُ ، أو كان الخيرُ مَحْضاً سقَطت المِحْنة وتقطَّعَتْ أسبابُ الفِكرة ، ومع عَدَم الفِكرةِ يكون عَدَمُ الحكمة ، ومتى ذهب التخيير ذهب التمييز ، ولم يكن للعالِم تثبُّتٌ وتوقُّف وتعلُّم ، ولم يكن علم ، ولا يُعرف بابُ التبيُّن ، ولا دفعُ مضرةٍ ، ولا اجتلابُ منفعة[1] ، ولا صَبْر على مكروهٍ ولا شكْرٌ على محبوب ، ولا تفاضُلٌ في بيانٍ ، ولا تَنَافس في درجةٍ ، وبطلَت فَرحةُ الظَّفَر وعزُّ الغلبة ، ولم يكن على ظهورها مُحِقٌّ يجد[2] عزَّ الحق ، ومُبْطِلٌ يجد ذِلَّة[3] الباطل ، وموقِنٌ يجد[4] بَرْدَ اليقين ، وشاكٌّ يجد[2] نقصَ الحَيرةِ وكَرْبَ الوُجوم ؛ ولم تكن للنفوس آمالٌ ولم تتشعَّبْهَا الأطماع . ومَن لم يعرف كيف الطَّمعُ لم يعرِفِ اليأس ، ومن جَهِل اليأسَ جهِلَ الأمن ، وعادت الحالُ من الملائكة الذين هم صفوة الخلق ، ومن الإنس الذين فيهم الأنبياءُ والأولياءُ ، إلى حالِ السبُعِ والبهيمة ، وإلى [حال] الغباوةِ والبلادة ، وإلى حال النجوم في السُّخْرة ؛ فإنها أنقص من حالِ البهائم في الرَّتْعَةِ . ومَنْ هذا الذي يسرُّه أن يكون

---

(١) ط : « التدبير » موضع « التبين » ، و « المضرة » موضع « مضرة » ، و « المنفعة » موضع « منفعة » .

(٢) ط : « بجد » وهو تصحيف .

(٣) ط : « بجد ذل » وهو تحريف كذلك .

(٤) ط : « وموفق بجد » وهو تحريف .

الشمسَ والقمرَ والنَّارَ والثلج ، أو برجًا من البروج أو قطعةً من الغيم ؛ أو يكونَ المجرَّةَ بأسْرها ، أو مكيالًا من الماء أو مقداراً من الهواء ؟! وكلُّ شيءٍ فى العالم فإنما هو للإنسان ولكلِّ مختبَرٍ ومُختَار ، ولأهل العقول والاستطاعة ، ولأهل التبيُّن(١) والرويَّة .

وأين تقعُ لذَّة البهيمة بالعَلُوفة ، ولذَّة السبع بلَطْع الدَّمِ وأكل اللحم — من سرورِ الظَّفَر بالأعداء ؛ ومِن انفتاحِ بابِ العلم بعد إدْمان القَرْع ؟ وأين ذلك من سرورِ السُّودَد ومن عزِّ الرياسة ؟ وأين ذلك من حال النُّبوَّة والخلافة ، ومِن عزِّهما وساطعِ نورهما . وأينَ تقعُ لذَّةُ درْك الحواسِّ الذى ٩٦
هو ملاقاةُ المطعَم والمشرب ، وملاقاةُ الصوتِ المُطرِبِ واللَّونِ المونق ، والملمسة(٢) الليِّنة — مِن السرور بنَفاذ الأمرِ والنَّهى ، وبجواز التوقيع ، وبما يُوجب الخاتَمُ من الطاعة ويُلزِم من الحجَّة ؟ ! .

ولو استوت الأمور بطَلَ التميزُ ، وإذا لم تكن كلفةٌ لم تكن مَثوبة ، ولو كان ذلك لبطلتْ ثمرةُ التوكُّلِ على الله تعالى ، واليقينِ بأنَّه الوَزَرُ والحافظ ، والكالئُ والدافع(٣) ، وأنَّ الذى يحاسِبُك أجْوَدُ الأَجْوَدِين ، وأرحَمُ الراحمين ، وأنه [الذى] يقبلُ اليسيرَ ويَهَبُ الكثير ، ولا يهلِكُ عليه إلّا هالك . ولو كان الأمرُ على ما يشتهيه الغَرير والجاهلُ بعواقبِ الأمور ، لبطلَ النَّظَرُ وما يشحذ عليه(٤) ، وما يدعو إليه ، ولتعطَّلت

---

(١) ط : « التبين » .
(٢) ط : « واللبسة » .
(٣) ط : « والكافى والرافع » .
(٤) الشحذ : السوق العنيف .

الأرواحُ من معانيهـا ، والعقولُ من ثِمارها ، ولعَدِمت الأشـياءُ حظوظَها وحقوقَها .

فسبحَان من جعل منافعَها نعمةً ، ومضارَّها ترجع إلى أعظم المنافع ، وقسّمها بين مُلِذٍّ ومُؤلِم ، وبين مؤنِسٍ ومُوحِش ، وبين صَغيرٍ حقير وجليل كبير ، وبين عدوٍّ يرصُدُك وبين عقلٍ يحرسك ، وبين مُسَالمٍ يَمْنَعُكَ ، وبين مُعينٍ يعضُدك ، وجعَل فى الجميع تمامَ المصلحة ، وباجتماعها تمُّ النعمة ، وفى بطلانِ واحدٍ منها بُطلانَ الجميع ، قياساً قائماً وبرهاناً واضحاً . فإنّ الجميع (١) إنّما هو واحدٌ ضُمّ إلى واحدٍ وواحدٌ ضُمَّ إليهما ، ولأنّ الكلَّ أبعاضٌ ، ولأنّ كلَّ جُثَّةٍ فمن أجزاء ، فإذا جوَّزتَ رفْعَ واحدٍ والآخرُ مثلُه فى الوزن وله مثلُ علَّتِه وحظِّه ونصيبِه ، فقد جوَّزْتَ رفعَ الجميع ؛ لأنّه ليس الأوّلُ بأحقَّ من الثانى فى الوقت (٢) الذى رجوتَ فيه إبطالَ الأوّل ، والثانى كذلك والثالث والرابع ، حتّى تأتىَ على الكلِّ وتستفرغ الجميع . كذلك الأمورُ المضمَّنة والأسباب المقيَّدة (٣) ؛ ألا ترى أنَّ الجبلَ ليس بأدلَّ على الله تعالى مِنْ الحصاة ، وليس الطاوسُ المستحسنُ بأدَلَّ على الله تعالى مِنْ الخِنزير المستقبح . والنارُ والثلج وإنْ اختلفا فى جِهَة البرودة والسُّخونة ، فإنّهما لم يختلفا فى جهة البرهان والدّلالة .

وأظنُّك ممَّن يرى أنَّ الطاوسَ أكرمُ على الله تعالى من الغراب ، وأن

---

(١) من كلمة « قياسا » سقط الكلام فى ل إلى هنا .

(٢) ط : « فالحق » وهو تحريف .

(٣) ط : « المطمئنة » مكان « المضمنة » ، و « المفيـدة » مكان « المقيـدة » وهو تحريف .

التُّدْرُجَ[1] أعزُّ على الله تعالى من الحِدَأةِ ، وأنّ الغزالَ أحبُّ إلى الله تعالى من الذئب . فإنّما هذه أمور فرّقها الله تعالى فى عيون الناس ، وميّزها فى طبائع العباد ، فجعَلَ بعضها بهم أقربَ شبها ، وجعل بعضَها إنسيًّا ، وجعل بعضَها وحشيًّا ، وبعضها غاذياً ، وبعضها قاتلا . وكذلك الدُّرَّة وَالْخرَزة والتمرة[2] والجمرة . ٩٧

فلا تَذْهَبْ إلى ما تريك العينُ واذهَبْ إلى ما يريك العقل .

(الاعتماد على العقل دون الحواس)

وللأُمور حكمان : حكم ظاهرٌ للحواس ، وحكم باطنٌ للعقول . والعقل هو الحجَّة . وقد علمْنا أنَّ خزَنَة النارِ من الملائكة ، ليسوا بدون خزَنَةِ الجنَّة ؛ وأنَّ ملك الموت ليس بدُونِ ملَكِ السَّحاب ، وإن أتانا بالغَيث وجلب الحيَاء[3] ؛ وجبريلُ الذى يَنْزِل بالعذاب ، ليسَ بدونِ ميكائيل الذى ينزِل بالرحمة ؛ وإنّما الاختلاف فى المطيع والعاصى ، وفى طبقاتِ ذلك ومواضعه . والاختلاف بين أصحابنا أنّهم إذا استووا فى المعاصى استَووا فى العقاب ، وإذا استَووا فى الطاعة استووا فى الثواب ، وإذا استووا فى عدم الطاعة والمعصية استووا فى التفضل . هذا هو أصل المقالة ، والقُطْب الذى تدورُ عليه الرحى .

---

(١) للفريق أمين المعلوف بحث طيب فى التعريف بهذا الحيوان ص ١٨٧ من معجمه .

(٢) فى الأصل : « الثمرة » والوجه ما كتبت .

(٣) ط : « احياة » وهو تصحيف ما فى ل . والحيا : الخصب والمطر ، ويمد .

(التين والزيتون)

وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ فزعم زَيدُ بنُ أسلم أنَّ التِّين دمشق ، والزيتون فِلَسطين . وللغالية فى هذا تأويلٌ أرغبُ بالعِتْرة عنه(١) وذكره . وقد أخرجَ الله تبارك وتعالى الكلامَ مُخرَجَ القسم . وما تُعرَف دِمَشق إلّا بدِمَشق ، ولا فِلَسطين إلّا بفلسطين . فإن كنتَ إنَّما تقف من ذكرِ التين على مقدار طعمِ يابسِه ورَطْبه ، وعلى الإكتنانِ بورَقِه وأغصانه ، والوَقود بعِيدانه ، وأنّه نافعٌ لصاحب السُّلِّ ، وهو غذاءٌ قويٌّ ويصلُح فى مواضعَ من الدواء ، وفى الأضْمدةِ ، وأنّه ليس شيءٌ حلو إلّا وهو ضارٌّ بالأسنانِ غيره ، وأنَّه عند أهلِ الكتاب الشَّجرةُ التى أكَلَ منها آدمُ عليه السلام ، وبورقها سَتَرَ السَّوءة عند نزولِ العقوبة ، وأنّ صاحبَ البواسيرِ يأكله ليُزْلِقَ عنه الثفل ، ويسهلَ عليه مخرج الزِّبل(٢) ؛ وتقف من الزيتون على زيتِه والاصطباح به ، وعلى التأدُّم بهما والوَقود بشجرهما ، وما أشبه ذلك من أمرهما ـــ فقَدْ أسأتَ ظَنًّا بالقرآن ، وجهِلتَ فضلَ التأويل . وليس لهذا المقدارِ عظّمهما الله عزَّ وجلّ ، وأقسَمَ بهما ونوّه بذكرهما .

(التأمل فى جناح البعوضة)

ولو وقفْتَ على جَناحِ بَعوضةٍ وُقوفَ معتبِر ، وتأمَّلتَه تأمُّلَ متفكِّر بعد

---

(١) ط : « أرغب عن التعبير عنه » .

(٢) ط : « الثقل » موضع « الثفل » ، و « البول » بدل « الزبل » وأثبت ما فى ل .

أن تكونَ ثاقبَ النَّظرِ سليمَ الآلة ، غوّاصاً على المعانى ، لايعتريك من الخواطر إلّا على حسب صحّةِ عقلك ، ولا من الشواغل إلّا مازادَ فى نشاطِك ، لملأت ممّا تُوجِدك العِبرةُ من غرائب الطوامير الطِّوال ، والجلود الواسعةِ الكِبار ، ولرَأيتَ أنَّ له من كثرة التصرُّف فى الأعاجيب ، ومن تقلُّبه فى طبقات الحكمة ، ولرأيتَ له من الغُزْر والرَّيع ، ومن الحلَب والدَّرِّ والتبَجُّسَ عليك[1] من كوامِنِ المعانى ودفائنها ، ومن خَفِيَّاتِ الحكم ٩٨
وينابيعِ العلم ، مالا يشتدُّ معه تعجُّبُك مِمَّن وقَفَ على مافى الدِّيك من الخصالِ العجيبة ، وفى الكلبِ من الأمور الغريبة ، ومن أصنافِ المنافع ، وفنون المرافق ؛ وما فيهما[2] من المِحَن الشِّداد ، ومع ما أودِعا من المعرفة ، التى مَتى تجلَّت لك تصاغرَ عندك كَبيرُ ما تستعظم ، وقلَّ فى عينك كثير ما تستكثر . كأنَّك تظنُّ أنَّ شيئاً وإنْ حسُن عندك فى ثمنِه ومنظره ، أنَّ الحكمةَ التى هى فى خلْقه إنَّما هى على مقدارِ ثمنه ومنظَره .

(كلمات الله)

وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ والكلماتُ فى هذا الموضع ، ليس يُريد بها القولَ والكلامَ المؤلَّفَ من الحروف ، وإنَّما يريد النِّعَم والأعاجيب ، والصفات[3] وما أشبه ذلك ، فإنَّ كلًّا من هذه الفنون

(١) ط : « ولا ينحبس » .
(٢) ط : « فيها » .
(٣) ط : « الصلاة » ، وليس بشىء .

لو وقَف عليه رجلٌ رقيقُ اللسان صافى الذهن ، صحيحُ الفِكْر تامُّ الأَدَاة ، لما بَرِح أن تحسره(١) المعانى وتَغْمرَه الحِكَمَ .

وقد قال المتكلمون والرؤساء والجِلَّةُ العُظَماءُ فى التمثيل بين الملائكة والمؤمنين ، وفى فرقِ ما بين الجنِّ والإنس . وطباعُ الجنِّ أبعدُ من طباع الإنس ، ومن طباعِ الديك ، ومن طباع الكلب . وإنَّما ذهبوا إلى الطاعة والمعصية . ويخيَّل إلىَّ أنك لو [كنت] سمعتَهما يمثِّلان مابين التُّدْرُج والطاوُس ، لَمَا اشتدَّ تعجُّبُك . ونحن نرى أنَّ تمثيلَ ما بينَ خصالِ الذَّرَّة والحمامة ، والفيل والبعير ، والثَّعلبِ والذيب أعجَب . ولسنا نعنى أنَّ للذَّرَّة ما للطاوس من حسنِ ذلك الريش وتلاوينه وتعاريجه(٢) ، ولا أنَّ لها غَناءَ الفرَس فى الحرب والدَّفْعِ عن الحريم ؛ لكنَّا إذا أردنا مواضعَ التدبيرِ العجيبِ من الخلْق الخسيس ، والحسِّ اللطيفِ من الشيء السخيف(٣) ، والنَّظرِ فى العواقب من الخلق الخارج من حدود الإنس والجنِّ والملائكة ، لم(٤) نذهب إلى ضِخَم البدَن وعِظَم الحجم ، ولا إلى المنظر الحسَن ولا إلى كثرة الثمن . وفى القرد أعاجيبُ وفى الدُّبِّ أعاجيب ، وليس فيهما كبير مَرْفِقٍ إلّا بقدْرِ ما تتكسَّب به [أصحاب(٥)] القردة ، وإنما قصدنا إلى شيئين يَشيعُ القولُ فيهما ، ويكثرُ الاعتبار مما يستخرِج العلماءُ من خفِيِّ أمرهما . ولو جمعْنا بين الدِّيك وبين بعضِ

(١) ط : « تحشره » ، ويكون صوابها « تحشر له المعانى » . وأثبت ما فى ل . يقال : حسر البعير : ساقه حتى أعياه .

(٢) يقال ثوب معرج : أى مخطط فى التواء . وفى ل : « تتاريجه » . وانظر ٥ : ١٥٠ .

(٣) ط : « والحسن اللطيف فى الشيء السخيف » ، وهى عبارة مشوهة .

(٤) فى الأصل : « ولم » .

(٥) زدتها ليستقيم الكلام .

ما ذكرت ، وبين الكلب وبين بعض ماوصفت ، لانقطع القولُ قبل أن يبلغَ حدَّ الموازنةِ والمقابلة .

وقد ذكرتَ أنَّ بعضَ مادعاك إلى الإنكار عليهما والتعجُّبِ من أمرهما ، سقوطُ قدرِ الكلب ونذالتُه ، وبَلَهُ الدِّيكِ وغباوتُه ، وأنَّ الكلبَ لا بهيمةٌ ٩٩
تامَّة ولا سبعٌ تامٌّ ، وما كان ليخرِجَه من شيءٍ من حدود الكلاب إلى حدود الناس ، مقدارُ ماهو عليه من الأُنس بهم ، فقد يكون في الشيءِ بعضُ الشبه مِنْ شيء ولا يكون ذلك مُخرِجًا لها من أحكامِهما وحدودِهما .

(تشبيه الإنسان بالقمر والشمس ونحوهما)

وقد يشبِّه الشعراءُ والعلماءُ والبلغاءُ الإنسانَ بالقمر والشمس ، والغيثِ والبحر ، وبالأسد والسيف ، وبالحيَّة وبالنَّجم ، ولا يخرجونه بهذه المعانى إلى حدِّ الإنسان . وإذا ذمُّوا قالوا : هو الكلب والخنزير ، وهو القِرد والحمار ، وهو الثور ، وهو التَّيس ، وهو الذيب ، وهو العقرب ، وهو الجُعَل ، وهو القرنْبَى ؛ ثم لايُدخِلون هذه الأشياءَ فى حدود الناس ولا أسمائهم ، ولا يُخرجون بذلك(١) الإنسانَ إلى هذه الحدودِ وهذه الأسماء . وسمَّوا الجاريةَ غزالا ، وسمَّوها أيضاً خِشْفاً ، ومُهْرةً ، وفاختةً ، وحمامةً ، وزهرةً ، وقضيباً ، وخيزرانا ، على ذلك المعنى . وصنَعوا مثلَ ذلك بالبروج والكواكب ، فذكَروا الأسدَ والثور ، والحَمَل والجدى ، والعقربَ والحُوت ، وسمَّوها بالقوس والسُّنبلة والميزان ، وغيرها . وقال فى ذلك ابن عَسَلة الشيبانىّ(٢) :

---

(١) ط : « ذلك » .

(٢) هو عبدالمسيح ، شاعر جاهلى ، روى له صاحب المفضليات ثلاث قصائد برقم ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٣ . والبيت روايته فى البيان ١ : ٢٢٩ مطابقة لهذه . والرواية فى المفضليات : « لصحوت » وقبله : =

فصَحَوتَ والنَّمرىُّ يحسَبُها عَمَّ السِّماكِ وخالةَ النَّجْمِ[1]

ويُروى عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال : « نِعْمَتِ العَمة لَكُم النَّخلة [خُلقت مِنْ فضلة طينةِ آدم] » . وهذا الكلام صحيحُ المعنى ، لايَعيبه إلّا مَن لايعرِف مجاز الكلام . وليس هذا ممّا يطَّرِد لنا أن نقيسَه ، وإنّما نُقدِم على ما أقدَموا ، ونُحجِم عما أحجموا ، وننتهى إلى حيثُ انتهوْا .

ونراهم يسمُّون الرجلَ جملًا ولا يسمُّونه بعيراً ، ولا يسمُّون المرأةَ ناقة ؛ ويسمُّون الرجلَ ثوراً ولا يسمُّون المرأةَ بقرةً ، ويُسَمُّونَ الرجل حمارا ولا يسمون المرأة أتاناً ؛ ويسمُّون المرأة نعجةً ولا يسمُّونها شاة . وهم لايضعون نعجةً اسماً مقطوعا ، ولا يجعلون [ذلك[2]] علامةً مثلَ زيد وعمرو ، ويسمُّون المرأة عنْزا .

(تسمية الإنسان بالعالم الأصغر)

أوَ ما علمتَ أنّ الإنسان الذى خُلقت السمواتُ والأرضُ ومَا بينَهما مِن أجْله[3] كما قال عزّ وجلّ : ﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَافى السَّمَوَاتِ وَمَا فى الْأَرْضِ جَميعاً مِنْهُ﴾ إنّما سمّوه العالَم الصغير سليلَ العالمَ الكبير . لِمَا وجَدوا فيه من جمع أشكالِ مافى العالم الكبير ، ووجدْنا له الحواسَّ الخمسَ ووجدُوا فيه المحسوساتِ الخمس ، ووجدُوه يأكل اللَّحمَ والحبَّ ، ويجمعُ

= يا كعب إنك لو قصرت على حسن الندام وقلة الجرم
وسماع مدجنة تعللنا حتى ننام تناوم العجم

(١) صوابه « لصحوت » كما فى المفضليات ٢٧٩ .

(٢) زيادة يتطلبها الكلام .

(٣) فى الأصل : « والأرض من أجله وما بينهما » ، وسويت القول كما ترى .

بينَ ما تقتاته البهيمةُ والسبع ، ووجدوا فيه صَولةَ الجمل ووُثوبَ الأسد ،
وغدْرَ الذئب ، ورَوَغان الثعلب ، وجُبْن الصِّفْرِد ، وجَمْعَ الذَّرَّةِ ، وصنْعةَ ١٠٠
السُّرْفة(١) وجُودَ الدِّيكِ ، وإلفَ الكلب ، واهتداءَ الحمام . وربَّما وجدوا
فيه ممَّا فى البهائم والسباع خُلُقَيْن(٢) أو ثلاثة ، ولا يبلغُ أن يكون جملاً
بأن يكون فيه اهتداؤه وغَيرته ، وصَولته وحِقدُه ، وصبرُه على حَمْل الثِّقْل ،
ولا يلزَم شبهُ الذئبِ بقدْر ما يتَهَيَّأُ فيه من مِثل غدْرِه ومكْرِه ، واسترواحِه
وتوحُّشه ، وشدَّة نُكْره . كما أن الرجلَ يصيبُ الرأيَ الغامضَ المرّةَ والمرَّتين
والثَّلاثَ ، ولا يبلغُ ذلك المقدارُ أن يقال له داهيةٌ وذو نَكراء أو صاحبُ
بَزْلاء(٣) ، وكما يخطئُ الرجل فيفحُش خَطَاؤُه(٤) فى المرَّة والمرَّتين والثلاث ،
فلا يبلغ الأمرُ به أن يقال له غبيٌّ وأبلهُ ومنقوص .

وسمَّوه العالَمَ الصغيرَ لأنَّهم وجدُوه يصوِّر كلَّ شيءٍ بيده ، ويحكى كلَّ صوتٍ بِفَمه(٥) . وقالوا : ولأنَّ أعضاءَه مقسومةٌ على البروج الاثنى عشر والنجومِ السبعة ، وفيه الصفراء وهى من نِتاج النار ، وفيه السوداء وهى من نِتاج الأرض ، وفيه الدَّمُ وهو من نِتاج الهواء ، وفيه البلغَمُ وهو من نِتاج الماء . وعلى طبائعه الأربع وضعت الأوتاد الأربعة(٦) .

(١) ط : « وصفة السرفة » وصوابه فى ل . ويقال فى المثل : « أصنع من سرفة » . الدميرى : دويبة سوداء الرأس وسائرها أحمر تتخذ لنفسها بيتا مربعا من دقائق العيدان تضم بعضها إلى بعض بلعابها على مثال الناوس ثم تدخل فيه وتموت .

(٢) فى ثمار القلوب ٢٨٠ حيث نقل هذا الكلام : « خلتين » وهو الأشبه بكلام الجاحظ .

(٣) ط : « نكر » بدل « نكراء » وكلاهما صحيح . والنكراء ، والنكر بالضم : الدهاء والفطنة . والبزلاء : الرأى الجيد والشدائد .

(٤) الخطاء : الخطأ . والجاحظ يميل إلى استعمال الكلمة الأولى .

(٥) ط : « يعيه » والوجه ما فى ل .

(٦) ل : « وجدت الأوتار الأربعة » .

فجعَلوه العالَمَ الصغير ، إذ كانَ فيــه جميعُ أجزائِه وأخلاطِهِ وطبائعه . ألا تَرَى أنَّ فيه طبائعَ الغضبِ والرضَا ، وآلة اليقين والشكِّ ، والاعتقاد والوقف[1] وفيه طبائعُ الفِطنةِ والغَباوة ، والسلامة والمكر[2] ، والنصيحةِ والغِشِّ ، والوَفاء والغدر ، والرياء والإخلاص ، والحبِّ والبُغْض ، والجِدِّ والهزْل ، والبخْل والجُود ، والاقتصادِ والسَّرَف ، والتواضع والكبر ، والأُنسِ والوحشة ، والفكرة[3] والإمهال ، والتمييز والخبْط ، والجبْن والشجاعة ، والحزم والإضاعة ، [والتبذير والتقتير] ، والتبذل والتعزز[4] ، والادِّخار والتوكُّل ، والقَناعة والحِرْصِ ، والرغبة والزُّهْد ، والسُّخْط والرِّضا ، والصبر والجزَع ، والذِّكر والنسيان ، والخوفِ والرجاء ، والطَّمَعِ واليأس ، والتنزُّه والطَّبَع ، والشكِّ واليقين ، والحياء والقِحَة ، والكِتْمانِ والإشاعة ، والإقرار والإنكار ، والعلم والجهل ، والظلم والإنصاف ، والطلب والهَرب ، والحِقْد وسرْعة الرضا ، والحِدَّةِ وبُعْدِ الغَضب ، والسُّرور والهمّ ، واللَّذَّةِ والألَمَ[5] والتأميلِ والتمنِّي ، والإصرارِ والنَّدَم ، والجِمَاحِ والبَدَوات[6] ، والعيِّ والبلاغَة ، والنُّطْق والخرَس ، والتصميمِ والتوقف[7] والتغافُلِ والتفاطُن ، والعفوِ والمكافأة ، والاستطاعةِ والطبيعة[8] وما لا يحصي عدده[9] ، ولا يُعرَف حَدُّه .

(١) ط : « والتمنى » .
(٢) ط : « والنكر » .
(٣) لعلها « الطفرة » ليصح قرنها بالإمهال .
(٤) ط : « والتبذل والتعزز » وهو تحريف ما فى ل .
(٥) ط : « والآلام » والوجه ما فى ل .
(٦) كذا فى ل . وفى ط : « البذات » .
(٧) ل : « والتكفى » .
(٨) كذا .
(٩) ط : « عده » .

فالكلبُ سبع وإن كانَ بالناس أنيساً ، ولا تخرِجُه الخصلة والخصلتان ١٠١
ممَّا قاربَ بعضَ طبائِع الناس ، إلى أن يخرجَه من الكَلْبيَّة . قال : وكذلك الجميع . وقد عرَفت شبَه باطنِ الكلب[1] بباطن الإنسان ، وشبَه ظاهِر القرد بظاهر الإنسان : ترى ذلك فى طَرْفِه وتغميضِ عينه ، وفى ضحكه وفى حكايته ، وفى كفِّه وأصابعه ، وفى رفعِها ووضعِها ، وكيف يتناولُ بها ، وكيف يجهز اللُّقمة إلى فيه وكيف يكسِر الجَوْزَ ويستخرج لبَّه[2] وكيف يَلْقَنُ كل مَا أُخِذَ به[3] وأُعِيدَ عليه ، وأنَّه من بينِ جميعِ الحيوان إذا سقط فى الماء غرِق مثلَ الإنسان ، ومع اجتماعِ أسبابِ المعرفة فيه يغرق ، إلاّ[4] أن يكتسب معرفةَ السباحة ، وإن كان طبعُه أوفى وأكمل فهو من هاهنا أنقص وأكلُّ . وكلُّ شىء فهو يسبَح من جميع الحيوانات ، ممَّا يوصف بالمعرفة والفِطنة ، وممَّا يوصَفُ بالغَباوة والبَلادة ؛ وليس يصير القردُ بذلك المقدار من المقارَبَة إلى أن يخرُج من بعض حدود القرود إلى حدود الإنسان .

(عود إلى الحوار فى شأن الكلب والديك)

وزعمتَ أنَّ ممَّا يمنعُ من التمثيل بين الديك والكلب أنّه حارسٌ محترسٌ منه . وكلُّ حارسٍ من الناس فهو حارسٌ غيرُ مأمونٍ تَبدُّلُه .

ولقد سأل زيادٌ ليلةً من الليالى : مَنْ على شُرطتكم ؟ قالوا : بَلْج بنُ نُشْبَة الجُشَمىّ . فقال :

وساعٍ مع السلطانِ يَسعى عليهمُ ... ومحتَرسٍ مِن مثلِه وهو حارس

(١) ط : « باطن شبه الكلب » .
(٢) ل : « سره » وهما بمعنى .
(٣) ط : « يلق كلما أخذ به » وهو تحريف . وفى ثمار القلوب ٣٢٤ « يتمن » .
(٤) ط : « إلى » .

ويقال : إن الشاعر[١] قال هذا الشعرَ فى الفلافس النَّهشَلىّ[٢] ، حين ولِىَ شُرطةَ الحارثِ بن عبد الله [فقال] :

أقلِّى علىَّ اللومَ يا ابنةَ مالكٍ وذُمِّى زماناً سادَ فيه الغُلافسُ
وساعٍ مع السلطانِ يَسعَى عليهمُ ومُحتَرسٍ من مثلِه وهو حارسُ

وليس يُحكَمَ لِصغار المضارِّ على كبارها[٣] بل الحكمُ للغامر على المغمور[٤] والقاهِر على المقهور . ولو قد حكَينا ما ذكر هذا الشَّيخُ من خِصال الكلب وذكَرَ صاحبُه من خصالِ الديك ، أيقنتَ أنَّ العجَلةَ من عمل الشيطان ، وأنَّ العُجْبَ بئس الصاحب .

وقلتَ : وما يبلغُ من قدْر الكلب ومِن مقدارِ الديك ، أن يتفرَّغ لهما شيخان من جِلَّة المعتزِلة ، وهم أشراف[٥] أهلِ الحكمة ؛ فأىُّ شىءٍ بلغ ، غفر الله تعالى لك ، من قدْرِ جزءٍ لايتجزَّأ من رمْل عالج ، والجزءِ الأقلِّ من أوَّل قطْع الذَّرَّة للمكان السحيق ، والصحيفة التى لا عمقَ لها ، ولأىِّ
١٠٢ شىء يُعنَوْن بذلك ، وما يبلغ من ثمنِه وقدْرِ حجْمه ، حتَّى يتفرَّغَ للجدالِ فيه الشُّيوخ الجِلَّة ، والكهولُ العِلْية ، وحتَّى يختاروا النَّظرَ فيه على التسبيح والتهليل ، وقراءةِ القرآن وطولِ الانتصابِ فى الصلاة ؛ وحتَّى يزعم أهلُه

---

(١) هو عبد الله بن همام السلولى . ترجم له ابن قتيبة فى الشعراء ٦٣٣ . وانظر عيون الأخبار ١ : ٥٧ والمحاسن والمساوى للبيهقى ١ : ١٢٦ .

(٢) قال ابن قتيبة : كان الفلافس هذا على شرطة الكوفة من قبل الحارث بن عبد الله ابن أبى ربيعة المخزومى أخى عمر بن أبى ربيعة . . وخرج الفلافس مع ابن الأشعث فقتله الحجاج .

(٣) ل : « على كبار المنافع » .

(٤) ل : « للعامر على المعمور » وما أثبته من ط أشبه .

(٥) ل : « شراف » .

أنّه فوقَ الحجِّ والجهاد ، وفوقَ كلِّ برٍّ واجتهاد[1] . فإنْ زعمتَ أنَّ ذلك كلّه سواءٌ ، طالت الخصومةُ معَك ، وشغلْتنا [بهما] عمّا هو أولى بِنا فيك . على أنّك إذا عمّمْتَ ذلك كلّه بالذمِّ ، وجَلَّلته بالعيب ، صارت المصيبةُ فيك أجلّ ، والعزاءُ عنها أعسر . وإن زعمتَ أنّ ذلك إنّما جاز لأنّهم لم يذهبُوا إلى أثمان الأعيان فى الأسواق ، وإلى عظم الحجم ، وإلى ما يروقُ العينَ ويلائمُ النفس ، وأنّهم إنّما ذهبوا إلى عاقبة الأمر فيه ، وإلى نتيجته ، وما يتولّد عنه من علم النّهايات ، ومن باب الكلِّ والبعْض ، وكان ويكون ، ومن باب ما يحيط به العلم أو ما يفضل عنه ، ومن فَرقِ [ما[2]] بين مذاهب الدُّهريّة ومذاهب الموحِّدين . فإن كان هذا العذْرُ مقبولاً ، وهذا الحكم صحيحاً ، فكذلك نقول[3] فى الكلب ، لأنّ الكلبَ ليس له خطرٌ ثمين ولا قَدْر فى الصدرِ جليل ؛ لأنّه إن كان كلبَ صيد فديتُه أربعون درهما ، وإن كان كلب ضَرْعٍ فديتُه شاة ، وإن كان كلبَ دارٍ فديتُه زِنبيلٌ من ترابٍ ، حُقّ على القاتل أن يؤدِّيَه ، وحُقّ على صاحبِ الدار أن يقبلَه ، فهذا مقدارُ ظاهرِ حاله [ومُفتَّشِه] . وكوامنُ خِصاله ، ودفائنُ الحكمةِ فيه . والبرهاناتُ على عجيب تدبير الربِّ تعالى ذكرُه فيه ، على خلاف ذلك ؛ فلذلك استجازُوا النَّظَر فى شأنه ، والتمثيلَ بينَه وبين نظيره .

وتعلم أيضاً مع ذلك أنّ الكلبَ إذا كانَ فيه ، مع خمُوله وسقوطِه ، مِن عجيبِ التدبير والنِّعمةِ السابغةِ والحكمةِ البالغة ، مثلُ هذا الإنسان،

---

(١) ل : « كل أثرة وإجهاد » وليس بشيء .

(٢) زيادة يقتضيها الكلام .

(٣) ط : « يقول » وهو تحريف .

الذى له خلق الله السموات والأرض وما بينهما ، أحقُّ بأنْ يُفكرَ فيه ، ويُحْمَدَ اللهُ تعالى على ما أودَعَه من الحكمةِ العجيبةِ ، والنِّعمة السابغة .

وقلت : ولو كان بدلُ النظرِ فيهما النظرَ فى التوحيدِ ، وفى نفى التشبيه ، وفى الوعد والوعيد ، وفى التعديل والتجوير ، وفى تصحيح الأخبار ، والتفضيلِ بين علم الطبائع والاختيار ، لكان أصوبَ .

(دفاع عن المتكلمين)

والعجبُ أنَّك عَمَدْتَ إلى رجالٍ لا صناعةَ لهم ولا تجارةَ إلاَّ الدعاءُ إلى ما ذكرت ، والاحتجاجُ لما[1] وصفت ، وإلاَّ وضْعُ الكتبِ فيه والولايةُ والعداوةُ فيه ، ولا لهمْ لَذَّةٌ ولا هَمٌّ ولا مذهبٌ ولا مجازٌ إلا عليهِ وإليه ؛
١٠٣ فحين أرادُوا أن يُقَسِّطُوا بينَ الجميعِ بالحِصص، ويَعْدِلوا بينَ الكلِّ بإعطاء كلِّ شىء نصيبه ، حتَّى يقعَ التعديلُ شاملاً ، والتقسيطُ جامعًا ، ويظهرَ بذلك الخفىُّ من الحِكَمِ ، والمستورُ من التدبير ، اعترضْتَ بالتعنُّتِ والتعجُّب ، وسطَّرت الكلامَ ، وأطلتَ الخطب ، من غير أنْ يكون صوَّبَ رأيَكَ أديبٌ ، وشايَعَك حكيم .

(نسك طوائف من الناس)

وسأضرب لك مثلاً قد استوجبتَ أغلظَ منه ، وتعرَّضتَ لأشدَّ منه ولكنَّا نستأنِى بك وننتظِرُ أوْبَتَك . وَجَدْنَا لجميعِ أهلِ النَّقص ، ولأهلِ كلِّ صِنفٍ منهم نُسُكاً يعتمِدون عليه فى الجَمَال ، ويحتسِبون به فى الطاعة وطلَبِ المثُوبة ، ويفزَعون إليه ، على قدْرِ فسادِ الطِّباع ، وضعفِ الأصل ،

(١) فى الأصل : « بما » .

باضطرابِ الفرْع ، مع خبْث المنشإ ، وقلّةِ التثبُّتِ والتوقُّفِ ، ومع كثرة التقلُّب والإقدام مَعَ أوّلِ خاطر : فنُسك المَريبِ المرتابِ من المتكلِّمين أنْ يتحلَّى برمْى الناسِ بالرِّيبة ، ويتزيَّنَ بإضافةِ ما يجدُ فى نفسه إلى خَصمه ؛ خوفاً من أن يكونَ قد فطِن له ، فهو يستُرُ ذلك الداءَ برمْيِ الناس به .

ونُسكُ الخارجيِّ الذى يتحلَّى به ويتزيَّا بجماله ، إظهارُ استعظامِ المعاصى. ثم لايَلتفِت إلى مجاوزَة المقدارِ وإلى ظُلْمِ العباد ، ولا يقِف على أنَّ الله تعالى لايحبُّ أن يَظلِمَ أظلمَ الظّالمين ، وأنَّ فى الحقِّ ما وسِعَ الجميع .

ونسْك الخراسانيِّ أن يحُجَّ وينَام على قفاه ، ويعقد[١] الرِّياسة ، ويتهيَّأ للشَّهادة ، ويبسُطَ لسانَه بالحِسْبة . وقد قالوا : إذا نَسَكَ الشَّريفُ تواضَعَ ، وإذا نسَكَ الوضيعُ تكبَّر . وتفسيرُه قريبٌ واضح .

ونُسْك البَنَوِى[٢] والجنديِّ طرحُ الديوانِ ، والزِّرايةُ على السُّلطان[٣] . ونسك دَهاقِين السَّوادِ تركُ شُرْب المطبوخ[٤] . ونُسْك الخصِيِّ لُزُوم طَرَسُوس وإظهارُ مجاهَدَةِ الروم . ونُسك الرافضيِّ تركُ النبيذ . ونسك البستانيِّ تركُ سَرِقة الثَّمر . ونُسْك المغنِّى الصَّلاةُ فى الجماعة وكثرةُ التسبيح ، والصلاةُ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم .

ونسك اليهوديِّ التشدُّدُ فى السَّبْت وإقامته .

والصوفيُّ المظهِرُ النُّسكَ من المسلمين ، إذا كان فسلًا يبغض العمل

---

(١) ط : « يفقد » وليس بشىء .

(٢) ط : « الكوفى » .

(٣) ط : « والزيارة للسلطان » ل : « والزيارة على السلطان » وقد جعلت القول كما ترى .

(٤) فى القاموس : « الطبيخ ضرب من المنصف » . وفى مادة نصف « وكمعظم : الشراب طبخ حتى ذهب نصفه » .

تطرف(١) وأظهر تحريمَ المكاسب، وعاد سائلاً ، وجعل مسألتَه وسيلة إلى تعظيم الناسِ له .

وإذا كان النَّصرانيُّ فسلاً نذْلا مبغِضاً للعمَل، ترهَّب ولَبِس الصُّوف ؛ لأنَّه واثقٌ أنَّه متى لبِس وتزيَّا بذلك الزِّيّ وتحلَّى بذلك اللِّباس ، وأظهر تلك السِّيما ، أنَّه قد وجَبَ على أهل اليُسرِ والثَّروة منهم أن يعُولُوه ويَكْفُوه ، ثمَّ لا يرضى بأنْ رَبِحَ الكِفايةَ باطلًا حتى استطال بالمرتبة .

١٠٤ فإذا رمى المتكلِّمُ المريبُ أهلَ البراءة ، ظنَّ أنَّه قد حوَّل ريبتَه إلى خَصمه ، وحوَّل براءةَ خصمِه إليه . وإذا صار كلُّ واحدٍ من هذه الأصناف إلى ما ذكرنا ، فقد بلغ الأمنيَّة ، ووقَفَ على النِّهاية . فاحذَر أن تكونَ منهم واعلَمْ أنَّك قد أشبهتَهم في هذا الوجه ، وضارعتَهم في هذا المذهب .

باب

مما قدَّمْنا ذكرَه ، وبينَه وبينَ ما ذكرنا بعضُ الفرْق .

يقال : أجرأ من الليث ، وأجبَنُ من الصِّفْرِد ، وأسخَى مِنْ لافِظة ، وأصبرُ على الهُونِ(٢) من كَلب ، وأحذر من عَقْعَق ، وأزهى مِن غراب ، وأصنَع من سُرفَة(٣) وأظلم من حيَّة ، وأغدَر من الذئب ، وأخبَث من ذئبِ خَمَرَ(٤) وأشدُّ عداوةً من عقرب ، وأروغُ من ثعلب ، وأحمقُ من حُبارى ، وأهدى من قطاة ، وأكذَبُ مِن فاختة ، وألأمُ من كلبٍ على جيفة ،

(١) ط : « بين » بدل « من » ، و « ببعض » موضع « يبغض » . وفي ل : « تصوف » موضع « تطرف » .

(٢) ل : « الهوان » وهما بمعنى .

(٣) ط : « واضع من شرفة » . وانظر الحاشية رقم (١) ص ١٠٠ .

(٤) ط : « ضمر » وهو تحريف . والخمر ، بالتحريك : ماواراك من شجر وغيره .

وأجمعُ من ذَرّة ، وأضلُّ من حِمار أهلى[١] ، وأعقُّ من ضَبٍّ ، وأبرُّ من هِرَّة ، وأنْفَر من الظليم ، وأضَلّ من وَرَل[٢] وأضلُّ من ضبٍّ ، وأضلُّ من الحيَّة .

فيعبِّرون عن هذه الأشياء بعبارةٍ كالعبارة عن الناس ، فى مواضع الإحسان والإساءة ، حتّى كأنّهم من الملومِين والمشكورين ، ثم يعبِّرون فى هذا البابِ الآخَر بدونِ هذا التعبير ، ويجعلونَ خبَرهم[٣] مقصوراً على مافى الخِلقة من الغريزة والقُوى فيقولون : أبصرُ من عُقاب ، وأسمعُ من فرَس ، وأطولُ ذماءً من ضبٍّ ، وأصحُّ من الظليم .

والثانى يشْبِه العبارةَ عن الحمد والذمِّ ، والأوّل يُشبِه العبارةَ عن اللائمةِ والشكر[٤] . وإنَّما قلنا ذلك ، لأنَّ كلّ مشكورٍ محمود ، وليس كلُّ محمودٍ مشكورا ؛ وكلّ ملومٍ مذموم وليس كلُّ مذمومٍ ملوما . وقد يحمدون البَلدةَ ويذمُّون الأخرى ، وكذلك الطعام والشراب ، وليس ذلك على جهة اللّوم ولا على جهة الشكر ؛ لأنَّ الأجْر[٥] لايقع إلّا على جهة التخيُّر والتكلُّف ، وإلّا على مالا يُنال إلّا بالاستطاعة[٦] والأوّلُ إنَّما يُنالُ بالخِلقة وبمقدارٍ من المعرفة ، ولا يبلغ أنْ يسمَّى عقْلا ، كما أنّه ليس كلُّ قُوَّةٍ تسمَّى استطاعة . والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) ل : « أهله » .

(٢) ل : « أشرد من ورل » .

(٣) ط : « خيرهم » والصواب مافى ل .

(٤) ط : « السلامة والشكر » والوجه مافى ل .

(٥) ط : « الأخر » وهو تصحيف .

(٦) ط : « مالا يقال التعنى بالاستطاعة » وهى عبارة مشوهة .

باب

ما ذكر صاحبُ الديك من ذمِّ الكلابِ وتعدادِ أصنافِ معايبها[1] ومثالبها ، مِن لؤمها وجبنها[2] وضعْفها وشرَهها ، وغدْرِها وبَذَائها ، وجهْلها وتسرُّعها ، ونتْنها وقذَرها ، وما جاء فى الآثار من النَّهْى عنِ اتّخاذها وإمساكها ، ومن الأمْر بقتْلِها وطردها ، ومن كثرةِ جناياتها وقلَّة رَدِّها[3] ومِن ضربِ المثَل بلؤمها ونذالتها ، وقبحِها وقبْحِ معاظلتِها[4] وَمِن سماجة نُباحِها وكثرة أذاها ، وتقذُّر المسلمين من دنوِّها[5] [وأنّها تأكل لحومَ الناسِ] ، وأنّها كالخلْق المركّبِ والحيوان الملفّق : كالبغْل فى الدوابِّ وكالراعِبِىِّ فى الحمام[6] ، وأنّهــا لاسبعٌ ولا بهيمة ، ولا إنســيّةٌ ولا جِنِّيَّة ، وأنّها من الحِنِّ[7] دون الجنّ ، وأنّها مطايا الجنِّ ونوعٌ من المِسْخ ، وأنّها تنبُش القبورَ وتأكُلُ الموتى ، وأنّها يعتريها الكَلَبُ مِن أكل لحوم الناس .

فإذا حكَيْنَا ذلكَ حكَينا قولَ من عدَّد محاسنَها ، وصنّف مناقبها ، وأخذْنا مِنْ ذكر أسمائها وأنسابها وأعراقها ، وتفدية الرجال إيَّاها[8]

---

(١) ط : « معائبها » بالهمز وهو خطأ صوابه فى ل ، إذ المعايب جمع معاب أو معابة بمعنى العيب ، فياؤه فى الجمع أصيلة غير زائدة فلا يصح قلبها همزة ، مثلها فى ذلك مثل معيشة ومعايش .

(٢) ط : « وخبثها » والكلب يوصف بالجبن .

(٣) الرد : النفع . ماعدا ل : « ودها » ، تحريف .

(٤) ط : « معاطاتها » وهو تحريف . والعظال : الملازمة فى السفاد من الكلب ونحوه .

(٥) ط : « درنها » .

(٦) ط : « والزاغبى من الحمام » وهو تصحيف نبهت على صوابه فيما سبق .

(٧) ط : « الجن » وصوابه فى ل .

(٨) ط : « وتغذية الرجال إياها » وهو تحريف .

واستبشارهم بها ، وذكر كسْبِها وحراستها ، ووفائها وإلْفِها وجميعِ منافعها ، والمرافقِ التي فيها ، وما أُودِعت من المعرفة الصحيحةِ والفِطَن العجيبة، والحسِّ اللطيف[١] والأدب المحمود . وذلك سوى صِدق الاسترواح، وجَوْدَةِ الشمِّ ، وذِكْر حفظها ونَفَاذها واهتدائها ، وإثباتها لصُوَر أربابها وجيرانها ، وصبرِها ، ومعرفتها بحُقوق الكرام ، وإهانتها اللئام ، وذكر صبْرها على الجفا ، واحتمالها للجوع ، وذكر ذِمامها وشدَّةِ مَنْعِها مَعَاقِدَ الذِّمَارِ منها[٢] ، وذكر يَقَظَتها وقِلَّة غفلتها[٣] وبُعْدِ أصواتها ، وكثرة نسلها وسرعة قَبولها وإلقاحها وتصرُّفِ أرحامِها في ذلك ، مع اختلاف طبائع ذكورها والذكور من غير جنسها ، وكثرةِ أعمامِها وأخوالها ، وتردُّدها في أصناف السِّباع ، وسلامتها من أعراق البهائم ، وذكر لَقَنِها وحكايتها ، وجودة ثقافتِها ومَهْنِها[٤] وخِدمتها ، وجِدِّها ولِعْبها وجميعِ أمورها ؛ بالأشعارِ المشهورةِ والأحاديث المأثورة ، وبالكتُبِ المنزَّلة والأمثالِ السائرة ، وعن تجربةِ النَّاس لها وفِراستِهم فيها ، وما عايَنوا منها ؛ وكيف قال أصحابُ الفأل فيها ، وبإخبار المتطيِّرين عنها ، وعن أسنانها[٥] ومنتهى أعمارها وعدد جرائها ، ومدَّةِ حملها ، وعن أسمائها وألقابِها ، وسِماتِها وشِياتها ، وعن دوائها وأدوائها

---

(١) ط : « والحسن اللطيف » وليس بشيء .

(٢) ل : « منتها » موضع « منعها » . ط : « الذمام » مكان « الذمار » . والذمار : مايلزمك حفظه وحمايته ، وأما الذمام فهو الحق .

(٣) ل : « وكثرة غفلتها » وبذلك يفسد المعنى .

(٤) ط : « ثقافها » موضع « ثقافتها » والوجه في الثاني . إذ الثقاف : هو الجلاد والخصام وماتسوى به الرماح . ولا وجه له هنا . وأما الثقافة فهي من ثقف ككرم وفرح صار حاذقا خفيفا فطنا . . . وفي ل : « وفهمها » بدل « مهنها » .

(٥) ط : « أسنادها » وليس بشيء .

وسياستها ، وعن اللاتى لا تلقَنُ منها[١] وعن أعراقِها والخارجىِّ منها[٢] وعن أصول مواليدها ومخارج بلدانها .

وذكر صاحبُ الديك ما يحفظ من أكلِ الكلابِ للحُوم النَّاس فقال : قال الجَارود بن أبى سَبْرَة[٣] فى ذلك :

ألم تر أنَّ اللهَ ربِّى بحَوْلِه … وقوَّتِه أخزى ابنَ عَمْرَةَ مالكا
١٠٦ فَمَنْ كانَ عنه بالمغيَّبِ سائلاً … فقد صارَ فى أرض الرُّصافةِ هالكا
تظلُّ الكلابُ العادياتُ يَنُشْنَه … إذا اجتَبْن مُسْوَدًّا منَ الليل حالكا[٤]

وقال نُفَيع بن صفَّار المحاربى[٥] من ولد مُحارِب بن خُصَفة[٦] فى حرب قيسٍ وتغلِب :

أفنَتْ بَنى جُشَم بن بكرٍ حَرْبُنا … حتى تعَادَلَ مَيلُ تَغلِب فاستوَى
أكَلَ الكلابُ أنوفَهم وخُصَاهُمُ … فلتَبْكِ تَغْلِبُ للأُنوفِ وللخُصى

وقال أبو يعقوب الُخرَيْمى ، وهو إسحاق بن حسَّان بن قوهى[٧] فى قتلَى حربٍ ببغداد :

---

(١) ط : «لاتلق منها» وهو تحريف .
(٢) الجاحظ يجعل « الخارجى » مقابل «العريق » كما فى البيان ١ : ٣٠ ، ٩٠ .
(٣) ط : « سمرة » وهو تحريف . قال الجاحظ فى البيان ١ : ٣٢٩ . « وكان الجارود بن أبى سبرة – ويكنى أبا نوفل – من أبين الناس وأحسنهم حديثا . وكان راوية علامة شاعرا مفلقا . وكان من رجال الشيعة ولما استنطقه الحجاج قال : ماظننت أن بالعراق مثل هذا ! ! » . توفى سنة ١٢٠ كما فى تقريب التهذيب ص ٢٨ .
(٤) ل : « ينبنه » مكان «ينشنه » ط : « إذا اجتن مستورا » .
(٥) ط : « نقيع بن الصفار المحاربى » وأثبت ما فى ل .
(٦) ط : « خضمة » والصواب « خصفة » كما فى نهاية الأرب ١ : ٣٣٤ .
(٧) ط : « ابن يعقوب الخزيمى . وهو إسحاق بن حسان بن موسى » والصواب ماأثبت من ل ومن تاريخ بغداد ٣٣٦٩ . قال الخطيب : « وأصله من خراسان من بلاد السغد ، وكان متصلا بخريم بن عامر المرى وآله فنسب إليه . وقيل كان اتصاله بعثمان بن خريم =

وهَل رأيتَ الفتيانَ فى باحة الْمعْـــرَكِ مَعفورةً مَناخِـرُها(١)
كلّ فــتًى مانعٍ حقيقَتَه يشقَى به فى الوَغَى مَساعِرُها
باتَتْ عليه الـكلابُ تنهَشُه مخضوبةً من دمٍ أظافِرُها

وقال أبو الشمقمق (وهو مَرْوان بن محمد ، مولى مرْوان بنِ محمّد ، ويكنى أبا محمّد)(٢) :

يُوسفُ الشاعرُ فَرْخُ وجَـــدُوه بالأُبُلَّه
حَلَقِيٌّ قَـــدْ تُلقِّى كامناً فى جَوف جُلّه(٣)
خيَّطوها خشْيَةَ الـكلـــبِ عليْهِ بِمِسَـلَّه

وذُكر لى عن أبى بَـكر الْهُذَلىّ ، قال : كنَّا عندَ الحسن إذ أقبل وكيع ابن أبى سُود فجلس ، فقال يا أبا سعيد : ما تقولُ فى دم البراغيث يُصيب الثوب : أيصلَّى فيه ؟ فقال : يا عجبا مِمَّن يلَغ فى دماءِ المسلمين كأنّه كلبٌ ، ثم يسألُ عن دم البراغيث !! فقام وكيعٌ يتخلَّج فى مِشيتِه كتخلُّج المجنون ، فقال الحسن : إنَّ لله فى كلِّ عضوٍ منه نعمةً فيستعين بها على المعصية ، اللّهمَّ لا تجعلْنا مِمَّن يتقوَّى بنعمتك على معصيتك ! !

= وأبوه خريم الموصوف بالناعم » ، ثم قال : « وله مدائح فى محمد بن منصور ابن زياد ويحيى بن خالد وغيرهما . . السجستانى : الخريمى أشعر المولدين » . وانظر لخريم الناعم قاموس الزركلى ١ : ٢٩٠ ، وأمثال الميـــدانى ٢ : ٢٨١ . والقصيدة فى تاريخ الطبرى ١٠ : ١٧٦ — ١٨٠ .

(١) ط : « ساعة » — ولعلها « ساحة » — موضع « باحة » .

(٢) ترجمتـــه فى تاريخ بغـــداد ٧١٢٨ وابن خلـــكان ، فى تضاعيف ترجمة يزيد ابن مزيد ، ولم يفرد له ترجمة . وأبو الشمقمق اجتمع ببشار وأبى نواس ، ودخل بغداد فى أيام الرشيد ، وهو بصرى .

(٣) ط « حلقى بلق » . وانظر شفاء الغليل للخفاجى فى تفســـير الحلقى . والبلق لعله منسوب إلى البلق بالتحريك بمعنى الحمق ، و« كامنا » هى فى الأصل « كامن » والوجه النصب .

(ما أضيف من الحيوان إلى خبث الرائحة)

وقال صاحب الديك : أشياءُ مِنَ الحيوانِ تُضافُ إلى نَتْنِ الجُلُود وخُبث الرائحة ، كريح أبْدان الحيَّات ، وكنَتْن التُّيوس وصُنانِ عرَقِها ، وكنتن جِلدِ الكلب إذا أصابه مطر . وضروبٌ من النّتن فى سوى ذلك ، نحنُ ذاكروها إن شاء الله تعالى .

وقال رَوح بن زنباع الجُذَامىّ فى امرأته ، وضرب بالكلب المثل :

رِيحُ الكرائمِ معروفٌ لَهُ أَرَجٌ   وريحُها ريحُ كلْبٍ مَسَّهُ مَطَرُ

قال : وكانت امرأةُ رَوح بن زِنباع أمَّ جعفر بنتَ النُّعمان بن بشير ،

١٠٧ وكان عبدُ الملك زوَّجه إيّاها ، وقال : إنَّها جاريةٌ حسناء ، فاصبرْ على بَذَاءِ لسانِها .

وقال الآخر :

وريحُ مَجْروبٍ وريح جُلَّه   وريح كلبٍ فى غَدَاةٍ طَلَّهْ (١)

وأنشد أبو زيد فى ذلك :

كأنَّ رِيحَهُمُ من خُبْثِ طُعْمَتِهِمْ   ريحُ الكلاب إذا ما بلّها المطر (٢)

ومما ذُكر به الكلبُ فى أكله العَذِرة ، قولُ الراجز :

* أَحرَصُ من كلبٍ على عِقْىِ صَبِى (٣) *

وقال مثل ذلك حَنْظَلة بن عَرَادة [فى ذكره] لابنهِ السَّرَنْدَى :

---

(١) ط : « كلة » وتصحيحه من ل .

(٢) ط : « إذا مامسها مطر » . والبيت لحسان بن ثابت فى ديوانه ص ٢٢٧ .

(٣) ط : « عفى » والصواب بالقاف كما فى ل . والعقى بالكسر : ما يخرج من بطن الولد حين يولد .

ماللسَّرَنْدَى أطالَ اللهُ أيْمتَهُ خَلَّى أباه بقفر البيد وادَّلجا[1]

مجْعٌ خبيثٌ يُعاطِي الكَلْبَ طُعْمَتَه وإن رأى غفلةً من جارِهِ ولجا[2]

رَبَّيْتُه وهو مثلُ الفَرْخِ أَضْرِبُهُ

والكلبُ يلحَسُ من تحتِ استِهِ الرَّدَجا[3]

يقال للذى يخرُج من بطن الصبيِّ حين يخرُج من بطن أمه عِقْى بكسر العين ، ويقال عقَى الصبي يعقِى عَقْياً ، فإذا شُدَّ بطنُه للسِّمن قيل قد ضُرِبَ ليسمَن[4] . والعِقْى وهو العَقْية الغيبة ، وإيّاه عنَى ابنُ عمر حين قيل له : هلاَّ بايعت أخاك ابن الزُّبير ؟ فقال : إنَّ أخى وضَعَ يده فى عَقْيَةٍ[5] ودعا إلى البَيعة . إنِّى لا أنزَع يَدِى مِن جماعةٍ وأَضعُها فى فُرقة[6] .

وفى الحديث المرفوع : « الراجعُ فى هِبَتِه كالرَّاجِع فى قَيئِه » . وهذا المثلُ فى الكلب .

ويقالُ : « أبخَلُ من كلبٍ على جِيفة » . وقال بعضُهم فى الكلب : الجِيفة أحبُّ إليه من اللّحم الغريض ، ويأكل العَذِرة ويرجِع فى قيئه ، ويشغَر ببَوله فيصير فى جوفِ فيه وأنفه ، ويحذفه تِلقاءَ[7] خَيشومه .

---

(١) ط : « بغبر البيد » .

(٢) ط : « ريح خبيث » وهو تحريف . والمجع بالكسر : الأحمق ، إذا جلس لم يكد يبرح من مكانه ، والجاهل ، وفيها « جارة » وهو تصحيف .

(٣) ط : « أعظمه » موضع « أضربه » وفى ل « أطعمه » وأثبت مايقتضيه كلام الجاحظ الآتى .

(٤) فى الأصل « اشتد » موضع « شد » ، وهو تحريف . وفى ط : « ضرب » مكان « قدضرب » وتصحيحه من ل .

(٥) ط : « قيئة » وبذلك يفوت الاستشهاد . والصواب فى ل .

(٦) ط : « واضعا فى فرقة » .

(٧) ل : « ويسدده » .

وقال صاحب الكلب : إنْ كنتم إنَّما تستسقطون الكلب(١) وتستسفلونه بهذا وأشباهه ، فالجيفةُ أنتنُ من العذرة ، والعَذرة شرٌّ من القيء ، والجيفة أحبُّ إلى أشراف السباع ورؤسائها من اللحم العبيط الغريض الغضِّ .

(مأكل السبع)

والأسَد سَيِّد السباع ، وهو يأكل الجِيفةَ ، ولا يعرِض لشرائع الوحش وافتراس البهائم ، ولا للسابلة من الناس ، ما وَجَدَ فى فريسته فَضْلة . ويبدأ بعدَ شُرْب الدَّم فيبقُر بطنَه ويأكل ما فيه من الغثيثة والثفل(٢) والحَشْوة والزِّبل ، وهو يرجع فى قيئه ، وعنه(٣) ورِث السِّنَّور ذلك .

(ما قيل فى السبع من الأمثال)

وهو المضروبُ به المثلُ فى النَّجدة والبسالة ، وفى شِدَّة الإقدام(٤)
١٠٨ والصَّولة ، فيقال : « ما هو إلاّ الأسد على براثنه » و «هو أشدُّ من الأسد » و « هو أجرَأ من الليث العادى » و « فلان أسدُ البلاد » و « هو الأسد الأسود(٥) » . وقيل لحمزة بن عبد المطَّلب أسدُ الله . فكفاك من نُبْل الأسد أنَّه اشتُقَّ لحمزةَ بن عبد المطَّلب من اسمه . ويقال للملك أَصْيَد إذا أرادوا

(١) ط : « تستسفطون » وهو تصحيف .
(٢) ط : « القيئة » والتفل » وهو تحريف مافى ل .
(٣) ط : « وعند » وتصحيحه من ل .
(٤) ط : « وهو فى شدة الاقدام » وكلمة « هو » مقحمة .
(٥) ط : « الأسور » ولعله « وهو أسد الأسود » .

أن يصفوه بالكِبْر وبقلّةِ الالتفات ، وبأنَّ أنفَه فيه أسلوب[١] ولأنَّ الأسد يَلتفت معاً لأنَّ عنقه من عظم واحد . وقال حاتم[٢] :

هَلاَّ إذا مَطَرَ السماءُ عليكُمُ[٣] ورفعتَ رأسَك مثلَ رأسِ الأصْيَدِ

وقال الآخر :

يَذُودونَ كلباً بالرِّماحِ وطَيِّئاً وتَغلِبَ والصِّيدَ النواظرِ من بَكر

وقال الآخر :

وكم لى بها من أبٍ أصْيَدٍ نَمَاه أبٌ ماجدٌ أصيَدُ[٤]

وبعدُ فإنّ الذى يأكل الجيفةَ لم يبعُد من طبعِ كثيرٍ من الناس ؛ لأنَّ من الناس من يشتهى اللحمَ الغابَّ ، ومنهم من يشتهى النَّمَكْسُود[٥] . وَلَيْسَ بَيْنَ النَّمَكْسُودِ وبين المصلوب اليابس كبيرُ فرق ، وإنَّما يذبحون الدِّيَكَةَ والْبَطَّ والدَّجاجَ والدُّرّاج من أوَّلِ الليل ، ليسترخىَ لحمُها ، وذلك أول التَّجييف[٦] .

فالأسد أجمعُ لهذه الخصال من الكلب ، فهلاَّ ذكرتمْ بذلك الأسد وهو أنبَهُ ذِكراً وأبعدُ صِيتا .

وأمّا ما ذكرتم من نَتْن الجلد ومن استنشاق البول ، فإنَّ للتيسِ فى ذلك ما ليس للكلب ، وقد شاركه فى الحَذْفِ ببوله تلقاءَ أنفــه ، وباينَه بشدَّةِ الصُّنَان ؛ فإنَّ الأمثالَ لَه أكثرُ ذِكراً . وفى العنز أيضاً عيوب .

---

(١) ل : « وبأن أنفه أسلوب » ط : « . . . فى أسلوب » وسويت العبارة كما ترى . والأسلوب : الشموخ فى الأنف .

(٢) فى الأصل « أبو حاتم » وإنما هو حاتم الطائى ، والبيت من أبيات ستة لها خــبر فى آخر ديوانه بخمسة دواوين العرب ١٢٨ .

(٣) ط : « مطرت سماؤكم بها » ، وفى الديوان :

* ها إنما مطرت سماؤكم دما *

(٤) ط : « نماه مجد أب أصيد » .

(٥) انظر النمكسود ماورد فى تذكرة داود .

(٦) ماعدا ل والأمبروزيانا « التجييف » .

وفى توجيه التيس ببوله إلى حاقّ خَيشومه قال الشاعرُ لبعض من يهجُوه :

دُعِيتَ يَزِيدَ كى تَزِيدَ فلم تَزِدْ فعادَ لك المُسْمِى فأسْماك بالقحر[1]
وما القَحْرُ إلاّ التيسُ يَعْتِك بولُه عَلَيْه فيمذى فى لَبَانٍ وفى نحر[2]

وقال آخر فى مثل ذلك[3] :

أَعثمانُ بنُ حَيّانَ بن لؤم عَتُودٌ فى مفارِقِه يَبولُ
ولو أَنّى أشافِهُه لشالت نَعامَتُه ويفهم ما يقول

١٠٩ وبعد فما يُعلَم من صنيع العنز[4] فى لبنها وفى الارتضاع من خلفها إلاّ أقبحَ .

وقال ابن أحْمَرَ الباهلىُّ فى ذلك :

إنّا وجَدْنا بَنِى سَهْمٍ وجاملهم كالعنز تعطِفُ روْقَها وتَرْتَضِعُ[5]

وقلتم : هَجَا ابْنُ غادية السلمى[6] بعضَ الكِرام ، حينَ عُزِل عن يَنْبُع ، فقال لمن ظنَّ أنّه إنّما عُزِل لمكانه :

رَكِبوك مُرتَحَلاً فظهرُك منهمُ دَبِرُ الحراقفِ والفَقَارِ مُوَقَّعُ
كالكلبِ يَتْبَعُ خانِقِيهِ وينتحى نحوَ الذين بهم يَعِزُّ ويمنعُ

(١) ط : « بالفجر » وهو تصحيف مافى ل ، والقحر أصل معناه البعير المسن .
(٢) ط : « الفجر » موضع « القحر » و « يعتل » مكان « يعتك » . يقال عتك عليه يضربه أى لم ينهنهه عنه شيء . . . وفى ل : « ويمذى فى اللبان وفى النحر » .
(٣) هو المرار الفقعسى . انظر حواشى ٥ : ٤٦٤ .
(٤) ل : « فانعلم صنيع » .
(٥) ط : « وجاهلهم » ل : « وحاملهم » وتصحيحه مما سيأتى فى هذا الجزء ص ٣٥٤ و من عيون الأخبار ٢ : ٧٥ . والجامل : قطيع الإبل معه رعيانه وأربابه .
(٦) ط : « السلمحا » وفى ل : « عادية » بالعين . وأثبت ما فى س و م .

وقال ابن هَرْمة الفِهرىّ :

فما عادَت لذى يمنٍ رءوسا ولا ضَرَّت بفُرقتها نزارَا
كعَنْز السَّوْءِ تَنْطَحَ مَنْ خَلاَهَا وتَرْأَمُ مَنْ يُحِدُّ لها الشِّفارَا

وما نعلم الرُّجوعَ فى الجِرَّة ، وإعادةَ الفرثِ إلى الفم ليُستقصَى مضغُه إلَّا أسمجَ(١) وأقذَرَ من الرُّجوعِ فى القَىْءِ . وقد اختار الله عزَّ وجلَّ تلك الطبيعةَ للأنعام ، وجعل الناسَ ليسوا لشىءٍ من اللُّحمان أشدَّ أكلاً ولا أشدَّ عَجباً بِهِ منكم(٢) ، ولا أصلحَ لأبدانهم ولا أغْذَى لهم من لُحُوم هذه الأنعام أفتائِّهَا ومَسَانِّهَا .

وقال صاحبُ الديك : ما يشبه عَوْدُ الماشيةِ فى الجِرَّة ، ورجوعُها فى الفرث تطحَنُه وتُسيغه ، الرجُوعَ فى القىء . وقد زعمتم أنَّ جِرَّةَ البعيرِ أنتنُ مِن قىءِ الكلاب لطول غُبُوبِها(٣) فى الجوف ، وانقلابِها إلى طباع الزِّبل ، وأنَّها(٤) أنتن من الثلط . وإنَّما مثل الجِرَّة مثل الرِّيق الذى ذكره ابنُ أحمر فقال :

هذا الثناءُ وأجْدِرْ أن أُصاحبه وقَدْ يدوِّمُ رِيقَ الطَّامِعِ الأَمَلُ(٥)

فإنَّماَ مَثَلُ القَىءِ مَثَلُ العَذِرَة ؛ لأنَّ الرِّيق الذى زعمتم ، مادامَ فى فم

(١) ط : « إلى السمع » وهو تحريف مافى ل .

(٢) وضعت كلمة (به) فى ط بعد أكلا . وتصحيحه من ل .

(٣) ط : « غيوبها » والغيوب صحيحة ، والأشبه « غبوبها » بالباء كما مضى قريبا وكما فى ل .

(٤) فى ط : « وأنه » وفى ل : « وأنهما » والوجه ما أثبت لأن الضمير راجع إلى الجرة .

(٥) ط : « يصاحبه » و « يداوم » وتصحيحه من ل ومن البيان ١ : ١٨٠ .

صاحبه ، ألذُّ من السلوى ، وأمتعُ من النسيم ، وأحسنُ موقعاً من الماء البارد من العطشان المسهوم . والريقُ كذلك مالم يزايل موضعَه ، ومتى زايل فَمَ صاحبِه إلى بعض جِلْده اشتدّ نَتْنه وعادَ فى سبيل القىء .

١١٠ فالرِّيق والجِرَّةُ فى سبيلٍ واحد ، كما أنَّ القىء والعَذِرة فى سبيل واحد . ولو أن الكلبَ قَلَسَ حتَّى يمتلئ منه فمه ، ثم رجع فيه من غيرمباينةٍ له ، لكان فى ذلك أحقَّ بالنظافة من الأنعام فى جِرَّتِها ، وحشيِّها وأهليِّها ، وإنَّ الأرانبَ لَتَحِيضُ حيضاً نَتِناً ، فما عاف لحمَها أصحابُ التَّقَذُّرِ(١) لمشاركتِها الأنعامَ فى الجِرَّة .

فقال صاحب الكلب : أمَّا ماعبتموه من أكْلِ العَذِرة ، فإنَّ ذلك عامٌّ فى الماشيةِ المتخيَّرِ لحمُها على اللُّحْمان ؛ لأنَّ الإبل والشياه(٢) كلّها جَلّالة وهُنَّ على يابسِ مايخرُج من الناسِ أحرَصُ ؛ وعلى أنّها إذا تعوَّدت أكلَ ما قد جفَّ ظاهرُه وداخلُه رطبٌ ، رَجَع أمرُها إلى ما عليه الكلب . ثم الدَّجاج لا تَرْضَى بالعَذِرة ، وبما يَبْقَى من الحبوبِ التى لم يأتِ عليها الاستمراء والهضم ، حتَّى تلتمِس الديدانَ التى فيها ، فتجمع نوعين من العذرة(٣) لأنها إذا أكلت ديدان العَذِرَةِ فقد أتَتْ على النَّوْعين جميعاً . ولذلك قال عبد الرحمن بن الحكَمَ(٤) فى هجائه الأنصار بخبيث الطعام ،

(١) ط والأمبروزيانا : « التقزز » وهو الاشمئزاز . والتقذر من تقذر الشىء : عده قذرا .
(٢) فى الأصل : « الشاة » والوجه الجمع كما صنعت .
(٣) ط : « فيجتمع نوعان » .
(٤) ط : « ابن أم الحكم » والصواب ما أثبت من ل . وعبد الرحمن بن الحكم هذا شاعر إسلامى متوسط الحال فى شعراء زمانه . وكان يهاجى عبد الرحمن ابن حسان بن ثابت الأنصارى فيقاومه ، وينتصف كل واحد منهما من صاحبه . له ترجمة فى الأغانى ١٢ : ٦٩ — ٧٣ . وأما عبد الرحمن بن أم الحكم فهو ممن ولى الكوفة وأساء بها السيرة ، وولاه خاله معاوية عدة أعمال فذمه أهلها ، وتظلموا منه فعزله واطرحه . الأغانى ١٣ : ٣٢ .

نضرب المثلَ بالدَّجاج من بين جميع الحيوان ، وترك ذِكر الكلاب وهى له مُعْرِضة فقال :

وَلِلأَنْصَارُ آكَلُ فى قُرَاها لُخبْثِ الأَطْعِمَاتِ مِنَ الدَّجَاجِ[1]

ولو قال :

وللأَنْصَارُ آكَلُ فى قُرَاها لُخِبْثِ الأَطْعِمَاتِ مِنَ الْكِلَابِ

لكانَ الشِّعْر صحيحاً مُرضياً .

وعلى أنَّ الكلابَ متى شبعت ، لم تعرض للعَذِرة . والأنعامُ الجلَّالةُ وكذلك الحافِر ، قد جعلت ذلك كالحَمْضِ إذا كانت لها خَلَّةٌ ؛ فهى مَرَّةً تتغذَّى به ومرة تتحمَّض . وقد جاء فى لحوم الجَلَّالة ماجاء .

(رغبة الملوك والأشراف فى الدجاج)

وملوكُنا وأهلُ العيشِ مِنَّا ، لا يرغبون فى شيءٍ من اللُّحمان رغبَتَهم فى الدَّجاج ، وهم يقدِّمونها على البطِّ والنواهض ، والقَبَجِ والدُّرَّاج . نعم وعلى الجِداء والأَعْنُقِ الحُمْرِ من بَنَاتِ الصَّفَايا . وهم يعرفُون طبعها وسوء قُوتِها[2] ، وهم مع ذلك يأكلون الرَّواعِيَ كما يأكُلون المسمَّنات .

(الشبوط أجود السمك)

وأطيبُ مافى الأنهار من السمك ، وأحسنُها قُدوداً وخَرْطاً ، وأسبطُها سُبُوطا[3] ، وأرفعُها ثمنا وأكثرُها تصرُّفا فى المالح والطرىّ ، وفى

(١) ل : « كخبث » وهو تحريف .

(٢) ط : « وشهوتها » .

(٣) ل : « سباطة » يقال سبط سباطة وسبوطة وسبوطا .

القَرِيسِ والنَّشوطِ الشَّبُّوطُ[١] ، وليس فى الماء سمكةٌ رفيعةُ الذكر ولا ذاتَ خمول ، إلّا وهى أحرصُ على أكْل العَذِرة منها ، وإنّها [فى ذلك[٢]] لَأَشَدُّ طلباً لها من الخنزير فى البرّ ، والجِرّىّ فى البحر .

(لحم الخنزير)

وقد عَلِم الناسُ كيفَ استطابةُ أكلِ لُحومِ الخنازير ، وأكلُ الخنازيرِ لها ، وكيف كانت الأكاسرة والقياصرةُ يقدِّمونها ويفضِّلونها . ١١١
ولولا التعبُّدُ لَجَرَى عندنا مَجْرَاه عندَ غيرِنا .

وقد علِم النَّاسُ كيف استطابةُ أكل الجِرّىّ لأذنابِها[٣] .

(ما قيل فى الجرى)

وفى الجِرّىّ قال أبو كَلْدة : هو أُدْم العُميان ، وجيِّدٌ فى الكَوْشَان[٤] ودواءٌ للكليتين[٥] ، وصالحٌ لوجَع الظهر وعَجْبِ الذَّنب ، وخِلافٌ على اليهود ، وغيظٌ على الروافض ؛ وفى أكله إحياءٌ لبعض السُّنن ، وإماتةُ بعضِ البِدَع ، ولم يُفْلَجْ عليهِ مُكثِرٌ منه قطُّ ، وهو مِحنةٌ بين المبتدِع

(١) فى القاموس : سمك قريس : طبخ وعمل فيه صباغ وترك حتى جمد . وفى مبادىء اللغة ٧٤ : « والقريس : لحم يطبخ بخل ثم يبرد » . وهى فى ط « القريش » وفى ل : « القريص » وهما كلمتان محرفتان . . وأما النشوط فهى كلمة ساقطة من ط . والنشوط : سمك يمقر فى ماء وملح .

(٢) التكملة من الأمبروزيانا .

(٣) فى ط : « لأذنابها محشوا » وفى ل : « لأذنابها محسيا » ومحسيا ومحشوا كلمتان مقحمتان فأسقطتهما . واللام فى « لأذنابها » بمعنى إلى .

(٤) الكوشان : طعام لأهل عمان من الأرز والسمك .

(٥) ط : « فى الكليتين » وهو تحريف .

والسُّنِّى ، هلك فيه فِئَتَانِ[1] مذْ كانت الدنيا : محلِّلٌ ومحرِّم .

وقال أبو إسحاق : هو قبيح المنظر ، عارى الجلدِ ، ناقصُ الدّماغِ ، يلتهم العَذِرة ويأكل الجرذان[2] [صحاحاً والفأرَ] ، وزَهِمٌ لا يُستَطاعُ أكلُه إلّا محسيًّا[3] ولا يتصرَّفُ تصرُّفَ السمك ، وقد وقع عليه اسم المِسْخ ، لا يَطِيب مملوحاً ولا ممقوراً ، [ولا يؤكل] كباباً ، ولا يُختارُ مطبوخاً ، ويُرمَى كلُّه إلّا ذنَبه[4] .

والأصناف التى تعرض للعَذِرة كثيرة ، وقد ذكرنا الجلَّالاتِ من الأنعامِ والجِرِّىِّ والشَّبُّوطِ من السمك . ويعرِض لها من الطير الدَّجاجُ والرَّخَمُ والهَداهِد .

(الأنوق وما سمى بهذا الاسم)

وقد بلغ من شَهوة الرَّخَمَة لذلك ، أنْ سمَّوها الأنوق ، حتى سمَّوا كلَّ شىْءٍ من الحيوان يعرِض للعذِرة بأنوق ، وهو قول الشاعر :

حتّى إذَا أضحى تَدَرَّى واكتحل بجارتَيــــه ثم ولّى فنثلْ

* رِزقَ الأُنُوقَينِ القَرَنْبَى والُجعَل[5] *

---

(١) ط : « فتيان » وليس بشىء .

(٢) ط : « يلتقم العذرة ويبتلع الجرذان » .

(٣) هذا مافى ل . وانظر ماسيأتى فى ٥ : ٤٥٢ و ٦ : ٣٥٩ ، وكتاب الطبيخ للبغدادى ٦٤ حيث ذكر صفة المحسّى . وفى سائر النسخ « محسوا »

(٤) ل : « بكله إلا ذنيبه » .

(٥) فى الأصل : « ذرق » صوابه من ٣ : ٥٠٣ .

(ما قيل من الشعر فى الُجعَل)

ولشدّة طلب الجعل لذلك قال الشاعر :

يَبِيت فى مجلس الأقوام يَربَؤُهم كَأَنّه شُرَطىٌّ بَاتَ فى حَرَس

وكذلك قال الآخر [1] :

إذا أتوه بطعامٍ وأَكَلْ [2] بَاتَ يعشِّى وَحْدَه ألفَىْ جُعَل

هذا البيتُ يدلُّ على عِظَم مقدار النَّجْو ، فهجاه بذلك ، وعلى أنَّ الُجعَل يقتات البَراز .

وفى مثل ذلك يقول ابن عَبْدَل — إن كان قاله — وإنما قلت هذا لأنَّ الشعر يَرتفِع عنه .

والشعر قوله :

نِعْم جارُ الخنزيرةِ المرضعُ الغر ثى إذا ما غدا أبو كلثومِ [3]

ثاوياً قد أصابَ عند صديقٍ من ثَريدٍ ملبَّقٍ مأْدُوم [4]

ثم أنحى بجَعره حاجبَ الشمـ سِ فألقَى كالمِعْلَفِ المَهْدُوم [5]

بضَريطٍ ترى الخنازير منه عامداتٍ لتلِّهِ المركومِ

١١٢ وقال الراجز [فى مثل ذلك] :

قد دقَّهُ ثارِدُهُ وصَوْمَعَا [6] ثُمَّتَ ألبانَ البَخاتِى جَعْجَعَا

---

(١) ط : « ولذلك قال الشاعر » وهو تحريف .

(٢) هذا البيت ساقط من ل .

(٣) ط : « نعم جاز الخنزيرة المرضع الفرثى » ، وتصحيحه من ل ومن البيان ٣ : ٣١١ .

(٤) ثريد ملبق : ملين بالدسم .

(٥) ط : « ثم أنحى بجماه » وهو على الصواب فى ل والبيان .

(٦) ط : « فردقة ثاردة » وهو تصحيف مافى ل . فى القاموس : ثريدة مصومعة : مدققة الرأس .

جَعْجَعَةَ العَوْدِ ابْتَغَى أنْ يَنْجَعا[١] ثُمَّتَ خوَّى بارِكاً واسْتَرْجَعا

* عَن جاثِمٍ يُحْسَبُ كلباً أبقعا[٢] *

وفى طلب الجُعَل للزِّبْلِ قال الراجز (وهو أبو الغُصْن الأسَدى) :

ما ذا تلاَقى طَلَحَاتُ الحرجه من كل ذات بُخْنقٍ غَمَلَّجه[٣]

ظَلَّ لها بَيْنَ الحلال أرَجَه[٤] مِنَ الضُّرَّاطِ والفُسَاءِ السمجه[٥]

فجئتُها قاعِدَةً منشجه[٦] تعطيه عنها جُعَلاً مُدحرجَه

وقال يحيى الأغرّ : تقول العرب « سَدكَ به جُعَلُه[٧] ». وقال الشاعر :

إذا أتيتُ سُليمَى شَبَّ لى جُعَلٌ إنَّ الشقيَّ الذى يُغْرَى به الجُعَلُ[٨]

يضرب هذا المثلُ للرَّجل إذا لَصِقَ به من يكره ، وإذا كان لايزال يراه [وهو] يهرُب منه .

قال يحيى : وكان أصلُه ملازمةَ الجُعَل لمن بات فى الصحراء ، فكلَّما قام لحاجةٍ تبِعه ؛ لأنَّه عنده أنَّه يريد الغائط .

(القرنبى)

وفى القَرَنْبَى يقول ابنُ مقبل :

---

(١) ط : « جعجعة العواء تبغى تنجعا » وهو كلام مشوه تصحيحه من ل .

(٢) فى القاموس : « البقع محركة فى الطير والكلاب كالبلق فى الدواب » وفيه : « البلق : سواد وبياض » وفى ل : « كبشا أبقعا » والوجه ماأثبت من ط .

(٣) ط : « نجنق » ولا معنى له وصوابه فى ل . والبخنق : خرقة تتقنع بها الجارية .

(٤) ل : « بين الحجال »

(٥) ل : السمهجة » .

(٦) ل : « مفسحة » .

(٧) ط : « سرك به جعله » وإنما هى سدك – بمعنى لزم – كما فى ل . وفى الأمثال : « ألصق من جعل » .

(٨) شب ، أى أتيح . وعنى بالجعل الواشى . أمثال الميدانى ٢ : ١٨٠ .

ولا أطرُق الجارات بالليل قابعاً قُبُوعَ القَرَنْبَى أخلفَتْه مجاعره (١)

والقبوع: الاجتماع والتقبض. والقَرَنْبى: دويْبَّةٌ فوق الخُنفَساء ودون الجعل، وهو والجعل يتْبعان الرَّجلَ إلى الغائط.

(الهدهد وخبث ريحه)

ومن الطَّير الذى يُضارِع الرَّخمة فى ذلك الهدهدُ، منتنُ البَدَن وإن لم تجدْه ملطخاً بشىءٍ من العَذِرة؛ لأنَّهُ يبنى بيته ويصنع أُفحوصَه من الزِّبل، وليس اقتياتُه منه إلاَّ على قدْر رغبتِه وحاجته فى ألاَّ يتَّخذ بيتاً ولا أُفحوصاً إلاَّ منه، فخامَرَه [ذلك] النَّتْنُ فعَلِق ببدنه وجرى فى أعراق أبويه؛ إذ كان هذا الصنيع عامًّا فى جنسه (٢).

وتعترى هذه الشَّهْوةُ الذِّبان، حتَّى إنَّها لو رأتْ عسلاً وقذَرا، لكانت إلى القذَر أسرعَ. وقال الشاعر (٣):

قَفاً خَلْفَ وَجْهٍ قَدْ أُطِيلَ كأنَّه قفامالِكٍ يُقْصِى الهُمومَ عَلَى بَثْقِ (٤)
وأعظمُ زهوًا من ذُبابٍ على خِرًا (٥) وأبخَلُ من كَلْبٍ عَقُورعلى عَرْقِ (٦)

ويزعمون أنَّ الزُّنبورَ لهِجٌ بصيد الذِّبان، ولا يكاد يصيده (٧) إلاَّ وهو

---

(١) ط وأمثال الميدانى ٢ : ١٨٠. «محاجره» وأثبت مافى ل.
(٢) ط : «إذ كان هذا التضييع عاما فى جنبه» وهو تحريف مافى ل.
(٣) هو أبو نواس الحسن بن هانئ كما سيأتى وكما فى البيان ٣ : ٣٥٤ وعيون الأخبار ١ : ٢٧٣ والشعراء ٧٦٠. والشعر فى هجاء جعفر بن يحيى البرمكى.
(٤) البثق : منبعث الماء. ماعدا ل : «ثبق».
(٥) ل : «خر».
(٦) العرق بالفتح : العظم بلحمه. فإذا أكل لحمه فعراق - كغراب - أو كلاهما لكليهما.
(٧) ط : «يصيد» والوجه مافى ل.

ساقطٌ على عذرة لفَرْط شَهْوتِه لها [ولا ستفراغها]، فيعرِف الزُّنبور ذلك ، ٩١٣
فيجعل غَفلتَه فُرصة ونُهْزة . قالوا : وإنَّما قلنا ذلك لأنَّا لم نجِدْه يرومُ صيدَه
وهو ساقِطٌ على ثمرةٍ ، فما دونها في الحلاوة .

(شعر في الهجاء)

وقال أبو الشَّمقمق في ذلك :

الطَّرِيقَ الطَّرِيقَ جاءكُمُ الأحـــمقُ رأس الأنتانِ والقَذِره
وابنُ عمِّ الحمارِ في صورةِ الفيـــلِ وخالُ الجاموسِ والبقَره
يمشي رُويداً يريد حَلْقتـكم كمشي خِنزيرةٍ إلى عَذِره (١)

وقال حَمَّادُ عَجْرَد في بشَّارِ بْن بُرْدٍ العُقَيليّ :

ما صَـوَّرَ الله شِبْهاً لَه مِنْ كلِّ مَنْ مِنْ خَلْقِه صَوَّرا
أَشْبَهَ بِالخِنزيرِ وجهاً ولا بالكلب أعراقاً ولا مَكْسِرا (٢)
ولا رأينا أحـداً مثله أنجَسَ أو أطْفَسَ أو أقذرا (٣)
لو طُلِيتْ جِلدتُه عنـبراً لنتَّنت جِلْدتُه العَنْبرا (٤)
أو طُلِيت مِسكاً ذَكيًّا إذَنْ تحوَّلَ المِسْكُ عليه خرَا

وقال أبو نُواس في هِجاء جَعْفرِ بْنِ يحيى بن خالد البرمَكيّ :

إذا ما مدحتُ فتًى من خرَا أليس جزائي أنْ أُعطَى الخرَا (٥)

وقال أعرابيٌّ يهجو رجلاً يقال له جُلمود بن أوس ، كان مُنتِنَ العرق :

(١) ط : « يريد خلعتكم مشى » والوجه ما في ل .
(٢) المكسر — كمنزل — : الأصل والمخبر .
(٣) الطفس بالتحريك : قذر الإنسان إذا لم يتعهد نفسه . وطفس كقذر وزنا ومعنى .
(٤) في شرح المقامات للشريشي ٢ : ١١٤ : « لأفسدت » .
(٥) ط : « من خرى » ل « من خر » . وفي ط : « أعطى الخرا » .

إنِّى إذا ما عارضى تألَّقا[1] ورَعَدت حافته وبَرَقا
أهلكتُ جُلمودَ بنَ أوس غَرَقا كانَ لحمقاء فصارَ أحمقَا

* أخبث شيءٍ عَرَقاً وخِرَقاً[2] *

وقال حَمَّادُ عَجْرَدٍ فى بَشَّار :

يا ابنَ بُرْدٍ اخسَأ إليك فمثلُ الـ ـكلبِ فى الخلق أنْتَ لا الإنْسَانِ[3]
بَلْ لعَمْرى لأَنْتَ شَرٌّ من الكلـــبِ وأولَى منْه بكلِّ هَوَانِ
ولَريحُ الخِنْزِيرِ أطيَبُ مِنْ رِيـــحِكَ يا ابْنَ الطَّيان ذى التُّبَّانِ

وقال بعض الشعراء فى عبد الله بن عُمير :

١١٤ غزَا ابنُ عُميرٍ غزْوةً تركَتْ له ثَناءً كَريحِ الجَوْرَبِ المتخرقِ

وقال حمَّادُ عَجْرَدٍ فى بشَّار[4] :

قُلْ لشَقِىٍّ الجدِّ فى رَمْسِه ومَن يفِرُّ الناسُ من رِجْسِه[5]
لِلقِردِ بَشَّارِ بْنِ بُردٍ ولا تَحْفِل برغم القرد أو تَعسه[6]
للقِرْدِ باللَّيْثِ اغترارٌ به فما الَّذى أدناك من مَسِّه[7]
يا ابنَ استِها فاصبِرْ على ضَغْمةٍ بنابِه يا قِردُ أَوْ ضِرْسِه
نهــارُه أخبثُ من ليلِــه ويومُه أخبثُ من أمسِــه

---

(١) ط : « إذا عارضى تألقا » .
(٢) ط : « أحرقا وعرقا » .
(٣) فى ط نقصان كلمة (إليك) وبذلك يختل البيت . والشعر من الخفيف لحقه التشعيث فى البيت الأول والثالث . وانظر الأغانى ٣ : ٢١ .
(٤) الشعر فى أمالى المرتضى ١ : ٩٣ ومعاهد التنصيص ١ : ١٠٠ .
(٥) ل : « . . . فى رمسه وأمه الشلافة الرجسة » وهو تحريف .
(٦) ط : « نحسه » ولعلها « نحسه » وأثبت ما فى ل .
(٧) ل : « ماالذى أدناك » .

وليس بالمُقلِعِ عن غَيِّه[1] حتى يُدلَّى القِردُ فى رَمْسِه
ما خَلَقَ اللهُ شبيهاً له من جِنِّهِ طُرًّا ومن إنسِهِ
واللهِ ما الخِنزيرُ فى نَتْنِه من رُبْعِه بالعُشْرِ أو خُمْسِهِ
بل ريحُه أطيبُ من ريحِهِ ومسُّه أليَنُ مِن مسِّهِ
ووجهُه أحسنُ من وَجهِهِ ونفسُه أنبَلُ من نفسِهِ
وعودُه أكرمُ من عُودِهِ[2] وجِنسُه أكرمُ من جِنسِهِ

وأنا حفظك الله تعالى أستظرِف وضعَه الخنزيرَ بهذا المكان وفى هذا الموضع ، حين يقول : وعُودُه أكْرَمُ من عُودِهِ .

وأيُّ عودٍ للخنزير[3] ؟ ! قبّحه الله تعالى ، [وقبح من يشتهى أكله] .

وقال حمّادُ عجرد فى بشّارِ بن بُرد :

إنَّ ابنَ بُردٍ رأى رُؤيَا فأوَّلَهَا[4] بلا مَشُورةِ إنسانٍ ولا أَثَرِ
رأى العَمَى نِعمةً لله سابغة عليه ، إذ كانَ مكفوفاً عن النَّظرِ
وقال : لولَمْ أكُنْ أعمَى لكنتُ كما قد كانَ بُرْدٌ أبِى فى الضِّيقِ والعُسُرِ
أكدُّ نفسىَ بالتطيين مجتهداً إمَّا أجيراً وإمَّا غيرَ مُؤتجِرِ
أو كنتُ إنْ أنا لم أقنَعْ بفعلِ أبى قَصَّابَ شاءٍ شَقِىَّ الجَدِّ أو بَقَرِ
كإخوتى دائباً أشقَى شقاءَهُمُ فى الحرِّ والبردِ والإدلاجِ وَالْبُكَرِ
فقد كفانِى العَمَى من كلِّ مَكْسَبَةٍ والرِّزقُ يأتِى بأسبابٍ من القَدَرِ[5]

---

(١) كذا فى معاهد التنصيص . وفى ط : « غيله » و ل : « فعله » .
(٢) ط : « أحسن » وارتضيت ما فى ل ومعاهد التنصيص .
(٣) ط : وعوده أكرم من عوده أين عود الخنزير من الكرم » . ووضع الكلام بهذه الصورة من تلاعب النساخ . وقد رددت الأمر إلى نصابه ، معتمدا ما فى ل .
(٤) ل : « فقال بها » .
(٥) ط : « بأنواع من القدر » .

نصرتُ ذا نَشَبٍ من غير ما طلب ... إلاَّ بمسألتى إذ كنت فى صِغَرِى(١)

أضمُّ شيئاً إلى شىءٍ فأذخره(٢) ... ممَّا أجمِّع من تمر ومن كِسَرِ

مَنْ كان يعرفُنى لو لم أكن زَمِناً ... أو كان يبذُل لى شيئاً سِوى الحَجَر؟!

فقُل له لا هَداه اللهُ مِن رجُلٍ ... فإنَّها عُرَّةٌ تُربِى على العُرَر(٣)

لقد فطِنتَ إلى شىءٍ تعيش به ... ياابنَ الخبيثة قد أدقَقْتَ فى النظر(٤)

ياابنَ التى نَشَزَت عن شيخ صِبْيَتِها ... لأَيرِ ثوبانَ ذى الهامات والعُجَر(٥)

أما يكفُّكَ عن شتْمِى ومنقَصَتِى ... ما فى حِرامِّك من نَتْن ومن دَفَرِ(٦)

نفتْكَ عنها عُقَيلٌ وهى صادقة ... فسل أسيداً وسل عنها أبا زُفَرِ(٧)

ياعبدَ أمِّ الظباء المستطبِّ بها ... من اللَّوَى، لستَ مولى الغُرِّ من مُضَر

بل أنتَ كالكلب ذُلاً أو أذلُّ وفى ... نَذَالةِ النفس كالخنزيرِ واليَعَر(٨)

وأنتَ كالقردِ فى تشويه منظرِه ... بل صورةُ القردِ أبهى منك فى الصُّوَرِ

ووصف ابنُ أبى كريمة حُشًّا له، كان هو وأصحابه يتأذَّون بريحه فقال:

ولى كَنيفٌ بِحَمْدِ الله يطرقنى ... أرواح وادى خبال غير فَتَّار(٩)

---

(١) ط: «إلا بمسئلتى إن كنت فى صفر» وهو تحريف.

(٢) ط: «فأحرزه».

(٣) العرر: المساوى والمثالب. فى ط: «لاهداك الله».

(٤) ط: «لاقد» وهو تحريف، وفيها «قد وفقت فى النظر».

(٥) ط: «عن شيخ مبيتها لايرميان بذى» وهو تحريف.

(٦) كذا فى ل. وفى ط: «ذفر» بالذال. وهما بمعنى. فى أدب الكاتب ١٥٧: «الذفر: شدة ريح الشىء الطيب والشىء الخبيث».

(٧) ط: «فسل أسيد أو فاسأل».

(٨) اليعر، ساكنة العين: الشاة أو الجدى يشد عند زبية الذئب أو الأسد. ومن أمثالهم: «هو أذل من اليعر». وقد جاء محركا فى هذا الشعر. وفى ط: «وفى نذالة النفس والخنزير والنقر».

(٩) كذا فى ل. وفى ط: «وارى خيال»، وفى س: «وادى خيال» وفى م: «واد خبال».

له بدائعُ نَتْن ليس يَعرِفها(١) من البَرِيَّةِ إلاّ خازِنُ النّارِ
إذا أتانى دَخِيلٌ(٢) زادَنِى بِدَعاً كأنّهُ لَهِجٌ عَمْداً بإضرارِى
قد اجتوانِى له الخُلاّنُ كلُّهُم وباعَ مَسْكَنَه مِن قُرْبِه جارى
فمن أرادَ من البِرْسَامِ أقتَلَهُ أو الصُّدَاعِ فمُرْه يدخُلَنْ دارى
استكشَفَ النَّتنُ فى أنفِى لكثرتِه فليس يوجِدُنيه غيرُ إضمارى(٣)

(ثروة المحلول من الشعر)

وقيل للمحلول(٤) : ويلكَ ، ما حفظتَ بيتَ شعرٍ قط ؟ فقال : بيتاً واحداً اشتهيته فحفظتُه . فقيل له : فهاته . فقال : أمَا إنِّى(٥) لا أحفَظُ إلاّ بيتاً واحداً . قيل : فكيف رزق منك هذا البيت ؟ فأنشِدْهُ ، فأنشدَهم :

كأنّما نَكْهتُهَا مِدّةٌ تَسِيلُ من مَخْطَةِ مجْذُومِ

وزعم أصحابنا أنّ رجُلاً من بنى سعد — وكان أنتنَ الناس إبطاً — بلَغه أن ناساً من عبد القيس يتحدَّثونَه برجلٍ منهم ، فمضى إليهم شدًّا ، فوافاهم 116
وقد أَزْبَدَ(٦) إبطاه ، وهو يقول :

أقبلتُ مِنْ جَلْهَةِ ناعتينا(٧) بِذِى حُطاطٍ يُعطِسُ المخنُونا(٨)

(١) كذا فى ط . وفى ل : « يعجزها » وليس بشىء .
(٢) ط : « بخيل » موضع « دخيل » .
(٣) يوجدنيه : يجعلنى أشعر بوجوده . وفى ط : « يوجد فيه » وهو تحريف .
(٤) روى الجاحظ خبرا له فى البيان ٣ : ٢٢٦ . وفى البخلاء ٩٩ مايفيد أن المحلول مولى لتمام بن جعفر .
(٥) فى الأصل : « أما أنا » .
(٦) ط : « زبد » .
(٧) فى معجم البلدان والقاموس أن « ناعتين » موضع ؛ ولم يعينه واحد منهما . . وفى ط : « باعثينا » محرفة .
(٨) الحطاط بالضم : الرائحة الخبيثة . والمخنون : المزكوم ؛ وأصله من الخنان فى الإبل وهو لها كالزكام للناس . . وفى ط : « بسذى حضيض يعطش المجنونا » وهو تحريف .

يَزْوِى له من نتْنه[1] الجَبينا حتَّى تَرَى لوجهِه غُضُونا
* نُبِّئْتَ عبدَ القيس يَأْبِطونا *

قال : ومتَح أعرابىٌّ على بئرٍ وهو يقول :

يارِيَّها إذا بَدا صُنَانِى كأنَّنِى جانى عُبَيْثَرانِ[2]

وقال آخر :

كَأنَّ إبطَىَّ وقد طالَ المدى نَفْحَةُ خُرْءٍ من كَوَامِيخ القرى[3]

ويقال إنَّهُ ليس فى الأرض رائحةٌ أنتنُ ، ولا أشَدُّ على النفس ، من بَخَر فمٍ أو نَتْنِ حِرٍ ، ولا فى الأرض رائحةٌ أعصمُ لرُوحٍ من رائحة التفاح .

وقال صاحب الكلب : فما نرى النَّاسَ يَعافُون تسميدَ بُقولِهم قبل نُجومِها وتفتُّقِ بزورها[4] ولا بعد انتشارِ ورقها وظهورِ موضع اللُّبِّ منها حتَّى ربَّما ذَرُّوا عليها السَّمادَ ذَرًّا ، ثُمَّ يُرْسَل عليها الماءُ حتى يَشْرَبَ اللُّبُّ[5] قُوى العذرة ، بل مَن لهمْ بالعَذِرة ؟ ! وعلى أنَّهُم ما يصيبونها إلاّ مغشوشةً مُفْسَدَة . وكذلك صنيعُهم فى الريحان . فأمَّا النَّخْلُ فلو استطاعوا[6] أن يَطْلُوا بها الأجذاعَ طلياً[7] لفعلوا . وإنَّهم لَيُوقدون بها

---

(١) ط : « من شمه » .

(٢) العبيثران . قال ابن سيده : « هو من ريحان البر طيب الريح ، قريب الشبه من القيصوم ونوره مثل نورد وهو أطيب منه . . . وقيل هو أغبر شبيه بالقيصوم إلا أن له شمراخا مدلى ، عليته نور أصفر شبيه بالذى يكون فى وسط الأقحوان . ويوضع فى المجالس مع الفاغية فلا يفوقه ريحان » . وهى فى ط : « عبيثرانى » محرفة .

(٣) النفحة : الدفعة . . وهى فى ط : « لقحة » . وانظر عيون الأخبار ٣ : ٦٣ .

(٤) ل : « بذورها » بالذال ، وهما بمعنى .

(٥) ط : « يشرب موضع اللب » و « موضع » مقحمة .

(٦) ط : « استطالوا » وهو تحريف مافى ل .

(٧) ط : « طلبا » وهو تحريف ظاهر .

الحَمَّاماتِ وأَتاتينَ المِلَال(١) ، وتنانير الخبز . ومن أكرم سَمادهم الأبعارُ كلُّها والأخثاءُ إذا جفَّت . وما بينَ الثَّلط جَافا والخثاء يابساً ، وبين العَذِرة جافَّةً ويابسةً فرق . وعلى أنَّهم يعالِجون بالعَذِرة وبخُرْءِ الكلب ، من الذُّبحة والخانُوق(٢) فى أقصى مواضِع التقزُّز(٣) وهو أقصى الحلق ، ومواضع اللهاة(٤) ، ويضعونَها على مواضع الشَّوكة ، ويعالجون بها عُيونَ الدَّوابِّ .

(أقوالٌ لمسبِّحٍ الكناس)

وقال مسبِّح(٥) الكناس : إنَّمَا اشتُقَّ الخير من الخُرْءِ . والخرء فى النوم خير . وسَلْحَةٌ مُدرِكَةٌ ألذُّ مِن كَوْمِ العَروس ليلةَ العُرس . ولقد دخلتُ على بَعْضِ الملوك لبعض الأسباب ، وإذا به قُعاصٌ وزُكام وثِقَلُ رأس ، وإذا ذلك قد طاولَه ، وقد كان بلغنى أنَّه كان هجَر الجلوس على المقعدة وإتيانَ الخلاء ، فأمرتُه بالعَود إلى عادته ، فما مَرَّت به أيامٌ حتى ذهب ذلك(٦) عنه .

وزعم أنَّ الدنيا مُنتِنة الحِيطان والتُّرْبةِ ، والأنهار والأودية ، إلاّ أنَّ النَّاسَ قد غمرهم ذلك لنَتْن المحيط بهم ، وقد مَحَقَ حِسَّهم له طولُ مُكثِه ١١٧ فى خياشيمهم . قال : فمن ارتابَ بخبرى ، فليقِفْ فى الرَّدِّ إلى أن يمتحنَ ذلك فى أوَّل ما يخرجُ إلى الدنيا ، عَنْ بيتٍ مطيَّب ؛ وليتَشَمَّمْ(٧) تشمُّمَ

---

(١) المليل : الخبز واللحم وضعته فى الملة . والملة : الرماد الحار . وفى ل : « القلال » .
(٢) الذبحة : وجع فى الحلق أو دم يخنق فيقتل . وفى ط : « الخانوق » موضع الخانوق .
(٣) ط : « التقفزر » وهو تصحيف مافى ل .
(٤) ط : « ومواضع اللهات » وهو تحريف .
(٥) ط : « مسيح » .
(٦) ط : « حتى ذهبت عنه » .
(٧) ط : « ليشم » .

المتشيِّث . عَلَى أنّ البقاعَ تتفاوت في النتن . فهذا قولُ مسبّح[1] الكنّاس .

(عصبية سلمويه وابن ماسويه)

وزعم لى سَلْمَوَيه وابن ماسَوَيه مُتطبِّبا الخلفاء[2] ، أنَّه ليس على الأرض جيفةٌ أنتنُ نَتْناً ولا أَثْقَبُ ثُقوباً من جيفةِ بعير ، فظننتُ أنَّ الذى وهّمهما ذلك عَصَبِيَّتُهُمَا عليه ، وبغضُهما لأربابه ، ولأنَّ النّبيَّ صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، هو المذكورُ في الكتب براكب[3] البعير . [ويقال إن الحجّاج قال لهم : أىُّ الجيَفِ أنتن؟ فقيل : جِيَف الكلاب . فامتحنَتْ فقيل له : أنتن منها جيف السنانير ، وأنتن جيفها الذكورُ منها . فصلب ابن الزُّبير بين جِيفَتَيْ سنّورين ذكرين[4]] .

(أطيب الأشياء رائحة وأخبثها)

وأنا أقول في النتن والطِّيب شيئاً ، لعلَّك إن تفقّدته أن توافقَنى عليه وترضى قولى . أمَّا النتن فإنِّى لم أشمَّ شيئاً أنتنَ من ريحِ حُشٍّ مقيَّر ، يبول فيه الخِصيان ولا يُصَبُّ عليه الماء ؛ فإنّ لأبوالهم المترادفة المتراكبة[5] ولريح القار وريح هواءِ الحشّ[6] وما ينفصل إليه من ريح

---

(١) ط : « مسيح » .

(٢) سلمويه هو ابن بنان ، خادم المعتصم . ترجم له القفطى ١٤٣ ، وابن النديم ٢٩٦ ليبسك ، ٤١٢ مصر . . وأما ابن ماسويه فهو أبو زكريا يحيى أو يوحنا . خدم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل ، كما فى الفهرست ٢٩٥ ليبسك ، ٤١١ مصر . وفى ط : « مطيب الخلفاء » وصحته فى ل .

(٣) ط : « بركوب » .

(٤) فى المعارف ٩٩ أنه صلب حيث أصيب .

(٥) ط : « لأبوالهم المتراكة » .

(٦) ط : « ولريح الغار وريح دوانه » وهو كلام محرف .

البالوعة — جهةً من النَّتْن ومذهباً فى المكروه ، ليس بينــه وبين الأبدان عمل ، وإنَّما يقصد إلى عين الرُّوح وصميم القلب ، ولا سيَّما إذا كان الخلاء غيرَ مكشوف ، وكان مغموماً غيرَ مفتوح . فأمَّا الطِّيب فإنِّى لم أشْمَمْ رائحةً قطُّ أحيا للنفس ولا أعصَمَ للرُّوح ، ولا أفتَقَ ولا أغنج ، ولا أطيب خمرة من ريح عَروس[1] ، إذا أُحكِمت تلك الأخلاط ، وكان عَرْف [بَدَنها] ورأسِها وشعرها سالماً . وإن كانت بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإنّك ستجد ريحاً تعلَمُ أنّهُ ليس فوقَها إلاّ ريحُ الجنة .

(ما قيل فى الظربان)

ومما قالوا فى النَّتْن ، وفى ريح جُحْرِ الظَّرِبان خاصَّــة ، قول الحكم ابن عَبْدَل :

أَلقيتَ نفسَكَ فى عَرُوضٍ مَشَقَّةٍ   ولَحَصْدُ أنفِكَ بالمَناجِل أَهْوَنُ[2]
أنت امرؤٌ فى أرضِ أمِّكَ فُلفلٌ   جَمٌّ وفُلفُلنا هُناك الدِّنْدِنُ[3]
فبحقِّ أمِّك وهى منك حقيقةٌ   بالبرِّ واللُّطفَ الذى لا يُخزَنُ
لا تُدْنِ فاكَ من الأمير ونحِّه   حتَّى يُداوِىَ مابأنْفِكَ أَهْرَنُ[4]
إن كان للظِّربانِ جُحْرٌ مُنتِنٌ   فلَجُحْر أنفك يا محمَّدُ أنتَنُ

---

(١) ل : « مشطة امرأة » .

(٢) العروض : الناحية ، والطريق فى عرض الجبل فى مضيق .

(٣) الدندن : ماأسود من نبات أو شجر ، وأصل الصليان .

(٤) هو أهرن القس بن أعين . الفهرست ٢٩٧ ليبسك ، ٤١٣ مصر ، والقفطى ٥٧ وفى ط : « أهون » والصــواب فى ل وفيــها سيأتى قريبا ، وفى عيــون الأخبار ٤ : ٦٢ . وانظر الأغانى ٢ : ٤٢٤ دار الكتب ، والشعر فيه تحرف .

وقال الربيع بن أبى الحُقَيق — وذكر الظَّرِبان — حينَ رمى قوماً بأنّهم يَفسُون فى مجالسهم ، لأنّ الظَّرِبان أنتنُ خلْقِ الله تعالى فَسْوةً . وقد عَرَف الظَّرِبانُ ذلك فجعَلَه من أشَدِّ[1] سِلاَحِهِ ، كما عرَفَتِ الحُبارَى مَافى
١١٨ سُلاَحِها من الآلة ، إذا قرب الصقر منها . والظَّربانُ يدخل على الضبِّ جُحرَه وفيه حُسوله أو بيضُه ، فيأتِى أضيقَ موضعٍ فى الجُحر فيسدُّه بيديه ، ويحوِّل استَه فلا يفسو ثلاثَ فَسَوَاتٍ حتى يُدَارَ بالضبِّ فيخِرَّ[2] سكرانَ مغشيًّا عليه ، فيأكله ، ثم يقيم فى جُحره حتَّى يأتِىَ على آخِر حُسوله .

وتقول العرب : إنّه ربَّما دخَل فى خِلال الهَجْمة فيفسو ، فلا تتِمُّ له ثلاثُ فَسَواتٍ حتى تتفرَّق الإبل عن المبْرَك ، تتركه وفيه قِرْدان فلا يردُّها الراعى ، إلاّ بالجَهْدِ الشديد .

فقال الربيع ، وهجاهم [أيضا] بريح التُّيوس :

قَليلٌ غَنَاؤُهُمُ فِى الهِياجِ ... إذَا مَا تَنَادَوْا لأمرٍ شديدِ
وأنتمْ كِلاَبٌ لَدَى دُورِكم ... تهِرُّ هريرَ العَقور الرَّصُودِ[3]
وأنتم ظَرَابىُّ إذ تجلسونَ ... وما إنْ لنا فيكمُ من نَديدِ[4]
وأنتم تيوسٌ وقد تُعْرَفونَ ... بريحِ التُّيوسِ وقُبْحِ الحدودِ[5]

قال : ويقال : « أفسى من الظَّرِبان » ويسمَّى مفرِّقَ النَّعَمِ ، يريدون من نَتْن ريحِ فُسَائه . ويقال فى المثل — إذا وقعَ بين الرجُلين

---

(١) ط : « أحد » .
(٢) ط : « فيحز » وصوابه فى ل وثمار القلوب ٣٣٣ .
(٣) ط : « الصرود » .
(٤) نديد : مثيل ، وفى ط : « مزيد » وهو تحريف مافى ل وثمار القلوب .
(٥) ط : « الجدود » وفى الثمار : « ونتن الجلود » .

شرٌّ فتباينَا وتقاطَعَا — : « فسَا بَيْنَهُمَا ظَرِبَان » . ويقال : « أنتَن مِنْ ظربان » لأنَّ الضبّ إنّما يخدع(١) فى جُحْره ويُوغِل فى سِرْبه لشدَّة طلب الظّرِبان له . وقال الفرزدق فى ذلك :

ولوكنتُ فى نارِ الجحيم لأصبَحَتْ … ظَرَابِىُّ من حِمَّانَ عنِّى تثيرها(٢)

وكان أبو عُبيدة يُسمِّى الحِمَّانِىَّ صاحبَ الأصَمِّ : الظَّرِبان(٣) ، يريد هذا المعنى ، كما يسمى كل حِمَّانِىٍّ(٤) ظَرِبَانا .

وقال ابن عَبدَلٍ :

لا تُدْنِ فاكَ من الأميرِ ونحِّه … حتَّى يداوِىَ ما بأنْفِك أهْرَنُ

إن كانَ للظَّرِبان جُحرٌ مُنتِنٌ … فلَجُحر أنفِك يا محمَّدُ أنتن

فى شعره الذى يقول :

ليتَ الأميرَ أطاعَنِى فشفيتُه … من كلِّ مَن يُكْفِى القصيدَ ويَلْحَنُ

متُكَوِّرٌ يَحْثُو الكلام كأنَّما … باتَتْ مناخِرُهُ بدُهْنٍ تُعْرَنُ(٥)

وبَنَى لهم سِجناً فكنتُ أميرَهم … زَمناً فأضربُ مَنْ أشاءُ وأسجُنُ

قل لابنِ آكِلة العِفَاصِ محمَّدٍ … إن كنتَ من حبِّ التقرُّب تجبُنُ(٦)

ألقيْتَ نفسَك فى عَروضٍ مَشَقَّةٍ … ولَحَصْدُ أنفِك بالمناجِلِ أهْوَنُ ١١٩

أنتَ امرؤٌ فى أرضِ أمِّك فلفلٌ … جَمٌّ وفلفلنا هناك الدَّنْدِن

(١) خدع الضب فى جحره : دخل . وفى ط : « ينخدع » وهما بمعنى .
(٢) البيت فى النوادر لأبى زيد ٢١١ . وفى ط : « تشير » فقط بدل « تثيرها » وليس بشىء .
(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « يسمى الحمانى صاحب الأحم » فقط.
(٤) فى الأصل « حمان » والوجه ماأثبت .
(٥) كوره فتكور : صرعه فصرع ؛ أو هو من تكور : سقط . ويحثو : يلقى . وفى ط : « متكورا » محرفة . وفى ط : « يحسو » محرفة .
(٦) ل : « قد كدت من حب التعزب تحتن » وهو تحريف مافى ط وما فى م .

فبحقِّ أمِّكَ وهى منك حقيقةٌ ... بالبرِّ والألطفِ الذى لا يُخْزَنُ (١)
لا تُدْنِ فاكَ من الأميرِ ونحِّهِ ... حتَّى يُداوِىَ ما بأنفِك أهْرَنُ
إنْ كانَ للظَّرِبانِ جُحْرٌ منتِنٌ ... فلَجُحْر أنفِك يا محمَّدُ أنتَنُ (٢)
فسَلِ الأميرَ وَأنْتَ غيرُ موفَّقٍ ... وبَنُو أبيهِ للفَصاحة مَعْدِنُ
وسَلِ ابْنَ ذَكْوانٍ تَجِدْهُ عالِماً ... بسَلِيقةِ العُرْب التى لا تَحزُنُ (٣)
إذْ أنتَ تجعَلُ كلَّ يومٍ عفصةً (٤) ... فتجيدُ ما عملت يَداك وتحسِنُ
أشبهتَ أمَّكَ غيرَ بابٍ واحدٍ ... أنْ قد خُتِنْتَ وأنَّها لا تُخْتَنُ
فلَئِن أصبتَ دراهماً فدفنتَها ... وفُتِنت فيها ، وابنُ آدَمَ يُفتَنُ
فيها (٥) أراك وأنتَ غيرُ مُدَرْهِمٍ ... إذْ ذاك تَقْصِف فى القِيان وتَزْفِنُ
إذ رأسُ مالِكَ لُعبةٌ بصريَّةٌ ... بَيْضاءُ مُغْرِبَةٌ (٦) عليها السَّوْسَنُ

وقال ابن عبدل أيضاً :

نَجَوت (٧) محمداً ودخانُ فيه ... كريح الجَعْر فوقَ عَطِينِ جِلْدِ
ركبتُ إليه فى رَجُلٍ أتانى ... كريمٍ يطلبُ المعروفَ عِندى
فقلتُ له ولم أعجَل عليه ، ... وذلكَ بعدَ تقريظى وحَمْدى
فأعْرَضَ مُكْمَحًا عنِّى كأنِّى ... أكَلِّمُ صَخْرَةً فى رَأْس صِمْدِ (٨)

---

(١) ط : « لايحزن » وهو تحريف .
(٢) محمد هذا هو ابن حسان بن سعد كما فى الأغانى ٢ : ٤١٢ طبع دار الكتب وعيون الأخبار ٤ : ٦٢ .
(٣) من الحزونة وهى الصعوبة . وفى الأصل : « تخزن » .
(٤) ط : « غمصة » .
(٥) ل : « لبها » وهما سيان .
(٦) المغربة : الشديدة البياض . ط : « معرية » بالعين .
(٧) ل : « فقدت » محرف ، يقال نجوت فلانا ، إذا استنكهته . والبيت فى اللسان (نجا) بدون نسبة . والقصيدة فى معجم الأدباء ١٠ : ٢٣٢ - ٢٣٣ .
(٨) المكمح : من يرفع رأسه من الزهو . وفى ط : « مكفحا » وتصحيحه من ل . والصمد : المكان المرتفع الغليظ . وفى ط : « همد » وفى ل : « ضمد » بالضاد ولايتجه أحدهما .

أقرِّبُ كل آصِرَةٍ(١) ليدنو   فما يزْداد منِّى غيرَ بُعْدِ

فأقسِمُ غيرَ مستثنٍ يميناً   أبا بَخَرٍ(٢) لتتَّخِمَنَّ رَدِّى

فلو كنتَ المهذَّبَ من تميمٍ   لخفتَ ملامتى ورجوتَ حَمْدى

نَجَوتُ(٣) محمداً فوجدتُ ريحاً   كريح الكلبِ ماتَ قريبَ عَهْدِ

وقد ألْذَعتنِى(٤) ثعبانَ نَتْنٍ   سيبلغ إنْ سلِمْنا أهلَ نَجْدِ

وأدنَى خَطْمَه فوددتُ أنِّى   قَرَنْتُ(٥) دنوَّه منى ببُعْدِ

كما افتَدَتِ المعاذةُ من جَواهُ(٦)   بخُلْعَتها ولم تَرجِع بزَنْدِ

وفارقَها جواه فاستراحَتْ   وكانتْ عندَه كأسيرِ قِدٍّ(٧)

وقد أدنيتُ فاه إلىَّ حتَّى   قتلتُ بذاك نفسى غيرَ عَمْدِ

وما يدنُو إلى فيه ذُبابٌ   ولو طُليت مَشافِرُه بقَنْدِ(٨)

يَذُقن حلاوةً ويَخِفْن موتاً   زعافا إنْ همَمْنَ له بِوِردِ(٩)

فلما فاحَ فُوه علىّ فَوْحًا   بمثل غَثيثَةِ الدَّبِر المُغِدِّ(١٠)

فقلت له : تنحَّ بفِيك عنِّى   فما هذا بريحِ قُتَارِ رَنْدِ(١١)

---

(١) الآصرة : الرحم والقرابة . وفى ل : « ذى صبر » وليس بشىء .

(٢) البخر ، بالتحريك : نتن الفم . وفى ل : « بحر » والوجه ما فى ط .

(٣) ماعدا ل : « نحوت » بالحاء ، وهو تحريف . وانظر ماسبق وكذا المخصص ١١ : ٢٠٩ والسان (جلد ، نجا) .

(٤) ط : « لدعتنى » .

(٥) كذا فى ط . وفى ل : « فديت » .

(٦) ط : « كما افتدت المعادن من حواه » .

(٧) هذا البيت فى الأصول متأخر عن البيت الذى بعده ، وقد قدمت موضعه ليستقيم الشعر .

(٨) القند : عسل قصب السكر إذا جمد . معرب .

(٩) الزعاف والذعاف : السم القاتل . وفى ل : « ذعافا » وفيها كذلك « يرين حلاوة » .

(١٠) الغثيثة : القيح . والمغد : المصاب بالطاعون . وفى ط : « المفد » وهو تحريف .

(١١) الرند : نبت طيب الرائحة . وفى ل : « وقلت له » ، وفى ط : « بعيد عنى » وتصحيحه من ل .

وما هذا بريح طِلاً ولكنْ ... يفوحُ خرَاكَ منه غير سَرْدِ[(١)]
فحدِّثْني فإنَّ الصِّدقَ أدنى ... لبابِ الحقِّ من كذبٍ وجَحْدِ
أباتَ يجولُ في عَفَجٍ طحور ... فأعلم أمْ أتاكَ به مُغَدِّي[(٢)]
[نكهتَ عليَّ نكهةَ أخدَرِيٍّ ... شتيمٍ أعصلِ الأنياب وَرْدِ]
فإن أهديتَ لي من فيكَ حتْفي ... فإنِّي كالذي أهديتَ أهدي[(٣)]
لكم شُرُداً يَسرِن مغنِّياتٍ ... تكونُ فنونُها من كل فِنْدِ[(٤)]
أما تخزَى خَزِيت لها إذا ما ... رَوَاها النَّاسُ من شِيبٍ ومُرْدِ[(٥)]
لأَرجُو إن نجوت ولم يُصِبْني ... جَوًى إنِّي إذن لسعيد جَدِّ
وقلتُ له: متى استطْرفْتَ هذا ... فقال أصابني من جَوفِ مَهْدِي
فقلت له: أما دَاويتَ هذا ... فتعذر فيه آمالا بجُهْدِ[(٦)]
فقال: أمَا علمت له رِقَاةً ... فتسديَه لنا فيما ستُسْدي[(٧)]
فقلت له: ولا آلوه عيا ... له فيما أسرُّ له وأُبدي[(٨)]
عليكَ بقيئةٍ وبجَعْرِ كَلْبٍ ... ومثلُ ذاك من نونٍ كَنَعْدِ[(٩)]
وحِلتيتٍ وكُرَّاثٍ وثُومٍ ... وعُودَي حَرْمَلٍ ودِماغِ فَهْدِ[(١٠)]
وحَنْجَرَةِ ابنِ آوى وابنِ عِرسٍ ... ووزنِ شَعيرةٍ من بَزْر فَقْدِ[(١١)]

(١) الطلاء، بالكسر: الخمر. وفي ط: « فيه غير سرد ».
(٢) العفج: ماينتقل إليه الطعام بعد المعدة. والطحور: السريع. وفي ط:
أبت تجول في عفج طحون ... فاعلم إذا أتاك به معدى (كذا)
(٣) ل: « مهد ».
(٤) الفند، بالكسر: النوع. وفي ط: « قند » ولا وجه له.
(٥) ط « خزيت له إذاما » والوجه مافي ل. ل: « رآها الناس » والوجه مافي ط.
(٦) كذا.
(٧) في الأصل: «تسدى» ولايستقيم بها القول.
(٨) هذا البيت والأبيات الأربعة السابقة له، ساقطة من ل. وفي البيت كلمة « عيا »وهي محرفة.
(٩) كذا في ل. وفي ط: « من لون كعقدى ».
(١٠) ط: « وحنتيت » والصواب باللام كما في ل.
(١١) في القاموس: « الفقد نبات » ولم يفسره. وفي ل: « قفد » بتقديم القاف وهو تصحيف. وفي ط: « وحنجرة ابن آوى ثم دفلى ».

وكَفٍّ ذُرُحْرُحٍ(١) ولسانِ صَقرٍ   ومثقالين من صوّان رَقْدِ(٢)
يُدَقُّ ويُعجَن المنخولُ منه   ببولٍ آجنٍ وبجَعْرِ قِرد
١٢١ وتدفِنُه زماناً فى شعـــيرٍ   وترقبه فلا يَبدُو لبَرْدِ(٣)
فدخِّن فاكَ ما عتَّقت منـه   ولا يعجن بأظفار ونَدٍّ(٤)
فإنْ حضَرَ الشتاءُ وأنتَ حىٌّ ، أراك اللهُ غَيَّكَ أمرَ رشدِ(٥)
فدَحْرِجْها بنـادِقَ وازدرِدْها   متى رُمْتَ التكلُّمَ أىّ زَرْدِ
فتقذف بالمصَلّ على مِصَلٍّ   ببلعومٍ وشِدْقٍ مُسْمَعِدٍّ(٦)
وويْلَك ما لِبَطْنِك مذْ قعَدْنا   كأنّ دوِيَّهُ إرزام رَعد(٧)
فإنَّ لِحِكَّةِ الناسور عندى   دواءً إن صبرتَ له سيُجدِى
يُميت الدُّودَ عنكَ وتشتهيه   إن أنتَ سَنَنْتَهُ سنَّ المقَدِّى(٨)
به ، وطليتَه بأصولِ دِفْلَى   وشىءٍ من جنَى لَصَفٍ ورَنْدِ(٩)
أَظُنُّ ميِّتًا مِنْ نَتْنٍ فيهِ   أهانَ اللهُ من ناجاهُ بَعْدِى

---

(١) الذرحرح : دويبة حمراء منقطة بسواد ، تطير ، وهى من السموم . وهى فى ط : « زرحرح » و ل : « ذرائح » محرفتان . وفى ط : « ومثالين » محرف « ومثقالين » .

(٢) رقد : جبل تنحت منه الأرحية ، كما فى القاموس . وفى معجم البلدان اختلاف فيه وفى ط : « رفد » محرفة .

(٣) فى الأصل : « وترميه فلا يبدو لبرد » وكتبت بدلها « ترقبه » ليتجه القول .

(٤) ل : « ولا تعجن بأظفار وسعد » صوابه فى ط . والأظفار والند : ضربان من الطيب .

(٥) كذا فى ل . وفى ط : « أزال الله عنك أمور رشد » .

(٦) مصل : له صليل كثير . والمسمعد : المنتفخ ورما ، ومثله المصمغد والمسمغد . وفى ل : « مصمغد » .

(٧) ط : « كأن رويه » وهو تحريف .

(٨) السن : الصب فى سهولة . والمقدى : ضرب من الشراب غليظ ، وفى ل : « المعد » وفى ط « المقد » محرفتان .

(٩) الدفلى : نبت مر قتال زهره كالورد الأحمر وحمله كالخرنوب . واللصف : نبت ورقه كورق لسان الحمل أو أدق . والرند : نبت طيب الرائحة . وفى ط « سعدى » موضع « دفلى » وهو تحريف ، و « نصف » موضع « لصف » وهو تحريف أيضا . وفى ل : « زبد » وليس بشىء .

(أشعار العرب فى هجاء الكلب)

وقال صاحب الديك : سنذكُر أشعار العرب فى هجاء الكلب مجرَّدا على وجهه ، ثمَّ نذكُر ما ذمُّوا من خلاله وأصناف أعماله ، وأموراً من صفاته ، ونبدأ بذكر هجائه فى الجملة . قال بشَّار بن بُرْد :

عددتَ سويداً إذ فخرتَ وتَوْلَبًا ... وللكَلْبُ خيْرٌ من سُويدٍ وتَولبِ

وقال بشَّارٌ أو غيرُه :

أتَذْكُرُ إذ تَرْعَى على الحىِّ شاءَهُمْ ... وأنتَ شريكُ الكلب فى كلِّ مَطْعَمِ

وتلحَسُ مافى القَعْبِ من فَضْلِ سُؤْرِهِ ... وقد عاثَ فيه باليدَين وبالفمِ

[وقال ابن الذئبة :

من يجمع المال ولا يَثُبْ به[1] ... ويترك المالَ لِعَامِ جِدْبِه

* يهُنْ عَلَى النَّاسِ هَوانَ كلبِه] *

وقال آخر :

إنَّ شَرِيبى لَا يغبُّ بوجهه ... كُلُومٌ كأنْ كلباً يُهارِش أكْلُبا[2]

ولا أَقْسِمُ الأعطانَ[3] بينى وبينَه ... ولا أتوقَّاه وإن كان مُجْرِبا

وهجا [أبو] الأحوص[3] ابناً له فشبَّهه بجِرْوِ كَلْبٍ فقال :

أقبِحْ به من ولدٍ وأشْقِحْ ... مثل جُرَىٍّ[4] الكلب لم يُفَقِّحْ

---

(١) كذا فى عيون الأخبار ١ : ٢٤٣ : وفى ل : « يثبه » وهو تحريف إملائى . وفى البخلاء ١٥٥ : « يثبته » وليس بشىء . وانظرهما .

(٢) ط : « إن شرابى لاتغيب بوجهه كلوم » وهو قول محرف صوابه فى ل .

(٣) كذا فى ل وهو الصواب ، وفى ط : «الأعكان» .

(٤) جرى : مصغر جرو . وفى ل : «جرىء» .

إن يَرَ سُوءًا مَا يَقُمْ فينْبِحْ(١) بالبابِ عند حاجةِ المستفتِحِ(٢)

وقال أبو حُزَابة(٣) : ١٢٢

يا ابنَ عليٍّ بَرِحَ الخفاءُ أنتَ لغَيْرِ طَلْحَةَ الْفِدَاءُ(٤)

قد علِمَ الأشرافُ والأكفاءُ أنَّك أنت النَّاقصُ اللَّفَاءُ(٥)

حَبلَّقَ جَـدَّعه الرِّعـاءُ(٦) يغُمُّه المِـئزَرُ والرِّدَاءُ

بنو عليٍّ كلُّهمْ سَـواءُ كأنَّهم زِينِيَّةٌ جِـراءُ(٧)

وقال عبدُ بنى الحَسْحاس ، وذَكر قُبْحَ وجهِه [فقال] :

أتيتُ نِساءَ الحارثيِّينَ غُدْوَةً بوجهٍ بَرَاهُ اللّٰهُ غيرِ جميلِ(٨)

فشبَّهنَنى كلباً ولسْتُ بفَوقِه ولا دونَه إن كان غيرَ قليلِ

---

(١) ط : « إن يرسوءا لم يقم فينبح » .

(٢) ط : « خلقة المستقبح » .

(٣) كـذا فى ل وهو الصواب ، وفى ط : « أبو خدانة » . وأبو حزابة هو الوليد ابن حنيفة ، أحد بنى ربيعة بن حنظلة ، شاعر من شعراء الدولة الأموية . بدوى حضر وسكن البصرة ثم اكتتب فى الديوان وضرب عليه البعث إلى سجستان فكان بها مدة وعاد إلى البصرة وخرج مع ابن الأشعث لمـا خرج على عبد الملك . قال أبو الفرج : وأظنه قتل معه . وكان شاعرا راجزا فصيحاً خبيث اللسان هجاء . انظر الأغانى ١٠ : ١٥٢ - ١٥٦ والمشتبه للذهبى ١٦٠ ليدن وتاج العروس (حزب) .

(٤) الفداء هنا بمعنى البدل . وفى ل : « أنت لقبر طلحة الفداء » وفى الأغانى ١٩ : ١٥٣ : « أنت لعين طلحة الفداء » . وابن على هذا هو عبد الله بن على بن عدى ولى سجستان بعد طلحة . وطلحة هذا هو ابن عبد الله بن خلف ، الذى يقال له طلحة الطلحات ، وكان واليا على سجستان قبل عبد الله بن على . وكان طلحة يحبو ابن حزابة ، وكان عبد الله شحيحا ممسكا .

(٥) اللفاء ، كسحاب : الخسيس الحقير . وفى ل : « اللقاء » وهو تحريف .

(٦) الحبلق : غنم صغار لاتكبر أو قصار المعز ودمامها . وفى ط « الدعاء » موضع « الرعاء » وهو تحريف .

(٧) الزينية : كلاب قصيرة القوائم . وفى الأغانى « بنو على » . . . الخ .

(٨) كذا فى ل وعيون الأخبار ٤ : ٣٥ بمعنى خلقه غير جميل . وفى ط : « يراه الله » .

وقال أبو ذُبَابٍ السَّعْدىّ[1] فى هَوَان الكلب :

لكِسْرَى كانَ أعقلَ من تميمٍ ليالىَ فرَّ من أرْضِ الضَّبابِ
وأسكنَ أهلَه ببلاد ريفٍ وأشجارٍ وأنهارٍ عِذَابِ
فصار بنُو بَنِيه لها مُلوكاً وصرنا نحنُ أمثالَ الكِلَابِ
فلا رَحِمَ الإلٰهُ صدَى تميمٍ فقد أزْرَى بنا فى كلِّ بابِ

وأراد اللّعين[2] هجاءَ جريرٍ — وجَريرٌ من بنى كُلَيب — فاشتقّ هجاءَه من نسبه فقال :

سأقْضِى بين كلبِ بنى كُليبٍ وبين القَينِ قَينِ بنى عِقالِ
فإنَّ الكلبَ مَطعَمُه خبيثٌ وإنَّ القينَ يَعمَل فى سَفالِ
كِلَا العَبدين — قد علمتْ مَعَدٌّ لئيمُ الأصلِ من عمٍّ وخالِ
فما بُقيَا علىَّ تركتُمانى ولكنْ خِفتُما صَرَدَ النبال

وقال رجلٌ من هَمْدان ، يقال له الضَّحَّاك بن سعد[3] ، يهجو مَرْوان بن محمد ابن مروان بن الحكم ، واشتقّ له اسماً من الكلب فجعلَه كلبا فقال :

لجَّ الفِرَارُ بمرْوانٍ فقلتُ له عادَ الظلوم ظليماً همُّهُ الهربُ[4]
أين الفِرارُ وتركُ المُلْك إن قبلت منك الهُوَينَى فلا دينٌ ولا أدبُ[5]

---

(١) أبو ذباب السعدى : صحابى شاعر ، من سعد العشيرة . له فى إسلامه خبر طريف ، وهو ممن عرف بكنيته فقط ، ترجم له ابن حجر فى الإصابة أول قسم الذال من باب الكنى وهو فى ط : « ابن دب » وفى ل : « ابن دواب » . ولعل صوابهما ما أثبت . والأبيات أعادها الجاحظ فى الحيوان ٦ : ١٠١ ونسبها فى الحنين إلى الأوطان إلى الفرزدق.

(٢) هو منازل بن زمعة المنقرى ، من بنى منقر . وكان ممن قضى بين جرير والفرزدق فأصابه الشر . قال ابن قتيبة : وكان اللعين هجاء للأضياف قال :

وليس أبغض مابى جل مأكله إلا تنفجه عندى إذا قعدا
ما زال ينفج كتفيه وحبوته حتى أقول لعل الضيف قد ولدا

(٣) نسبه العسكرى فى ديوان المعانى ١ : ١٩٦ إلى سعيد بن العاصى .

(٤) ط : « عاد الظليم ظلما » . والظليم : الذكر من النعام .

(٥) ديوان المعانى : « إذ كشفت عنك » . الطبرى ٩ : ١٣١ : « إذ ذهبت عنك » .

فَرَاشَةَ الحلم فِرعونَ العذابِ ، وإن يُطلَب نَدَاهُ فكلبٌ دونَه كَلِبُ

وقال آخر وجعل الكلبَ مثلاً في اللُّؤم : ١٢٣

سَرَتْ ماسَرَتْ من ليلِها ثمّ عرّسَتْ على رجلٍ بالعَرْجِ أَلْأَمَ مِنْ كلبِ

وكذلك قول الأسود بن المنذر(١) ، فإنّه قال :

فإنّ امرأً أنتمُ حــولَه تحُفُّون قُبَّتَه بالقِبابِ(٢)

يُهِينُ سرَاتَكمُ جاهــداً ويقتُلكم مثلَ قتل الكلابِ

وقال سحيمة بن نعيم :

ألستَ كليبيًّا الكَلْبِ وكابةٍ لها عندَ أطْنَاب البُيوتِ هَرِيرُ

وقال النَّجْرانيُّ في ذلك :

مِن منْزِلى قد أخرجَتْنِي زوجتى تَهِرُّ في وجهِى هَرِيرَ الكَلبةِ

زُوِّجتُها فقيرةً من حِرْفَتِى قلت لها لمّا أراقتْ جَرّتِى

أُمَّ هِلالٍ أبْشِرِى بالحسرةِ وأبشرِى منك بقُرب الضَّرّةِ

(الفلحس والأرشم)

ويقال للكلب « فلحَس » ، وهو من صفات الحِرْص والإلحاح . ويقال : « فلان أسألُ مِنْ فَلْحَس » . وفَلْحَسٌ : رجلٌ من بني شيبان(٣) كان حريصاً رغيبا ، ومُلحِفا مُلِحًّا . وكلُّ طُفَيليٍّ فهو عندهم فَلْحَسٌ .

والأرشَم :(٤) الكلب والذئب ، وقد اشتقّ منه للإنسان إذا كان يتشمّم الطعام ويتْبع مواضعه . قال جريرٌ في بعضهم :

(١) في الأغانى ١٩ : ١٣٠ نسبة البيتين إلى لقيط بن زرارة يعير بنى مالك بن حنظلة في أخذ عمرو بن هند لهم وقتله كثيرا منهم .

(٢) في عيون الأخبار ١ : ١٩٢ « بأن » ، وقبله :

فأبلغ لديك أبا مالك ٭ على نأيها وسراة الرباب

(٣) ط : « من ابنى شيبان » . وانظر أمثال الميدانى (١ : ٣١٧) .

(٤) ل : « الأرسم » وهو تصحيف . والأرشم : الذى يتشمم الطعام ويحرص عليه .

لَقًى حَملتْهُ أُمُّه وهى ضَيفةٌ فجاءتْ بيَتْنٍ للضِّيافةِ أرْشَما[1]

وقال جريرٌ فى استرواح الطعام[2] :

وبنو الهُجَيم سَخيفةٌ أحلامُهم ثُطٌّ اللِّحَى مُتشابِهُو الألوانِ

لو يَسمَعون بأكلةٍ أو شَرْبةٍ بعُمَانَ أضحى جمْعُهم بعُمانِ

متأبِّطين بنيهمُ وبناتِهِمْ صُعْرَ الخدودِ لريحِ كلِّ دُخانِ[3]

وقال سَهمُ بن حنْظَلَة الغَنَوىُّ فى ذلك :

وأمّا كلابٌ فمثلُ الكِلا ب لا يُحسِنُ الكلبُ إلّا هريرَا

وأمّا نُميرٌ فمثلُ البغا ل أشبَهْنَ آباءهُنَّ الحَميرا[4]

124 وأمّا هِـــلالٌ فعَطَّارَةٌ تَبيع كِباءً وعِطْرًا كثيرا[5]

(بين جرير والراعى)

ومرَّ جريرٌ يوماً بالمِرْبَد ، فوقف عليه الراعى وابنه جنْدَل ، فقال له ابنه جندل : إنَّه قد طال وقوفُك على هذا الكلب الكُلَيبىّ ، فإلى متى ؟ ! وضرب بغلَته، فمضى الراعى وابنه جندل ، فقال جرير : والله لأُثْقِلنَّ

(١) ل : « أرسما » مصحف . وفى ط : « فتى » محرفا . والبيت على الصواب فى اللسان (ضيف، رشم، يتن) وأدب الكاتب لابن قتيبة ١٢٧ والاقتضاب ٣٤٦ . وقد نسب فى كل تلك إلى البعيث . ابن منظور (رشم) : قال ابن سيده : وأنشد أبو عبيد هذا البيت لجرير . قال : وهو غلط .

(٢) الأبيات فى البيان ٣ : ٣٢٠ وعيون الأخبار ٣ : ٢٢٥ .

(٣) البيت ساقط من ل .

(٤) يبتدئ هـذا البيت والذى قبله فى ل ، بكلمة « فأما » مع الفصل بين البيتين بكلمة « وقال » وفى ط : « وأما تميم فمثل البغال » .

(٥) الكباء ككتاب : عود البخور أو ضرب منه . وبدله فى ل « ملابا » وهو كسحاب عطر أو الزعفران . والشعر فى كتاب البغال ٣٤٣ .

رواحلك ! فلما أمسى أخذَ فى هجائه ، فلم يأته ما يريد ، فلما كان معَ الصبح انفتح له القولُ فقال :

فغُضَّ الطَّرْفَ إنّكَ من نُميرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كِلابا

ولو جُعِلت فِقاحُ بنى نُميرٍ على خَبَثِ الحديدِ إذاً لذَابا

ثم وقف فى موقفه ، فلمَّا مرَّ به جندلٌ قبض على عِنان فرسه ، فأنشده قوله ، حتى إذا بلغ إلى هذا البيت :

أَجنــدلُ ما تقول بنو نُميرٍ إذا ما الأَيرُ فى استِ أبيك غابا

قال : فأدبَرَ وهو يقول : يقولون والله شرًّا(١) .

وقال الشاعر — وضرب بالكلب المثلَ فى قُبْح الوجه — :

سَفَرتْ فقلتُ لها هَجٍ فتبرقَعَتْ فذكرتُ حين تبرقعت ضَبَّارا(٢)

وضَبَّار : اسم كلب له(٣) .

(أمثال فى الكلاب)

وقال كعب الأحبارِ لرجل وأراد سفراً : إنّ لكلِّ رُفقةٍ كلباً ، فلا تكنْ كلبَ أصحابِك .

وتقول العرب : « أحبُّ أهلى إلىّ كلبهم الظاعن(٤) » . ومن الأمثال « وقَع الكلبُ على الذِّئب ليأخذَ منه [مثل] ما أخَذ » . ومن أمثالهم :

---

(١) سقط الكلام فى ل من « ثم وقف » إلى هنا .

(٢) فى الصحاح : « هج مخفف زجر للكلاب ، يسكن وينون » وأنشد البيت فى (هجج وهبر) برواية « هبارا » ، وكذلك فى اللسان (هبر) ولكن فى (هجج وضبر) : « ضبارا » كما فى ٢ : ٢١ من الحيوان .

(٣) ل : « لهم » .

(٤) فى عيون الأخبار ٢ : ٨١ : « الكلب أحب أهله إليه الظاعن » . وانظر أمثال الميدانى ١ : ١٨٣ والتمثيل والمحاضرة ٣٥٥ .

« الكلابَ على البَقَر[1] » . ومن أمثالهم فى الشؤم قولهم : « على أهْلِها دلَّتْ بَرَاقِشُ » . وبراقش : كلبةُ قومٍ نبحَت على جيشٍ مرُّوا ليلا وهمْ لايشعُرون بالحىِّ ، فاستباحوهم واستدلُّوا على مواضعهم بنباحها . قال الشاعر :

ألم تَرَ أنَّ سيِّد آلِ ثورٍ   نُباتة عضَّهُ كلبٌ فماتا[2]

(قتيل الكبش وقتيل العنز)

وقال صاحب الكلب : قد يموت الناسُ بكلِّ شىء ، وقد قال عبد الملك بن مروان : ألا تتعجبون من الضحَّاك بن قيس يطلب الخلافة ونطح أباه كبش فوُجِد ليس به حَبَضٌ ولا نَبَض[3] . وقال عَرفجة بن شريك يهجو أسلَم بن زُرْعة — ووطئتْ أباه عنزٌ بالمربد فمات — فقال :

١٢٥ ولم أستطع إذْ بانَ[4] منِّىَ معشَرى   مكانَ قتيل العنز أن أتكلَّما

فيا ابنَ قتيلِ العنْزِ هل أنت ثائرٌ   بزُرعةَ تيساً فى الزَّريبةِ أزنما[5]

وقال أبو الهول يهجو جعفر بن يحيى[6] :

أصبحتُ محتاجاً إلى الضَّرْبِ   فى طلَب العُرْف إلى الكلْبِ

---

(١) فى الأصل : « الكلاب كل البقر » والمثل معروف . ولصاحب القاموس ، وكذلك للدميرى فى حياة الحيوان كلام كثير فيه . وانظر المزهر ١ : ٦٥ .

(٢) ط : ألم تر أن سيد آل شور   بنابه عضه كلب فاتا

(٣) فى القاموس : مابه حبض ولا نبض : حراك .

(٤) ط : « بات » وهو تحريف مافى ل .

(٥) الأزنم : ذو الزنمة ، وهى هنة معلقة فى حلقه تحت اللحية . وفى ط « أزرما » .

(٦) أبو الهول الحميرى شاعر مقل له شعر يبلغ خمسين ورقة . ابن النديم فى الفهرست ١٦٣ ليبسك و ٢٣٢ مصر . وفى ط « أبو الغول » محرفا . والشعر فى العمدة ١ : ٤٠ والبيان ٣ : ٣٥١ واسمه عامر بن عبد الرحمن. تاريخ بغداد ٦٦٨٢ والشعر منسوب لإسماعيل بن بشر اللاحقى فى الأوراق للصولى أخبار الشعراء ص ٧٣ .

قد وقَّح السَّبُّ له وجهَه فصار لا ينحاش للسَّب
إذا شَكا صبٌّ إليه الهوَى قال لهُ مالى وللصبِّ
أعْنِي فتًى يُطعَن فى دينهِ يشِبُّ مَعَهُ خَشَبُ الصُّلْبِ[1]

قال : وقلتُ لأبى عبيدة : أليس بُقْعُ الكلاب أمثالَها ؟ قال : لا . قلت : ولم قال :

وخِفْتُ هجاءهم لما تَوَاصَوْا
كخَوْفِ الذِّئبِ من بُقْعِ الكِلابِ[2] ؟

قال : ليس هكذا قال ، إنما قال :

* كَخَوْفِ الذِّئب من سُودِ الكِلابِ *

ألا ترى أنّه حين أراد الهجاء قال :

كأنَّك بالمبَارَكِ بعدَ شهرٍ تخُوضُ غُمُورَه بُقْعُ الكِلابِ[3]

ويدل على ذلك قول الجَدَلىِّ[4] :

لَعَمرِى لجَوٌّ مِنْ جواء سُويقَةٍ أسافلُه مَيْثٌ وأعلاه أجْرَعُ
أحبُّ إلينا أن نجاوِرَ أهلَه ويصبِحَ منّا وهو مرأًى ومسمعُ
مِن الجَوْسَقِ الملعونِ بالرَّىِّ لا يني على رأسه داعى المنيَّةِ يلمَعُ
يقولون لى صبراً فقلتُ لَطَالَمَا صَبَرْتُ ولكنْ لا أرى الصَّبرَ ينفعُ

---

(١) ل : « . . دبره يشب منه » وهو تحريف .
(٢) ل : « وخفت هجيهم » .
(٣) المبارك : اسم نهر بالبصرة احتفره خالد بن عبد الله القسرى لهشام بن عبد الملك . وفى ط : « بالمنازل » وهو تحريف . والغمور : جمع غمر ، وهو الماء الكثير . وفى ط : « غمورة » وفى ل : « عوره » وصوابهما ما أثبت . وانظر معجم البلدان رسم (المبارك). والبيت فيه للفرزدق ، وقد أعاده الجاحظ فى ٢ : ٧٨ .
(٤) نسبه ياقوت إلى الغطمش الضبى فى رسم (الجوسق) .

فليتَ عطائى كانَ قُسِّمَ بَيْنَهُمْ   وكان لى الصِّمَّان والحزْنُ أجمعْ (١)
وكان لهم أجْرى هنيئاً وأصبحَتْ   بىَ البازلُ الكَوماءُ بالرمل تَضْبَع
أأجعلُ نفسى عِدْلَ علجٍ كأنّما   يموتُ به كلبٌ إذا ماتَ أبقَعُ

قال : فقد بيَّن كما ترى أنَّ الأبقعَ شرُّها .

قال : وقلت : فلِمَ قال الشاعر :

أرسلْتَ أُسداً على بُقْعِ الكلاب فقد
أمسى شَرِيدُهمْ فى الأرض فُلاّلاَ (٢)

قال : فكيف يقول ذلك وهو يمدحهم ؟ وإذَا صغَّر شأنَ من هَزَموا
١٢٦ فقد صغَّر شأنَ الممدوح . بل إنّما قال « أرسلتَ أسداً على سود الكلاب » .

قال : وإنّما جاء الحديثُ فى قتل سُود الكلاب ، لأنَّ عُقُرَها أكثرُ ما تكون سوداً ، وذلك من غلَبة أنفسها .

وليس فى الأرض حيوانٌ من بقرةٍ وثورٍ وحِمارٍ وفرس وكلبٍ وإنسان ، إلاّ والسُّودُ أشدُّها أسْرًا وعَصَبا (٣) ، وأظهرُها قُوَّةً وصبْرًا .

وقال أبو سعد المخزومى (٤) فى هجائه دِعبلا :

---

(١) ط : « وكان لى الكِتّان » .

(٢) فى اللسان : وهم قوم فل : منهزمون ، والجمع فلول وفلال . وللأخفش فى هذه الكلمة بحث جيد فى اللسان .

(٣) فى لأصل : « شرا وعصبا » . وانظر ٢ : ٧٩ .

(٤) أبو سعد المخزومى ممن عرف بكنيته ، وهو شاعر مقل من شعراء الدولة العباسية . وقد عاصر دعبلا وله معه مهاجاة وإقذاع . وقد نعته الجاحظ فى البيان ٣ : ١٤٧ بأنه دعى بنى مخزوم . وفى ط : « أبو سعيد » والصواب مافى ل . ويؤيد ذلك قول ابن أبى الشيص فيه (الأغانى ١٨ : ٥٤) :

أنا بشرت أبا سعـد فأعطانى البشاره

وقول دعبل :

إن أبا سعد فتى شاعر يعرف بالكنية لا الوالد

يا ثابِتَ بن أبي سعيدٍ إنَّها دُوَلٌ وأحْرِ بها بأَنْ تتنقَّلا
هلاّ جعلتَ لها كحُرْمَةِ دِعْبِلٍ في است [امِّ] كلبٍ لايساوي دِعبِلا

[وقال ابن نوفل] :

وجئتَ على قَصْواءَ تنقلُ سَوءةً إلينا وكم من سوءةٍ لا تَهابُها (١)
وتزعمُ أَنْ لم تخز سَلْمُ بنُ جنْدَلٍ وقد خَزِيت بعدَ الرِّجال كلابُها (٢)

وقال الحسن بن هانئ يهجو جعفرَ بنَ يحيى :

قفاً خلف وجه قد أطيل كأنَّه قفا مالك يقضى الهموم على بثق (٣)
وأعظم زهواً من ذباب على خِراً (٤) وأبخَلُ من كَلْبٍ عَقُورٍ على عَرْق

وقال أبو الشَّمقمق :

أهلُ جودٍ ونائلٍ وفَعالٍ غلَبُوا الناسَ بالنَّدى والعطيَّهْ
جئتُه زائراً فأدنَى مكانى وتلقَّى بمرْحَبٍ وتحيَّهْ
لا كمِثْلِ الأصَمِّ حارثةِ اللؤ مِ شبيهِ الكُلَيبة القَلَطيَّهْ
جئتُه زائراً فأعرضَ عنِّى مثلَ إعراض قحبةٍ سُوسيَّهْ (٥)
وتولَّى كأنَّه أير بغلٍ غابَ فى دُبْر بَغلةٍ مِصريَّهْ

وقال أيضاً :

ألا قُولا لسرّان المخازى ووجهِ الكلب والتَّيْسِ الضروطِ (٦)

---

(١) ط : « جنبت على قصواء » وهو تحريف .
(٢) ل : « سلمى بن جندل » وهو تحريف .
(٣) ط : « تئق » . وانظر الشعراء ٧٩٠ وما سبق فى ص ٢٣٨ .
(٤) ل : « خر » .
(٥) ط : « سرسية » .
(٦) ط : « ألا قولا لشران » .

له بطنٌ يَضلُّ الفيلُ فيه ودُبرٌ مثلُ رَاقود النَّشوطِ(١)
وأيْرٌ عارمٌ لا خـيرَ فيـه كلَوْرِ سفينةٍ فى بَثْق رُوطِ(٢)
ولحيَةُ حائكٍ من باب قلب(٣) مُوَصَّلَةِ الجوانبِ بالخيوطِ
له وجهٌ عليـه الفقرُ بادٍ مُرقَّعة جوانبُـه بقوطِ(٤)
إِذَا نَهَضَ الْكِرَامُ إِلَى المَعَالِى تَرَى سَرَّانَ يَسْفُلُ فِى هَبُوط

١٢٧ وقال أيضاً فى ذلك :

يا رازقَ الكلبِ والخنزيرِ فى سعةٍ والطيرِ والوحش فى يهماءَ دوِّيَّهْ(٥)
لو شئتَ صيَّرتَه فى حالِ فاقته حتى تُقِرَّ بتلك الحالِ عينيَّه(٦)

وقال جرير بن عطية ، يهجو الصَّلَتان العبدىّ(٧) :

أقول لها والدَّمعُ يغسِل كُحلَها متى كان حكمُ اللهِ فى كَرَبِ النخلِ

فأجابه الصَّلَتَانُ فقال :

تُعيِّرنا أن كانت النَّخْلُ مالَنا وودَّ أبوك الكلبُ لو كان ذا نَخْلِ

يعيِّره جريرُ بأَنَّه كان هو وأبوه من أصحاب النَّخْلِ(٨) .

---

(١) الراقود : دن كبير أو طويل الأسفل يسيع داخله بالقار . والنشوط : سمك يمقر فى ماء وملح .
(٢) عارم ، من يوم عارم : نهاية فى البرد . والروط بالضم : النهر ، معرب . وبثق النهر : كسر شطه لينبثق الماء . وفى ل : « زوط » وليس بشىء .
(٣) ل : « قلبا » .
(٤) ط : « بغوط » وقد كتب هذا البيت تاليا للذى بعده فى ط ، ورددته إلى موضعه سابقا له كما فى ل .
(٥) ط : « فى يهما روية »، وهو تصحيف . وفى ل : « من سمة » .
(٦) ل : « حتى يقر » .
(٧) ل : « قال الصلتان العبدى يهجو جريرا » وهو خطأ صوابه فى ط ، وفى الخزانة ٢ : ١٥٥ ، والشعراء لابن قتيبة ٤٧٨ .
(٨) ل : « يعير جريرا وأباه بأنهما كانا أصحاب نخل » ، وهو خطأ انظر له المراجع السابقة .

وقال وضّاحُ اليمن :

وأكتم السِّرَّ غضباناً وفى سكرى   حتى يكون له وجهٌ ومستمعُ
وأتْرُكُ القولَ عن علمٍ ومَقْدِرَةٍ   حتى يكون لذاك المَجْدِ مُطَّلَع (١)
لاقُوَّتى قُوَّة الراعى ركائبَه   يبيتُ يأوى إليه الكلبُ والرُّبَع (٢)
ولا العَسيفِ الذى تشتدُّ عُقْبَتُهُ   حتّى يَئُوبَ وباقى نعْلِه قِطَع (٣)

وقال محمَّد بن عبَّاد الكاتب مولى بجيلة، وأبوه(٤) من سبى دابق وكاتب زهير، وصديق ثُمامة، يهجو أبا سعد(٥) دعىَّ بنى مخزوم، وبعد أن لقى منه ما لقى :

فعلَتْ نزارُ بك الذى اسـتأهَلْتَه نفياً وضَرْبَا
فهجوتَ قحطانا لأهـ جُوَهم مكايَدةً وإرْبا (٦)
وأردتَ كيما تشتَفِى بهجائهم منهم فتَرْبَا
ووثقت أنَّك ما سببـتَ حَماكَ لؤمُك أن تُسَبَّا
كالكلب إن ينبح فليـ س جوابه إلَّا اخْسَ كَلْبَا (٧)
خفِّض عليك وقَرْ مكا نَك لاتطفْ شرقاً وغربا
واكشِفْ قِناعَ أبيكَ فالـ آباءُ ليس تُنال غَصْبا

---

(١) ط : « حتى يكون بذاك » .
(٢) الربع : ولد الناقة فى الربيع ، وفى ط : « الولع » وصوابه فى ل ، وفى الحماسة ١ : ٢٦١ . والشعر فى الحماسة غير منسوب .
(٣) العسيف : العبد أو الأجير . وعقبته : مرفوع على الفاعل ، أو منصوب على الظرف (برواية : يشتد) أى وقت عقبته ، والعقبة من المعاقبة وهى النوبة . وفى ط : « وباقى فعله » وتصحيحه من ل ، ومن الحماسة . وانظر التبريزى (٢ : ٩٧) .
(٤) كلمة « وأبوه » ساقطة من ل : والصواب إثباتها كما فى الأغانى ٦ : ١٤ . وانظر البيان ١ : ٤٤ . وفى ط : « من سبى وابق » وتصحيحه من ل ، ومن البيان .
(٥) ط : « أبو سعيد » وهو تحريف نبهت عليه ص ٢٦٢
(٦) ل : « لأهجوكم » . ط : « مكابرة وإربا » .
(٧) ل : « كالكلب » .

١٢٨ وقال آخر يصف كلباً :

ولَذٍّ كطَعْم الصَّرْخَدِيِّ تركتُه بأرض العِدَا من خَشية الحَدَثَانِ
ومُبْدٍ لىَ الشَّحناء بينى وبينه دعوتُ وقد طال السُّرى فدعانى

فوصفه كما ترى أنّه يبدى له البغضاء .

وقال آخر :

سَرَتْ ماسَرَتْ من ليلها ثم عرّست عَلَى رجُلٍ بالعَرْج ألأمَ من كلْبِ

وقال راشد بن شِهاب اليشكُرىُّ :

فلستُ إذا هبَّتْ شَمالٌ عَرِيَّةٌ بكَلْبٍ على لحم الجزور ولا بَرَمْ

وقال كُثَيِّر بن عبد الرحمن ، وهو يصف نعلاً من نِعال الكرام[1] :

إذا طُرِحَتْ لم يَطَّبِ الكلبَ ريحُها وإن وُضِعت فى مجلس القوم شُمَّتِ

وقال اللّعين فى بعض أضيافه[2] ، يخبر أنّه قراه لحمَ كلب . وقد قال ابنُ الأعرابى : إنّما وصف تيساً :

فقلتُ لعَبْدَىَّ اقْتُلا داءَ بطنِه وأعفاجِه اللائى لهنَّ زوائدُ[3]
فجاءا بخِرشاوَى شَعيرٍ عليهما كَرَاديسُ من أوصالِ أعقَدَ سافِدِ

وقال خَلَف عَيْنَين[4] وهو يهجو جرير بن عطية ويردّ عليه :

وعيّرتَنا بالنخل أن كان مالَنا ووَدَّ أبوك الكلب لو كان ذا نخل

(١) للبغدادى كلام فى البيت الآتى . الخزانة ٤ : ١٤٧ بولاق . وهو مع بيتين سابقين له فى البيان ٣ : ١٠٩ . ولبشار مثل هذا المعنى إذ يقول :

إذا وضعت فى مجلس القوم نعلها تضوع مسكا ماأصابت وعنبرا

وروايته فى اللسان (نعل) : « له نعل » ، وقال : « حرك الحلق لانفتاح ماقبله » .

(٢) انظر ترجمة اللعين ص ٢٥٦ .

(٣) فى هذا البيت إقواء . وقد روى ياقوت فى معجم البلدان برسم (حلامات) سبعة أبيات من قصيدة اللعين هذه ، اثنان منها مضموما القافية يليهما خمسة مكسورات القوافى . وهذا البيت هو الرابع فى روايته . وقد روى عجزه هكذا :

* وأعفاجه العظمى ذوات الزوائد *

(٤) هو من ولد عبد الله بن دارم ، وكان ينزل أرضا بالبحرين يقال لها « عينين » فنسب إليها . وقد أجازه زياد لمناسبة طريفة . الشعراء ٤٣٤ .

وقال دِعبل بن عليّ :

ولو يُرزَق الناسُ عن حيلة   لما نال كفًّا من التُّرْبهْ
ولو يشربُ الماءَ أهلُ العفا   ف لما نال من مائهم شَرْبَهْ
ولكنَّه رزقُ مَنْ رِزْقُه   يعمُّ به الكلبَ والكلبهْ

باب
(ذكر من هُجِيَ بأكلِ لحوم الكلاب ولحومِ الناس)

قال سالم بن دَارة الغطَفانيّ (١) :

يافَقْعَسِيُّ لِمْ أكلته لِمَهْ   لو خافَكَ اللهُ عليه حرَّمه
* فما أكلتَ لحمَه ولا دَمه *

وقال الفرزدق فى ذلك :

إذا أسديٌّ جاعَ يوماً ببلدةٍ   وكان سميناً كلبُه فهو آكلُه

129 وقال مساور بن هند :

إذا أسديَّةٌ ولدَتْ غُلاماً   فبشِّرها بلؤمٍ فى الغلامِ
يخرِّسها نساءُ بنى دُبَير   بأخبثِ مايجدن من الطَّعام (٢)
ترى أظفارَ أعقَدَ مُلقياتٍ   برائنُها على وَضَمِ الثُّمَامِ (٣)

فهذا الشعر وما أشبهَه يدلُّ على أنَّ اللعين إنَّما قراهم كلباً ولم يَقْرِهم تيساً ، وأنَّ الصوابَ خلافُ ما قال ابنُ الأعرابيّ .

وقال مُساوِر بن هند أيضاً :

بنى أسدٍ أن تُمحل العامَ فَقْعسٌ   فهذا إذنْ دَهْرُ الكلابِ وعامُها

---

(١) هو سالم بن مسافع . ودارة أمه ، وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان رجلا هجاء ، وله ترجمة مسهبة فى الخزانة ٢ : ١٢٥ — ١٣٠ . والشعر فى البخلاء ١٩٧ وانظر الحيوان ٢ : ٥٨ ، ٤ : ١٤ .

(٢) ط : « مايكون من الطعام » وأثبت مافى ل والبخلاء ١٩٧

(٣) وضم الثمام : مثل للقلة والهون . وفى ط : « الشمام » وصوابه فى ل والبخلاء ١٩٧ .

وقال شُرَيح بن أوس يهجو أبا المهوّش الأسدى[١] :

وعيَّرْتنا تمرَ العراق وبُرَّه وزادُك أير الكَلْب شيَّطه الجمْرُ

(أكل لحوم الناس وما قيل فى ذلك من الشعر)

وقال معروفٌ الدُّبيرىّ[٢] فى أكلِهم لحومَ الناس :

إذا ماضِفْتَ يوماً فقعسيًّا فلا تَطعَمْ له أبدا طعاما
فإنَّ اللحم إنسانٌ فدَعْهُ وخيرُ الزَّادِ مَا مَنَع الحراما

وقد هُجِيت هـذيلٌ وأسـد وبَلعَنْبَر وباهلة بأكلِ لحوم الناس ، قال حسَّان بن ثابت يذكر هذيلا :

إنْ سرَّك الغَدْرُ صِرفاً لامِزَاجَ له فأت الرجيع وسل عن دارِ لِحْيانِ
قومٌ تواصَوا بأكل الجار بينهم فالكلبُ والشَّاةُ والإنسانُ سِيَّانِ

وقال الشاعر فى مثل ذلك فى هذيل :

وأنتمْ أكلتُمْ شحمة بن مخدَّم زباب فلا يأمنْكمُ أحدٌ بعدُ[٣]
تداعَوا له من بين خَمسٍ وأربعٍ وقدنصل الأظفارُ وانسبأ الجِلْدُ[٤]

---

(١) أبو المهوش الأسدى : هو حوط بن رئاب ، أو ربيعة بن وثاب، من المخضرمين الذين أدركوا النبى صلى الله عليه وسلم ولم يروه . وانظر الخزانة ٣ : ٨٦ بولاق والإصابة ٢٠١٥ . وفى ط : « المهوس » وصوابه فى الخزانة و ل ، والبخلاء ١٩٨ .

(٢) ط : « الأسدى » وأثبت مافى ل والبخلاء ١٩٩ .

(٣) ل : « شخفة بن مخدم » . وفى البخلاء ١٩٨ : « سخفة بن مخدم » وفى ط : « زمانا » موضع « زباب » . والزباب : ضرب من الفأر ، وهو مما يهجى به . قال :

وهم زباب حائر لا تسمع الآذان رعدا

(٤) ط : « نسل » وليس بشىء وصوابه فى ل والبخلاء .

ورَفَّعتم جُردَانَه لرئيسكم مُعاوية الفلحاء يالكَ ما شُكْدِ[١]

وقال الشاعر فى ذلك فى باهلة :

إنَّ غفاقاً أكلَتْه باهله   تمشَّشوا عظامَه وكاهلَه

* وأصبحتْ أم غفاق ثا كِلَه[٢] *

وهجا شاعر آخر بَلْعَنبر، وهو يريد ثَوْبَ بن شَحْمَة[٣]، وكان شريفاً وكان ١٣٠
يقال له مجير الطير. فأمَّا مجير الجراد فهو مدلج بن سويد بن مرشد بن خيبرى[٤]
فعيَّر الشاعرُ ثوب بنَ شحمة[٣] بأكل الرجلِ العنبرىِّ[٥] لحمَ المرأة إلى أن أتى
ثوبٌ[٦] من الجبَل فقال :

عجلتُمُ ما صادَكم عِلاجْ   من العُنُوق ومن النِّعاجْ

* حتى أكلتمْ طَفْلَةً كالعاجْ *

فلما عيَّره قال ثوب[٧] :

يا بنتَ عمِّىَ ما أدراكِ ما حسبى   إذ لا تجنُّ خبيثَ الزاد أضلاعى[٨]

إنِّى لذو مِرَّةٍ تُخْشَى بوادِرُه   عِنْدَ الصِّياحِ بِنَصْلِ السَّيْفِ قَرَّاعِ

ومن ظريف الشعر قول أبى عدنان[٩] :

---

(١) ط : ودفعتم جيرانه لرئيسكم معاوية الفساء يالك ماشكد والصواب فى ل والبخلاء . و « يالك ما » كذا وردت والوجه « يالك من ».

(٢) ط : « عفاقا » و « أم عفاق » بالعين، وأثبت ما فى ل والبخلاء .

(٣) كذا فى القاموس والبخلاء ١٩٨. وفى ط: « ثور بن شحمة » وفى ل : « ثوب ابن سحمة » وكلاهما محرف . وكان ثوب سيداً شريفاً قد أجار الطير فكان لايثار ولا يصاد بأرضه ، فسمى مجير الطير. ثمار القلوب ٣٥٥ .

(٤) ط : « جبير » . وانظر خبر مجير الجراد فى أمثال الميدانى (١ : ٢٠٢) وبلوغ الأرب (١ : ١٤٤) .

(٥) ل : « القيني »، وفى البخلاء « بأكل الفتى » .

(٦) ط : « ثورا » وصوابه فى ل .

(٧) ط : « ثور » .

(٨) ط « ما يدريك » وهما سيان ، ط : « لاتجر » ل : « لايجز » وتصحيحه من البخلاء .

(٩) سبقت ترجمته ص ١٨٤ .

فما كلبة سوداءُ تفرى بنابِها عُراقاً من الموتى مِرَاراً وتَـكدِمُ(1)
أُتِيح لها كلبٌ فضنَّتْ بعَرْقِها فهارشَها وهى على العَرْق تَعْذِمُ(2)

فقف على هذا الشعر فإنّه من أعاجيب الدنيا .

وقال سُنَيح بن رباح شار الزِّنجى(3) :

مَا بالُ كلبِ بنى كُلَيبٍ سبَّنا أن لم يُوازِنْ حَاجِبا وعِقالا

(قتيل الـكلاب)

وتنازع مالك بن مِسْمَع وشقيق بن ثور ، فقال له مالك : إنّما رفعك قَبْرٌ بتُسْتَر(4) فقال شقيق : حينَ وضعَك قبرٌ بالمشقَّر ، يا ابن قتيلِ النساء وقتيل الـكلاب !! .

قال : وكان يقال لمسمع بن شيبان قتيلُ(5) الـكلاب ، وذلك أنّه لجأ فى الردة إلى قومٍ من عبد القيس ، فـكان كلبُهم ينبحُ عليه فخاف أن يدلَّ على مكانه فقتَلَه فقُتِلَ به .

(أمثال أخرى فى الـكلب)

قال : والعرب تقول : « أسرَعُ من لَحسَةِ كلبٍ أنفه » . ويقال :

---

(1) ط : « تغرى بنابها » وهو تحريف . وفيها « مراداً وتـكدم » وصوابهما فى ل.
(2) تعذم : تعض أو تأكل بجفاء .
(3) ط : « وقال الشاذيرجى » ل « وقال السارزنجى » وهـذا تحريف كتبت بدله ما فى رسائل الجاحظ ٦١ ساسى . وفى الـكامل ٤١٥ ليبسك « رياح بن سنيح الزنجى » وانظر الرسائل ٦٢ وكامل ابن الأثير ٤ : ١٦١ .
(4) ط : « بتشير » .
(5) فى ثمار القلوب ٣١٨ : « مسمع بن سنان » .

« أحرصُ من لَعْوة » وهى الكلبة ، وجمعها لِعاء(١) . وفى المثل : « ألأم من كلبٍ على عَرْق » ، و « نَعِم كلبٌ فى بؤس أهله » . وفى المثل : « اصنع المعروف ولو مَعَ الكلب » .

(رؤيا الكلب وتأويلها)

وقال ابن سيرين : الكلبُ فى النوم رجلٌ فاحش ، فإن كان أسودَ فهو عربىٌّ ، وإن كان أبقعَ فهو عجَمىّ .

وقال الأصمعىّ عن حمّاد بن سلمة عن ابنِ أختِ أبى بلال مِرْدَاسِ ابن أُدَيَّة(٢) قال : رأيتُ أبا بلالٍ فى النوم كلباً تذرِف عيناه ؛ وقال : إنّا حُوِّلنا بعدَكم كلاباً من كلاب النار .

قال : ولمّا خرج شَمِر بن ذى الجَوشَن [الضِّبابى] لقتال الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما ، فرأى الحسينُ فيما يرى النائم أنَّ كلباً أبقعَ يلغُ فى دمائهم ، فأوَّلَ ذلك أن يقْتُلهم(٣) شمر [بن ذى الجوشن] . وكان مُنْسلخاً بَرَصاً(٤) . ٩١٣١

قال : والمسلمون كلُّهم يسمُّون الخوارجَ : كلابَ النار(٥) .

---

(١) فى ط : « لقوة » و « لقاء » وصوابهما فى ل .

(٢) ط : « أبى بلال بن مرادس بن أدية » . وأبو بلال كنية مرداس نفسه كما فى الأغانى وجمهرة ابن حزم ٢١١ .

(٣) ط : « فأول ذلك بقتلهم شمر » .

(٤) ل : « متسلخا برصا » .

(٥) ل : « أهل النار » والصواب ما فى ط وثمار القلوب ٣١٥ .

(شعر في تشبيه الفرس بضروب من الحيوان ليس بينها الكلب)

وقال صاحب الديك: صاحب الكلب[1] يصفُه بالسُّرعة في الحُضْر، وبالصَّبر على طول العَدْو، وبسَعة الإهاب، وأنَّه إذا عدا ضَبَع وبسَط يديه ورجليه حتى يمسَّ قَصَصُهُ الأرْض، وحتى يشرط أذنيه بشَبَا[2] أظفاره، وأنَّه لا يحتشِي ريحاً مع ما[3] يصيب الكلاب من اللَّهَث. فإن كان كما تقولون فلِم وصفت الشعراءُ الفرسَ وشبَّهته بضروب من الخلق، وكذلك الأعضاءَ وغير ذلك من أمره، وتركوا الكلب في المَنْسَأ[4] لا يلتفت أحَدٌ لِفْتَهُ[5]؟!

وقال أبو دُواد الإياديُّ في ذلك:

عن لسانٍ كجثَّة الوَرَل الأحـــمر مجَّ النَّدى عليه العَرارُ[6]

ولم يذكره في شيء. وقال خالد بن عجرة الكلابي[7]:

كأن لسانَه وَرَلٌ عليه   بدار مضبة مج العرار

وقال امرؤ القيس:

وخدٌّ أسِيلٌ كالمِسَنِّ وبِرْكَةٌ   كجُؤجؤِ هَيقٍ دَفُّه قد تموَّرا

---

(١) ط: «لصاحب الكلب» وصوابه في ل.

(٢) شبا: جمع شباة: وهي الحد. وفي ط: «بسباء» محرفا.

(٣) ل: «لايحتسى ريحا مع ما» و ط: «لايحتشى ريحا ما» وسويت القول كما ترى.

(٤) المنسأ: المزجر. وفي ل: «المنسى» وفي ط: «المنسا».

(٥) لفته: جهته. وفي ط: «لايلتفت إليه أحد».

(٦) الورل: ضرب من الوزغ. قال ابن منظور: «ولون الورل إلى الصحمة، وهي غبرة مشربة سواداً وإذا سمن اصفر صدره»، وروى البيت برواية: «كجثة الورل الأصفر» ونسب البيت إلى عدى بن الرقاع.

(٧) ط: «حماد عجرد الكلابي». والبيت في النوادر لأبي زيد ١١٦ غير منسوب وبهذه الرواية:

كأن لسانه ورل عليه   بدار مضنة مج العرارا

وفي ل: «ندى ومصبه».

ولم يذكره فى شىءٍ. وقال عُقْبة بن سابق :

عريض الخدِّ والجبهَــــةِ والصَّهوةِ والجنبِ

ولم يذكره فى شىء . وقال امرؤ القيس :

وسامعتان تعرِف العتقَ فيهما كسامعتَى مذعورة وسطَ ربرب

ولم يذكره فى شىءٍ من ذلك . وقال عقبة بن سابق :

ولها بِركةٌ كجؤجؤ هَيقٍ ولَبَانٌ مضرّجٌ بالخضَابِ

ولم يذكره فى شىء . وقال خُفاف بن نَدبة :

عَبل الذِّراعين سليم الشَّظا كالسِّيدِ يَومَ القِرَّةِ الصاردِ (١)

[ولم يذكره فى شىء من ذلك] . وقال امرؤ القيس :

سليم الشَّظا عبْل الشَّوى شَنِيجِ النَّسا أقبُّ كتَيسِ الحُلَّبِ الغَذَوانِ (٢)

ولم يذكره فى شىءٍ من ذلك . وقال عقبة بن سابق .

وأرساغ كأعناقِ ظِباءٍ أربع غُلْبِ ١٣٢

ولم يذكره فى شىءٍ من ذلك . وقال الجَعْدىُّ :

كأن تماثيلَ أرساغهِ رِقابُ وُعُولٍ لَدَى مَشْرَبِ

ولم يذكره فى شىء من ذلك . وقال امرؤ القيس :

لها متْنَتَانِ خَظاَتَا كما أكبَّ عَلَى ساعديه النَّمِرْ

ولم يذكره فى شىء من ذلك . وقال أبو دُواد :

---

(١) ط : « يوم نفرة الصادر » وهو تحريف مافى ل . وفى ل : « أمين الشظا » .

(٢) الحلب : نبت تمتاده الظباء ، يخرج منه شىء شبيه باللبن إذا قطع . والغذوان : النشيط المسرع ، وفى ط : « العدوان » من العدو ، وهو الجرى . وهما روايتان . الديوان ١٢٣ .

يمشى كمشى نعامتين تُتابِعانِ أشقَّ شاخِصْ

ولم يذكره فى شىء من ذلك . وقال ابن الصَّعِق[1] :

بمحنَّبٍ مثلِ العُقا بِ تخالُه للضُّمرِ قِدْحا[2]

ولم يذكره فى شىءٍ من ذلك .

وقال رَبيعة بن جُشم [النمرى]، ويروى لامرئ القيس[3] :

وساقانِ كعباهما أصمعَا نِ لحمُ حَمَاتيهما منبتِرْ

ولم يذكره فى شىء من ذلك .

وقال عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت الأنصارى :

كأنَّ حَمَاتَيْهِما أَرنبانِ تقبَّضتا خيفةَ الأجدلِ[4]

ولم يذكره فى شىء من ذلك .

وقال خالد بن عبد الرحمن فى مثل ذلك[5] :

كأنَّ حَماتَها كردوس فحْلٍ مقلَّصةٌ على ساقَى ظليمِ

ولم يذكره فى شىء من ذلك .

وقال الأعشى :

أمَّا إذا استقبلتَه فكأنَّه جِذْعٌ سَمَا فوقَ النَّخيلِ مشذَّبُ

وإذا تصفَّحَه الفوارسُ معرضاً فتقولُ سِرحانُ الغَضَا المتصوِّبُ[6]

أما إذا استدبرته فتسوقُه ساقٌ يقمِّصها وظيفٌ أحدَبُ

---

(١) هو يزيد بن عمرو بن خويلد . له ترجمة فى الخزانة ١ : ٣٨٨ .

(٢) المحنب : المعوج الساقين . وفى : ط « بمجنب » وليس بشئ .

(٣) جملة « ويروى لامرئ القيس » ساقطة من ل . وانظر ديوان امرئ القيس أول قصيدة منه .

(٤) الحماة : عضلة الساق . وفى ط : « كأن حمايتها » وهو تحريف . والأجدل : الصقر .

(٥) جملة « خالد بن عبد الرحمن فى مثل ذلك » ساقطة من ل .

(٦) ط : « وإذا تصفحه الفوارس مغضبا » .

منـــهُ وجاعرة كأنّ حماتها لما كشفت الجُلَّ عنه أرنبُ(١)

ولم يذكره فى شىءٍ من ذلك . وقال الأسعر الجُعْفى(٢) :

أما إذا اســـتقبلْتَه فكأنّه بازٍ يكفكِفُ أن يطيرَ وقد رأى
أما إذا استعرضتَه متمطِّرا فتقول هذا مثلُ سِرحان الغَضا
أمَّا إذا اســـتدبرته فتَسُوقه ساقٌ قُموصُ الوَقْعِ عاريةُ النَّسا ١٣٣

ولم يذكره فى شىءٍ . وقال أبو دواد :

كالسِّيد ما استقبلتَه وإذا ولَّى تقول مُلَمْلَمٌ ضَرْبُ(٣)
لأمٌ إذا استعرضتَه ومشَى متتابعاً ما خانَه عَقْبُ
يمشِى كمشىِ نعامةٍ تبِعتْ أُخرى إذا هى راعَها خطْبُ

[ولم يذكره فى شى من ذلك] . وقال امرؤ القيس :

له أيطلاَ ظَبى وساقَا نعامةٍ وإرخاءُ سِرحانٍ وتقريبُ تَتْفُلِ

[ولم يذكره فى شىءٍ من ذلك] . وقال ابن سِنانٍ العبْدىّ :

أما إذا ما أقبلت فُطارةٌ كالجِذع شذّبهُ نفىُّ المِنْجَلِ
أما إذا ما أعرضَتْ فنبيلة ضخمٌ مكانُ حِزامِها والمرْكَلِ(٤)
أما إذا تشتدُّ فهى نعامةٌ تنفِى سنابكُها صِلابَ الجَنْدَلِ(٥)

(قول أبى عبيدة فى تشبيه الفرس بضروب من الحيوان)

قال أبو عبيدة : ومما يشبِه خلْقُه من خَلْق النعامة طولُ وظيفِها وقصرَ

---

(١) الجل : غطاء الفرس . وفى ط : « الحبل » محرفا . وفى ل : « هنة وجاعرة » .
(٢) الأبيات فى الخزانة ٤ : ٢٢ بولاق بتقديم الثالث على الثانى .
(٣) الضرب : الخفيف اللحم . وفى ل : « صرب » .
(٤) ط : « فقليلة » .
(٥) ل : « أما إذا ماأدبرت فنعامة »

ساقيها وعُرى نَسَيِيها(١) . ومِمّا يشبه من خلقه خلْقَ الأرنب صِغَر كعبَيها .

ومِمّا يشبه من خلْقه خلْق الحمار الوحشيّ غِلظ لحمه ، وظمأ فصوصه وسَراتِه ، وتمحص عصَبِه(٢) ، وتَمكُّن أرساغه ، وعَرض صهوته .

قال صاحب الكلب : قد قال أبو عبيدة : إنّ مما يشبه من خلقه خلْقَ الكلب هَرَت شدقِه ، وطول لسانه ، وكثرة ريقه ، وانحدار قصِّه(٣) ، وسبوغ ضُلوعِه ، وطول ذراعيه ، ورُحْب جلده ، ولحوق بطنه .

وقال طُفيل الغَنَوىّ ، يصف الخيل :

تبارِى مَراخِيها الزِّجاج كأنّها   ضِراءٌ أحسَّتْ نبأةً من مكلِّبِ(٤)

وقال طُفَيل أيضاً :

كأَنَّ عَلَى أعطافِهِ ثوبَ مائِحٍ   وإن يلق كلب بين لحييه يَذْهَبِ(٥)

وقال صاحب الديك : وأين يقع البيتُ والبيتان والثلاثة ، من جميع أشعار العرب ؟ !

وقال صاحب الكلب : لعلّنا إن تتبّعنا ذلك وجدناه كثيراً ، ولكنك تقدّمت فى أمر ولم تُشعِر بالذى تعنى ، فَنَلتقط(٦) من الجميع

١٣٤ أكثرَ مما التقطت . والإنسان شريف الأعضاء وقد تشبه مواضعُ منه مواضع من الفرس العتيق . وما حضرنا من الأشعار إلّا قوله :

(١) ط : « نسيها » وليس بشىء .

(٢) تمحص العصب : شدته . وفى ط : « تمحيص » .

(٣) القص والقصص : الصدر . ل : « قصبه » ط : « قصه » محرفتان .

(٤) يقول : إن هذه الخيل المراخى – وهن المسرعات واحدها مرخاء – تبارى الزجاج : جمع زج . أى تكاد تسبق مايحمله أربابها من سلاح . مثله قول لبيد :

يطرد الزج يبارى ظله   بأسيل كالسنان المنتخل

وفى ط ، ل : « تبادى » . وفى ط « مراحيها » . وذلك تحريف . انظر الحيوان (٢ : ٨١) .

(٥) المائح : الذى ينزل البئر فيملأ الدلو ، والماتح : الذى يجذب الدلو ليخرجها . وفى ل « كأن على أعطافها ثوب ماتح » وفى ط : « كأن على أعطافه ثوب مائح » . وانظر أدب الكاتب ٨٧ والاقتضاب ٢٢٧ .

(٦) فى الأصل : « فتلتقط » .

وترى الكميتَ أمامَه وكأنّه رجلٌ مُغاضِبْ ١٣٤

وقال الشاعر فى ذلك :

خُوصٌ تَرَاحَ إلى الصراخ إذا غدت فِعْلَ الضِّرَاءِ تَرَاح للكَلّابِ (١)

وقد شبهوا بالكلب كلَّ شىء .

وكان اسم فرس عامر بن الطفيل ، الكلب ، والمزنوق ، والوَرد .

(شعر فى وصف الناقة ونشاطها)

قال صاحب الديك : قد قال أوس بن حجر ، ووصف الناقةَ ونشاطها والذى يَهيجها فقال :

كَأَنَّ هِرًّا جَنِيباً عند مَغْرِضها والتفَّ ديكٌ برجليها وخِنْزِيرُ (٢)

فهلّا قال : والتف كلبٌ كما قال : والتفَّ ديك ! ! وقال أبو حيَّة :

[و] تزاورَتْ عنه كأن بدفِّها هِرًّا ينشِّبُ ضَبْعَها بالأظفر (٣)

وقال الأعشى :

بجُلالةٍ سُرُحٍ كَأَنّ بدَفِّها (٤) هرًّا إذا انتعل المطىُّ ظلالَهَا

وقال عنترة بن شدَّاد العَبْسى :

وكأنّما ينأى بجانب دَفِّها الـــوحْشِىِّ من هَزِجِ العشىِّ مؤوَّمِ (٥)

(١) ل : « إلى الصياح » وكذلك فى اللسان مادة (روح) .

(٢) لابن طباطبا نقد فى هذا البيت ذكره المرزبانى فى الموشح ٨٦ ، ولابن رشيق كلام فيه فى العمدة ٢ : ٢٢٥ ، وانظر معاهد التنصيص ١ : ٤٧ .

(٣) ينشب : يعلق به . وفى ط : « تنشب » .

(٤) ل : « بغرزها » . والغرز : ركاب من جلد . والدف : الجانب .

(٥) فى الأصل : « دفها الوحشى فى هزج . . » . وانظر التبريزى ١٨٧ .

هِرٌّ جَنِيبٌ كلّما عطفَتْ له غَضْبَى اتقاها باليدين وبالفمِ (1)

وقال المثقِّب العَبْدىّ :

فسلِّ الهمَّ عنك بذاتِ لَوْثٍ عُذَافِرةٍ كمِطْرَقةِ القُيُونِ

وبِصادقةِ الوَجِيفِ كأنّ هرًّا يُبارِيها ويأخُذُ بالوَضِينِ (2)

قال صاحب الكلب : إنما يذكرون فى هذا الباب السِّباعَ المنعوتة بالمخالب وطولِ الأظفار ، كما ذكر الهرَّ وابن آوى . والكلبُ ليس يوصف بالمخالب ، وليس أَنَّ الهر أقوى منه . ألا ترى أنّ أوسَ بن حجرٍ قال فى ذلك :

* كأنّ هرًّا جَنِيباً عِنْدَ مغْرِضِها *

فذكر الموضع الذى يوصف بالخلْبِ والخدْش والخمش والتظفير ، فلما أراد أن يفزِّعها ويثوِّرَها حتى تذهبَ جافلة فى وجْهها (3) ، أو نادَّة ،

١٣٥ أو كأنّها مجنونة من حاقِّ المرح والنشاط (4) قال :

* والتفَّ دِيكٌ برجلَيها وخِنزِيرِ (5) *

وقال أبو النجم :

لو جُرَّ شَنٌّ وسطها لمْ تُجْفِلِ (6) من شهوةِ الماءِ ورِزٍّ معضلِ (7)

[ويروى : تحفل] . ولو قال أوس :

(1) ط : « التقاها » .

(2) ط : « وصادقة الوجيف » وانظر المفضليات ٢٩٠ .

(3) ل : « وجهه » وهو تحريف .

(4) حاق المرح : صادقه . وفى ط : « حال المرح » .

(5) البيت لأوس بن حجر كما سبق قريباً . وصدره :

* كأن هرا جنيبا عند مغرضها *

(6) ط : « لو جرشن خلفها لم يحفل » .

(7) البيت ساقط من ل . والرز : الصوت ، وعنى به الوجع ، كما فى اللسان (رزز) عند إنشاد الرجز . وفى الأصول : « رزء » ، تحريف .

* والتفّ شَنٌّ برجليها وخِنزير *

لكان جائزاً ، لولا يُبْس الشنّ وقحُوله ، وأنّه ليس مما يلتوى على رجليها . وقال آخر :

كأنَّ ابنَ آوى مُوثَقٌ تحت غرْزِها ‏ إذا هو لم يَكْلِمْ بنابَيهِ ظَفَّرا

وقال صاحب الديك : حديث عمرو بن شُعيب عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحِلُّ لرجلٍ [أنْ][1] يُعطِيَ عَطِيَّةً ويرجِع فيها ، إلاّ الوالد فيما يعطى ولده . ومثل الذى يُعطى العطيَّةَ ثم يرجِعُ فيها كمثل الكلب يأكل ، حتى إذا شَبِع قاءَ ثم عاد فى قيئه »[2] .

وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يرجع فى هِبَته إلاّ الوالد من ولده . والعائدُ فى هبتِه كالعائد فى قيئه » .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر ، أنّ أبا بكرٍ أمر بقتل الكلاب . قال عبد الله بن جعفر : وكانت أمّى تحتَ أبى بكر ، وكان جروٌ لى تحت سريره[3] فقلت له : يا أبتِ ، وكلبى أيضاً ؟ فقال : لا تقتلوا كلبَ ابنى ، ثمّ أشار بإصبعه إلى الكلب — أى خذوه من تحت السرير — وأنا لا أدرى ، فقتل .

وإسماعيل بن أُميَّة قال : أُمّتان من الجنّ مُسِختا ، وهما الكلاب والحيَّات .

ابن المبارك قال : إذا عرف الرجلُ قدْرَ نفسه صار عِند نفسه أذلَّ من الكلب .

---

(١) ليست بالأصل .
(٢) ل : « قاءه ثم عاد فى قيه » .
(٣) ط : « تحت السرير » .

(لؤم الكلب)

قال صاحب الديك — وذَكَرَ الكلب فقال —: من لؤمه أنّه إذا أسمنْتَه أكلك ، وإن أجعْتَه أنكرك . ومن لؤمه اتّبَاعه لمن أهانه ، وإلفُه لمن أجاعَه ؛ لأنه أجهلُ من أن يأنس بما يؤنس به[1] وأشره وأنهَمُ وأحرصُ وألجُّ من أن يذهب بمطمعته[2] ما يذْهَب بمطامع السباع .

ومن جهله أيضا أنّا لم نجدْه يحرُس المحسنين إليه بنباحه ، وأربابَهُ الذين ربّوه وتبنّوه[3] إلا كحراسته لمن عَرفه ساعةً واحدة ، بل لمن أذلّه وأجاعَه وأعطشه . بل ليس ذلك منه حراسةً ، وإنّما هو فيه من فضل البَذَاء أو التُّحْش ، وشدّة التحرُّش والتسرُّع . وقد قال الشاعر فى ذلك :

١٣٦ إذا تخازَرْتُ وما بى من خَزَرْ ثم كسَرت العينَ من غير عَوَر[4]
أبْذَى إذا بُوذيت من كلبٍ ذَكَرْ[5] أسودَ قَزَّاحٍ يُعوِّى فى السَّحَر[6]

وإنّما ذلك شكل من شكل الجبن ، وكالذى[7] يعترى نِساءَ السِّفْلة من الصخَب .

(جبن الكلب)

والكلب جبانٌ وفيه جرأة ولؤم . ولو كان شجاعاً وفيه بعض التهيُّب

---

(١) ل : « منه » .
(٢) مطمعته : طمعه . وفى ط : « بمطمعه » .
(٣) ط : « ورواسوه » والوجه ما فى ل .
(٤) ل : « الطرف » موضع « العين » .
(٥) أبذى ، من البذاء . ط : « أبزى إذا بوزيت » صوابه فى ل . وانظر الأمالى (١ : ٩٦) وأمثال الميدانى (٢ : ١٢٧) . والرجز منسوب إلى عمرو بن العاص عند الدميرى (١ : ٤١٠) .
(٦) القزاح : الذى يدفع ببوله دفعا . وفى ط : « فراع » . وفى ط : « تعوى فى السحر » وفى ل : « يغضى فى السحر » .
(٧) ط : « ولاالذى » وهو تحريف .

كان أمثل . ومن فرط الجبن أنَّه يفزَع من كلِّ شيء وينبحَه .

والبرذون ربَّما رمَح البرذونَ مبتدئا ، وقلق وصهل صَهِيلا فى اختلاط ، وليس ذلك من فضْل قوَّةٍ يجدُها فى نفسه على المرموح ، ولكنَّه يكون جبانا ، فإذا رأى البرذون الذى يظنُّ أنَّه يعجِز عنه أراه الجبنُ أنَّه واقعٌ به ، فعندها يقلَق وإذا قلِق رمَح . وهذه العلَّة تعرض للمجنون ؛ فإنَّ المجنونَ الذى تستولى عليه السَّوداء ، ربما وثَب على من لايعرفه . وليس ذلك إلاّ لأنَّ المِرَّة أوهمتْه أنّه يريده بسوء ، وأنّ الرأى أن يبدأه[1] بالضرب . وعلى مثل ذلك يرمى بنفسه فى الماءِ والنار .

(مما حدث للنظام)

فأمَّا الذى شهدت أنا من أبي إسحاق بن سيَّار النظّام ، فإنّا خرجنا ليلةً فى بعض طرقات الأبُلَّة ، وتقدَّمتُه شيئاً ، وألح عليه كلبٌ من شكل كلاب الرِّعاء ، وكره أن يعدوَ فيغريَه ويُضَرِّيه[2] ، وأنف أيضاً من ذلك — وكانَ أنِفاً شديدَ الشَّكيمةِ أبَّاء للهَضيمة — وكره أن يجلسَ مخافةَ أن يشغَر عليه[3] أو لعلَّه أن يعضَّه فيَهْرِتَ ثوبَه ، وألحَّ عليه فلم ينله بسوءٍ[4] . فلمَّا جُزْنا حدَّه وتخلّصنا منه ، قال إبراهيم فى كلامٍ له كثير ، يعدِّد خصالَه المذمومة ، فكان آخر كلامه أن قال : إن كنت سَبُعْ فاذهبْ مع السِّباع ، وعليك بالبرارِى والغِياض ، وإن كنت بَهيمة فاسكتْ عنَّا سكوت البهائم !

---

(١) ط : « أنه يبدأه » .
(٢) يضريه : يغريه . وفى الأصل : « ويضربه » .
(٣) فى ط : « يشر عليه ببوله » وهو تحريف .
(٤) ل : « أن يأكله فهرت ثوبه وألح عليه ولم يرد سواه » .

ولا تنكر قولى وحكايتى عنه بقولٍ ملحون . من قولى : « إن كنت سَبْع » ولم أقلْ « إن كنت سبعاً » !

(إفساد الإعراب لنوادر المولدين)

وأنا أقول : إنّ الإعرابَ يفسد نوادر المولَّدِين ، كما أنّ اللحنَ يُفْسِد كلام الأعراب(١) ؛ لأنّ سامعَ ذلك الكلام إنّما أعجبتْه تلك الصورة(٢) وذلك المخرَج ، وتلك اللغة وتلك العادة ؛ فإذا دَخَلْت على هذا الأمر — الذى إنما أضحك بِسُخْفِه وبعضِ كلام العجميَّة التى فيه (٣) — حروفَ الإعراب والتحقيق والتثقيل(٤) وحوّلتَه إلى صورةِ ألفاظ الأعراب الفصحاء ، وأهلِ المروءة والنجابة(٥) انقلب المعنى مع انقلاب نظْمِه ، وتبدَّلَتْ صورته .

١٣٧ ثم قال أبو إسحاق : إنْ أطعمَه اللصُّ بالنهار كسرةَ خُبْزٍ خلاّه ، ودارَ حولَه ليلا . فهو فى هـذا الوجه مرتشٍ وآكلُ سُحت ؛ وهو مع ذلك أسمجُ الخلْقِ صوتاً ، وأحمق الخلق يقَظَةً ونوما . ينام النَّهارَ كله على نفس الجادَّة ، وعلى مدقِّ الحوافر ، وفى كل سوقٍ وملتقَى طريق ، وعلى سبيل الحمُولة (٦) وقد سهر الليلَ كله بالصياح والصَّخَب ، والنَّصَب والتَّعب ، والغيظ والغضب ، وبالمجىء والذَّهاب ، فيركبه من حبِّ النوم

---

(١) ل : « يفسد كلام المولدين كما أن اللحن يفسد نوادر كلام الأعراب » . وانظر البيان ١ : ١٤٥ .

(٢) ل : « أضحكته » بدل « أعجبته » .

(٣) ط : « فيها » والوجه مافى ل .

(٤) ط : « والتخفيف والتثقيل » والوجه مافى ل .

(٥) ل : « والنخانة » .

(٦) الحمولة بالفتح : مااحتمل عليه القوم من بعير وحمار ونحوه . وفى الأصل : « الخمولة » بالخاء ، مصحفة .

على حسب حاجته إليه ، فإن وطئته دابّةٌ فأسوأُ الخَلْقِ جزَعاً وألأمه، لؤما ، وأكثره نُباحا وعُواءً ، فإن سلم ولم تَطَأْهُ دابّةٌ ولا وطئه إنسان ، فليست تتمُّ له السلامة ؛ لأنّه فى حالِ متوقِّعٍ للبليّةِ . ومتوقِّعُ البليّةِ فى بَليّة . فإنْ لم يسلم فليس على ظهرها مبتلى أسوأُ حالاً منه ؛ لأنّه أسوَؤُهم جزَعاً ، وأقلُّهم صبرا ، ولأنّه الجانى ذلك على نفسه ، وقد كانت الطُّرق الخالية له معرضة ، وأصول الحيطان مباحة .

وبعد فإنّ كلَّ خُلُقٍ فارقَ أخلاقَ الناس فإنّه مذموم . والناس ينامون بالليل الذى جعله الله تعالى سكَنا ، وينتشرونَ بالنّهار الذى جعله الله تعالى لحاجات الناس (١) مَسْرحا .

قال صاحب الكلب : لو شئنا أن نقول : إنّ سهره بالليل ونومَه بالنهار خَصْلَةٌ ملوكيّة لقلنا ، ولو كان خلافُ ذلك ألذّ لكانت الملوك بذلك أولى . وأمّا الذى أشرتمْ به من النوم فى الطرق الخالية ، وعبتُموه به من نومه على شارعاتِ الطُّرق والسِّككِ العامرة (٢) وفى الأسواق الجامعة ، فكلُّ امرئٍ أعلم [بِشأْنِه] . ولولا أنّ الكلبَ يعلمُ ما يَلْقَى من الأحداث والسُّفهاءِ وصبيان الكتّاب ، من رضٍّ عظامِه بألواحهم إذا وجدوه نائماً فى طريق خالٍ ليس بحضرته رجالٌ يُهابون (٣) ، ومشيخةٍ يرحمون ويزجرون السفهاء ، وأنّ ذلك لا يعتريه فى مجامع الأسواق — لقَلّ خلافه عليك ، ولما رقد فى الأسواق . وعلى أنّ هذا الخُلُق إنّما يعترى كلاب الحُرّاس ، وهى

---

(١) ل : « النفوس ».

(٢) شرع المنزل : صار على طريق نافذ . وفى ل : « على مربعات السكك العامرة »

(٣) فى الأصل : « فى طريق ليس خال بحضرته . . الخ » وكلمة « خال » مزحزحة عن موضعها .

التى فى الأسواق مأواها ومنازلها .

وبعد فمن أخطأُ وأظلمُ ممَّن يكلِّف السباعَ أخلاقَ الناس وعادات البهائم ! ! وقد علمْنا أنّ سباعَ الأرض عن آخرها إنَّما تَهيج وتَسرح وتلتَمس المعيشةَ وتتلاقى على السفاد والعظال ليلاً ؛ لأنها تبصر بالليل .

(سبب اختيار الليل للنوم)

وإنما نام الناسُ بالليل عن حوائجهم ، لأنّ التمييز والتفصيل والتبيُّن[(١)] لايمكنهم إلاّ نهارا ، وليس للمتعَب المتحرِّك بدٌّ من سكون يكون جَماماً له . ولولا صرفُهم[(٢)] التماسَ الجمام إلى الوقت الذى لو لم يناموا فيه والوقتُ مانع
١٣٨ من التمييز والتبيُّن[(٣)] ، لكانت الطبائعُ تنتقض . فجعلوا النَّوم بالليل لضربين : أحدهما لأنّ الليلَ إذ كان من طبعه البرد والرُّكود والخُثورة ، كان ذلك أنزَعَ إلى النوم وما دعا إليه ، لأنّه من شكله . و [أمّا][(٤)] الوجه الآخر فلأنّ الليلَ موحِشٌ مخُوف الجوانب من الهوامِّ والسباع ، ولأنّ الأشياء المبتاعةَ والحاجات إلى تمييز الدنانير ، والدراهم ، والحبوب ، والبزور ، والجواهر ، وأخلاط العطر ، والبَرْبَهار[(٥)] وما لا يحصى عدده . فقادتهم طبائعُهم وساقتهم غرائزهم إلى وضعِ النوم فى موضعه ، والانتشار

---

(١) ط : « والتفصيل والتبيين » والوجه مافى ل .
(٢) ل : « فصرفهم » .
(٣) ط : « التبيين » .
(٤) زيادة يفتقر إليها الكلام .
(٥) البربهار : الأدوية التى تجلب من الهند من الحشيش والعقاقير ونحوها ، يقول البحرية وأهل البصرة لها : البربهار . أنساب السمعانى ٧١ . وانظر ماسيأتى فى حواشى ٣ : ٤٣٥

والتصرف(١) فى موضعه على ماقدّر الله تعالى من ذلك وأحبّه . وأمّا السباع فإنها تتصرّف وتبصر بالليل ، ولهـا أيضاً عللٌ أخرى يطول ذكرُها .

(نوم الملوك)

وأمّا ماذكرتموه من نوم الملوك بالنّهار وسهرهم بالليل ، فإنّ(٢) الملوكَ لم تجهلْ فضلَ النوم بالليل والحركةِ بالنهار ، ولكنَّ الملوك لكثرة أشغالها فضلَت حوائجها عن(٣) مقدار النهار ولم يتّسع لها ، فلما استعانَت بالليل ولم يكن لها بدٌّ من الخلوة بالتدبير المكتوم والسرِّ المخزون ، وجمعت المقدارَ الفاضلَ عن اتّسَاع النهار إلى المقدارِ الذى لابدَّ للخلوة بالأسرار منه ؛ أخذتْ من الليل صدراً صالحاً . فلمَّا طال ذلك عليها أعانها المِران(٤) ، وخفَّ ذلك عليها بالدُّربة .

وناسٌ منهم ذهبوا إلى التناول من الشراب وإلى أن سَماع الصوت الحسن مما يزيد فى المُنّة ، ويكون مادّةً للقوة . وعلموا أنّ العوامَّ إذا كانت لاتتناول الشّرابَ ولا تتكلّف السماع على هذا المعنى ، أن ظنّها سيسوءُ(٥) ، وقولَهَا سيكثُر ؛ فرأوا أنّ الليل أستَرُ وأجدرُ أن يتمَّ به التدبير(٦) ، وقال الراجز :

* ٱللَّيـلُ أخفَى والنَهارُ أفْضَحُ *

وقالوا فى المثل : « ٱللَّيـل أخفَى(٧) للويل » .

---

(١) ط : « والانتشار بالتصرف » وهو تحريف .
(٢) فى الأصل : « وإن » والوجه ما أثبت .
(٣) ط : « على » موضع « عن »
(٤) ط : « المرات » وهو تحريف .
(٥) ط : «متيسر » وهو تحريف مافى ل .
(٦) ط : « به باقى التدبير »
(٧) ط : « أنفى للويل » . وانظر أمثال الميدانى (٢ : ١٢٧) .

(تلهى المحزون بالسماع)

وما زالت ملوكُ العجَم تلهِّي المحزون بالسماع ، وتعلِّل المريض ، وتَشغله عن التفكير ، حتَّى أخذت ذلك ملوكُ العرب عن ملوك العجم . ولذلك قال ابن عَسَلة الشيباني(١) :

وسماعِ مُدْجنةٍ تعلِّلُنا   حتَّى نَنَامَ تنَاوُمَ العُجْمِ
فصحوت والنَّمَرِيُّ يحسَبُها   عَمَّ السِّماكِ وخالةَ النَّجْمِ (٢)

النجم : واحد وجمع ، وإنَّما يعني في البيت الثريَّا . ومدجنة : يعني سحابةً دائمة .

(قول أم تأبط شرا في ولدها)

وفيما يحكى عن امرأةٍ من عقلاء نساءِ العرب — وإذا كان نساءُ العرب
١٣٩ في الجملة أعقلَ من رجال العجَم ، فما ظنُّكَ بالمرأةِ منهم إذا كانت مقدَّمة فيهم(٣) — فروَوا جميعاً أنَّ أمَّ تأبَّط شرًّا قالت : « والله ما وَلَدْتُه يَتْناً ، ولا سقيتُه غَيْلاً ولا أبتُّه على مَأْقة » .

فأمَّا اليتن فخروج رِجل المولود قبلَ رأسِه ، وذلك علامة سُوءٍ ، ودليلٌ على الفساد . وأما سَقي الغَيْل ، فارتضاع لبن الحبلى ، وذلك فسادٌ شديد .

---

(١) سبق هذا الشعر ص ٢١٢ كما سبقت ترجمة ابن عسلة .
(٢) صواب روايته : « لصحوت » كما سبق في حواشي ٢١٢ .
(٣) ل : « عندهم » .

(ماينبغى للأم فى سياسة رضيعها حين بكائه)

وأما قولها فى المأقة ، فإنَّ الصبىَّ يبكى بكاءً شديداً متعِباً موجِعاً ؛ فإذا كانت الأمُّ جاهلةً حرّكته فى المهد حركةً تورثه الدُّوار ، أو نوّمته بأن تضرب يدَها على جنبه . ومتى نام الصبىُّ وتلك الفزْعةُ أو الَّلوعة أو المكروه قائمٌ فى جوفه ، ولم يعلَّلْ ببعضٍ مايلهيه ويُضحكه ويسرُّه ، حتى يكون نومه على سرورٍ ، فيسْرِى فيه ويعمَل فى طباعه ، ولا يكون نومه على فزعٍ أو غيظ أو غمٍّ ؛ فإنَّ ذلك ممَّا يعمل فى الفساد . والأمُّ الجاهلةُ والمرقِّصة الخرقاء ، إذا لم تعرف فرقَ مابين هاتين الحالتين ، كثُر منها ذلك الفساد ، وترادَفَ ، وأعان الثانى الأوّلَ والثالثُ الثانىَ حتَّى يخرجَ الصبىُّ مائقا . وفى المثل : « صاحبى مَئِق وأنا تئقٌ » ، يضرب هذا المثل للمسافر الأحمق الرَّفيقِ والزَّميل ، وقد استفرغه الضَّجر لطول السفر[1] فقلبُه ملآن ، فأوّلُ شىءٍ يكون فى ذلك المئق من المكروه لم يحتمله[2] بل يَفيض ضجره عليه ، لامتلائه من طول ماقاسى من مكروه السفر .

(مايحتاج إليه الملوك)

فاحتاج حُذَّاق الملوكِ وأصحابُ العنايات التامَّةِ : أن يداووا أنفسَهم بالسماع الحسن ، ويشدُّوا من مُتْنِهم بالشراب ، الذى إذا وقعَ فى الجَوف حرَّك الدَّم ، وإذا حرك الدَّم حرَّك طباعَ السرور ، ثمَّ لايزالُ زائداً

---

(١) ل : « بطول السفر »

(٢) ط : « ولم يحتمله » ، والواو مقحمة .

فى مكيال الدم ، زائداً فى الحركة المولِّدة للسرور . هذه صفةُ الملوك . وعليه بنوا أمرَهم ، جهل ذلك مَنْ جهله ، وعَلِمه من علمه .

وقال صاحب الكلب : أمَّا تركُه الاعتراضَ على اللِّصِّ الذى أطعمه أيّامًا وأحسنَ إليه مِراراً ، فإنَّما وجب عليه حفظُ أهلِه لإحسانهم إليه ، وتعاهدهم(١) له . فإذا كان عهده ببرِّ اللص أحدَثَ من عهده ببرِّ أهله(٢) ، لم يكلَّف الكلبُ النظرَ فى العواقب ، وموازنة الأمور(٣) . والذى أضمر اللصُّ من البَيات غَيْبٌ قد سُتِر عنه ؛ وهو لايَدرى أجاء ليأخذَ أم جاء ليعطىَ ، أوهم أمروه أو هو المتكلِّف لذلك ؛ ولعلَّ أهله أيضاً [أن] يكونوا قد استحقُّوا ذلك منه بالضَّرب والإجاعة ، وبالسبِّ والإهانة .

وأمَّا سماجة الصَّوت فالبغل أسمجُ صوتاً منه ، كذلك الطاووس على أنَّهم يتشاءمون به . وليس الصَّوت الحسنُ إلاَّ لأصناف الحمام من القَمارىِّ ه ١٤٠
والدَّبَاسىّ ، وأصناف الشَّفانين(٤) والوَراشين . فأمَّا الأسد والذئب ؛ وابن آوى والخنزير ، وجميعُ الطيرِ والسباع والبهائم فكذلك . وإنَّما لك أن تذمَّ الكلبَ فى الشىء الذى لايعمّ . والناس يقولون : ليس فى الناس شىءٌ أقلّ من ثلاثةِ أصناف : البيان الحسن ، والصوت الحسن ، والصورة الحسنة ؛ ثمّ النَّاس بعدُ مختلِطون ممتزجون . وربّما كان مِنَ الناسِ بل كثيراً ماتجِدُه وصوته أقبحُ من صوت الكلب ، فلم تخصُّون الكلبَ بشىءٍ عامَّةُ الخلق فيه أسوأ حالاً من الكلب ؟ !

وأما عُواؤه مِن وَطْء الدَّابّة وسوءُ جزَعه من ضرب الصِّبيان ، فجزعُ

---

(١) ل : « وتعهدهم له » وهما بمعنى .

(٢) ط : « فإذا كان عهده بين اللص وبينه أحدث من عهده بينه وبين أهله » وأثبت مافى ل ، مع إبدال « بينه وبين » بكلمة « ببر » .

(٣) ط : « وموازنة الأمور » .

(٤) ط : « الشغانين » وهو تحريف سبق التنبيه عليه ص ١٩٤ .

الفرَس من وقْع عذَبة السَّوط ، أسوأ من جزَعه من وقع حافر برذون ؛ وهو فى هذا الموضع للفرس أشدُّ[1] مناسبةً منه للحمار .

على أنَّ الدِّيكَ لايُذكَر بصبرٍ ولا جزَع .

(نوادر ديسيموس اليونانى)

قال صاحب الديك : حدَّثنى العُتْبى[2] قال : كان فى اليونانيِّين ممرورٌ له نوادرُ عجيبة ، وكان يسمَّى ديسيموس[3] ، قال : والحكماء يروون له أكثرَ من ثمانين نادرة [مامنها] إلاّ وهى غُرَّةٌ وعينٌ من عُيون النوادر : فمنها أنَّه كان كلَّما خرجَ من بيته مع الفجر إلى شاطئ الفرات للغائط والطهور ، ألقى فى أصل باب دارِه وفى دُوَّارته حجراً ، كى لاينصفق الباب ، فيحتاج إلى معالجة فتحه ، وإلى دفعه[4] كلَّما رجَع من حاجته ، فكان كلَّما رجع[5] لم يجد الحجرَ فى موضعه ، ووجد البابَ منصفقاً . فكَمَن له فى بعضِ الأيَّام[6] ليرى هذا الذى يصنع[7] مايصنع . فبينا هو فى انتظاره إذْ أقبَل رجلٌ حتَّى تناوَلَ الحجر ، فلمَّا نحَّاه عن مكانه انصفق

(١) ل : « إلى الفرس » وفى الأصل : « أشد منه » . وكلمة « منه » مقحمة .

(٢) ل : « القيني » وهو تحريف . وقد سبقت ترجمة العتبى ص ٥٤ .

(٣) كتابة هذا العلم بالدال هى الصواب كما فى ل ، ورسائل الجاحظ ١٤٣ . وهو علم يونانى متداول ، وحرف بالراء فى ط والبخلاء ١٥٨ ، والبيان ٢ : ٢٢٥ : ٢٢٦ .

(٤) ط : « رفعه » والوجه مافى ل .

(٥) ل : « إذا رجع » .

(٦) ط : « فى بعض الأمكنة فى بعض الأيام » .

(٧) ط : « الباب يصنع » وهو تحريف .

البابُ ، فقال له : مالَك ولهذا الحجر ؟ ومالك تأخذه ؟ فقال : لم أعلمْ أنّه لك . قال : فقد علمتَ أنّه ليس لك !

قال : وقال بعضهم : مابال ديسيموس يعلِّم الناسَ الشّعرَ ولا يقول الشعر ؟ قال : ديسيموس كالمِسَنِّ الذى يشحَذ ولا يقطع .

ورآه رجلٌ يأكل فى السُّوق فقال : أتأكل فى السوق ؟ فقال : إذا جاع ديسيموس فى السُّوق أكلَ من السوق .

قال : وأسمعه رجلٌ كلاما غليظا وسطاً عليه ، وفحش فى القول ، وتحلّم عنه فلم يجبه ؛ فقيل له : مامنعك من مكافأته وهو لك مُعرِض ؟ قال : أرأيتَ لو رمَحك حِمارٌ أكنتَ ترمَحُه ؟ قال : لا . قال : فإن ينبح عليك كلب تنبح[1] عليه ؟ قال : لا ، قال : فإنَّ السفيهَ إمّا أن يكون حماراً ، وإما أن يكون
١٤١ كلبا ؛ لأنّه لايخلو من شَرارَةٍ تكون فيه أو جهل ، وما أكثر مايجتمعان فيه[2] .

(أمثال أخرى فى الكلب)

وقال صاحب الديك : يقال للسفيه إنّما هو كلب ، وإنّما أنتَ كلبٌ نبّاح ، وما زال ينبَح علينا منذُ اليوم ، وكلبُ مَن هذا ؟ ويا كلب ابن الكلب ، واخسأْ كلباً[3] .

وقالوا فى المثل : « احتاج إلى الصُّوف مَنْ جَزَّ كلبَه » ، و « أجِعْ كلبَك يتبَعْك » ، و « أحبُّ شىء إلى الكلبِ خانقهُ » ، و « سمِّن كلبَك يأكلك »

---

(١) ل : « فإن نبح عليك الكلب » الخ . . .
(٢) ط : « من يجتمعان فيه » والوجه ما فى ل .
(٣) ل : « ويا كلب ابن الكلبة واخس كلبا » .

و « أجوَع من كَلْبة حَومَل »(١) ، و « كالكلب يربِض فى الآرِىّ فلا هو يأكل ولا يدَعُ الدابَّة تعتلف » .

(براقش)

وفى أمثالهم فى الشؤم : « على أهلها دلَّتْ بَراقِشُ » .

وبَراقش : كلبة نبحتْ على جيشٍ مرُّوا فى جوف الليل وهم لايشعُرون بموضع الحىِّ ، فاستدلُّوا عليهم بنُباح الكلبة فاستباحوهم(٢) .

(الجن والحن)

وقال صاحب الدِّيك : روى إسماعيلُ المكىّ عن أبى عَطاءٍ العُطارِدى قال : سمعت ابن عبَّاس يقول : السُّود من الكلاب الجِنّ ، والبُقْع منها الحِنّ . ويقال إنَّ الحنَّ ضَعَفة الجنِّ ، كما أنَّ الجنىَّ إذا كفر وظَلَم وتعدَّى وأفسد ، قيل شيطان ؛ وإن قوى على البنيان والحمل الثقيل ، وعلى استراق السمع قيل مارد ، فإنْ زاد فهو عِفريت ، فإن زاد فهو عبقرىّ . كما أنَّ الرجلَ إذا قاتل فى الحرب وأقدم ولم يحجم فهو الشجاع(٣) ، فإن زاد فهو البطل ، فإن زاد قالوا : بُهْمة ، فإن زاد قالوا : أَلْيَس(٤) . فهذا قول أبى عبيدة .

وبعض النَّاس يزعم أنَّ الحِنّ و الجنَّ صِنفان مختلفان ، وذهبوا إلى قول الأعرابى حينَ أتى بعضَ أبواب الملوك ليكتتَب فى الزَّمْنَى ، فقال فى ذلك :

إن تكتُبوا الزَّمْنَى فإنِّى لَزَمِنْ … مِن ظاهر الدَّاءِ وداءٍ مُسْتَكِنّْ

(١) انظر ثمار القلوب ٣١٥ والتمثيل والمحاضرة ٣٥٥ والميدانى ١ : ١٦٩ — ١٧٠ .
(٢) انظر تحقيقا طريفا للمثل فى إكليل الهمدانى ٨ : ١٢٦ .
(٣) ل : « ولم يخم . . » وهما بمعنى .
(٤) الأليس من الليس بمعنى الشجاعة . وفى ط : « ليث » وهو تحريف » .

أبيتُ أهوِى فى شياطينَ تُرِنّ   مختلفٍ نجارُهمْ جِنٌّ وجِنّ

(ماورد من الحديث والخبر فى قتل الكلاب)

وعن أبى عنبسة(١) عن أبى الزبير عن جابر :(٢) قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب ، حتى أن المرأة لتقدم بكلبها من البادية فنقتله ، ثم نهانا عن قتلها وقال : « عليكم بالأسود البهيم ذى النكتتين على عينيه ؛ فإنه شيطان » .

وعن أبى الزبير عن جابر قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب ، فكنا نقتلها كلها حتى قال : « إنها أمة من الأمم ؛ فاقتلوا البهيم الأسود ذا النكتتين على عينيه ؛ فإنه شيطان » .

١٤٢ وعبدالله وأبو بكر ابنا نافع(٣) عن ابن عمر ، ونافع عن أبى رافع قال : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنْ أقتلَ الكلاب ، فكُنَّا نقتلُها ؛ فانتهيت إلى ظاهر بنى عامر ، وإذا عجوزٌ مسكينة معها كلب وليس قربها إنسان(٤) فقالت : ارجعْ إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فأخبِرْه أنَّ هذا الكلبَ يُؤنِسنى ، وليس قربى أحد . فرجع إليه فأخبره ، فأمر أن يقتلَ كلبها فقتله . وقال فى حديث آخر(٥) : إنَّه لمَّا فرَغ من قتل كلاب المدينة وقتلِ كلْب المرأة قال : الآنَ استرحْت . قالوا : فقد صحَّ الخبرُ عن قتل جميع الكلاب ، ثمّ صحَّ الخبر بنسخ بعضه وقتل الأسود البهيم منها ، مع الخبر بأنَّها من الجنّ والحنّ ، وأنَّ أمَّتين مُسِختا ، وهما الحيَّات والكلاب .

---

(١) ل : « ويحيى بن أبى أنيسة » .

(٢) فى ل بعد هذا زيادة : « لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهيم . وعن أبى الزبير عن جابر » . كما أن الحديث الآتى فى ل روى بعد الذى يليه هنا .

(٣) ماعدا ل : « أبناءنا نافع » .   (٤) ط : « يقربها إنسان » .

(٥) ل : « قال وفى حديث » .

ثم روى الأشعث عن الحسن قال : ما خطَب عثمانَ خُطبةً إلاّ أمرَ بقتْل الكلاب وذبح الحمام .

وعن الحسن قال : سمعت عثمانَ بن عفّانَ يقول : اقتلوا الكلابَ واذبحوا الحمام .

قال : وقال عطاءٌ : فى قتل كَلْب الصيد إذا كان صائداً أربعُون درهما ، وفى كلب الزرع شاة .

(ما ورد من الحديث والخبر فى دية الكلاب)

والحسن بن عمارة عن يعلى بن عطاءٍ عن إسماعيل بن حسان عن عبد الله بن عمر[1] قال : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كلب الصَّيدِ بأربعين درهما ، وفى كلب الغنم بشاة ، وفى كلب الزرع بفَرَق من طعام[2] ، وفى كلب الدار بفَرَق من تراب ، حَقٌّ على القاتل أن يؤدِّيَه ، وحُقّ على صاحب الدار أن يقبِضه .

قالوا : والتراب لا يكون عقلا إذا كان فى مقدار الفَرَق .

وفى قوله : وحُقَّ على صاحب الدار أن يقبضه ، دليلٌ على أنّه عقوبة على اتّخاذه[3] وأن ذلك على التصغير لأمر الكلب وتحقيره ، [و] على وجه الإرغام لمالكه . ولو كان عوضاً أو ثوابا ، أو كان فى طريق الأموال المحروص عليها ، لما أُكْرِه على قبضه أحد ، ولكان العفو أفضل .

---

(١) فى الأصل : « حسان بن عبد الله بن عمر » .

(٢) الفرق ، بالفتح ، وبالتحريك : مكيال ضخم لأهل المدينة يقال إنه يسع ستة عشر رطلا . وفى ل : « من الزرع » .

(٣) ط : « على النهى عن اتخاذه » ، وتصحيحه من ل .

(ما ورد من الحديث والخبر فى شأن الكلب)

قال : وسئل عن الكلب يكون فى الدار وفى الدار مَن هو له كاره .

ابن أبى عَروبة عن قَتادة عن أبى الحكم : أنّ ابنَ عمر سئل عن ذلك فقال : المأثَمُ على ربِّ الدّار الذى يملكها .

وعن ابن عُمر قال : من اتّخذ كلباً ليس بكلب زَرْع ولا ضَرْع ولا صَيد نَقَص من أجره كلَّ يوم قيراط . فقال رجل : فإن اتخذه رجلٌ وهو كاره ؟ قال : إنّما إثمه على صاحب الدار .

وصَدَقة بن طَيْسَلة[1] المازنىّ قال : سألت الحسن قلت : إنَّ دورَنا فى الجبّان[2] وهى مُعْوِرة وليس عليها أبواب ، أفترى أن نتَّخذ فيها كلابا ؟ قال : لا لا .

١٤٣ وعن ابن أبى أُنيسة[3] عن سالم عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من اقتَنَى كلباً إلاّ كلب صيدٍ أو كلب ماشية ، نقص من أجره كلَّ يوم قيراطان » .

وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم : « من اقتنى كلبا[4] فإنّه ينقص من عمله كلَّ يوم قيراط » .

ويونس عن أبيه عن إسحاق[5] قال : حدثنا هُنَيدَةُ بن خالد[6] الخزاعى قال : انطلقت مع نفرٍ من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، نعودُ رجلاً من

---

(١) ط : « طيلسة » وأثبت ما فى ل .

(٢) الجبان والجبانة : المقبرة والصحراء . وفى ط : « الجنان » وهو تحريف .

(٣) اسمه يحيى . ماعدا ل : « ابن أبى شيبة » تحريف .

(٤) ل : « من أمسك كلبا » .

(٥) ل « ويونس عن أبى إسحاق وإسرائيل بن يونس عن أبى إسحاق قال : حدثنا أبو إسحاق قال : حدثنا هبيرة » .

(٦) ط : « هنيبرة » ، وهو تحريف صوابه فى ل والإصابة ٩٠١٠ .

الأنصار ، فلمَّا انتهوا إلى باب الدار ثارت أكلُبٌ فى وجوه القوم ، فقال بعضهم لبعض : ما يُبقى هؤلاءِ من عمل فلانٍ شيئا ، كلٌّ كلبٍ منها ينقُص قيراطاً فى كل يومٍ .

هشام بن حسان عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من اتخذ كلباً ليسَ بكلبِ صيدٍ ولا زرْع ولا ضَرْع ، فإنه ينقُص من أجره كلَّ يوم قيراطٌ ، والقيراطُ[1] مثلُ جبل أحُد » .

يونس عن أبى إسحاق[2] عن مجاهد[3] قال : أقبل عبد الله بن عمرو بن العاص حتَّى نزل ناحية مكَّة ، وكانت امرأةُ عمٍّ له تهاديه ، فلما كانت ذاتَ يوم قالت له : لو أرسلتَ إلىَّ الغنمَ فاستأنستُ برعائها وكلابها فقد نزلتُ قاصية ! فقال : لولا كلابُها لفعلتُ ؛ إنَّ الملائكةَ لا تدخلُ داراً فيها كلب .

الثورىُّ عن سماك بن حرب ، أنَّ ابنَ عباس قال على منبر البصرة : إنَّ الكلاب من الحِنّ[4] وإنَّ الحِنّ من ضَعَفة الجن ، فإذا غشيكم منها شىءٌ فألقُوا إليها شيئاً أو اطردوه[5] ، فإنَّ لها أنفُسَ سوء .

وهُشيم عن المغيرة عن إبراهيم قالوا : لم يكونوا ينهَونا عن شىء من اللعب ونحنُ غلمان[6] إلاَّ الكلاب .

قال صاحب الديك : روى إبراهيم بن أبى يحيى الأسلمىّ ، عن محمد ابن المنكدر ، عن ربيعة بن أبى عبد الرحمٰن قال : تقامر رجُلان على عهد

(١) ل : « وقيراط » .
(٢) ل : « يونس بن أبى إسحاق » .
(٣) ل : « عن أبيه عن مجاهد » .
(٤) ط : « الجن » بالجيم ، والصواب بالحاء كما فى ل .
(٥) كذا جاء فى الأصل بتغاير الضميرين .
(٦) ط : « وعن غلمان » وليس بشىء وانظر الجزء الثانى ص ٢٩٣ .

عُمر بديكين ، فأمر عمر بالديكة أن تُقْتَل(١). فأتاه رجلٌ من الأنصار فقال : أمرتَ بقتل أمّةٍ من الأمم تسبّح الله تعالى ؟ ! فأمر بتركها .

وعن قَتادة أنّ أبا موسى قال : لا تتّخذوا الدّجاج فى الدّور فتكونوا أهل قرية ، وقد سمعتم ماقال الله تعالى فى أهل القرى : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ .

وهذا عندى من أبى موسى ليس على ما يظنُّه الناس ، لأنّ تأويله هذا ليس على وجه ، ولكنّه كرِه للفُرسان ورجالِ الحرب(٢) اتخاذَ ما يتّخذه الفلاّح وأصحابُ التعيُّش ، مع حاجته يومئذ إلى تفرُّغِهم لحروب العجم ، وأخْذهم فى تأهُّب الفُرسان وفى دُرْبة رجال الحرْب . فإن كان ذهب إلى الذى يظهَرُ فى اللفظ فهذا تأويلٌ مرغوب عنه .

١٤٤ وقال صاحب الكلب لصاحب الديك : فقد أمر عُمَر بقتل الدِّيَكة ولم يستثنِ منها شيئاً دون شىء ، ونهى أبو موسى عن اتخاذ الدجاج ولم يستثن منها شيئاً دون شىء ، والدِّيكةُ تدخل فى هذا الاسم ، واسم الدّجاج يجمعها جميعا . ورويتم فى قتل الحمام مثلَ روايتكم فى قتل الكلاب ، ولم أركم رويتم أنّ الحمام مِسْخ ، ولا أنّ بعضَه من الجن وبعضه من الحن ، ولا أنّ أمتين مسختا وكان أحدهما الحمام . وزعمتم أنّ عمر إنّما(٣) أمر بقتل الدِّيَكة حين كره الهِراش بها والقمار بها . فلعلّ كلابَ المدينة فى تلك الأيّام كثُر فيها العَقُور(٤) وأكثر أهلُها من الهِراش بها والقمار فيها . وقد علمتم أنّ ولاة المدينة ربّما دَمَروا على صاحب الحمام(٥) إذا خيف قِبَلَه

(١) ط : « نقل » ، وهو تحريف .
(٢) ل : « وللرجال » .
(٣) فى الأصل « لما » والوجه ما كتبت .
(٤) ل : « العقر » وهو جمع عقور .
(٥) دمروا عليه : دخلوا عليه وهجموا فجأة .

القِمار[١] وظنُّوا أنه الشَّرَف[٢] ؛ وذكروا عنه الرَّمْىَ بالبُندق وخديعةَ أولادهم بالفراخ . فما بالكم لم تُخرِّجوا للكلابِ من التأويل والعذْر ، مثلَ الذى خرَّجتم للحمام والديكة .

(المسخ من الحيوان)

ورويتم فى الجِرِّىِّ[٣] والضِّباب أنهما كانتا أمَّتين مُسختا . وروى بعضهم فى الإرْبيانة أنَّها كانت خيّاطة تسرِق السُّلوك ، وأنَّها مُسِخت وترك عليها بعضُ خيوطها لتكون علامةً لها ودليلا على جِنْس سرقتها . ورويتم فى الفأرة أنَّها كانت طحّانة ، وفى سُهيل أنّه كان عشّارًا باليمن[٤] وفى الحيَّة أنّها كانت فى صورة جَمَل ، وأنَّ الله تعالى عاقبها حتى لا طَها بالأرض ، وقسم عقابَها على عشرة أقسام ، حين احتملت دخولَ إبليس فى جوفها حتّى وَسوَس إلى آدم مِنْ فِيها . وقلتم فى الوَزَغة وفى الحَكَأة[٥] ما قلتم . وزعمتم أنّ الإبل خُلِقَت من أعنان الشياطين[٦] وتأوّلتم فى ذلك أقبحَ التأويل . وزعمتم أنَّ الكلابَ أمّةٌ من الجنّ مُسخت . والذئبُ أحقُّ بأن يكون شيطاناً من الكلب ، لأنَّه وحشىٌّ وصاحبُ قِفار ، وبه يُضرَب

---

(١) ط : « من قبل القمار » والصواب ما فى ل .

(٢) الشرف : الإشفاء على خطر من خير أو شر . وفى ل : « به التشرف » ، وفى ط : « أنه السرف » .

(٣) الجرى : ضرب من السمك . وفى ط : « الجدى » وهو تحريف .

(٤) العشار : من يأخذ العشر .

(٥) الحكأة : عظاءة مخططة بخمسة خطوط سود ، تعرف فى مصر بالسحلية الخضارى . معجم المعلوف ١٥٥ . وفى ط : « الحدأة » وهو تحريف .

(٦) الأعنان : النواحى والجوانب . وفى الأصل : «أعناق» وهو تصحيف نبهت عليه ص ١٥٢ .. وانظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ١٦٣ .

المثل في التعدّي ، والكلب ألوفٌ وصاحبُ دِيار : وبه يُضرَبُ المثل . والذئب خَتُور غدّار ، والكلب وفيٌّ مناصح . وقد أقام الناسُ في الدّيار الكلابَ مُقامَ السَّنانير للفأر[1] . والذئب مضرّةٌ كلُّه ، والكلبُ منافعه فاضلةٌ على مضارّه ، بل هي غالبةٌ عليها وغامرةٌ لها ، وهذه صفةُ جميعِ هذه الأشياء النافعة .

والناس لم يُطبِقوا على اتّخاذها عبَثاً ولا جهْلا ، والقضاة والفقهاءُ والعُبّاد والوُلاة والنُّسّاك ، الذين يأمرون بالمعروف وينهَون عن المنكر ، والمحتَسِبة وأصحاب التكلُّف والتسليم جميعاً ، لم يطبقوا على ترك النّكير على[2]

١٤٥ ما يشاهدونه منها في دورِ مَنْ لا يعصيهم ولا يمتنع عليهمْ إلاّ وقد علِموا أنّه قدْ كان لقتلِ الكلابِ بأعيانها في ذلك الدّهر ، معنى . وإلاّ فالنّاسُ في جميع أقطارِ الأرض لا يُجمِعون على مسالمةِ أصحاب المعاصي ، الذين قد خلعوا عُذُرَهم وأبرزوا صَفحتَهم[3] . بل ما ترى خصماً يطعن على شاهدٍ عندَ قاضٍ بأنّ في داره كلباً ، ولا ترَى حَكَمًا يردُّ بذلك شهادة . بل لو كان اتّخاذُ الكلاب مأموراً به ، لما كان إلاّ كذلك .

ولو أنّكم حملتم حكم جميع الهَداهد على حكم هدهد سليمان : وجميعَ الغربان على حكم غُراب نوح ، وجميعَ الحمام على حكم حمامة السفينة[4] ، وجميعَ الذئاب على حكم ذئب أُهبان بن أوس ، وجميعَ الحميرِ على حكم حمار عُزَير — لكان ذلك حكماً مردودا .

---

(١) ل : « من الفأر » .

(٢) في الأصل : « وعلى » والواو مقحمة .

(٣) ط : « ضجتهم » وهو تحريف .

(٤) في الأصل « حمام السفينة » ، وهو تحريف . انظر الحيوان ٢ : ٣٢١ والثمار ٣٦٧ .

(ما لا يحدث إلا فى دهر الأنبياء ونزول الوحى)

وقد تعرض لخصائص الأمور أسبابٌ فى دهر الأنبياء ونزول الوحى ، لا يعرض مثلُها فى غير زمانهم : قد كان جبريل عليه السلام يمشى فى الأرض على صورة دِحيةَ الكَلبىّ ، وكان إبليس يتراءى فى السِّكاك[1] فى صورة سُراقة المُدْلجى ، وظهر فى صورة الشيخ النَّجْدى . ومثل هذا كثير .

(ما يسمى شيطانا وليس به)

فإنْ زعمتم أنّ النبى صلى الله عليه وسلم نظَر إلى رجلٍ يتبع حماماً طيَّارا فقال : « شيطانٌ يتبع شَيطاناً » ، فخبِّرونا عمن يتخذ الحمام[2] من بين جميع سكان الآفاق ونازلةِ البُلدان من الحرميِّين والبصريِّين[3] ومن بنى هاشم إلى من دونَهم ، أتزعمون أنَّهم شياطينُ على الحقيقة ، وأنَّهم من نجل الشياطين ؛ أو تزعمون أنَّهم كانوا إنساً فمُسِخوا بعدُ جِنًّا ؛ أم يكون قوله لذلك الرجل شيطان ، على مثل قوله ﴿شَيَاطِينَ الجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ وعلى قول عمر : لأنَزِعنَّ شيطانَه من نُخرتِه[4] ، وعلى قول منظور بن رواحة[5] :

فلما أتانى ما تقولُ تَرَقَّصَتْ ... شياطينُ رأْسِى وانتَشَيْنَ من الخمْرِ

---

(١) ل : « يتخرق السكاك » .

(٢) ط : « يتبع الحمام » .

(٣) ل : « الحرمين والمصرين » .

(٤) النخرة ، بالضم وكهمزة : مقدم الأنف . ط : « نعرته » تصحيف . وانظر ٦ : ١٩٣ .

(٥) ط : « منصور بن رواحة » . وانظر ص ٣٠١ .

وقد قال مَرَّةً أبو الوجيه العُكْلى : « وكان ذلك حين ركبنى شيطانى »
قيل له : وأىَّ الشياطين تعنى ؟ قال : الغضب .

والعرب تسمِّى كلَّ حيّةٍ شيطانا . وأنشد الأصمعى :

تُلاعب مثنى حَضْرَمىٍّ كأنَّهُ تعمُّج شَيطانٍ بذى خِرْوَعٍ قَفْرِ[1]

وقالت العرب : ما هو إلاّ شيطانالحَمَاطة. ويقولون: «ماهوإلاّشيطان» يريدون القبح ؛ و « ما هو إلاّ شيطان » ، يريدون الفِطنة وشدَّة العارضة . وروى عن بعض الأعراب فى وقعة كانت : والله ما قتلْنا إلاّ شَيطَانَ بَرِصاً[2]
١٤٦ لأنَّ الرجل الذى قاتلهم كان اسمه شيطان ، وكان به برص .

وفى بنى سعد بنو شيطان . قال طفيلٌ الغنوى :

* وشيطان إذ يدعوهم ويُثَوِّب[3] *

وقال ابن مَيّادة :

فلمـا أتانى ما تَقُول محاربٌ تغنّت شياطينى[4] وجُنَّ جُنونُها

وقال الراجز :

إنِّى وإن كنتُ حديثَ السِّنِّ وكانَ فى العين نُبوٌّ عنِّ
فإنَّ شيطانى كبيرُ الجِنِّ

وقال أبو النَّجم :

إنِّى وكلَّ شاعرٍ من البَشَرْ شَيطانُه أُنثى وشَيطانِى ذَكَرْ

وهذا كلُّه [منهم] على وجه المثل ، وعلى قول منظور بن رَوَاحَة :

أتانى وأهلى بالدِّماخ فغَمْرَةٍ مسبُّ عُويفِ اللؤمِ حىِّ بنى بَدْرِ[4]

(١) تعمج : تلوى . وفى ط : « تنعج » وهو تحريف ، وانظر ص ١٥٣ .
(٢) ل : « شياطينا برصا » والوجه مافى ط .
(٣) شيطان هو ابن الحكم ، فارس الخذواء . وصدرالبيت كما فى اللسان(شطن ، شيط ، خذا) :
* وقد منت الخذواء منا عليهم *
(٤) ط : « شياطين » وصوابه فى ل . وانظر ص ١٥٢ وثمار القلوب ٥٧ .
(٥) ط : «بالرماح » ل : ب«الدماح» . وانظر ياقوت (دماخ ، غمرة) . ل : « حى بنى بدر » .

فلمـا أتانى ما يقولُ ترقَّصتْ شياطينُ رأسى وانتشَيْنَ من الخمْر

(خرافةُ العذرىُّ)

وقد رويتم عن عبد الله بن فايد بإسنادٍ له يرفعه قال : خرافة رجل من بَنى عذرة استهوته الشياطين ، فتحدَّث رسول الله صلى الله عليه وسلم [يوما] بحديث فقالت امرأةٌ من نسائِه : هذا من حديثِ خُرافة قال : « لا وَخُرَافَة حقٌّ » .

(حديث عمر مع الذى استهوته الجن)

ورويتم أنَّ شريك بن خُناسة دخَلَ الجنَّة وخرجَ منها ومعه ورقةٌ من وَرَقِهَا ، [1] وأنَّ عمر سأل الرجل المفقود الذى استهوته الجنُّ فقال : ما كان طعامهم [2] ؟ قال : الفول والرِّمَّة . [3] وسأل عن شرابهم فقال : الجدَف [4] .
وقال الأعشى :

وإنى ومَا [5] كلفتمونى وربِّكم لأعلمُ من أمسَى أعقَّ وأحْوَبا
لكالثَّورِ والجِنىّ يضرب ظَهْرهُ [6] وما ذنبه أنْ عَافت الماءَ مَشْرَبا

---

(١) « من ورقها » ساقطة من ل .
(٢) ط : « طعامكم » .
(٣) ط : « البعر والبول والرمة » .
(٤) الجدف بالتحريك : نبات يكون باليمن لايحتاج آكله معه إلى شرب ماء . ابن الأثير . وفى ط : « الجدق » وهو تحريف .
(٥) ط . س : « وإن » وتصحيحه من ل وهذا الجزء ص ١٩ .
(٦) ط : « ظهرة » وهو تحريف .

(من خنقته الجن ، ثم عود إلى الحوار)

وزعمتم أنّ الجنَّ خنقت حرْبَ بن أمية ، وخنقت مِرداسَ بن أبي عامر ، وخنقت الغَريض المغنِّي ، وأنّها قتلت سعد بن عبادة ، واستهوت عمرو بن عدى واستهوت عمارة بن الوليد ؛ فأنتم أمْلياءُ بالخرافات[1] أقوياءُ على ردِّ الصحيح وتصحيح السقيم ، وردِّ تأويل الحديث[2] المشهورِ إلى أهوائكم . وقد عارضْنا لكم وقابلنا لكم وقارضْنا لكم . ١٤٧

وقالوا : فى الحديث أنّه « من اقتنى كلباً ليسَ بكلْب زرْعٍ ولا ضرْع ولا قَنص فقد أَثِم[3] » . فهاتوا شيئاً من جميع الحيوان يصلح للزرْع والضَّرْع والقنص . وبعد فهل اتخذوا كلبَ الضَّرْع إلاّ ليحرسَ الماشيةَ وأولادَها من السباع ؟ وهل عند الكلبِ عند طُروق الأسد والنمر والذئاب وجميع ما يقتات اللُّحمانَ من رؤساء السباع ، إلاَّ صياحَه ونباحَه وإنذاره ودلالته ، وأنْ يشغلَها بعضَ الشُّغْل ، ويُهجهِج بها بعض الهجهجة ، إلى أن يلحق بها من يحميها ؛ ويتوافى إليها[4] من يذود عنها ، إذ ليس فى هذا القياس أنا متى وجدنا دهراً تكثُر فيه اللصوص ويفشو فيه السُّرَّاق ، وتظهر فيه النُّقوب ، ويشيع فيه التسلُّق ، ممَّن إذا أفضى إلى منزلِ القوم لم يرضَ إلا بالحريبة[5] ليس دونها شىء ، أو يأتى على الأنفس ، وهو لا يصل إلى ما يريدُ حتى يمرَّ على النساء مكشَّفات ، ومَن عسى إذا أخذ المرأةَ أخذ يدٍ ألاَّ يرضى أن يتوعَّد بذبح الأولاد [و] أن يُتَّقى بالمال ،[6] حتَّى يذبح ،

---

(١) ل : « ملاء بالخرافات » وهما بمعنى .

(٢) ط : « ورد بأن التنزيل والحديث » والصواب فى ل .

(٣) ط : « فهو أثم » .

(٤) ل : « إليه » .

(٥) الحريبة : المال الذى يعيش به الإنسان ، أو المال الذى يسلب منه . وفى ط : «بالحربية» .

(٦) ل : « وإن لم يتق بالمال » والوجه ما فى ط .

ومن عسى إن تمكّن شيئاً أو أمِنَ قليلا ، أن يركب الحُرَم بالسّوءة العظمى، وبالتي لاشَوَى لها[1] . فهذا الحال أحقّ بالحِراسة من تلك الأحوال .

وبعد فلِمَ صار نساءُ الحرمَين يتزاوَرْنَ ليلا ، ونساء المصرَين[2] يتزاورن نهاراً ، ونساء الحرمين لايرين نهاراً ، ونساء المصرَين[2] لا يُرَيْنَ ليلا ؛ إلّا للمكابرات ولمكانِ كثرةِ من يستقفى ويتحوّب[3] للنقب والتسلّق . وإذا كان الأمر كذلك فأيُّ الأمورِ أحقُّ بالتحصين[4] والحياطة ، وأيُّهما أشبه بالتغرير والإضاعة : اتّخاذ الكلاب التي لاتنام عند نوم من قد دأب نهاره ، أو ترك اتّخاذها ؟ ويقَظة السُّرّاق على قدر نوم المسروقين .

وعلى أنّا لو خُلّنا[5] بين حَرس الأسواق وما تشتمل عليه من حرائب الناس[6] ، وبين اتّخاذ الكلاب ، لامتنعوا من ضَمان الحراسة ، ولامتنع كلُّ محروس من إعطائهم[7] تلك الأجرة ، ولوجَد اللصوصُ ذلك من أعظم الغُنْم وأجود الفُرص[8] . أوما تعلمون أنّ هذا الحريم ، وهذه الحرمات[9] وهذه العقائل من الأموال ، أحقُّ بالمنْع والحِراسة والدّفع عنها بكلّ حيلة ، منْ حفظ الغنم وحريمِ الراعى وحُرمة الأجيرِ ؟ !

وبعد فإنّ الذئابَ لاتجتمع على قطيعٍ واحد ، والذى يُخاف من الذئب السَّلّة والخطفة[10] ، والاستلابُ والاختلاس . والأموالُ التى فى حوانيت

---

(١) يريد بالإصابة التى لاتخطئ .
(٢) ط : « المصريين » وهو تحريف .
(٣) ط : « ومن يتخوف » .
(٤) ط : « بالتحصيل » وهو تحريف .
(٥) ط : « جعلنا » وهو تحريف .
(٦) ط : « جراءة الناس » وهو تحريف . وسبق قريباً تفسير الحريبة .
(٧) فى الأصل : « إعطائه » والضمير ضمير الحرس . فالصواب ما كتبت .
(٨) فى الأصل : « الغرض » .
(٩) ط : « الحريمات » .
(١٠) ل : « والخطف » وهما بمعنى .

١٤٨ التجار وفى منازل أهلِ اليسار يأتيها من العدد والعُدَّة ، ومن نُجب أصحاب النجدة ، من يحتملها بجذافيرها ، مع ثقل وزنها وعظم حجمها ، ثمَّ يجالدون دون ذلك(١) بسيوف الهند وبالأذرع الطوال . وهم من بين جميع الخليقة لَولَا(٢) أنّهم قد أحسُّوا من أنفسهم الجراءة وثباتَ العزيمة ، بما ليس من غيرهم ، لكانوا كغيرهم ، ولولا أنَّ قلوبَهم أشدُّ من قلوب الأسْد لما خَرَجوا ، على أنّ جميع الخلق يطالبونهم ، وعلى أنّ السلطانَ لم يُوَلَّ(٣) إلَّا لمكانهم . و [الكلابَ لم تُتَّخَذْ إلا لِ] لإنْذَارِ بهم ، وعلى أنَّهم إن أُنذرَ بهم قاتلوا قتالَ من لاينجيه إلَّا القِتال ، وعلى أنَّهم إذا أُخذوا ماتوا كراما .

ولعلَّ المدينةَ قد كانت [فى] ذلك الدهر مأموناً عليها من أهل الفساد(٤) وكان أكثرُ كلابها عَقورا ، وأكثرُ فِتيانها من بين مُهارشٍ أو مقامرٍ . والكلبُ العَقورُ والكلْب الكلبُ أشدُّ مضرَّةً من الذئب المأمورِ بقتله .

وقد يعرض للكلاب الكلَب والجنون لأُمور : منها أن تأكلَ لحوم الناس ، ومنها كالجنون الذى يعرِض لسائر الحيوان .

(قتل العامة للوزغ)

وجُهَّالُ النَّاسِ [اليوم] يقتلون الوَزَغ ، على أنَّ آباءها وأمهاتها(٥) كانت تنفُخ على نار إبراهيم ، وتنقُل إليها الحطب . فأحسَب أنَّ آباءها

(١) ط : « على ذلك » .
(٢) ل : « أولى » والصّواب فى ط .
(٣) ط : « يولهم » .
(٤) ل : « مأمونة من أهل الفساد » وأثبت مافى ط .
(٥) ط : « أباها وأمهاتها » والوجه مافى ل .

وأمّهاتِها قد كنَّ يعرفن فصْل(١) مابين النبيِّ والمتنبِّى ، وأنّهن اعتقدْن عداوةَ إبراهيم ، على تقصيرٍ فى أصل النظر ، أو عن معاندةٍ بعد الاستبانة حتّى فعلنَ ذلك — كيف جاز لنا أن تَزِر وازرةٌ وِزْرَ أخرى ؟ ! إلّا أن تدّعوا أنّ هذه التى نقتلها هى تلك الجاحدةُ للنبوّة ، والكافرةُ بالربوبيّة ، وأنّها لاتتناكح ولا تتوالد .

وقد يستقيم فى بعض الأمر(٢) أن تقتلَ أكثر هذه الأجناس ، إمّا من طريق المحنة والتعبُّد(٣) وإمّا إذ(٤) كان الله عزّ وجلّ قد قضى على جماعتها الموتَ ، أن يجرىَ ذلك المجرى على أيدى الناس ، كما أجرى موت جميع الناس على يد ملك واحد ، وهو ملك الموت .

وبعد فلعلّ النبىَّ صلى الله عليه وسلم قال هذا القول [إن] كان قاله ، على الحكاية لأقاويل قوم . ولعلّ ذلك كان على معنًى كان يومئذٍ معلوما فترَكَ النّاسُ العلّةَ ورووا الخبر(٥) سالماً من العِلل ، مجرّداً غير مضمّن(٦) . ولعلّ مَن سمع هذا الحديث شهِد آخرَ الكلام ولم يشهد أوَّلَه ، ولعلّه عليه الصلاة والسلام قصَد بهذا الكلام إلى ناسٍ من أصحابه قد كان دار بينهم وبينه فيه شىء . وكلّ ذلك ممكنٌ سائغٌ(٧) غير مستنكَر ولا مدفوع .

(١) فصل : فرق . وفى الأصل : « فضل » .
(٢) ل : « فى البدى الأمر » .
(٣) ط : « المحبة والتعبد » ووجهه فى ل .
(٤) ل : « وإما إذا » .
(٥) ط : « وردوا الخبر » وهو تحريف .
(٦) ط : « غير مميز » .
(٧) ل : « شائع » وهو تحريف مافى ط .

وقد رويتم [فى الفواسق ما قد رويتم فى[1] الحيَّة والحدأة والعقربَّ والفأرة والغراب ، ورويتم] فى الكلب العَقور ، وكيف يُقتلْنَ[2] فى الحِل والحرَم . فإنْ كنتم فُقهاءَ فقد علمتم أنَّ تسميةَ الغراب بالفِسق ، والفأرة
١٤٩ بالفُويسِقة ، أنّ ذلك ليس من شكل تسمية الفاسق[3] ، ولا من شكل تسمية إبليس .

وقد قالوا : مافجرها إلّا فاجر ، ولم يجعلوا الفاجر اسماً له لايفارقه . وقد يقال للفاسق من الرجال : خبيث . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « من أَكَلَ من هذه الشَّجَرَةِ الْخبِيثةِ[4] فلاَ يَقْرَبَنَّ مُصَلَّانَا » وهو على غير قوله عزّ وجلَّ ﴿ الْخبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ﴾ . وقد قال بعضُ الرُّجَّاز وذكر ذئباً :

أما أَرَاكَ عَنِّىَ الحدِيثُ إذْ أنا بالغَائِطِ أَسْتَغِيثُ
والذئبُ وَسْطَ غَنَمِى يَعِيثُ وصِحْتُ بِالْغَائِطِ ياخَبِيثُ

وهذا الباب كثير ، وليس هذا موضعه ، وقد ذكرناه فى كتاب الاسم والحكم .

وقد يشبه الاسمُ الاسمَ فى صورةِ تقطيع الصوت ، وفى الخطِّ فى القرطاس ، وإن اختلفت أماكنُه ودلائله . فإذا كان كذلك فإنّما يعرف فضلُه بالمتكلِّمين به ، وبالحالات والمقالات ، وبالذين عُنُوا بالكلام . وهذه جملةٌ ، وتفسيرها يطول .

---

(١) فى الأصل : « من » .
(٢) ط : « يقتل » والوجه مافى ل .
(٣) ط : « القاذق » . ل : « القاذف » والوجه ما أثبت .
(٤) قال ابن الأثير : يريد الثوم والبصل والكراث .

(القتل والقصاص)

وقالوا : قد أُمِرْنا بقتل الحيَّة والعقرب ، والذئب والأسد ، على معْنًى ينتظم معنَيْين[1] : أحدهما الامتحان والتعبُّد بفكر القلب وعمل الجارحة ، لا على وجه الانتقام والعقوبة . وأُمرنا بضرب الباغى بالسيف إذا كانت العَصَى لاتُغنى فيه على جهة الدَّفْع وعلى جهة العقاب ، ولم نُؤمَرْ بالقصد إلى قتله ، وإنَّما الغاية فى دفع بأسِهِ عنا ، فإن أتى إلى ذلك المقدار عليه ، كان كسارقٍ ماتَ من قطع يده ، وقاذفٍ ماتَ عن جَلد ظهره[2] . وقد أُمِرْنا بالقصد إلى قتْل الحيَّات والعقارب وإن لم تعرض لنا فى ذلك الوقت ؛ لأنَّ جنسَها الجنسُ المتلف متَى همَّ بذلك . وليس لنا أن نضربَ الباغىَ بالسَّيف إلّا وهو مقبلٌ غيرُ مدبر ، ولنا أن نقتل الحيَّة مقبِلةً ومدبرة ، كما يُقتل الكافرُ مقبِلا ومدبراً ؛ إلّا أنَّ قتلَ الكافر يجمع الامتحان[3] والعقوبة ، وليس فى قتل الحيَّة إلّا الامتحان . وقد كان يجوز أن تمتَحَن بحبسها[4] والاحتيالِ لمنعها ، دونَ قتلها . وإذا ولَّى الباغِى من غير أن يكون يريد الرجوع إلى فئة ، فحكمه الأسر والحبس [أبداً] إلى أن يُؤْنَسَ منه النُّزوعُ . وسبيل الأحناشِ والسِّباع وذواتِ السموم من الهمَج والحشرات ، القتلُ مقبلةً ومدبرة . وقد أبيح لنا قتلُ ضروبٍ من الحيوان عند مايبلُغ

---

(١) فى الأصل : « بمعنيين » ، وهو تحريف .

(٢) ط : « من جلد ظهره » .

(٣) ط : « الانتقام » .

(٤) ط : « يمتحن لجنسها » وهو تحريف .

من جناياتها علينا الخدش ، فضلاً عن الجرح والقتل ، كالبعوض والنمل ، والبراغيث والقمل .

والبعيرُ قتلهُ فسادٌ ، فإن صال على الناس كان قتلُه صلاحًا . والإنْسان قتله حرام ، فإن خيفَ منه كان قتلُه حلالا .

(طائفة من المسائل)

والحديث عن مسخ الضَّبِّ والجِرِّيِّ ، وعن مسخ الكلاب والحُكَأَةِ وأنَّ الحمامَ شيطان ، من جنس المُزاح الذى كنَّا كتبنا به إلى بعض إخواننا[1] ممَّن يدَّعى علمَ كلِّ شىء ، فجعلنا هذه الخرافاتِ وهذه الفِطَنَ الصغارَ ، من باب المسائل .

فقلنا له : ما الشِّنِقْناقُ والشَّيْصَبانُ[2] وتنكوير[3] ودركاذاب[4] ومَن قاتل امرأة ابنِ مقبل ؟ ومن خانق الغَريض[5] ؟ ومن هاتف سعد[6] ؟

---

(١) هو أحمد بن عبد الوهاب الذى صنع فيه الجاحظ رسالة « التربيع والتدوير » .

(٢) الشنقناق والشيصبان — زعموا — : رئيسان عظيمان من الجن . وسيتحدث عنهما الجاحظ فى الجزء السادس. وانظر الثمار ص ٥٥ . وفى ل : « الشيصيان » محرفا .

(٣) ل : « تنكوبر » وفى رسائل الجاحظ ١٠٦ : « بركوير » .

(٤) ل : « ركازات » وفى الرسائل: « دركاداب » .

(٥) الغريض هو عبد الملك ، كان مولدا من مولدى البربر ، وولاؤه للثريا صاحبة عمر ابن أبى ربيعة ، وكان من رؤساء الغناء أخذ عن ابن سريج . وانظر حديث قتل الجن له فى الأغانى ٢ : ١٤٣ .

(٦) هو سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الخزرجى ، صحابى كان سيد الخزرج ، وكان يلقب فى الجاهلية بالكامل ، لمعرفته الكتابة والرمى والسباحة . توفى سنة ١٥ وزعموا أن الجن قتلته ، وسمع هاتفهم يقول :

قد قتلنا سيد الخزر ج سعد بن عباده
ورميناه بسهمين فلم نخط فؤاده

وخبّرنا عن بنى أُقيش[1] وعن بنى لبنى ، ومَن زَوْجُها ؟ وعن بنى غَزْوان ومَن امرأته ؟ وعن سملقة وزَوبعة[2] ، والميدعان[3] ، وعن النقار ذى الرقبة[4] وعن آصف ، ومن منهم أشار بأصفر سليم[5] ، وعن أطيقس اسم كلب أصحاب الكهف ، وكيف صارت الكلابُ لاتنبح من سمّاه[6] ؟ وأين بلغ كتَابُ شَرطهم ؟ وكيف حدَّثوا عن ابن عباسٍ فى الفأر والقرد والخنزير والفيل والأرنب والعنكبوت والجِرِّيّ ، أنّهنّ كلّهنّ مِسخ [وكيف خُصَّت هذه بالمسخ ؟] وهل يحلُّ لنا أن نُصدِّق بهذا الحديث عن ابن عبّاس ؟ وكيف صارت الظباءُ ماشيةَ الجنّ ؟ وكيف صارت الغِيلان تُغيِّر كلَّ شىء إلّا حوافرَها ؟ ولم ماتت من ضربةٍ وعاشتْ من ضربتين[7] ؟ ولم صارت الأرانب والكِلاب والنَّعامُ مراكبَ الغيلان ؟ ولم صارت الرواقيد مطايا السَّواحر ؟ وبأى شىء زوّج أهلُ السّعلاة ابن يربوع ؟ وما فرق مابينه وبين عبد الله بن هلال ؟ وما فعلت الفتاة التى كانت سميت بصبر على يد حرمى

---

(١) ط : « ابن أقيش » ! وبنو أقيش : حى من الجن .

(٢) زوبعة ، هو الجنى الذى صنع لسليمان صرحاممردا من قوارير . التيجان ١٦١ . وانظر ٦ : ٢٣١ .

(٣) ط : « والميدعات » .

(٤) ل : « النقاد ذى الرقبة » .

(٥) أصفر سليم . قال الثعالبى فى ثمار القلوب ١١٩ : « كان سليم صيدلانيا بالبصرة ، وقد عجن دواء أصفر لكل ماشرب له ، فكان يستشفى به كل مبرود ومحرور ، فصار مثلا فى البركة وحسن الموقع » اهـ . وقال ابن قتيبة فى المعارف ٢٦٥ : « كان لعبيد الله بن أبى بكرة ثلاثة وكلاء : يقال لهم سليم الناصح ، وسليم الغاش ، وسليم الساحر ، وهذا هو الذى عمل أصفر سليم » . فى ط : « أشار بأصغر سليم » وهو تحريف صوابه فى ل ، س و م .

(٦) ط : «أطيغش» . وفى ل : « من سماها » وهو تحريف . وانظر قول الدميرى فى كلب أصحاب الكهف ٢ : ٤٢٨ .

(٧) سيتحدث الجاحظ عن هذا فى الجزء السادس ص ٢٣٣ — ٢٣٥ .

وأبى منصور(١) ؟ ولم غضب من ذلك المذهب ؟ ولم مضى على وجهه شفشف(٢) ؟ وما الفرق بين الغيلان والسّعالى ، وبين شيطان الحضراء(٣) وشيطان الحَماطة ؟ ولم عُلِّق السمك المالح بأذنابه [والطرىّ بآذانه](٤) وما بالُ الفراخ تُحمَل بأجنحتها والفراريج بأرجلها ؟ وما بال كلّ شيء أصلُ لسانه ممّا يلى الحلق(٥) وطرفه ممّا يلى الهواء ، إلّا لسان الفيل ؟ ولم قالت الهند : لولا أنّ لسانه مقلوب لتكلّم ؟ ولم صار كلّ ماضغٍ وآكلٍ يُحرِّك فكّه الأسفل ، إلا التمساح [فإنه(٦)] يحرّك فكّه الأعلى ؟ ولم صار لأجفان الإنسان الأشفار ، وليس ذلك للدواب إلّا فى الأجفان العالية ؟ وما بالُ عين الجرادة وعين الأفعى لاتدوران ؟ وما بيضة العُقْر(٧) وما بيضة الديك ؟ ولم امتنع بيض الأنوق ؟ وهل يكون الأبلق العقوق(٨) وما بال لسانِ سمكِ البحر [عديما] ؟ وما بال الغريقِ من الرّجال يطفو على قفاه ، ومن النساء
١٥٤ على وجهه(٩) ؟ ولم صار القتيل إذا قُتل يسقط على وجهه ثم يقلبه ذكَرُه ؛

---

(١) ل : « سمية نصير على يد جرمى . . الخ » .

(٢) ل : « سفسف » .

(٣) ط : « الحصر » .

(٤) ط : « المليح بأذنابه » . وتعليق السمك الطرى بآذانه عبارة تهكمية ، فليس للسمك أذن ظاهرة .

(٥) ط : « مما يلى الفم » ل : « مما يلى داخل » .

(٦) حرف يحتاج إليه الكلام .

(٧) ل : « العصفور » وهو تحريف . وبيضة العقرقيل هى التى تمتحن بها المرأة عند الافتضاض أو أول بيضة للدجاجة ، أو آخرها ، أو بيضة الديك يبيضها فى السنة مرة .

(٨) الأبلق : الفرس فيه سواد وبياض ، وهو ذكر . والعقوق : الحامل أو الحائل ، وهى أنثى . ولايكون الذكر أنثى .

(٩) ل : « يظهر على قفاه » . ط : «ومن النساء على وجهها » .

وأين تذهب[1] شِقشِقة البعير وغُرمول الحمار [والبغْل] وكَبِدُ الكوسج بالنهار ، ودَمُ الميت ؟ [ولم انتصب خَلْق الإنسان من بين سائر الحيوان]؟ وخبِّرني عن الضفادع ، لم صارت تنقُّ بالليل[2] وإذا أُوقدت النارُ أمسَكَت[3] ؟ .

وقالوا : قد عارضناكم بما يجرى مجرى الفساد والخُرافة . لنردَّكم إلى الاحتجاج بالخبَر الصحيح المخرج للظاهر[4] .

فإن أعجبتك هذه المسائلُ ، واستطْرَفتَ هذا المذهب ، فاقرأ رسالتى[5] إلى أحمد بن عبد الوهاب الكاتب ، [فهى مجموعةٌ هناك] .

(أصناف الكلاب)

والكلاب أصنافٌ لايحيط بها[6] إلّا من أطالَ الكلام . وجملة ذلك أنَّ ما كان منها للصيد فهى الضِّراء ، وواحدها ضِروة[7] ، وهى الجوارح والكواسب ، ونحن لانعرفها إلَّا السَّلُوقيّة ؛ وهى من أحرار الكلاب وعتاقها[8] ، والخِلاسية[9] هجنها ومقاريفها . وكلابُ الرعاءِ من زينيّها

---

(١) ط : « وما بال » .

(٢) النقيق : صوت الضفادع . وفى ط : « تنعق » ، والنعيق إنما هو للبوم والغربان .

(٣) ل : « إذا أبصرت النهار أمسكت » وهو تحريف ، صوابه فى ط وفى الحيوان ٤ : ٤٨٦ .

(٤) هذه الفقرة دخيلة وليس هذا موضعها .

(٥) فى الأصل : « فاقدر رسالتى » والوجه « فاقرأ » .

(٦) ل : «لايحصيها » .

(٧) ط : « ضار » وهو تحريف .

(٨) فى الأصل : « وهى فى أحرار الكلاب وعتاقها » ، وصححته كما ترى .

(٩) ط : « الجلاسية » وهو تصحيف .

وكرديها فهى كرادتها(١) .

وقد تصيد الكلابُ غيرُ السَّلوقيّة ، ولكنّها تقصّر عن السَّلوقيّة بعيداً . وسَلوق من أرض اليمن كان لها حديدٌ جيِّد الطبع ، كريم العنصر حرُّ الجوهر . وقد قال النابغة(٢) :

تَقدُّ السَّلوقىَّ المضاعَفَ نسجُه ... وتوقِد بالصُّفّاح نارَ الُحباحِب

وقال الأصمعىّ : سَمِعتُ بعضَ الملوك وهو يركض خلفَ كلْبٍ وقد دنا خَطمه من عَجْب ذنب الظبى(٣) وهو يقول : إيه فدتكَ(٤) نفسى ! !

وأنشد لبعض الرجاز(٥) :

* مفدَّيات وملعَّنات(٦) *

قال صاحب الديك : فلمَّا صار الكلبُ عندهم يجمع خصالَ اللؤم والنَّذالة ، والحرصِ والشَّره(٧) ، والبَذاء والتسرُّع وأشباه ذلك ، صاروا يشتقُّون من اسمه لمن هجَوه بهذه الخصال . وقال بشّار :

واستَغْنِ بالوجَبات عن ذَهبٍ ... لم يَبقَ قبلَك لامرئٍ ذَهبُهْ(٨)

يرِدُ الحريص على متالفه ... والليثُ يبعثُ حَيْنَه كَلَبُهْ

(١) كذا وفى ل : « حوادبها ومحامرها » .

(٢) ط : « الشاعر » . والبيت من قصيدة النابغة الذبيانى التى مطلعها :

كليِنى لهم يا أميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطىء الكواكب

(٣) ط : « الظباء » وهو تحريف .

(٤) ل : « إيها » .

(٥) ط : « الرجال » .

(٦) ط : « مفديات ومحميات » .

(٧) فى الأصل : « الشده » ، وإنما هو الشره قرين الحرص .

(٨) المرتضى فى أماليه ٢ : ٢٩ قبل ذكر هذا البيت : « قال ابن السكيت : يقال فلان يأكل الوجبة إذا كان يأكل فى اليوم والليلة وجبة » . وفى ل : « الوجنات » وهو تحريف .

(ما اشتق من اسم الكلب)

قال صاحب الكلب : لما[١] اشتقوا من اسمه للأشياء المحمودة أكثر .
قال عامر بن الطفيل[٢] :

ومدجّجٍ يسعَى بشِكَّتِهِ محمرَّةٍ عيناهُ كالكلْبِ[٣]

ومن ولد ربيعة بن نزار كلب[٤] بن ربيعة ، وكلاب بن ربيعة ، ومكالب بن ربيعة ، ومكلبة بنو ربيعة [بن نزار] . وفيهم من السباع أسَد ، وضُبيعة ، وذئب ، وذؤيب ، وهم خمسة عشر رجلا ثمانية من جميع السباع ، ومن الثمانية أربعة مشتقَّة من اسم الكلب . ومن هذا الباب كليب[٥] بن يربوع ، وكلاب بن ربيعة ، وكلب بن وَبرة . ومنه بنو الكلبة ، قال الشاعر :

٩٥٢ سَيَكْفيك من ابنى نزارٍ لراغبٍ بنو الكلبةِ الشمُّ الطوالُ الأشاجعِ[٦]

والكلبة لقب ميَّة بنت عِلاج بن شَحْمة العنبرىّ . وبنوها بنو الكلبة الذين سمعتَ بهم — تزوَّجها خُزيمة بن [النعمان] من بنى ضُبَيعة بن ربيعة بن نزار ، فهى أمُّهم . وفيها يقول شُبَيل بن عَزْرة[٧] الضُّبَعى

---

(١) فى الأغانى (١٢ : ٥٠) أن الشعر للحارث بن الطفيل .
(٢) فى الأصل : « كلما » والوجه ماأثبت .
(٣) المدجج عنى به القنفذ ، للشوك الذى عليه . اللسان (دجج) والمخصص ٨ : ٩٥ .
(٤) ل : « أكلب »
(٥) ل : « كلب » .
(٦) ماعدال : « لواغب » . وانظر الاشتقاق ١٩٣ .
(٧) هذا العلم كثيرا مايقع فيه التحريف والتصحيف ؛ فقد ورد فى خزانة الأدب (انظر ١ : ٩٢) برسم (شبل بن عمرو) ، وفى الأمالى (١ : ٤٨) (شبيل بن عروة) وفى فهرست ابن النديم ٦٨ مصر (شبيل بن عرعرة) وفى القاموس (شبيل ابن عروة) وفى ط من الحيوان (شبيل بن غزرة) ، وصواب هذا كله ماأثبته من ل ، ومانبه عليه الزبيدى فى تاج العروس ، وكما ضبطه ابن دريد فى الاشتقاق ١٩٧ جوتنجن . وقد نبهت على ذلك فى تصحيحى للخزانة . =

صاحب الغريب — وكان شِيعيًّا من الغالية (١) ، فصار خارجيًّا من الصُّفرية — :

بنو كلبةٍ هرَّارة وأبُوهُمُ خُزَيمةُ عبدٌ خاملُ الأصلِ أوكَسُ

وفى مَيَّة [الكلبة] يقول أبوها ، وهو عِلاج بن شحمة (٢) :

إنْ تكُ قد بانت بميَّةَ غربة فقد كان مِمَّا لا يُمَلُّ مَزَارُها (٣)

دعتْها رجالٌ من ضُبَيعة كَلْبةً وما كان يُشكَى فى المحول جِوارُها (٤)

ومما اشتُقَّ له من اسم الكلب من القُرى والبُلدان والناس وغير ذلك ، قولهم فى الوقْعة التى كانت بإرمِ الكلبة (٥) . ومن ذلك قولهم : حين نزلنا من السَّراة صرنا إلى نجد الكلبة .

وكان سبب خروج مالك بن فَهم بن غَنْم بن دَوس إلى أزد شنوءة من السراة (٦) أنّ بنى أخته قتلوا كلبةً لجاره ، وكانوا أعَدَّ منه (٧) فغضب ومضى ، فسمِّى ذلك النجد الذى هَبط منه نَجْد الكَلْبة .

[وبطَسُّوج بادُوريا نهر يقال له : نهر الكلبة] .

ويقولون : كان ذلك عند طلوع كوكب الكلب . ومن ذلك قولهم :

= وشبيل هذا من خطباء الخوارج وعلمائهم ، وله قصيدة فى الغريب ، وكان أولا رافضيا ثم انتقل إلى الشراة وبرئ من الروافض ، ومات بالبصرة . هذه ترجمة ابن النديم له ، وهى تشبه ترجمة الجاحظ .

(١) ط : « من كبار الشيعة » ومثله فى س .

(٢) ل : « سحمة » .

(٣) ط : « ميالا يمل » وهو تحريف .

(٤) ل : « فى المحل » .

(٥) إرم الكلبة : موضع قريب من النباج بين البصرة والحجاز ، وللعرب فيه يوم قتل فيه بجير بن عبد الله بن سلمة ، قتله قعنب الرياحى . معجم البلدان .

(٦) ل : « من أزد شنوءة بالسراة » .

(٧) أعد منه : أكثر عددا . وفى ل : « أنجد » . وفى ط : « لجارهم » موضع « لجاره » .

عبَّاد بن أنْف الكلب . ومن ذلك أبو عُمَرَ الكلبُ الجَرمىّ النحوى[1] ، وكان رجلا من العِلية عالماً ، عَروضيًّا [نحويًّا] فرضيًّا . وعَلُّويه[2] كلب المطبخ ، وكان أشربَ الناس للنبيذ ، وقد راهنوا بينه وبين محمَّد بن علىّ .

والكلب : كلب الماء ، وكلب الرحى[3] والضبة التى يقال لها الكلب . وكذلك الكُلْبة والكَلْبتان ، والكُلاَّب والكَلُّوب .

وقال راشد بن شِهابٍ فى ذلك المعنى :

أُمكِّن كُلاَّب القنا من ثغورها وأخضِب مايبدو منَ استاهها بِدَمْ[4]

[وقال] :

فسوفَ يرى الأقوامُ دينى ودينَكم إذا كلْبتا قَينٍ ومِقْرَاضُهُ أَزَمْ[5]

وقال الراجز :

مازالَ مذْ كانَ غُلامًا يستتر[6] له على العَيرِ إكافٌ وثَفَرْ

* والكَلْبتَانِ والعَلاةُ والوَتَرْ *

١٥٣ وقال أشهب بن رُميلة ، وكان أوَّلَ من رمى بنى مجاشع بأنَّهم قُيون :

ياعجبًا هل يركبُ القَيْنُ الفَرَسْ وعَرَقُ القَينِ على الخَيلِ نَجَسْ[7]

وإنَّما أداتُه إذا جَلَسْ الكلبتان والعَلاةُ والقَبَسْ

وكان اسم المزنوق فَرَسِ عامر بن الطفيل : الكلب .

(١) هو صالح بن إسحاق الجرمى، مولى جرم بن ربان ، أخذ عن الأخفش ويونس وأبى عبيدة ، وحدث عنه المبرد ومات سنة ٢٢٥ . وفى الأصل : « أبو عمرو » وهو تحريف . انظر نزهة الألباء ١٩٨ وبغية الوعاة ٢٦٨ ووفيات الأعيان ١ : ٢٢٨ .

(٢) ط : « علمويه » . محرف . وانظر الحيوان ٢ : ٢٢٨ .

(٣) ط : « الرحاء » وهو تحريف .

(٤) ط : « من نحوره » .

(٥) ط : « كلبت قين » وهو تحريف . وفى ل : « بدم » بدل « أزم » وهو تحريف .

(٦) ل : « تستتر » .

(٧) ل : « لحس » وهو تحريف ، وأشهب يهجو بهذا الشعر الفرزدق . وانظر خبر الشعر فى خزانة الأدب ٢ : ٥١٠ بولاق .

وقد زعمت العلماء أنَّ حرب أيَّام هَراميت(١) إنَّما كان سببه كلب .

قال صاحب الديك : قد قيل للخوارج : كلاب النار ، وللنوائح : كلاب النار .

وقد قال جَندلُ بن الراعي [لأبيه] فى وقوفِه على جرير : مالكَ تُطيل الوقوفَ على كلبِ بنى كليب ؟ !

وقال زفر بن الحارث :

يا كلبُ قد كَلِبَ الزَّمانُ عليكُمُ   وأصابكمْ مِنَّا عذابٌ مُرسَلُ
إنَّ السَّماوة لاسماوةَ فالحقى   بمَنابِتِ الزَّيتونِ وابْنِي بَحْدَلُ(٢)
وبأرض عكٍّ فى السواحلِ إنَّها   أرضٌ تذوبُ بها اللِّقاحُ وتُهزَلُ

وقال حُصين بن القعقاع(٣) يرثى عُتيبة بن الحارث :

بكَرَ النَّعىُّ بخيرِ خِنْدِفَ كلِّها   بعُتيبةَ بنِ الحارثِ بن شِهابِ
قتلُوا ذُؤَاباً بعد مقتلِ سَبْعةٍ   فشَفَى الغليلَ وريبةَ المرتابِ
يوم الحليس بذى الفَقَارِ كأنَّه   كَلِبٌ بِضرب جماجِم ورِقابِ

وقال آخر(٤) :

لله درُّ بنى الحَذّاءِ مِنْ نَفَرٍ   وكلُّ جارٍ على جيرانه كَلِبُ
إذا غَدَوْا وعِصِىُّ الطَّلْحِ أرجُلُهم   كما تَنَصَّبُ وسَطَ البِيعة الصُّلُبُ

وإذا كان العُود سريع العُلوق فى كلِّ زمانٍ أوْ كلِّ أرض(٥) ، أو

---

(١) يوم الهراميت كان بين الضباب وجعفر بن كلاب ، وهو من أيام العرب فى الإسلام . وكان فى زمن عبد الملك بن مروان . معجم البلدان (هراميت) والعمدة لابن رشيق ٢ : ١٦٧ . والحرب مؤنثة ، وقد تذكر . القاموس .

(٢) ط : « جحدل » وكذلك فى ل . وأثبت مافى س والأغانى ١٧ : ١١٣ .

(٣) ط : « حصين بن القا » .

(٤) هو بشر بن أبى خازم كما فى البيان ٣ : ٧٥ . وانظر كلام الجاحظ فى هذا الشعر .

(٥) فى الأصل : « وكل أرض » والوجه ماأثبت .

فى عامّة ذلك قالوا : ما هو إلاّ كلب .

وقالوا : قال النبى صلى الله عليه وسلم [فى وزَرِ بن] جابر [١] حين خرجَ من عنده واستأذنه إلى أهله : « نعم إن لم تدركْه أمُّ كلْبة » يعنى الحمّى .

وممّا ذكروا به العضو من أعضاء الكلب والكلبة والخلق منهما أو الصفة الواحدة من صفاتهما ، أو الفعل الواحد من أفعالهما ، قال رؤبة :

* لاقيت مَطْلاً كَنُعَاسِ الْكَلْبِ [٢] *

يقول : مطلا مُقَرْمَطاً [٣] دائما . وقال الشاعر فى ذلك :

يكون بها دليلَ القومِ نجمٌ　　كعينِ الكلب فى هُبًّى قِبَاعِ [٤]

قال : هذه أرضٌ ذات غبرة من الجدب [٥] لا يبصر القوم فيها النجم ١٥٤
الذى يُهتَدى به إلاّ وهو كأنّه عين الكلب ، لأنّ الكلب أبداً مُغمِضٌ غير مطبق الجفون ولا مفتوحها . والهُبّى : الظلمة واحدها هابٍ ، والجمع هُبًّى مثل غازٍ وغُزًّى . والقِباع : التى قَبعت فى القتام ، واحدها قابع ، كما يقبَع القنفذ وما أشبهه فى جُحره . وأنشد لابن مقبل :

ولا أطرقُ الجاراتِ باللّيل قابعاً　　قُبُوعَ القَرَنْبى أخلفته مجاعره [٦]

والقبوع : الاجتماع والتقبُّض . والقَرَنْبَى : دُوَيْبّة أعظم من الخُنفساء .

---

(١) كان ممن وفد مع زيد الخيل إلى الرسول . وانظر الحيوان ٢ : ٣٠٨ .
(٢) للثعالبى قول فى هذا البيت بثمار القلوب ٣١٦ ، وانظر أمثال الميدانى (أنوم من كلب) ٢ : ٢٨٠ .
(٣) فى ط : « مقرطقا » وليس له معنى يصح . وأصل القرمطة : مقاربة الخطو .
(٤) ط : « هبا » والصواب فى ل . وانظر الميدانى (كمين الكلب الناعس) .
(٥) ط : « الحر » .
(٦) فى الأصل : « أسلمته مجاحره » وانظر ص ٢٣٨ من هذا الجزء .

(شعر فى الهجاء له سبب بالكلب)

وقال الآخر فى صفة بعض ما يعرض له من العيوب :

ما ضَر تغلبَ وائلٍ أهجوتَها أم بُلتَ حيثُ تناطَحَ البحرانِ
إنّ الأَراقم لا ينالُ قديمَها كلبٌ عَوَى متهتّم الأسْنانِ (١)

وقال الشاعر فى منظور بن زبَّان :

لبئس ما خَلَّفَ الآباءُ بعدَهُمُ فى الأُمَّهاتِ عِجَانُ الكَلْبِ مَنْظورُ

ومن هذا الضرب قول الأعرابىّ (٢) :

لقد شَانَ صغرى والياها وزَيَّنَا لصغرى فتًى من أهلها لا يَزِينُها
كلاب لعاب الكلب (٣) إن ساق هَجْمة يعذّب فيها نفسه ويُهِينُها

وقال عمرو بن معديكرب (٤) :

لحا اللهُ جَرْمًا كلَّما ذرّ شارِق وجوهَ كِلابٍ هارشَتْ فازبأرَّتِ

وقال أبو سفيان بن حرب :

ولو شئتُ نجّتنى كُميتٌ طِمِرَّةٌ ولم أجْعَل النَّعماءَ لابن شَعوب
ومازال مُهرى مَزْجَرَ الكلبِ مِنهمُ لدنْ غدوةً حتّى دنَتْ لِغُروبِ

وقال عبد الرحمن بن زياد :

---

(١) ل : « لن ينال قديمها » . والشعر للفرزدق كما فى البيان ٣ : ٢٤٨ . وقد سبق البيت الأول ص ١٣ .

(٢) من هنا يبتدئ سقط كبير فى ل ، وسأنبه على نهايته .

(٣) كذا

(٤) له ترجمة فى الخزانة ٢ : ٣٨٨ - ٣٩٠ والبيت من أبيات فيها . وانظر تنبيه البكرى ٤٢ وحماسة أبى تمام ١ : ٤٣ ومعجم البكرى ٢٨ - ٢٩ .

دعته بمسروق الحديث وظالع ... من الطرف حتى خاف بصبصة الكلب

وقال شريح بن أوس[1] :

وعيرتنا تمر العراق ونخله ... وزادك أير الكلب شيطه الجمر

وقال آخر[2] وهو يهجو قوما : ١٥٥

فجاءا بخرشاوى شعير عليهما ... كراديس من أوصال أعقد سافد

وقال الحارث بن الوليد :

ذهب الذين إذا رأونى مقبلا ... هشوا وقالوا : مرحبا بالمقبل

وبقيت فى خلف كأن حديثهم ... ولغ الكلاب تهارشت فى منهل

وقال سبرة بن عمرو الفقعسى ، حين ارتشى ضمرة النهشلى ، ونفر عليه عباد بن أنف الكلب الصيداوى[3] فقال سبرة :

يا ضمر كيف حكمت أمك هابل ... والحكم مسئول به المتعمد

أحفظت عهدا أم رعيت أمانة ... أم هل سمعت بمثلها لا ينشد

شنعاء فاقرة تجلل نهشلا ... دنسا تغور به الرفاق وتنجد

إن الرفاق أمال حكمك حبها ... فلك اللقاء وراكب متجرد

فضح العشيرة واستمر كأنه ... كلب يبصبص للعظال ويطرد

لا شىء يعدلها ولكن دونها ... خرط القتاد تهاب شوكتها اليد

جوعان يلحس أسكتا زيفية ... غلم يشور على البرائن أعقد

وقال مزرد بن ضرار :

وإن كناز اللحم من بكراتكم ... تهر عليها أمكم وتكالب

---

(١) الشعر فى هجاء أبى المهوش الأسدى . وقد سبق القول فيه ص ٢٦٨ .

(٢) هو اللعين المنقرى كما فى ص ٢٦٢ .

(٣) ط : « عبادة » . وفى أمالى المرتضى ٣ : ٤٠ « عباد بن أنف الكلبى » ، محرفة . وفى الأصل : « الصيدانى » ، وإنما هو منسوب إلى بنى الصيداء . المعمرين ٤٣ .

بوابتَ الذى ألقى فناؤك رحلَه لتَقرِيَه بالتْ عليــه الثَّعالبُ

وهذان البيتان من باب الاشتقاق لا من باب الصفات وذِكْرِ الأعضاء .

وقال :

ياسـبْرُ ياعبدَ بنى كِلابِ يا أيرَ كلبٍ مُوثَقٍ بِبابِ
أكان هـذا أوّلَ الثَّوابِ يا وَرَلاً رَقْرَقَ فى سرابِ
* لا يَعْلِقَنْـكُمُ ظُفرى ونَابِى *

وقال الآخر [1] :

كأنّ بنى طُهَيّةَ رهطَ سَلْمَى حجارةُ خارئٍ يَرمى الـكِلابَا

وقال صاحب الـكلب : ومما اشتقَّ من اسم الـكلب فى موضع ١٥٣ د ١
النباهة ، كليب بن ربيعة ، هو كليب وائلٍ . ويقال إنّه قيل فى رجلين من بنى ربيعة مالم يُقَلْ فى أحدٍ من العرب ، حتَّى ضُرب بهما المثل ، وهو قولهم : « أعزُّ من كليبِ وائل » ، والآخر : « لا حرَّ بوادِى عَوْف » .

قالوا : وكانت ربيعة إذا انتجعت معه لم توقد ناراً ولم تحوِّضْ حوضاً ، وكان يحمى الـكلأ ولا يُتَـكَلَّمُ عندَهُ إلاَّ خفضا ، ويجير الصـيد ويقول : صيدُ أرضِ كذا وكذا فى جوارى لا يباح . وكان له جرو كلب قد كَتَعه [2] فربما قذَف به فى الروضة تعجبُه ، فيحميها إلى منتهى عوائه ، ويلْقيه بحريم الحوض فلا يرِدُه بعير حتَّى تصدُرَ إبله .

---

(١) هو جرير كما فى البيان ٢ : ٢٥٠ . وللبيت حديث فيه . وانظر ثمار القلوب ٢٩٩ .
(٢) كتعه بمعنى شد قوائمه . وانظر أمثال الميدانى ١ : ٤٤٦ والثمار ٧٧ .

(ما قيل من الشعر فى كليب)

وفى ذلك يقول معبَد بن شعبة التّميمى(١) :

أظنَّ ضِرارٌ أنَّنى سأُطيعه ... وأنّى سأُعطيه الذى كنتُ أمنعُ
إذِ اغرورقت عيناه واحمرّ وجهُه ... وقد كادَ غيظاً وجهُه يتبضَّع(٢)
تقدَّم فى الظلم المُبيِّن عامِداً ... ذراعاً إذا ماقُدِّمَتْ لك إصبع(٣)
كفعلِ كُليبٍ كنت أنبئت أنَّه ... يخلط أكلاءَ المياه ويَمنَعُ(٤)
يُجير على أفناءِ بكرِ بن وائل ... أرانب ضاحٍ والظباءَ فترتَعُ

وقال دريد بن الصمة :

لعمرُكَ ما كُليبٌ حين دلّى ... بجبلٍ كلبَه فيمن يميحُ(٥)
بأعظمَ من بنى سفيان بَغْياً ... وكلٌّ عدوِّهم منهم مريحُ(٦)

وقال العبّاس بن مرداس :

كما كان يبغيها كليبٌ بظلمِه ... من العزِّ حتى طاح وهو قتيلُها
على وائل إذْ يُنزِل الكلبَ مائحا ... وإذ يُمنَع الأكلاءَ منها حلولُها(٧)

وقال عباس أيضاً لكُليب بن عهمة الظفرىّ(٨) :

---

(١) هنا ينتهى السقط فى ل .
(٢) ط : « يتبتع » .
(٣) ل : « إذا ماأرخيت لك إصبع » .
(٤) (يخلط) لعلها (يحلّ) .
(٥) ط : « كليبة فيمن يميح » .
(٦) ط : « منه » .
(٧) ط : « يبرك الكلب » وتصحيحه من ل . وفى ل : « فيها حلولها » .
(٨) كذا فى ل . وفى ط : « عيمة » وفى الإصابة ٧٤٤٨ : « عميمة » .

أَكُليبُ إنَّكَ كلَّ يوم ظالمٌ والظلمُ أنكدُ وجْهُه ملعونُ
تبغِى بقومِك ما أرادَ بوائل يومَ الغديرِ سَمِيُّكَ المطعونُ
وإخالُ أنَّك سوفَ تَلْقَى مثلَها فى صَفْحتَيك سنانُه المسنونُ(١)

١٥٧ وقال النابغة الجعدى :

كليبٌ لَعمرى كان أكثرَ ناصِراً وأيسرَ ذنباً منك ضُرِّجَ بالدَّمِ
رمَى ضَرْعَ نابٍ فاستمر بطَعْنةٍ كحاشيةِ البُرد اليمانى المسهَّم

وقال قَطِران العبشَمىُّ ، [ويقال العبشى(٢)] :

ألم تر جسَّاسَ بن مُرَّةَ لم يَرِدْ حِمَى وائلٍ حَتَّى احتداه جَهولُها(٣)
أجرَّ كليباً إذ رمى النابَ طعنةً جدَت وائلا حتَّى استخفَّت عقولها(٤)
بأهون مما قلت إذ أنت سادِرٌ وللدَّهرِ والأيَّامِ والٍ يُديلها(٥)

وقال رجل من بنى هلال بن عامر بن صعصعة(٦) :

نحن أبَسْنَا تغلبَ ابنةَ وائلٍ بقتل كُليبٍ إذ طغى وتَخيَّلا(٧)
أبأناه بالنَّابِ التى شقَّ ضَرعها فأصبَحَ موطوءَ الحِمى متذلِّلا(٨)

وقال رجل من بنى سَدوس :

وأنت كليبىٌّ لكلبٍ وكلبةٍ لها حولَ أطناب البيوتِ هَريرُ

---

(١) ل : « سنانها مسنون » .
(٢) كذا . ولعله « العبسى » .
(٣) ط : « اعتداه » .
(٤) ط : « حدت وائلا » .
(٥) ط : « دال » .
(٦) فى الأغانى ١٤ : ١٤١ : « وقال رجل من بنى بكر بن وائل فى الإسلام ، وهى تنسب للأعشى » .
(٧) أبسنا : قهرنا وأذللنا . وفى ط : « تحوز النساء » وهو تحريف .
(٨) أبأناه : جعلناه عدلا فقتلناه بها . وفى ط : « أثابته بالناب » وليس بشىء .

وقال ابن مقبل العَجلانى :

بكتْ أمُّ بكرٍ إذْ تبدَّدَ رهطُها   وأنْ أصبحوا منهم شَريد وهالك
وإنَّ كلا حيَّيكِ فيهم بقية   لوَ انَّ المنايا حالهـا متهاسك[(١)]
كلاب وكعب لايبيت أخوهم   ذليلاً ولا تَعيِى عليه المسالك[(٢)]

وقال رجل من بنى كلاب من الخوارج[(٣)] ، لمعاوية بن أبى سفيان :

قد سِرتَ سَيْرَ كُليبٍ فى عشيرتِه   لوكان فيهم غلامٌ مثلُ جسَّاسِ
الطاعن الطعنة النجلاء عانِدُها   كطرّةالبرد، أعيافتقُها الآسى[(٤)]

(أهون من تبالة على الحجاج)

وقال أبو اليقظان فى مثل هذا الاشتقاق : كان أوَّل عمل وليه الحجّاج بن يوسف تَبالة ، فلما سار إليها وقرُب منها قال للدليل : أين هى ، وعلى أىّ سمت هى ؟ قال : تسترك عنها هذه الأكمة . قال : لا أُرانى أميراً إلاَّ على موضعٍ تسترنى منه أكمة ، أهوِنْ بها علىّ ؟ ! وكرَّ راجعا ، فقيل فى المثل : « أَهْوَنُ مِنْ تَبَالَةَ عَلَى الحجاج » .

والعامة تقول : لهو أهونُ عَلَىَّ من الاعراب على عركوك[(٥)] . ١٥٨

---

(١) ل : « وإن كلى حييك منهم » وهو تحريف .
(٢) ل : « ولا تعيا عليه المسالك » .
(٣) فى نوادر أبى زيد ١٥١ أن قائل الشعر هو بشير بن أبى العبسى .
(٤) العاند : العرق يسيل فلا يرقأ . وفى ط : « عائذها » وهو تحريف ، وفى ل : « عن عرض » . وفى النوادر : « يعيا فتقها » بنصب « فتقها » ، قال : أراد يعيا بفتقها .
بهذا ينتهى الجزء الأول من النسخة التى رمزت إليها بحرف ل ، وتستمر المقابلة على النسخة س .
(٥) كذا .

(الحجاج والمنجّم حينما حضرته الوفاة)

قال : ولمّا حضرت الحجاجَ الوفاةُ وقد ولىَ قبل ذلك ما ولىَ ، وافتتح ما افتتح ، وقتل من قتل ، قال للمنجِّم : هل ترى مِلكًا يموت ؟ قال : نعم ولستَ به ، أرى مِلكا يموتُ اسمه كُليب ، وأنتَ اسمُك الحجَّاج. قال : فأنا والله كليبٌ ، أمّي سمَّتْنى به وأنا صبىّ . فمات ، و [كان] استخْلَفَ على الخراج(١) يزيد بن أبى مسلم ، وعلى الحرب يزيد بن أبى كبشة .

(ما كان العرب يسَمُّون به أولادهم)

قال : والعرب إنّما كانت تسمِّى بكلب ، وحمار ، وحجر ، وجُعَل ، وحنظلة ، وقرد ، على التفاؤل بذلك . وكان الرجل إذا وُلد له ذكر خرج يتعرّض لزجر الطير والفأل ، فإن سمع إنساناً يقول حجراً ، أو رأى(٢) حجراً سمَّى ابنَه به وتفاءل فيه الشدَّة(٣) والصلابة، والبقاء والصبر ، وأنَّه يحطم ما لقى . وكذلك إن سمع إنساناً يقول ذئباً أو رأى ذئبا ، تأوَّل فيه الفطنة والخِبَّ والمكرَ والكسب . وإن كان حماراً تأوَّل فيه طولَ العُمر والوقاحة والقوَّة والجلَد . وإن كان كلباً تأوَّل فيه الحِراسة واليَقَظة وبُعْدَ الصوت ، والكسبَ وغير ذلك .

---

(١) فى الأصل : « الخوارج » وهو تحريف . انظر المعارف لابن قتيبة ١٧٤ . وقد زدت كلمة كان ليستقيم الكلام .
(٢) فى الأصل : « ورأى » .
(٣) لعلها « بالشدة » فإن الفعل يتعدى بالباء . وانظر الاشتقاق ٤ — ٦

ولذلك صوَّر عبيد الله بن زياد فى دِهليزه كلباً وكبشاً وأسداً ، وقال : كلب نابح ، وكبش ناطح ، وأسد كالح . فتطيَّر إلى ذلك فطارت عليه .

وقال آخر : لو كان الرجل منهم إنَّما كان يسمِّى ابنَه بحجر وجبل ، وكلب ، وحمار ، وثور ، وخنزير ، وجُعَل ، على هذا المعنى فهلاَّ سمَّى ببِرْذون[1] ، وبغل ، وعُقاب ، وأشباه ذلك ؛ وهذه الأسماء من لغتهم .

قال الأوّل : إنّما لم يكن ذلك ، لأنَّه لا يكاد يرى بغلا وبِرذونا ، ولعلَّه لا يكون رآهما قط ، وإن كانت الأسماء عندهم عتيدة لأمورٍ لعلّهم يحتاجون إليها يوما ما .

قالوا : فقد كان يسمع بفرس وبعير ، كما كان يسمع بحمار وثور ، وقد كان يستقيم أن يشتقَّ منهما اشتقاقات محمودة . بل كيف صار ذلك كذلك ونحن نجده يسمِّى بنجم ولا يسمِّى بكوكب ! إلاَّ أنَّ بعضَهم قد سمَّى بذلك عبداً له ، وفيه يقول :

كَوْكَبُ إنْ مُتُّ فَهْيَ مِيتَتِى لا مُتّ إلاَّ هَرِماً يا كَوْكَبُ

ووجدناهم يسمون بجبل وسَنَد ، وطَود[2] ، ولا يسمُّونَ بأُحُد ولا بثَبير وأجإٍ وسلمى ورَضوى ، وصِنْدِد وحميم[3] ، وهو تلقاء عيونهم متى أطلَعوا رءُوسَهم من خيامهم . ويسمونَ ببُرْج ولا يسمون بفَلَك ، ويسمون بقَمر وشمس عَلَى جهة اللقب أو على جهة المديح ، ولم يسمُّوا بأرض وسماء ، وهواءٍ ١٥٩ وماء ، إلاَّ على ما وصفنا . وهذه الأصول فى الزجر أبلغ ، كما أنَّ جبلاً أبلغُ

---

(١) فى الأصل : « سمى برذون » والوجه ما أثبت .
(٢) فى ط : « طور » وهما بمعنى .
(٣) لعله « حنين » وجبال حنين يقول فيها القائل :
سقونى وقالوا لاتغن ولو سقوا (جبال حنين) ماسقيت لغنت

من حجر ، وطودا[1] أجمع من صخر . وتركوا أسماءَ جبالهم المعروفة .

وقد سمّوا بأسد وليث وأُسامةَ وضِرغامة[2] . وتركوا أن يسمُّوا بسبع وسبعة . [وسبع][3] هو الاسم الجامع لكلِّ ذى ناب ومخلب .

قال الأوّل : قد تسمَّوا أيضاً بأسماء الجبال ، فتسمَّوْا بأَبَان وسَلْمَى .

قال آخرون : إنَّما هذه أسماء ناسٍ سمَّوا بها هذه الجبال ، وقد كانت لها أسماءٌ تركت لثقلها ، أو لعلَّة من العلل ؛ وإلاَّ فكيف سمَّوا[4] بسلمى وتركوا أجأ ورَضوى .

وقال بعضهم : قد كانوا ربَّما فعلوا ذلك على أن يتَّفق لواحدٍ وَلودٍ ولمعظَّمٍ جليل ، أن يسمع أو يرى حمارا ، فيسمِّى ابنه بذلك ؛ وكذلك الكلب والذئب ، ولن يتفق فى ذلك الوقت أن يسمع بذِكر فرس ولا حِجْر أو هواء أو ماء ؛ فإذا صار حمار ، أو ثور ، أوكلب اسمَ رجل معظَّم ، تتابعت عليه العرب تَطيرُ إليه ، ثم يكثر ذلك فى ولده خاصَّةً بعده . وعلى ذلك سمَّت[5] الرعية بنيها وبناتِها بأسماء رجال الملوك ونسائهم ، وعلى ذلك صار كلُّ علىٍّ يكنى بأبى الحسن ، وكل عُمَر يكنى بأبى حفص ، وأشباه ذلك. فالأسماء ضروب ، منها شىء أصلىٌّ كالسَّماء والأرض والهواء والماء والنار ، وأسماءٌ أخَرُ مشتقَّاتٌ منها على جهة الفأل ، وعلى شكل اسم الأب ، كالرجل

(١) فى ط : « وطور » وهما بمعنى .
(٢) الضرغام والضرغامة والضرغم كجعفر : الأسد .
(٣) زيادة يقتضيها الكلام .
(٤) ط : « بسموا » وصوابه فى س .
(٥) فى الأصل : « سميت » وهو تحريف ما أثبته .

يكون اسمه عمر فيسمى ابنَه عميرا ، ويسمِّى عميرٌ ابنَه عِمران ، ويسمِّى عمرانُ ابنَه مَعْمَرًا. ورُبَّما كانت الأسماء بإسماء الله عزَّ وجلَّ مثل ما سمى الله عز وجل أبا إبراهيم آزر ، وسمَّى إبليس بفاسق ، ورُبَّما كانت الأسماء مأخوذةً من أمورٍ تحدثُ فى الأسماء ؛ مثل يوم العَرُوبة سمِّيت فى الإسلام يوم الجمعة ، واشتُقَّ له ذلك من صلاة يوم الجمعة .

(ما ترك الناس من ألفاظ الجاهلية)

وسنقول فى المتروك من هذا الجنس ومن غيره ، ثم نعودُ إلى موضعِنا الأوَّلِ إن شاء الله تعالى .

ترك النّاسُ مما كان مستعملاً فى الجاهلية أموراً كثيرة ، فمن ذلك تسميتُهم للخَراج إتاوة ، وكقولهم للرشوة ولما يأخذه السُّلطان : الحُملان والمَكْس . وقال جابر بن حُنَىّ(١) :

أفى كلِّ أسواقِ العِراقِ إتاوةٌ ... وفى كلِّ ما باع امرؤٌ مَكْسُ دِرْهَمِ

وكما قال العبدىُّ فى الجارود(٢) :

أيا ابن المعلَّى خِلتَنا أم حسبتَنا ... صَرَارِىَّ نُعطِى الماكسين مُكوسا(٣)

---

(١) فى الأصل : « خارجى » وهو تحريف عجيب . والبيت فى اللسان (مكس) ، وقصيدته فى المفضليات ٢٠٩ - ٢١٢ .

(٢) العبدى هو يزيد بن خذاق : كما فى المفضليات ٢٩٨ . والجارود هو ابن المعلى ، صحابى كان سيد عبد القيس ، قدم على الرسول فى وفد عبد القيس الأخير سنة عشر وأسلم وحسن إسلامه ، وابنه المنذر بن الجارود ، وحفيده الحكم بن المنذر بن الجارود الذى يقول فيه الأعشى :

يا حكم بن المنذر بن الجارود ... سرادق المجد عليك ممدود

قتل الجارود سنة إحدى وعشرين فى خلافة عمر . الإصابة ١٠٣٨ .

(٣) ط : « أكابر » ، س : « أكابن » . وانظر المفضليات .

١٦٠ وكما تركوا انْعَمْ صباحاً، وانْعَمْ ظلاما، وصاروا يقولون: كيف أصبحتم؟ وكيف أمسيتم ؟

وقال قيس بن زُهير بن جذيمة، ليزيد بن سنان بن أبي حارثة: انعَمْ ظَلاماً أبا ضَمْرة ! قال : نعمتَ فمن أنت ؟ قال: قيس بن زهير .

وعلى ذلك قال امرؤ القيس :

ألا عِمْ صَباحاً أيُّها الطَّلَلُ البالِي وهَلْ يَعِمَنْ مَن كان فى العُصُر الخالِي

وعلى ذلك قال الأوّل[1] :

أتوْا نَارِى فقلتُ مَنُونَ قالوا سَرَاة الجنِّ قلتُ عِمُوا ظَلاَما

وكما تركوا أن يقولوا للملك أو السيِّد المطاع : أبيت اللعن ، كما قيل[2] :

* مَهْلاً أبيتَ اللّعنَ لا تأكُلْ مَعَهْ *

وقد زعموا أن حُذَيفةَ بنِ بدرٍ كان يُحَيَّا بتحيَّة الملوك ويقال له : أبيت اللّعن . وتركوا ذلك فى الإسلام من غير أن يكون كفراً .

وقد ترك العبْد أنْ يقول لسيده ربِّى ، كما يقال ربُّ الدار ، وربُّ البيت . وكذلك حاشية السيِّد والملِك تركوا أن يقولوا ربّنا . كما قال الحارث بن حلّزة :

ربُّنا وابننا وأفضَلُ مَنْ يم شِى ومَن دُونَ مَا لدَيهِ الثّناءُ

---

(١) البيت لشمير (أو سمير) بن الحارث الضبى كما فى النوادر ١٢٣ وخزانة الأدب ٣ : ٣ بولاق .

(٢) البيت للبيد من أبيات لهـا خبر فى الأغانى (١٤ : ٩١ – ٩٢) .

وكما قال لبيد حين ذكر حُذَيفة بن بدر :

رأهلَكْنَ يوماً ربَّ كِنْدَةَ وابنَه ورَبَّ مَعَدٍّ بين خَبْت وعَرْعَرِ

وكما عيّر زيدُ الخيل حاتماً الطائىّ فى خروجه من طيِّئ ومن حرب الفساد ، إلى بنى بدر ، حيث يقول[1] :

وفرَّ من الحربِ العَوانِ ولم يكُنْ بها حاتم طَبًّا ولا متطبِّبا

وريب حصننا بعْدَ أن كان آبياً أبُوّة حِصْنٍ فاستقالَ وأعتَبَا

أقِمْ فى بنى بدر ولا ما يهمنا إذا ماتقضَّت حربُنا أنْ تطربا

وقال عوف بن محلِّم[2] ، حين رأى الملك : إنّه ربى وربُّ الكعبة . وزوجُه أمُّ أناس بنت عَوف .

وكما تركوا أن يقولوا لقُوّام الملوك السَّدَنة وقالوا الحجَبَة[3] .

وقال أبو عُبيدة مَعْمر بن المثنّى عن أبى عبد الرحمن يونس[4] بن حبيب النحوى حين أنشدَه شعر الأسدىّ :

ومركضة صريحى أبوها تُهان لها الغلامة والغلامُ[5] ١٦١

---

(١) حرب الفساد كانت فى الجاهلية بين جديلة والغوث . وانظر خمسة دواوين العرب ١٠٧ والأغانى (١١ : ١٢٧) وأمثال الميدانى (٢ : ٣٥٨) .

(٢) هو الذى يقال فيه : « لاحر بوادى عوف » . أمثال الميدانى ٢ : ١٦٧ . وهو من بنى ذهل بن شيبان ، ومن أشراف العرب فى الجاهلية توفى نحو ٤٥ ق . هـ . قاموس الأعلام ٧٤٧ . وهو غير عوف بن محلم الخزاعى ، فإن هذا إسلامى كان ينادم طاهر بن الحسين وابنه عبد الله ، وفارقه بقصيدته المشهورة التى فيها :

إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعى إلى ترجمان

(٣) فى الأصل : « بالسدنة وقالوا لجحبة » وهو تحريف .

(٤) فى الأصل : « عن أبى عبد الرحمن بن يونس » وكلمة « ابن » مقحمة ، فإن أبا عبد الرحمن كنية يونس بن حبيب كما فى بغية الوعاة ٩٣٥ والمعارف ٢٣٥ وقد أخذ عنه أبو عبيدة كما فى البغية ٣٩٥ . توفى يونس سنة ١٨٢ عن ثمان وثمانين سنة .

(٥) الجوهرى : صريح : اسم فحل منجب . وأنشد هذا البيت .

قال: فقلت له : فتقول : للجارية غلامة ؟ قال : لا ، هذا من الكلام المتروك، وأسماؤه زالت مع زوال معانيها، كالمِرباع والنَّشيطة وبقى[1] الصَّفايا ؛ فالمرباع : رُبع جميع الغنيمة الذى كان خالصاً للرئيس ، وصار فى الإسلام الخمس ، على ماسنَّه الله تعالى . وأما النَّشيطة فإنَّه كان للرئيس أن ينشط عند قِسمة المتاع العِلْقَ النفيسَ يراه إذا استحلاه . وبقى[1] الصَّفِىّ وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كل مَغْنَم ، وهو كالسيف اللَّهذَم[2] والفرسِ العتيق ، والدرع الحصينة ، والشيء النادر .

وقال ابن عَنَمة الضبّى[3] حليف بنى شَيبان ، فى مرثيته بِسطام ابن قيس :

لك المِرباعُ منها والصَّفايا وحُكْمُك والنَّشِيطَةُ والفُضولُ

والفُضول : فضول المقاسم ، كالشيء إذا قسم وفضَلت فَضلةٌ استهلكت ، كاللؤلؤة ، والسيف ، والدِّرْع ، والبيضة ، والجارية ، وغير ذلك .

(كلمات إسلامية محدثة)

وأسماءٌ حدثت ولم تكن ، وإنَّما اشتقَّت لهم من أسماءٍ متقدِّمة ، على التشبيه ، مثل قولهم لمن أدرَكَ الجاهليَّة والإسلام مُخَضرم كأبى رجاءٍ العُطاردىِّ[4] ، بن سالمة[1] ، وشقيق بن سالمة ؛ ومن الشعراء النابغة الجعدىُّ

(١) كذا ولعلها «نقى» .
(٢) س : « الهذام » وهما بمعنى .
(٣) ط : « ابن غنمة » وصوابه فى س . وابن عنمة هذا هو عبد الله ، وهو من شهد القادسية ، والبيت من أبيات ثمانية رواها أبو تمام فى الحماسة ١ : ٤٢٠ .
(٤) لأبى رجاء ترجمة فى الإصابة ج ٧ : ٧٢ واسمه عمران بن ملحان أو ابن تيم .

وابن مقبل ، وأشباههم من الفقهاء والشعراء . ويدلُّ على أنَّ هذا الاسم أحدث فى الإسلام ، أنَّهم فى الجاهليَّة لم يكونوا يعلمون أنَّ ناساً يسلمون وقد أدركوا الجاهليَّة ، ولا كانوا يعلمون أنَّ الإسلام يكون .

ويقال إنَّ أوَّلَ من سمَّى الأرضَ التى لم تُحفَر قطُّ ولم تحرثْ إذا فعل بها ذلك مظلومة ، النابغةُ حيث يقول :

إلّا الأوارىَّ لأْيًا ما أبيِّنُها والنؤىَ كالحوضِ بالمظلومَةِ الجَلَدِ

ومنه قيل سِقاءٌ مظلوم إذا أعجل عليه قبل إدراكه . وقال الحادرة :

ظلَمَ البِطاحَ له انهلالُ حَرِيصةٍ فصفَا النِّطافُ له بُعيْدَ المَقْلَعِ

وقال الآخر :

قالتْ له مىٌّ بأعلَى ذِى سَلَمْ لو ما تَزُورُنا إذا الشعْبُ أَلمّْ

* ألا بلَى يامىّ واليومُ ظلَمْ[1] *

يقول ظلم حين وضعَ الشىءَ فى غير موضعه . وقال الآخر : ١٦٢

* أنا أبو زينب واليومُ ظلَمْ[2] *

وقال ابن مقبل :

عادَ الأذلَّةُ فى دارٍ وكان بها هرْتُ الشَّقاشِق ظَلّامُونَ للجزُر

وقال آخر :

وصاحبِ صدقٍ لم تَنلنى أذاته ظلَمْتُ وفى ظُلْمِى له عامدًا أجْرُ

وقال آخر :

لايَظلِمون إذا ضِيفوا وِطابَهُمُ وهم لجودهمُ فى جُزْرِهم ظلمُ

(١) اليوم ظلم : أى حقا كما تقول لاجرم أى حقا . وانظر اللسان (ظلم) والرجز فيه .
(٢) فى الأصل : « والنوم ظلم » ، وانظر التنبيه السابق .

وظلم الجزور : أن يعرقبوها ، وكان فى الحقّ أن تُنحر نحراً . وظلمهم الجزُر(١) أيضا أن ينحروها صِحاحا سماناً لاعلّة بها .

قال : ومن ذلك قولهم : الحرب غَشوم ؛ وإنّما سمّيت بهذا لأنّها تنال غير الجانى .

قال : ومن ذلك قولهم : « مَنْ أَشْبَهَ أباه فما ظَلَم » ، يقول : قد وضع الشبه فى موضعه .

ومن المحدَثِ المشتقّ ، اسم منافق لمن رَاءَى بالإسلام واستسرّ بالكفر أُخذ ذلك من النافقاء والقاصعاء والدامّاء(٢) ، ومثل المشرك والكافر ، ومثل التيمُّم . قال الله تعالى : ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ أى تحرَّوْا ذلك وتوخَّوْه . وقال : ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ فكثُر هذا فى الكلام حتّى صار التيمُّم هو المسح نفسُه . وكذلك عادتهم وصنيعهم فى الشىء إذا طالتْ صُحبتهم وملابستهم له(٣) .

وكما سمَّوا رَجيع الإنسان الغائط ، وإنّما الغيطان البطون التى كانوا ينحدرون فيها إذا أرادوا قضاءَ الحاجة للستر .

ومنه العَذِرة ، وإنّما العذِرة الفناءُ ، والأفنية هى العَذِرات ، ولكن لما طال إلقاؤهم النَّجْو والزِّبل فى أفنيتهم ، سمّيت تلك الأشياء التى رَموا بها ، باسم المكان الذى رميت به . وفى الحديث : « أَنْقُوا عَذِرَاتكم » . وقال ابن الرقَيَّات :

رَحِمَ اللهُ أَعْظُمًا دَفَنُوها بِسِجِسْتَان طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ(٤)

---

(١) فى الأصل : « الجزور » والوجه الجمع .
(٢) هى من أسماء جحرة اليربوع السبع . انظر اللسان (دمم) .
(٣) فى الأصل : « صحبته وملابسته له » .
(٤) طلحة الطلحات ، هو طلحة بن عبد الله الخزاعى ، أحد أجواد العرب توفى سنة ٦٥ . وانظر ص ٢٥٥ .

كان لايحجُبُ الصديقَ ولا يعـ تَلُّ بالبخلِ طيِّبَ العَذِرَاتِ

ولـكنَّهم لـكثرةِ ما كانوا يُلقُون نجوَهم فى أفنيتهم سموها باسمها .

ومنه النّجو : وذلك أنّ الرجل كان إذا أراد قضاء الحاجة تستَّر بنجوة. ١٦٣

والنّجو : الارتفاع من الأرض ، قالوا من ذلك : ذهب يَنْجُو ، كما قالوا ذهب يتغوّط إذا ذهب إلى الغائط لذلك الأمر ، ثمَّ اشتقوا منه فقالوا إذا غسل موضع النجو قد استنجى .

وقالوا : ذهب إلى المخرَج ، وإلى المتوضَّأ ، وإلى المذهب ، وإلى الخلاء ، وإلى الُحشّ ، وإنَّما الحشّ القطعةُ من النَّخل وهى الحِشّان . وكانوا بالمدينة إذا أرادوا قضاء الحاجة دخلوا النخل ؛ لأنَّ ذلك أستر ، فسموا المتوضأ الحشّ ، وإن كان بعيداً من النخل ؛ كلّ ذلك هربا من أن يقولوا ذهب للخَرْءِ ، لأنَّ الاسم الخرءُ ، وكل شيءٍ سواه من (١) ورجيع وبراز وزِبل وغائط فكله كناية .

ومن هذا الباب الملَّةُ ، والمَلَّة موضع ٱلُخبْزة ، فسموا الُخبْزة باسم موضعها . وهذا عند الأصمعىِّ خطأ .

ومن هذا الشكل الراوية ، والراوية هو الجمل نفسه ، وهو حامل المزادة فسمِّيت المزادة باسم حامل المزادة . ولهـذا المعنى سمَّوا حاملَ الشعر والحديث راوية .

ومنه قولهم : ساق إلى المرأة صَداقها . قالوا : وإنَّما كان يقال ذلك

---

(١) فى الأصل فراغ يتسع لـكلمة واحدة .

حين كانوا يدفعون في الصَّدَاق إبلا ، وتلك الإبل يقال لها النافجة. وقال شاعرهم :

وليس تِلادى من وِراثةِ والدى ولا شادَ مالِى مُستَفاد النوافِجِ

وكانوا يقولون : تَهنِيك النافجة . قال : فإذا كانوا يدفَعون الصَّدَاقَ عينا ووَرِقا فلا يقال ساق إليها الصَّداق .

ومن ذلك أنَّهم كانوا يضربون على العروس البناء ، كالقبَّة والخيمة والخيام[١] ، على قدر الإمكان ، فيقال بنى عليها ، اشتقاقاً من البناء ، ولا يقال ذلك اليومَ . والعروس إمَّا أن تكون مقيمةً فى مكانها أَوْ تتحوّل إلى مكان أقدم من بنائها .

قال : ومن ذلك قولهم فى البَغِىّ المكتسِبة بالفُجور : قَحْبة ، وإنَّما القُحَاب السعال . وكانوا إذا أرادوا الكناية عن من زنَتْ وتكسَّبت بالزنى ، قالوا قحبت أى سعلت ، كناية . وقال الشاعر :

* إنَّ السُّعَالَ هُوَ القُحَاب *

[وقال[٢]] :

وإذا ما قحَبت واحـــدةٌ جاوبَ المبعِدُ منها[٣] فَخَضَفْ

وكذلك كان كنايتهم فى انكشاف عورة الرجل ، يقال كشف علينا متاعَه وعَورته وشواره . والشّوار : المتاع[٤] . وكذلك الفرج وإنَّما [يعنون[٥]] الأَيْر والِحرَ والاسْت .

---

(١) كذا فى ط ، س ، م .
(٢) زيادة يقتضيها الكلام .
(٣) ط : « فقحب » وأثبت ما فى س و م . ومعنى خضف ضرط .
(٤) فى القاموس : « والشوار مثلثة : متاع البيت » .
(٥) زيادة يقتضيها الكلام .

(كلمات للنبي صلى الله عليه وسلم ، لم يتقدمه فيهن أحد)

وكلمات النبيّ صلى الله عليه وسلم ، لم يتقدَّمْه فيهنّ أحد[١] : من ذلك قوله : « إذًا لاينتَطِح فيها عَنْزان » . ومن ذلك قوله : «ماتَ حتْفَ أنفه » . ١٦٤
ومن ذلك قوله : « ياخيلَ الله اركَبى » ومن ذلك قوله : «كلُّ الصيّدِ فى جَوفِ الفَرا » ، وقوله : « لايُلسَعُ المؤمنُ من جُحْرٍ مرتين » .

(شنشنة أعرفها من أخزم)

وقال عُمر رضى الله تعالى عنه : « شِنْشِنَةٌ أعرفها من أخزمَ » ، يعنى شبه ابن العبّاس بالعبّاس . وأخزَم : فحل معروف بالكرم .

(مايكره من الكلام)

وأما الكلام الذى جاءت به كراهيةٌ من طريق الروايات ، فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّه قال : « لايقولَنَّ أحدُكم خَبثت نَفسى ولكن ليقلْ لَقِسَت نفسى » ، كأنه كره صلى الله عليه وسلم أن يضيف المؤمنُ الطاهرُ إلى نفسه الخُبث والفساد بوجهٍ من الوجوه .

وجاء عن عمر ومجاهد وغيرهما النهىُ عن قول القائل : استأثَر اللهُ بفُلان ، بل يقال مات فلان . ويقال[٢] استأثرَ الله بعلم الغيب واستأثر الله بكذا وكذا .

---

(١) انظر البيان ٢ : ١٥ — ١٦ وكتاب البغال ٢٢٣.

(٢) ط : « ولا يقال » وصوابه فى ل .

قال النَّخَعِىّ : كانوا يكرهون أن يقال : قراءة عبد الله، وقراءة سالم وقراءة أُبَىّ ، وقراءة زيد . وكانوا يكرهون أن يقولوا سنَّة أبى بكر وعمر ، بل يقال سنَّة الله وسنَّة رسوله ، ويقال فلان يقرأ بوجْه كذا ، وفلان يقرأ بوجه كذا .

وكره مجاهد أن يقولوا مُسيجِد ومُصيحِف ، للمسجد القليل الذَّرْع ، والمصحف القليل الورق . ويقول : هم وإن لم يريدوا التصغير فإنَّه بذلك شبيه .

(وجوه تصغير الكلام)

وربَّما صغَّروا الشىء من طريق الشَّفَقة والرِّقَّة ، كقول عمر : أخافُ على هذا العُرَيب . وليس التصغير بهم يريد . وقد يقول الرجل : إنَّما فلانٌ أُخَيِّى وصُدَيِّقى ؛ وليس التصغير له يريد . وذكر عمرُ ابنَ مسعود فقال كُنَيْفٌ مُلِئ علما[1] . وقال الحباب بن المنذر[2] يوم السَّقيفة : أنا جُذَيْلها المحكك ، وعُذَيقُها المرجَّب . وهذا كقول النبىّ صلى الله عليه وسلم لعائشة : الحُميراء ، وكقولهم لأبى قابوسَ الملك : أبو قُبَيس . وكقولهم : دبّت إليه دوَيْهِيَة الدهر ، وذلك حين أرادوا لطافة المدخل ودقّة المسلك .

---

(١) كنيف : تصغير كنف ، بالكسر ، بمعنى الوعاء .

(٢) فى الأصل : « سلمة بن سلامة بن وقش » وقائل القول الآتى هو الحباب بن المنذر كما هو معروف ، وكما كتبه الجاحظ فى البيان ٣ : ٢٩٦ فى حديث يوم السقيفة . وانظر تاريخ الخضرى ١ : ٢٥٣ .

ويقال إنّ كلّ فُعيل فى أسماء العرب فإنّما هو على هذا المعنى ، كقولهم الُمعَيْدِىّ ، وكنحو سُليم ، وضُمَير ، وكليب ، وعُقير ، وجُعيل ، وحُميد ، وسُعيد ، وجُبير ؛ وكنحو عُبيد ، وعُبيد الله ، وعُبيد الرماح[1] . وطريق التحقير والتصغير إنّما هو كقولهم : نُجيل ونُذيل . قالوا : ورُبَّ اسمٍ إذا صغَّرْته كان أملأً للصَّدْر ، مثل قولك أبو عبيد الله ، هو أكبر فى السماع من أبى عبد الله ، وكعب بن جُعَيل ، هو أفخم من كعب بن جعل . وربّما كان التصغير خِلقة وبنية ، لايتغيّر ، كنحو الحُمَيّا والسُّكَيْتِ ، وجُنَيدة ، والقطيعا ، والمريطاء ، والسُّميراء ، والمليساء — وليس هو كقولهم القُصَيْرى ، وفى كبيدات السماءِ والثرّيا . ١٦٥

وقال علىٌّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : دققت البابَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : من هذا ؟ فقلت : أنا . فقال : أنا ! كأنّه كره قولى أنا .

وحدّثنى أبو علىٍّ الأنصارى ، وعبد الكريم الغِفارىّ قالا : حدَّثنا عيسى بن حاضر قال : كان عمرو بن عُبيد[2] يجلس فى داره ، وكان لايَدَع بابَه مفتوحا ، فإذا قرعَه إنسان قامَ بنفسه حتّى يفتحه له . فأتيتُ الباب يومًا فقرعتُه فقال : من هذا ؟ فقلت : أنا . فقال : ماأعرف أحداً يسمَّى أنا . فلم أَقُلْ شيئا وقمتُ خلفَ الباب ، إذ جاءَ رجلٌ من أهل

---

(١) كذا .

(٢) ط : « عبيدة » وصوابه فى س . وعمرو هذا من شيوخ المعتزلة ، وأحد الزهاد المشهورين وله أخبار مع المنصور ، توفى بمران سنة ١٤٤ ، ورثاه المنصور . قالوا ولم يسمع بخليفة رثى من دونه سواه . تاريخ بغداد ٦٦٥٢ والمعارف ٢١٢ .

خراسان فقرَع الباب ، فقال عمرو : مَن هذا ؟ فقال : رجلٌ غريبٌ قدِم عليك ، يلتمس العلم . فقام له ففتح له الباب ، فلمَّا وجدْتُ فرجةً أردت أن ألجَ الباب ، فدفَع البابَ فى وجهى بعنُف ، فأقمتُ عنده أيَّاما[1] ثم قلت فى نفسى : والله إنِّى يومَ أتغضَّب على عمرو بن عُبيد ، لَغَيرُ رشيدِ الرأى . فأتيتُ البابَ فقرعته عليه فقال : من هذا ؟ فقلت : عيسى بن حاضر . فقام ففتح لى الباب .

وقال رجل عند الشَّعبىّ : أليس الله قال كذا وكذا ! قال : وما عَلَّمَك ؟ وقال الربيع بن خُثَيم : اتَّقُوا تكذيب الله ، ليتَّق أحدكم أن يقولَ قال الله فى كتابه كذا وكذا ، فيقول الله كذبتَ لم أقلْه .

وقال عمر بن الخطَّاب رضى الله تعالى عنه : لايقل أحدُكم أهريقُ الماء ولكن يقول أبول .

وسأل عمرُ رجلا عن شىءٍ ، فقال : الله أعلم . فقال عمر : قد خَزينا إن كُنَّا لانعلم أنَّ الله أعلم ، إذا سُئِلَ أحدُكم عن شىءٍ فإن كان يعلمه قاله ، وإن كان لايعلمه قال : لاعلم لى بذلك .

وسمعَ عمر رجلاً يدعو ويقول ، اللهمَّ اجعلْنى من الأقلِّين ! قال : ماهذا الدعاء ؟ قال : إنِّى سمعت الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ وقليلٌ مِنْ عِبادِىَ الشَّكُور ﴾ وقال : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قَلِيلٌ ﴾ . قال عمر : عليك من الدعاء بما يُعرَف .

وكره عمر بن عبدالعزيز قولَ الرجل لصاحبه : ضعْه تحت إبطِك ، وقال :

---

(١) كذا .

هلاَّ قلتَ تحتَ يدِك وتحت مَنكِبك ! وقال مرَّةً — وراثَ فرسٌ بحضرة سليمان —(١) فقال : ارفعوا ذلك النَّثِيل . ولم يقل ذلك الرَّوث .

وقال الحجَّاج لأمِّ عبد الرحمن بن الأشعث(٢) : عَمَدْتِ إلى مَالِ الله فوَضَعْتِه تحتَ . كأنَّه كره أن يقول على عادة النــاس : تحت استك ، ١٦٦
فتلجلج خوفاً من أن يقول قَذَعاً أو رَفَثا ، ثمّ قال : تحتَ ذيلِك .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لايقولَنَّ أحدُكم لمملوكه عَبْدِى وأَمَتِى ، ولكنْ يقول : فتَاىَ وفتاتى ، ولا يقول المملوكُ ربِّى وربَّتى ، ولكن يقول سيِّدى وسيِّدتى » .

وكره مُطرِّف بن عبد الله ، قولَ القائل للكلب : اللّهُمَّ أخْزِه .

وكره عِمران بن الحُصين ، أن يقولَ الرَّجلُ لصاحبه : «أنعَمَ اللهُ بك عيناً» ؛ و«لا أنعَمَ اللهُ بك عيناً» .

وقد كرهوا أشياءَ ممَّا جاءت فى الروايات لا تُعرَف وجوهها ، فرأىُ أصحابنا : لايكرهونها . ولا نستطيع الردَّ عليهم ، ولم نسمع لهم فى ذلك أكثرَ من الكراهة . ولو كانوا يروون الأمورَ مع عللها وبرهاناتها خَفَّت المؤنة ، ولكنّ أكثر الروايات مجرّدة ، وقد اقتصروا على ظاهر اللفظ دونَ حكاية العلة ، ودون الإخبار عن البرهان . وإن كانوا قد شاهدوا النوعين مشاهدةً واحدة .

---

(١) هو سليمان بن عبد الملك ، وكان سليمان استوزر عمر ، وولى عمر الخلافة بعده بعهد منه .

(٢) فى الأصل : « الأشعب » وهو تحريف . وكان لعبد الرحمن حروب قاوم فيها الحجاج وانتهت بقتل عبد الرحمن سنة ٨٥ هـ كان أهمها وقعة دير الجماجم التى دامت مائة وثلاثة أيام .

قال ابن مسعود وأبو هريرة : « لا تسمُّوا العِنَب الكَرْم ؛ فإنَّ الكَرمَ هو الرجلُ المسلم » .

وقد رفعوا ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

وأمَّا قوله : « لا تسبُّوا الدَّهرَ فإنَّ الدهر هو الله » فما أحسن ما فسَّر ذلك عبد الرحمن بن مهدىّ[(١)] قال : وجهُ هذا عندَنا ، أنَّ القوم قالوا : ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾ فلما قال القوم ذلك ، قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : «ذلك الله». يعنى أنَّ الذى أهلك القرونَ هو الله عزَّ وجلَّ ، فتوهم منه المتوهِّم أنَّه إنَّما أوقع الكلام على الدهر .

وقال يونس : وكما غلطوا فى قول النبى صلى الله عليه وسلم لحسَّان : « قُلْ ومَعَك رُوح القُدُس » فقالوا : قال النبى صلى الله عليه وسلم لحسَّان : قُلْ ومَعَك جبريل ؛ لأنَّ روح القدس أيضاً من أسماء جبريل . ألا ترى أنَّ موسى قال : «ليتَ أنّ رُوحَ الله مع كلّ أحد»، وهو يريد العصمة والتوفيق . والنصارى تقول للمتنبِّى : معه روح دكالا[(٢)] ، ومعه روح سيفرت[(٣)] . وتقول اليهود : معه روح بَعلزَبول[(٤)] ، يريدون شيطانا . فإذا كان نبيا قالوا : روحه روح القدس ، وروحه روح الله ، وقال الله عزَّ وجلّ : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ ، يعنى القرآن .

---

(١) هو أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدى بن حسان العنبرى البصرى ، من أئمة حفاظ الحديث . قال الشافعى : لاأعرف له نظيراً فى الدنيا . توفى بالبصرة ١٩٨ .

(٢) فى رسائل الجاحظ ١٠٤ : « دلالا » .

(٣) فى الرسائل : « شيقرة » .

(٤) فى الأصل : « بلعربوث » وصوابه من إنجيل متى ١٠ : ٢٥ و ١٢ : ٢٤ ومرقس ٣ : ٢٢ ولوقا ١١ : ١٥ . وهو رئيس الشياطين . وفى الرسائل : « بلعد بوث » .

وسمع الحسن رجلاً يقول : طلع سُهيل وبَرُد الليل . فكره ذلك وقال : إنّ سهيلاً لم يأتِ بحرٍّ ولا ببردٍ قطّ . ولهذا الكلام مجازٌ ومذهب ، وقد كره الحسنُ كما ترى .

وكره مالك بن أنس أن يقولَ الرجُلُ للغيم والسحابة : ما أخلقها للمطر ! وهذا كلام مجازه قائم ، وقد كرهه ابن أنس . كأنّهم من خوفهم عليهم العودَ
١٦٧ في شيءٍ من أمر الجاهليّة ، احتاطوا في أمورهم ، فمنعوهم من الكلام الذي فيه أدنى متعلّق .

ورووا أنّ ابنَ عبّاسٍ قال : لا تقولوا والذي خاتَمه على فمي ، فإنّما يختِم الله عز وجل على فم الكافر . وكره قولهم : قوس قُزَح . وقال : قزح شيطان ، وإنّما ذهبوا إلى التعريج والتلوين ، كأنّه كره ما كانوا عليه من عادات الجاهليَّة . وكان أحَبَّ أن يقال قوس الله ، فيرفع من قدره ، كما يقال بيت الله ، وزُوّار الله ، وأرض الله ، وسماء الله ، وأسد الله(١) .

وقالت عائشة رضي الله عنها : «قولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاتَم النبيين ، ولا تقولوا : لا نبيَّ بعده » . فإلاّ تكنْ ذهبتْ إلى نزول المسيح فما أعرف له وجهاً إلاّ أن تكُون قالت لا تغيِّروا ماسمعتم ، وقولوا كما قيل لكم ، والفِظوا بمثله سواء .

وكره ابن عمر رضي الله عنهما قول القائل : أسلمت في كذا وكذا ، وقال : ليس الإسلام إلاّ لِلّه(٢) عزّ وجلَّ . وهذا الكلام مجازُه عند الناس سهل ، وقد كرهه ابنُ عمر ، وهو أعلم بذلك .

---

(١) انظر مثل هذا الكلام في الحيوان ٢ : ١٨١ وكذا ثمار القلوب ٨ — ٢٨ حيث فسر الثعالبي ماأضيف إلى لفظ الجلالة .

(٢) في الأصل : « الله » .

وكره ابنُ عبّاسٍ رضى الله عنهما قولَ القائل : أنا كسلان .

وقال عمر : لا تسمُّوا الطريق السِّكَّةَ .

وكره أبو العالية قول القائل : كنت فى جِنازة ، وقال : قل تبِعت جنازة . كأنّهُ ذهب إلى أنّه عنى أنّه كان فى جوفها ، وقال قل تبعت جنازة . والناس لا يريدون هذا ، ومجاز هذا الكلام قائم ، وقد كرهه أبو العالية ، وهى عندى شبيهٌ بقول من كره أن يقول : أعطانى فلان نصف درهم . وقال : إذا قلت : كيف تكيل الدقيق ؟ فليس جوابه أن تقول : القَفِيز بدُنَيْنير ، ولكن يتناول القفيز ثم يكيل به الدقيق ، ويقول : هكذا الكيلة . وهذا من القول مسخوط !

وكره ابن عبّاس قول القائل : الناس قد انصرفوا ، يريد من الصلاة ، قال بل قولوا : قد قَضَوُا الصلاة ، وقد فرَغوا من الصلاة ، وقد صلَّوْا ؛ لقوله : ﴿ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ قال : وكلام الناس : كان ذلك حين انصرفنا من الجنازة ، وقد انصرفوا من السُّوق ، وانصرف الخليفة ، وصرف الخليفةُ الناسَ من الدار اليومَ بخير ، وكنت فى أوَّل المنصرفين . وقد كرهه ابن عبّاس . ولو أخبرونا بعلّتِه انتفعنا بذلك .

وكره حَبيب بن أبى ثابت ، أن يقال للحائض طامِث ، وكره مجاهد قول القائل : دخل رمضان ، وذهب رمضان ، وقال : قولوا شهر رمضان ، فلعلّ رمضان اسم من أسماء الله تعالى .

قال أبو إسحاق : إنما أتى من قِبل قوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى

أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ فقد قال النـاس يوم التَّروية ، ويوم عَرَفة ولم ١٦٨
يقولوا عرفة .

(رأى النظَّام فى طائفة من المفسرين
وصور من تكلُّفهم فى التأويل)

كان أبو إسحاق يقول : لاتسترسلوا إلى كثير من المفسِّرين ، وإن نصبوا أنفسَهم للعامَّة ، وأجابوا فى كلِّ مسألة ؛ فإن كثيراً منهم يقول بغير رواية على غير أساس ، وكلَّما كان المفسِّر أغربَ عندَهم كان أحبَّ إليهم ، وليكن عندكم عِكْرِمةُ ، والكلبيُّ ، والسُّدّى ، والضَّحاك ، ومقاتل بن سليمان ، وأبو بكر الأصمّ ، فى سبيل واحدة . فكيف أثق بتفسيرهم[1] وأسكن إلى صوابهم ، وقد قالوا فى قوله عزَّ وجلّ : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴾ : إنّ الله عزَّ وجلَّ لم يعن بهذا الكلام مساجدَنا التى نصلِّى فيها ، بل إنَّما عنَى الجباهَ وكل ما سجد الناس عليه : من يدٍ ورجلٍ ، وَجَبْهةٍ وأنفٍ وثَفِنَة .

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ : إنَّه ليس يَعْنِى الجمال والنُّوقَ ، وإنَّما يَعنِى السحاب .

وإذَا سُئلوا عن قوله : ﴿ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ﴾ قالُوا : الطلح هو الموز .

وجعلوا الدليلَ على أنَّ شهر رمضانَ قد كان فرضاً على جميع الأمم وأنّ الناس غيَّروه ، قولهُ تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ .

---

(١) فى الأصل : « بتفسير » .

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً ﴾ قالوا : يعنى أنّه حَشَرَهُ بِلاَ حجّة .

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾ : الويل وادٍ فى جهنم . ثم قَعَدُوا يصِفون ذلك الوادى . ومعنى الويل فى كلام العرب معروف ، وكيف كان فى الجاهليّة قبل الإسلام ، وهو من أشهر كلامهم !

وسئلوا عن قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ قالوا : الفلَق : وادٍ فى جهنم ، ثمّ قعدوا يصِفونه . وقال آخرون : الفلق : المِقْطَرة[1] بلغة اليمن .

وقال آخرون فى قوله تعالى : ﴿ عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً ﴾ قالوا : أخطأ من وصَلَ بعض هذه الكلمة ببعض . قالوا : وإنّما هى : سَلْ سبيلاً إليها يا محمد . فإن كان كما قالوا فأين معنى تسمّى ، وعلى أىّ شىءٍ وقع قوله تسمّى فتسمّى ماذا ، وما ذلك الشىء ؟

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾ قالوا الجلود كناية عن الفروج . كأنه كان لا يَرَى أنّ كلام الجلد من أعجب العجب !

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ ﴾ : إنّ هذا إنّما كان كنايةً عن الغائط . كأنه لا يرى أنّ فى الجوع وما ينال أهلَه من الذِّلَّة والعجزِ والفاقة ، وأنّه ليس فى الحاجة إلى الغذاء — ما يُكتفَى به فى الدِّلالة على أنّهما مخلوقان ، حتّى يدَّعىَ على الكلام ويدّعى له شيئاً قد أغناه الله تعالى عنه .

---

(١) فى القاموس : المقطرة : المجمرة ، وخشبة فيها خروق على قدر سعة رجل المحبوسين .

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ : إنّه إنما عنَى قلبه . ١٦٩

ومن أعجب التأويل قول اللّحيانى : (الجبّار) من الرجال يكون على وجوه : يكون جبّاراً فى الضِّخَم والقوّة ، فتأوّل قوله تعالى : ﴿ إنّ فِيهاَ قَوْماً جَبَّارِينَ ﴾ قال : ويكون جبّاراً على معنى قتّالا ، وتأوّل فى ذلك : ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ ، وقولَه لموسى صلى الله عليه وسلم : ﴿ إنْ تُرِيدُ إلاّ أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فى الْأَرْضِ ﴾ أى قتّالاً بغير حقّ . والجبارُ : المتكبِّر عن عبادة الله تعالى ، وتأوّل قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيًّا[1] ﴾ ، وتأوّلَ فى ذلكَ قول عيسى : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ أى لم يجعلْنى متكبِّراً عن عبادته ، قال الجبَّار : المسلَّط القاهر ، وقال : وهو قوله ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ أى مسلّط فتقهرهم على الإسلام . و الجبَّار : الله .

وتأوّل أيضاً (الحوف) على وجوهٍ ، ولو وجدَه فى ألفِ مكانٍ لقال : والحوفُ على ألف وجه ، وكذلك الجبَّار . وهذا كله يرجِع إلى معنًى واحد ؛ إلاّ أنّه لا يجوز أن يوصَف به إلاّ الله عزّ وجلّ .

(تكلف بعض القضاة فى أحكامهم)

وقال رجل لعُبيد الله بن الحسن القاضى[2] : إنّ أبى أوصى بثُلثِ مالِه فى الحصون . قال : اذهبْ فاشترِ به خيلاً ، فقال الرجل : إنّه إنّما ذَكَر الحصون ! قال : أما سمعتَ قول الأسْعَر الجُعْفِىّ :

(١) فى الأصل : « ولم أك » وليس فى الكتاب آية بهذا الرسم . مريم ١٤ .

(٢) هو عبيد الله بن الحسن بن حصين العنبرى ، قاض من الفقهاء العلماء بالحديث ، من أهل البصرة ، وتوفى بها سنة ١٦٨ .

ولقد علمتُ على تجنُّبِيَ الرَّدى[1] أنّ الحصونَ الخيلُ لا مَدَرُ القُرَى

فينبغي في مثل هذا القياس على هـذا التأويل ، أنّه ما قيل للمدن والحصون حصون إلاّ على التشبيه بالخيل .

وخبَّرني النُّوشِروانيّ قال : قلت للحسن القاضي : أوصى جدّي بثلث ماله لأولاده ، وأنا من أولاده . قال : ليس لك شيء . قلت : ولم ؟ قال : أو ما سمعت قول الشاعر[2] :

بنُـونا بنو أبنائِنا وبنـاتُنا بنُوهُنَّ أبناءُ الرِّجالِ الأباعِدِ

قال : فشكوت ذلك إلى فلان فزادني شرًّا .

وقالوا في قوله : مَاسَاءَكَ ونَاءَكَ : [ناءك] : أبعدك . قالوا : وساءك[3] أبرصك . قال : لقوله تعالى : ﴿ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ . وبئس التكلُّف .

وقال ابن قميئة[4] :

وحمَّال أثقال إذا هي أعْرَضت على الأصل لا يَسطِيعُها المتكلِّفُ

وقال الله وهو يخبر عن نبيِّه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ .

وليس يُؤْتَى القوم إلاّ من الطمع ، ومن شدّةِ إعجابهم بالغريب من التأويل .

---

(١) في ط : « الورى » وهو تحريف ما في س .

(٢) هذا البيت الآتي مع كثرة الاستشهاد به في كتب العربية وفي كتب الفروض ، لم يعرف له قائل ، كما صرح بذلك العيني ، والسيوطي في شرح شواهد المغني ٢٨٧ . لكن وجدت البغدادي في الخزانة ١ : ٤٠٢ قد نقل عن الكرماني أن قائله هو الفرزدق .

(٣) ط : « ماساءك وثاءك » وتصحيحه من س . وقد زدت الكلمة التي بين معكفين ليستقيم الكلام . وفي ط : « برصك » وصوابه في س .

(٤) ط : « ابن قمئة » وصوابه : « ابن قميئة » والبيت في البيان ٢ : ١٨ .

(رأى فى أبى حنيفة)

وسئل حَفص بن غِياث ، عن فقه أبى حنيفة ، فقال : أعلم الناس بما لم يكنْ ، وأجهلُ الناس بما كان(١) !

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ قالوا : النعيم : ١٧٠
الماءُ الحارُّ فى الشتاء ، والبارد فى الصيف .

(الصَّرورة)

ومن الأسماء المحدَثة التى قامت مقامَ الأسماء الجاهليَّة ، قولهم فى الإسلام لمنْ لم يحجّ : صَرورة .

وأنتَ إذا قرأتَ أشعارَ الجاهليَّة وجدتَهم قد وضعوا هذا الاسمَ على خلافِ هذا الموضع . قال ابن مَقرومٍ الضَّبّىّ(٢) :

لو أنّها عَرَضَتْ لأَشْمَطَ رَاهب … عَبِـدَ الإلٰه صَرُورةٍ مُتَبَتِّلِ

لدنا(٣) لبَهْجَتِها وحُسْنِ حَدِيثِها … ولَهَـمَّ من تَامُورِه بتنزُّلِ

والصرورة عندهم إذا كانَ أرفعَ الناسِ فى مراتب العبادة ، وهو اليومَ اسمٌ للذى لم يَحجَّ إمَّا لعجزٍ ، وإمَّا لتضييعٍ ، وإمَّا لإنكار(٤) . فهما مختلفان كما ترى .

---

(١) انظر ٣ : ١٩ .

(٢) هو : ربيعة بن مقروم بن قيس الضبى ، من مخضرمى الجاهلية والإسلام ، وهو من شعراء الحماسة ، وشهد وقعة القادسية سنة ١٦ وتوفى نحو سنة ٣٠ .

(٣) هى فى شعر شبيه بهذا للنابغة « لرنا » .

(٤) فى الأصل : « وأما الإنكار » .

(ألفاظ القرآن الكريم)

فإذا كانت العرب يشتقُّون كلاماً من كلامهم وأسماءً من أسمائهم ، واللغة عاريّة فى أيديهم ممَّن خلقَهم ومكَّنهم وألهمهم وعلَّمهم ، وكان ذلك منهم صواباً عند جميع الناس ؛ فالذى أعارهمْ هــذه النِّعمةَ أحقُّ بالاشتقاق وأوجبُ طاعةً . وكما أنَّ له أن يبتدئَ الأسماءَ ؛ فكذلك له أن يبتدئها ممَّا أحَبَّ . . قد سمَّى كتابَه المنزلَ قرآناً ، وهذا الاسم لم يكنْ حتى كان ، وجعل السجودَ للشمس كفراً ، فلا يجوز أن يكون السجود لها كفراً إلاّ وترك ذلك السجود بعينه يكون إيماناً ، والترك للشىء لا يكون إلاّ بالجارحة التى [1] كان بها الشىء ، وفى مقداره من الزمان ، وتكون بدلاً منه وعَقِبا . فواحدةٌ أن يسمَّى السجود كفراً ، وإذا كان كفراً كان جحوداً وإذا كان جحودا كان شركاً ، والسجود ليس بجَحْد ، والجحد ليس بإشراك إلاَّ أن تصرفه إلى الوجه الذى يصير [به[2]] إشراكا .

(ما اشتق من نباح الكلاب وما قيل من الشعر فيه)

وقال طُفيل الغَنَوىّ[3] :

عَوَازِبُ لَمْ تَسْمَعْ نُبُوحَ مقامةٍ ولم تَرَ نَاراً تِمَّ حَولٍ مجرَّمِ

وإنَّما أُخذ ذلك للجميع من نباح الكلاب .

---

(١) فى الأصل : « حتى » .

(٢) كلمة يحتاج إليها القول .

(٣) البيت فى الشعراء لابن قتيبة ٢٨٨ منسوب إلى ابن مقبل . وفى ثمار القلوب ٤٦٢ :

* عوازب لم تسمع بنوح حمامة *

وذكروا أن الظَّبيَ إذا أسنَّ ونبتَتْ لقرونه شُعَبٌ نَبَح ، وهو قول أبي دُوَاد(١) :

وقصرَى شَنِـج الأَنْسَا ء نبَّاح من الشعب

يعني من جهة الشعب ؛ وأنشد بعضهم :

وينبَحُ بينَ الشعبِ نبحًا كأنّه نُبَاحُ سَلُوقٍ أبصرَتْ مَايُرِيبُها

وبيَّضها الهُزْل المسوِّدُ غيرَها كماابيضَّ عن حَمْضِ المراحمِ نِيبُها(٢) ١٧١

لأن الظَّبيَ إذا هُزل ابيضّ ، والبعير يَشِيب وجهُه من أكل الحَمْض .

وكذلك قال ابن لجأ(٣) :

* شابَتْ ولمَّا تَدْنُ من ذَكَائها(٤) *

كما قال الآخر :

أَكلْن حمضاً فالوُجُوه شِيبُ شَرِبن حتّى نزح القَلِيبُ

وقد تصير النّاقة الحمراء إذا أتمّت حبشيّة . ولذلك قال الشاعر :

* حمراء لاحَبَشيّة الإتمام *

وما أشبه ذلك بقول العَبدىّ(٥) :

وداويتُها حتّى شتَتْ حَبَشِيَّةً كأنَّ عليها سُنْدُسا وسَدُوسا

---

(١) في الأصل : « ابن داود » وإنما هو أبو دواد كما في اللسان (نبح) . والقصرى : أول الأضلاع أو آخرها . وكان البيت محرفا على الوجه الآتي فصححته منه :

وقصرى سح الأتشا نباح من الشعب

(٢) انظر رواية البيتين في المعاني الكبير ص ٦٩٥ .

(٣) هو عمر بن لجأ من بني تيم بن عبد مناة بن أد بن طابخة ، وكان قد لج الهجاء بينه وبين جرير لتنافس حدث بينهما في الشعر ، فكانت خصومتهما أدبية في أول الأمر ثم استحالت إلى خصومة الفخر بالنسب ، والقبيلة . ابن سلام ٣٦٢ وابن قتيبة ٢٦٢ .

(٤) الذكاء : علو السن . وفي الأصل : « من ركابها » . وانظر المعاني الكبير .

(٥) هو يزيد بن خذاق . الاقتضاب . ٤ . والمفضليات ١٤٣ وانظر أدب الكاتب ٣١٧

والدَّواء : اللبن ، فلذلك تصير الفرس إذا ألقت شعرها وطرّت ، تستديل هذا اللون .

وقال خالد بن الصَّقْعب النَّهدىّ (١) :

هَبَطْنَا بعدَ عهدِك بَطْنَ خَبْتٍ   تَظَلُّ حمامُه مثلَ الخُصُومِ
كأنَّ عرينَ أيكَتِه تلاَقَى   به جَمْعَانِ من نَبَطٍ ورُومِ (٢)
نُباحُ الهدْهدِ الحَوْلِيِّ فيه   كَنَبْحِ الكَلْبِ فى الأَنَسِ المقيمِ (٣)

ويقال إنَّ الهدهد ينبَحُ . وربَّما جعلوا الهُدْهُدَ ، (الذى ينبح) ، الحمامَ الذكر . قال الشاعر — وهو يصف الحمام الذَّكَرَ كيف يصنع فيها — :

وإذا استترن أَرَنَّ فيها هُدْهُدٌ   مِثْلُ المَدَاكِ خَضَبْتَهُ بِجِسادِ (٤)

وقال طُفيل فى النُّبوح والجماعات (٥) :

وأشْعَث تَزْهَاه النُّبوح مُدَفَّعٍ   عن الزَّادِ مِمَّا جَلَّف الدهرُ مُحْثَلِ (٦)

وقال الجعدىّ (٧) :

فلما دَنونا لصَوتِ النُّباح   وَلا نُبْصِرُ الحىَّ إلاّ التماسَا

وقال ابن عبدل :

آليتُ إذ آليتُ مجتهِدًا   ورفعتُ صوتًا مابه بَحَحُ
لايُدْرِكُ الشعراءُ منزلَتِى   فى الشعر إنْ سكَتوا وإنْ نَبَحُوا

١٧٢ وقال عمرو بن كلثوم :

---

(١) قصيدة هذا الشعر رواها ابن الشجرى فى حماسته وفسرها (٢٨٩ — ٢٩١) .
(٢) فى الأصل : « عريك » و « تلاع » و « قبط » وتصحيحه من الحماسة .
(٣) هذه فى ط . وليست فى س .
(٤) ط : « وإذا استترن » . والمداك : حجر يسحق عليه الطيب . والجساد : الزعفران .
(٥) فى الأصل : « الجماعات » .
(٦) المحثل : السيء الحال ، ورواية اللسان : « من حرف الدهر » . وفى الأصل : « خلف الدهر » ، صوابه بالجيم كما فى المخصص ٢ : ١٣٦ .
(٧) هو النابغة الجعدى . وانظر الأغانى (٤ : ١١٩) .

وَقَدْ هَرَّتْ كِلابُ الحَىِّ مِنَّا   وشَذَّبْنَا قَتَادَةَ مَنْ يَلِينَا

وقال بعض العلماء : كلاب الحىّ شعراؤهم ، وهم الذين ينبحون دونهم ، ويحمون أعراضَهم . وقال آخرون : إن كلابَ الحَىِّ كلُّ عقورٍ ، وكلُّ ذى عُيون أربع (١) .

وأما قوله (٢) :

لَعَمْرُكَ ماخَشِيتُ على أُبَىٍّ   رِماحَ بنى مقيِّدةِ الحِمارِ (٣)
ولكنِّى خَشِيت على أُبَىٍّ   رِمَاحَ الجنّ أو إيَّاكَ حارِ (٤)

فالطَّواعين (٥) هى عند العرب رماح الجن . وفى الحديث : « إنَّ الطاعونَ وَخْز مِنَ الشيطان » .

وقال أبو سلمى (٦) :

لابدَّ للسُّودَد من أرماحِ   ومن سفيهٍ دائمِ النُّباحِ
ومن عَديدٍ يُتَّقَى بالرَّاحِ

وقال الأعشى :

مِثْلُ أيَّامٍ لَنَا نعْرِفُها   هَرَّ كلبُ النَّاسِ فيها ونَبَحْ
رُزُنُ الأحْلامِ فى مجلسِهمْ   كلّما كَلْبٌ من الناسِ نَبَحْ

---

(١) كذا .
(٢) الشعر فى الحيوان (٦ : ٢١٩) منسوب إلى « الأسدى » يقوله للحارث الغسانى. وفى آكام المرجان ١٦ إلى « الأزدى » وفى ثمار القلوب ٥٣ إلى امرأة .
(٣) بنو مقيدة الحمار : العقارب ، لأنها أكثر ما تكون فى الحرة . اللسان (رمح ، حمر) .
(٤) ط : « رماح الحى » . وتصحيحه من س ، والمراجع المتقدمة فى التنبيه السابق .
(٥) فى الأصل : « والطواعين » .
(٦) الرجز فى البيان ٣ : ٣٣٥ وسيعاد فى ٣ : ٧٩ .

وقال :

سَيَنْبَحُ كلبي جاهدًا مِن ورائكم وأغنى غَنَائى عنكمُ أن أُؤنّبا

وقال أبو ذؤيب :

ولا هَرَّها كَلْبِي ليبعد نعْرها[1] ولو نَبَحَتْنِي بالشَّكاةِ كلابُها

كلابها : شعراؤها ، وهو قول بشر بن أبي خازم :

وإنّي والشَّكاةَ لآلِ لأمٍ كذاتِ الضِّغْنِ تَمشي في الرِّفاقِ

وقال أبو زُبَيْد[2] :

ألم تَرَني سكَّنْتُ لأيًا كلابَهُمْ وكفكفت عنكم أكلُبِي وَهي عُقَّرُ

(هجاء ضروب من الحيوان)

١٧٣ قال صاحب الكلب : قد علمنا أنّكم تتبَّعتم على الكلب كلَّ شيءٍ هُجِي به ، وجعلتم ذلك دليلا على سقوط قدْره وعلى لؤم طبعه ؛ وقد رأينا الشعراء قد هَجَوا الأصنافَ كلّها ، فلَمْ يُفلت منهم إنسان ولا سبع ، ولا بهيمةٌ ولا طائر ولا همَج ولا حشَرة ، ولا رفيع من الناس ولا وضيع ،

(١) نعر ، كمنع : صاح . وفي ط : « ثعرها » محرفة .

(٢) هو أبو زبيد الطائي ، واسمه حرملة بن المنذر ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام وكان لسنا فصيحا بليغ الوصف : وصف الأسد بحضرة عثمان وصفاً بلغ فيه الغاية . الأغاني ١١ : ٢٣ — ٢٥ وقد ترجم له البغدادي في الخزانة ٤ : ١٤٣ والسجستاني في المعمرين ٩٨ لبدن ، وابن حجر في الإصابة ٤٨٠ قسم الكنى وزبيد بهيئة التصغير .

إلاّ أن يَسلم بعضُ ذلك عليهم بالخمول ، فكفاك بالخمول دِقّةً ولُؤماً وقِلّة ونَذالة . وقال أميّة بن أبي عائذ لإياس بن سهم :

فأبْلِـغْ إياساً أنّ عِرضَ ابنِ أُختِـكُمْ
رِداؤُك فاصطَنْ حسنه أو تبذَّلِ[1]
فإن تكُ ذا طوْلٍ فإنِى ابنُ أُختِـكم
وكلُّ ابنِ أختٍ من نَدَى الخالِ مغتلِي[2]
فـكنْ أسـداً أو ثعلباً أو شبيهَه
فمهما تـكنْ أُنسَبْ إليك وأُشـكل
فمـا ثعلبُ إلاّ ابن أختِ ثُعالةٍ[3]
وإنّ ابنَ أختِ اللّيثِ رِيبالُ أشبُلِ
ولن تجد الآسادَ أخوالَ ثعلَبٍ إذا كانت الهيجا تَلوذُ بمدخلِ

فهذا من الثعلب . وقال مزرّد بن ضرار[4] :

وإنّ كناز اللّحمِ من بَـكَراتِـكمْ تهرُّ عليها[5] أمُّـكمْ وتـكالب
وليتَ الذى ألقى فناؤُك رحله لتَقرِيَه بالتْ عليه الثعالبُ

فقد وضع الثعلب كما ترى بهذا الموضع الذى كفاك به نذالة . قال ابن هرمة :

فمـا عادت بذى يَمَـن رُءُوساً ولا ضَرّت لفرقتها نِزارَا

---

(١) فى الأصل : فاصبر خشية و تبدل » ، وتصحيحه من عيون الأخبار ٣ : ٨٩ .
(٢) فى الأصل : « مغتل » والصواب « مغتلى » كما فى أشعار الهذليين أو « معتلى » كما فى عيون الأخبار . واعتلى واغتلى : ارتفع.
(٣) فى عيون الأخبار : « ثعالب » .
(٤) فى ط : « مزر بن ضرار » وإنما هو « مزرد بن ضرار » أخو الشماخ .
(٥) فى الأصل : « علينا » .

كعنْزِ السَّوءِ تنطَحُ من خلاها(١)　　وتَرْأَمُ من يُحِدُّ لهـا الشِّفَارا

وهذا قول الشاعر فى العنز . وقال ابن أحمر :

إنا وجدْنَا بنى سهْمٍ وجامِلَهم　　كالعنْزِ تَعْطِف رَوقِها فترتَضِـعُ

وقال الفرزدق :

على حينَ لم أتركْ على الأرضِ حَيّة　　ولا نابحاً إلا استقرَّ عَقُورها

وكان نُفَيع إذ هجانى لأهْلِه　　كباحثةٍ عن مُدْيةٍ تستثيرُها

فهذا قولهم فى العنز . ولا نعلم فى الأرض أقلَّ شرًّا ولا أكثر خيراً من شاة .

وقال الخُرَيمىُّ(٢) :

يا لَلرجال لقومٍ قد مَلِلتُهم　　أرى جِوارَهمُ إحدى البليَّات

١٧٤ ذئبٌ رضيع وخِنزير تُعارِضُها　　عَقارِبٌ وُجِنَتْ وَجْنًا بِحَيَّاتِ(٣)

ما ظنُّـكم بأناس خَيْرُ كسبهمُ　　مُصَرَّح السُّحتِ سمَّوه الأمَانات

فهذا قولهم فى العقارب والحيَّاتِ والضِّباع والخنازير .

وقال حماد عَجْردٍ فى بَشَّار :

قد كان فى حىٍّ غزالةَ شاغِلٌ　　للقرد عن شَتْمى وفى ثوْبَانِ

أو فى سميعةَ أُختِها وشِرادِها　　لمجونها مع سِـفْلة الُمجّانِ

أو بيت ضيق عرسه وركوبها　　شرّ البِغاء بأوكَسِ الأثمانِ(٤)

---

(١) ط : « فلاها » وتصحيحه من س . والشعر سبق فى ص ٢٣١ .

(٢) فى الأصل : « الخزيمى » وهو « الخريمى » كما سبق التنبيه فى ص ٢٢٤ .

(٣) أصـل الوجن : الدق ، ومنه ميجنة القصار ، وجمله الشاعر هنا للخلط .

(٤) فى الشعر تحريف .

هذا قول حماد فى القرد . وقال حمَّاد فى بشَّار بن بُرد أيضاً :

ولكنْ مَعاذَ اللهِ لستُ بقاذِفٍ بَرِيئاً لسوَّاق لِقَومٍ نوائحِ
وما قلتُ فى الأعمى بِجَهلٍ وأمّه ولكِنْ بأمرٍ بيِّنٍ لىَ واضحِ
سأُعرِضُ صفحاً عن حُصينٍ لأمّه ولست عن القِرد ابن برْدٍ بصافِحِ

وقال الآخر :

لما أتيت ابنَى يزيدَ بْن خَثْعَمٍ أرى القردَ والخنزيرَ مُحْتَبِيانِ
أمَامَ بُيوتِ القومِ من آل خَثْعَمٍ وراءَ قَبِيحاتِ الوجوه بطانِ

وقال العتَّابى :

اسْجدْ لقِرْدِ السَّوءِ فى زَمَانِه وإن تَلقَّاكَ بِخَنْزَوانِه[1]
* لا سيَّما ما دام فى سلطانه *

وقال أبو الشمقمق :

إن رِياحَ اللُّؤمِ من شحِّه[2] لا يَطمَع الخنزير فى سَلْحِهِ
كفّاه قُفل ضلّ مِفتاحهُ قد يَئِس الحدّاد مِن فَتْحِهِ

وقال خلف بن خليفة[3] :

فسبحانَ من رِزقُه واسع يَعُمُّ به القِرْدَ والقِرْدَهْ

---

(١) الخنزوان بفتح الخاء : القرد ، وذكر الخنازير ؛ وبضمها : الكبر . وانظر اللسان (قرا ص ٣٦) والمعرب للجواليقى ٢٢٧ .
(٢) فى ط : « شمه » وهو تحريف صوابه فى س .
(٣) شاعر إسلامى مجيد محسن مقل ، كان فى زمن جرير والفرزدق ، وكان يقال له الأقطع لأنه قطعت يده فى سرقة ، وهو من شعراء الحماسة .

وهذا كثير . ولعمرى لو جُمِع كلُّه لكان مثلَ هِجاء الناس للكلب، وكذلك لو جمع جميعُ ما مُدِح به الأسدُ فما دُونه ، والأمثالُ السائرةُ التى وقعت فى حَمد هذه الأشياء، لمَا كانت كلُّها فى مقدارِ مديح الكلب . فهذه حُجّتُنا فى مَرتبةِ الكلب على جميع السباع والبهائم .

١٧٥ ولما قال معبدٌ فى قتل الكلب ، وتلا قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ﴾ قال أبو إسحاق: وإن كنتَ إنّما جعلتَ الكلب شرَّ الخلق بهذه العلَّة ، فقد قال على نسق هذا الكلام: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ فالذى قال فى الإبل والبقَر والغنَم أعظم، فَأَسْقِطْ من أقدارها بقدر معنى الكلام . وأدنى ذلك أن تُشرِك بين الجميع فى الذمّ فإنَّك متى أنصفتَ فى هذا الوجه ، دعاك ذلك إلى أن تُنْصِفها فى تتبُّع مالها من الأشعار والأمثال والأخبار والآيات ، كما تتبَّعت ما عليها .

(الشرف والخمول فى قبائل العرب)

وقال صاحب الكلب : سنضرب مثلا بيننا يكون عَدلا : إذا استوى القبيلان فى تقادم الميلاد ثم كان أحد الأبوين كثير الذرء[1] والفُرسان والحكماء والأجواد والشعراء ، وكثيرَ السادات فى العشائر ، وكثيرَ الرؤساء [فى] الأرحَاء[2] وكان الآخر قليل الذَّرء[1] والعدد ، ولم يكن فيهم خير كثيرٌ ولا شر كثير ، خملوا أو دخلوا فى غمار العرب ، وغَرِقُوا فى معظم الناس[3] ، وكانوا من المغمورين ومن المنسيِّينَ ، فسَلموا من ضروب الهجاء ومن أكثرِ ذلك ، وسلموا من أنْ يُضرَبَ بهم المثل فى قِلَّةٍ ونذالة إذا لم يكن شرٌّ ، وكان محلُّهم من القلوب محلّ من لايَغْبِط الشعراءُ[4] ، ولا يحسدهم الأكفاءُ ، وكانوا كما قال حُميد بن ثور :

وقُولا إذا جَاوزتما أرْضَ عامرٍ وجاوزتُما الحيَّين نَهْدًا وَخَثْعَمَا
نَزيعانِ من جَرْمِ بن رَبَّان إنَّهم أَبَوْا أن يُريقوا فى الهَزاهِزِ مِحْجَما[5]

وإذا تقادم الميلاد ولم يكن الذَّرْءُ[1] وكان فيهم خيرٌ كثيرٌ وشرٌّ كثير ، ومثالِب ومناقب ، لم يَسلَموا من أن يُهجَوا ويُضْرَبَ بهم المثل ، ولعلَّ أيضا أن تتفق لهم أشعار تتصل بمحبة الرواة ، وأمثال تسير على ألسنة

---

(١) الذرء : النسل . وفى الأصل : « الدرء » محرفة .

(٢) الأرحاء : جمع رحى ، وهى القبيلة المستقلة . وفى الأصل « وكثير الرؤساء والأرجاء » . وقد صححت المصحف : واجتلبت الكلمة التى بين معكفين ليستقيم الكلام .

(٣) فى ط : « غرفوا » وفى م : « عرقوا » ، وصوابهما ماأثبت من س.

(٤) أى يغبطهم الشعراء . وفى الأصل : « من لايغيظ الشعراء » .

(٥) ط : « نزيعان من جرم بن ريان » س : « تريعان من جرم بن ربان » .

العلماء ، فيصيرُ حينئذٍ من لاخير فيه ولا شرَّ ، أمْثلَ حالاً فى العامَّة ، مِمَّن فيه الفضلُ الكثيرُ وبعضُ النقص ، ولا سيَّما إذا جاوَروا من يأكُلهم
١٧٦ وحالَفوا من لاينصفهم ، كما لقيت غَنِيّ أو باهلة .

ولو أنَّ عبْسًا أقامت فى بنى عامر ضِعفَ ما أقامت ، لذهب شَطْرُ شرفها ؛ ولكنَّ قيسَ بن زُهير لمَّا رأى دلائل الشرِّ قال لأصحابه : الذلُّ فى بنى غَطفَان خير من العزِّ فى بنى عامر !

وقد يكون القوم حُلولاً مع بنى أعمامهم ، فإذا رأوا فضْلهم عليهم حَسدوهم وإن تركوا شيئا من إنصافهم اشتدَّ ذلك عليهم وتعاظَمَهم ، بأكثر من قدره ، فَدَعاهم ذلك إلى الخروج منهم إلى أعدائهم . فإذا صاروا إلى آخرين تهكوهم وحملوا عليهم ، فوقَ الذى كانوا فيه من بنى أعمامهم ، حتى يدْعُوَهم ذلك إلى النَّدم على مفارقتهم ، فلا يستطيعون الرُّجوع ، حميةً واتقاء[1] ، ومخافَة أن يعودوا لهم إلى شيء مما كانوا عليه ، وإلى المقام[2] فى حلفائهم الذين يرون من احتقارهم ، ومِن شدَّة الصَّولة عليهم .

(بكلّ وادٍ بنو سعد)

وقد خرج الأضبَط بن قُريع السَّعْدِيُّ من بنى سعد ، فجاوَرَ ناساً ، فلما رأى مذْهَبَهم وظُلمهم ونَهْكهم[3] ، قال : « بكلِّ وادٍ بَنُو سعد ! » فأرسلها مثلا .

---

(١) لعلها : « حمية وإبقاء » .
(٢) فى الأصل : « ولا المقام » .
(٣) فى الأصل: « وتهكمهم » وهو تحريف .

وقد كان عبّاس بن ريطة الرِّعلى سيِّد بنى سُليم ، وقد ناله ضيم فى بعض الأمر ، فأبى الضَّيم ، فلما حاولَ مفارقتَهم [إلى] بنى غَنْم عزَّ عَلَيْهِ[1] فقال فى كلمة له :

وأمُّكم تُزْجِى التؤام لبَعْلِها وأمُّ أخيكم كزَّةُ الرِّحْم عاقِرُ

وزعموا أنَّ أبا عمرو أنشد هذا الشعر[2] ، وخبّر عن هذه القصّة فى يومٍ من أيامه ، فدمعت عينُه ، فحلف شُبَيل بن عَزرة[3] بالطلاق : إنَّه لَعَرَبىٌّ فى الحقيقة لغيَّةٍ أو لرِشْدة !

(قبائل فى شطرها خير كثير وفى الشطر الآخر شرف وضعة)

فمن القبائل المتقادمة الميلاد التى فى شِطرها خير كثير ، وفى الشطر الآخر شرف وضَعة ، مثل قبائل غطفان وقيس عيلان ، ومثل فزارة ومرَّة وثعلبة. ومثل عبس وعبد الله بن غطفان ، ثم غَنِىّ[4] وباهلة ، واليعسوب والطفاوة فالشرف والخطر فى عَبس وذبيان ، والمبتلى والملقَّى والمحروم والمظلوم ، مثل[5] باهلة وغنىّ ، ممّا لقيت من صوائب سهام الشعراء ، وحتَّى كأنّهم آلة[6] لمدارج الأقدام ، ينكب فيها كلُّ ساعٍ ، ويعثُر بها كلُّ ماش .

---

(١) فى الأصل : « فلما حاول منافرتهم بنى غنم أعز منه » .
(٢) فى الأصل : « وزعم أن أبا عمرو أنشده هذا الشعر » وليس بشىء .
(٣) فى ط : « عروة » وتصحيحه من س : وانظر التنبيه رقم ٦ ص ٣١٣ .
(٤) فى الأصل : « يحيى » وإنما هو « غنى » وسيتكرر الحديث عن غنى وباهلة.
(٥) فى الأصل : « ومثل » والوجه حذف الواو .
(٦) كذا .

وربّما ذكروا اليعسوب والطفاوة ، وهاربة البقعاء[١] وأشجع الخنثى ببعض الذِّكر . وذلك مشهور فى خصائص العلماء ولا يجوز ذلك صدورَهم . وجلُّ معظم البلاء لم يقع [إلّا][٢] بغنىٍّ وباهلة ، وهم أرفع من هؤلاء وأكثر فضولًا ومناقب ، حتى صار من لاخير فيه ولا شرَّ عنده أحسنَ حالا ممّن فيه الخير الكثير وبعض الشرّ ، وصار مثلهم كما قال الشاعر[٣] :

١٧٧ اضرب نَدَى طَلْحَةِ الطّلْحَات مبتدئا
بِبُخْلِ أشْعثَ واستَثْبِتْ وكُنْ حكما[٤]
تَخرج خُزاعة من لؤم ومِن كرمٍ
ولا تعُدَّ لها لؤمًا ولا كرمًا[٥]

وقد ظرف فى شعره فظلم خُزاعةَ ظُلما عبقريًّا .

وقال فى مثل ذلك الأشعر الرَّقَبان[٦] الأسدىّ :

---

(١) هاربة البقعاء هى هاربة بن ذبيان ، انظر القاموس (هرب) ومعجم البلدان (الهاربية) مع المعارف لابن قتيبة (نسب ذبيان بن بغيض) ص ٣٧ .

(٢) حرف يصلح به الكلام .

(٣) هو دعبل بن على الخزاعى كما فى الأغانى ١٨ : ٤٤ ، ٤٨ ، وزهر الآداب ٤ : ٢٠٦ .

(٤) فى ط : « بذى طلحة » ، وتصحيحه من س ، ومن الأغانى . والرواية فيها :
* بلؤم (مطلب) فينا وكن حكما *
والمطلب الذى يعنيه هو ابن عبد الله بن مالك ، كان واليا على مصر . وقد كان ولى دعبلا على أسوان ، فلما سمعه يهجوه بهذا الشعر المتقدم عزله عنها .

(٥) فى الأصل : « ولا تغركها » وليس بشىء وصوابه فى الأغانى .

(٦) فى ط : « وقال فى ذلك الشعر الرقيان » وفى س : « وقال فى مثل ذلك الشعر الرقبان » والوجه ما أثبت . والأشعر لقب للرقبان ، وهو شاعر جاهلى . والشعر فى نوادر أبى زيد ٧٣ وعيون الأخبار ٢ : ١٩٥ ، ٣ : ٢٦٨ وأمالى القالى ٢ : ٢١١ . وانظر اللسان وتاج العروس (ضرر ، مسخ) .

بحسْبِك فى القوْمِ أن يعْلموا   بأنّك فيهم غنىٌّ مُضِر
وأنت مليخ كلحْم الْحُوَارِ   فلا أنت حُلْوٌ ولا أنت مُرٌّ

وكما قال الشاعر فى علباء بن حبيب حيث يقول :

أرى العِلباء كالْعِلْبَاءِ   لا حــلوٌ ولا مُرٌّ
شُيَيْخٌ من بنى الجـارو   دِ لا خــير ولا شرٌّ

فهذا ونحوه من أشدِّ الهجاءِ .

والخمول اسمٌ لجميع أصناف النَّقْصِ كلِّها أو عامَّتها ، ولكنَّه كالسَّرْوِ عند العلماء . وليس ينفعك العامَّةُ إذا ضرّتك الخاصَّة .

ومن هذا الضرب تميم بن مرّ ، وثور وعُكل ، وتيم ومزينة . ففى عُكل وتيم ومزَينة من الشرف والفضل ، ما ليس فى ثور ، وقد سلِم ثور إلّا من الشى اليسير ، مما لايرويه إلّا العلماء ، ثم حلَّت البليَّةُ وركَدَ الشرُّ ، والتحف الهجاء على عُكْل وتيم ، وقد شعّثوا بين مزينة شيئاً ، ولكنَّهم حبَّبهم إلى المسلمين قاطبةً ما تهيأ لهم من الإسلام ، حين قلّ حظٌّ تيم فيه . وقد نالوا من ضبَّة ، مع مافى ضبَّة من الخصال الشريفة ؛ لأنَّ الأبَ متى نقص ولَدُه فى العدد عن ولد أخيه[1] فقد ركبهم الآخَرون بكلِّ عظيمة ، حتى يروا تسليمَ المرباع إليهم حظًّا ، والسير تحت اللواء ، والحمل على أموالهم فى النوائب ؛ وحتَّى ربَّما كانوا كالعضاريطوالعُسَفاء ، والأتباع ، وفى الأتباع والدخلاء ، ثم لايجدون من ذلك بدًّا ؛ كأنهم متى امتنعوا خذلوهم ، فاستباحوهم ، فرأوا أن النِّعمة أربحُ لهم .

(١) فى الأصل : « متى نصر ولده فى العدد على ولد أخيه » ، وأصلحته كما ترى .

وقد أعان غيلان[1] على الأحنف بكلمة ، فقال الأحنف : عبيدٌ في الجاهليَّة ، أتباعٌ في الإسلام .

فإن هربوا تفرّقوا فصاروا أشلاءً في البلاد ، فصار حكمُهم حكم من درج ، وحكمُ أبيهم كحكم من لم يُعقِب . وإن هم حالفوا القرباء فذلك حيث لا يرفعون رءوسهم من الذلّ والغرم .

(الحلف عند العرب)

والحِلْف[2] ضربان : فأحدهما كانضمام عبس وضبَّة ، وأسد وغطفان فإنَّ هؤلاءِ أقوياءُ لم يُنهكوا كما نُهِكت باهلة وغنيّ ، لحاجةِ القوم إليهم ،
١٧٨ ولخشونة مسّهم إن تذكّروا[3] على حال ؛ فقد لقِيت ضبَّةُ من سعدٍ ، وعبسٌ من عامر ، وأسدٌ من عيينة بن حصن ما[4] لقُوا .

وقد رأيت مشقَّةَ ذلك على النابغة ، وكيف كرِه خروج أسد من بني ذبيان .

وعيينةُ بن حصن وإن كان أسود من النابغة وأشرف ، فإنَّ النابغةَ كان أحزم وأعقل .

---

(١) لعلها : « عال غيلان » بمعنى جار وجاوز الحد . فإن غيلان هذا هو غيلان بن خرشة . انظر حديثه مع الأحنف في البيان ٢ : ٨٨ و ٣ : ٩٨ .

(٢) ط : « الخلف » وصوابه في س .

(٣) كذا .

(٤) في الأصل : « مما » .

وقد سلمت ثور وابتُليت عُكل وتيم ، ولولا الربيع بن خُثَيم [1] وسُفيان الثَّوري ، لما علمت العامَّةُ أنَّ فى العرب قبيلةً يقال لها ثور . ولَشَريفٌ واحدٌ ممَّن قَبَلت [2] تيم أكثرُ من ثور وما ولد .

وكذلك بَلْعَنبر ، قد ٱبتُليت وظلمت وبُخست ، مع ما فيها من الفُرسان والشُّعراء ، ومن الزُّهاد ، ومن الفقهاء ، ومن القضاة والوُلاة ، ومن نوادر الرِّجال إسلاميِّين وجاهليِّين .

وقد سلمت كعب بن عمرو ؛ فإنه لم ينلها من الهجاء إلَّا الخمش [3] والنُّتف .

وربَّ قومٍ قد رضُوا بخُمولهم مع السلامة على العامَّة ، فلا يشعرون حتَّى يصبَّ الله تعالى على قِمم رءوسهم حجارةَ القذف ، بأبياتٍ يسيِّرها شاعر ، وسوطَ عذابٍ يسير به الراكبُ والمثل ، كما قال الشاعر :

إن مَنَافاً فَقْحَةٌ لدارمِ [4] كما الظليمُ فَقْحَةُ البراجِمِ

وقال الشاعر [5] :

وجَدْنَا الْحُمْرَ مِنْ شَرِّ المطَايَا كما الحَبِطاتُ شرُّ بنى تميمِ

فما الميسم فى جِلد البعير ، بأعلق من بعض الشعر .

---

(١) فى الأصل : « خيثم » . وانظر الاشتقاق ١١٢ ، ١١٣ وتقريب التهذيب .

(٢) فى الأصل : « قتلت » ، وجعلتها « قبلت » من قبلت القابلة الولد : أخرجته .

(٣) الخمش بمعنى الخدش . وفى الأصل : « الخمس » .

(٤) فى الأصل : « إن منا فقحة لدارم » .

(٥) البيت من أبيات ثلاثة لزياد الأعجم أوردها العينى ، ونقلها عنه البغدادى فى خزانة الأدب ٤ : ٢٨٠ ، وهى — وفى البيت الأوسط إقواء :

وأعلم أننى وأبا حميد كما النشوان والرجل الحليم
أريد حباءه ويريد قتلى وأعلم أنه الرجل اللئيم
فإن الحمر من شر المطايا كما الحبطات شر بنى تميم

(أثر الشعر فى نباهة القبيلة)

وإذا كان بيت واحد يربطه الشاعر فى قوم لهم النباهة والعَدد والفَعال ، مثل نُمير ، يصير أهلُه إلى ما صارت إليه نُمير وغير نمير ، فما ظنُّكَ بالظُّلَيم وبمناف وبالحَبِطات ، وقد بلغ مضرَّةُ جرير عليهم حيثُ قال :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِن نُمير ... فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

إلى أن قال شاعر آخر وهو يهجو قَوْمًا آخَرين :

وسَوفَ يزيدُكم ضَعةً هِجَائى ... كما وضعَ الهِجاءُ بَنِى نُميْرِ

وحتّى قال أبو الرُّدَيْنى :

أَتُوعِدُنِى لِتَقْتُلَنِى نُمَيْرٌ ... مَتى قَتَلَتْ نُمَيْر مَنْ هَجَاهَا

(بكاء العرب من الهجاء وذكر بعض من بكى منهم لذلك)

ولأمرٍ مّا بكت العربُ بالدموع الغِزار من وقعِ الهجاء ، وهذا من أوَّل كرمها ، كما بكى مخارقُ بن شِهاب[1] ، وكما بكى عَلقمة بن عُلاثة ، ١٧٩ وكما بكى عبد الله بن جُدعان من بيتٍ لخداش[2] بن زهير . وما زال يهجوه من غير أن يكون [رآه ، ولو][3] كان رآه ورأى جماله وبهاءه ونبله [و][4] الذى يقع فى النفوس من تفضيله ومحبته [و[4]] من إجلاله والرقة عليه — أمسك . ألا

(١) الذى أبكاه هو محرز بن المكعبر الضبى ، وانظر الحديث فى البيان ٤ : ٤١ — ٤٢ .
(٢) فى الأصل : « لخراش » .
(٣) زيادة يتطلبها الكلام وليست بالأصل .
(٤) ليس بالأصل .

ترى أن النَّبيت وغسَّان بن مالك بن عمرو بن تميم[1] ، ليس يعرفهم بالعجز والقلَّة إلاَّ دَغفل بن حنظلة[2] ، وإلاَّ النخَّار العُذرىّ وإلا الكيِّس النمرىّ[3] ، وإلاَّ صُحار العبدى ، وإلاَّ ابن شَرِيَّة وأبو السَّطَّاح[4] وأشباههم ومن شابه طريقهم والاقتباس من مواريثهم ، وقد سلموا على العامة وحصلوا نسب العرب فالرجل منهم عربى تميمى ، فهو يعطى حقّ القوم فى الجملة ولا يقتضى ماعليه وعلى رهطه فى الخاصّة . والحرمان أسوأ حالا فى العامة من هذه القبائل الخاملة وهم أعدّ وأجلد .

(ماتبتلى به القبائل فيصيبها بالخمول)

وبليَّة أخرى : أنْ يكون القبيلُ متقادِم الميلاد ، قليل الذلة قليل السيادة ، وتهيَّأ أن يصير فى ولدِ إخوتهم الشرف الكامل والعدد التامّ ، فيستبين لمكانهم منهم من قلتهم وضعفهم لكلٍّ من رآهم أو سمع بهم ، أضعافُ الذى هم عليه لو لم يكونوا ابتُلوا بشرف إخوتهم .

ومِنْ شؤم الإخوة أنّ شرفهم ضعةُ إخوتهم ، ومن يُمن الأولاد أنّ شرفهم شرفُ من قَبْلهم من آبائهم ومن بعدهم من أولادهم : كعبد الله بن دارم وجرير بن دارم . فلو أنَّ الفقَيم لم يناسب عبد الله بن دارم وكان جارًا ، كان خيراً له .

---

(١) فى الأصل : « نمير » . وانظر الاشتقاق ١٢٤ .

(٢) فى الأصل : « من حنظلة » وقد جمع ابن النديم تراجم النسابين فى فهرسته ١٣١ .

(٣) فى الأصل : « النميرى » وتصحيحه من المعارف لابن قتيبة ٢٣٣ والفهرست ١٣٢ .

(٤) فى الأصل : « ابن أبى السطاح » وانظر البيان (١ : ٣٦٢) وماسيأتى فى ٣ : ٢٠٩ .

ولقد ضعضعتْ قُريش — لما جاءتْ به من الخصال الشريفة التامّة ؛ مِنْ أركان كنانة — سَنامَ الأرض وجبلها[1] وعينَها التى تبصر بها ، وأنفَها التى بها تعطس ، فما ظنُّك بمن أبصر بنى زيد بن عبد الله بن دارم ، وبنى نهشل بن دارم ، وبنى مجاشع بن دارم ، ثمَّ رأى بنى فقُيم بن جرير ابن دارم ؟ !

وكذلك كلُّ أخوَين إذا برَع أحدُهما وسبق وعلا الرِّجال ؛ فى الجود والإفضال ، أو فى الفُرُوسة[2] أو فى البيان ، فإن كان الآخر وسَطاً من الرجال ، قصدُوا بحسن مآثره فى الطبقة السفلى لتَبِين البراعةُ فى أخيه ، فصارت قرابُته التى كانت مفخرةً هى التى بلغت به أسفَل السافلين . وكذلك عَنَزَة بن أسد فى ربيعة . ولو كان سودد ربيعة مرَّةً فى عَنَزَة ومرّة فى ضُبَيعة أضْجَمَ ، لكان خيرًا لهم اليوم ، ولودَّ كثير من هؤلاءِ القبائل التى سامت على الشعراءِ أو على العوامِّ أن يكون فيهم شَطْرُ ما للعنَزِيِّين من الشرف ، ولو أنَّ الناس وازنوا بين خصال [هذه[3]] القبائل خيرها وشرِّها لكانوا سَوَاءً[4] .

١٨٠ وقال صاحب الكلب : ذكرتَ عيوبَ الكلب فقلتَ : الكلب إذا كان فى الدار مَحَق أُجُور أهل الدّار حتى يأتىَ على أقصاها ، لأنَّ الأجور إذ أُخِذ منها كلَّ يوم وزنَ قيراط ، والقيراط مثل أحد ، لم يلبث على ذلك أن يأتىَ على آخرها . وقلتَ : فى الكلب أشدُّ الأذى على الجار والضيف

(١) كذا .
(٢) الفروسة والفروسية : الحذق بركوب الخيل .
(٣) ليست بالأصل .
(٤) فى الأصل : « سعداء » وليس بشىء .

والدخيل ، يمنعه النَّومَ ليلاً والقائلة نهاراً ، وأن يسمَعَ الحديث . ثمّ الذى على سامع النُّباح من المؤنة من الصوت الشديد .

ولو لم يكن فى الكلب ما يؤذى بشدَّة صوتِه إلاَّ بإدامة مجاوبة الكلاب لكانَ فى ذلك ممّا ينغِّص العيش ، ويمنع من الكلام والحديث .

(شعر فى النباح والاستنباح)

وقال أرطاة بن سُهَيّة فى بعض افتخاره :

وإنِّى لَقَوَّام إلى الضّيف موهنا ... إذا أغدف السِّترَ البخيلُ المواكلُ [1]
دعَا فأجابَتْهُ كلاب كَثِيرَةٌ ... على ثقةٍ منِّى بما أنا فاعلُ
وما دونَ ضيفى ، من تلادٍ تحوزُه ... يدُ الضيف ، إلَّا أنْ تُصانَ الحلائلُ

وقال ابن هَرْمة :

ومستنبحٍ نبَّهتُ كلبى لصوتِهِ ... وقلتُ له قُمْ فى اليَفاع فجاوِبِ
فجاءَ خَفِىّ الصوتِ قد مسَّهُ الضَّوى ... بضربةِ مسنونِ الغِرارَيْن قاضِبِ
فرحَّبت واستبشرت حتَّى بسطتهُ [2] ... وتلك التى ألقَى بها كلَّ آئبِ

وقال آخر :

هجمنا عليـــه وهو يَكْعَمُ كلبَهُ
دعِ الكلب يَنْبحْ إنَّما الكلبُ نابحُ [3]

---

(١) ط : « إلى الضميف » ، « إذا أغدق » . وتصحيح البيت من س . وعيون الأخبار (٣ : ٢٣٩) .

(٢) ط : « بسطه » وصوابه فى س .

(٣) قال المرتضى فى أماليه : ٣ : ١١٤ : « يكعم كلبه : يشد فاه خوفا من أن ينبح ، فيدل عليه » . والبيت للراعى كما فى العمدة ٢ : ١٥١ يهجو به الحطيئة ، وانظر ماسيأتى فى نهاية هذا الجزء من الحيوان .

وقال مزرِّد بن ضرار :

نشأتُ غلاما أتَّقى الذمَّ بالقِرى إذا ضاف ضيفٌ من فزارةَ راغبُ
فإن آبَ سارٍ أسمعَ الكلبَ صوتَه
أتى دون نَبْحِ الكلبِ ، والكلب دائبُ

وقال بشّار بنُ برْد :

سقَى اللهُ القِباب بتلِّ عبدى وبالشرقين أيَّامَ القِبابِ[1]
وأياماً لنا قَصُرَتْ وطالتْ على فُرعان نائمَةَ الكلابِ

١٨ وقال رجل من بنى عبد الله بن غَطفان[2] :

إذ أنتَ لم تستَبْقِ وُدَّ صحابةٍ على دَخن أكثرت بثَّ المعاتِبِ[3]
وإنِّى لأستبقِى امرأ السَّوءِ عُدَّةً لعدْوَة عِرِّيضٍ من الناس جانبِ[4]
أخاف كلابَ الأبعدين ونبحها إذا لم تجاوبْها كلابُ الأقارِب

وقال أُحيحة بن الجُلاح[5] :

ما أحْسَنَ الجِيدَ من مُليكةَ واللَّ بَّاتِ إذ زانَهــا ترائبُها
يا ليتنى ليلة إذا هجع الـ نَّاسُ ونامَ الكلابُ صاحبُها

وقلتَ : وفى الكلب قذارةٌ[6] فى نفسه، وإقذاره أهله لكثرة سُلاحه وبوله ، على أنَّهُ لا يرضى بالسُّلاح على السطوح ، حتّى يحفر ببراثنه وينقُب بأظافره ، وفى ذلك التخريب .

---

(١) فى الأصل : « أثار القباب » ، صوابه من ديوان بشار ١ : ٢٤٩ .
(٢) نسب فى حماسة البحترى ٣٩٤ إلى النعمان بن حنظلة العبدى .
(٣) الدخن : الحقد وسوء الخلق ، ومعناه قريب من الدخل .
(٤) العريض ، كسكيت : الذى يتعرض للناس بالشر .
(٥) انظر الشعر فى الخزانة ٣ : ٣٢١ .
(٦) فى الأصل : « قذرة » .

ولو لم يكن إلاّ أنّهُ يكون سبب الوكف ، وفى الوكف من منع النَّوم ومن إفساد حُرِّ المتاع ، ما لا يخفى مكانه ، مع ما فيه من عضٍّ الصبيان وتفزيع الوِلدان ، وشقِّ الثياب ، والتعرُّض للزوّار ؛ ومع ما فى خلقه أيضاً من الطبع المستدعى للصبيان إلى ضربه ورجْمه وتهييجه بالعبث ، ويكون سبباً لعقْرهم والوثوبِ عليهم [١] .

وقلت : وبئس الشيء هو فى الدار ، وفيها الحُرَم والأزواج ، والسَّرارىُّ والحظِيَّات المعشوقات ؛ وذلك أن ذَكَره أيَرُّ ظاهر الحجم ، وهو إما مُقْبَع وإمّا قائم ، وليس معه ما يواريه ، وربما أَشَظَّ [٢] وأنعَظ بحضرتهنَّ ، ولعلّهنَّ يكنَّ مُغيبات [٣] أو محتاجاتٍ إلى ما يحتاج إليه النساءُ عند غيبة فحلهنّ ، وإذا عجزَ عن أن يَعُمَّهن .

(وفد قرحان)

وقد رمى ضابئُ بن الحرث البُرجُميُّ أمّ أناس من العرب ، أنّ الكلب الذى كان يسمَّى قُرْحان [٤] ، كان يأتى أمّهم ، حتّى استعدَوا عليه ، وحبسه فى ذلك عثمان بنُ عفّان رضى الله تعالى عنه . ولولا أنّ المعنى الذى رماهم به

---

(١) جواب لو محذوف ، وذلك من دأب الجاحظ .

(٢) أشظ الرجل : أنعظ . وفى الأصل : « انتشط » .

(٣) مغيبات : غاب عنهن أزواجهن .

(٤) انظر قصة « قرحان » فى الخزانة ٤ : ٨٠ بولاق والنقائض ٢١٩ ليدن ومعاهد التنصيص ١ : ٦٦ والشعراء ٣٠٩ .

كان مما يكون ويجوز ويُخافُ مثلُه ، لَما بلغ منه عثمانَ ما بلغ ، حتّى مات في حبسه[1] . وفي ذلك يقول ضابئ بن الحارث :

تجشّم نَحوِى وَفْدُ قُرحانَ شُقّةً تَظَلُّ بها الوَجناءُ وهى حَسِيرُ
١٨٢ فزوّدتُهم كلباً فراحوا كأنما حَباهم بتاجِ الهرمزان أميرُ[2]
فأمَّكم لا تتركوها وكلبَكم فإنَّ عقوقَ الوالداتِ كبيرُ
إذا عَثّنَتْ من آخر الليل دُخْنة يبيت له فوقَ السريرِ هَرِيرُ[3]

(قصص تتعلق بالكلاب)

وزعم اليقطريُّ أنّهُ أبصرَ رجلاً يكُومُ كلبةً من كِلاب الرعاء ، ومرَّ بذلك الزُّبِّ العظيمِ في ثفرها — والثَّفرُ منها ومن السبع ، كالحِرِ من المرأة والظَّبْية من الأتان والحِجر ، والحياء من الناقة والشاة — فزعم أنّها لم تعقِد عليه ، ولا ندرى أمكّنته أم اغتصبَها نفسَها .

وأما النّاس ففي مُلح أحاديثهم : أنّ رجلاً أشرفَ على رجل وقد ناك كلبةً فعقَدت عليه ، فبقى أسيرا مستخْزِيا[4] يدورمعهاحيث دارت . قال : فصاح به الرجل : اضربْ جَنبَيها . فأطلقته ، فرفَعَ رأسه إليه ، فقال : أخزاه الله أيُّ نيَّاكِ كلْباتٍ هو !

---

(١) كتب مصحح الطبعة الأولى من الحيوان : « اتفق أهل الأخبار أن ضابئاً كسر ضلع عثمان يوم الدار وأن الحجاج قتل ضابئاً لما ولى العراق » .

(٢) في الخزانة والنقائض: « بتاج الهرمزان » ، وفي الأصل : « بتاج المرزبان » ، والتاج لايكون إلا للملك وما المرزبان إلا رئيس من الرؤساء . وفي الطبرى ٥ : ١٣٧ : « ببيت المرزبان » .

(٣) عثنت : دخنت ، وفي الأصل : « عاينت » وصوابه في الخزانة والنقائض .

(٤) ط : « مستحذيا » وصوابه في س .

وخبّرنى من لا أردُّ خبره ، أنّه أشرفَ من سطحٍ له قصير الحائط ، فإذا هو بسَوادٍ فى ظِلِّ القمر فى أصل حائط ، وإذا أنينُ كلبة ، فرأى رأسَ إنسان يدخل فى القمر ، ثم يرجع إلى موضعه من ظِلِّ[1] القمر ، فتأمّل فى ذلك[2] فإذا هو بحارس ينيك كلبة . قال : فرجمتُه وأعلمته أنّى قد رأيته ، فصبَّحنى من الغد يقرَع الباب علىّ ، فقلت له : ما حاجتك ؟ وما جاء بك ؟ فلقد ظننتُ أنّك ستركب البحر أو تمضى على وجهك إلى البرارى . قال : جُعِلتُ فِداك ، أسألك أن تستُر علىّ ، ستَرَ الله عليك ، وأنا أتوب على يديك ! قال : قلت ويلَك ، فما اشتهيتَ مِن كلبة ؟ ! قال : جُعلت فداك ، كلُّ رجلٍ حارسٍ ليس له زوجةٌ ولا نجل[3] ، فهو ينيك إناثَ الكلاب[4] إذْ كنَّ عِظامَ الأجسام . قال : فقلت : فما يخاف أن تعضَّه ؟ قال : لو رَامَ ذلك منها غيرُ الحارس التى هى له وقد باتتْ معــه فأدخلها فى كِسائه فى ليالى البرد والمطر ، لما تركته . وعلى أنّه إن أراد [أن][5] يوعبه كلّه لم تستقرّ له . قال : ونسيتُ أنْ أسألَه : فهل تعقِد على أُيور النّاسِ كما تعقِد على أيور الكلاب ؟ فلقيته بعدَ ثلاثين سنة ، فقال : لا أدرى لعلّها لا تعقد عليه ، لأنّهُ لا يُدْخِلُهُ فيها إلى أصله ، ولعلّ ذلك أيضاً إنّما هو شىءٌ يحدث بين الكلب والكلبة ، فإذا اختلفــا لم يقع الالتحام . قال : فقلتُ : فَطَيِّبٌ هو ؟ قال : قد نكْت عامّة إناثِ الحيوانات فوجدتُهُــنّ كلّهنّ أطيَبَ من النساء . قلتُ : وكيف ذلك ؟ قال :

---

(١) فى الأصل : « ظلمة » والوجه ماأثبت .

(٢) فى الأصل : « فتأمل إنسان فى ذلك » .

(٣) كذا .

(٤) ط : « إناثا الكلاب » .

(٥) الزيادة من س .

ما ذاك إلاّ لشدَّة الحرارة . قال : فطال الحديث حتى أَنِس فقلتُ له : فإذا
١٨٣ دار الماء فى صُلْبك وقرُبَ الفراغ ؟ قال : فربّما التزمتُ الكلبةَ وأهوَيتَ إلى تقبيلها . ثم قال : أمَا إنَّ الكلابَ أطيبُ شيءٍ أفواهاً ، وأعذَبُ شيءٍ رِيقا ؛ ولكن لايمكن أنْ أنيكها من قُدَّام ، ولو ذهبتُ أن أنيكها من خلف وثَنيتُ رأسَها إلى أنْ أقبِّلها ، لم آمَنْ أنْ تظنَّ بى أنى أريدُ غيرَ ذلك فتكدِّم فمى ووجهى . قال : فقلت : فإنِّى أسألُك بالذى يستُرُ عليك ، هل نَزَعت عن هذا العمل مُنْذُ أعطيتَنى صفقةَ يدِك بالتَّوبة ؟ قال : ربَّما حنَنتُ إلى ذلك فَأَحتبسُ[1] بعهدك . قال : وقلتُ : وإنَّك لتحنُّ إليها ؟ قال : والله إنى لأَحِنُّ إليها ، ولقد تَزَوَّجتُ بعدَك امرأتين ، ولى منهما رجالٌ ونساء ، ومن تعوّد شيئاً لم يكد يصبِرُ عنه ! قال : فقلت له : هل تَعرف اليومَ فى الحُرّاس مَن ينيك الكلبات ؟ قال : نعم ، خذ محموَيه الأحمر ، وخذ يشجب الحارس ، وخذ قفا الشاة ، وخذ فارسا الحَمّامىّ فإنّ فارساً كان حارساً وكان قيِّم حَمّام ، وكان حَلَقيًّا ، فزعم أنّه ناكَ الكلابَ خمسين سنة ، وشاخ وهُزِلَ وقبُح وتشنَّج ، حتّى كان لا يُنيكه أحد . قال : فلم يزَلْ يحتالُ لكلب عندَه حتى ناكه . قال : وكان معه بخير حتَّى قتله اللصوص ، ثمَّ أشرفَ على فارِسٍ[2] ، هذا المحتسِبُ الأحدبُ ، وهو ينيك كلبةً فرماه بحجر فدمَغَه[3] .

قال : فالكلاب كما ترى تُتَّهم بالنساء ، وينيكها الرجال ، وتنيك الرجال ، وليس شيءٌ أحقّ بالنفى والإغراب والإطراد وبالقتل منها . ونحن

---

(١) لعلها : « فأخيس » .
(٢) فى الأصل : « فاس » وصوابه ماأثبت .
(٣) دمغه : أصاب دماغه .

من السباع العادِيَة الوحشيَّة فى راحة ، إلاّ فى الفَرْط(١) فإنّ لها عُرامًا على بعض الماشية ، وجنايةً على شرار العامّة(٢) وكذلك البهائم . وما عسى أن يبلغ من وطْءِ بعير ونطح كبش ، أو خمش سِنّورٍ أو رَمْح حمار ، ولعلّ ذلك يكون فى الدهر المرّةَ والمرّتين ، ولعلّ ذلك أيضاً لا ينال إلاّ عبداً أو خادماً أو سائسا ، وذلك محتَمل . فالكلاب مع هذه الآفات شركاءُ الناس فى دورهم وأهاليهم ! !

قال صاحب الكلب : إنْ كنتم إلى الأذى بالسُّلاح تذهبون ، وإلى قَشرِطِين السطوح بالبراثن تميلون ، وإلى نتن السُّلاح وقذَر المأكول والمشروب تقصدون ، فالسِّنَّورُ أكثر فى ذلك . وقد رويتم عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك أنّه قال : « هُنَّ مِنَ الطَّوَّافاتِ عليكم » . فإذا كان ذلك فى السنانير مغتفراً ، لانتفاعهم بها فى أكل الفأر ، فمنافع الكلاب أكثرُ ، وهى بالاعتقاد أحقّ . وفى إطلاق ذلك فى السنّور دليلٌ على أنّه فى الكلاب أجْوَز .

وأمّا ما ذكرتم من إنعاظه ، فلعمرى إنّه ما ينبغى للغَيورِ أن يُقيم الفرسَ ولا البرذونَ والبغلَ والحمارَ والتَّيس فى المواضع التى تراها النساءُ . والكلبُ ١٨٤
فى ذلك أحسنُ حالا . وقد كرِه ناسٌ إدخال منازلهم الحمامَ والدِّيكةَ والدجاج والبطّ خاصة ؛ لأنّ له عند السفاد قضيبا يظهر ، وكذلك التيس من الظباء ، فضلا عن تُيوس الصفايا . فهذا المعنى الذى ذكرتمْ يجرى فى وجوهٍ كثيرة

(١) الفرط : الندرة . وفى ط : « الفرق » .
(٢) كذا .

وعلى أنّ للحمام(١) خاصّةً من الاستشارة(٢) ، والكَسْم بالذنب ، والتقبيل الذى ليس للناس(٣) مثلُه ، ثمّ التقبيل والتغزّل والتنَفُّش (٤) ، والابتهاج بما يكون منه بعدَ الفراغ ، وركوب الأنثى للذكر و [عدم](٥) إمكانها لغير ذكرها ، ما يكونُ أهيجَ للنساء ممَّا ذكرتم(٦) . فلم أفردتم الكلب بالذِّكر دونَ هذه الأمورِ ، التى إذا عاينت المرأة غُرمُولَ وَاحِدٍ منها ، حقَرت بعلَها أو سيِّدَها ، ولم يزل ظلٌّ ذلك الغرمول يعارضها فى النوم ، وينبِّهها ساعةَ الغفلة ، ويُحدِث لها التمنِّيَ لما لا تقدر عليه ، والاحتقارَ لما تقدر عليه ، وتركتم ذكر ماهو أجلُّ وأعظمُ إلى ما هو أخسُّ وأصغر ؟!

فإنْ كنتم تذهَبون فى التشنيع عليه إلى ما يعقر من الصبيان(٧) عند العَبث والتعرُّض ، والتَّحَكك والتهييج(٨) والتحريش ، فلو أنّ الذى يأتى صبيانُكم إلى الكلب ، من الإلحاح بأصناف العَبَث — والصِّبيانُ أقسى الخلْقِ وأقلهم رحمةً — أنْزَلُوهُ بالأحنف بن قيس ، وقيس بن عاصم ، بل بحاجب بن زُرارة وحِصن بن حُذَيفة ، لَخَرَجُوا(٩) إلى أقبَحَ ممَّا يخرج إليه الكلب . ومَن ترك منهم الأخذَ فوق يدِ ابنه ، فهو أحقُّ باللائمة .

---

(١) ط : « الحمام » وصوابه فى س .
(٢) الاستشارة : إظهار الحسن . من استشارت الإبل : سمت وحسنت .
(٣) فى الأصل : « الناس » .
(٤) فى الأصل : « والتنفس » .
(٥) زيادة يقتضيها الكلام وليست فى الأصل .
(٦) ط : « ماذكرتم » وصوابه فى س .
(٧) س : « يعقره الصبيان » ط : « يعقرن الصبيان » والوجه ماأثبت .
(٨) فى الأصل : « والتّهيج » والوجه : « التهييج » .
(٩) ط : « يخرجوا » وصوابه فى س .

وبعدَ فما وجدْنَا كلباً وثبَ على صبيٍّ فعقَره مِنْ تلقاءِ نفسه ، وإنّه ليتردَّد عليه وهو فى المهد ، وهو لحمٌ على وضَم ، فلا يشَمُّه ولايدنو منه . وهو أكثرُ خلقِ الله تعالى تشمُّماً واستروحا ؛ وما فى الأرضِ كلبٌ يلقى كلباً غريباً إلاَّ شمّ كلٌّ واحدٍ منهما استَ صاحبِه ، ولا فى الأرضِ مَجوسىٌّ يموت فيُحْزَن على موتِه ويحمل إلى الناوُوس إلاَّ بعد أن يُدنَى منــه كلبٌ يشَمُّه ، فإنّه لا يخفى عليه فى شمِّه عندَهم ، أحىٌّ هو أم ميِّتٌ ؛ للطافَةِ حِسِّه ، وأنّه لا يأكل الأحياءَ(١) . فأمَّا اليهود فإنّهم يتعرّفون ذلك من الميّت ، بأن يدهُنوا استَه. ولذلك قال الشاعر(٢) وهو يرمى ناساً بدين اليهودية :

إذا مات منهم ميِّتٌ مَسَحُوا آستَهُ ... بدُهنٍ وحَفُّوا حَوْلَه بقرَام

(جنايات الديك)

وقالوا : فإذا ذكرتم جناياتِ الكلاب ، فواحدٌ من جنايات الدِّيَكة أعظمُ من جنايات الكلاب ؛ لأنّ عبد الله بن عثمان بن عفّان ، ابنَ بنت ١٨٥
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنّما مات من نقْرِ ديكٍ فى دار عثمان ، نقر عينه فكان سببَ موته . فقتْلُ الديك لعِتْرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أعظمُ من كثيرٍ ممَّا تستعظمونَه من جنايات الكلاب .

وقد نقر ديكٌ عينَ ابن حَسَكة بن عَتَّاب(٣) ، أو عين ابن أخته .

---

(١) ط : « الأحيا » .

(٢) هو سالم بن دارة يهجو طريف بن عمرو ، كما فى اللسان (حمم) . وقبل البيت :

إنى وإن خوفت بالسجن ذاكر ... لشتم بنى الطماح أهل حمام

(٣) فى الأصل : « عباد » صوابه فى الاشتقاق ٣٢٩ والبيان ٤ : ٣٦ .

وقد نقر ديك عين ابن الريان بن أبي المسيح وهو في المهد فاعورّ ، ثمّ ضربته الحُمرة فمات .

ووثبَ ديك فطعن بصِيصَتِهِ عين(١) بنتٍ لثُمامة بن أشرس ، قال ثمامة : فأتاني الصّريخ ، فوالله ماوصلتُ إليها حتى كَمَد وجهُها كلُّه واسوَدَّ الأنفُ والوَجْنتان وغارت العينان . وكان شأنُ هـذا الديك — فيما زعم ثمامة — عجباً من العجب : ذكر أنَّ رجلا ذكر أنَّ ديكاً عند بقّالٍ لهم ، يقاتل به الكلاب ، قال : فأتيت البقّال الذى عنده فسألتُه عن الديك ، فزعم أنّه قد وجّه به إلى قتال الكلاب ، وقد تراهنوا فى ذلك . فلم أبرحْ حتّى اشتريْتُهُ ، وكنتُ أصونُه وجعلته فى مَكَنَّة ، فخرجت يوماً لبعض مصلحةٍ وأقبلت بنتى هذه لتنظر إليه ، فكان هذا جزائى منه !

قال : وديكٌ آخر أقبل إلى رأس زيد بن عمر ، حتّى وطئ فى ذؤابته ثمّ أقبَلَ ينقُرُ دِماغه وعينيه . فقال رجل من قريش ، لمن حضر ذلك من الخدم :

اطردُوا الديكَ عن ذؤابة زيد ... طالما كان لاتَطَاهُ الدّجاجُ(٢)

(نفع الكلب)

والكلب إن كان كما يقول ، فإنَّ له يداً تشجُّ(٣) وأخرى تأسُو ، بل مايدفَع الله بحراسته ويجلب من المنافع بصيده(٤) أكثرُ وأغمر ، وهو

---

(١) فى الأصل : « فى عين » .
(٢) جاء هذا البيت فى الأصل كلاما منثورا . وانظره فى الكامل ٧١٠ ليبسك . وفى الأصل أيضاً « لاتطؤها » وتصحيحه من الكامل .
(٣) فى ط : « تسبح » وهو تحريف مافى س .
(٤) ط : « بعباده » وتصحيحه من س و م .

الغامر لا المغمور ، والفاضل لا المفضول . والديك يفقأ العُيونَ وينقُر الأدمغة ويقتل الأنفس ، ويشُجُّ ولا يأسو ؛ فشرُّه صِرف وخيره ممزوج . إلاّ أنْ يزعموا أنّه يحرس من الشيطان ، فيكون هذا من القول الذي يحتاج إلى البرهان. و [من[1]] عارض منافعَ الكلاب وحراستَها أموالَ الناس من اللصوص ، ومنعَ السِّباع من الماشية ، وموضعَ نفع الكلب في المزارع — وذلك عيان ونفعه عامٌّ وخطبه عظيم — بما يُدَّعَى من حراسة الدِّيكة للشيطان ، لم يكايل ولم يُوازِن ولم يَعرف المقايسة ، ولا وقَف قطُّ على معنَى المقابلة[2] ودَلَّ بذلك على أنَّ مبلغَ رأيِه لا يجوز رأيَ النساء .

(العواء وما قيل من الشعر فيه)

ويكون العُواء للكلب والذئبِ والفصيل . وقال النابغة[3] :

ألم أكُ جارَكم فتركتموني   لِكلبي في ديارِكمُ عُواءُ ١٨٦

وقال الشاعر :

وإنِّي امرؤٌ لا تقشَعِرُّ ذؤابتي   من الذئب يَعوِي والغرابِ المحجَّلِ

وقال الشاعر[4] :

ومستَنْبِحٍ تَستَكشِط الريحُ ثَوْبَه   ليَسقُط عنهُ وهو بالثَّوب مُعْصِمُ

---

(١) ليست بالأصل .

(٢) في الأصل : « المقاتلة » وليس له وجه .

(٣) كذا . والبيت للحطيئة مثبت في ديوانه بشرح السكري من قصيدة مطلعها :

ألا أبلغ بني عوف بن كعب   وهل قوم على خلق سواء

(٤) الأبيات في الحماسة ٢ : ٢٦٠ . والشعر لإبراهيم بن هرمة في البيان ٣ : ٢٠٥ .

عَوى فى سوادِ الليلِ بعدَ اعتسافِه ... لينبَحَ كلبٌ أو ليفزَعَ نُوّمُ
فجاوبَهُ مستسمِعُ الصوتِ للقِرَى ... له مع إتيان المُهبِّينَ مَطْعَمُ
يَكادُ إذا ماأبصر الضيفَ مُقْبِلاً ... يكلِّمهُ من حبِّهِ وَهوَ أعجَمُ

وقال ذو الرُّمَّة :

به الذئبَ محزوناً كأنَّ عواءَه ... عواءُ فصيل آخرَ الليلِ مُحْثَلِ

وقال آخر :

ومنهلٍ طامسة أعلامُــــه ... يَعوِى به الذئبُ وتَزقُو هامُه

وقال عَقيل بن عُلّفة يهجو زبَّان بن منظور .

لا باركَ اللهُ فى قومٍ يسودهمُ ... ذئبٌ عَوى وهومشدود على كُورِ
لم يبقَ من مازنٍ إلاَّ شرارُهُم ... فوقَ الحصَى حولَ زبّان بنِ منظورِ

وقال غَيلان بن سلمة(١) :

ومعرِّس حين العشاء به ... الحبس فالأنواء فالعقل(٢)
قد بثّه وهنـاً وأرّقنى ... ذئب الفلاةِ كأنّه جِذلُ
فتركته يعوِى بقَفرتِه ... ولكلِّ صاحِب قفرةٍ شكلُ
بتَنُوفةٍ جــرداءَ يجزعها ... لِحَب يلوحُ كأنّه سَحْل(٣)

وقال مغلّس بن لقيط(٤) :

عوى منهُمُ ذئبٌ فطرَّب عادياً ... على فعليات مُسْتَثَارٍ سخيمها(٥)

---

(١) كان من حكماء العرب فى الجاهلية وحكامهم . انظر الإصابة ٦٩١٨ والأغانى ١٢ : ٤٣-٤٧ .
(٢) كذا فى الأصول .
(٣) يجزعها : يقطعها ، وفى ط : « لجب » وصوابه بالحاء كما فى س و م .
(٤) مغلس بن لقيط : شاعر من شعراء الجاهلية ، له ترجمة فى الخزانة ٢ : ٤١٩ بولاق .
(٥) ط : « مستشار » .

إذا هُنَّ لم يلحَسْنَ من ذى قرابةٍ   دماً هُلِستْ أجسادُها ولحومُها[١]

وقال الأحيمِرُ السعديُّ[٢] : ١٨٧

عوى الذئبُ فاستأنستُ بالذئبِ إذ عوى

وصوَّتَ إنسان فكِدتُ أطيرُ

وقال آخر[٣] :

وعاوٍ عوَى واللّيْلُ مستحلس الندى

وقد زَحَفَتْ للغور تالية النَّجمِ[٤]

وذلك أنَّ الرجلَ إذا كانَ باغياً أو زائرا ، أو ممَّن يلتمِس القِرَى ، ولم يرَ بالليل نارًا ، عوى ونبح ، لتجيبَه الكلاب ، فيهتدى بذلك إلى موضع الناس .

وقال الشاعر :

ومُستَنبِحٍ أهلَ الثَّرى يَلمَس القِرى

إلينا ومَمساه من الأَرض نازح

وقال عمرو بن الأهتم :

ومستنبحٍ بعد الهُدُوِّ دعوتُه   وقد حانَ من سارِى الشِّتاءِ طُروق

فهذا من عواء الفصيل والذئب والكلب .

---

(١) فى معجم المرزبانى ٣٩١ :

إذا هن لم يولغن من ذى قرابة   دما هلست أبدانها ولحومها

(٢) ط : « الأحمر » وصوابه فى س . وهو شاعر من لصوص العرب .

(٣) البيت لحميد الأرقط كما فى البخلاء ٢٠٠ .

(٤) ط : « للفور » وصوابه فى س . وفى الأصل : « مستجلس الندى » وصوابه فى البخلاء ٢٠٠ . استحلس الندى : تراكم .

(ما قالوا فى أنس الكلب وإلفه)

وقال صاحب الكلب : ومما قالوا فى أنس الكلب وإلفه ، وحبِّه لأهله ولمن أحسنَ إليه قول ابن الطَّثريّة (١) :

يا أُمَّ عمرٍو أنجِزِى الموعودا　　وارعَىْ بذاكِ أمانةً وعُهُودا
ولقد طرقْتُ كلابَ أهلِكِ بالضُّحَى　　حتَّى تركتُ عَقُورَهُنَّ رُقُودا
يضرِبْنَ بالأذنابِ مِن فرحٍ بنا　　متوسِّداتٍ أذرُعاً وخدودا

وقال الآخر (٢) :

لو كُنْتُ أحمِلُ خمرًا يومَ زرتُكم　　لم يُنكِرِ الكلبُ أنِّى صاحب الدَّارِ
لكنْ أتيتُ وريحُ المِسْكِ يفعمنى　　والعنبرُ الوَرْدُ أُذكيه على النار (٣)
فأنكر الكلب ريحى حين أبصرنى　　وكان يعرف ريح الزِّقِّ والقار

وقال أبو الطَّمَحان القينىّ فى الإلف ، وهو يمدح مالك بن حمار الشَّمْخى (٤) :

سأمدَحُ مالكاً فى كلِّ رَكب　　لقيتُهمُ وأتركُ كلَّ رَذْلِ

---

(١) فى الأصل : « وقال ابن الطثرية » والوجه ما أثبت . والشعر فى البخلاء ٢٠٣ .

(٢) الشعر فى البيان ٣ : ٣١١ منسوب إلى بعض الحجازيين ، وانظر البخلاء ٢٠٢ . وهو فى الحماسة ٢ : ٢٣٣ منسوب إلى مالك بن أسماء الفزارى ، وهو شاعر إسلامى غزل ، وأخته هند بنت أسماء زوج الحجاج ، وهو ممن عرف بالجمال فى العرب . ترجم له أبو الفرج فى أغانيه ١٦ : ٤٠ - ٤٦ .

(٣) فعمه الطيب وفغمه : ملأ خياشيمه . وفى الأصل : « ينعمنى » ، وصوابه فى البخلاء ٢٠٢ . وفى الحماسة ٢ : ٢٣٣ : « يفغمنى » بالغين ، وفيها « وعنبر الهند أذكيه » .

(٤) هو قتيل خفاف بن ندبة ، وله أخبار فى الأغانى والاشتقاق ١٧٢ .

فما أنا والبكارةُ من مخاضٍ عِظامٍ جِلَّةٍ سُدُسٍ وبُزْلِ
وقد عرَفَتْ كلابُهمُ ثيابي كأنِّى منهمُ ونسيتُ أهلى
نَمَتْ بك من بنى شَمْخٍ زِنَادٌ لها ما شئتَ مِن فرعٍ وأصلِ

وقال الشاعر فى أنَس الكلاب وإلفها ، يذكر رجلا : ١٨٨

عنيف بتَسْواقِ العِشارِ ورَعْيِها ولكنْ بتَلْقَام الثَّرِيدِ رفيقُ
سَنِيد يظَلُّ الكلب يمضَغُ ثَوبَه له فى ديارِ الغانيات طَرِيق

وقال الآخر :

بات الحويرثُ والكلاب تَشَمُّه وسَرت بأبيضَ كالهلال على الطَّوَى

وقال ذو الرمة :

رأتنى كلابُ الحى حتَّى ألِفَننى ومُدَّت نُسوجُ العنكبوت على رحلى (١)

وقال حسَّان بن ثابت :

أولاد جَفْنَةَ حولَ قبرِ أبيهمُ قبرِ ابْنِ ماريةَ الكريمِ المُفْضِلِ
بِيض الوجوهِ نقيَّةٌ حُجزاتُهمْ شمُّ الأنُوفِ من الطِّرازِ الأوَّلِ (٢)
يُغشَوْنَ حتَّى ما تَهِرُّ كلابهم لا يَسألونَ عن السَّوادِ المقبِلِ

وفى هذا المعنى قال الشاعر :

وبوَّأت (٣) بيتك فى مَعلمٍ رَحيب المَبَاءةِ والمسْرحِ
كفيتَ العُفاةَ طِلاَبَ القِرَى ونَبْحَ الكلاب لمستَنْبِحِ (٤)

---

(١) فى الأصل : « رأيت » والوجه « رأتنى » كما فى البخلاء ٢٠٢ . وفى الديوان ٤٩١ : « أتتنى » . وفى ط : « على رحل » وصوابه فى س والديوان .
(٢) الحجزة : معقد الإزار . وفى الأصل : « حجراتهم » وليس بشىء .
(٣) فى الأصل : « وبوات » تحريفه ، وأصله من بوأته فى المنزل : أنزلته به .
(٤) فى الأصل : كلاب الضرام « وقبح » ، صوابه فى الحيوان ٥ : ١٣٥ . وانظر اللسان ٢ : ٢١٩ س ٨ .

تَرَى دَعْس آثَارِ تلك المطىِّ أخاديدَ كاللُّقم الأفيَحِ
ولو كُنْتَ فى نفق زائغٍ لكُنْتَ على الشرك الأوضَحِ(١)

وفى مثل ذلك ، وليس فى ذكر إلف الكلاب ، ولكنَّه مما ينبغى أن يكون مجموعاً إلى هذه الأشعار ، وبك إلى ذلك حاجة شديدة ، قال أميَّةُ بنُ أبى الصَّلْت :

لا الغيايَاتُ مُنتَــواكَ ولكنْ فى ذُرَى مُشْرِفِ القُصورِ ذرَاكا

وقال البزَّار الحِلِّىّ ، فى المعنى الأول :

ألِفَ الناسَ فما ينبَحُهُمْ مِنْ أسيف يبتغى الخيرَ وحُرّ(٢)

وقال عِمران بن عصام :

١٨٩ لِعَبْدِ العزيزِ على قَوْمِه وغَيـرِهِمُ مِنَنٌ غَامِرَهْ(٣)
فبابك ألينُ أبوابهم ودارُك آهِلةٌ عامِرهْ
وكلبُك آنس بالمعتفِين من الأُمِّ بابنتها الزَّائرهْ
وكفُّك حين ترى السائلين أندَى من اللَّيلةِ الماطرهْ
فمِنك العَطاءُ ومنَّا الثَّنَاءُ بكلِّ محبَّرةٍ سائرهْ

وقال هلال بن خثعم(٤) :

إنِّى لَعَفٌّ عن زيارة جارَتى وإنِّى لَمَشْنوءٌ إلىّ اغتيابُها

---

(١) ط : « ولو كنت فى نفع » والوجه ما فى س و م .

(٢) فى الأصل : « فيما » ولا يستقيم بذلك معنى الوزن ووزنه ، صوابه فى البخلاء ٢٠٢ مع نسبة الشعر فيه إلى المرار الحمانى .

(٣) الشعر فى الأغانى ١ : ١٢٩ منسوب إلى نصيب . وعبد العزيز هذا هو ابن مروان.

(٤) كذا نسب الشعر فى البخلاء ٢٠٢ . ويروى لقيس بن الخطيم . وقد رواه ابن قتيبة فى عيون الأخبار ٣ : ١٨٣ وكذا ابن الشجرى فى الحماسة ١٣٥ لبشار بن بشر .

إذا غابَ عنها بعلها لم أكنْ لها ‏ ‏ زَءُوراً ولم تأنَسْ إلىَّ كلابُها

وما أنَا بالدَّارِى أَحاديثَ سِرِّها ‏ ‏ ولا عالِمٍ مِنْ أىِّ حوكٍ ثِيابُها [1]

وإنّ قِرَابَ البطنِ يكفيك ملؤهُ ‏ ‏ ويَكفيك سوءَاتِ الأمور اجتنابُها

وقال حاتم الطائى ، وهو حاتم بن عبد الله ، ويكنى أبا سَفَّانة ، وكان أسره ثوب بن شَحمة العنبرىّ مُجير الطير [2] :

إذا ما بخيلُ النَّاس هَرَّتْ كلابُه ‏ ‏ وشَقّ على الضَّيفِ الغريبِ عَقُورُها

فإنِّى جبانُ الكلب بيتى موطَّأٌ ‏ ‏ جَواد إذا ماالنَّفسُ شَحَّ ضميرُها

ولكن كلابى قد أُقِرَّت وعُوِّدت ‏ ‏ قليل على مَن يعتريها هَريرُها

(هجو الناس بهجو كلابهم)

وقال صاحب الكلب : إنّ كثيراً من هجاءِ الكلب ، ليس يراد به الكلب ، وإنَّما يراد به هِجَاءُ رجلٍ ، فيجعل الكلب وُصلةً فى الكلام ليبلغ ما يريدُ من شتمه . وهذا أيضاً ممــا يرتفق الناسُ به من أسباب الكلاب . ولذلك قال الشاعر [3] :

مِن دونِ سَيبك لونُ ليل مظلمٍ ‏ ‏ وحَفيف نافجةٍ وكلب مُوسَدُ [4]

وأخوكَ محتمل عليك ضغينة ‏ ‏ ومُسِيفُ قومِك لائم لا يُحْمَدُ

---

(١) فى الأصل : « حول » وأثبت مافى عيون الأخبار .

(٢) فى الأصل : « ثور » وانظر التنبيه رقم (٣) ص ٢٦٩ .

(٣) هو حسيل بن عرفطة ، شاعر جاهلى . النوادر لأبى زيد ٧٥ . وانظر الحيوان ٤ : ٨٢ وديوان المعانى ٢ : ١٠٦ .

(٤) النافجة : الريح تجىء بقوة . وفى الأصل : « نافخة » وإنما الحفيف للريح . وتصحيحها من النوادر لأبى زيد . ويقال أوسد كلبه : أغراه بالصيد ، فهو موسد .

والضّيفُ عِنْدَكَ مثلُ أسودَ سالخ لا بلْ أحبُّهما إليك الأَسودُ

فهذا قول الشاعر . وقال الآخر :

وما يكُ فىَّ مِن عيبٍ فإنِّى جَبَانُ الكلبِ مَهْزولُ الفصيلِ

فهو لم يردْ مدحَ الكلب بالجبن ، وإنَّما أراد نفسه حين قال :

* وحفيف نافجة وكلب موسد[1] *

فإن كان الكلبُ إنما أسرَه أهلُه ، فإنَّما اللوْم على من أسرَه . وإنما هذا الضّرب كقوله[2] :

قوم إذا استنبَحَ الأَضيافُ كلبهمُ قالوا لأُمِّهمُ بُولى على النَّارِ

ومعلوم أنّ هذا لا يكون ، ولكن حقَّر أمرهم وصغَّرهم .

وقال ابن هَرْمة :

وإذا تنوَّرَ طارِق مستنبِح نبحَتْ فَدَلَّتْهُ علىّ كلابى[3]

وقال ابن مهية :

جلَبنا الخيلَ من شُعَبَى تَشَكَّى حوافِرَها الدوابرَ والنُّسورا
فلما أنْ طَلَعن بعين جعدى وأهل الجوف ان قتلوا غرورا
ولم يكُ كلبُهم ليفيق حتَّى يُهارِشَ كلبُهم كلبا عَقورا

ومعلوم أنَّ هذا لا يكون ، إنما هو مثل . وقال أعرابىّ :

---

(١) فى الأصل : « نافخة » ، وانظر التنبيه السابق .
(٢) البيت للأخطل يهجو به جريرا . وفيه قالت بنو تميم : « ماهجينا بشعر هو أشد علينا من هذا البيت ! » . ديوان المعانى ١ : ١٧٥ .
(٣) فى الأصل : « كلاب » .

أخو ثقةٍ قَدْ يحسبُ المجدَ فُرصةً إلى أهله أو ذِمَّةً لا تُخَفَّرُ
حبيبٌ إلى كلبِ الكريمِ نباحُه كريهٌ إلى الكوماءِ والكلبُ أبصَرُ

وقال ابن هَرْمة :

وفرحة من كلابِ الحيِّ يتبَعُها شَحمٌ يَزِفُّ به الداعِي وتَرعِيبُ

فهذا قول هؤلاءِ . وقال الآخر :

هَجَمْنَا عليـه وهو يَـكعَمُ كلبَه
دَعِ الكلبَ يَنْبَحْ إنَّما الكلبُ نابحُ(١)

وقال الآخر :

وتَـكْعَم كلبَ الحيِّ مِن خَشيةِ القِرى
ونارُكَ كالعَذْراءِ مِنْ دُونِها سِتْرُ(٢)

وقال أعشى بنى تغلب :

إذا احتلَّت معاوية بن عمرو على الأطواء خَنَّقَتِ الكلابا

فالكلب مرَّةً مكعوم(٣) ، ومرّة مخنوق ، ومرّة مُوسَد ومحرَّش ، ومرةً يجعله جبانا ، ومرّةً وثّابا ، كما قال الراعى فى الحطيئة :

ألاَ قبَّحَ اللهُ الحطيئةَ إنّه على كلِّ ضيفٍ ضافَه فهو سالحُ
وقعنا إليه وهو يخنُقُ كلبَه دَعِ الكلبَ ينبَحْ إنَّما الكلبُ نابحُ

وقال أعشى بنى تغلب :

---

(١) ط ، س : « يطعم » وصوابه فى م . وانظر التنبيه رقم ٣ ص ٣٦٧

(٢) فى الأصل : « وتطعم » صوابه فى اللسان (كعم) .

(٣) فى الأصل : « مطعوم » ، والوجه ماأثبت .

بكَيْتَ على زادٍ خبيثٍ قَرِيتَه　　ألا كلُّ عَبْسىٍّ على الزادِ نابحُ[١]

وقال الفرزدق :

ولا تنزع الأضياف إلَّا إلى فتًى　　إذا ما أبَى أن ينبَحَ الكلبُ أوقدا

(وقال الآخر :

* دَع الـكلبَ ينبَحْ إنَّما الـكلبُ نابحُ *

وقال الآخر :

* ألا كلُّ كلبٍ لا أبا لَكَ نابحُ *

وقال الفرزدق :

* إذا ما أبى أن ينبَحَ الكلبُ أوقَدَا[٢]) *

ومتى صار الـكلب يأبى النباح ؟ ! فهذَا يدُلُّ على أنّهم يتشفّون بذكر الـكلب ، ويرتَفِقُونَ به ، لا على أنّ هذا الأمرَ الذى ذكروه قد كانَ على الحقيقة :

وقال الآخر ، وهو جرير[٣] :

ولوكنت فى نَجْرَانَ أو بِعَمَايةٍ　　إذن لأَتانى من رَبيعة راكبُ[٤]

---

(١) البيت فى العمدة ٢ : ١٥١ منسوب إلى الراعى . وقد رواه تاليا للبيت السابق ، برواية :

* ألا كل عبسى على الزاد نائح *

وانظر البخلاء ٢٠٣ .

(٢) ماوضع بين قوسين هو تكرار لأعجاز أبيات سابقة، ولست أدرى لم أعيدت .

(٣) « وهو جرير » ، الأرجح أن تكون مثل هذه الزيادة من أقلام الناسخين أو القارئين . والأبيات فى ديوان جرير ص ٤٢ طبع ١٣٤٥ .

(٤) نجران : مخلاف باليمن . وعماية : جبل بالبحرين . ورواية الديوان : « ولو كنت فى غمدان » .

يُثير الكلابَ آخرَ اللّيلِ وَطؤُه كضَبِّ العرَادِ خَطْوُه متقارِبُ(١)
فباتَ يُمَنِّينَا الربيعَ وصَوْبَه ويَنْظُرُ من لُقَّاعةٍ وهو كاذب(٢)

فذكر تقارُبَ خطوه ، وإخفاءَ حركته ، وأنَّه مع ذلك قد أثار(٣) الكلاب من آخر الليل ، وذلك وقت نومها وراحتها ، وهذا يدلُّ على تيقُّظها ودِقَّة حسِّها .

وفيما ذكروا مِن حالة الكلاب لسبب القرى من البرد ، والذى يلقى ، وكيف الشأن فى ذلك ، قال أعشى باهلة :

وأجْحَرَ الكلبَ مُبْيَضُّ الصَّقِيعِ بِهِ
وألجأ الحىَّ من تنفاحه الحُجَرُ(٤)

---

(١) العراد : شجر صلب العود منتشر الأغصان . والعرب تقول : قيل للضب وردا وردا ، فقال :

أصبح قلبى صردا لايشتهى أن يردا
إلا عرادا عردا وصليانا بردا
وعنكثا ملتبدا

وفى الأصل : « كضب العرار » وهو تحريف ، جاء على الصواب الذى أثبت فى الديوان .

(٢) اللقاعة : الكثير الكلام . ورواية الديوان : « يسطر من لقاعة » ، وفى تاج العروس : « وتنظر من لقاعة » .

(٣) ط : « آثر » وصوابه فى س .

(٤) يقول : إنه لاينقطع عن إطعام الطعام فى شدة البرد ، حينما يضطر الكلب مايتلبد على شعره من الجليد الأبيض إلى الدخول فى الجحر ، وحينما تكون الحجر ملجأ للحى يتقون بها تنفاح الصقيع أى ضربه . . وقصيدة الأعشى هذه مشروحة فى الخزانة ٢ : ١٧٨ — ١٨٦ ، وشرحها كذلك الشيخ حمزة فتح الله فى المواهب .

وقال الحطيئة :

إذا أجْحر الـكلبَ الصَّقِيعُ اتَّقَيْنَه
بأثباجِ لا خُورٍ ولا قَفِراتِ[1]

وقال ابن هَرْمة :

وسلِ الجارَ والمعصِّب والأضـ ياف وَهْناً إذا تحيَّوْا لديَّا[2]
كَيف يَلْقوْنَنى إذا نبَحَ الـكلـ بُ وراءَ الـكُسُورِ نَبْحاً خَفِيّا
ومَشَى الحالبُ المُبِسُّ إلى النَّا بِ فلم يَقر أصفر الحىّ ريّا
لم تَـكُنْ خارجيَّةً من تراثٍ حادثٍ ، بل وَرِثتُ ذاكَ عَليّا

وقال الأعشى :

وتَبْرُد بَرْدَ رِداءِ العَرو
سِ فى الصَّيْفِ رَقرقتَ فيه العبيرا[3]
وتسخن ليلـةَ لا يستَطيـ عُ نُباحاً بها الكلب إلا هريراً

وقال الهذلى[4] :

وليلةٍ يَصطَلى بالفَرثِ جازِرُها يختصُّ بالنَّقَرى الُمثرِينَ داعيها
لا ينبَحُ الـكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ من الشِّتاءِ ولا تَسرِى أفاعيها

---

(١) أجحره وجحره : أدخله فى الجحر . وفى ط : « أحجر » وصوابه فى س ، والبيت من قصيدة فى ديوان الحطيئة ٥٦ .

(٢) فى ط : « أصل الجار » ، وصوابه فى س و م ، والحيوان ٢ : ٧٢ . المعصب : الذى يتعصب بالخرق جوعا ، والرجل الفقير . وفى الأصل : « الجار المعصب » وتصحيحه من الحيوان (٢ : ٧٢) . وفى الأصل : « تحبوا » بباء موحدة وهى على الصواب فى الجزء الثانى

(٣) ط : « فيها البعيرا » وصوابه فى س و م .

(٤) انظر ماسيأتى من تعليق فى ٣ : ٧٥

وقال الفرزدق [١] :

إذا احمرّ آفاقُ السّماء وهتّكتْ
كُسُورَ بُيوتِ الحيِّ نَكْباءُ حرْجَفُ

وجاءَ قريعُ الشّولِ قبلَ إفالِها ... يَزِفُّ وجاءَتْ خَلفَه وهي زُحَّفُ [٢]
وهتّكتِ الأطنابَ كلُّ ذِفرَّةٍ ... لها تامكٌ من عاتق النّيِّ أعرَفُ [٣]
وباشرَ راعيها الصَّلَى بلبانه ... وكَفّيْ لحرِّ النار ما يتحرّفُ
وقاتلَ كلبُ الحيِّ عن نارِ أهلِه ... ليربِض فِيها، والصِّلا متكنَّفُ [٤]
وأصبَحَ مبيَضٌّ الصَّقيعِ كأنّه ... على سَرَوات النِّيبِ قُطْن مُندَّفُ [٥]

تمّ الجزءُ الأول

ويليه الجزءُ الثاني [٦]

وأوله : باب احتجاج صاحب الكلب بالأشعار المعروفة

---

(١) من قصيدته الفائية المشهورة ، التي مطلعها :
عزفت بأعشاش وماكدت تعزف ... وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف

(٢) في الأصول : « قبله » وتصحيحه من الديوان ٥٥٩ . وفي ديوان جرير (والقصيدة فيه) : « بعده » .

(٣) الذفرة : الناقة النجيبة . والتامك : السنام العظيم . والأعرف : المرتفع .

(٤) يقول : صار كلب الحي لشدة البرد يدافع أهله عن النار ، ليقع في موضع يدفئه ، وقد أحاط القوم بالنار وتكنفوها ليظفروا بالدفء . وفي الأصل :
« ليربض منها والصلا متكشف » وليس بشيء ، وتصحيحه من الديوان .

(٥) يقول : قد وقع الثلج على أسنمة هذه الإبل المسان فأضحى كأنه القطن قد ندف . ويروى : « موضوع الصقيع » كما في الديوان .

(٦) في نهاية س « تم المصحف الأول ويتلوه المصحف الثاني من كتاب الحيوان » .

معارضات على نسخة الأمبروزيانا

ص	س	
٢٠	١٨	: « وإن كان شاطنا » ، وهو الوجه .
٢١	١ ــ ٢	: « طابن ولا يعدم الإنسى والجن طابنا » . وهى توافق رواية ل ، وهى الصواب . والطابن : الخدّاع الخِبّ .
	٨	: « شوك العضاه » .
	١٣	: « قد ابتلى أيضا بأنّ أخته » .
٢٢	٨	: « وعبّاس » .
٢٣	٨	: « فأمر به فرمى به من فوق القصر » .
	١٤	: « وظن سمار به كل خيرة » .
٢٤	٥	: « بغير جرم » . (١٠) : « وأقلّ رَمادك » .
	١٧	: « يمسى ويصبح سالما » .
٢٥	٨	: « ومساءة الجلساء » .
٢٦	١١ــ١٢	: « ويجعلونها متخيّرة غير مسخَّرة » .
٢٧	٤	: « لاتضاف إلى النمو والحسن » .
٢٨	٧	: « والباذنجان » كما فى ل . وجاء فى لسان العرب [حرر ٢٥٦) : « الأزهرى عن شمر ، يقال لهذا الطائر الذى يقال له بالعراق باذنجان ، لأصغر مايكون : جُميِّل حُرّ » .
٢٩	١	: « كالـكلب والفهد] والذئب والأسد » .
	٧	: « مايكون سِلاحه سُلاحَه » ، كما فى ل .

ص	س	
٣٠	٢	: « واليعاسيب والذبان والعقارب والجراد »
	١١	: « مشهوران بالحبَل » .
	١٦	: « والبنبد » بدل « البينيب » .
٣١	١	: « والبلبل » ، وقد نبّهت على خطئه فى الحاشية .
	١٠	: « ويصرصر » بدل « ويصوصى » ، وهو الصواب .
	١٠	: « ويزئر » بدل « ويزأر » ، وهما لغتان .
	١١	: « وينبر » بدل « وينزب » ، كما فى ل .
	١١	: « ويفحّ » بدل « ويعجّ » كما اقترحت فى الحواشى .
٣٢	١ ، ٢	: « إذا وجد بعضها مع بعض سمّيت بأنبه النوعين ذكرا » .
	٨	: « خلاف دعائها [عند المائدة] لوالدها » .
٣٤	٥ ـ ٦	: « والحكمة يلوحان لمن استخبرهما وينطقان لمن استنطقهما كما يخبر الهُزال وكمود اللون عن سوء الحال ، وكما ينطق السمن والنضرة » .
٣٦	٦	: « المتقدم فى الأمور » .
	١٠	: « ثم لم يوجدهم » ، كما فى ط ، ل .
	١٢	: « وصاحب الحسد والمشانفة ، والمتفقّد لشأن العاقبة » .
٣٧	٥	: « وعلى الاتعاظ والانزجار » .
	٦	: « وجعل الفكر تنشىء » .
	١٢	: « مارأيت فى أثنائه من مزح » .
	١٦	: « لأن يكون علّةً للجِدّ ، وأن البطالة وقار وزمانة » .

ص س

٣٨ ١ : « إلا بما لايحتاج إليه ، قال أبو شمر : إذا كان لايصل » .

٥ ــ ٦ : « إلا من قد تجرّد للعلم وفهم معناه على حسب مايورث الطول من الكد » ، مع إسقاط مافى أثناء الكلام .

١٤ : « ونعم الجليس والقعدة » .

٣٩ ٢ ــ ٣ : « من غرائب فوائده ، وإن شئت ألهتك بوادره » .

١٣ : « أو روضة تتقلّب » .

٤٠ ١ : « ويترجم كلام الأحياء » .

٦ : « حين العناية تامة لم تنتقص ، والأذهان فارغة لم تقتسم » .

٧ : « فهي أقبل ماتكون للطابع » ، وهو الوجه .

٨ ــ ٩ : « حين هذه الخصال لم يُلبَس جديدها ، ولم يفل غربها » . ولُبِس ، فى معنى أخْلَقَ . وفى اللسان : « وثوب لبيس ، إذا كثر لبسه ، وقيل قد لُبِس فأخلق » .

٤١ ١ : « بعد الذى أبصرتَ من يبسه » .

٥ : « أدّبت عرسى » .

٨ : « فى طلبها ليلةَ » .

١٢ : « ولا أحفل أخلاقا » ، سقطت من النسخة .

٤٢ ٢ : « أحسن مواتاة » .

٨ : « والمذاهب القديمة » .

١٩ : « لازمة لطبائعهم » .

٤٣ ١ : « ويأخذ بأرماقهم أو يصلح بالهم » .

ص س

٣ : « معرفة مايحضرتهم ، والتوازر على مايحتاجون [إليه] من الارتفاق » .

٤ ـــ ٦ : « واختلال الأدنى إلى معونة الأقصى ، معان متضمّنة ، وأسباب متصلة ، وحبال متقيدة » .

والتكملة التى فى س٧ لم ترد فى النسخة :

٤٤ ٤ : « مذالاً ميسرا » ، وهــذا يوجِّه مافى ط . والمذال : المهان الممتهن .

١٠-١١ : « وبالتقليب والتنقيب ، وبالتوقيف وبالتثبت » .

١٥ : « ومعرفا لمواقع سد الخلة ودفع الشبهة » .

١٦ : « الأشباح المثول » .

٤٥ ٤ : « وأسكن إليه وأضبُّ به » ، بالضاد المعجمة .

١٤ : « تكمل بجنسه الذى » .

١٧ : « والساكنة الثابتة التى لاتنبس ولا تفهم ، ولا تحس ولا تتحرك » .

٤٦ ٤ : « والذائق [فى ذلك] نصيبا » .

١٠ : « هذه الآلة لسكان » .

٤٧ ٢ : « مجرى البيان ؛ [وألحق البيان] بالقرآن » .

١٠-١١ : « لعواجل حاجاتهم وأواجلها » ، وهو الوجه .

٤٨ ٥ : « فضل على انتهاء » .

٦ : « إلى الحاجة بالتفاهم بالخطوط » .

ص	س	
٤٩	١	: « فالشأن الآن فى منافع اليد » ، فقط .
	٩	: « لبطلَ الطَّرَب كلّه » .
	١٢	: « لكان [ذلك] من أعظم الحظوط » .
٥٠	٣	: « فصل » ، بالصاد المهملة كما نبهت فى الحاشية .
	٦	: « والكتاب هو الذى قيد على الناس » .
	٧	: « خفة ثقله » .
٥١	١	: « والمستميح الذى لايستزيدك » .
	١١-١٢	: « إن افتقرت لم يَحقِرك » ، وبإسقاط « إليه » .
٥٢	٧	: « وأصحاب الكفايات » ، بدل « الفكاهات » .
	٨ ــ ٩	: « ليلهم هو الشىء الذى لا يرىله فيهم مع الليل أثر فى ازدياد ولا فى تجربة ولا فى عقل ولا فى مروءة » .
	١٥	: « ذهبت المكارم » ، موضع « ذهب » .
٥٣	١	: « ولا اتكأت » ساقطة من النسخة .
	٩	: « وانقطاع المادة من قِبَله » ، وهو الوجه .
	١٠	: « وكان الورق كثير العدد » ، ومع إسقاط باقى السطر .
	١١	: « القينى » بدل « العتبى » فى كل موضع ورد فيه هذا العلم، كما هو الشأن فى نسخة ل .
٥٤	١	: « إلا [الشىء] الذى زهّدك فيه » .
	١٠	: « به هذا الظن [كله] » .
	١١	: «كذا [وكذا] » ، فى الموضعين .

ص	س	
	١٢	: « أنفق قليلا وأكسب كثيرا »
٥٥	٢	: « ولابد من أن تصير كتبه » .
	٣	: « ولا يعلم ولا يجمع ولا يختلف حتى يكون الإنفاق » .
	١٣-١٤	: « وإنى غرمت مالا عظيما مع حبى للمال ، وبغضى للمغرم ؛ لأن سخاء النفس بالإنفاق على الكتب دليل على تعظيم العلم » .
٥٦	٥	: « أو كتب أرفاق ورياضات » .
	٨	: « فى التبيين » .
	١٤	: « داعية إلى العبادات ، وباعثا على الخشوع » .
	١٧	: « وقد رأيتم » . وبذلك يتغير المعنى التاريخى .
	١٨	: « ملوكنا » .
٥٧	٨	: « ولا حكمة غريزية أو فلسفية » .
	١١-١٢	: « بعمود السيح ، والإخبار عن شَلَقون الهمّامة ، وكله هذروعى ، ودعوى خرافة ، وسخف وتكذب » .
٥٨	١	: « على الناس الإطاعة » .
	٢	: « الاستبصار والمحنة » .
	٥ ــ ٦	: « والدرهم الزائف الذى يغلط فيه الكثير » ، بإسقاط «لا» .
	٧ ــ ٨	: « يكون أظهر فساداً يحتاج من الترفيه والتمويه ، ومن الاحتشاد والتغليط » .
	٩ ــ ١٠	: « من اليهودية بعيداً ، فعلى حسب ذلك يكون تزيُّدهم فى توكيدها ، واحتفالهم فى إظهار تعظيمها » .

ص	س	
٥٩	٥	: « هو العالم المقنع » .
	٨	: « وأحصر بالعى » . إلى نهاية البيت ساقط من النسخة .
٦٠	١	: « لشيء اعتراه » .
	٢٥	: « أو إلى ثلاثة أشياء فلا ينزع » .
	١٤	: « اشتملوا » بدل « اجتمعوا » .
	١٥	: « فدمرنا عليهم » كما توقّعت فى الحاشية .
٦١	١ – ٢	: « وإذا أصحابه حوله ، وإذا هم بيض اللحى ، وهو يقرأ عليهم دفتر شعر ، فقال الذى كان سعى بهم » .
	٣	: « عثرتم بها ، [قال] : فقلت » .
	٧	: «ما أشد صبابته» .
	١١ – ١٢	: « لقد ضيّع درهمه من تجوّد » .
	١٣ – ١٤	: « وأجعله محطوطاً على ناظرى » .
	١٧	: « الأسفاط والرفوف » . وكلاهما صحيح ؛ فإن الرقوق جمع الرَّق بالفتح ، وهو الصحيفة البيضاء ، والجلد الرقيق يكتب فيه .
	١٨	: « قط أثخن ولا أنبل » . والثخانة : الحلم والرزانة والثقل فى المجلس .
٦٢	٦	: « ولا أمتع من كتاب » بالتاء ، كما توقعت فى الحاشية .
	٧	: « [قال] فقيل له : فقد جاء » ، مع سقوط التكملة التى فى نهاية السطر .
٦٣	٣	: « إذا غزوا » .

ص	س	
	٤	: « كما يعترى النادم من قرع السن » .
	٦	: « إذا تذكرت منى » .
	٧	: « الحزين فى الأرض » .
٦٤	١	: « يخطِّطن » .
	٥	: هذا البيت الثانى ساقط من النسخة .
	٦	: « وقال الحزين الكندى » .
	١١	: « ماتنقضى عبراتى » .
	١٤	: « فى نواح »، و « لم تَعَلَّلْ لهم» ، أى لم تتعلّل بعلّة .
	١٥	: « تتلقّط الحصى » .
٦٥	٧	: « يمتدح فيها » .
	١٠	: « إذا تشابَه آيُها » ، وهو الوجه .
٦٦	١	: « من ترشامه» ، لعل صوابها « من ترسامه » تفعال من الرسم .
	٢	: عجزه فى النسخة : « فهو الصواب به على استبهامه » .
	٨	: لم يرد هذا البيت فى النسخة فى هـــذا الموضع ، وإنما ورد بعد البيت التالى بالرواية المثبتة بعد ذلك البيت .
	١١	: « حده لحسامه » .
	١٣	: « فى الخط [والقلم] : » .
٦٧	١	: « يرقل عامدا » .
	٢	: « مخلولف السن » .
	١١	: « بآثاره » بدل « بآثارها » ، وهى رواية الديوان٢٥٧.

ص س

١٥ : « إذا استغزرت ذهن الجلى » ، وهو تحريف سمعى مخالف لما فى ل والديوان . انظر للتحريفات السمعية تحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام هارون ص ٦٢

٦٨ ٤ـ٦ : ساقط من النسخة . ويبدو أنه نص دخيل ، فإنه الموضع الوحيد ، الذى ذكر فيه الجاحظ البحترى فى كل من الحيوان والبيان ، وإن كان قد ورد ذكر البحترى فى رسائل الجاحظ ٢ : ٥٠ بتحقيق عبد السلام هارون .

٨ : « نقراً » بدل « حفراً » .

٩ : « هو الحفر » مكان « هو النائى » .

١٠ : « هو النائى » مكان « هو الحفر » .

١٢ : هذه التكملة ليست فى النسخة .

٦٩ ٣ ـ ٤ : « وأمنعها للدروس ، وأجدر أن يراها من مر » .

٧ : « وكل إيغار » بدل « وكل إنفاق » . والإيغار : أن يوغر الملكُ لرجلٍ الأرضَ يجعلها له من غير خراج .

٩ : « ذكر [حق] الحلف والهُدنة ، تعظيما للأمر ، وتبعيداً [له] من النسيان » .

٧٠ ٦ ـ ٧ : « ولا بين العقود و [بين] الرقوم والخطوط فرق » .

١٠ : « وبين الحروف المجموعة [و] المصورة من » .

١٨ : « عرفوا معانى ضروب صور الإشارات » .

٧١ ٢ : « وردع المجنون الوعيد والتهديد » .

ص	س	
	٨	: « أو بها مُسكة » .
	١١	: « والمسند والسيمون كيف كان ، كذلك قال الهيثم » .
	١٤	: « وقال أبو عبيدة : كل أمة تعتمد فى استبقاء مآثرها ، وحصر مناقبها » .
	٤ ــ ٥	: « يقيد فضيلة اللسان ، على الشاعر الراغب ، والمادح ، وفضيلة السيد المرغوب إليه الممدوح به . قال : وذهبت العجم » .
	٦	: « مثل كرديناذ وبناء أردشير وبيضاء إصطخر » .
	١٠	: « والأبلق الفرد ، وفى الأبلق الفرد ومارد » .
٧٣	٢	: « من القرون السابقة ، والأمم البائدة » .
	١٢	: «كل قصر وصنيع كان لابن عامر ، وكما هدم أصحابنا مدن» .
٧٤	١٢-١٣	: « فإذا استظهرنا للشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام ، إذا استظهرنا له بغاية الاستظهار » مع سقوط « فمائتى عام » بعدها .
٧٥	٢ ــ ٣	: « موضع التعجب [منه] ، وصار كالكلام المنثور » مع سقوط « والكلام المنثور » بعده .
	٤	: « المنثور الذى حول عن موزون » مع سقوط كلمة « الشعر »
	١٢	: « لبطل ذلك المفخر » ، وهو الوجه .
	١٣	: « لمعايشهم » بدل « لمعاشهم » .
٧٦	٦ ــ ٧	: « وابن بهريز ووهيلى » مع سقوط مابين ذلك من كلمات :

ص	س	
٧٧	١	: « بلغة واحدة استفرغت تلك [اللغة] القوة ، [وإن تكلم بلغتين انقسمت القوة] عليهما » .
٧٨	٤ ــ ٥	: « أضر من الخطأ فى [بعض] الصناعة والرياضة والفلسفة ، وفى بعض المعيشة » ، مع سقوط سائر ألفاظ النص .
	١٦ــ١٧	: « لم يجد المعين والرافد [بدًّا من] التقصير » .
٧٩	١ ــ ٢	: « من الخطأ ، ولا ينقص منه ، ثم يعارض به له من يترك »
٨٢	١٢	: ساقط من النسخة .
٨٣	١ ــ ٢	: ساقطان كذلك من النسخة .
	٤	: « وجه الدهر » ، وهو الوجه .
	١٤	: « فى سير البُخْتية » ، كما فى ل .
	١٥	: « وضروبا من المرفوع » ، كما فى ل .
٨٤	٢٢	: « فأمرتهم أن يسيروها تلك السيرة » .
	٤	: « حتى شدَوْا من معرفة ذلك شَدْواً » .
	٥	: « وكذلك جميع أمركم لا يخلو » .
	٩	: « على من أزْرى على واضع الكتب » .
	١١	: « مئونتهم فى تعريفهم » .
٨٥	٦	: « ويرتجح قلمه » .
	١١	: « ويفنى العقل ويبقى أثره » .
	١٢	: « ولولا مارسمت لنا الأوائل »
	١٦	: « ولو ألجئنا »

ص	س	
٨٦	١ — ٢	: « لقد قلت المعرفة ، وقصرت الهمة ، وانتقضت المُنّة » .
	٦	: « الله التى فيها الهدى والرحمة ، والإخبار عن كل عبرة » .
	١٢	: « فينبغى أن يكون سبيلنا فيمن بعدنا » .
٨٧	٢	: « وليس يجد الإنسان فى كل حال إنسانا يدرِّسه » . صواب ضبطه « يَدْرسه » ، يقال درسَه الكتاب وأدرسه إياه ، كما فى اللسان (درس ٣٨٢) ، وانظر رسائل الجاحظ ١ : ٧٧ بتحقيقنا ففيه : « ويَدرُسهم مناقبهم » .
	٧	: « ونازعت إلى حب الأدب ، وأنفت من حالة الجهل» .
	١٥	: « فتظن أنه باب بعض العمال » ، كما فى ل .
٨٨	٤	: « يدع كتابه يغبّ ويختمر ، ولا يثق بالرأى بالفطير » .
	٦	: « وتوقّف عند فصوله» .
٩٣	٩	: « فرأيت » بدل « لرأيت » ، وقبله فى النسخة عبارة لايدرى صلتها ، وهى : « الفترة المانعة من البلوغ فى الفهم وتعرف مايحتاج إلى التعرف منه » .
٩٤	٣	: « ودربة العلماء »
	١٢	: « إلى النواويس فالماخور »؟
٩٥	٩	: « علما بأولها» . وس ١٢ : « فى العلم همته » .
	١٣	: « خلاف قولك ماماتوا ولا ذهبوا » .
٩٦	١	: « يكون منه إذا مامات يُكتَسَب » .
٩٧	١	: « فيعلمها أهل البصرة » .

ص	س	
	٣	: « التكملة التى تبدأ هنا من ل تشاركها فيها نسخة الأمبروزيانا إلى نهاية س ٧ عند « ولها عرش عظيم » ، ثم تنفرد نسخة ل بالتكملة إلى ص ٩٩ س ٣ عند « وليرى أنه » ، ثم يتفقان فى مقدار التكملة إلى كلمة « يسرى » فى ص ١٠١ س ٤ ، ثم يسقط الكلام من نسخة الأمبروزيانا إلى نهاية س ٦ من صفحة ١٢١
٩٩	٨	: « وصاحب المال بعرض فساد » .
	١٦	: « تسكن النفس ويثلج الصدر »
	١٧	: « والأمل فسيحا » ، وهو تصحيح لما أثبت من نسخة ل .
١٠٠	١٠	: « وقالوا : ومتى ورثته كتابا »
١٠١	١	: « مابعد كلمة « حظًّا » إلى كلمة « خطأ » ساقط من النسخة .
	٤	: « طريق تد نهج له » .
١٢١	٧	: « لن يعدم البانون » ، وهى رواية جيدة وإن كان فيها الخرم .
	١١	: كلمة « المرى » ليست فى النسخة .
١٢٢	١	: كلمة « المخنثين » ساقطة من النسخة .
	٢ ــ ٣	: « كأنها تمرة فقال اليقطرى » ، مع إسقاط مابين هذا الكلام .
	٤ ــ ٥	: « إلا بالحصاء دون الإحصاء » .
	١٣	: « وسمى بالسنوط » بدل « ولقب » .
١٢٣	١	: « وقال يوما » .
	٢ ــ ٣	: « لايحمل إلا التمر ، وبعضه لايحمل إلا المنصف ، وبعضه لايحمل إلا الخلال » .

ص	س	
	٦	: « والحصى » بدل « والخصيتين » .
	١١	: « وقد زعم لنا ناس » .
	١٢	: « إنما ولدوا له بعد أن نزعت بيضته اليسرى » ، وهو الوجه .
	١٨	: « مجالسة الأعراب » بالحاء المهملة .
١٢٤	١	: « ونضاضته » ، بدل : « وخلاصته » ، وفى اللسان : ونضاضة الرجل : آخر ولده . وفى السطر نفسه « محزز » بالحاء المهملة ، و « ابن كرز » كما فى ل .
	٧	: « فقد يزعمون أنهم »
	٨	: « كأنهم يذهبون إلى أنه يستقصى » .
	٩	: « بفرط قوته » .
	١٢	: « و [من] رقّة الكبد والقلب » .
١٢٥	٢	: « وإن كان الخصىّ أسوأ وأبلغ منهم ، وإن جمع » .
	٣	: « بطرسوس وبادية » ، تحريف
١٢٦	٦	: « قد أرميت على المائة » ، وأربى وأرمى بمعنى .
	٧	: « وهْى الكبرة » .
	٩ ـ ١٠	: « تركهن زهدا ، وتخلَّى منهن سنين ودهرًا »
	١٢	: « هجرانى لملابسة النساء »
	١٥	: « ولم يرهن متكشفات عاريات أن يكون إذا تقدم » .
١٢٧	١	: « موت الخاطر »
	٢	: « وفيما تحويه من النساء »

ص	س	
	٨	: « من الخطار » .
	٩	: « والدواعى لاتطوره » .
١٢٨	١	: « ولم تمتلئ عروق »
	٥	: « ولربما نزا فؤادى عند ضحك إحداهن » .
	١٨	: « وقد كان عثمان بن مظعون » .
١٢٩	٣	: « فأما خصاء الجلب على وجه التجارة » .
	٤	: « ويمتلخ البيضتين إلا أن تقلص إحداهما من إفراط الفزع » .
	٥	: « لايمكن ردها [إلى مكانها] إلاّ بعلاج طويل » .
	٦	: « وظلم يربى [على الظلم الأول و] على كل ظلم » .
	٧	: « فإذا برأ وهو مجبوب القضيب ذو بيضة واحدة » .
	٩	: « موضع الخاص من بيوتهم » .
	١٠	: « مقربا [ومن لذة الإنسال والتمتّع] وخصب العيش منعما » .
	١١	: « ومن لذة الإنسال والتمتّع بشم » .
	١٢ـ١٣	: « فلا يزال عند الفحول محقرا ، وعند الخصيان مخرجا مطردا » .
١٣٠	١	: « قتلة سريحة » ، كما فى ل
	٤	: « مجامع [جلد] الخصية » .
	٦	: « وتتحشّف » بدل « تنخسف » ، وهو الوجه .
	٩ ـ ١٠	: « وبشدة التحزيق والعقد بالخيط الشديد التوتير الشديد الفتل » .
	١٥ ـ ١٦	: « [و] قال أبو زيد : خصيت الدابة أخصيه خصاء، ووجأته أجؤه وجاء » والدابة . يذكر ويؤنث .

ص س

١٣١ ١ : « أما الخصاء فهوسل الحصيتين . والوجاء : أن توجأ العروق والخُصيانِ ». يقال خُصْىٌ كما يقال خُصية .

٢ ـ ٣ : «حتى تسقط الحصيتان والخُصْيان . الواحد خصية . ويقال ملست الحصيتين أملسهما » .

٨ : « وقَدِيًّا غَذِيًّا » . القدِىُّ : الطيب الطعم والرائحة .

١١–١٢ : « وأكثر السفاد يورث الضعف والهزال » .

١٣٣ ٧ : « وخبرت عن جهله بإتيان النساء وعجزه » .

١٤ : « وإذا كمنوا الكمائن »

١٣٥ ٣ : « عادات » بدل « عادة »

٥ : « الهرَمى » موضع « الهرمين » .

١٣٦ ١ : « على طول الركوب » .

١٨–١٩ : « من أهل التجربة المميزين ، أنهم اعتبرو أعمار ضروب الناس »

١٣٧ ٣ : « ولم يجدوا مع طول العمر فيهم »

٦ ـ ٧ : « قالوا : ولذلك لم نجد فيما يعايش الناس فى دورهم [وضياعهم] من الخيل والحمير والإبل والبقر والغنم والدجاج والكلاب والحمام والديكة » .

١٣٨ ٥ : « إلا رديا قصير العنق » .

٧ ـ ٨ : « تكلف المأكل والمشرب ، ثم بلغ إلى أن يصير جملا [لم] يمكنه الضِّراب »

١١ : « وهُزْلا » بدل « وهزالا » .

ص	س	
	١٥	: « [وهى الصرصرانية] » بزيادة كلمة « هى » على ما فى ل :
١٣٩	٧	: « [أنها] أطول الحمير أعماراً » .
	٩ ــ ١٠	: « فجاءت أولاده منها أعظم من سائر الحمير وأحسن ، وخرجت أعمارها على أعمار الخيل وسائر الحمير » .
	١٣	: « ولا يعرفون حمارا أهليا » . فلعلها « أهليا أو وحشيا » .
١٤٠	٤ ــ ٦	: « وهم يزعمون أن فيروز بن قباذ طلب حماراً أخدريا فطاوله ، فلجّ به الاعتزام » مع سقوط مابين ذلك من ألفاظ ، وكلمة « الاعتزام » هى الوجه فى « الاغترام » .
١٤١	١	: سقطت كلمة « لدرست » .
	٤	: « و [من] تركهم التشاغل » .
	٥	: « حبب إلى هذا »
	٦ ــ ٧	: « صياد أفاعى يبيعها للترياقات ، وسخّر هذا لأن يكون من سواس الأسد» ، مع سقوط مابين ذلك من كلام وسقوط كلمة « والفهود » ، وإظهار (أن) بعد لام التعليل كثيرا مايستعمله الجاحظ انظر ص ٣٩٢
	١٣	: « وإنما نأبى التيسير للمعاصى » كما فى ل
١٤٢	٧	: « وسبيل تناتج الظلف على خلاف ذلك ؛ لأن التيس مع شدة غلمته »
	١٠	: « فضلا على أن يكون بينهما تناتج »
١٤٣	٢	: « يلند » موضع « بلنك » فى كل موضع ، وهو تحريف .

ص	س	
	٩	: « اشتر مرك »
	١٠	: « بشيئين متفاوتين » ، وهو الصواب .
	١٣	: « للناقة من الحوش فيسفدها » .
	١٦	: « فمنهم من جحد البتة أن تكون الزُّرافة » . ومما لحظته أن « الزرافة » حيثما وردت فى النسخة ضبطت بضم الزاى ، وهى إحدى لغات فيها ، وفى اللسان : « وهى الزَّرافة والزَّرافَّة ، والفتح والتخفيف أفصحهما » . ثم قال : « وقيل هى بفتح الزاى وضمها مخففة الفاء »
١٤٤	٣	: « من شأن الورداني والراعبى »
	٥	: « بسماع الغرائب » .
	٥ ــ ٦	: « ولو أعطوا مع هذا الاستهتار من التثبت نصيبا والتوحى حظا سلمت الكتب »
١٤٥	٩	: « يحيى بن لجيم » ، و « فيخرج [من بينهما] ولد » .
١٤٦	١	: « عبد الرحمن بن [أم] الحكم » . وهو خطأ انظر له حواشى ٢٣٢ وكذا ص ٤٢٤ .
	٨	: « أراد هو التبعيد به » بدل « بعينه »
	١٤	: « [هو] آدم السنانير وتلك السنورة [أن تكون] حواء السنانير ، قال أبو عبيدة لكيسان [وضحك منه] : أو لم تعلم » .

ص	س	
١٤٧	٧	: « ولا يتبض عليه بفكه » ، بدل « بكفه » ، وهو الصواب .
	٩	: « عظما كان أم غيره ، [و] مصمتا كان أم أجوف » .
	١١	: « فى شدقه شفرته وناره » ..
	١٤	: « وليس على ذلك [تأويل] قول أمير المؤمنين المأمون » ، تحريف .
١٤٨	١	: « الحمار » بدل « الحمارين » .
	٢	: « لبعض من [نكره] ذكره » .
	٤	: « بعده فى النسخة « يعنى عبد الرحمن بن يزيد » !
	٩	: « من خلوة النساء [من جميع الأجناس ، قال] : قلت لا والله لا أعرفه ، قال : بلى اعلم أنه لا يكون» .
	١٥	: « زناها وسحقها » .
١٤٩	٢	: « بضروب » موضع « ضروبا » .
	٤	: « فى تركيبه و [فى] إنساله » .
	٧	: « لها عظيم » .
	١٣	: « المجانّ » موضع « المجانيق » ، كما فى ل .
١٥٠	١	: « دفعت » بدل « اندفعت » و « فاطّبخوا واشتووا و [مَلُّوا ، و] ملّحوا وادّخروا » .
	١٤–١٥	: « قليل الإناث ، ولا يكدنَ أيضا يجمعن البيض » .
١٥١	١٢–١٣	: « وإذْ قالوا فى الزُّرافة ماقالوا فلا نأمنهم » .
	١٦	: « الذى دعا إلى القول فى الزُّرافة تركيب اسمه ، [فجعلوا تركيب الاسم] دليلا على تركيب » .

ص	س	
١٥٢	١	: « كاوماش ، كأنه قال : ضأن بقرى » .
	٢	: « فيه شبه الكبش وكثيراً من مشابه الثور ، ليس أنّ ».
	١١	: « من أعناق الشياطين ، فجهلوا المثل والمجاز ، [وحملوا الكلام] على غير » .
	١٣	: « تغنت شياطيني وجن جنونها» .
١٥٣	٤	: « إذا كانت داهية شيطانا » .
	٨	: « من أسطع جسر» . وانظر ٤ : ١٣٤ .
١٥٤	١٤	: « إلى تلك الجزيرة » بدل « الجيزة » .
١٥٥	١	: « فإن لجّ خبلته »
	٢	: « وأما الذين زعموا »
	٥	: « وعلم أنها [كانت] تكون فى الأنهار ومناقع المياه ، من الذكر والأنثى » ، وكلمة « مناقع » ، هى الصواب فى « منابع »
	٧	: « إنما هو شيء يخلق تلك الساعة من طباع المطر والهواء والزمان » .
١٥٧	٢	: « وهو الذى يخلق » بدل « يتخلق »
	١٢	: « وجدوا طُول أعمار الناس »
	١٣	: « وإن فى الأعراب لأعماراً » بإسقاط كلمة « أطول » بعدها .
١٥٨	٢ ، ٨	: « وبذال » بدل « ويزال » .
	٥	: « الموقوفين على النبيذ »

ص س

٧ ــ ٨ : « من كان يشرب النبيذ حيا ، وعامة من كان لايشرب النبيذ قد مات » ، وبإسقاط كلمة « عامتهم » .

٩ : « فقد كانا من المعمَّرين »

١٠ : « ونميّز الصدق فيه من الكذب »

١٦ : « إيثار المُخْفِس » ، مطابقاً لما أثبت من تصحيح .

١٥٩ ١ : « مابعد كلمة « للنساء » إلى نهاية السطر ساقط من النسخة .

٢ : « ويرون الماء غير الدافق ولا الغليظ » ، و « الدافق » تصحيح « الرائق » .

٩ : « والحيى الشريف » .

١٢ : « وإن كان يقايس هذا الأديب الكريم » .

١٦٠ ٢ : « وقد كانت إبل الصدقة موسومة »

٨ : « والنقض لمرائر القوى » ، وهو الصواب . والمرائر : جمع مريرة ، وهى القوة من قوى الحبل ، تُمرّ وتُفتَل .

١٣ : « ومن جنس البط »

١٦١ ٤ : « فتؤدّى ، وتصاب فى الهُواشة فترد » .

٦ : « أن نعمَّها بالحرق بالنار » .

٧ ــ ٨ : « من ألف بعير بعير ، ثم عسى أن يحتاج إلى ذلك فى جميع عمره إلى شربة واحدة » .

١٥ ــ ١٦ : « فيما يرد على الشىء المصبور من العذاب مردا بوجه من الوجوه »

ص س

١٦٢ ٣ : « لاتملك الشيء »، كما فى ل .

١١-١٢ : « فإن [كان] ذلك فى سبيل العلاج بعد أن يكون ذلك المتكلف يعرف وجه العلاج ، فالمذهب فى ذلك معروف ». وهو الصواب

١٦٣ ٣ : « وليس كل مؤذ ولا كل أذى »

١٧ : « ثم زاده على قيمته » .

١٦٤ ١-٢ : « المعروفين بابتياع متاع اللصوص » .

٢ : « من شهد السعانين » ، وهو تصحيح ماورد فى ل : « السعايين » . والسعانين : عيد من أعياد النصارى .

٣ : « وأصحاب الخارجات » كما فى ط .

٧ : « وخلطاء مترافدون » ، وهو الوجه .

٩ : « قد قبل من المقوقس [الخصى] كما قبل مارية ، و [أنه] استخدمه » .

١٨ : « أجمل منه وأشف وأخدم لم يزده » .

١٦٥ ٣ : « لايحل اطراده ونفيه »

٦-٧ : « ولا يزيل عنه ملكه إلا مثل ماوجب به له ملكه » .

٩ : « تدبيراً أو حكمة » .

١٦٦ ٦ : « مطردا » مكان « مطروداً » .

٧-٨ : « فالفاجر لايكون المبغىّ عليه » ؛ وهو الوجه .

٢١ : بدل عبارة « وهو يباشر بمشقة » : « ولكن ذلك الماء لايخرج منه إلاّ بعد جهد شديد وعلاج طويل » .

ص	س	
١٦٧	١	: « شيء يكون منه إنسان » ، وهو الوجه .
	٧	: « وتعظيم البعولة »
	٩	: « مرة فوق ومرة أسفل ، وأسمحت النفس بمكنونها ، وأظهرت النفس ماعندها »
١٦٨	٥	: « الصاحب السوء »
	١١	: « ومتى ألقى إلى الفتيات شيء من أمور النساء » ، وهو الوجه .
	١٢ـ١٣	: « و [عند] قلة التشاغل ، وكذلك متى ألقى إلى الفتيان شيء من أمور الغلمان » .
	١٥ ـ ١٦	: « التكملة المقتبسة من ل ليست فى النسخة » .
١٦٩	١	: «داعية إلى الميراثية» !!
	٢ ـ ٤	: سقطت هذه التكملة ، وجاء بدلها : « وقال الشاعر فيما يشبه هذا المعنى :

لاتحقرنَّ من الأشرار ذا صغر ··· فالذئب ليس بمأمون على الغنم
ولا عجوزا على أهل فتفسدها ··· ولا خصيًّا على مال ولا حَرَم

ص	س	
	٩	: « فصادف قلبي فارغا فتمكنا » .
١٧٠	١ ـ ٢	: « لامرأة [و] قد تمكن من كلامها ومكنته من سمعها ثم قال : قد والله يامولاتى وسيدتى ، أسهرتِ ليلى » .
	١٤	: « أشد لها إشغالا » .
	١٥	: « ملهى فى النساء » .
	١٦	: « وقال سعيد بن سلم » ، وهو الصواب كما فى ٥ : ١٦١ .

ص	س	
١٧١	١	: « غير متكشّف »
	٦ ــ ٧	: « لم يكن عليه من فقد مارآه فى النوم أو مثلته له الأمانى مؤونة » .
١٧٢	٤	: « ولقد رأيت » ، مع سقوط التكملة التى بعد هذا الكلام ، وسقوط قوله « ويتمشى مع الشطار » .
	١٠ – ١١	: « فلما أبصر ذلك بزق وثفل وسقط فى يده ، وهجم عليه أمرٌ لو كان رآه » .
	١٣	: « ممن كان يخلفه »
	١٤	: « قد حرق » بدل « [حزين] » ، مع سقوط التكملة الثانية فى هذا السطر .
١٧٣	١	: سقطت التكملتان من النسخة .
	٦	: « الماشى المعْيى »
	٩	: « من الشنو والبغضة »
	١٢	: « وتُلقِحه الجنايات » ، وهو الأوفق .
	١٤ــ١٥	: « إذا بدا لأحدهم فى النزوع وفى ترك الطريقة الأولى » ، وهو الوجه .
١٧٤	١	: « فيخرج لهم حب التشفى شدة الاعتزام على قتالهم » .
	٢	: « أن يحج [البيت] » .
	٩	: « من تعظيمه للدين ، و [من] الاحتراق فيه » .
	١١	: « ولرضى منهم بالمسالمة » .
١٧٥	١	: « لآل جعفر » موضع « لآل سليمان » .

ص	س	
	٣	: التكملة ساقطة من النسخة .
	٥	: « أليس زان خصىّ » .
	١٢	: « فلا سنان ينيلك ولا يدعنى أنيك »
١٧٦	١	: « يهجو امرأته » ساقطة من النسخة .
	٧	: « ولا والله لا والله لا أقلع أو أُخصَى
	١٠	: « بلَّغتْنى رَكَبَ النساءِ » ، وهو الوجه .
	١١	: « حين تلقى » .
	١٢	: « عجِّل بالخصاء » .
١٧٧	٣	: « عثرة وجدودُ » .
	١١	: « أترى أن المثلة تحل له ما حرم الله » .
١٧٨	٣	: الذى فى النسخة يوافق ما أثبت فى الحاشية عن نسخة ل .
	١٤	: « عن نافع [بن عمر] » ، صوابه : « [مولى ابن عمر] » .
١٨٠	٧	: « ولا يخص ويعم بالقصود »
	١١ ، ١٣	: « أبو جزى » بدل « أبو جرير » .
١٨١	١ ، ٣	: « أبو جزى » بدل « أبو جرير » .
	٥	: « وعمرو ويونس عن الحسن » .
١٨٢	١ ، ٢	: « إلاّ بعرض لها ، ويزعمون أنه ليس شىء له عدْو كعدو السِّمع » .
	٥ ، ٦	: « عن عَرَضٍ بذى سبيبٍ » ، وهو الوجه . والسبيب : شعر الذنب والعرف والناصية» . ويقال خرجوا يضربون الناس عن عُرض ، أى عن شق وناصية لا يبالون من ضربوا . اللسان (عرض ٣٨ — ٣٩) .

ص	س	
	٨	: « وقال ابن كنانة [وهو] يصف فرسا » .
	١٥	: « التكملة كذلك فى النسخة ، مع إسقاط « خلف بن حيان الأحمر » .
١٨٣	٦	: «كأن شبا طرفه » .
	١١	: « فى ديسم الغيرى » ، تحريف . وانظر الأغانى ٣ : ٢٧ حيث روى البيت برواية « من نجل زارع » .
١٨٤	٦	سقط الكلام من أول السطر إلا كلمة « وزعموا » فإن بدلها «وزعم» .
	٧	: « لايَلقَن ولا يألف » ، وهو الوجه .
١٨٥	٣	: « وسنداوة تصأى به وحضاجر » . تصأى : تصيح . ويقال أيضاصأى يَصئى . وهذا يوجه رواية ط «تصبى به » ،إذ صوابها « تَصئى به » .
	١٥	: « ذكروا [ذلك] عن عمرو بن يربوع ، وكما روى أبو زيد » .
١٨٦	٤	: « وأنشد » فقط ، أى بإسقاط باقى العبارة .
	٥	: « منون قالوا سراة الجن » .
	١٤	: « ولم تقل جئ » .
	١٥	: « أو ملك الأعجم » .
١٨٧	٢	: « عمرا وقابوس » .
	٤	: « جرهما من نتاج ما بين الملائكة وبنات آدم ، [قالوا] : وكان » .

ص	س	
	١٢	: « ومن هذا النسل ومن هذا الضرب من النجل »
١٨٨	١	: « وأبوه غيرى » .
	٣	: « ينادى [رجلاً ويقول] : ياذا القرنين ، فقال : فرغتم » .
	١٠	: « على جهة العشق » .
١٨٩	٥	: « تركّب من الناس والنسناس » .
	٦	: « والدوال » بإسقاط « باى » كما فى ط .
	١٦	: « يَهَنَّا » بدل « مهنا » .
١٩٠	١	: « من ولد مَهَنَّة ومُهَيْنَنَة » .
	٦	: « ذكرت [لك] كثيرا » .
	٨	: « وزعم ابن ميثم » .
١٩١	٢	: حتى « [إنه] ربما وثب على صاحبه » .
	٧	: « حاجب بن ذبيان » .
	٨	: « إذا أُسلِمَ الحبلُ » .
	١٠	: « حين فارقه الهَزْل » ، وهو الصواب ، والهزل بالضم ، الهُزَال .
١٩٢	٦	« فيهزل أهل البيت » .
	٧	: « وذلك عند السواف » باسقاط « أنه » .
	٨	: التكملة التى فى آخر السطر ليست فى النسخة .
	١٠	: « كثير الجناية على إلفه ، وإنما قبلوه حين قبلوه على أن ينذرهم موضع السارق » .

ص	س	
	١١	: « وتركوا طراده » .
١٩٣	٤	: « إلا وخطمه فى الأرض [أبداً] يتشمم » .
	١٣	: « وفى أموالهم » . وهذا تحريف قرآنى . انظر تحقيق النصوص ونشرها من تأليف عبدالسلام هارون ص٤٥ . وهى الآية ٢٤ من المعارج. وفى الآية ١٩ من الذاريات: « وفى أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم » . فمن هنا وقع اللبس .
١٩٤	١	: « وليس من أحرارها [وكواسبها] ، ولا من عتاقها وجوارحها » .
	١٢	: « ثم كان مما لا يزاوج » .
	١٣	: « وحرم هذا النسب »
١٩٥	١٣	: « ولا ينازع إلى دجاجِهِ وطروقته »
١٩٦	١	: « ولو لم يُخلَق » .
	٧ـ٨	: « أو سقط على حائط الدار لم يعرف كيف الرجوع » .
	٩	: « يسيراً ، ولا يتذكر ولا يهتدى » .
	١٢	: « وذاهلة طامحة » ، موضع « طامحة وذاهلة » .
	١٤و١٥	: « لا يعرف التى سفد ، ولا يقصد إلى ولد ، ولا يحضن بيضه » .
١٩٧	٩ـ١٠	ساقط من النسخة .
١٩٨	٢	: « إذا اصطيدت أو قتلت» .

ص	س	
	٣	: « وأنشدوا قول الكميت » .
	٤	: « لدَى الحبل » .
	١١	: « عام جاحد » .
١٩٩	٤	: « وقدحى بكفّىَّ » .
	١٨	: « صغار ومن ديكٍ تنوسُ غبا غبه » كما فى ل .
٢٠٠	١	: « وقال شماخ بن أبي شداد » كما فى ٧ : ٨٥ .
	٣	: « فتجعل فى حبالك » كما فى ل .
	٥	: « سقطت كلمة « فإن » .
	١١	: « والأجناس » بدل « والخشاش » .
	١٧	: « وألسنتهم لا تنطق » .
	١٨	: « من الفتق بالأعظم [فالأعظم] » ،وهو الوجه
٢٠١	١	: « وقلتُ وهذا باب » .
	٢	: « من طرق المراء » .
	٦	: « ولكل طعام آكل » .
	٨	: « [و] قد زعم ناس أن كل إنسان ففيه » .
	١١	: « فى البدن ، وكما ينمى العرق » .
	١٢	: « من الحركة » .
	١٤و١٥	: « ولابد لكل ذى قوى من أن تظهر قوته » ، وهو الوجه .
	١٦	: « لا بد للمصدور من النفث » ، وبإسقاط الواو من أوله .
٢٠٢	٤	، « وشغف بعض النفوس بالتنجيم » .

ص	س	
	٦–٧	: « فنجد واحداً يلهج بشهوة القتال حتى يكتتب مع الجند ، وآخر يختار أن يكون خبازا أو مَرَّاقا ، وآخر يطلب الملك » .
٢٠٣	٣	: « وأن يسخو على الطعام » . يقال سخِيَ يَسخَى ، وسَخُو يسخُو ، وسَخَا يَسخُو ، لغات ثلاث .
٢٠٤	٤	: « والمكروه بالمحبوب » .
	٦	« ومتى بطل التخيُّر ذهب التمييز » .
	١٣	: « ومن جهل اليأس جهل الأمر » .
	١٥	: « وإلى الغباوة والبلادة أو حال النجوم » .
٢٠٥	١	: « الشمس أو القمر أو النار أو الثلج » .
	٤	: « ولأهل التمييز والروية » .
	٥	« والسبع من لطع الدم » .
	١٠	: « والملمس اللين » .
٢٠٦	٣	: « منافعها هنيئة » .
	١١	: « بأحق من الثانى فى الحق الذى جوزت فيه » .
	١٣	: « والأسباب المتقيدة » .
	١٥	: « بأدل عليه من الخنزير » . «وإن اختلفا من جهة » .
	١٦	: « لم يختلفا من جهة البرهان والدلالة » .
٢٠٧	١	: « أعز عليه من الحدأة ، وأن الغزال أحب إليه » .
	٣–٤	: « فجعل بعضها إنسيا وبعضها وحشيا » .
	١٠و١١	: « وإن أتى بالغيث » .

ص	س	
	١٣	: « ولا اختلاف بين أصحابنا » ، وهو الصواب .
٢٠٨	٥	: « وما نعرف »
	٧	: « وأنه صالح لصاحب السِّلّ »
	٩	: « شيء من الحلواء إلا وهو ضار بالأسنان غيره » .
	١١	: « وليسهل مخرج » .
	١٢	: « ومن الزيتون على زيته والاصطباغ به » ، أى الائتدام به ، والصِّبغ والصِّباغ : مايصطبغ به من الإدام ، وفى قوله تعالى « وصِبْغ للآكلين » .
	١٣	: « والوقود بشجرتهما و [على] ما أشبه ذلك » .
٢٢٢	٥	: « بقتلها وإطرادها »
	٧	: « وتقزز المسلمين من دنوها » ، مع سقوط التكملة التى بعدها
	١٤	: « وأخذنا فى ذكر أسمائها وأنسابها وأعراقها ، وتفدية الرجال لها »
٢٢٣	٤	: « حفظها وإتقانها » .
	٥	: « وإهانة اللئام »
	٦	: « وذكر [طول] ذَمائها » ، وهو الوجه .
	٦	: « وشدة مُنتها ومعاقد الذمار » !
	٨ — ٩	: « ذكورتها والذكورة من غير جنسها » .
	١١	: « وفهمها وخدمتها » .

ص	س	
	١٤	: « وإخبار المتطيرين عنها ، وعن أسبابها ومنتهى أعمارها وعدد أجزائها » ، و « أسبابها » تحريف ، و « أجزائها » صوابها « أجرائها » بالراء المهملة
٢٢٤	١	: « وسياستها ، والتى لاتلقن منها »
	٦	: « فمن يك عنه » .
	٧	: « تظل الكلاب العاويات »
	٨	: « من ولد محارب بن خصفة » ساقط من النسخة .
	١٢-١٣	: « وقال الخريمى ، وهو إسحاق بن قوهى فى قتلى حرب بغداد » .
٢٢٥	٥	: « ويكنى أبا محمد [فى يوسف الشاعر] » .
	٧	: « حلقىّ بلقىّ كامن »
	١١	: « فقال الحسن : أيا عجبى ممن يلغ » .
	١٢-١٣	: « فقام وكيع فجعل يتخلج فى مشيته كما يتخلج المجنون ، فقال الحسن : لله فى كل عضو منه نعمة ، اللهم » .
٢٢٦	٣	: « وكصنان عرقها »
	٦	: « وضرب بالكلب فى ذلك مثلا فقال » .
	٩	: « إنها امرأة حسناء »
	١٠	: « بذىّ لسانها »
	١٧	: « وقال [فى] مثل ذلك » .
٢٢٧	١	: « بغَبر البيد » .
	٣	: « مثل الفرخ أعظمه »

ص	س	
	٦	: « فإذا اشتد بطنه ليسمن قيل : قد ضرب بطنه » .
	٧	: « والعِقْى هو القَقَّة » مع إسقاط كلمة « الغيبة » بعدها ، وقد أورد الخبر فى اللسان (ققق) وقال : « القَقَّة : العِقْى الذى يخرج من بطن الصبىِّ حين يولد »
	٨ ــ ٩	: « إن أخى وضع يده فى قَقَّةٍ ، إنى لاأنزع يدى من جماعة وأضعها فى فرقة » ، مع إسقاط مابين ذلك من كلام
	١٤	: « ويشغر ببوله فى جوف أنفه ، ويسدِّده تلقاء خيشومه » .
٢٢٨	٢	: « وتستقلونه بهذا وأشباهه » .
	٣ ــ ٤	: « من اللحم الغض الغريض »
	١١ــ١٢	: « لهو أشد من الأسد ، ولهو أجرى من الليث الغادى » .
٢٢٩	١	: « وبأن أنفه فى أسلوب »
	٧	: « نماه لمجد أبٌ أصيد»
	٨	: « لم يبعد من طبائع كثير من الناس»
	١٠	: « وليس بين [مسلوخ] النمكسود وبين المصلوب اليابس كبير فرق » ، وكلمة « مسلوخ » صوابها « مملوح » . وفى معجم استينجاس ١٤٢٧ أن النمكسود هو المملح .
٢٣٠	٣	: « فسمّاك بالقحر » .
	٤	: « ويَمذى فى لبان »
	٧	: « ولو أنى أشاء قد ارفأنت * نعامته ويفهم ماأقول » ، وهو الوجه ، ارفأنت : سكنت

ص	س	
	٨	: « فما نعلم صنيع العنز » .
	٩	: « وقال ابن أحمر » فقط .
٢٣١	١	: « ابن هرمة » مع إسقاط « الفهرى » .
٢٣٢	٦	: « وحشيها وإنسيّها » .
	٧	: « حيضا بدِّنا » ، وهو الوجه .
	١٠	: « لأن الإبل والشاء » ، وهو الأولى مما اقترحته من تصحيح .
	١٢	: « ما قد قَبَّ ظاهُره » . وقبَّ بمعنى يبس .
	١٤	: « الاستمراء والقضم ، حتّى تتلمس الديدان » .
	١٥	: « القذر » بدل « العذرة » .
	١٦	: « قال عبد الرحمن بن الحكم » مطابقا لما أثبته من ل على الصواب . وانظر ص ٤٠٨ .
٢٣٣	١٣	: « والعُنق الحمر » ، والأعنُق والعُنُق كلاهما جمع للعَناق ، وهى الأنثى من المعز ، ومثلهما « العُنوق » .
	١٣ـ١٤	: « طبعها وشهوتها » ، مع إسقاط « قوتها » ، والمعنى شهوة الدجاج لخبث الأطعمات .
	١٧	: « سباطة » بدل «سبوطاً » .
٢٣٤	١	: « القريس النشوط والشبوط » .
	٨	: « لأذنابها [محسيا] » كما فى ل .
	١٠	: « قال أبو كلدة : أدم العميان » بإسقاط صدر الكلام وكلمة « هو » .

ص	س	
	١٣	: « ليعض البدع » .
٢٣٥	١	: « هلك فيه فتيان منذ كانت الدنيا » .
	٣	: « يلتقم العذرة ، وزهما لايستطاع أكله » ، وفيه تحريف ونقص .
	٥	: « لايطيب مالحاً ولا ممقوراً » .
	١١	: « وقد بلغ من شُهرة الرخمة بذلك ــ واسمها الأنوق ــ حتى سمّوا كل شيء يعرض من الحيوان للعذرة بأنوق » . وهو الوجه ، فإن الرخمة إنما سميت بالأنوق لأنها تختار أوكارها فى رءوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة ؛ ولم تسمَّ بالأنوق لشهوتها للعذرة .
	١٤	: « رزق الأنوقين قرنبا وجُعَل » .

وهذه نهاية المقابلة على ماوجد فى مخطوطة الأمبروزيانا من الجزء الأول من كتاب الحيوان .

صواب أخطاء الطبع

ص	س	الخطأ	الصواب
٤٥	١٠	من البنيان	من البيان
١٦٥	٦	لا يَعتقه	لا يُعتِقه
١٧٣	٢	من حمى كبته	من حمى ركبته
٢٣٤	١	ولا ذاتَ	ولا ذاتُ
٢٥٤	١٣	أكلباً	أكلبًا
٢٧٧	٣	تَرَاحَ	تَرَاحُ
٣٣٥	٢	النبيِّ	للنبيِّ
٣٦٠	٩	ولا كرماً	ولا كرمًا
٣٦١	١	مُضر	مُضرْ

استدراك وتذييل

ص	س	
٧٤	١١	فى العبارة شيء من الغموض لوجازة ألفاظها ، فلتوضيحها يقال : إن امرأ القيس ، وهو من أقدم شعراء العرب ، قد ذكر « عدسا » ، و « عدس » هو والد « زرارة » ، وزرارة كان قريب العهد من مولد الرسول ؛ إذ أنه مات يوم أُوارة الثانى ، وكان ذلك فى أيام عمرو بن هند اللخمى ، الذى ولد الرسول فى أيامه . فنخلص مما تقدم إلى أن أقدم شعر عربى لايبعد عهده عن الإسلام كثيراً . انظر مجمع الأمثال ٢ : ٣٥٨ وكامل ابن الأثير ١ : ٣٥٥ والعمدة ٢ : ١٦٨ ومعجم البلدان (أوارة) .
١٤٩	١١	(مطر الضفادع) . تصديقاً لما أورده الجاحظ منذ أكثر من ألف سنة . عثرت فى صحيفة (الأخبار) العدد ٢١٨٩ بتاريخ الأربعاء ٩ من محرم سنة ١٣٧٩ و ١٥ من يولية سنة ١٩٥٩ مانصه :

« دهش السكان فى ضواحى أنقرة عندما تساقطت عليهم الضفادع خلال نزول المطر . فسّر إخصائيو الأرصاد الجوية هذه الظاهرة بأنه يحدث فى بعض الأحيان أن تقترب السحب إلى درجة كبيرة من الأرض ويصاحبها رياح قادرة على رفع بعض الحيوانات إلى ارتفاع قد يبلغ خمسة آلاف متر » .

كتبه

عبد السلام محمد هارون

أبواب الكتاب

مكتبة الجاحظ
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون

الكتاب الأول



[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر والتحقيق العلمى فى المسابقات الأدبية التى نظمها المجمع اللغوى ١٩٤٩ — ١٩٥٠]

الجزء الثاني

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
عباس وعبد محمود الحلبي وشركاهم - خلفاء

كتاب الحيوان

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الثاني

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

باب

احتجاج صاحبِ الكلب بالأشعارِ المعروفةِ والأمثالِ السَّائرة ، والأخبار ٢
الصحيحة والأحاديثِ المأثورة ، وما أوجد العِيانُ فيها ، وما استخرَجَت التجاربُ منها من أصناف المنافع والمرافق ، وعن مواضع أخلاقها المحمودة وأفعالها المرادة .

ونبدأ بقول العرب : إنَّ دماءَ الملوك شِفاءٌ من داء الكَلَب ، ثُمَّ نذكر الأبوابَ لِمَا قدَّمنا فى صدرِ كلامنا هذا . قال بعض المُرِّيِّين(١) :

أَرَى الخُلاَّنَ بعد أبي عُمَير(٢) بِحُجْرٍ فى لقائِهمُ جَفاءُ
مِنَ البِيضِ الوُجوهِ بنى سنان لوَ انَّك تَستضىء بهم أضاءوا
لهم شمسُ النَّهارِ إذا استقلَّتْ ونُورٌ ما يغيِّبُه العَماءُ(٣)
بُناةُ مَكارمٍ وأُساةُ كَلْمٍ(٤) دِماؤهمُ مِنَ الكَلَبِ الشفاءُ

(١) هو أبو البرج القاسم بن حنبل المرى ، والشعر يقوله فى زفر بن أبى هاشم ابن مسعود بن سنان ، عامل اليمامة. (الحماسة ٢ : ٣٠٤) و (المؤتلف والمختلف ٦٢) و (معجم المرزبانى ٣٠٣) . وأبو البرج قال فيه صاحب القاموس : إنه شاعر إسلامى . والبيت الأخير مروى فى عدة أبيات منسوبة إلى أمية بن أبى الصلت فى ديوانه ص ١٧ . و « المريين » هى فى الأصل : « المزنيين » محرفة ، إذ أن « أبو البرج » من بنى سهم بن مرة .

(٢) فى ديوان الحماسة ، والمؤتلف ، والمعجم : « أبى حبيب » ، وهى كنية زفر كما فى المؤتلف.

(٣) استقلت الشمس : ارتفعت ، وهى مثل استقل الطائر إذا ذهب عالياً فى الجو .
العماء : السحاب المرتفع ، وقيل الكثيف . وقال أبو زيد : هو شبه الدخان يركب رءوس الجبال .

(٤) فى الأصل : « حلم » وإنما هو « الكلم » بمعنى الجرح ، كما فى الحماسة والمؤتلف والمعجم . والأساة : جمع آس ، والآسى : الذى يداوى الجرح ، أو هو الطبيب .

وقال الفرزدق :

مِنَ الدارميِّين الذين دِماؤهم شِفاءٌ من الدَّاء المجنّة والخبْلِ (١)

وقال عبدُ الله بنُ قيس الرُّقيّات (٢) :

عاوَدَنى النُّكسُ فاشتفَيت كما تَشفى دِماء الملُوك من كَلَبِ (٣)

وقال ابن عَيّاش (٤) الكندىُّ لبنى أسَد فى قتلهم حُجْرَ بنَ عمرو :

---

(١) فى اللسان : ويقال به جنة وجنون ومجنة . وأنشد البيت ولم ينسبه . والبيت فى عيون الأخبار : ٢ : ٧٩ منسوب إلى الفرزدق ، وهو فى الأغانى ١٤ : ٧٢ منسوب إلى المتلمس . وفى مروج الذهب ٢ : ٩٥ منسوب إلى البعيث .

(٢) كان لقيس ولدان ، عبد الله وعبيد الله ، واختلفوا فى الشاعر منهما . فقال ابن قتيبة والمبرد فى « الكامل » : هو عبد الله ، وقال المرزبانى فى « معجمه » : هو عبيد الله بالتصغير . قال : ومن الرواة من يقول : الشاعر عبد الله ، وهو خطأ . وقال ابن السيد فيما كتب على الكامل : ذكر المبرد أن اسمه عبد الله بن قيس ، وكذلك قال فيه ابن سلام والجاحظ وابن قتيبة . وقال غيرهم : هو عبيد الله . حكاه أبو عبيد عن الأصمعى وغيره ، ومنهم الكلبى ، وكذلك قال المصعب الزبيرى فى أنساب قريش . هذا ما كتبه البغدادى فى تحقيق الاسم . وأضيف إليه أن أبا الفرج رواه بالتصغير . وكتب له ترجمة مسهبة فى الأغانى ٤ : ١٥٤ — ١٦٦ وأما البغدادى فقد ترجم له وكتب تحقيقا مسهبا فيمن لقبه « الرقيات » أهو الشاعر أم أبوه ، كما ذكر سبب اللقب . وانظر الخزانة ٣ : ٢٦٦ — ٢٦٩ وانظر كذلك ابن قتيبة فى الشعراء ٥٢٣ — ٥٢٥ .

(٣) كذا جاء البيت ، ولم أجده فى ديوان ابن قيس الرقيات ، ورأيت بيتا آخر شبيها به ص ٨١ من الديوان :

فدلها الحب فاشتفيت كما تشفى دماء الملوك من كلبه

قال السكرى : « الهاء الكلب - يريد بكسر اللام — وإن لم يذكره » أى تشفى دماء الملوك المكلوب من كلبه .

(٤) كذا فى م . وفى ط و س : « ابن عباس » ولعله « حكيم بن عياش » الذى ترجم له ياقوت فى معجمه ١٠ : ٢٤٧ وذكر أنه كان بينه وبين الكميت ابن زيد الأسدى مفاخرة .

عَبِيدَ العصا جئتم بقتلِ رئيسكُمْ ... تُريقون تاموراً شفاءً من الكَلَبْ [١]

وقال الفرزدق : ٣

ولو تَشرَبُ الكَلْبى المِرَاضُ دماءَنا ... شَفَتْهَا وذو الخَبْلِ الذى هو أَدْنَفُ [٢]

وذاك أنهم يزعمون أنّ دماءَ الأشرافِ والملوكِ تَشفى من عَضّةِ الكَلْبِ الكَلَبِ ، وتَشفى من الجنون أيضاً ، كما قال الفرزدق :

ولو تشربُ الكَلْبَى المِرَاضُ دماءنا ... شفتها . . . .

ثم قال : « وذو الخَبْلِ الذى هو أَدْنَفُ [٢] » .

وقد قال ذلك عاصم بن القِرِّيَّةِ [٣] ، وهو جاهلىّ :

وداويتُهُ مما بِهِ من مَجَنَّةٍ ... دمَ ابنِ كُهالٍ والنِّطاسىُّ واقفُ [٤]

وقَلَّدْتُه دهراً تَميمةَ جَدِّه ... وليس لِشىءٍ كادَهُ اللهُ صارفُ [٥]

وكان أصحابنا يزعمون أنّ قولهم دماء الملوك شفاءٌ من الكَلَب ، على

---

(١) عبيد العصا : لقب لزم بنى أسد ، قال ابن قتيبة : « ولما ملك حجر على بنى أسد كان يأخذ منهم شيئا معلوما ، فامتنعوا منه ، فسار إليهم فأخذ سرواتهم فقتلهم بالعصى » . كذا فى خزانة البغدادى ١ : ٣٠٠ سلفية . والميدانى فى الأمثال ١ : ٤٢٦ يروى لهذا المثل سببا طويلا ويقول : « هذا المثل يضرب للذليل الذى نفعه فى ضره ، وعزه فى إهانته » . أما الثعالبى (فى الثمار ٥٠٤) فيرى أن هذا مثل يضرب للقوم إذا استذلوا . . والتامور : دم القلب أو هو كل دم .

(٢) الكلبى : جمع كليب ، وهو المصاب بداء الكلب . وأما الكلب بكسر اللام فجمعه كلبون . والأدنف : من الدنف ، وهو المرض . وفى الأصل : « أدلف » ولم أجد له وجها . وأثبت رواية الديوان ٢ : ٥٦٣ .

(٣) كذا فى س ، م — وفى المطبوعة : « الفرية » بالفاء . . ولم أقف له على خبر .

(٤) المجنة : الجنون . وفى س : « دم ابن الكهال » .

(٥) كاده الله : أراده . ومثله قول الأفوه الأودى :

فإن تجمع أوتاد وأعمدة ... وساكن بلغوا الأمر الذى كادوا

معنى أنَّ الدَّمَ الكريم هو الثأرُ المُنِيم ، وأنَّ داء الكلب[١] على معنى قول الشاعر[٢] :

كَلِبٌ مِن حِسٍّ ماقد مسَّهُ   وأفانين فُؤَّاد مُحْتَبَلْ[٣]

وعلى معنى قوله[٤] :

* كلِبٌ بِضربِ جَماجمٍ ورِقابِ[٥] *

فإذا كلِبَ من الغيظ والغضب فأدرك ثأره فذلك هو الشفاء من الكلَب ، وليس أنَّ هناك دمًا فى الحقيقة يُشرَبُ .

ولولا قول عاصم بن القِرِّيَّة[٦] : « والنِّطاسىُّ واقفُ » . لكان ذلك التأويلُ جائزاً . وقول عوف بن الأحوص[٧] :

---

(١) فى ط : « الكلاب »، وصوابه فى س ، م .

(٢) هو النابغة الجعدى ، كما فى اللسان (حمل) والمعانى الكبير ١١٣٣ .

(٣) أفانين فؤاد : أى ضروب نشاطه . ورواية اللسان : « محتمل » قال ابن منظور : « احتمل الرجل — بالبناء للمجهول — : غضب » .

(٤) فى الأصل : « قولهم » . والآتى عجز بيت لحصين بن القعقاع يرثى عتيبة بن الحارث ابن شهاب . كما مر فى الجزء الأول ص ٣١٦ ، وصدر البيت :

* يوم الحايس بذى الفقار كأنه *

(٥) فى ط : «كلب يضرب »، وصوابه فى س .

(٦) كذا فى س ، م — وفى المطبوعة : « الفرية » بالفاء .

(٧) هو عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وقد سماه لبيد بن ربيعة « صاحب ملحوب » فى قوله :

وصاحب ملحوب فجعنا بموته   وعند الرداع بيت آخر كوثر

انظر السيرة ٢٦١ جوتنجن ، ومعجم البلدان برسم (ملحوب) . ولعوف هذا خبر فى يوم شعب جبلة ، الأغانى ١٠ : ٣٣ . ويوم شعب جبلة كان قبل الإسلام بأربعين سنة ؛ وهو عام ولد النبى صلى الله عليه وسلم (العقده : ١٤١ لجنة التأليف) . وصواب إنشاد البيت الآتى « أو العنقاء » لأن قبله كما فى المفضليات ١٧٥ :

فهل لك فى بنى حجر بن عمرو   فتعلمه وأجهله ولاء

ولا العنقاء ثعلبة بن عمرو   دِماءُ القَومِ للكَلْبَى شِفاءُ

وفى الكلَب يقول الأعشى :

أُرانِى وعَمْرًا بينَنَا دُقَّ مَنْشِمٍ[(١)]   فلم يبق إلاَّ أنْ يُجَنَّ وأَكلَبا[(٢)]

ألا ترى أنّه فرّق بينهما ، ولو كان كما قال لبيد بن ربيعة :

يَسْعَى خُزَيمةُ فى قومٍ ليهلِكهمْ   على الحَمالة هل بالمرءِ مِن كلَبِ[(٣)]

لكان ذلك على تأويل ماذهبوا إليه جائزاً . وقال الآخر :

وأَمْرَ أميرى قد أَطَعتمْ فإِنَّما   كَواه بَنارٍ بينَ عَينيه مُكلبُ[(٤)]

وهذا عندى لايدخل فى الباب الأوّل ، وقد جعلوه منه . ٤

(من طباع الكلب العجيبة)

قال صاحبُ الكلب : وزعمتم أنّه يبلغُ من فضل قوّة طباع الدِّيك فى الإلقاح ، أنّه متى سَفِد دجاجةً وقد احتشت بَيضاً صِغاراً من نِتاج الرِّيح

(١) ط : « رق منسم » ، وصوابه فى س ، م والديوان ٩٠ . مثل قول زهير :

تداركتما عبسا وذبيان بعد ما   تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

الثعالبى فى الثمار ٢٤٦ « الأقاويل فيه كثيرة . قال ابن قتيبة : أحسن ماسمعت فيه أن منشم امرأة كانت تبيع العطر والحنوط فقيل للقوم إذا تحاربوا وتفانوا : دقوا بينهم عطر منشم » . انظر الميدانى فى الأمثال ١ : ٨٣ ، ٣٤٨ وشرح القصائد السبع الطوال ٢٦١ .

(٢) كذا فى م ، س وفى ط : « وأكلب » وهو تحريف . والبيت من قصيدة فى ديوان الأعشى ٨٨ — ٩١ مطلعها :

كفى بالذى تولينه لو تجنبا   شفاء لسقم بعد ما كان أشيبا

(٣) الحمالة : الدية يحملها قوم عن قوم . وفى ط : « الجهالة » وصوابه فى س ، م .

(٤) إنما يكوى بين عينى الكلب إذا أصابه الكلب ، وهو داء يأخذ الجراء خاصة يصيبها منه قىء وإسهال ، فإذا كوى ذهب عنه ذلك . انظر اللسان (كلب) وهذا الجزء من الحيوان ص ٤٩ .

والتراب ، قلبها كلَّها حيواناً ولو لم يكنْ سفِدها إلاَّ مرَّةً واحدة ، وجعلتموه فى ذلك بغاية الفِحْلة ، فطباعُ الكلب أعجبُ إلقاحاً وأثقَبُ ، وأقوى وأبعد ؛ لأنَّ الكلبَ إذا عضَّ إنساناً ، فأوَّل ذلك أنْ يُحيله نَبَّاحا مثلَه ، وينقله إلى طباعه ، فصار ينبح ، ثم يُحبِله ويُلقحه بأجراءٍ صغار يَبولُها عَلَقاً فى صُوَر الكلاب ، على بُعد مابين العُنصرينِ والطَّبعين والجنسين . والذى يتولَّد فى أرحام الدجاج ، أقرب مشاكلة إلى طباع الدِّيك . فالكلب هو(١) العجبُ العجيب ، لأنَّه أحبَلَ ذكراً من خِلاف جنسه ، ولأنَّه مع الإحبال والإلقاح ، أحالَه نبَّاحا مثلَه . فتلك الأَدراص(٢) وتلك الكلاب الصغار ، أولادٌ ونتاج ، وإن كان لايبقى .

وقد تعلمون أنَّ أولادَ البغْلات من البغال لاتبقى ، وأن اللِّقاح قد يقع ، وإنَّما مُنع البغل من البغلة بهذه العلَّة .

(أسرة تتوارث دواء الكلب)

قال أبو اليقظان(٣) وغيره : كان الأَسود بن أوس بن الحُمَّرة ، أتى النّجاشيَّ ومعه امرأته ، وهى بنت الحارث أحد بنى عاصم بن عبيد بن

---

(١) فى الأصل : « والكلب وهو » وذلك تحريف .

(٢) الأدراص : جمع درص بفتح الدال وكسرها ، وهو ولد القنفذ والأرنب واليربوع والفأرة والهرة ونحوها .

(٣) هو عامر بن حفص ، ولقبه سحيم ، وبلقبه هذا يذكره الجاحظ فى البيان فى مواضع كثيرة . والمدائنى فى كتبه يذكره بثمانية ألقاب وأسماء . انظر الفهرست ٩٤ ليبسك و ١٣٨ مصر . قال ابن النديم : كان عالما بالأخبار والأنساب والمآثر والمثالب ، ثقة فيما يرويه ، وتوفى سنة ١٩٠ .

ثعلبة ، فقال النَّجاشيُّ : لأُعطينَّك شيئاً يَشفى من داء الكلب(١) . فأقبَلَ حتَّى إذا كان ببعض الطريق أتاه الموت ، فأوصى امرأته أن تتزوَّج ابنَه قُدَامة ابنَ الأسود ، وأن تعلِّمه دواءَ الكلَب ؛ ولا يخرُجَ ذلك منهم إلى أحد ، فتزوَّجته نِكاحَ مَقْت(٢) ، وعلَّمته دواءَ الكلَبِ ، فهو إلى اليوم فيهم .

فولَدَ الأَسود قُدَامةَ ، وولد قُدامةُ المُحِلَّ — وأمُّه بنت الحارث — فكان المحِلُّ يُداوِى من الكلَب. فولد المحلّ عُقبةَ وعَمراً ؛ فداوى ابنُ المحلّ(٣) عُتَيبة(٤) بن مِردَاس ؛ وهو ابن فَسوة الشاعر(٥) فبال مثلَ أجراء الكلب عَلَقا ، ومِثلَ صوَر النَّمْل والأَدرَاص(٦). فقال ابن فسوْة حين برِئ :

ولولا دواءُ ابنِ المُحِلِّ وعلمُه   هَرَرتُ إذا ماالنَّاس هَرَّ كلابُها

---

(١) مثل هذا الكلام عند ابن قتيبة فى العيون ٢ : ٨٠ والشعراء ٣٣٢ .

(٢) نكاح المقت : أن يتزوج الرجل امرأة أبيه بعده ، وقد نص القرآن الكريم على تحريمه فى قوله تعالى : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف » ، وقد سرد ابن قتيبة فى المعارف ص ٥٠ أسماء طائفة من الرجال الذين خلفوا على زوجات آبائهم ، منهم كنانة بن خزيمة ، وهاشم بن عبد مناف ، وعمرو بن نفيل .

(٣) فى عيون الأخبار أنه (المحل) ، وفى الشعراء وفق ما هنا .

(٤) فى الأصل : « عيينة » ، وتصحيحه من العيون والشعراء .

(٥) قال أبو الفرج : هو أحد بنى عمرو بن كعب بن عمرو بن تميم ، وهو شاعر مقل غير معدود فى الفحول ، مخضرم ممن أدرك الجاهلية والإسلام ، هجاء خبيث اللسان بذىء . . وكان لا يزال يأتى أمراء البصرة فيمدحهم فيعطونه ويخافون لسانه . وقد روى أبو الفرج حديثاً طويلا له مع ابن عباس وهو عامل على البصرة لعلى ابن أبى طالب . وكان حليفا لجميل بن معمر ، وفيه يقول :

فلو كنت من زهران لم ينس حاجتى   ولكننى مولى جميل بن معمر

وترجمته مسهبة فى الأغانى (١٩ : ١٤٢ — ١٤٦) .

(٦) فى الأصل : « الأضراس » ، وإنما هى « الأدراص » كما سبق فى ص ١٠ .

وأخْرَج عبدُ الله أولادَ زارعٍ[١]   مُوَلَّعَةً أكتافها وجنوبُها[٢]

وأولاد زارع : الكلاب .

وأمّا قوله :

ولولا دواء ابن المُحِلِّ وعلمه هررتُ . . . .

فإنّما ذهبَ إلى أنَّ الذى يَعَضُّهُ الكلْبُ الكلِبُ ، ينبَح نُباح الكلاب ويَهِرُّ هريرها .

(أعراض الكلب)

وقال محمَّد بن حفص ، وهو أبو عبيد الله بن محمد ؛ ابن عائشة[٣] : عضَّ رجلاً [من بَلْعَنْبرٍ][٤] كلبٌ كلب فأصابه داءُ الكلب ، فبال عَلَقا فى صورةِ الكلاب ؛ فقالت بنت المستَنْثر[٥] :

---

(١) فى الأصل : « وأجزع » وليس له وجه ، وصوابه فى العيون والشعراء . وفيهما كذلك : « بعد الله » موضع : « عبد الله » .

(٢) المولعة : التى بها سواد وبياض مستطيلان .

(٣) فى الأصل : « وهو أبو محمد بن محمد بن عائشة » وهو تحريف وخطأ ، صوابه فى البيان (١ : ١٠٢ ، ٢٣٩) وفى المعارف لابن قتيبة ٢٢٨ . وابن عائشة : كنية متنازعة بين الوالد وابنه ، يقال لكل منهما « ابن عائشة » . وللوالد خبر طريف فى البيان . أما ابنه فقد عده ابن قتيبة فى المحدثين أى رجال الحديث ، وقال : « توفى بالبصرة سنة ثمان وعشرين ومائتين » . ويقول فيه الجاحظ (١ : ١٠٢) « وكان كثير العلم والسماع . متصرفا فى الخبر والأثر . وكان من أجود قريش ، وكان لا يكاد يسكت ، وهو فى ذلك كثير الفوائد » . يريد أنه من الفصحاء الأبيناء الذين فى كثرة كلامهم فائدة وخير .

(٤) الزيادة من س ، م وعيون الأخبار (٢ : ٨٠) .

(٥) فى العيون : « فقالت امرأته » .

أبا لكَ أدراصاً وأولادَ زارعٍ وتلكَ لعمْرى نُهيَةَ المتَعَجِّبِ (١)

وحدَّثنى أبو الصَّهباء عن رجالٍ من بنى سعد ، منهم عبد الرحمن ابن شَبيب ، قالوا :

عضّ سنجيرَ الـكلبُ الـكَلِب ، فكان يعطَشُ ويطلُبُ الماءَ بأشدِّ الطلب ، فإذا أتوه به صاح عند معاينته : لا ، لا أريد !

وهكذا يصيب صاحبَ تلك العضّة . وذلك أنّه يعطش عنها أشدَّ العطش ويطلب الماءَ أشدَّ الطلب ، فإذا أتوه به هرَب منه أشدَّ الهرب ، فقال دَلَم (٢) وهو عبدٌ لبنى سعد :

لقد جئت ياسنجير أجلو ملقة إباؤك للشىء الذى أنت طالب (٣)

وهى أبياتٌ لم أحفظ منها إلاّ هذا البيت .

(نشرة طِبِّيَّة لزياد)

وذكر مَسْلَمَة بن محارب ، وعلىُّ بن محمّد عن رجاله ، أنَّ زياداً كَتب دواءَ الكلب ، وعلَّقه على باب المسجد الأعظم (٤) ، ليعرفه جميع الناس .

---

(١) ط : « نهبة المتنجب » ، وفى م : « نهية المتنجب » ، وصوابه من س وعيون الأخبار . والنهية بالضم : غاية الشىء وآخره كالنهاية .

(٢) اشتقاق هذا العلم من « الدلم » بالتحريك ، وهو شىء شبه الحية يكون فى الحجاز ومنه المثل ، وهو « أشد من الدلم » .

(٣) فى م : « احلو فلقة » وفى س : « احلوملقة » ، وفى البيت تحريف .

(٤) هو مسجد البصرة . وكان فى أول أمره مبنيا بالقصب ، ولما ولى البصرة أبو موسى الأشعرى بناه باللبن . ولما استعمل معاوية زيادا على البصرة بنى زياد المسجد بالجص وسقفه بالساج ، وجعل له سوارى اجتلبها من الأهواز . وكانت أرض المسجد تربة فكانوا إذا فرغوا من الصلاة نفضوا أيديهم من التراب ، فلما رأى زياد ذلك قال لا آمن أن يظن الناس على طول الأيام أن نفض اليد فى الصلاة سنة . فأمر بجمع الحصى وإلقائه فى المسجد .

(ردٌّ على مازعموا من أعراض الكلب)

وأنا، حفظك الله تعالى ، رأيتُ كلباً مرّةً فى الحَىِّ ونحنُ فى الكتّاب ، فعرَض له صبىٌّ يسمَّى مهديًّا من أولاد القصَّابين ، وهو قائم يمحو لوحَهُ فعضّ وجهه فنقع ثَنِيَّته دونَ موضع الجفن من عينه اليسرى ، فخرق اللحمَ الذى دون العظم إلى شطر خدّه ، فرمى به ملقيًّا على وجهه وجانبِ شِدقه ؟ وترك مُقلتَه صحيحة ؛ وخرَجَ منه مِن الدَّم ما ظننتُ أنَّه لايعيش معه ، وبقى الغلامُ مبهوتاً قائماً[1] لاينبِس ، وأسكته الفزَع وبقِى طائرَ القلْب ، ثمَّ خِيط ذلك الموضعُ ؛ ورأيته بعد ذلك بشهر وقد عاد إلى الكُتّاب ، وليس فى وجهه من الشَّتْر[2] إلاّ موضعُ الخيط الذى خِيط ؛ فلم ينبَحْ إلى أنْ برئَ ، ولا هرَّ ، ولا دعا بماءٍ ، حتَّى إذا رآه صاح : رُدُّوه ! ولا بال جرواً ولا عَلقا ، ولا أصابه ممَّا يقولون قليل ولا كثير . ولم أجدْ أحداً من تلك المشايخ ؛ يشكّ أنَّهم لم يَروا كلباً قطُّ أكْلَبَ ولا أفْسَدَ طبعاً منه . ٦
فهذا الذى عاينت .

وأما الذى يلغنى عن هؤلاء الثقات فهو الذى قد كتبتُه لك .

---

(١) كذا . ولعلها « غائبا » .
(٢) الشتر : القطع .

(مما قيل فى الـكلب الـكَلِب)

وفى الـكلب الـكلب أنشد الأعرابى :

حيَّاكُمُ اللهُ فإنِّى منقلبْ وإنَّما الشاعرُ مجنون كلبْ
* أكثرُ ما يأتى على فِيه الـكَذِبْ *

إمّا أن يكون الشعر لهِمْيان(١) وإما أن يكون للزَّفيان(٢) . وأنشدنى :

فإن كنتُم كَلْبَى فعندى شِفاؤكم وفى الجنِّ إن كانَ اعتراك جُنُونُ(٣)

وأنشدنى :

وما أدرى إذا لاقَيتُ عَمْرًا أكَلْبَى آلُ عمرٍو أمْ صِحاحُ

قال : فأمّا الُمـكْلب الذى يصيب كلابَه داءٌ فى رُءُوسها يسمَّى الُجحَام(٤) فتُـكْوى بينَ أعينها .

(مسألة كلامية)

وسنذكر مسألة كلاميَّة ، وإنَّما نذكرها لـكثرةِ من يعترض فى هذا ممَّن ليس له علم بالـكلام .

ولو كان أعلمُ الناس باللغة ، لم ينفعْك فى باب الدين حتَّى يكون عالماً بالـكلام .

وقد اعترض معترضون فى قوله عزّ وجلَّ : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى

---

(١) هو هميان بن قحافة ، راجز محسن إسلامى ، وكان فى الدولة الأموية . المؤتلف والمختلف للآمدى ١٩٧ .

(٢) ط : «للرقيات» وهو تصحيف ، صوابه فى س . والزفيان شاعر إسلامى ، واسمه عطاء ابن أسيد، وله ترجمة فى المؤتلف والمختلف ١٣٣ وفى معجم المرزبانى ٢٩٨ .

(٣) البيت لجرير فى ديوانه ٥٨٩ والخزانة ٢ : ٣٩٥ بولاق.

(٤) الجحام كغراب : داء يصيب الإنسان فى عينه فترم ، وقيل داء يصيب الـكلب ، وقيل يصيب الـكلب فى رأسه . وفى الأصل : « الحجام » بتقديم الحاء . وهو تصحيف .

آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ فزعموا أنَّ هذا المثَلَ لايجوزُ أن يُضرَب لهذا المذكور فى صدر هذا الكلام ، لأنه قال : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ . فما يُشبَّه حالُ من أُعطِىَ شيئاً فلم يقبله — ولم يذكر غير ذلك(١) — بالكلب الذى إن حملتَ عليه نَبَح وولّى ذاهباً ، وإن تركته شدَّ عليك ونبح . مع أنَّ قوله : يلهث ، لم يقع فى موضعه ، وإنما يلهث الكلب من عَطشٍ شديد وحرٍّ شديد ، ومن تعب ؛ وأما النُّباح والصِّياح فمن شىء آخر .

قلنا له : إن قال ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ فقد يستقيم أن يكون الرادّ(٢) لايسمَّى مكذِّبا ، ولا يقال لهم كذَّبوا إلاّ وقد كان ذلك منهم مِراراً ، فإن لم يكن ذلك فليس ببعيد أن يشبَّه الذى
٧ أوتِىَ الآياتِ والأعاجيبَ والبرهاناتِ والكرامات ، فى بدء حرصه عليها وطلبه لها ، بالكلب فى حرصه وطلبه ؛ فإنَّ الكلبَ يُعطى الجِدَّ والجُهْد من نفسه فى كلِّ حالةٍ من الحالات . وشبَّه رفضه وقذفه لها من يديه ، وردَّه لها ، بعد الحرص عليها وفرط الرغبة فيها ، بالكلب إذا رجع ينبح بعد

(١) م : « ولم نذكر غير ذلك » وليس بشىء ، والمعنى أنه لم يذكر من حال المشبه فى الآية غير صورة عرض الآيات عليهم وعدم قبولهم إياها .

(٢) فى ط : « المراد » ، وصوابه فى س ، م .

إطْرادك له . وواجبٌ أن يكون رفض قبول الأشياء الخطيرة النفيسة فى وزن طلبها والحرص عليها .

والكلبُ إذا أتعب نفسه فى شدّة النُّباح مقبلاً إليك ومدبراً عنك ، لهث واعتراه ما يعتريه عند التَّعب والعطش .

وعلى أنَّنا ما نرى بأبصارنا إلى كلابنا وهى رابضةٌ وادعةٌ ؛ إلّا وهى تلهث ؛ من غير أن تكون هناك إلّا حرارةُ أجوافها ، والذى طُبعت عليه من شأنها ، إلّا أنّ لَهْثَ الكلبِ يختلف بالشدَّة واللِّين !

(كرم الكلاب)

وقال صاحب الكلب : ليس الدِّيكُ من الكلب فى شىء ، فمن الكلاب ذواتُ الأسماءِ المعروفةِ والألقابِ المشهورةِ . ولكرامها وجوارحِها وكواسبها ، وأحرارِها وعِتاقِها ، أنسابٌ قائمةٌ ، ودواوينُ مخلّدة ، وأعراقٌ محفوظة ، ومواليد مُحْصاة ، مثل كلب جذعان[1] ، وهو السَّلْهبُ بْن البراق ابن يحيى بن وثّاب بن مظفَّر بن مُحارِش .

(شعر فيه ذكرٌ لبعض أسماء الكلاب)

وقد ذكر العرب أسماءها وأنسابها .

قال مزرِّد بن ضرار :

---

(١) لعله : « جِذعان » .

فعَدِّ قَريضَ الشِّعر إن كنت مُغْزِراً　　فإن غزير الشعر ما شاء قائل(١)

لنعت صُبَاحِيٍّ طويلٍ شقاؤه　　له رَقْمِيَّاتٌ وصَفْراءُ ذابل(٢)

بَقِينَ لَه مما يبرِّى وأكلبٍ　　تَقَلْقَلُ فى أعناقهنَّ السَّلاسلُ(٣)

سُخَامٌ، ومِقلاء القَنِيصِ، وسلْهبٌ　　وجدْلاَءُ، والسِّرْحان، والمتناولُ(٤)

بنات سلُوقِيَّيْنِ كانا حياتَه　　فماتاَ فأودى شخصُه فهو خاملُ(٥)

وأيقن إذْ ماتا بجُوعٍ وخَلَّةٍ　　وقال لَهُ الشَّيطانُ: إنَّك عائلُ(٦)

فطوَّفَ فى أصحابه يستثيبهمْ　　فآب وقد أَكْدَتْ عليه المسائلُ(٧)

إلى صبيةٍ مثل المغَالى وخِرملٍ　　رَوَادٍ، ومن شرِّ النساءِ الخرامِلُ(٨)

فقال لها: هَلْ من طعامٍ فإنَّنى　　أَذمُّ إليكِ الناسَ، أُمُّكِ هابلُ(٩)

---

(١) أغزر الشيء: جعله غزيرا. وفى ط: «معذرا».

(٢) الصباحى: رجل من بنى صباح كان ضيفاً له. وفى ط، م: «ضباحى». والرقيات: سهام منسوبة إلى «الرقم» بالتحريك: موضع بالمدينة. «وصفراء ذابل»: قوس قطع عودها وطرحت فى الشمس حتى ذهب ماؤها.

(٣) تقلقل: تتقلقل. وأراد بالسلاسل القلائد. «بقين» هى فى الأصل: «يقين»، وتصحيحها من المفضليات بشرح ابن الأنبارى ١٨٠.

(٤) ط: «ومقلا والقنيص» وتصحيحه من القاموس و س، م — وفى ط: «ونجذلان» وصوابه من س والقاموس.

(٥) فى الأصل: «فات فأودى». الخ، والوجه ماأثبت من المفضليات بشرح ابن الأنبارى. قال: كانا حياته: أى كانا يصيدان له فى حياته. وأرى أنه عنى أنهما سبب حياته ومصدر رزقه.

(٦) الخلة: الفقر والحاجة. والعائل: الفقير.

(٧) يستثيبهم: يطلب ثوابهم ومعروفهم. وأكدى: طلب فلم يجد.

(٨) قال ابن الأنبارى: المغالى: سهام يغلى بها فى الهواء لانصال لها. يريد أن صبيانه فى ضعفهم وسوء حالهم ونحولهم مثل هذه السهام. أما الخرمل فهى العجوز المتهدمة. والرواد: الحمقاء الهوجاء، من قولهم: ريح رواد: هوجاء تجىء وتذهب.

(٩) هبلته أمه: ثكلته وفقدته.

فقالتْ : نَعمْ ، هذا الطَّوِىُّ وماؤه ‏ ‏ ‏ ‏ ومُحتَرقٌ من حائل الجلد قاحِلُ[١] ٨
فلما تناهَتْ نفسُه مِن طعامِه ‏ ‏ ‏ ‏ وأمسى طَلِيحاً ما يُعانيه باطِلُ[٢]
تَغشَّى ، يريدُ النَّوْم ، فضْلَ ردائِهِ ‏ ‏ ‏ ‏ فأعيا على العينِ الرُّقاد البلابلُ[٣]

ففكِّرْ فى هذا الشعر ، وقِفْ[٤] على فصوله ، حتّى تعرِف غَناء الكلاب عندهم[٥] ، وكسبَها عليهم ، وموقعها منهم .

وقال لبيدٌ فى ذِكرها وذِكر أسماءها :

لتذودهنَّ وأيقَنَتْ إن لم تَذُدْ ‏ ‏ ‏ ‏ أنْ قد أَحمَّ مِنَ الحتوفِ حِمامُها[٦]
فتقصَّدتْ منها كَسابِ وضُرِّجتْ ‏ ‏ ‏ ‏ بدمٍ وغُودِرَ فى المَكَرِّ سخامُها[٧]

---

(١) الطوى : البئر . ومحترق : بال عتيق ، يعنى السقاء . والحائل : المتغير ، أو الذى أتى عليه الحول . وفى ط : « خائل » وليس بشىء .

(٢) تناهت نفسه من طعامه : قطع أمله منه ، إذ لم يجد إلا الماء . والطليح : المهزول المجهد . مايعانيه باطل : يقول كأن سعيه عبث عابث .

(٣) تغشى رداءه : تغطى به .

(٤) فى الأصل : « ووقف » .

(٥) ط : « عنهم » وهو تحريف صوابه فى س ، م .

(٦) لتذودهن : لتدفعهن . وفى ط : « لتزودهن » وصوابه فى س، م ، وشرح القصائد العشر للتبريزى ص ١٥٢ ، قال التبريزى : حان حمامها وحتفها من بين الحتوف .

(٧) تقصدته : قصدته أو قتلته . من قولهم : رماه فأقصده أى قتله مكانه . وكساب : اسم كلبة ، وهذا الاسم يصح فيه البناء على الكسر ، والإعراب مع منع الصرف ، وهو مذهب سيبويه كما نقل التبريزى . وأما سخام فاسم كلب ، والهاء فى سخامها راجعة إلى الكلاب فى بيت قبل السابق ، وهو :

حتى إذا يئس الرماة وأرسلوا ‏ ‏ ‏ ‏ غضفا دواجن قافلا أعصمها

وسخامها هى فى ط ، م : « سجامها » وفى س : « سحامها » وصوابهما فى القاموس وشرح القصائد .

(عادة الشعراء حين يذكرون الكلاب والبقر فى الشعر)

ومن عادة الشعراء إذا كان الشعرُ مَرثِيَةً أو موعظةً ، أن تكون الكلابُ التى تقتلُ بقرَ الوحش . وإذا كان الشعرُ مديحاً ، وقال كأنّ[1] ناقتى بقرة من صفتها كذا ، أن تكون الكلابُ هى المقتولة ، ليس على أنّ ذلك حكايةٌ عن قصّةٍ بعينها ، ولكنّ الثِّيرانَ ربّما جرحت الكلاب وربّما قتلتْها ، وأمّا فى أكثر ذلك فإنّها تكون هى المصابةَ ، والكلاب هى السالمةَ والظافرة ، وصاحبها الغانم .

(شعر آخر فيه ذكر لبعض أسماء الكلاب)

وقال لبيدٌ فى هذا القول الثانى غير القول الأوّل ، وذلك على معنى ما فسَّرتُ لك ، فقال فى ذلك وذكر أسماءها :

فأصبحَ وانشقَّ الضَّبابُ وَهَاجه أخُو قَفرةٍ يُشْلِى رِكاحاً وسائلا[2]

---

(١) فى ط : « كانت » ، وصوابه فى س ، م .

(٢) ينعت لبيد فى هذا الشعر ثوراً . انشق الضباب : تبدد . وأخو القفرة : عنى به الصائد ، وأشلى الكلب : دعاه ، قالوا : ومما يغلط فيه الناس تأويل أشلى بمعنى أغرى ، نص على ذلك ابن قتيبة فى أدب الكاتب ص ٣٦ ، واستشهد بقول الراجز :

* أشليت عنزى ومسحت قعبى *

يريد أنه دعا عنزه ليحلبها . فأما إغراء الكلب بالصيد فهو الإيساد ، تقول : آسدته وأوسدته : إذا أغريته ، لكن فى اللسان بحثاً طويلا فى تصحيح هذه الكلمة ، يجيز أن يكون أشلى بمعنى أغرى الكلب بالصيد ، مع تخريج واستشهاد ، فانظر . وهى فى الأصل : « يسلى » وتصحيحه من الديوان ص ٢٠ . و « ركاح » بوزن كتاب ، وهى فى الأصل : « وكاحا » وصوابه فى الديوان والقاموس .

عوابس كالنُّشَّاب تَدْمَى نحورُها(١) يرَيْنَ دِمَاءَ الهاديات نوافلا(٢)

ومن أسمائها قولهم : « على أهلها جنَتْ بَرَاقش » .

ومن أسمائها قول الآخر(٣) : ضَبَّار :

سفَرتْ فقلت لها هَجٍ فتبرقَعَتْ فذكَرْتُ حينَ تبرقَعتْ ضَبَّارا(٤)

وقال الكُميت الأسدىّ :

فباتَ وباتتْ عليه السَّما ءُ من كلِّ حَابيَةٍ تَهْطُلُ(٥)

مُكِبًّا كما اجتنح الهالكىّ على النَّصْل إذ طُبع المُنْصُلُ(٦)

ثم ذكر أسماء الكلاب فقال :

وفى ضِبْن حِقفٍ يرى حِقْفَه(٧) خَطَافٍ وسَرْحَةُ والأحْدلُ(٨)

---

(١) شبهها بالنشاب ، وهى السهام ، لصدق إصابتها وسرعتها . وفى الأصل : « عرائس كالنشاب ترى نحورها » ، وهو تحريف ظاهر ، صوابه فى الديوان .

(٢) الهاديات : أوائل الوحش . والنوافل : الغنائم . و « يرين » هى فى ط ، س « يرى » وصوابها فى الديوان ، م .

(٣) هو الحارث بن الخزرج الخفاجى ، كما فى تاج العروس . وانظر الجزء الأول ص ٢٥٩ .

(٤) هج : زجر للكلب ، يقال : هج هج بتسكين الجيم ، وبكسرها مع التنوين ، وهجاهجا بترك التنوين . وبعد هذا البيت :

وتزينت لتروعنى بجمالها فكأنما كسى الحمار خمارا

فخرجت أعثر فى قوادم جبتى لولا الحياء أطرتها إحضارا

(٥) الحبو : امتلاء السحاب بالماء . حبا يحبو : امتلأ . ويقال حبا يحبو : إذا دنا وقرب . وفى ط ، س : « جانبة » ، وفى م : « جانية » والصواب ماأثبت .

(٦) الهالكى : الحداد ، قال ابن قتيبة فى أدب الكاتب ص ٥٤ : « لأن أول من عمل الحديد الهالك بن عمرو بن أسد بن خزيمة ، ولذلك قيل لبنى أسد القيون » .

(٧) الضبن ، بالكسر : الناحية . وفى الأصل : « ضبن حقف تراجعنه » ، صوابه فى ٧ : ٢٠١ .

(٨) فى الأصل : « والأجدل » وتصحيحه من القاموس .

٩ وأربعــةٌ كقِداح السَّرا ءِ لا عانياتٌ ولا عُبَّلُ(١)

وقال الآخر :

بتْنا وباتَ جليدُ اللَّيلِ يَضرِبُنا بينَ البُيوتِ قِرَانا نَبْح دِرواسِ(٢)
إذا مَــلاَ بطنَه ألبانُها حَلَباً باتَتْ تغنِّيهِ وضْرَى ذاتُ إجراسِ(٣)

ودِرواس : اسم كلب . والوضرى : استه . وغناؤها : الضُّراط .

وقال ضابئُ بنُ الحارث فى ذلك :

فترمّلَتْ بدمٍ قَدَامِ وَقدْ أوفَى اللَّحاقُ وحانَ مصرَعه(٤)

وقال الآخر(٥) :

ولو هيَّا له اللهُ مِن التوفيقِ أسبابا
لسمَّى نفسَــه عَمراً وسمَّى الكلبَ وثَّابا

ومثل هذا كثير .

---

(١) القدح بالكسر : السهم قبل أن يراش وينصل . والسراء : ضرب من الشجر تتخذ منه القسى والسهام . قال زهير :

ثلاث كأقواس السراء ومسحل قد اخضر من لس الغمير جحافله

و « السراء » هى فى الأصل « السواء » بالواو ، محرفة .

(٢) فى اللسان (ندل) : « عند الندول » ، وهى المرأة الوسخة .

(٣) الإجراس : التصويت . . وفى ط ، م : « ملا بطنها » وتصحيحه من س .

(٤) ترملت : تلطخت . و « قدام » : اسم كلبة ، وهى فى الأصل « فراح » محرفة وتصحيحها من اللسان (قدم) . والكلام هنا فى تعداد أسماء الكلاب .

(٥) هو أبو محجن كما فى محاضرات الراغب (٢ : ٢٩٥) قاله فى رجل يسمى وثابا ويسمى كلبه عمراً . والشعر سيعيده الجاحظ فى ص ١٩٤ من هذا الجزء . وقد ذكر الراغب الشعر أيضــاً فى ٢ : ١٥٣ منسوبا إلى ابن أبى عتيق ، فهما روايتان فى النسبة .

(أحرص الكلاب)

والكلبُ أشدُّ ما يكونُ حِرصاً إذا كان خطْمُه يمسُّ عجْبَ ذَنب الظَّبي والأرنب والثَّور وغير ذلك ، ممـا هو من صيده . ولذلك قال الشاعر (١) :

رُبَّمـا أغْدُو مَعى كلبى طالباً للصَّيدِ فى صحبى (٢)
فسمَونا للقَنيص معاً فدفَعناه إلى أظْبِ (٣)
فاستـدرَّتْه فدرَّ لهـا يَلْطُمُ الرُّفْغينِ بالتُّربِ (٤)
فادَّرَاها وهى لاهيـةٌ فى جميم الحاجِ والغَرْبِ (٥)
ففرَى جُمَّاعهنَّ كما قُدَّ مخلولان من عَصْبِ (٦)

---

(١) هو أبو نواس . والقصيدة فى ديوانه (ص ٢١٢) .

(٢) فى الأصل : « صحب » ، والأشبه ماأثبت من الديوان .

(٣) السامى : هو الصائد ، أو الصائد الذى يلبس جوربى شعر ، ويعدو خلف الصيد نصف النهار ، ليقيه الجوربان حر الرمضاء ، فذلك معنى « سمونا » . وفى ط : « شمرنا » وفى س ، م : « سمرنا » والوجه ماأثبت من الديوان ، والرواية فيه « فسمونا للحزيز به » . والحزيز : ماغلظ من الأرض . . والأظبى : جمع ظبى .

(٤) « فاستدرته فدر لها » أى استدرت جريه هو بشدة عدوها فهو يتبعها شدا ليلحق بها ، وهو يضرب رفغيه ، أى إبطيه ، بالأرض ، يريد كأنه يسبح فى الأرض من شدة عدوه .

(٥) ادراها : ختلها ومكر بها . والجميم : الكثير المتكاثف . والحاج : شجر . انظر اللسان (حيج) وتأويل مختلف الحديث ١٧٣ . والغرب : شجرة حجازية ضخمة شاكة ، قيل : ومنه « لايزال أهل الغرب ظاهرين على الحق » وقد جاء البيت مصحفاً كما يأتى — وأثبت صوابه من الديوان — :

فادرا وهى لاهيـة فى حمير الحاج والقرب

(٦) فرى جماعهن : شق جمعهن وفرقه وجعلهن كثوبين يمنيين مشقوقين قطعهما قاطع .

ثم قال [١] :

غير يَعفورٍ أُهِلَّ به ... جاف دَفَّيهِ عن القَلْبِ [٢]
ضمّ لَحْيَيهِ بمَخْطِمِهِ ... ضَمَّكَ الكَسرَيْنِ بالشعْبِ [٣]
وانتحى للباقياتِ كما ... كَسرَتْ شَغْوَاءُ من لِهْبِ [٤]
فتعايا التَّيسُ حين كبا ... ودنا فُوهُ من العَجْبِ [٥]
ظلَّ بالوعساء ينفُضه ... آرِماً منه على الصُّلْبِ [٦]
تلكَ لَذّاتِي وكنتُ فتًى ... لم أقُلْ من لذّةٍ حسْبِي

(الإهلال والاستهلال)

وأما قوله : « غير يعفور أُهِلَّ به » ، فالإهلال الذى ذكر هو شيءٌ يعتريه فى ذلك ، يخرُج من جوفه صوتٌ شبيه بالعُواءِ [الخفيف] [٧] ، وهو

---

(١) الشعر متصل فى الديوان ، فالبيت الآتى لايفصل بينه وبين السابق شعر .

(٢) اليعفور : الظبى ، أو ولده . والدفان : الجنبان , وجاف : بلغ بالطعنة الجوف . وفى الديوان : « جاب » ، وهى رواية اللسان (مادة هلل) .

(٣) الشعب : إصلاح المكسور ونحوه .

(٤) الشغواء : العقاب ، وفى الديوان : « فتخاء » وهما بمعنى . وفى ط : « شفواء » وهو تصحيف « شغواء ». وكسرت : ضمت جناحيها للهبوط . واللهب : مهواة مابين كل جبلين .

(٥) التيس : عنى به هنا الذكر من الظباء . وكبا : سقط لوجهه . والعجب : أصل الذنب .

(٦) الوعساء : رابية من رمل لينة . ينفضه : يحركه ، وفى الديوان « ينغضه » . و « آرما » من أرم عليه : عض . وفى الديوان : « آزما » وهما بمعنى .

(٧) الزيادة من اللسان .

ما بين العُواء والأنين ، وذلك من حاقِّ الحرصِ (١) ، وشدَّة الطلب ، وخَوف الفوات . ويقال : أهلّت السماءُ ، إذا صبَّت ، واستهلت : إذا ارتفع صوت وقْعِها ؛ ومنه الإهلالُ بالحج . وقال ابن أحمر (٢) :

يُهِلُّ بالفرقد رُكبانُها كما يُهِلُّ الراكبُ المعتمِرْ (٣)

ومنه استهلال الصبي . ولذلك قال الأعرابيُّ : أرأيتَ من لا شربَ ولا أكَلَ (٤) ولا صاح واستهل ، أليس ذلك يُطَلّ (٥) ؟ !

---

(١) فى الأصل : « من خلق الحرص » ، وما أثبت هو الوجه وهو الأشبه بلغة الجاحظ ، ولهذه العبارة شبيه فى نهاية ص ٥٥ . وحاق الحرص : شدته وقوته . ثم وجدت صاحب اللسان قد نقل تفسير الجاحظ للإهلال من أوله إلى كلمة « الفوات » ولم يصرح بنسبة القول إلى الجاحظ . وفى اللسان : « حاق الحرص » كما أثبت .

(٢) فى اللسان (مادة هلل) : « وقال الراجز » ؟ ! وليس الكلام رجزاً وإنما هو شعر ، فما هنا صوابه ، وقد جاء البيت فى (مادة عمر) منسوبا إلى ابن أحمر .

(٣) قال ابن منظور : « فيه قولان : قال الأصمعى : إذا انجلى لهم السحاب عن الفرقد أهلوا أى رفعوا أصواتهم بالتكبير كما يهل الراكب الذى يريد عمرة الحج ؛ لأنهم كانوا يهتدون بالفرقد . وقال غيره : يريد أنهم فى مفازة بعيدة من المياه فإذا رأوا فرقداً — وهو ولد البقرة الوحشية — أهلوا أى كبروا لأنهم قد علموا أنهم قد قربوا من الماء » اهـ . وانظر اللسان (ركب) . والفرقد فى القول الأول هو الفرقدان : نجمان فى السماء لايغربان ، وقيل كوكبان قريبان من القطب ، وقيل كوكبان فى بنات نعش الصغرى . قال ابن منظور : « وقد قالوا فيهما الفراقد . . . وربما قالت لهما العرب الفرقد » .

(٤) فى الأصل : « من لا أكل ولا شرب » وبذلك يفوت السجع . وكلام الأعرابى هذا سجع ، وقد ذكره الجاحظ فى باب السجع من البيان ١ : ٢٨٧ . والأعرابى قال هذا القول عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قضى فى الجنين إذا سقط ميتا بغرة — الغرة : عبد ، أو أمة — وقد قال له الرسول الكريم بعد أن سمع كلامه : « أسجعا كسجع الجاهلية » .

(٥) فى الأصل : « بطل » . وإنما هو « يطل » أى يذهب دمه هدراً ، كما فى البيان ١ : ٢٨٧ واللسان ونهاية ابن الأثير .

(تخريق الكلب أذنيه)

وإذا ضَبَع الكلبُ ، وهو أن يمدَّ ضَبْعَه كلَّه ، ولا يكون كالحمار الضيِّق الإبطيْنِ — والكلبُ فى افتراش ذراعيه وبَسْط رجليه حتَّى يصيب قَصُّه الأرضَ ، أكثر من الفرس — وعند ذلك ما يَنْشِط أذنيه حتَّى يُدمِيَهما . ولذلك قال الحسنُ بن هانئ ، وقد طال سانعَتَ بهما[1] :

فانصاعَ كالكوكَب فى انحداره   لَفْتَ المشير مُوهِناً بناره[2]
شَدًّا إذا أحْصَفَ فى إحضاره[3]   خَرّقَ أذنيــه شَبا أظفارِه

وأوّل هذه الأرجوزة :

لما غَدَا الثَّعلبُ من وِجارِه   يَلتَمِس الكَسْب على صغارِه

---

(١) كذا .

(٢) الموهن : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه . قال الزبيدى فى تاج العروس « والموهن كمحسن » وقد ضبط بفتح الميم ضبطا بالقلم لا بالنص فى نسخ القاموس واللسان وأساس البلاغة . و « بناره » هى فى الأصل : « بشاره » وصوابه فى الديوان ٢١٢ ونهاية الأرب ٩ : ٢٦٣ والصناعتين ٧٩ ، وديوان المعانى ٢ : ١٣٣ .
ولأبى نواس من طردية أخرى فى صفة حمام يعفور البصرى (الديوان ٢٣٣) :
* أو لفت نار بيد المشير *

(٣) الإحضار : شدة العدو . وأحصف : اشتد وأسرع . وهى فى ط : « أخصف » وهما بمعنى عند الليث ، وأبو منصور الأزهرى يرى « أخصف » بالخاء من تصحيف الليث . وهى بالحاء فى س ، م ، وبالخاء فى نهاية الأرب والديوان . والرواية فيه : « حتى إذا أخصف » .

(معرفة أبى نواس بالكلاب ، وجودة شعره)

وأنا كتبتُ لك رجَزَه فى هذا الباب ، لأنَّه كان عالماً راوية ، وكان قد لعب بالكلاب زماناً ، وعرَفَ منها ما لا تعرفه الأعراب . وذلك موجود فى شعره ، وصفاتُ الكلاب مُستَقصاة فى أراجيزه. هذا مع جودة الطبع وجودة السبك ، والحذق بالصنعة . وإن تأمَّلتَ شِعرَه فضَّلتَهُ ، إلاَّ أن تعترض عليك فيه العصبيّة ، أو ترى أنّ أهلَ البدْو أبداً أشعرُ ، وأنّ المولَّدين لا يقاربونهم فى شىء . فإن اعترَض هذا البابُ عليك فإنّك لا تُبصِر الحقَّ من الباطل ، ما دمتَ مغلوباً .

(طرديّة لأبى نواس)

قال الحسن بن هانئ :

لما غدا الثعلبُ من وِجارِه يلتَمِس الكسبَ على صغاره

عارِضَهُ فى سَنَن امتياره[1] مضمَّرٌ يَمُوجُ فى صِداره[2]

---

(١) امتياره : طلبه للميرة ، أى الطعام . والسنن بالتحريك : الطريق. وفى ط : « شتن » وفى س : « ستن » .

(٢) فى الأصل : « سداره » وإنما هى « صداره » ، ويعنى بالصدار هنا : جلده الواسع . وسعة الجلد محمودة فى الكلاب كما فى ديوان المعانى ٢ : ١٣٣ . ورواية « شواره » كما فى الديوان ، صحيحة جيدة . والشوار : اللباس ، عنى به أيضاً الجلد . و « يموج » هى فى الأصل : « يسلح » وفى الديوان : « يمرح » . وقال أبو نواس فى طردية أخرى (الديوان ٢١٧) :

* بأغضف يموج فى شواره *

فى حَلَقِ الصُّفْر وفى أسيارِه   منضمَّةً قُصْرَاهُ من إضماره[١]

11 قد نَحَتَ التسهيمُ من أقطاره[٢]   من بعد ما كان إلى أَصْبَاره[٣]

غَضًّا غَذَتهُ الْخورُ من عِشَاره[٤]   أيَّام لا يُحجَب عن أظآره

وهو طَلاً لم يَدْنُ من إشغاره[٥]   فى مَنْزِلٍ يُحجَبُ عن زُوَّاره

يُساسُ فيــه طَرَفَىْ نهارِه   حتَّى إذا أَحْمَدَ فى اخْتِبَاره[٦]

وآضَ مثل القُلب من نُضاره[٧]   كأنَّ خلفَ ملتقى أشْفارِه[٨]

جَمْرَ غضًى يدمِنُ فى استعاره   كأنَّ لَحيَيه لدى افتراره

---

(١) القصرى : أسفل الأضلاع ، كما القصيرى أعلى الأضلاع .

(٢) التسهيم : الضمور . وفى الديوان : « التلويح »، وهما بمعنى . وأقطاره : نواحيه.

(٣) كان إلى أصباره : كان ممتلئا بدينا . هو من قولهم : ملأ الكأس إلى أصبارها : أى رأسها .

(٤) الخور : النوق الغزيرات اللبن ، مفردها خوارة . وهذا المثبت هو رواية الديوان وفى ط ، م :

* نحتا كسته الخور من عشاره *

وفى س : نحتا كسنه . . . الخ .

و « غذته » هى فى الديوان « كسته » والصواب ما أثبت . ولأبى نواس فى مثل هذا المعنى من طردية أخرى :

* غذته أظآر من اللقاح *

(٥) طلا : صغير . وفى الأصل « طلى » وهو خطأ كتابى إذ الكلمة واوية . والإشغار فسره الجاحظ فى ص ٣٢ . وفى الأصل : « أشفاره » وفى الديوان : « شفاره » وهما تحريف ما أثبت .

(٦) أحمد : استحق الحمد . و « اختباره » هى فى الأصل « اختياره » ، وفى الديوان : « ابتياره » . والابتيار والاختبار بمعنى . وأما الاختيار فلا وجه له .

(٧) القلب بالضم : السوار . والنضار : الذهب . فى س : « فى نضاره » .

(٨) الأشفار : حافات الجفون . وفى الأصل : « أشعاره » وهى على الصواب الذى أثبت فى الديوان . وفى ط : « خاق » موضع : « خلف » وتصحيحه من س ، م والديوان . وقد شبه عينى الكلب فى البيت التالى بجمر الغضى حمرة وبصيصاً .

شكٌ مَساميرَ على طَواره[١] يضمُّ قُطرَيه من اضطباره[٢]
وإن تمطّى تمّ فى أشباره[٣] عَشرٌ إذا قَدّر فى اقتداره[٤]
سِمْعٌ إذا استَرْوَحَ لم تُماره[٥] إلا بأن يُطْلَقَ من عِذاره
فانصاعَ كالكوكب فى انحداره لَفْتَ المُشيرِ مُوهِناً بناره[٦]
شَدًّا إذا أحْصَفَ فى إحضاره[٧] خرّق أذنيـــه شبا أظفاره[٨]
حتّى إذا ما انسابَ فى غُباره[٩] عافَرَهُ أَخْرَقُ فى عِفاره[١٠]

---

(١) الشك بمعنى النظم . وفى الأصل : « سك » ، وتصحيحه من الديوان ونهاية الأرب (٩ : ٢٦٢) . وطواره : أراد بها حده .

(٢) اضطباره : من الضبر ، وهو أن يجمع قوائمه ويثبت . والكلمة بهذا الرسم فى م فقط ، وفى الديوان : « انضباره » . وفى س ، ط : « اضطراره » . وهذا تحريف . وفى الوساطة ٣٠٠ : « انضباره » . وقطريه : طرفيه . ويرى صاحب الوساطة أن المتنبى أخذ هذا المعنى فقال :

يكاد فى العدو من التفتل يجمع بين متنه والكلكل
وبين أعلاه وبين الأسفل

(٣) م : « تم فى أشياره » .

(٤) كذا فى الديوان ، وفى الأصل :

عشرا إذا أقدر فى اقتداره

يقول : إذا تمطى تم له من الطول عشر أشبار ، وذلك إذا ضيق فى قدرته على التمطى ، فما بالك به إذا ترك لنفسه العنان فى ذلك ؟ !

(٥) السمع : ولد الذئب من الضبع . والاسترواح : أن يتشمم الهواء بحثاً عن الفريسة . والمماراة : التكذيب . يقول : هو كالذئب فى قوة شمه — زعموا أنه يدرك المشموم من فرسخ — وأنه فى ذلك صادق لا تخطىء فراسته .

(٦) فى الأصل : « بثاره » ، قد تقدم التنبيه على تصحيحه ص ٢٧ .

(٧) سبق شرح هذا البيت وتصحيحه ص ٢٧ .

(٨) فى الأصل : « عينيه » وهو تحريف . وقد سبق البيت صحيحا ص ٢٧ .

(٩) فى الديوان : « انشام » ، بمعنى دخل .

(١٠) عافره : غالبه ليجعله فى العفر أى التراب ، وما أثبت هو رواية الديوان . وفى التيمورية : « عافره أخرق فى غضاره » . وفى ط ، س ، م : « عافره ما خرق فى عفاره » .

فتَلتَلَ المفْصِلَ من فَقَارِه(١) وشقَّ عنه جانِبَىْ صِدارِه

* ما خيرَ للثَّعلب فى ابتكاره(٢) *

(طرديَّة ثانية لأبى نواس)

وقال فى كلب سُليمان بن داودَ الهاشمىّ — وكان الكلبُ يسمى زُنبوراً :—

إذا الشياطِينُ رأتْ زُنبورَا قدْ قُلِّدَ الحلْقَةَ والسُّيورا

دَعَتْ لِخِزَّانِ الفلا ثُبُورا(٣) أدفَى ترى فى شِدقِه تأخيرا(٤)

تَرَى إذا عارضْتَه مفرورا(٥) خَناجِراً قد نبتتْ سُطورا(٦)

---

(١) تلتل هنا : فى معنى شد ونزع .

(٢) يقول : لم يوفق الثعلب فى خروجه مبكراً، لأنه سيكون غنيمة لهذا الكلب .

(٣) الثبور : الهلاك ، ودعا الثبور قال : واثبوراه ! . وهذه العبارة قرآنية قال تعالى : « لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيرا » . . والخزان جمع خزز بضم ففتح ، وهو الذكر من الأرانب . و « الفلا » : جمع فلاة . وهى فى ط : « الغلا » وصوابها فى س ، م والتيمورية والديوان . و « دعت » هى فى جميع الأصول « بكت » وأثبت رواية الديوان الصحيحة ، وإنما تدعو الشياطين الثبور لفقد الأرانب التى صرعها الكلب شماتة بها . وذلك أن الأرانب فيما تزعم الأعراب — ليست من مطايا الجن ، وأن الجن تهرب منها (الحيوان ٦ : ٤٦ ، ٢٣٨) والدميرى (١ : ٣٠) .

(٤) الأدفى : الذى أقبلت إحدى أذنيه على الأخرى حتى تكاد أطرافهما تماس فى انحدار قبل الجبهة . أو الأدفى الذى يمشى إلى جانب ، وذلك أسرع له . وفى الأصل « أدمى » وأثبت ما بالديوان . و « فى شدقيه تأخيرا » يقول هو واسع الفم .

(٥) مفرورا : من فر الدابة ، كشف عن أسنانها لينظر ماسنها . وفى ط : « مضروراً » وفى الديوان « مغروراً » وهما تحريف ما أثبت من س ، م .

(٦) إنما اختار « نبتت » ليدل على أصالتها وشدة تمسكها ، وأما « ثبتت » بأى وضع من أوضاعها كان ، فلا تنال قوة « نبتت » .

مُشتبكاتٍ تَنْظِمُ السُّحُورا[١]   أُحْسِنَ فى تأديبه صغيرا

حتَّى توفَّى السَّبْعةَ الشهورا[٢]   من سِنِّهِ وبَلَغَ الشُّغُورا[٣]

وعَرَفَ الإيحاءَ والصَّفيرا   والكفَّ أنْ تومئَ أو تُشيرا

يُعطيك أقصى حُضْرِه المذْخورا[٤]   شَدًّا تَرَى من هَمْزِهِ الأُظفورا[٥]

مُنْتَشِطا من أُذنه سيُورَا[٦]   فما يزالُ والغًا تامورا[٧] ١٢

مِن ثعلب غادَرَه مجزُورا   أو أَرنب كوَّرَها تكويرا[٨]

أو ظبيةٍ تقرو رَشاً غريرا[٩]   غادَرَها دون الطَّلاَ عَقيرا[١٠]

فأمتَعَ اللهُ به الأميرَا   رَبِّى، ولا زالَ به مسرورا[١١]

وقد قال كما ترى :

شدًّا ترى من هَمْزه الأظفورا   مُنتشِطاً من أُذنه سيُورا

---

(١) السحور : جمع سحر بالفتح أو التحريك أو الضم ، وهو الرئة ، وأراد سحور الصيد .

(٢) توفى الأشهر : أكملها وأتمها .

(٣) كذا فى الديوان ، وفى الأصل : « من سنة » . و « الشغور » سيفسره الجاحظ قريبا .

(٤) الحضر بالضم : شدة الجرى ، وفى ط : « حصره » محرفة ، و « المذخورا » هى فى الديوان : « الموفورا » . ومثله قول ذى الرمة فى ديوانه ٣٣ وديوان المعانى ٢ : ١٣٣ :

لايذخران من الإيغال باقية   حتى تكاد تفرى بينها الأهب

(٥) الهمز : الضغط والغمز .

(٦) يقول : هو ينتزع بأظفاره سيورا من أذنه .

(٧) والغا تامورا : شاربا للدم بطرف لسانه . وفى ط : « والفا » وهو على الصواب فى س ، م والديوان .

(٨) كورها : صرعها . وفى الديوان : « وجورها » ، وهما بمعنى واحد وزنة واحدة .

(٩) تقروه : تقصد إليه . وفى ط : « تغرو » وهو تصحيف ما فى س ، م . والرشأ الغرير : الظبى الصغير .

(١٠) الطلا : ولد الظبية . عقيراً : صريعاً . وفى الديوان : « عفيراً » .

(١١) فى الديوان : « ولايزال فرحا مسروراً » .

بإثر قوله[١] :

حتّى توفّى السبعةَ الشهورا[٢]   من سِنِّهِ وبلغ الشغورا[٣]

فإنّ الكلب إذا شَغَر برجله وبالَ ، فذلك دليلٌ على تمام بلوغه للإلقاح ، وهو من الحيوان الذى لايحتلم[٤] .

(أمارات البلوغ فى الغلمان والجوارى)

وأما احتلام الغلام فيعرف بأمور : منها انفراقُ طرَف الأرنبة ، ومنها تغيُّر ريح إبطيه ، ومنها الأنياب[٥] ، ومنها غلظ الصوت .

ومن الغلمان من لا يحتلم ، وفى الجوارى جَوارٍ لا يَحِضْن ، وذلك فى النساء عيب ، وليس مثله من الرجال عيبا . وقد رأيت رجالاً يوصَفون بالقوّة على النساء ، وبعضهم لم يحتلم إلاّ مرةً أو مرتين ، وبعضهم لم يحتلمْ ألبتّة .

(طردية ثالثة لأبى نواس)

وقد قال الحسنُ بنُ هانئٍ مثلَ ذلك ، فى أرجوزة أخرى :

يَمْرِى إذا كان الجرَاءُ عَبْطا[٦]   براثِنا سُحْمَ الأثافى مُلْطَا[٧]

---

(١) فى الأصل : « يأبى قوله » .
(٢) فى الأصل : « حتى يوفى » .
(٣) فى الأصل : « من سنة » . وقد سبق التنبيه عليه ص ٣١ .
(٤) فى الأصل : « لم » .
(٥) كذا .
(٦) مرى الشيء : استخرجه وأظهره ، وفى الديوان : « يفرى » . والجراء مصدر كالجرى . وهذه رواية الديوان . وفى الأصل : « الجزاء » . والعبط : أن يجرى الرجل الدابة حتى تعرق .
(٧) الأثافى : عنى بها الهنات الناتئة فى كف الكلب . والسحم : السود ، جمع أسحم . والملط : الخالية من الشعر ، جمع أملط .

* يَنْشِطُ أُذنيه بهنّ نَشْطا *

وهذه الأرجوزة أوّلها :

عَدّدْت كلبًا للطِّرادِ سَلْطَا[1] مقلَّداً قلائداً ومِقْطا[2]
فهو الجميلُ والحسيب رهْطاً[3] ترى له شِدقين خُطّا خَطّا[4]
يَمرى إذا كان الجِرَاء عَبْطا[5] براثناً سُحْمَ الأثافى مُلْطَا
ينشِطُ أُذْنَيه بهنّ نشطًا تخالُ ما دَمِينَ منها شرطاً[6]
ما إنْ يقَعنَ الأرضَ إلا فَرْطا[7] كأنَّما يُعجلِنَ شيئاً لقْطاَ
أعجَلَ من قولِ قَطاةٍ قَطّا[8] فاجتاحَ خِزّانَ الصحارى الرُّقْطاَ[9]

(١) عددته ، بالتشديد : جعلته عدة . وفى الديوان : « أعددت » ، بمعنى هيأت . والسلط : الشديد .

(٢) المقط : الحبل .

(٣) عنى بالرهط هنا العشيرة . وفى الديوان : « فهو النجيب » الخ .

(٤) فى الديوان : « ترى له خطين خطا خطا » .

(٥) سبق القول فيه ص ٣٢ ، وكذلك فى البيتين التاليين .

(٦) رواية الديوان : « تخال مأزمين منه شرطاً » ، وما هنا صوابه . ودمى : ظهر منه الدم .

(٧) إلا فرطاً : إلا فى النادر ، فهو كأنه سابح فى الهواء . وقد أخذ المعنى من قول أبى النجم :

* فما يمس الأرض منه حافره *

(٨) « قطا » هى حكاية صوت القطاة . وفى الموشح ٢٧٣ : « أخذ على بن المبارك على أبى نواس فى شعره حرفين : قوله :

* أسرع من قول قطـاة قطا *

كان ينبغى أن يقول : « قطا » بالتخفيف . وقوله :

كمن الشنآن فيه لنـــا ككمون النار فى حجره

وإنما كان ينبغى أن يقول : فى حجرها اهـ . وفى الأصل : « من قول قطاء » وليس بشىء .

(٩) اجتاحها : أهلكها واستأصلها . وفى الأصل : « احتاج » وليس يتجه . وفى الديوان : « يكتال » . والخزان : جمع خزز ، وهو ذكر الأرانب . رالرقط : جمع أرقط ، وهو الأسود يخالط لونه نقط بيض .

يَلْقَين مِنه حَكماً مشْتَطًّا[١] للعظْم حطماً والأدِيم عَطًّا[٢]

(شعر في نعت سرعة القوائم)

١٣ والشعراء إذا أرادوا سرعةَ القوائم قالوا كما قال[٣] :

يخفِي التُّرابَ بأظْلاف ثمانية ومَسُّهن إذا أقْبَلن تَحْلِيلُ[٤]

وقال الآخر[٥] :

---

(١) مشتطا : جائراً . وفي الديوان : « يلقين منه حاكما »، والحكم والحاكم بمعنى .

(٢) الأديم : الجلد . والعط : الشق بلا بينونة . وفي الديوان : « عبطا » موضع « عطا »، وهما سيان .

(٣) القائل هو عبدة بن الطبيب يذكر ثوراً يحفر كناسا ويستخرج ترابه فيظهره. (المفضليات ١٤٠ والأضداد ٨٠ والصناعتين ٧٨ ونوادر أبي زيد ٩) .

(٤) يخفي : حرف من الأضداد يكون بمعنى الستر والتغطية ، ويكون بمعنى الإظهار ، والإبداء كما في هذا البيت ، وكما في قول امرئ القيس بن عابس الكندي :

فإن تكتموا الداء لا نخفه وإن تبعثوا الحرب لا نقعد

وأخفى الشيء يخفيه هو كذلك حرف من الأضداد . وقرئ قوله تعالى : « إن الساعة آتية أكاد أخفيها » بفتح الهمزة وضمها ، مع تأويل الفعل في كل من القراءتين بمعنى الإظهار مرة ، وبمعنى الإخفاء أخرى . والتحليل من تحلة اليمين أي الاستثناء في الحلف ، وهي أن يقول الحالف إثر حلفه : إن شاء الله . قال العسكري : يقول إن مواصلة هذا الثور بين خطواته كمواصلة الحالف بالتحلة يمينه من غير تراخ . وقال ابن منظور في شرح هذا البيت : إن « تحليل » بمعنى قليل هين يسير . . والرواية المشهورة في عجز البيت :

* في أربع مسهن الأرض تحليل *

يريد بثمانية أظلاف في أربع قوائم .

(٥) هو خلف الأحمر كما في الصناعتين ٧٩ ، وديوان المعاني ٢ : ١٣٤ . والبيت الآتي في وصف ثور .

وكأنَّما جَهَدَتْ أَلِيَّتُهُ أن لاتَمَسَّ الأرضَ أربَعُهُ[١]

فأفرط المولَّدون[٢] فى صفة السرعة — وليس ذلك بأجود — فقال شاعرٌ منهم يصف كَلْبَةً بسرعة العَدْوِ :

* كأنَّما تَرفَعُ مَا لم يُوضَعِ[٣] *

وقال الحسن [بن هانئ[٤]] :

* ما إنْ يقَعْن الأرض إلاَّ فرْطا *

(طردية رابعة لأبى نواس)

وقال الحسن بن هانئ فى نعت كلب[٥] :

أنعَتُ كلباً أهلُه فى كَدِّه[٦] قد سَعِدتْ جدودُهم بِجَدِّه[٧]

---

(١) جهد ، من باب قطع : جد وبالغ . والألية : اليمين والقسم . و « أربعه » أى قوائمه الأربع . وهى فى الأصل : « أربعة » ، وهو تحريف . وقبل البيت :

كالكوكب الدرى منصلتا شدا يفوت الطرف أسرعه

(٢) فى ط : « الولد » ، وصوابه فى س ، م .

(٣) هذا مافى مب . وفى سائر النسخ : «يرفع مالايضع » ، تحريف . و الرواية فى الصناعتين ٧٩ وكذا فى محاضرات الراغب ٢ : ٢٨٥ .

* كأنما يرفعن ما لم يوضع *

وقد جعله الراغب فى نعوت الخيل لاالكلاب .

(٤) التكملة من مب .

(٥) فى نعت كلب ، ساقط من مب .

(٦) « فى كده » : من كده . وفى ط : « فى وده » ، وصوابه فى س ، م ، مب . وفى الديوان : « من كده » ورواية الدميرى ٢ : ٤٠٢ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٩٦ « فى كده » .

(٧) الجدود : جمع جد ، بفتح الجيم ، وهو الحظ والرزق ، والجد بالكسر : الاجتهاد.

فكلُّ خيرٍ عندهمْ من عِندهِ يظلُّ مولاه له كعَبْدِهِ
يبيتُ أدنَى صاحب من مَهْدِهِ[1] وإن عرَى جلَّلَه ببُرْدِهِ[2]
ذو غُرَّةٍ محجَّلٌ بزَنْدِهِ[3] تَلَذُّ منه العَيْنُ حُسنَ قدِّهِ[4]
ياحُسْنَ شِدقيه وطولَ خدِّهِ تَلْقَى الظِّباءُ عنَتاً من طَرْدِهِ[5]
يشربُ كأساً شدُّها فى شدِّه يالَكَ مِنْ كلب نسيجٍ وَحْدِهِ[6]

(طردية خامسة لأبى نواس)

وقال فى صفاتها [وأسمائها][7] وسِماتها، وأنسابها، وألقابها، وتفدية[8] أربابها لها كما ذكرنا قبل ذلك — :

قد أغْتدِى والطَّيرُ فى مَثْواتِها[9] لم تُعْرِب الأفوَاهُ عن لُغاتِها[10]

---

(١) يقول : يبيت صاحبه شديد الدنو من موضع نومه .

(٢) جلله : غطاه . وفى « عرى » ضرورة تسكين الياء ، أو هو بفتح الراء على لغة طيىء فى فتح عين الفعل المعتل اللام . وهى رواية الديوان . وفى مب : « عدا » وفى سائر النسخ : « غدا » . وقد جاء مثل هذا المعنى فى طردية أخرى لأبى نواس ، يقول فيها (الديوان ٢١٧) :

* وإن عرى جلل فى ردائه *

(٣) مب : « ذا غرة محجلا ».

(٤) ماعدا مب : « يلذ » .

(٥) عنتا : شدة وهلاكا . وفى الديوان : « عبثا » . والطرد : الصيد والقنص .

(٦) نسيج وحده ، يضرب مثلا لكل من بولغ فى مدحه ، كقولك لا نظير له ، قال ابن منظور مبينا أصل المثل : « ومعناه أن الثوب إذا كان كريما لم ينسج على منواله غيره لدقته ، وإذا لم يكن نفيسا دقيقا عمل على منواله سدى عدة أثواب » .

(٧) التكملة من مب .

(٨) ط : « تغذية » والصواب فى س ، م ، ومب .

(٩) أراد بالمثواة الموضع التى تسكن فيه وتقيم .

(١٠) يقول : هى نائمة فلا يبين صوت أحدها .

بأكلبٍ تمرَحُ في قِدّاتِها(١) تَعُدُّ عِينَ الوَحْشِ من أقواتِها(٢)
قد نَحَتَ التقريحِ واريِاتِها(٣) من شِدَّة التسهيم واقتياتِها(٤)
وأشفقَ القانصُ من حُفاتِها(٥) وقلتُ قد أحكمتَهَا فهاتِها
وأدْنِ للصَّيدِ مُعَلَّمَاتِهَا وارفعْ لنا نسبةَ أمَّهاتِها(٦)
فجاء يُزجِيها على شِياتِها(٧) شُمَّ العَراقِيبِ مؤنَّفاتِها(٨)
غُرَّ الوجـــوه ومحجَّلاتِها مُشرِفَةَ الأكنافِ مُوفِياتِها(٩)

---

(١) القدة ، بكسر الأول وتشديد الثانى : سير يقد من جلد غير مدبوغ ، جمعه قدات . وهذه الكلمة جاءت محرفة فى الأصل فهى فى ط : « فراتها » وفى س : « قراتها » وفى م : « قذاتها » . والصواب فى مب والديوان .

(٢) العين : جمع أعين ، وهو الواسع العين . وعنى به هنا البقر . وفى الموشح ٢٨٢ كلام فى هذا البيت .

(٣) التقريح : أثر انهماكها فى الصيد . والواريات : السمينات . ورواية الديوان :

قد لوح التقديح وارياتها

(٤) التسهيم : الضمور . و « اقتياتها » طلبها القوت . ورواية الديوان :

من شدة التلويح و « افتياتها »

(٥) الحافى : الذى رق قدمه من كثرة السير والعدو . جمعه حفاة . وفى الديوان : « من حفاتها » ، وهو تصحيف . وهذا البيت فى الديوان متقدم على سابقه .

(٦) يقول : اذكر لنا نسبها .

(٧) كذا فى مب والديوان وديوان المعانى ٢ : ١٣٣ : « فجاء يزجيها » بمعنى « يسوقها » . وفى سائر النسخ : « يزهيها » . والشيات : جمع شية ، وهى الأثر والعلامة .

(٨) العرقوب من الدابة فى رجلهـا بمنزلة الركبة فى يدها . شم : مرتفعات . والمؤنف : المحدد أو المسوى . وهذه رواية مب والديوان وديوان المعانى ٢ : ١٣٣ . وفى سائر النسخ : « موثقاتها » .

(٩) مشرفة الأكتاف : عالية النواحى . و « مشرفة » رواية مب ، والديوان وديوان المعانى . وفى سائر النسخ : « مشرقة » تحريف . وفى الديوان وديوان المعانى : « الأكتاف » تحريف . والموفيات : المشرفات .

قُود الخراطيمِ مُخرْطَماتِها(١) سوداً وصُفْراً وخَلَنْجيَّاتِها(٢)

مُسَمَّيـاتٍ ومُلَقَّبـاتِها(٣) حُمْرًا وبيضاً ومطوَّقاتها

١٤ مختبَراتٍ من سَلُوقيَّاتِها كأنَّ أقماراً على لَبَّاتِها(٤)

تَرَى على أفخاذِها سِمَاتِها مُفَـدَّيَاتٍ ومُحَمَّيَاتِها(٥)

مفروشة الأيدِى شَرَنْبَثَاتِها(٦) شُمَّ العَرَاقِيب مؤلفاتها(٧)

حِيدَ الأظافيرِ مُكَعْبَرَاتِها(٨) زُلَّ المآخـير عَمَلَّساتِها(٩)

* تَسْمَعُ فِى الآثَارِ مِنْ وَحَاتِها(١٠) *

---

(١) قود : جمع أقود : أى طويل . هى فى ط ، م : « فوذ » محرفة ، وعلى الصـواب فى س ومب والديوان . والمخرطم ، قال أبو هـلال العسكرى فى ديوان المعانى ٢ : ١٣٣ : خرطوم مخرطم مثل ليل أليل اهـ . يعنى الشدة . وانظر نظائر (ليل أليل) فى فقه اللغة ٢٥٦ . والأشطار بعده إلى « مكعبراتها » ساقط من مب .

(٢) الخلنجى : أصفر خفيف تعلوه غبرة . مبادئ اللغة ١٤٢ .

(٣) فى ط ، س والديوان : « مقلباتها » ، وفى م : « ملقياتها » ، والصواب من مب . وانظر مثل هذا البيت فى ص ٢٠٢ .

(٤) وصفها ببياض النحور .

(٥) المفدى : الذى يفديه صاحبه . وفى الديوان : « منديات » ، وهو تحريف . والمحميات من الحماية والحفظ .

(٦) مفروشة الأيدى : مبسوطتها . والشرنبث : الغليظ .

(٧) هذا البيت مكرر معاد ، وفيه تحريف . وانظر الحاشية رقم ٨ من ص ٣٧ .

(٨) الأحيد : المائل أو المقوس ، جمعه « حيد » . وفى الأصل : «حد» ، والصواب ما أثبت . والبيت ليس فى ديوان أبى نواس . والمكعبرات : الشديدة .

(٩) المآخير : جمع مؤخر ، وهى فى الأصل : « المواخير » ولا وجه له ، والصواب فى الديوان وديوان المعانى . وزل : جمع أزل ، بمعنى الخفيف اللحم . وفى الديوان : « ذل » وماهنا صوابه . العملس : القوى السريع . وقد وقع بعد هذا البيت فى الأصل هذا البيت الآتى ، ولأنه مكرر حذفته . وهو :

* تعد عين الوحش من أقواتها *

(١٠) يقول : إن صوتها يسمع بعد مرورها وجريها كما يسمع وقت جريها ، وذلك لظهوره . والوحاة : الصوت ، مثل الوحى بإسكان الحاء ، والوحى بالقصر . وفى الأصل : « راحاتها » ، وأثبت رواية الديوان .

مِنْ نَهَمِ الحرص ومن خَوَاتِها[١] لتَفْثَأ الأرنبَ عَنْ حياتِها[٢]
إنَّ حياةَ الكلبِ فى وفاتها حتَّى ترَى القِدرَ على مَثْفَاتِها[٣]
كثيرةَ الضِّيفانِ من عُفَاتِها[٤] تقذِفُ جَالَاها بجَوْزَىْ شاتِها[٥]

فقد قال كما ترى :

تسمَعُ فى الآثار مِنْ وَحَاتِها[٦] من نَهَم الحرص ومن خَوَاتِها[٧]

وهذا هو معناها الأوّل . وأما قوله :

* تعُدُّ عِين الوَحْشِ من أقواتها *

فعلى قول أبى النَّجم :

* تعُدُّ عاناتِ اللِّوى من مَالها[٨] *

وزعموا أنَّ قوله :

[كطلعة الأشمط من جلبابه

---

(١) هذا مافى مب والديوان . وفى سائر النسخ : « من نهم الصيد » . والخوات ، بالفتح : الدوى والصوت .

(٢) الأرنب : اسم جنس يطلق على الذكر والأنثى ، وقد عنى به هنا الأنثى . والجاحظ يرى أن « أرنب » لاتطلق إلا على الأنثى ، كما أن « العقاب » لايكون إلا للأنثى (الدميرى ٢ : ٣٠) . وتفثأ الأرنب عن حياتها : تكفها وتمنعها ، أى تقتلها . وفى الأصل : « تقشأ » ، وصوابه فى الديوان ، وديوان المعانى .

(٣) عنى بالمثفاة موضع الأثافى ، وهى الحجارة تنصب عليها القدر . وفى الديوان : « على شفاتها» محرفة .

(٤) العفاة : جمع عاف ، وهو الضيف وطالب الرزق .

(٥) الجال : الجانب . والجوز : وسط الشىء أو معظمه . وقد نطق بالمثنى وأراد الجمع عنى أجوازها. انظر همع الهوامع ١ : ٥٠ . وفى الديوان : « بجوز شاتها » ، على الإفراد .

(٦) سبق الكلام فى هذا الشطر قريبا ، وكذلك فيما بعده .

(٧) ماعدا مب : « نهم الصيد » .

(٨) العانات : جماعات حمر الوحش ، وقد ذكر البيت السابق أبو عبيد الله المرزبانى فى الموشح ٢٨٢ وقال : أخذه من قول أبى النجم . ولم يذكر بيت أبى النجم ، فلعل ماهنا ساد لسقط هناك .

هو قول الأول(١)] :

* كطَلْعَةِ الأشمطِ من كسائه *

وهو كما قال الآخر :

* كطَلْعة الأشمطِ من بُرْد سَمَلْ(٢) *

(طردية سادسة لأبي نواس)

وقال الحسن بن هانئ :

لمَّا تبدَّى الصُّبحُ من حِجابِه   كطَلْعَةِ الأَشمطِ من جلبابه
وانعدلَ اللَّيلُ إلى مآبِه   هِجْناً بكلبٍ طالما هِجْنا به(٣)
خَرَّطَهُ القانِصُ واغتدَى به(٤)   يَعزُّه طوراً على استصعابه(٥)
[وتارةً ينصَبُّ لانصبابِه](٦)   فانصاع للصَّوتِ الذى يعنى به(٧)
كلَمَعَان البرقِ من سحابه

---

(١) التكملة من مب ، ونحوها فى الموشح ٢٨٢ وما فى أخبار أبى نواس لابن منظور ٧٤ مع التصريح بأن الشطر التالى لأبى النجم .

(٢) السمل : الخلق البالى .

(٣) فى الأصل : « هجناه كلب » ، وله وجه لو كان فى سوى هذا الشعر . وأثبت رواية مب والديوان والراغب الأصفهانى فى المحاضرات ٢ : ٢٩٦ ونهاية الأرب ٩ : ٢٦٢. ولأبى نواس مثل هذا المعنى فى طردية أخرى (الديوان ٢٠٧) وهو :

* هجنا به وهاج من نشاطه *

(٤) خرطه : أرسله ، ولم يرو هذا البيت وكذا السبعة التالية حمزة بن الحسن الأصبهانى جامع ديوان أبى نواس .

(٥) عزه يعزه : غلبه. واستصعب : صار صعب المقادة .

(٦) ينصب : ينحدر ، يقول : هو حينا يغلب كلبه ويستطيع قوده إلى حيث يريد ، وحينا يهزمه الكلب ويجذبه إلى حيث يريد هو . وقد زدت هذا البيت من الحيوان ص ٦٦ ليكمل المعنى .

(٧) ما عدا مب : « عنى به » .

كأنَّ عينيه لدى ارتيابِه ... فَصَّا عَقيقٍ قد تقابَلَا به
حتَّى إذا عفَّرَه هاَها به(١) ... بَابَا به يابعـــد ما بَابَا بِه(٢)
يَنْتَسِفُ الْمِقْوَدَ من جِذابه(٣) ... مِنْ مَرَحٍ يَغْلُو إذا اغلَوْلَى به(٤)
ومَيْعَةٍ تُعرَف من شَبابِه(٥) ... كأنَّ متْنَيهِ لدى انسلابِه(٦)
مَتْنَا شُجاعٍ لَجَّ فى انسيابِه(٧) ... كأنَّما الأُظفور فى قِنابه(٨)

---

(١) عفره : جذبه ، وهاها به : مخفف هأهأ به : زجره .

(٢) بأبأ به : فداه تفدية وقال : بأبى أنت . وهذا الشطر والشطر قبله ساقط من مب .

(٣) ينتسف : ينتزع . وفى س : « ينتفس » وفى ط : « ينتسس » ، وفى المحاضرات : « ينشف » ، وأثبت مافى م والديوان ، وهو صواب هذه المحرفات . و « من جذابه » : بسبب مجاذبته ، فالباء سببية . وهذه هى رواية الديوان والنويرى فى نهاية الأرب (٩ : ٢٦٢) ومحاضرات الراغب . وفى س : « جزابه » ، وفى ط : « جرابه » ، وفى م : « جدابه » » وكل ذلك تحريف ما أثبت من مب .

(٤) يغلو المرح : يزداد ويرتفع ، ومنه قول ذى الرمة :

فمـا زال يغلو حب مية عندنا ... ويزداد حتى لم نجد مازيدها

وفى جمهور النسخ : « يعلو » وهما بمعنى ، وأثبت رواية مب والديوان ، لتساوقها مع بقية البيت . واغلولى : ارتفع . ماعدا مب : « غلا به » ، من غلا بالسهم يغلو ، إذا رفع يده به يريد به أقصى الغاية . والضمير فى « غلا » عائد إلى القانص . وأثبت رواية مب والديوان .

(٥) ميعة الشباب : أوله .

(٦) متنا الظهر : مكتنفا الصلب ، س : « انسرابه » . وفى ط : و م : « اسرابه » وفى المحاضرات : « أسلابه » ، وهذه تحريف ما أثبت من مب ، والديوان ونهاية الأرب. وانسلابه ، بمعنى إسراعه فى السير .

(٧) الشجاع : الحية أو الذكر من الحيات ، وقد شبه أحمد بن زياد بن أبى كريمة متون الكلاب بالخيزران فقال (الحيوان ٢ : ٣٧١) :

كأن غصون الخيزران متونها ... إذا هى جالت فى طراد الثعالب

(٨) القناب : غطاء الظفر . وفى الأصل : « قرابه » والوجه ماأثبت من مب ، والديوان ونهاية الأرب ومحاضرات الراغب والموشح ٢٧٣ وديوان المعانى (٢ : ١٣٣) .

مُوسى صناعٍ رُدَّ فى نِصابِه(١) يثْرُدُ وَجْهَ الأرض فى ذَهابه(٢)
كأنَّ نَسْراً ماتوكَّلْنا به(٣) يَعفُو على ما جرَّ من ثيابه
إلَّا الذى أثَّرَ من هُدَّابِه(٤) تَرَى سَوَامَ الوَحْشِ يُحْتَوَى بِه(٥)
* يَرْحَنَ أَسْرَى ظُفْرِه ونابه(٦) *

---

(١) قال المظفر بن يحيى : غلط أبو نواس فى قوله يصف الكلب :
* كأنما الأظفور فى قنابه *
* موسى صناع رد فى نصابه *
لأنه ظن أن مخلب الكلب كمخلب الأسد والسنور الذى ينستر إذا أرادا حتى لايتبينا ، وعند حاجتهما تخرج المخالب حجنا محددة يفترسان بها . والكلب مبسوط اليد أبداً غير منقبض . انظر الموشح .

(٢) يثرد وجه الأرض : يشقه ويمزقه ، وهى فى جمهور النسخ : « يثرط » وفى مبوالديوان : « يترك » . وفى الديوان : « إلهابه » موضع « ذهابه » والإلهاب : شدة العدو . . ولأبى نواس مثل هذا المعنى فى طردية أخرى (الديوان ٢٠٨) :
* يقشر جلد الأرض من بلاطه *
والبلاط بالكسر : الفرار أو الاجتهاد فى السباحة .

(٣) يقول : كأن هذا الكلب الذى اعتمدنا عليه فى صيدنا نسر من النسور . والنسر أشد الطيور طيرانا وأقواها جناحا . وفى الأصل : «كأن نسرانا» وفى مب ، والديوان : « نشوانا » ، والأول تحريف ، والثانى لايصح إلا بتكلف شديد ، تكلفه شارح ديوان أبى نواس . وأبو نواس يشبه الكلب كذلك بالصقر ، قال :
* ومر كالصقر على الصيد اشتمل *
وقال :
* كالصقر ينقض على غطاطه *

(٤) يقول : هو يعفو أثر سيره بجسمه على الأرض فلا يبقى إلا أثر يسير كأثر هداب الثوب ، فإن الهواء المندفع خلفه يسوى الأرض التى مزقها ولا يعجز إلا عن القليل . و « أثر » هو مافى مب ، م ، وفى ط : « أشر » وهو تصحيف ، وفى س والديوان : « آثر » ، ولم أجد له وجها .

(٥) سوام الوحش : مايرعى فى الفلوات . وتحتوى به : تجمع وتحرز . وما أثبت هو رواية الديوان . وفى الأصل : « يرى سوام الوحش . . » الخ . ورواية النويرى فى نهاية الأرب :
* ترى سوام الوحش إذ تحوى به *

(٦) هذا الشطر ليس فى الديوان ، وهو والذى قبله ساقطان من مب . وهو فى الأصل محرف هكذا :
* وعين أسد ظفره ونابه *
والصواب ماأثبت من نهاية الأرب .

(صفة أبى نواس لثعلب أفلت منه مراراً)

وقال فى ثعلب [كان قد[1]] أَفْلَتَ منهُ مِرَارًا :

قد طالَمَا أفلتَّ يا ثعالا[2] وطالما وطالما وطالا
جُلتَ بكلبى يومَكَ الأجوالا[3] ما طَلْتَ مَنْ لَا يسأمُ المِطالا[4]
[حتَّى إذا اليومُ حَدَا الآصالا[5] أتاكَ حَيْنٌ يقدمُ الآجالا[6]]

(طردية سابعة لأبى نواس)

وقال أبو نواسٍ أيضاً :

يارُبَّ بيتٍ بفضاءٍ سَبْسَبِ[7] بَعيدِ بَيْنَ السَّمْكِ والمطنَّبِ[8]
لِفِتْيةٍ قد بَكَّرُوا بأَكلُبِ[9] قد أدَّبوها أحسنَ التأدُّبِ

---

(١) التكملة من مب .
(٢) ثعالا : ترخيم ثعالة ، والألف للإطلاق . وثعالة : علم جنس للثعلب ، كما أن أسامة علم للأسد . وهى فى ط ، م : « ثعلالا » وصوابه فى س ، مب والديوان ٢١٤ .
(٣) كذا فى مب والديوان ، وفى سائر النسخ : « المجالا » . وفى مب : « خلفك » .
(٤) المطال هنا : بمعنى المراوغة .
(٥) الآصال : جمع أصيل ، وهو الوقت بعد العصر إلى المغرب ، وحدا اليوم الآصال كناية عن حلول وقت الأصيل ، فيما أرى .
(٦) الحين : الهلاك ، والأجل : العمر . يقول : إن الكلب قد قضى على حياة الثعلب الذى سبق هلاكه أجله . وهذا البيت وماقبله ليسا بالأصل ، وقد كتبتهما من الديوان .
(٧) السبسب : الأرض المستوية البعيدة . وفى جمهور النسخ : « لفضاء سبسب » ، والوجه ماأثبت من مب ، والديوان .
(٨) السمك ، بالفتح : السقف . والمطنب : موضع الطنب ، والطنب بضمتين : حبل يشد به سرادق البيت ، أو الوتد .
(٩) فى ط ، م : « لقيته » ، وصوابه فى س ، ومب والديوان .

مِنْ كلِّ أدفى مَيَسَانِ المنْكِبِ (١) يشبُّ فى الْقَوْدِ شِبَابَ الْمُقْرَبِ (٢)
ينشِطُ أذْنيه بجِدِّ المِخْلَبِ (٣) فَمَا تَنِي وشيقَةٌ مِنْ أرنَبِ (٤)

---

(١) الأدفى : هو مثل عقاب دفواء : معوجة المنقار، فالمراد به أنه معوج الخطم، وهو مقدم الأنف والفم . واعوجاج الخطم من صفة الكلاب الجياد ، ومنه قول الراجز (أنشده أبو زيد فى النوادر ٥١) :

قد أغتدى قبل طلوع الشمس للصيد فى يوم قليل النحس

بأحجن الخطم كمى النفس

النحس : الغبار . والأحجن : المعقف . و « أدفى » هى فى جمهور النسخ « أوفى » محرفة ، وهى على الصواب الذى أثبت فى مب والديوان . ولأبى نواس من طردية أخرى سبقت قريباً :

* أدفى ترى فى شدقه تأخيرا *

ورواية العسكرى فى ديوان المعانى ٢ : ١٣٣ : « أخدى » ، وهى تصحيف « أخذى » بمعنى المسترخى الأذن . والميسان : المتبختر . قال العسكرى : أى من سعة جلده يميس منكبه . والبيت فى الأصل هكذا :

* من كل أوفى مستيان المنكب *

واعتمدت فى إصلاحه على مب ، والديوان وديوان المعانى .

(٢) يشب : يرفع يديه . والمصدر الشباب بالكسر والشبوب بالضم ، وجاءت الرواية بالأخير فى الديوان وديوان المعانى . والقود : نقيض السوق . وهى فى جمهور النسخ : « الغور » وليس له وجه ، والوجه فى مب ، والديوان وديوان المعانى. والمقرب : الكريم من الخيل، يشد لكرمه بقرب البيوت . وهو فيما عدا مب: « المعرب » ، وهو تحريف ما أثبت من مب ، والمرجعين السابقين.

(٣) ينشط : يجذب . وفى ديوان المعانى والديوان : « يلحق » .

(٤) يقال : لاينى يفعل كذا وكذا ، بمعنى لايزال ، كما فى قول الشاعر :

فما ينون إذا طافوا بحجهم يهتكون لبيت الله أستارا

ماعدا مب : « فما تنى » ، والوجه ما أثبت من مب ، و الديوان . والوشيقة : لحم يقدد حتى ييبس ، أو يغلى إغلاءة ثم يقدد ويحمل فى الأسفار ، وهو أبقى قديد . وفى ط : « وثيقة » ، وصوابه فى سائر النسخ والديوان .

وجلدةً مسلوبةٌ من ثعلبِ[1] مقلوبةُ الفَرْوَةِ أوْ لمْ تُقْلَبِ[2]
وعِيْرُ عاناتٍ وأُمُّ التَّوْلَبِ[3] ومِرجَلٌ يهدِر هَدْرَ الُمصْعَبِ[4]
[يَقذف جالاهُ بجَوزِ القَرهَبِ[5]]

(صفة مايستدَلُّ به على فرَاهِيَة الـكلابِ وشِياتها وسياستها)

قال بعضُ مَنْ خَبَرَ ذلك[6] : إنَّ طولَ ما بينَ يدَى الكلبِ ورجلَيه — بعدَ أن يكونَ قصيرَ الظهر — مِنْ علامة السُّرعة .

---

(١) البيت ساقط من مب ، كما سقط من الطبعة الأولى ، وهو فى سائر النسخ .

(٢) فى الديوان :

وفروة مسلوبة من ثعلب مقلوبة الجلدة أو لم تقلب

ولا تنافر بين الروايتين ، وهما يؤديان مؤدى واحداً . وأنا أستحسن رواية الجاحظ .

(٣) العير : الحمار الوحشى. والعانات: جماعات الحمر الوحشية . وفى الأصل : « وجحش عانات »، والجحش : الصغير من الحمر . والعرب لا تقول جحش عانة ، وإنما تقول عير عانة ، يعنون بذلك أنه رئيسها « الذى يوردها ويصدرها وتنهض بنهوضه ويقعن بوقوعه » . الحيوان ٥ : ٤٢٢ حيث تكلم الجاحظ فى رؤساء الحيوان . وقد جاءت الرواية على الصواب الذى أثبته فى ديوان أبى نواس . و « أم التولب » هى الأتان : أنثى الحمار الوحشى ، والتولب ولدها . وفى الأصل: « لأم التولب »، والوجه ما كتبت من الديوان .

(٤) المرجل : القدر يطبخ فيها . يهدر : يظهر له صوت من شدة غليان ما فيه . والمصعب : الفحل من الإبل .

(٥) التكملة من مب ، وليست فى الديوان . وجالا المرجل : جانباه . والجوز : الوسط . والقرهب من الثيران : الكبير الضخم .

(٦) مب: « غير » ، وفى سائر النسخ : « يجيد » ، ولعل الصواب ما أثبت .

قال : ويصفونه بأنْ يكونَ صَغيرَ الرأس ، طَويلَ العُنُق غليظَهَا[١] ، وأن يُشبه بعضُ خَلْقِه بعضاً ، وأن يكونَ أغضَفَ [الأذنين][٢] مُفْرِطَ الغضَف ، ويكونَ بعيدَ ما بينهما[٣] ، ويكونَ أزرقَ العينَين ، طويلَ المُقْلتين[٤] ، ناتئ الحدَقة[٥] ، طَويل الخطم[٦] ، واسعَ الشِّدقين ، ناتئَ الجَبْهة عريضَها ، وأن يكونَ الشَّعْرُ الذى تحتَ حَنَكه كَأنَّهُ طاقة[٧] ويكون غليظا ، وكذلك شعرُ خدَّيه ، ويكونَ قصيرَ اليدين ، طويلَ الرجلين ؛ لأنَّه إذا كان كذلك كان أسرَع فى الصعود بمنزلة الأرنب . ١٦

قالوا : ولا يكاد يلحَق الأرنبَ فِىالصَّعود ، إلاَّ كلُّ كلبٍ قصيرِ اليدين ، طَويلِ الرِّجلين .

وينبغى أن يكونَ طويلَ الصدر غليظا ، ويكونَ ما يلى الأَرضَ من صدره عريضا ، وأنْ يكونَ غليظ العضُدين ، مستقيمَ اليدين ، مضمومَ الأصابع بعضِها إلى بعض ، إذا[٨] مشى أو عدا ، وهو أجْدَرُ ألاَّ يصيرَ بينها من الطِّين وغيرِ ذلك ما يفسُدها[٩] ، ويكون ذَكىَّ الفؤادِ نشيطا ؛ ويكونَ عريضَ الظَّهْر ، عريضَ ما بين مفاصل عظامه ، عريضَ ما بينَ

---

(١) فى الأصل : « غليظهما » وصوابه من عيون الأخبار (٢ : ٨٠) .

(٢) كلمة يحتاج إليها الكلام . والأغضف : المسترخى الأذن .

(٣) وذلك بأن يكون عريض الجبهة . وانظر نهاية الأرب (٩ : ٢٦٠) .

(٤) المقلة : شحمة العين التى تجمع البياض والسواد .

(٥) الحدقة : سواد العين .

(٦) الخطم : مقدم الفم والأنف .

(٧) الطاقة : الحزمة من الريحان ونحوه . وفى عيون الأخبار : « وأن يكون الشعر الذى تحت حنكه طاقة طاقة » .

(٨) فى الأصل : « وإذا » .

(٩) فى ط : « أو هوى جدرانا لا يصير » الخ ، والصواب فى س ، م .

عَظمَىْ أصلِ الفَخِذين اللذين يصيبان أصل الذنب ، وطويلَ الفخذين غليظَهما شــديدَ لحمِهما ، ويكونَ رزينَ المَحْزِم(١) ، رقيقَ الوسط طَويلَ الجلدَةِ التى بين أصل الفخذين والصــدر ، ومستقيم الرجلين ، ويَكونَ فى ركبته انحناء(٢) ويصير قصير الساقين دقيقَهما ، كأنَّهما خشَبة من صَلابتهما .

وليس يُكرَه أن تكونَ الإناثُ طوالَ الأذناب . ويكره ذلك للذكور . ولِينُ شعرهما يدلُّ على القوّة .

وقد يرغب ذلك فى جميع الجوارح من الطير وذوات الأربع ، من لِين الرِّيش لذوات الريش .

ولينُ الشَّعْر لذوات الشعِر من عِتاق الخيل علامةٌ صالحة .

قال : وينبغى أن يكونَ الكلبُ شديدَ المنازَعة للمِقْوَدِ والسِّلسلة ، وأن يكونَ العظمُ الذى يلى الجُنْبَيْنِ من عظام الجنبين صغيراً فى قدر ثلاثِ أصابع .

وزعم أنَّهم يقولون : إنّ السُّودَ منها أقلُّها صبراً على البرد والحر ، وإنّ البيضَ أفرَهُ إذا كنَّ سُودَ العيون .

قال : ومن علامة الفَرَه التى ليس بعدها شىء ، أن يكونَ على ساقيه

---

(١) المحزم : موضع الحزام من الدابة . وهى فى الأصل : « المحمل » وليس لها وجه . والرزين : الثقيل .

وعنترة بن شداد قد جعل هذه الصفة أيضا من نعت الفرس الجيد ، قال فى معلقته :

وحشيتى سرج على عبل الشوى نهــد مراكله نبيل المحزم

(٢) فى ط ، م : « ولا يكون فى ركبته إغناء » ، وفى س : « ولا يـكون فى ركبته انحناء » ، وأصلحت العبارة بما ترى من عيون الأخبار (٢ : ٨١) .

أو على إحداهُما(١) أو على رأس الذنب مخلب ، وينبغى أن يُقطَع من السَّاقين ، لئلا يمنعَه(٢) من العدْو .

(خير غذاء للـكلب)

وذكرَ أنَّ خير الأشياءِ التى تُطْعمُها الكلبَ(٣) الخبزُ الذى قد يَبِس ، ويكُونَ الماءُ الذى يُسْقَاه يُصَبُّ عليه شىءٌ من زيت ، فإنَّ ذلك كالقَتِّ(٤) المحض للخيل ، ويشتدُّ عليه عدوُه .

(خير طعام لإسمان الـكلاب)

وقال : خير الطعام فى إسمان الـكلاب رأسٌ مطبوخٌ ، وأكارعُ بشعرها ، من غير أن تُطْعَمَ من عظامها شيئاً . والسَّمنُ إذا طَعِمَ منه قدرَ ثلاثِ سُكُرَّجات(٥) مرَّتَين أو ثلاثَ مَرَّاتٍ فإنَّ ذلك مما يسمِّنه ، ويقال إنَّهُ

---

(١) فى الأصل وكذا فى عيون الأخبار : « أحدهما » . والساق مؤنثة .

(٢) فى ط : « ما يمنعه » وفى س، م : « لا يمنعه » ، وصوابهما ما أثبت . والذى يقطع من الساقين هو المخلب .

(٣) فى الأصل : « تطعمه الـكلاب » .

(٤) فى اللسان والقاموس : « القت الفصفصة » . وقد رجعت فى تفسير « الفصفصة » إلى تذكرة داود الطبيب فوجدته يقول : إنها تعرف فى مصر بالبرسيم اهـ . وفى ط : « كاللفت » وهو تحريف صوابه فى س .

(٥) قال الخفاجى فى شفاء الغليل : « سكرجة بضم السين والـكاف وفتح الراء المشددة ، ومنهم من ضمها والصواب الفتح ، معرب . ومعناه مقرب الخل » وفى اللسان : « إناء صغير يؤكل فيه الشىء القليل من الأدم ، وهى فارسية ، وأكثر ما يوضع فيها الـكوامخ » . وقد ذكر لهـا الإسكافى (فى مبادىء اللغة ٥٧) اسمـا عربيا هو « المصبغة » التى يجعل فيها الصبغ بالـكسر ، أى الإدام .

يُعِيد الهَرِم شابًّا ، حتّى يكونُ ذلك فِى الصَّيدِ وفِى المنظرِ . والعظمُ والثَّرِيدُ من أردإ ما تأكله للعَدْو .

(من علاج الكلب)

وممّا يكونْ غذاءً ومِنْ خيرِ شيءٍ يُدَاوى به الكلبُ من وَجع البطن والديدان ، أن يُطْعَمَ قِطعةَ أَليةٍ وصوفَ شاةٍ معجوناً بسمن البقر ، فإنّهُ ١٧
يُلقِى كلَّ دُودٍ وقَذَرٍ فِى بطنه .

وخير ما يعالج به الحفاَ(١) أن يُدْهَنَ استُه ثلاثَةَ أيَّام ، ويُجَمَّ فيها ولا يستعمَل ؛ أو يمسَحَ على يديه ورجليه القَطِرانُ .

وذُكِرَ عن خزيمة بن طَرْخَان الأسدىّ ، من أهل هَمَذَان(٢) ، أنّه قال : ليس من علاج الكلب خير من أن يُحْقَن .

(كَدِى ، وأكدى ، والكُدْية)

وقال : يقال كَدِىَ الجروُ يكدَى كَدًى(٣) وهو داءٌ يأخذ الجراء خاصَّةً ، يصيبُها منه قىءٌ وسعال ، حتَّى تكوَى بينَ عينيها(٤) . ويقال أكدَى

(١) فى الأصل : « للحفا » ، وفى عيون الأخبار (٢ : ٨١) : « وإذا حفى دهنت استه » والحفا : رقة القدم .

(٢) فى الأصل : « همدان » » ، وهمدان : قبيلة يمنية . وإنما هو« همذان » بلد بديع الزمان.

(٣) ط : «كداء» وتصحيحه من س والمخصص ٨ : ٨٢ .

(٤) مب : « يكوى بين عينيه » .

الرجلُ إكداء : إذا لم يظفَر بحاجته . والكُدْيَة من الأرض : ارتفاعٌ فى صلابة . ويقال فى الماء : حفَرَ فأكدى .

(علاج الكلاب لأنفسها)

وزعم صاحبُ المنطق أنَّ الكلابَ إذا كان فى أجوافها دُود ، أكلت سنبلَ القمح فتبرأ .

وزعم أنَّ الكلابَ تمرض فتأتى حشيشةً(١) تعرفُها بعينها ، فتأكل منها فتبرَأ .

(عداوة بعض الحيوان لبعض)

وزعم صاحب المنطق أنَّ العُقابَ تأكلُ الحيَّاتِ ، وأنَّ بينَهما عداوةً ؛ لأنَّ الحيَّةَ أيضاً تَطلبُ بيضَها وفراخها .

قال : والغُداف يقاتل البُومة ، لأنَّ الغُدافَ يَخْطِف بيضَ البومة(٢) نهاراً . وتشدُّ البومةُ على بيض الغُداف ليلاً فتأكله ؛ لأنَّ البومةَ ذليلةٌ بالنهار رديَّةُ النظر(٣) ، وإذا كانَ ٱللَّيلُ لم يَقْوَ عليها شىءٌ من الطير . والطير كلُّها تعرِف البومةَ بذلك وصنيعَها [بالليل(٤)] ، فهى تطير حولَ البومةِ(٥) وتضربُها وتَنْتِف ريشها . ومن أجْلِ ذلك صارَ الصيَّادُون ينصِبونَها للطير(٦) .

والغداف يقاتل ٱبنَ عِرْسٍ ؛ لأنه يأكل بيضَه وفراخَه(٧) .

(١) هذا ما فى مب . وفى سائر النسخ : « أن الكلاب تأتى حشيشة » .
(٢) مب : « والغداف يخطف بيض البومة » فقط .
(٣) فى مب : « البصر » .
(٤) ط : « وضيعها فإذا رأيتها » وتصحيحه من س ، ومب .
(٥) ط : « حولها البومة » وصوابه فى س ، ومب .
(٦) مب : « ولحرصها ذلك صار الصياد ينصب للطير بالبومة » .
(٧) هذا الصواب من مب . وفى سائر النسخ : «ليأكل بيضه وفراخه » .

قال : وبين الحِدَأة والغُداف قتالٌ ؛ لأنَّ الحِدأة تخطِف بيضَ الغُداف ؛ لأنَّها أشدُّ مخالبَ وأسرَعُ طيراناً .

وبين الأُطْرُغُلَّة(١) والشَّقْرَاق(٢) قتال ؛ لأنَّه يقتل الأُطْرُغُلَّة(١) ويُطالبها(٣) .

وبين العنكبوت والعَظَاية(٤) عداوة ، والعَظاية تأكل العنكبوت .

وعصفور الشَّوك يعبَثُ بالحمار ، وعبَثه ذلك قتَّال له ؛ لأنَّ الحمارَ إذا مَرَّ بالشَّوك وكانت به دَبَرَة(٥) أو جَرَبٌ تحكَّكَ بِهِ ، ولذلك متَى نَهق الحمار سقطَ بيضُ عصفور الشوك ، [وجعلتْ (٦)] فراخُه تخرج من عشّها . ولهذه العِلَّة يطيرُ العصفورُ وراءَ الحِمْار وينقُر رأسه .

والذئب مخالفٌ للثَّور والحمارِ والثعلبِ جميعاً ، لأنَّه يأكل اللحم النِّيء(٧) ولذلك يقع على البقر والحمير والثعالبِ .

---

(١) الأطرغلة : اسم يقع على الدبسية ، والقمرية ، والفاختة المطوقة . انظر القاموس (الأطرغلات) و (صلل) .

(٢) الشقراق بفتح الشين وكسرها : طائر صغير يسمى الأخيل ، وهو أخضر مليح بقدر الحمامة ، وخضرته حسنة مشبعة ، وفى أجنحته سـواد ، والعرب تتشاءم به . وقال الجاحـظ : إنه نوع من الغربان ، وفى طبعه العفة عن السفاد ، وهو كثير الاستغاثة ، إذا ضاربه طائر ضربه وصاح كأنه المضروب . الدميرى .

(٣) فى الأصل : « ويطالبه » .

(٤) قال الأزهرى : هى دويبة ملساء تعدو وتتردد كثيرا ، تشبه سام أبرص ، إلا أنها أحسن منه ولاتؤذى ، وتسمى شحمة الأرض . الدميرى .

(٥) الدبرة بالتحريك : قرحة الدابة والبعير ، والجمع دبر وأدبار ، مثل شجرة وشجر وأشجار . وهى فى ط : « بدرة » ، وصوابها فى س . وانظر نهـاية الأرب ١٠ : ١٧ .

(٦) أحسب هذه الـكلمة ساقطة من الأصل .

(٧) فى الأصل : « النى » ، وإنما هو « النيء » .

وبين الثعالبِ والزُّرَّق[1] خــلافٌ لهذه العلّة ؛ لأنّهما جميعاً يأكلان اللحم .

١٨ والغراب يُخالف الثّورَ ، ويُخالف الحمار جميعاً ، ويطير حولها ، وربّما نَقَرَ عيونَهما . وقال الشاعر :

عَادَيْتَنَا لا زلت فى تَبَابِ عَــدَاوَةَ الحِمَارِ للغُرابِ

ولا أعرف هذا من قول صاحب المنْطِق ؛ لأنَّ الثعلبَ لا يجوزُ أن يُعَادِىَ مِنْ بينِ أحرار الطَير وجَوارِحها الزُّرَّقَ وحدَه ، وغيرُ الزُّرَّق آكِلُ اللَّحم . وإن كان سببُ عداوته له اجتماعَهما على أَكْلِ اللَّحم ، فليُبْغِض العقابَ من الطير ، والذِّئْبَ من ذوات الأربَع ؛ فإنّهما آكَلُ لِلّحم . والثَّعلَبُ إلى أنْ يحسُدَ ما هو [كذلك] أقربُ ، وأولَى فى القياس[2] ، فلو زعم أنّه يَعُمُّ أَكَلَةَ اللّحمِ بالعداوة ، حتّى يُعْطِى الزُّرَّق من ذلك نصيبَه ،كان ذلك أجْوَزَ[3] . ولعلَّ المترجِم قد أساء فى الإخبار عنه .

قال : والحيَّة تقاتل الخنزيرَ ، وتقاتِل ابنَ عِرْس ، وإنّما تقاتلُ ابنَ عِرْسٍ إذْ كان مأواهما فى بيتٍ واحد ، [وتقاتِلُ الخنزير][4] لأنّ الخنزير يأكلُ الحيَّات . ويزعمون أنّ الذى يأكلُ الحيَّاتِ القنافذُ ، والأوعالُ ، والخنازيرُ ، والعِقْبان .

قال : فالحيَّة تعرف هذا من الخنزير ، فهى تُطَالبه .

---

(١) الزرق ، كسكر : طائر يصاد به ، بين البازى والباشق .

(٢) فى الأصل : « والثعلب إلى أن يحسد ماهو أقرب وذلك أولى فى القياس » ، وقد عدلت القول وأكملته بما ترى .

(٣) ط ، م : « أجور » ، والصواب فى س .

(٤) زدت هذه الجملة ليتزن الكلام .

قال : والغراب مصادقٌ للثَّعلب ، والثَّعلبُ مصادقٌ للحيَّة[1] ، والأسد والنمر مختلفان .

قال : وبين الفِيَلةِ اختلافٌ شديد ، وكذلك ذكورها وإناثها ، وهى تَستعمِل الأنيابَ إذا قاتَل بعضُها بعضاً ، وتعتمد بِهاَ على الحيطان فتهدِمُها ، وتزحُمُ النَّخلةَ بجنبها فتَصرَعُهاَ .

(تذليل الفيل والبعير)

وإذا صعُب من ذكورتها شىء احتالوا له حتَّى يكُومَه[2] [ذ كرٌ] آخر ، فإذا كامَهُ خضَع أبداً . وإذا اشتَدَّ خُلُقُه وصعُب عصَبُوا رِجلَيه فسكن .

ويقال إنّ البعيرَ إذا صعُب وخافَه القوم ، استعانوا عليه فَأَبرَكُوه[3] وعَقلوه حتَّى يكومَه فحل آخر ، فإذا فُعلَ ذلك به ذَلَّ !

(الفيل والسنّور)

وأمّا أصحابنا فحكَوا وجوهَ العداوةِ الَّتى بين الفيل والسِّنَّور — وهذا أعجب — وذهبوا إلى فزع الفيل من السِّنَّور ، ولمْ يرَوه يفزَع ممَّا هو أشدُّ وأضخم . وهذا البابُ على خلاف الأوّل ؛كأنَّ أكثرَ ذلك الباب بُنِىَ على عداوة الأكْفاء .

(١) ماعدا مب : « الثعلب . . . الحية » .

(٢) يكومه : يعتليه اعتلاء ذكورة الحيوان لإناثها . والتكملة بعده من مب .

(٣) فى الأصل : « فبركوه » .

(الشاة والذئب)

والشاةُ من الذئب أشدُّ فَرَقا منها من الأسد ، وإن كانت تعلم أنَّ الأسدَ يأكلها .

(الحمام والشاهين)

وكذلك الحمام يَعتريه من الشَّاهينِ ما لا يعتريه من العُقاب والبازى والصقر .

(أعداءُ الفأرة)

وكذلك الفأرة من السِّنَّور ، وقد يأكلها ابْنُ عِرْس . وأكثر ذلك [أن [1]] يقتلها ولا يأكلها . وهى من السِّنَّورِ أشدُّ فرَقاً .

(الثعلب والدجاج)

١٩ والدَّجاجةُ تأكلها أصناف من السباع ، والثعلبُ يطالبها مُطالبةً شديدة ، ولو أنَّ دجاجاً على رفٍّ مرتفع ، أو كُنَّ على أغصان شجرةٍ شاهقة ، ثمّ مرَّ تحتَها كلُّ صِنفٍ ممَّا يأكلها ، فإنَّها تَكونُ مستمسكةً بها معتصمةً بالأغصان التى [هى] عليها . فإذا مرَّ تحتها ابنُ آوى وهُنَّ أُلُفٌ ، لم تَبْقَ واحدةٌ منهنَّ إلاّ رمَتْ بنفسها إليه [2] .

---

(١) هذه الكلمة ليست بالأصل .
(٢) انظر ماسيأتى فى ٦ : ٣٧٦ .

(ما يأباه بعض الحيوان من الطعام)

والسبع لا يأكل الحارَّ ، والسِّنَّور لا يذوقُ الحموضة ، ويَجْزَع من الطَّعام الحارِّ . والله تعالى أعلم .

(ما أشبه فيه الكلب الأسود والإنسان)

ثمَّ رجَع بنا القولُ إلى مفاخر الكلب ، ونبدأ بكلِّ ما أشبه فيه الكلبُ الأُسُودَ والإنسان ، وبشيءٍ من صفات العظَال[١] .

قال صاحب المنطق (فى كتابه الذى يقال له الحيوان ، فى موضعٍ ذكَرَ فيه الأسد) قال : إذا ضربَ الأَسَدُ بمخالبه ، رأيتَ موضعَ آثار مخالبه فى أقدار شرط الحجَّام أو أزيدَ قليلا ، إلاّ أنَّه من داخلٍ أوسعُ خرْزاً ، كأنَّ الجلدَ ينضمُّ على سم مخالبه[٢] ، فيأكل ماهنالك . فأمّا عضَّته فإنَّ دواءها دواءُ عضَّةِ الكلب .

قال : وممَّا أشبه فيه الكلبُ الأسدَ انطباقُ أسنانه . وممَّا أشبَهَ فيه الكلب الأسدَ النَّهَمُ ، فإنَّ الأسدَ يأكل أكلاً شديداً ، ويَمْضَغُ مَضْغاً متداركاً ، ويبتلع البَضْع الكبار[٣] ، من حاقِّ الرغبة[٤] ومن الحرص ،

(١) العظال : الملازمة فى السفاد من الكلاب والجراد وغيره مما ينشب .

(٢) كذا .

(٣) البضع بالفتح ، وكعنب ، وصحاف ، وتمرات : جمع بضعة بالفتح وقد تكسر ، وهى القطعة من اللحم .

(٤) حاق الرغبة : شدتها وصدقها . وفى ط : « خاق » ، وصوابها فى س .

وكالذى يخاف الفوت . ولمّا نازعَ السِّنَّورَ من شَبَهِهِ[1] صار إذا ألقيت له قِطعة لحم فإمّا أنْ يحملها أو يأكلها حيثُ لاتَراه ؛ وإمّا أن يأكلها وهو يكثر التلفُّت ، وإنْ لم يكنْ بحضْرته سِنَّور ينازعُه . والكلبُ يَعَضُّ على العَظمِ ليُرضَّه ، فإنْ مانَعَه شيءٌ وكان مما يُسيغه ، ابتَلَعَه وهو واثق بأنّه يستمريه ويُسيغه .

والنَّهِم يعرِض للحيَّات ، والحيَّة لاتمضَغُ ، وإنما تبتلعُ ذواتُ الرَّاسات[2] ، وهى غير ذوات الأنياب ، فإنّها تمضَغ المضْغة والمضغتين ، وإن ابتلعت شيئاً فيه عظم أتتْ عُودًا شاخصاً فالتوت عليه ، فحطَمت العظم . والحيَّةُ قويّةٌ جدًّا .

قال : والأسد وإن كان ممّا لايفارق الغِياض [و][3] لايفارق الماء فإنّه قليلُ الشرب للماء ، وليس يُلقِى رَجْعَه إلاّ مرةً فى اليوم ، وربّما كان فى اليومين والثلاثة . ورجعُه يابس شديد اليُبْس متعلِّق ، شبيه برجيع الكلب . ويشبهه أيضاً من جهــة أخرى وذلك أنّهما جميعاً إذا بالاَ شَغَرا[4] .

والكلب من أسماء الأسد ، لقرابةِ مابينه وبينَ الكلب .

والكلبُ يُشبه الخنزير ، فإنَّ الخنزير يسمَن فى أسبوع ، وإن جاع أيّاماً ثم شبِع شَبعةً تبيّنَ ذلك تبيُّناً ظاهراً . ألا تراهُ ينزع إلى محاسن الحيوان ، ويُشبه أشراف السباع وكرائم البهائم ؟!

---

(١) ط : « شبه » ، وأثبت مافى س . والمعنى يصح بكل منهما .
(٢) لم أر هذا الجمع إلا للجاحظ . والرأس يجمع على رءوس وأرؤس .
(٣) زدتها ليستقيم الكلام .
(٤) شغر : رفع إحدى رجليه .

(عظال الكلاب)

ويقال : ليس فى الأرض فحلٌ من جميع أجناسِ الحيوان لِذَكَرِه حجمٌ ظاهر إلاَّ الإنسان والكلب . وليس فى الأرض شيئان يتشابكانِ من فَرْط إرادةِ كلٍّ واحدٍ منهما لطباع صاحبه ، حتى يلتحم عضوُ الذكر بعضو الأنثى حتَّى يصير التحامُهما التحامَ الخلقة والبِنْية ، لاَ كالتِحامِ الملامَسَة والملازمة[١] ، إلاَّ كما يُوجَد [من[٢]] التحام قضيبِ الكلب بثَفْر[٣] الكلبة .

وقد يلزَق القُراد ، ويَغْمِس العَلَس[٤] مقاديمه فى جوف اللحم ، حتَّى يُرَى صاحبُ القُراد كأنَّه [صاحِبُ] ثُؤلُول[٥] . وما القُراد المضروبُ به المثلُ فى الالتحام إلاَّ دونَ التحامِ الكلبين . ولذلك إذا ضربوا المثل للمتباضِعين بالسُّيوف ، والملْتَقِيَين للصِّراع ، فالتفّ بعضُهم ببعض ، قالوا :

---

(١) فى الأصل : « كالالتحام الملامسة والملازمة » ، وهو تحريف .

(٢) حرف يتطلبه الكلام .

(٣) فى الأصل : « لثفر » .

(٤) العلس ، بالتحريك : القراد الضخم ، وهى فى الأصل : « العلق » . والعلق : دود أسود وأحمر يكون بالماء يعلق بالبدن ويمص الدم ، وهو من أدوية الحلق والأورام الدموية . كذا قال الدميرى . قلت : ولايزال كثير من العامة بمصر فى زمننا هذا يعالجون أنفسهم به . وليس مراداً هنا .

(٥) الثؤلول : بثر صغير صلب مستدير على صور شتى . وفى الأصل : « حتى يرى صاحب القراد أنه ثؤلول » . والقراد لايصيب الناس ، وهو موكل بالإبل . وانظر القول فى ولوعها بالإبل فى الحيوان ٦ : ٤٣٨ و ٧ : ١٥ .

كأنهم الكِلاب المتعاظِلة[١] . وليس هذا النَّوعُ من السِّفادِ إلاَّ للكلاب .

وزعم[٢] صاحبُ المنطق وغيرُه ، أنَّ الذُّبابَ فى ذلك كالكلب .

(إسماعيل بن غزوان وجارية مويس بن عمران)

وكان إسماعيل بن غَزْوان[٣] قد تعشَّقَ جاريةً كانت لمُوَيْس بن عمران[٤] ، وكانت إذا وقَعَتْ وقعةً إليه لم تمكثْ عندَهُ إلاَّ بقدرِ مايقَعُ عليها ، فإذا فَرَغ لبِستْ خُفَّها وطارت ، وكان إسماعيلُ يشتهى المعاوَدَةَ

(١) من أيام العرب المعروفة يوم العظالى ، وهو يوم بين بكر وتميم ، سمى بذلك لركوب الناس فيه بعضهم بعضاً . وقال الأصمعى : ركب فيه الثلاثة والاثنان الدابة الواحدة . وقيل : سمى بذلك لأنه تعاظل فيه على الرياسة بسطام بن قيس ، وهانئُ بن قبيصة ، ومفروق بن عمرو ، والحوفزان .

(٢) فى الأصل : « فزعم » .

(٣) إسماعيل بن غزوان هذا ممن ردد الجاحظ ذكرهم فى كتابه « البخلاء » ، وكثيرا مايقرنه بسهل بن هارون ، وكان ممسكا شديد البخل ، يحتج للبخل بكلام عجيب ، فمن ذلك قوله للأسخياء : « تنعمتم بالطعام الطيب وبالثياب الفاخرة ، وبالشراب الرقيق ، وبالغناء المطرب ، وتنعمنا بعز الثروة ، وبصواب النظر فى العاقبة ، وبكثرة المال ، والأمن من سوء الحال ، ومن ذل الرغبة إلى الرجال ، والعجز عن مصلحة العيال ، فتلك لذتكم وهذه لذتنا» . (البخلاء ١٣٠) . ومن كلامه : « لاتنفق درهما حتى تراه » (البيان ٣ : ٢١٢) . وكان إسماعيل يوصف بحسن الفهم وجودة الاستماع. (البيان ٣ : ١٦٣) .

(٤) مويس بن عمران ، كان من بخلاء الناس ، وأحد من احتج للبخل ، وهو من معاصرى الجاحظ ، « سئل عنه أبو شعيب القلال ، فزعم أنه لم ير قط أشح منه على الطعام . قيل : وكيف ؟ قال : يدلك على ذلك أنه يصنعه صنعة ، ويهيئه تهيئة من لايريد أن يمس . وكيف يجترئ الضرس على إفساد ذلك الحسن ، ونقض ذلك النظم ، وعلى تفريق ذلك التأليف . فلو كان سخيا لم يمنع منه بهذا السلاح ولم يجعل دونه الجنن ، فحول إحسانه إساءة ، وبذله منعا ، واستدعاءه إليه نهيا » . البخلاء ٥٨ . وفى الأصل : « موسى بن عمران » وإنما هو « مويس » كما فى ستة مواضع من البخلاء ، وكما فى القاموس . وكان مويس من المتكلمين .

وأنْ يُطيلَ الحديث ، ويُريدُ القَرْص والشمَّ والتقبيلَ والتجريد ، ويعلم[1] أنّه فى الكَوْم الثانى والثالث أجدَرُ أن يُنْظَرَ[2] ، وأجدر أن يَشْتَفِى . فكان ربّما ضَجِرَ ويذكرُها بقلبه وهو فى المجلس ، فيقول : ياربِّ امسَخْنِي وإيّاها كلبَين ساعةً من الليل أو النّهار[3] ، حتى يشغَلَها الالتحامُ عن التفكيرِ فى غضَب مولاتِها إن احتَبَسَتْ !!

(من أعاجيب الكلاب)

وفى الكلبة أعجوبةٌ أخرى : وذلك أنّه يسفَدُها كلبٌ أبقعُ وكلب أسودُ وكلب أبيضُ وكلب أصفرُ ، فتؤدّى إلى كلِّ سافدٍ شِكْلَهُ وشِبْهه ، فى أكثر مايكُونُ ذلك .

(تأويل الظالع فى شعر الحطيئة)

وأمّا تأويل (الظالع) فى قول الحطيئة :

تسدَّيتُها مِنْ بَعْدِ مَانَامَ ظَالِعُ الْ ... كلابِ وأخْبَى نارَهُ كلُّ مُوقِدِ[4]

---

(١) فى ط ، س : « وليعلم » ، والوجه ماأثبت من م .

(٢) هو بالبناء للمجهول ، من أنظره بمعنى أمهله . وهو يعنى بذلك المطاولة .

(٣) فى الأصل : « والنهار » ، والوجه ما أثبت .

(٤) تسداها : علاها . ولم أجد هذا البيت فى ديوان الحطيئة برواية السكرى ، وهو فى أمثال الميدانى ١ : ٢٤ برواية : « ألا طرقتنا بعد . . . » . وقال الميدانى : « يضرب مثلا فى تأخير قضاء الحاجة » . والرواية فى اللسان (ظلع) : « تسديتنا » بتاء المخاطب ، وقال : « يخاطب خيال امرأة طرقه » .

قال الأصمعىّ : يظلَع الكلبُ لِبعضِ مايعرض للكلاب ، فلا يمنعه ذلك مِنْ أن يهيجَ فى زمن هَيْج الكلاب ، فإذا رأى الكلبة المستحرِمة(١) لم يطمَع فى معاظلتها والكلابُ منتبهةٌ تنبَح ، فَلاَ يَزَال يَنتَظِرُ(٢) وقتَ فَتْرةِ الكلاب ونومها ، وذلك مِن آخر الليل .

وقال أُحَيْحَة بن الجُلاَح(٣) :

[ياليتَنى ليلةً إذا هَجع الـــنَّاسُ ونام الكلابُ صاحِبُها](٤)

(طردية ثامنة لأبى نواس)

ومِمَّا قِيل فى الكلاب من الرَّجز [قول أبى نواس(٥)] :

---

(١) استحرمت الكلبة : اشتهت .

(٢) فى الأصل : « فلا تزال تنتظر » ! وصوابه ماأثبت .

(٣) كان أحيحة سيد الأوس فى الجاهلية ، وكانت سلمى أم عبد المطلب بن هاشم تحته ، وهى كانت لاتنكح الرجال إلا وأمرها بيدها ، فتركته لشىء كرهته منه فتزوجها هاشم فولدت له عبد المطلب . وكان أحيحة كثير المال شحيحا عليه ، يبيع بيع الربا بالمدينة حتى كاد يحيط بأموالهم ، وكان له تسع وتسعون بئرا . هذا موجز مما فى الخزانة ٣ : ٣٢٧ سلفية والأغانى ١٣ : ١١٤ — ١٢٢ .

(٤) هذا البيت ساقط من الأصل ، وأثبته اعتمادا على مافى الحيوان (١ : ٣٦٨) والخزانة (٣ : ٣٢١ سلفية) والأغانى (١٣ : ١١٥) . والعبارة فى الأصل : « وقال أحيحة بن الجلاح مما قيل فى الكلاب من الرجز » !!

(٥) زيادة يقتضيها الكلام ، وسيتبع الجاحظ هذه الأرجوزة بعبارة « وقال أيضاً » ثم يروى أرجوزتين أخريين لأبى نواس مرويتين فى ديوانه . أما هذه الأرجوزة الأولى فليست مما اختار حمزة بن حسن الأصبهانى .

وفِتية من آلِ ذُهلٍ فى الذرى ... مِن الرَّقاشِيِّينَ فى أعْلى العُلا (١) ٢١
بِيضٍ بِهاليلَ كرامِ المُنْتَمَى ... باتُوا يَسِيرون إلى صُوحِ اللوى (٢)
ينفُون عن أعيُنِهِمْ طِيبَ الكَرَى ... إلاّ غِشاشاً بعد ما طال السُّرى (٣)
يعدين إبلاء الفتى على الفتى (٤) ... حتى إذا ما كوكبُ الصُّبح بدا
مَاجُوا بغُضْفٍ كاليَعاسيب خَساً (٥) ... ثلاثةٍ يقطعن حُزَّان الصُّوَى (٦)

(١) قال أبو الفرج فى الأغانى ٢٠ : ٧٣ : « بنو رقاش ثلاثة نفر ينسبون إلى أمهم ، واسمها رقاش . وهم مالك ، وزيد مناة ، وعامر ، بنو شيبان بن ذهل ابن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل » . ويدور فى الكتب ذكر الفضل بن عبد الصمد الرقاشى ، وهو شاعر أديب ، وليس من الرقاشيين بل هو من مواليهم . الأغانى ١٥ : ٣٤ . وقد لج الهجاء بينه وبين أبى نواس ، انظر الديوان ص ١٧٦ - ١٧٩ وتاريخ بغداد ١٢ : ٣٤٥ والبخلاء ١٩١ . وفى هجو أبى نواس للرقاشيين نعت قدورهم بالنظافة والبياض والصغر حتى ضرب بها المثل فقيل « قدر الرقاشى» . انظر ثمار القلوب ٤٩١ ، والوساطة ٣١٧ . ولا مناقضة بين رفع أبى نواس من شأن الرقاشيين فى هذا الرجز ، وهجوه إياهم أقذع الهجاء ؛ فأبو نواس لايكاد أحد من أصحابه يسلم من هجائه ، والفضل الرقاشى هذا كان من خلطائه ونداماه، كما فى أخبار أبى نواس لابن منظور ١٢٨ - ١٣٣.

(٢) الصوح : جمع صاحة ، وهى الأرض لاتنبت شيئاً . واللوى : ماالتوى من الرمل . وفى س ، م :

* باتوا بعيران إلى صوح اللوى *

(٣) الغشاش : النوم القليل ، والسرى : سير عامة الليل . (٤) كذا .

(٥) ماجوابها : جعلوا يعدون بها بين ارتفاع وانخفاض ، فيكون لذلك شبه الموج ، أو لعل صوابها « هاجوا » بمعنى ثاروا . وأبو نواس يستعمل هذه الكلمة فى مثل هذا الموضع : قال فى طردية له سبقت فى هذا الجزء من الحيوان ص ٤٠

* هجنا بكلب طالما هجنا به *

وقال فى طردية أخرى بالديوان ٢٠٧ :

* هجنا به وهاج من نشاطه *

وقال فى غيرها بالديوان ٢٢٢ :

* هجنا به فهاج للنزال *

واليعاسيب : جمع يعسوب ، وهو أمير النحل . وشبههن باليعاسيب فى دقة خصورهن . وخسا : أى فردا ، أراد عددا فرديا ، فسره بالثلاثة فى البيت بعده . وفى اللسان : وتخاسى الرجلان : تلاعبا بالزوج والفرد ، يقال خسا أو زكا : أى فرد أو زوج ؛ وروى شواهد الكميت ورؤبة .

(٦) الحزان بضم الحاء وكسرها : جمع حزيز ، وهو الأرض الصلبة الغليظة المرتفعة قليلا =

رحيبةِ الأشداقِ غضْفٍ فى دَفاً(١) تَلوى بأذناب قليلات اللِّحا(٢)
سَمَعْمَعاتِ الضُّمْر من طُول الطَّوَى(٣) من كلِّ مَضْبُورِ القَرَا عارى النَّسا(٤)
مُحَمْلَجِ المتنين مَنْحُوضِ الشَّوى(٥) شَرَنبَثِ البُرْثُنِ خَفّاقِ الحشا(٦)

= وقال أبو نواس من طردية سبقت له ص ٢٣ :

فسمونا للحزيز به فدفعناه على أظب

والصوى : ماغلظ من الأرض وارتفع ولم يبلغ أن يكون جبلا . وفى ط : « تقلص حزان الصوى » . وقلص فى جميع صوره واشتقاقاته فعل لا يتعدى ، فصوابه ماأثبت من س ، ومب .

(١) رحيبة : واسعة ، وفى ط ، م : « وحيبة » وفى س : « رجيبة » تحريف ماأثبت من مب . والغضف : جمع الأغضف ، وهو المسترخى الأذن . وهى فى الأصل : « عصف » ، صوابه فى مب . والدفا : إقبال إحدى الأذنين على الأخرى حتى تكاد أطرافهما تماس فى انحدار قبل الجبهة . وهى فى الأصل : « وقا » ، وفى مب : « رفا » ولا وجه له . ولأبى نواس فى مثل هذا المعنى قوله (ص ٣٠ من هذا الجزء) :

* أدفى ترى فى شدقه تأخيرا *

(٢) ألوت الكلاب بأذنابها : حركتها . واللحا : مقصور اللحاء . وعنى به هنا مايحيط بعظم الذنب من اللحم . وانظر الحيوان ٢ : ١٦٨ .

(٣) السمعمع : الخفيف اللحم . و « الضمر » أى بسبب الضمر . والطوى : الجوع . وكان العرب يجوعون كلاب الصيد ليكون ذلك أضرى لها . قال امرؤ القيس :

مغرثة زرقا كأن عيونها من الذمر والإيحاء نوار عضرس

مغرثة : مجوعة . وقال عبدة بن الطبيب كما فى المفضليات ١٣٩ :

يشلى ضوارى أشباها مجوعة فليس منها إذا أمكن تهليل

(٤) المضبور : المكتنز اللحم . والقرا : الظهر من مركب العنق إلى علوة الذنب . والنسا ، قال ابن قتيبة : عرق يستبطن الفخذين حتى يصير إلى حافر الدابة ، فإذا هزلت الدابة ماجت فخذاها فخفى ، وإذا سمنت انفلقت فخذاها فجرى بينهما واستبان كأنه حية . ومثل ذلك فى اللسان عن الأصمعى .

(٥) يقول : هو مكتنز اللحم الذى يكتنف صلبه ، كما أنه قليل لحم اليدين والرجلين .

(٦) الشرنبث : الغليظ . والبرثن : الكف مع أصابعها . وخفاق الحشا : ضامر البطن .

تخالُ منه القصَّ من غيرِ جَنأً(١) مَسَنَّتًا صَفواء فى حَيدىْ صَفَا(٢)
يلتهب الغائطُ مِنْهُ إن عدا(٣) يُقادح المرْوَ وشَذّان الحَصاَ(٤)
حتَّى إذا استسحَرَ فى رَأْدِ الضُّحى(٥) بمربَإٍ أوْفَى به على الرُّبا(٦)
أرانباً من دونها سِربًا ظِبا(٧) نواشزاً من أنَسٍ إلى خَلاَ(٨)

---

(١) القص والقصص : الصدر أو عظمه . والجنأ : انكباب الصدر إلى الظهر .

(٢) المسنة : اسم مكان من السن بمعنى الصب . مب : « مشبتا » ، وفى سائر النسخ : « مسنة » والوجه ماأثبت من الجمع بينهما . الصفواء : الملساء . وهى فيما عدا مب : « صفراء » ، تحريف . وأبو نواس حين شبه صدر الكلب فى صلابته وملاسته بالمسنة الصفواء ، نظر إلى امرئ القيس فى تشبيهه متن فرسه بالصفواء ، إذ يقول فى معلقته :

كميت يزل اللبد عن حال متنه كما زلت الصفواء بالمتنزل

ماعدا مب : « جيد صفا » تحريف . والحيد ، بوزن سهم : ماشخص من الجبل . والصفا : الحجارة الملساء .

(٣) الغائط : المطمئن الواسع من الأرض . و « منه » هى فى ط ، م : « من غد » ، وهو تحريف . وفى س موضع هذه الكلمة بياض ، وإثباته من مب .

(٤) المرو : حجارة بيض براقة تورى النار ، والكلب يقادح المرو : أى يجعل بعضه يحك بعضاً فتظهر لذلك نار . وشذان الحصى ، بالفتح وتشديد الذال : ماتطاير منه . ولأحمد بن زياد بن أبى كريمة فى مثل هذا المعنى :

إذا افترشت خبتا أثارت بمتنه عجاجا وبالكذان نار الحباحب

وقول أبى نواس أشرف وأقوى .

(٥) ماعدا مب : « استحس » وهو تحريف لا وجه له . ورأد الضحى : الوقت بعد انبساط الشمس ، وارتفاع النهار .

(٦) المربأ : المرقب . والربوة : ما ارتفع من الأرض ، جمعها « ربا ». وأوفى به على الربا : أشرف عليها . والبيت فى الأصل محرف ، فهو فى ط :

* مر بأوفى علم به الربا *

وفى س ، م : « بمربأ أوفى به على الربا » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٧) « أرانبا » هو مفعول « استسحر » .

(٨) نشز من المكان : خرج منه . وفى ط ، م : « نواشطا » . والوجه فيه ما كتبت . وفى مب : « نواشرا » ، وهو تحريف . والأنس بالتحريك : الجماعة الكثيرة ، أو الحى المقيمون . والخلا : مقصور الخلاء . يقول : لما أحس الصيد بقرب الأنس منه ، عن له أن يخلص بنفسه إلى الخلاء ، فنشط إلى ماحسبه مأمنا له .

فوضَى يُدَعْثِرنَ أفاحيصَ القطا[1] لَعلَعنَ واستلْهثْنَ من غيْرِ ظما[2]
مبالغاتٍ في نَهيمٍ وصأَى[3] كأَنَّما أعينُها جمر الغَضى[4]
ثمَّ تطَلّعنَ معًا كالبرقِ لا في الأرض يَهوِينَ ولا لوح الهوا[5]
كأَنّها في شَرطها لما انبرى[6] كواكبُ يُرمَى الشّياطِينُ بها

(١) فوضى : متفرقات أو مختلط بعضها ببعض . يدعثرن : يهدمن ويفسدن . وأفاحيص القطا : جمع أفحوصة ، وهى مجثم القطاة تضع فيه بيضها ، يكون فى التراب ، سمى بذلك ، لأنها تفحصه أى تبحثه وتحفره . والأفحوص خاص بالقطاة ، قال ابن سيده : وقد يكون الأفحوص للنعام .

(٢) يقول : قد أدلعت هذه الكلاب ألسنتها وأخرجتها ، فعل الظمآن ، وما بها من ظمأ ، وإنما هو فرط رغبتها فى الصيد .

(٣) النهيم : الصوت . وفى اللسان : « صأى الطائر ، والفرخ ، والفأر ، والخنزير ، والسنور ، والكلب ، والفيل ، بوزن صعى ؛ يصأى صئيا وصئيا — أى بفتح الصاد وكسرها مع تشديد الياء — وتصاءى أى صاح » وزاد فى القاموس صئيا بضم الصاد ، إذ جعله مثلث الصاد . ولم أجد فيهما « الصأى » .

(٤) الغضى : شجر دائم الخضرة ينبت بالرمل . وجمره — أى ناره — بطيئة الانطفاء . ومن نعت الكلب الجيد أن يكون أزرق العين ، والزرقة : الخضرة فى سواد العين . أما نعتها بالحمرة ، كما فى هذا البيت ، وكما فى قول امرئ القيس :

مغرثة زرقا كأن عيونها من الذمر والإيساد نوار عضرس

ونوار العضرس أحمر قانئ . وكما فى قول أحمد بن زياد بن أبى كريمة :

تدير عيونا ركبت فى براطل كجمر الغضى خزرا ذراب الأنايب

وقول أبى نواس أيضاً :

كأنما يطرف من بين الهدب بجمرتى نار بكف مختضب

فليس يتنافى مع وصفها بالزرقة ، فإنما تلك الحمرة فى بياض العين لا فى سوادها وتزداد الحمرة وتشتد حينما يهاج الكلب ويغرى بالصيد .

(٥) فى ط : « فى أرض يهوى » وصوابه فى س ، م ، مب . وفى اللسان : « اللوح بالضم : الهواء بين السماء والأرض . وقال اللحيانى : هو اللوح ، واللوح لم يحك فيه الفتح غيره » . جعلها فى عدوها كأنما تسبح فوق سطح الأرض ، فلا هى تمس أديم الأرض ، ولا هى تعلو فى الجو ، يخيل ذلك للناظر من شدة سرعتها وهذا تصوير دقيق عجيب .

(٦) فى ط ، م : « من شرطها » ، صوابه فى ش ، ومب .

يذْمَرْنَ بالإيسادِ ذَمْرًا وَأَيَا(١) حتى إذا ما كنَّ منهنَّ كهَا(٢)
دارتْ عليهنّ من الموت رَحَى تجذبهنّ بحديدات الشَّبا(٣)
شَوَامِذٌ يلعَطْنَ مَعْبُوط الدِّما(٤) بين خليع الزَّورِ مرضُوضِ الصَّلاَ(٥)
وبينَ مفْرِيِّ النِّياطِ قد شَصَا(٦) كأنَّه مبتهـلٌ إذا دَعا

---

(١) ذمر الكلب : حضه على الصيد . ماعدا مب : « يدمرن » ، وهو تحريف. والإيساد : إغراء الكلب بالصيد ، وفى ط : « بالإيسار » وهى على الصواب فى س ، م ، مب . و « ذمرا » هى فى الأصل : « زمرا » وصوابه ماأثبت . و « أيا » كلمة يزجر بها . وفى مب : « من مرباوبا » .

(٢) « كها » بمعنى مثلها . ودخول الكاف على مثل هذا الضمير ضرورة شعرية . انظر سيبويه ١ : ٢٧٤ والخزانة ٤ : ٢٧٤ بولاق .

(٣) الشبا : جمع شباة ، وهو الحد . ماعدا مب : « مخربين ومحدين » .

(٤) شوامذ : رافعات أذنابها من شدة المرح والنشاط . وقد جاءت هذه الكلمة فى ط برسم « نوامذ » ؛ وفى مب : « شوامدا » . وهو تحريف صوابه فى س ، م . و « يلعطن » من اللعط وهو اللحس ؛ ولم أجد نصا صريحا لمعنى هذه الكلمة ؛ إلا مايفهم من عبارة القاموس فى مادة (لعط) قال : « وكقعد : كل مكان يلعط نباته أى يلحس » . وأما « اللطع » بتقديم الطاء فقد صرح ابن منظور والفيروزبادى بأنه اللحس . وهى فى ط ، م : « يطلعن » وفى مب : « ينطقن » ولا وجه له ؛ والوجه ماأثبت من س . والدم العبيط والمعبوط : الطرى اللين .

(٥) الزور : وسط الصدر ؛ أو ماارتفع منه إلى الكتفين ؛ أو ملتقى أطراف عظام الصدر حيث اجتمعت . وفى جمهور النسخ : « الروض » ولا وجه له ، وفى مب : « حريق الروق » . وأبو نواس فى طردية أخرى يقرن بين الزور والعجب — والعجب أصل الذنب . والصلا المذكور فى البيت : مكتنفا الذنب — قال أبو نواس :

حتى انثنى مختضبا وما اختضب من مغرز الزور إلى عجب الذنب

(٦) مفرى : مشقوق . ماعدا مب « مغرى » محرفة . والنياط : القلب ؛ أو العرق من العروق الرئيسة . وشصا : قطعت رجله فارتفعت مفاصله . وفى ط ، م : « فلسطا » ، وفى س : « سطا » ، وكلاهما تحريف ماأثبت من مب .

ومائلِ الفَوْدَيْنِ مجلوز القَفا(١)   يُقْفِينَ بالأكبادِ منها والكُلَى(٢)

٢٢ * وبالقلوبِ وكَرَادِيس الطُّلَى(٣) *

(طردية تاسعة لأبى نواس)

وقال أيضاً :

لمَّا تَبَدَّى الصُّبْحُ من حِجَابِه   وانعدلَ الليلُ إلى مآبِه

خرَّطه القانصُ واغتدَى به(٤)   فى مِقودٍ يَرْدَعُ من جذَابه(٥)

يَعُزُّهُ طورًا على استصعابِه(٦)   وتارةً ينصبُّ لانصِبابه

كأنَّما يفترُّ من أنيابِه   عن مُرهَفات السِّنِّ من حِرابِه(٧)

يَرْثِمُ أنفَ الأرضِ فى ذَهابِه(٨)   حتَّى إذا أشرَفَ مِنْ حِدَابِه(٩)

---

(١) الفودان : جانبا الرأس . والجلز : الطى ، أو اللى ، أو المد ، أو النزع . و « القفا » هى فيما عدا مب : « القنا » تحريف ؛ وفى مب : « محلوق القفا » .

(٢) يقفين ، من قولهم : أقفاه بطعام : آثره به . ش ، م : « يقعر » ، وفى ط : « يعقر » ؛ صوابهما فى مب .

(٣) الكردوس ، بضم الكاف والدال : كل عظمين التقيا فى مفصل . وفى س ، م : « كواديس » محرفة صوابها فى ط ، مب . والطلى : جمع طلية بالضم ، أوهى العنق أو أصلها .

(٤) خرطه : أرسله .

(٥) جذابه : جذبه . وفى الأصل : « جدابه » ؛ والوجه ماأثبت .

(٦) سبق شرح هذا البيت ومابعده فى ص ٤٠ من هذا الجزء .

(٧) عنى بالمرهف السيف القاطع . ماعدا مب : « عن مرهف ألس » تحريف . ط ، م : « من جرابه » صوابه فى ش ، ومب .

(٨) رثم أنفه : كسره ؛ وعنى أن الكلب يقشر وجه الأرض من شدة عدوه .

(٩) أشرف : علا شرفا ، أى مكانا مرتفعا . والحداب بالكسر ، والأحداب كذلك : جمع حدب بالتحريك ؛ وهو الأكمة ، أو ما ارتفع وغلظ من الأرض .

بعد انحدار الطَّرْف وانقلابِه ... بروضةِ القاعِ إلى أعجابِه (١)
أرسَلَهَ كالسَّهْمِ إذْ غالَى بِه (٢) ... يكادُ أن ينسَلّ من إهابه (٣)
كَلَمَعانِ البرقِ فى سَحابِه ... حتَّى إذا ما كادَ أو حَدَا بِه (٤)
وانصاتَ للصَّوتِ الذى يُدْعَى به (٥) ... كأنَّما أُدْمِجَ فى خِضابِه (٦)
مابين لَحْيَيـه إلى أقْرَابِه (٧) ... مشَهَّر الغُدُوِّ فى إيابه (٨)

(١) القاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام . وروضة القاع : الموضع الذى يجتمع إليه المـاء فيكثر نبته . وأعجاب القاع : أطرافه ونهاياته ، مفرده عجب بالفتح . و « بروضة » هى فى ط : م : « بروضته » ، والصواب فى س ، ومب .

(٢) الرواية فى الصناعتين ص ٨٠ :

* أرسله كالسهم إذ غلا به *

يقال غلا بالسهم ، وغالاه ، وغالى به : رمى به أبعد ما يقدر عليـه . فالروايتان صحيحتان .

(٣) ينسل من إهابه : يخرج من جلده . قال العسكرى فى الصناعتين : مأخوذ من قول ذى الرمة :

لايذخران من الإيغال باقية ... حتى تـكاد تفرى عنهما الأهب

وقول كثير :

إذا جرى معتمداً لأمـه ... يكاد يفرى جلده عن لحمـه

(٤) فى ط : « حارابه » وفى س ، م : « حادى به » ، صوابهما فى مب .

(٥) انصات للصوت : أجابه . ماعدا مب : « فانصاع » .

(٦) ماعدا مب : « إحصابه » ، وإنما المراد خضابه من دماء الصيد .

(٧) الأقراب : جمع قرب بالضم وبضمتين ، وهو الخاصرة ، أو من الشاكلة إلى مراق البطن .

(٨) المشهر : المعروف المتعالم . ماعدا مب : «مستهتر الغدوة » تحريف .

(طردية عاشرة لأبى نواس)

وقال أيضاً(١) :

ماالبرقُ فى ذِى عارضٍ لَمّاحِ(٢) ولاانقضاضُ الكوكبِ المُنْصَاحِ(٣)
ولا انبتاتَ الدَّلو بالمتّاحِ(٤) ولا انسيابُ الحُوتِ بالمُنْدَاحِ(٥)

---

(١) هذه الطردية مثبتة فى ديوان أبى نواس ٢١٦ . وقبلها سبعة أشطار منها لم يروها الجاحظ ، وهى :

قد أغتدى فى فَلَق الإصباحِ
بمطعَم يوجر فى سراحِ
مؤيَّدٍ بالنَّصْرِ والنَّجاحِ
غذته أظآرٌ من اللِّقاحِ
فهو كميشٌ ذَرِبُ السِّلاحِ
لا يسأمُ الدَّهْرَ من الضُّباحِ
منجَّـذٌ يأشَرُ للصِّياحِ

الـكميش : السريع . والذرب : الحاد . والضباح : الصياح ، وهو فى الأصل للثعلب . والمنجد والمنجذ أيضاً : المجرب ، بتشديد الراء المفتوحة . يأشر للصياح : ينشط عند صياح الصائد به .

(٢) العارض : السحاب يعترض الأفق .

(٣) المنصاح : المستنير .

(٤) انبتات الدلو : انقطاع حبلها . والمتاح : الذى ينتزع الدلو .

(٥) المنداح : عنى به البحر الواسع . وبدل هذا الشطر مع سابقه فى مب :

* إلا انثناء الحوت بالمنداح *

حين دناَ من راحةِ السَّبَّاحِ(١) أَجدَّ فى السُّرعةِ من سِرياحِ(٢)
يَكادُ عِنْدَ ثَمَلِ المِرَاحِ(٣) إذا سَمَا الخاتلُ للأَشْباحِ(٤)
يَطيرُ فى الجوِّ بلا جَنَاحِ(٥) يفترُّ عن مِثْلِ شَبَا الرِّماحِ(٦)
فكَمْ وكَمْ ذِى جُدَّة لَيَاحِ(٧) وناَزِبٍ أعْفَرَ ذى طِماحِ(٨)

---

(١) أى حين قرب من كف السابح . و « حين » هى فيما عدا مب : « حتى » ، وقوة المعنى تستدعى « حين » ، إذ المراد سرعة الحوت حين يشتد فى فراره من يد السابح . و « السباح » هى كذلك فى س ، م والتيمورية . وفى ط : « السياح » وفى مب : « الممتاح » محرفة ، وهذا الشطر والشطر قبله هما فى الديوان اثنان فحسب ، والرواية فيه هكذا :

ولا انبتاتُ الحَوْأبِ المنداحِ
حين دنا من راحة المتَّاحِ

والحوأب المنداح : الدلو الواسع .

(٢) سرياح بالكسر : اسم كلب ، وهى فى الأصول : « سرباح » بالباء ، وتصحيحه من الديوان والقاموس مادة (سرح) .

(٣) « يكاد » فيما عدا مب « فكاد » ، والوجه ما أثبت مطابقاً للديوان . والثمل ، بالتحريك : السكر ونشوته. ماعدا مب : « نمل » محرفة . والمراح بالكسر : النشاط والأشر ، وهى فى الأصل : « المزاح » ، ولا وجه له ، والصواب ماأثبت من مب ، والديوان .

(٤) سما للصيد : خرج طالباً له يتعين شخوصه . والخاتل : الخادع . ماعدا مب : « أرى الخاتل » وفى مب : « سنا الخايل » ، وفى الديوان: « سما الخايل » ولعل الوجه ماأثبت . والأشباح : الشخوص ، يعنى شخوص الصيد .

(٥) الجو : الهواء. مب : « جو » ماعدا مب : « الجد » والصواب من الديوان .

(٦) شبا الرماح : حدودها، جمع شباة .

(٧) الجدة: الخطة السوداء فى متن الحمار . واللياح ، كسحاب وكتاب : الأبيض .

(٨) النازب : عنى به الظبى ، والنزيب : صوته . والأعفر من الظباء : مايعلو بياضه حمرة ، أو الذى فى سراته حمرة وأقرابه بيض ، أو الأبيض ليس بالشديد البياض .والطماح بالكسر : الجماح .

* غادَرَهُ مضرَّجَ الصِّفاحِ[١] *

بـاب آخر فى الـكلب وشأنه ٢٣

(تفسير بعض ما قيل من الشعر فى الـكلاب)

قال طُفيلٌ الغَنَوىّ :

أناس إذا ما أنـكر الـكلبُ أهْلَهُ حَمَوْا جارَهُمْ مِن كُلِّ شنْعاءَ مُظْلِـع[٢]

يقول : إذا تـكفَّروا فى السِّلاح لمْ تَعْرِفْهُم كلابُهُم .

ولم يَدَّعِ بجميعُ أصحابِ المعارفِ إلَّا أنَّ الـكلبَ أشدُّ ثِباتاً[٣] ، وأصدقُ حِسًّا . وفى ذلك يقول الآخر :

فلا تَرفَعى صوتاً وكُونى قَصِيَّةً إذا ثَوَّبَ الدَّاعِى وأنكَرَنِى كَلْبِى[٤]

يقول : إيّاكِ والصُّراخَ[٥] إذا عايَنْتِ الجيش .

---

(١) يقول : تركه مضرج الجوانب بالدم .

(٢) هذا البيت رواه أبو على فى الأمالى (١ : ٥٥) بهذه الرواية : مطابقا لديوانه ٢٨ :

أناس إذا ما أنـكر الـكلب أهله حموا جارهم من كل شنعاء مضلع

قال أبو على : « ويروى مفظع » قال: ومضلع: شديدة ، يقال أضلعنى الأمر: إذا اشتد على وغلبنى اهـ . وقال فى اللسان ، ولم يرو البيت : « وداهية مضلعة تثقل الأضلاع وتكسرها » . فيظهر أن ماهنا عن س ، م رواية ثالثة فى البيت ، وفى ط : « تطلع » وهى ظاهرة التحريف . و « مظلع » : تجعل صاحبها يظلع : أى يعرج . وجاء فى الحديث : « الحمل المضلع ، والشر الذى لاينقطع ، إظهار البدع » فقال ابن الأثير : « ولو روى بالظاء من الظلع : العرج والغمز ، لـكان وجها » . و « الشنعاء » قال أبو على : هى الداهية المشهورة .

(٣) مب : « ولم يدع ذكر جميع». وحسبت أن « ثباتا » محرفةعن « إثباتا » — والإثبات بمعنى المعرفة — ثم وجدت فى القاموس واللسان : « وثابته وأثبته : عرفه حق المعرفة» . فـكلمة « ثباتا » مصدر « ثابته » كما أن « إثباتا » مصدر « أثبته » .

(٤) القصية : البعيدة . والداعى : الذى يدعو الناس إلى القتال . ثوب : دعا مرة بعدأخرى . ماعدا مب : « صوت » .

(٥) ماعدا مب : « الصياح » .

وقوله : « أنكرنى كلبى » ، يخبر أنَّ سلاحَهُ تامٌّ من الدِّرع والمِغْفَر والبَيضَة[1] . فإذا تكفّر بسلاحه أنكره كلبُه فنبحَه[2] .

وأمَّا قوله :

إذا خَرِس الفَحل وسطَ الحُجورِ[3]   وصاحَ الكلابُ وعُقَّ الوَلَد

فأمَّا قوله : إذا خرِسَ الفحل ، فإنَّ الفحلَ إذا عايَن الجيشَ وبوارِقَ السيوف ، لم يلتفت لِفتْ الحُجورِ[3] .

وأمَّا قوله : وصاح الكلاب ، فإنَّ الكلابَ فى تلك الحالة تنبَح أربابَها كما تنبح سَرَعَانَ الخيل إليهم[4] ؛ لأنّها لا تعرفهم من عدُوِّهم .

وأمَّا قوله : وعُقَّ الولد ، فإنّ المرأةَ إذا صبَّحتهم الخيل ، ونادى الرجال يا صباحاه ! ذُهِلت عن ولدها ، وشغَلها الرُّعبُ عن كلِّ شيء . فجعَلَ تَركها احتمالَ ولدها والعطفَ عليه فى تلك الحالة ، عقوقاً منها ، وهو قولهُم : نزلتْ بهم أمور لا يُنادَى وليدُها[5] ، وإنَّما استعاروا هذه الكلمة فصيَّروها فى هذا الموضعِ من هذا المكان .

وقد ذكر ذلك مزرِّد بن ضِرَارٍ وغيرُه ، فقال :

---

(١) المغفر، كمنبر وسحاب وكتابة : زرد يلبس تحت البيضة ويغطى العنق ، وقيل حلق يتقنع به المتسلح . والبيضة : غطاء حديدى للرأس .

(٢) تكفر بسلاحه : دخل فيه فاستترت هيئته، ماعدا مب : « فينبحه » .

(٣) ماعدا مب : « الحجون » ، وهو تحريف صوابه ما أثبت . والحجور كالحجورة والأحجار : جمع حجر بالكسر ، وهى الأنثى من الخيل .

(٤) سرعان الخيل بالتحريك : أوائلها ، وقد يسكن .

(٥) وقال أبو عبيد : معناه أمر عظيم لاينادى فيه الصغار ، وإنما يدعى فيه الكهول والكبار . وقال الكلابى : هذا مثل يقوله القوم إذا أخصبوا وكثرت أموالهم ، فإذا أهوى الصبى إلى شىء ليأخذه لم ينه عن أخذه ، ولم يصح به ، لكثرته عندهم . الميدانى (٢ : ٣١٢ أ) . وقال أبو العميثل : الصبيان إذا رأوا شيئاً عجيبا تحشدوا له ، مثل القراد والحاوى ، فلا ينادون ولكن يتركون يفرحون . أدب الكاتب ٤٨ — ٤٩ .

تَبَرَّأْتُ مِن شَتْمِ الرجالِ بتوبةٍ إلى اللهِ مِنِّي لا يُنادَى وَلِيدُها[1]

وقال الآخر :

ظَهَرتُم على الأحرار من بَعْدِ ذِلَّةٍ وشِقْوَةِ عَيشٍ لا يُنادَى وَلِيدُها[2]

٢٤ والذى يُخرِسه إفراطُ البَرد ، وإلحاحُ المطر ، كما قال الهذلىُّ[3] :

وليلةٍ يَصْطَلى بالفَرْثِ جَازِرُها يَخْتَصُّ بِالنَّقَرَى الْمُثْرِينَ دَاعِيها[4]

لا يَنْبَحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ من الصَّقِيعِ ، ولا تَسْرِى أفاعيها

وقال ابن هَرْمة :

واسألِ الجارَ والمعصِّب والأضيا فَ وَهْناً إذا تحيَّوْا لديَّا[5]

كيف يَلقَونَنى إذا نبَحَ الكلـ ـبُ وراءَ الكُسورِ نَبحاً خَفِيَّا

وقال آخر :

إذا عمىَ الكلبُ فى دِيمة وأخرسهُ اللهَ مِن غيرِ صِرّ[6]

يقول : الكلبُ وإن أخرَسَه البردُ الذى يكون مع المطر والرِّيح التى تمرُّ[7] بالصَّحارى المطيرة فتَبرُدُ ، فإنَّ الكلب وإن ناله ذلك فإنَّ ذلك من خِصبٍ ، وليس ذلك من صِرّ[8] .

---

(١) مثل هذه الرواية فى اللسان (وله) مع النسبة إلى ضرار . والبيت فى الميدانى (٢ : ٣١٣) غير منسوب ، والرواية فيه هكذا :

فأقصرت عن ذكر الغوانى بتوبة إلى الله منى لاينادى وليدها

(٢) ومن هذا المعنى ماأنشده الميدانى (٢ : ٣١٣) من قول الآخر :

لقد شرعت كفا يزيد بن مزيد شرائع جود لاينادى وليدها

(٣) هو جنوب أخت عمرو ذى الكلب. ديوان الهذليين (٣: ١٢٦) . وقد سبق فى ١ : ٣٨٨.

(٤) يقال دعا النقرى : إذا خص بدعوته ، والجفلى : إذا عم فى دعوته .

(٥) سبق الكلام فى هذا الشعر بالجزء الأول ص ٣٨٨ .

(٦) الديمة : المطر الدائم . والصر : البرد الشديد . وهذا البيت فى الأصل مقحم ظلماً . بين بيتى « تبرأت من شتم الرجال » و « ظهرتم على الأحرار » فى أول هذه الصفحة . فرددته إلى موضعه الطبيعى ، والكلام الآتى خاص بمعنى هذا البيت .

(٧) ط : « تمطر » والوجه ماأثبت من س .

(٨) قد يرى القارئ تناقضا فى هـذا القول ، وليس به ، وبخاصة إذا عرف أن الصر أقوى من البرد .

(نبح الكلاب السحاب)

والكلب إذا ألحّت عليه السحائب بالأمطار فى أيام الشتاء لقىَ جِنّة[1] فمتى أبصرَ غيماً نبحه ؛ لأنّه قد عرَف ما يُلقّى من مِثله . وفى المثل : « لَا يَضُرُّ السَّحَاب نُبَاحُ الكلاب[2] » ، فقال الشاعر :

ومالىَ لا أغْزو وللدَّهر كرَّة   وقد نَبحتْ نحوَ السماءِ كلابُها

يقول : قد كنت أدَعُ الغَزْو مخافةَ العطش على الخيل والأنفس ، فما عُذرِى اليوم والغُدرانُ كثيرة ، ومَناقع المياه موفورة[3] .

والكلابُ لاتنبَح السحاب إلّا من إلحاح المطر وترادُفه .

وقال الأفوه الأودِىّ ، فى نبح الكلاب السحاب ، وذلك من وصف الغيم :

له هَيْدَبٌ دانٍ ورعْد ولَجّةٌ   وبرق تراهُ ساطعاً يتبلّجُ[4]
فباتَت كلاب الحىِّ ينبَحْنَ مُزْنَهُ   وأضْحَتْ بَناتُ الماءِ فيها تعمَّجُ[5]

---

(١) الجنة : الجنون . وواضح أن هذا القول غير القول الأول ، فلعل وجه الكلام « وقيل : الكلب إذا ألحت عليه السحائب . . . » الخ .

(٢) المثل عند الميدانى (٢ : ١٤٨) وقال : « يضرب لمن ينال من إنسان بما لايضره » .

(٣) فى الأصل : « موجودة » ، وما كتبت أشبه بالكلام .

(٤) الهيدب : السحاب المتدلى ، أو ذيله . واللجة ، بالفتح : الجلبة .

(٥) تعمج : تسبح فى الماء أو تتثنى . وهذا مافى س . وفى ط : « تمعج » أى تلتوى وتتثنى . وبنات الماء عنى بها السمك . وهناك ضرب من السمك يسمى « بنات الماء » وهو عجيب الخلقة — زعموا — وليس يريده الشاعر . انظر الدميرى .

(قول أبي حيّة النميريّ في الكلب)

وقال أبو خالد النميريّ : وذكروا(١) فرعون ذا الأوتاد عند أبي حيَّة النميريّ ، فقال أبو حيَّة : الكلبُ خير منه وأحزم ! قال : فقيل له كيف خَصَصْتَ الكلبَ بذلك ؟ قال : لأنَّ الشاعر يقول :

وماليَ لا أغْزُو وللدَّهرِ كَرَّةٌ ... وقد نبحت نحوَ السماءِ كلابُها

وقال الفرزدق :

فإنّك إن تهجو حنيفةَ سادرًا ... وقبلك قد فاتوا يَدَ المتناوِلِ(٢)

كفِرعَوْنَ إذ يرمى السَّماءَ بسهمِهِ ... فرُدَّ عليه السهم أفوقَ ناصِلِي(٣)

فهذا يرمي السماءَ بجهله ، وهذا ينبَح السحابَ من جَوْدَة فِطنته .

(تعصّب فهد الأحزم للكلب)

وزعم فهدٌ الأحزم(٤) أنّ الكلبَ إنّما عَرَف مخرَج ذلك الشيء المؤذي له حتّى نبحه بالقياس ، لأنّه إنما نبَحه بعد أن توالى عليه الأذى من تلك الجهة . وكان فهد(٥) يتعصَّب للكلب ، فقلت له : وكذلك الحمار

(١) في الأصل : « وذكر » ، والوجه ماأثبت .

(٢) لم أجد البيتين في ديوان الفرزدق . وفيهما إقواء .

(٣) س : « ناصل » . ط ، م : « ناضل » صوابهما من التنبيه على الحماسة لابن جني (مصورة معهد المخطوطات) عند قول الحماسي : * كساق الجرادة أو أحشى * والسهم الأفوق : المكسور الفوق بالضم ، وهو موضع الوتر من السهم . والناصل : الذي خرج سهمه . قال ابن جني : «أي أفوق ناصليا » .

(٤) هذا ما في س . وفي م : « الأخرم » موضع « الأحزم » وفي ط : « فهذا جزم » وهو تحريف ظاهر .

(٥) ط : « وكان فهذا » ، وهو تحريف ما في س و م .

إذا رفعت عليه السّوط مرَّ من تحتك مَرًّا حثيثاً . فالقياس عَلَّمَهُ(١) أنّ السّوط متى رُفِع حُطّ ، ومتى حُطّ أصابَه ، ومتى أصابه ألمَ . فما فضْلُ الكلب فى هذا الموضوع على الحمار ، والحمارُ هو الموصوف بالجهل ؟ !

(مما قيل فى نباح الكلاب)

قال الفرزدق :

وقد نَبَحَ الكلابُ السحابَ ودُونَها مَهامِهُ تَعْشِى نَظْرَةَ المتأمِّلِ

وقال الآخر :

مالَكَ لاتَنبحُ يا كَلْبَ الدَّوْمْ قد كنتَ نَبَّاحًا فما بالُ اليَوْمْ

قال : كان هذا رجلٌ ينتظر عِيرًا له تَقدَمْ ، فكان إذا جاءت العِيرُ نبح ، فاحتبست عليه العيرُ ، فقال كالمتمنِّى وكالمنتظر المستبطىْ : مالك لاتنبح ؟ أى ماللعيرِ لاتأتى .

(فراسة إياس بن معاوية فى الكلاب)

وقال : خرج(٢) إياس بن معاوية ، فسمع نُباح كلب فقال : هذا كلبٌ مشدود . ثم سمع نباحَه فقال : قد أُرسِل . فَانتهوْا إلى الماء فسألوهم فكان كما قال . فقال له غيلان أبو مروان(٣) : كيفَ علمتَ أنّه موثَق وأنَّه أُطلق؟قال :

---

(١) فى الأصل : « علم »

(٢) فى الأصل : « حج » .

(٣) قال ابن النديم فى شأنه :« وقد استقصيت خبره فى مقالة المتكلمين فى أخبار المرجئة. ولرسائله مجموع نحو ألفى ورقة » . والظاهر أن ابن النديم لم يف بوعده أو لعل كلامه ضاع فيما سقط من الكتاب ، وقد عده فى الكتاب المترسلين بعد عبد الحميد الكاتب . وقد قرنه الجاحظ فى البيان بابن المقفع وسهل بن هارون وعبد الحميد (البيان ٣ : ٢٩) . وهو القائل : « إذا أردت أن تتعلم الدعاء فاسمع دعاء الأعراب » البيان ٢ : ١٦٤ . وقد أثبت له ابن قتيبة نموذجا من رائع كلامه فى عيون الأخبار ٢ : ٣٥٤ . وانظر ترجمته فى المعارف ٢١٢ وآراءه فى « الفرق بين الفرق » .

كان نباحُه وهو موثَق يُسمَع من مكانٍ واحد ، فلما أُطلِق سمعتُه يقرُب مرّةً ويبعُد مرّةً ، ويتصرَّفُ في ذلك .

وقالوا : مرَّ إياس بنُ معاويةَ ذاتَ ليلةٍ بماء ، فقال : أسمَعُ صوتَ كلبٍ غريب . قيل له : كيفَ عرفتَ ذلك ؟ قال : بخُضوع صوتِه وشِدّة نُباح الآخر . فسألوا فإذا هو غريب مربوطٌ والكلابُ تنبَحه .

(استطراد لغوىّ)

وقال بعض العلماء : كلب أبقَع ، وفرس أبلَق ، وكبش أملح[1] ، وتيسٌ أبرق ، وثور أشْيَه[2] .

ويقال كلب وكلاب وكَليب ، ومَعْز وماعِز ومَعيز . وقال لبيد :

٢٦ فبِتْنَا حيثُ أمسَيْنَا قَرِيباً على جَسَدَاءَ تَنْبَحنا الكليبُ[3]

---

(١) الأملح : الأبيض يخالط لونه سواد . وفى س : « أخرج » وهما بمعنى ، وجاء فى فقه اللغة ص ٥٧ مايأتى : « فصل فى تقسيم السواد والبياض على مايجتمعان فيه : فرس أبلق ، تيس أخرج ، كبش أملح ، ثور أشيه ، جبل أبرق ، آبنوس ملمع ، سحاب أنمر ، أفعوان أرقش ، دجاجة رقطاء » .

(٢) لا تجد هذه الكلمة فى مادة « شيه » أو « شوه » وإنما هى من مادة « وشى » . قال فى اللسان : « والشية سواد فى بياض أو بياض فى سواد ، الجوهرى وغيره : الشية كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره ، وأصله من الوشى ، والهاء عوض من الواو الذاهبة من أوله ، كالزنة والوزن ، والجمع شيات . ويقال ثور أشيه ، كما يقال : فرس أبلق ، وتيس أذرأ » .

(٣) « جسداء » قال ياقوت : بالتحريك والمد ، ويروى بضم الجيم . وفى القاموس : « جسداء » وضبطت بالقلم فقط بفتح الأول . وهو موضع ببطن جلذان ، وجلذان : موضع قرب الطائف . وفى الأصل : « جسدين » وهو تحريف صوابه فى الديوان ص ٤٩ ومعجم البلدان . و « تنبحنا » هى فى الأصل : « تتبعنا » وصوابها فى المصدرين السابقين . وروايته فى معجم البلدان و اللسان (ثأد ، فرم) « الكلاب » ، صوابه ماهنا وهو مافى الديوان ٢٤٩ و نوادر أبى زيد ص ٦٨ . و بعده فى النوادر والديوان :

نقلنا سبيهم صرما فصرما إلى صرم كما نقل النصيب

وقال عَلْقَمَة بن عَبَدة(١) :

وتُصْبِحُ عن غِبِّ السُّرَى وكأَنَّها مُوَلَّعَةٌ تخشى القَنِيصِ شَبُوبُ(٢)
تَعَفَّقَ بالأَرْطى لها وأرادَها رجالٌ فبَذَّتْ نَبْلَهمْ وكَلِيب(٣)

وقال عُبادة بن مُحَبَّرٍ السعدى(٤) :

فَمَنْ للخَيلِ بَعْدَ أبى سرَاجٍ إذا ما أشنج الصِّرُّ الكَلِيبا(٥)

وهؤلاء كلهم جاهليّون .

---

(١) من قصيدته المشهورة التى اختارها المفضل الضبى فى المفضليات ٣٩١ — ٣٩٦ . وهى فى الديوان ص ١٣١ من خمسة دواوين العرب . وهذه القصيدة مدح بها علقمة الحارث الوهاب ، سيد بنى غسان وملك الشام ؛ وهى وقصيدة أخرى عرضهما علقمة على قريش فى عامين متتاليين فقالوا : هاتان سمطا الدهر . ومطلعها :

طحا بك قلب فى الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

(٢) يقول : هذه الناقة فى نشاطها بعد سراها الليل ؛ كأنها بقرة وحشية تتوثب نشاطا .

(٣) أبو حنيفة : « الأرطى : هو شبيه بالغضى ، ينبت عصيا من أصل واحد يطول قدر قامة » اهـ . يقول : قد لاذ هؤلاء الرجال بالأرطى من المطر والبرد . كذا فى اللسان . وعندى أنهم لاذوا بالأرطى لتحين الفرصة لصيدها . وبذت نبلهم : سبقت سهامهم .

(٤) فى ط : « عباد بن مجبر » وفى م : « عباد بن بحير » وفى س : « عباد بن مجير » وصوابها ما أثبت من نوادر أبى زيد ٦٩ . وهو فيما روى أبو زيد : « عياذ ابن محبر » ؛ وصححه أبو حاتم فى روايته بما كتبت . وعبادة هذا : شاعر جاهلى كما فى النوادر .

(٥) « الصر » بمعنى البرد الشديد كما فى النوادر ؛ وهى فى الأصل : « الضر » . و « أشنج » هى فى النوادر « أجـأ » ؛ وفى س : « أشجا » ؛ وهـذه تحريف مافى النوادر .

(رأى حمّوية الخريبى فى بقع الكلاب وسودها)

وقال حمُّويَة الخُرَيْبى (١) وأنشَدُوه (٢) :

كَأَنَّكَ بالمُبَارَكِ بَعْدَ حينٍ تَخُوض غِماره بُقْع الكِلَابِ (٣)

وأنشدوه :

أرسلت أُسْدًا على سُودِ الكلاب فقدْ أَمْسَى شريدُهُمُ فى الْأَرْضِ فُلّالا (٤)

فقال : لاخير فى بُقْع الكلابِ ألبتة ، وسُود الكلاب أكثرها عَقُورًا.

(خير الكلاب والسنانير)

وخيرُ الكِلاب ما كان لونُه يذهب إلى ألوان الأسد من الصُّفْرةِ والحُمرَة . والتبقيع هُجْنة .

وخيرُ السنانير الخَلَنْجيَّة ، وخير كلاب الصَّيد البيض .

قالوا : إنّ الأَسَدَّ لِلهراشِ الحُمر والصُّفر ؛ والسُّودُ لِلذِّئاب ، وهى شرُّها ،

---

(١) الخريبى : نسبة إلى الخريبة : موضع بالبصرة . وفى ط : الخرسى » وفى س : « الحربى » ، وصوابهما ماأثبت من م .

(٢) فى الأصل : «وأنشدنى » ، وسياق الكلام يطلب ما أثبت .

(٣) المبارك : نهر بالبصرة احتفره خالد القسرى لهشام بن عبد الملك . والغمار : جمع غمر بالفتح ، وهو الماء الكثير ، وفى ط ، م : « عمارة » ، وهو تصحيف صوابه فى س ، ومعجم البلدان . وقد سبق هذا البيت فى الجزء الأول ص ٢٦١. وبقع الكلاب : جمع أبقع ، وهو ماخالط بياضه سواد .

(٤) سبق الكلام فى هذا البيت بالجزء الأول ص ٢٦٢ .

وقال النبي صلى ٱلله عليه وسلم : « لولَا أنّ الكلابَ أُمّةٌ من الأممِ لأمَرْتُ بقتلها . ولكن اقتلوا منها كلَّ أسودَ بَهيم » .

(القوّة فى السُّود من الحيوان)

وكلُّ شيءٍ من الحيوان إذا اسودَّ شعرُه أو جلدُهُ ، أو صوفه ، كان أقوَى لبَدَنه ولم تكن[1] معرفته بالمحمودة .

(خير الحمام)

وزعم[2] أنّ الحمام الهُدَّاءَ[3] إنما هو فى الُخضرِ والنمر[4] ، فإذا اسودَّ الحمام حتَّى يدخل فى الاحتراقِ صارَ مثلَ الزِّنجىِّ الشديدِ البطش ، القليل المعرفة . والأسوَدُ لايجىء من البعد ؛ لسوء هدايته . والأبيض وما ضرَبَ فيه البياض لايجىء من الغاية ، لضَعْف قواه . وعلى قدر ما يعتريه من البَياض يعتريه من الضّعف .

---

(١) فى الأصل : « ولا تكن » . وانظر ١ : ٢٦٢ .

(٢) لعله : « وزعم مثنى بن زهير » ، وقد كان أخبر الناس بالحمام ، والجاحظ يروى عنه كثيرا فيما يختص بالحمام .

(٣) كذا فى المخصص ٨ : ١٧٠ وقال : « الواحد الهادى » : ويقال هـداه فاهتدى وهدى أيضاً : أى صار مهتديا . وهذه الكلمة فى الأصل رسمت هكذا « الهدا » . وقد سبقت فى الجزء الأول ص ٩٧ برسم « الهـدى » كما سيأتى فى الجزء الثالث ص ٢١٣ ، ٢١٧ . ويظهـر أن القصر والمد لغتان جائزتان فيها . وهى من الجمع الشاذ ، فإن فاعلا معتل الياء لايجمع على « فعل » بضم الفاء وتشديد العين ، ولا « فعال » بالضم وتشديد العين ؛ وإنما قياسه أن يجمع على « فعلة » بضم الفاء وفتح العين كقضاة ورماة ، فى قاض ورام . التوضيح ٢ : ٢٢٤ — ٢٢٥ . قال ابن سيده : « وهن اللائى يدربن ويرفعن من مرحل إلى مرحل حتى يجئن من البعد من بلاد الروم وعريش مصر ودون ذلك ، من مواضع كثيرة مسماة » . وأقول : هو حمام الزجل أو الزاجل . وانظر له الحيوان ٣ : ٢١٢ — ٢٢٧ .

(٤) النمر : أجمع أنمر ، وهو مافيه نمرة بيضاء وأخرى سوداء .

فالكلب هو الأصفر والأحمر ، والحمام هو الأخضر والأنمر ، والسِّنَّور هو الخَلَنْجيُّ العسَّال ، وسائر الألوان عيب .

وقد يكون فيها ومنها الخارجيُّ[1] كما يكون من الخيل ، ولكنّه لايكادُ ينجب ، ولا تعدُو الأمورُ المحمودةَ منه رأسَه ، وقد يكون ربّما أشْبَهَ وقرب من النَّجابة ؛ فإذا كان كذلك [كان][2] كهذه الأمهات

٢٧ والآباء المُنجبة[3] ، إلّا أنّ ذلكَ لايتمُّ منها إلّا بَعْدَ بطون عِدَّةٍ .

(استطراد لغوى)

وقال أبوزيد : قال ردَّاد[4] : أقول للرجُلِ الَّذِي إذا ركب الإبلَ فَعَقَرَ ظُهُورَها من إتعابه ، هذا رجل مِعْقَرٌ ، وكذلِك السَّرْج والقَتَب ، ولا يقال للكلب إلّا عقُور . ويقال هو ضِرْوٌ للكلب الضارى على الصيد ؛ وضروة للكلبة[5] ، وهذا ضِراءٌ كثيرة ، وكلب ضارٍ ، وكلاب ضَوَارٍ . وقد ضرِيتْ أشدَّ الضراوة . وقال ذو الرُّمَّة :

مقزَّع أطلس الأطمارِ ليس له إلّا الضِّراءَ وإلا صَيْدَها نَشَبُ[6]

وقال طفيل الغنوى :

---

(١) الخارجى : المجهول النسب .

(٢) زدتها ليستقيم الكلام .

(٣) فى الأصل : « المستنجبة » .

(٤) هو رداد الكلابى . من فصحاء العرب المشهورين الذين سمع منهم العلماء ، ذكره ابن النديم فى الفهرس ٤٧ ليبسك ، ٧٠ مصر .

(٥) فى الأصل : « وضروة الكلبة » .

(٦) المقزع : السريع الخفيف . وأطلس الأطمار : خلق الثياب . والنشب : المال ناطقه وصامته . وقد عنى ذو الرمة بقوله صفة صائد يصيد بالكلاب . والبيت أنشده صاحب اللسان فى ثلاثة مواضع (قزع ، طلس ، ضرو) .

تُبارى مَرَاخيها الزِّجاجَ كأَنَّها ضِرَاءٌ أَحسَّتْ نَبأةً من مكلِّبٍ [(١)]

ومنه قيل : إناء ضار [(٢)]

وقد قال عمر رضى الله تعالى عنه : « إيَّاكُم وهذهِ المجازِرَ فإنَّ لها ضرَاوَةً كضرَاوَةِ الخمر [(٣)] » .

وقال الأصمعىّ : كلب أبقَعُ وكلبةٌ بقعاء، وفرس أبلقُ وفرس بَلقاء ، وتَيس أبْرَقُ وعَنْزٌ بَرْقاء ، وكذلك جَبَل أبرقُ وكساءٌ أبرق وكلب أبرق .

---

(١) سبق الكلام على هذا البيت فى الجزء الأول ص ٢٧٦ . وفى ط : « الدجاج » مكان « الزجاج » وتصحيحه من س ومما سبق فى الجزء الأول . ونحوه قول المثلم البلوى فى المؤتلف والمختلف ١٨٢ :

تبارى مراخيها الرياح كأنها ضراء دوان من جداية حلب

(٢) جاء فى اللسان : « وفى حديث على كرم الله وجهه : أنه نهى عن الشرب فى الإناء الضارى ، هو الذى ضرى بالخمر وعود بها ، فإذا جعل فيه النبيذ صار مسكراً ، وأصله من الضراوة وهى الدربة والعادة » . و « إناء » هى فى الأصل : « أتاء » وهو تصحيف كما رأيت . . . وكما يقال « إناء ضار » يقال « سقاء ضار باللبن » أى باق فيه أثر اللبن ، فإذا وضع فيه لبن حديث اكتسب منه طعماً ورائحة خاصة . ويقال « جرة ضارية بالخل والنبيذ » كذلك .

(٣) المجازر : مواضع الجزارين التى تنحر فيها الإبل وتذبح البقر والشاة وتباع لحمانها . قال فى اللسان : « وإنما نهاهم عنها لأنه كره لهم إدمان أكل اللحوم . وجعل لهـا ضراوة كضراوة الخمر : أى عادة كعادتها ؛ لأن من اعتاد أكل اللحوم أسرف فى النفقة ، فجعل العادة فى أكل اللحوم كالعادة فى شرب الخمر ، لما فى الدوام عليها من سرف النفقة والفساد » . وقال الجوهرى فى الصحاح : « قال الأصمعى : المجازر يعنى ندى القوم ، وهو مجتمعهم ، لأن الجزور إنمـا تنحر عند جمع الناس » . وقال ابن الأثير فى النهاية : « نهى عن أماكن الذبح لأن إلفها ومداومة النظر إليها ومشاهدة ذبح الحيوان ، مما يقسى القلب ويذهب الرحمة منه ، وقيل إنما أراد بالمجازر إدمان أكل اللحوم ، فكنى عنها بأمكنتها » .

(الغلام الشاعر)

وقال ابن داحة [١] : نزل عندنا أعرابيٌّ ومعه ابنان له صغيران ، وكان أحدهما مستهترًا [٢] باللَّعب بالكلاب ، وكان الآخر مسْتَهْتَرًا [٢] بالُحملان ، فقال الأعرابيُّ لصاحب الكلب :

مالى أراكَ مع الكلاب جَنِيبةً ... وأرَى أخاكَ جَنِيبةَ الُحمْلان [٣]

قال : فردَّ عليه الغلام :

لولا الكلابُ وهَرْشُها مَنْ دُونَها ... كَانَ الوقيرُ فَريسةَ الذُّؤبانِ [٤]

والوقير : اسم للغنم الكثيرةِ السائمةِ مع ما فيها مِنَ الحمير وغير ذلك [٥] .

وقال الشماخُ بنُ ضرَارٍ :

فأوْرَدَهُنَّ تَقْرِيباً وشَدًّا ... شرَائعَ لم يكدِّرْها الوَقيرُ [٦]

---

(١) لم أعثر على ترجمة له . وقد ذكره الجاحظ فى البيان ١ : ٨٤ باسم إبراهيم بن داحة مع جماعة من الرجال ، ثم قال : « وهؤلاء جميعا من مشايخ الشيع » أى الشيعة ، وهو فى الأصل بالراء . وأثبت مافى البيان والحيوان ٢ : ١٥٣ .

(٢) استهتر بالشئ — بالبناء للمجهول — : أولع به ، فهو مستهتر . وفى الأصل : « مشتهرا » من الشهرة . وهو تحريف .

(٣) الجنيبة : الدابة تقاد . وعنى بقوله استهتاره بالحملان .

(٤) الهراش : تحريش الكلاب . . . فى ط : « فراسة لذئاب » وفى م : « فراسة الذؤبان » وصوابهما ، ماأثبت من س .

(٥) فى اللسان : « قال الرمادى : دخلت على الأصمعى فى مرضه الذى مات فيه ، فقلت يا أبا سعيد ، ماالوقير ؟ فأجابنى بضعف صوت فقال : الوقير الغنم بكلبها وحمارها وراعيها . لايكون وقيرا إلا كذلك » فهذا يفسر ماعنى الجاحظ .

(٦) عنى حماراً من حمر الوحش ، قد تقدم جماعة الحمر ليوردها الماء الصافى ، وهو فى ذلك يعدو ويشتد فى عدوه . وحمر الوحش من الحيوانات التى تعتقد الرياسة لأحدها . انظر الحيوان ٥ : ٤١٩ .

(مما قيل من الشعر فى نفع الكلاب)

وقال الشاعر — فى تثبيت ما قال الغلام — :

تَعدُو الذِّئابُ على مَنْ لا كلابَ له   وتتَّقى صَوْلَةَ المُسْتَأْسِدِ الضارى[1]

وقال الآخر :

إنَّ الذئاب تَرَى مَنْ لا كلاب له   وتتّقى حَوْزَةَ المستثْفِرِ الحامِى[2]

(عفّة عمر بن أبى ربيعة وابن أبى عتيق) ٢٨

وقال محمَّد بن إبراهيم : قَدِمَت امرأة إلى مَكَّةَ ، وكانتْ ذات جمالٍ وعَفافٍ وبَراعةٍ وشارة ، فأعجبَتِ ابن أبى ربيعة ، فأرْسَل إليها فخافت شِعْرَه ، فلما أرادت الطَّوافَ قالت لأخيها : اخْرُج معِى . فَخَرَجَ معَها ، وعَرَضَ لها عُمر فلمَّا رأى أخاها أعْرَض عنها ، فأنشدت قولَ جَرِير[3] :

تعْدُو الذِّئاب على مَنْ لا كلاب له   وتَتَّقى حَوزَةَ المستأسِد الضّارى[4]

---

(١) كذا فى ط ، م . وفى س : « مربض المستثفر الحامى » .

(٢) الاستثفار ، أن يدخل الإنسان إزاره بين فخذيه ملويا ثم يخرجه فيشد طرفيه فى حجزته ، وذلك حين الصراع . وفى ط ، م : « المستشفر » وتصحيحه من س .

(٣) كذا ، ومثله فى الأغانى ١ : ٣٥ . والخبر فيه عن الهيثم بن عدى وفيه بسط وزيادة .

(٤) والخبر كذلك فى عيون الأخبار ٤ : ١٠٩ عن محمد بن على . ورواية البيت فيه :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له   وتتقى مربض المستأسد الحامى

والبيت برواية ابن قتيبة هذه منسوب إلى النابغة ، كما فى اللسان وحماسة البحترى ٢٦٤ وشرح الأشعار الستة الشنتمرى مخطوطة دار الكتب من قصيدة مطلعها :

قالت بنو عامر خالوا بنى أسد   يابؤس للجهل ضرارا لأقوام

وفى س : « وتتقى حوزة المستثفر الحامى » . والبيت فى شعر الزبرقان بن بدر أيضاً كما فى المؤتلف والمختلف ص ١٢٨ . قال يونس : « هو للنابغة : أظن الزبرقان استزاده فى شعره كالمثل » ، انظر المزهر ١ : ١١٠ .

هذا حديثُ أبي الحسن ، وأمّا بنو مَخْزومٍ فيزعُمونَ أنّ ابن أبي رَبيعةَ لم يَحُلَّ إزارَه على حَرامٍ قطُّ ، وإنما كان يذهب فى نسيبه إلى أخلاقِ ابن أبي عَتيق ؛ فإنَّ ابن أبي عَتيقٍ كان مِن أهل الطَّهارة والعفاف ، وكان مَن سمعَ كلامَه توهَّم أنّه من أجرإ الناس على فاَحشة .

وما يُشبِه الذى يقولُ بنو مَخزومٍ ماَذكروا عن قريش والمهاجرين ؛ فإنّهم يقولون : إنّ عمرَ بن عبد الله بن أبي ربيعة إنّما سُمِّى بعمر بن الخطّاب[1] وإنّه ولد ليلةَ ماَتَ عمر . فلما كان بعد ذلِك ذكروا فسادَ هذا وصلاحَ ذلِك فقالوا : أيُّ باطِلٍ وُضع ، وأيُّ حقٍّ رُفع ! !

ومثلُ هذا الكلامِ لايقاَلُ لمن يُوصَف بالعفّة الثابتة .

(وصية شريح لمعلم ولده)

ولبُغض[2] المُزاح فى لعب الصبيان بالكِلاب واستهتارِهم بها ، كَتَبَ شريح إلى معلِّمٍ ولَدٍ له كان يَدَع الكُتّابَ وَيَلعب بالكلاب[3] :

تَرَكَ الصَّلاة لأكلبٍ يَلهو بها طَلَبَ الهِراشِ مع الغُوَاة الرُّجَّسِ[4]

---

(١) ط : « يسمى » ، والوجه مافى س .

(٢) فى الأصل : « لبعض » ، والوجه ماأثبت .

(٣) الأبيات الآتية فى ثمار القلوب ١٧٣ ، وعيون الأخبار ٢ : ١٦٧ ، والعمدة ١ : ١٧ والعقد ١ : ٣٦٣ والمحاسن للبيهقى ٢ : ٢١٦ والشريشى ٢ : ٣٨١ .

(٤) فى المراجع : « يسعى بها » موضع « يلهو بها » . وفى الثمار أيضاً : « نحو الهراش » وفى العقد : «طلب الهراش» .

وليأتينَّك غادياً بصحيفةٍ يَغْدُو بها كصحيفة المتلمِّسِ[(١)]
فإذا خلوتَ فعَضَّه بمَلَامَـةٍ أو عِظْه مَوعِظةَ الأديبِ الأكيس[(٢)]
وإذا هممت بضربِهِ فبِدِرَّةٍ وإذا ضرَبت بها ثلاثاً فاحْبِس[(٣)]
واعلمْ بأنّك ما فعلت فإنَّه مَعَ مَا يُجَرِّعُنى أعزُّ الأنفُس[(٤)]

وهذا الشعر عندنا[(٥)] لأعشى بنى سُليم فى ابنٍ له . وقد رأيتُ ابنه هذا شيخاً كبيراً ، وهو يقُول الشعر[(٦)] وله أحَاديثُ كثيرةٌ طريفة .

(١) هذا البيت لم يروه ابن عبد ربه ولا ابن قتيبة فى كتابيهما . وصحيفة المتلمس مثل فى الشؤم . وأصله أن المتلمس ، وابن أخته طرفة بن العبد ، كانا ينادمان عمرو ابن هند ، فنمى إليه أنهما يهجوانه ، فاحتال لقتلهما بأن دفع إلى كل منهما كتابا إلى عامله بالبحرين ، وأوهمهما أنهما بالكتابين يحصلان على الجوائز ، فمضيا حتى إذا كانا بنهر الحيرة مرا على غلمان يلعبون ، فأما المتلمس فدفع كتابه إلى غلام فقرأه ففهم منه الشر الذى أضمره الملك ، وألقى كتابه فى المـاء ، وأما طرفة فقد لعب برأسه الطمع فاحتفظ بكتابه ، ومضى بكتابه إلى العامل ، فقادته إلى الحين رجلاه .

(٢) فى عيون الأخبار فقط : « فإذا خلوت » . وفى الثمار فقط : « فحضه بملامة » . وأما الشطر الثانى للبيت فهو فى الثمار : « وأنله موعظة اللبيب » ، وفى العيون : « وعظنه وعظك للأريب » ، وفى العقد : « وعظنه موعظة الأديب » .

(٣) الدرة بالكسر : السوط ، كما فى المصباح . وهى فى ط : « بذرة » محرفة وصوابها فى س والمراجع المتقدمة . وفى الأصـل أيضاً : « وإذا ضربت به » والضمير عائد إلى « الدرة » فالصـواب ماأثبت من الثمـار . وفى العقـد : « وإذا بلغت ثلاثة لك » ، وفى العيون : « وإذا بلغت بها ثلاثا » ، وفى الشريشى : « وإذا بلغت به ثلاثا » .

(٤) « فإنه » هى فى معظم المراجع : « فنفسه » . وما هنا سائغ لابأس به .

(٥) ط فقط : « عندى » .

(٦) ط : « بشعر » وصوابه فى س ، م .

(من دلائل كرم الكلب)

وقال صاحب الكلب : وممَّا يدلُّ على قَدْرِ الكلب كثرةُ[1] مايجرى على ألسنةِ النَّاس من مَدْحِه بالخير والشرّ ، وبالحمد وبالذمّ ، حتَّى ذكر فى القرآن مَرَّةً بالحمد ومَرَّةً بالذمّ . وبمثل ذلك ذكِر فى الحديث ، وكذلك
٢٩ فى الأشعار والأمثال ، حتى استُعمل فى الاشتقاقات ، وجرى فى طريق الفأل والطِّيَرة ، وفى ذكر الرؤيا والأحلام ، ومع الجِنّ والحِنّ[2] والسِّباع والبهائم . فإن كنتمْ إنَّما قضيتمْ عليهِ بالشر وبالنقص ، وباللّؤم وبالسقوطِ لأنّ ذلك كلّه قد قِيلَ فيهِ ، فالذى قِيلَ فِيهِ من الخير أكثرُ ، ومن الخصال المحمودةأشهرُ .

ولَيْسَ شيءٌ أجمعَ لخصال النقص من الْخمول ؛ لأنَّ تلك الخصالَ المخالِفةَ لذلك ، تُعطى من النَّباهةِ وتُقيم من الذكر على قَدْرِ المذْكورِ من ذلِك . وكما لاتكون الخِصاَل التى تُورث الخمول مورثةً للنباهة فكَذلك[3] خِصَال النّباهة فى مجانبة الْخمول ؛ لِأَنَّ الملومَ أفضلُ من الخامل :

(١) ط : «كثيرا» ، والصواب فى س ، م .

(٢) قالوا : الحن : ضعاف الجن .

(٣) ط : «كما لا تكون . . . فلذلك» ، والتعديل من س .

(الترجمان بن هريم والحارث بن شريح)

وسمع التَّرجمانُ بن هُرَيْم[1] [عند يزيد بن عمر[2]] بن هبيرة ، رجلاً يقول : ما جاء الحارث بن شريحٍ بيومِ خَيْرٍ قَطّ. قال التَّرجمان : إلا يكنْ[3] جاء بيومِ خَيرٍ فقد جاء بيومِ شرٍّ[4] .

(سياسة الحزم)

وبعدُ فأيُّ رئيسٍ كان خيرُهُ محضاً عَدِمَ الهَيْبَةَ . ومَن لم يَعْمَل بإقامة جزاءِ السيئة والحسنة ، وقتل فى موضع القتل ، وأحْيَا فى موضع الإحياء ، وعَفَا فى موضع العفو ، وعاقبَ فى موضع العقوبة ، ومَنَع ساعةَ المنع ، وأعطى ساعة الإعطاء ، خالَفَ الرَّبَّ فى تدبيره ، وظنَّ أن رحمته فوق رحمةِ ربه .

---

(١) الترجمان بن هريم : قال ابن قتيبة فى المعارف ١٨٤ : إنه كان على الأهواز : وعلى بنى حنظلة فى فتنة ابن سهل . وأبوه هريم بن أبى طحمة كان شجاعا كيسا ، وكان مع المهلب فى قتال الأزارقة ، ومع عدى بن أرطاة فى قتال يزيد بن المهلب . وكسر هريم فحول اسمه فى أعوان الديوان ، فقيل له : إنك لاتحسن أن تكتب ! فقال : إلا أكتب فإنى أمحو الصحف ! فى الأصل : « الترجمان بن مريم » وتصحيحه من المعارف والبيان ١ : ١٩٩ .

(٢) التكملة من البيان . ويزيد هـذا أمير قائد من ولاة الدولة الأموية . ولى قنسرين للوليد بن يزيد ، ثم جمعت له ولاية العراقين فى أيام مروان بن محمد . ولما ظهر أمر العباسيين أرسل السفاح أخاه المنصور لحربه فأعياه أمره . ثم بعث إليه السفاح من قتله بقصر واسط سنة ١٣٢ .

(٣) فى الأصل : « إن لايكون » ، صوابه من البيان .

(٤) قال الجاحظ فى البيان : ذهب الترجمان إلى مثل معنى قول الشاعر :

وما خلقت بنو زمان إلا أخيراً بعد خلق الناس طرا
وما فعلت بنو زمان خيراً ولا فعلت بنو زمان شرا

أقول : زمان بكسر الزاى وتشديد الميم قبيلة منها الفند الزمانى الشاعر .

وقد قالوا : بعضُ القتل إحياءٌ للجميع . وبعضُ العفو إغراء ، كما أنَّ بعضَ المنع إعطاء ، ولا خَيْر فيمن كان خيرُهُ مَحْضاً ، وشَرٌّ منه مَن كان شرُّه صرفاً . ولكن ٱخلِطِ الوعدَ بالوعيد ، والبِشرَ بالعبوس ، والإعطاء بالمنع ، والحِلمَ بالإيقاع ؛ فإنَّ الناسَ لا يَهابون ولا يصلُحون إلَّا على الثّواب والعقاب ، والإطماع والإخافة . ومَنْ أَخافَ ولم يُوقِعْ[1] وعُرِفَ بذلك ، كانَ كَمَنْ أطمَعَ ولم يُنْجِز وعُرِف بذلك ، ومَنْ عُرِف بذلك دخلَ عليه بحسَب ما عُرِف منه . فخيْر الخيرِ ما كان ممزُوجاً ، وشرُّ الشرِّ مَا كانَ صرفاً ، ولو كانَ النّاس يصلُحون على الخيرِ وحدَه لكانَ الله عزّ وجلَّ أولى بذلك ٱلحكم .

وفى إطباق جميع الملوك وجميع الأئمة فى جميع الأقطار وفى جميع الأعصار على استعمال المكروه والمحبوب ، دليل على أنَّ الصواب فيه دونَ غيره .

وإذا كان الناس إنما يصلحون[2] على الشِّدَّةِ واللين ، وعلى العفو والانتقام وعلى البذْل والمنع ، وعلى الخير والشرِّ ، عاد ذلك الشرُّ خيرًا وذلك المنع إعْطاء وذلِك المكروه محبوباً . وإنّما الشأنُ فى العَوَاقب ، وفيما يدوم ولا ينقطع وفيما هو أدْوَم ، ومن الانقِطاع أبعَدُ .

---

(١) فى ط : « يقع » ، والصواب فى س .

(٢) فى الأصل : « يصطلحون » والوجه ماأثبت .

٣٠

(شعر فى الحزم)

وقال الشاعر ، وَهو يمدح قَوماً(١) :

إن يُسألوا الخيرَ يُعطُوه وَإن جُهِدُوا فالجَهْدُ يُخرِج مِنهم طِيبَ أَخبارِ(٢)

وإن توَدَّدتَهم لانوا وإن شُهِموا كَشَفْتَ أذمَارَ حَرْبٍ غيرَ أغمارِ(٣)

وقال العتبى(٤) :

ولـكن(٥) بنو خيرٍ وشر كليهما جميعاً ومَعروفٍ ألَمَّ ومُنْكَرِ

---

(١) الشاعر هو عبيد بن العرندس الـكلابى ، كما فى الـكامل ٤٧ وتنبيه البكرى ٧٣ . والشعر رواه أبو تمام فى الحماسة ٢ : ٢٦٩ والقالى فى الأمالى ١ : ٢٣٩ والمرزبانى فى المعجم ٣٠٦ ، ونسبه كل منهم إلى العرندس الـكلابى لا إلى عبيد . وقد نبه البكرى على هذا الخطأ . والشعر رواه أيضاً العسكرى فى ديوان المعانى ١ : ٤١ غير منسوب . أما القوم الذين مدحهم عبيد بن العرندس فهم بنو عمرو الغنويون . وكان أبو عبيدة يقول : « هذا المحال ، كلابى يمدح غنويا ! » . قال البكرى فى تفسير ذلك : « وإنما أنكر أن يكون كلابى يمدح غنويا ، لأن فزارة كانت قد أوقعت ببنى أبى بكر بن كلاب وجيرانهم من محارب وقعة عظيمة ، ثم أدركتهم غنى فاستنقذتهم ، فلما قتلت طيىء قيس الندامى الغنوى ، وقتلت عبس هريم بن سنان الغنوى ، استغاثت غنى ببنى أبى بكر وبنى محارب ليكافئوهم بيدهم عندهم ، ففعلوا أعنهم فلم يجيبوهم ، فلم يزالوا بعد ذلك متدابرين » .

(٢) جهدوا : أصابهم الجهد ، وهو شدة الزمان .

(٣) توددتهم : طلبت مودتهم . شهموا ، بالبناء للمفعول : من شهمت الفرس إذا حركتها لتسرع . يقول : إذا حركوا على سبيل الإخافة لم يكن عندهم لين . التبريزى فى شرح الحماسة ٤ : ٧٢ . . والأذمار : جمع ذمر بالكسر ، وهو الشجاع . والأغمار : جمع غمر بالتثليث ويحرك ، وهو الذى لم يجرب الأمور .

(٤) سبقت ترجمته فى شرح الجزء الأول ص ٥٣ - ٥٤ .

(٥) كذا فى ط . وهى فى س ، م : « أولاك » بمعنى « أولئك » .

وقال بَعْضُ من ارتجز يوم جَبَلة (١) :

أنا الْغُلَامُ الأعسَرْ   الخيرُ فىَّ والشرّ

* والشرُّ فىَّ أكثرْ *

وقال عبدُ الملك بن مروانَ لزُفَر بن الحارث ـ وقد دخل عليه فى رجالاتِ قيس : ألستَ امرأً مِن كندة ؟ قال : وما خيرُ مَن لا يُتَّقى حَسَدا ، ويُدْعَى رغبة .

وقال ثُمامة : الشُّهرة بالشرِّ خيرٌ من أن لا أُعرَفَ بخير ولا شرّ

(أمارات النباهة)

وكان يقال : يُستَدَلُّ على نباهة الرَّجلِ من الماضين بتَبَايُنِ الناس فيه .

وقال : ألا ترى أنَّ عليًّا ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال : يَهلك فىَّ فئتان (٢) : محبٌّ مُفْرِط ، ومبغِض مُفرط .

وهذه صفةُ أنبَهِ الناس ، وأبعدِهم غايةً فى مراتب الدِّين وشرَفِ الدنيا ٣

ألا ترى أنَ الشاعر يقول :

---

(١) يوم جبلة أحد الأيام الثلاثة العظيمة عند العرب ، وهى : يوم الكلاب ، ويوم جبلة ، ويوم ذى قار . وهو مفصل فى الأغانى ١٠ : ٣٣ — ٤٥ . وكان قبل الإسلام بأربعين سنة ، وهو عام ولد النبى صلى الله عليه وسلم ، كما فى العقد ٣ : ٣٠٧ . وقائل الشعر هو معاوية بن عبادة بن عقيل ، وكان أعسر ، كما فى الأغانى . والأعسر : الذى يعمل بشماله.

(٢) فى الأصل : « فتيان » .

أرَى العِلبــاء كالعِلبـا ءِ لا حُــلوٌ ولا مرٌّ[١]
شُيَيْخٌ مِن بنى الجارُو دِ لا خــــير ولا شَرٌّ

وقال الآخر :

عَيَّرتنى يا ثكلتْنى أمّى[٢] أسْود مثل الجُعَل الأحمِّ[٣]
ينطَحُ عُرْضَ الجَبَلِ الأصمِّ ليس بذى القَرْنِ ولا الأجمِّ

وإذا كان الرجلُ أبرعَ الناس بَراعةً ، وأظهرَهم فضلاً ، وأجمعهم لخصال الشرف ، ثمَّ كانت كلُّ خَصلةٍ مساويةً لأختها فى التَّمامِ ، ولم تغلِب عليه خَصلة واحدة ، فإنَّ هذا الرَّجلَ لا يكادُ يوصف إلَّا بالسيادة والرياسة خاصّةً إذا لم يكن له مسندٌ عما[٤] يكون هو الغالب عليه .

وقالوا فيما يشبِه ما ذكرنا ، وإن لم يكن هو بعينه . قال الشاعر[٥] :

---

(١) كلمة « العلباء » الأولى ، المراد بها « علباء بن حبيب » كما سبق فى الجزء الأول من الحيوان ص ٣٦١ . وأما « العلباء » الثانية فالمراد بها عصب عنق البعير . يقول : هو تافه فسل . والعلباء بكسر العين .

(٢) ثكلته أمه : فقدته : وفى ط : « شكلتنى » وصوابه فى س ، م . وقد حذف الراجز المنادى هنا بعد الياء ، كما فى بيت الشماخ :

ألا ياا سقيانى قبل غارة سنجال وقبل منايا قد حضرن وأوجال

أى ياصاحبى اسقيانى . وكقول الآخر ، وهو من أبيات الكتاب ١ : ٣٢٠ بولاق :

يا ، لعنة الله والأقوام كلهم والصالحين على سمعان من جار

أى ياقوم ، أو ياهؤلاء . ولعنة الله ، بالرفع على الإبتداء .

(٣) الجعل : دويبة تألف الأماكن القذرة . وفى ط : « الحمل » ، وصوابها فى س ، م .

(٤) كذا فى س ، ط . وفى م : « مسندهما » ، وفى العبارة اضطراب .

(٥) هو عبيد بن العرندس الكلابى . وقد سبق بيتان من قصيدة الشعر الآتى فى ص ٨٩ من هذا الجزء .

٣١ هَيْنُون لَيْنُونَ أيسارٌ ذوُو يُسُرٍ سُوَّاس مَكرُمَةٍ أبناءُ أيسارِ[١]
مَنْ تَلْقَ مِنهمْ تَقُل لا قَيْتُ سَيِّدَهم مثلُ النُّجومِ التى يسرى بها السارى

وقد قال مثلَ الذى وصَفْنا جعفرٌ الضبيُّ[٢] فى الفضل بن سهل[٣] :

أيُّها الأمير أسْكَتنِي عن وَصفك تَساوِى أفعالك فى السُّودَد ، وحيَّرنى فيها كثرَةُ عددها ، فليسَ إلى ذكر جميعِها سبيلٌ ، وإن أردتُ وَصفَ وَاحدةٍ اعترضَتْ أختها ؛ إذْ لم تكن الأُولى أحقَّ بالذكر . ولست أصفُها إلاّ بإظهار العَجْز عن وَصفها .

ولذلك قالوا : « أحلم من الأَحْنف » ، و « ما هو إلّا فى حلم معاوية » و « أحلم مِن قَيس بن عاصم » ، ولم يقولوا : أحلمَ من عبد المطّلب ، ولا هو أحلم من هاشم ؛ لأنَّ الحلم خصلة من خصاله كتمام حلمه ، فلمَّا كانت خصالُه متساوِيَةً ، وخلالُه مشرفة[٤] متوازِيَة ، وكلُّها كان غالباً ظاهراً ، وقاهراً غامراً ، سمِّى[٥] بأجمعِ الأَشياء ولم يُسمَ بالخصلة الْوَاحدة ، فيستدلَّ بذلك على أنَّها كانت أغلب خصال الخيرِ عليه .

---

(١) المشهور فى رواية البيت « ذوو كرم » ، وماهنا رواية صحيحة كما فى شرح التبريزى للحماسة ٤ : ٧٢ قال : « يعنى فى أخلاقهم يسر » . وقال أيضاً : « سواس مكرمة : أى يروضون المكارم ويلون أمرها » . وقال إنهم أيسار أبناء أيسار أى إنهم عريقون فى الكرم . والأيسار ، جمع يسر بالتحريك ، وهو المقامر . والقمار مما يتمدح به العرب ، وكانوا يسمون من لا يدخل فى الميسر « برما » ، قال : ولا برما تهدى النساء لعرسه إذا القشع من بردالشتاء تقعقعا

(٢) فى البيان ٢ : ١٧٣ و ٣ : ١٦٠ والأغانى ٧ : ٥ ، ١١ من يدعى « جعفر ابن سليمان الضبعى » فلعله هذا .

(٣) هو الفضل بن سهل السرخسى ، كان وزيراً للمأمون ، اتصل به فى صباه وأسلم على يده سنة ١٩٠ هـ . وصحبه قبل أن يلى الخلافة ، فلما وليها جعل له الوزارة وقيادة الجيش ، فكان يلقب بذى الرياستين . ولد سنة ١٥٤ وتوفى سنة ٢٠٢ .

(٤) يعنى عالية ظاهرا علوها . (٥) فى الأصل : « تسمى » .

(هجاء الشعراء للأشراف)

وإذا بلغ السَّيدُ فِي السُّودَدِ الكمالَ ، حسده من الأَشراف من يُظنُّ أنَّه الأَحقُّ به ، وفخرَتْ به عشيرته ، فلا يزال سفيهٌ[١] من شعراء تلك القبائل قد غاظه ارتفاعُه على مرتبةِ سيِّد عشيرَته فَهجاه . ومن طَلب عيباً وجَدَه . فإن لم يجدْ عيباً وجدَ بعضَ ما إذا ذكره ، وجَد مَن يغلط فيه ويحمله عنه . ولذلك هُجِيَ حِصنُ بن حذيفةَ ، وهُجِيَ زُرارة بن عُدَس ، وهُجِيَ عبدُ الله ابن جُدعان ، وهُجِيَ حاجب بن زرارة .

وإنَّما ذَكَرتُ لك هؤلاءِ لأنَّهم من سَودَدِهم وطاعةِ القبيلةِ لهم ، لم يذهبوا فيمَنْ تحت أيديهم من قومِهِمْ ، ومن حلفائهم وجيرانهم ، مَذْهَبَ كُليبِ بن ربيعة ، ولا مذهبَ حذيفةَ بنِ بدر ، ولا مذْهبَ عُيينةَ بنِ حصن ، ولا مذهبَ لقيط بن زُرارة ؛ ولأنَّ لقيطاً لم يأمر بسحب ضَمْرة بن ضمرة[٢] إلَّا وهو لو بَقِي لجاوز ظلم كليب وتهكم عيينة[٣] ، فإنَّ هؤلاء وإن كانوا سادةً فقد كانوا يَظلمون ، وكانوا[٤] بين أن يَظلموا وبين أن يحتملوا ظلما ممَّن ظلمهم . ولا بدَّ من الاحتمال كما لَا بُدَّ من الانتصار .

وقد قال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ . وإلى هذا المعنى رجَع قولُ الحكيم الأوَّل : « بعضُ القَتلِ إحياءٌ للجميع » .

---

(١) ط ، م : « سيفه » ، والصواب من س .

(٢) في الأصل : « صخرة بن ضمرة » ، تحريف . وانظر البيان ١ : ١٧١ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٩٠ .

(٣) التهكم : التكبر ، واشتداد الغضب والحمق .

(٤) في ط : « وكان » ، والصواب في س ، م .

(حزم السادة)

وعامَّةُ هؤلاءِ السَّادة لم يكنْ شأنهم أن يردُّوا الناسَ إلى أهوائهم ،
٣٢ وإلى الانسياق لهم بعُنْف السَّوق ، وبالحَرْبِ فى القَوْدِ . بل كانوا لا يؤثِرون التَّرهيبَ على الترغيب . والخشونةَ على التليين . وهم مع ذلك قد هُجُوا بأقبح الهجاءِ .

ومتى أحبَّ السَّيِّدَ الجامعَ ، والرئيسَ الكاملَ قومُه أشدَّ الحبِّ وحاطَهمْ عَلَى حسب حبه لهم ، كان بُغْضُ أعدائهم له على حسَب حبِّ قومه له . هذا إذا لم يَتوثَّب إليه ولم يعترض عليه من بنى عمِّه وإخوته مَن قد أطمعتْه الحال باللَّحاقِ به . وحَسَدُ الأقاربِ أشدُّ ، وعداوتُهم على حسَب حسدهم .

وقد قال الأوَّلون : رِضا الناس شيءٌ لا ينال .

وقد قيل لبعض العرب : مَن السَّيِّدُ فيكم ؟ قال : الذى إذا أقبل هِبناه ، وإذا أدْبَرَ اغتبناه !

وقد قال الأوَّل : بَغْضاَء السُّوَق[1] موصولة بالملوك والسادة ، وتجرى فى الحاشية مجرى الملوك .

(صعوبة سياسة العوام)

وليس فى الأرضِ عملٌ أكدّ لأهله من سِياسة العوامّ . وقَدْ قال الهذَلىُّ[2] يصف صُعوبة السياسة :

---

(١) السوق : جمع سوقة . والسوقة : الرعية . وفى ط : « السوء » ، والوجه مافى س ، م .

(٢) هو الأعلم الهذلى ، كما فى حواشى البيان

وإن سِياسةَ الأقوامِ فاعلمْ لهـا صَعْداءُ مَطلَبُها طويل[١]

وقال آخرُ فى شبيهٍ[٢] بهذا المعنى :

ودونَ النَّدى فى كلِّ قلبٍ ثَنِيَّةٌ لها مَصْعَدٌ حَزْنٌ ومُنْحَدَرٌ سَهْلُ

ووَدَّ الفَتى فى كلِّ نيلٍ يُنيلُه إذا ماانقضى ، لَوْ أنَّ نائله جَزْلُ

وقال عامر بن الطُّفيل[٣] :

وإنِّى وإنْ كُنتُ ابنَ سيِّدِ عامرٍ وفارسها المشهور فى كلِّ مَوكبِ

فما سوَّدَتنى عامر من وراثة[٤] أبى الله أنْ أسمو بأمٍّ ولا أبِ

ولـكنَّنى أحمى حِماها وأتَّقى أذاها وأرْمى مَن رماها بمَنكِبِ

وقال زياد بن ظَبْيان لابنه عُبيد الله بن زياد[٥] وزيادٌ يُغرغِر بنفسه[٦] :

---

(١) وهذه الرواية أيضاً هى رواية اللسان . وقد رواه الجاحظ فى البيان (١ : ٢٧٥ و ٢ : ٣٥٢ و ٣ : ٢٨١) وكذا ابن قتيبة فى عيون الأخبار (٥ : ٢٢٦) : « وإن سيادة الأقوام فاعلم » . والصعداء ، بالفتح : المشقة .

(٢) هو إسحاق بن حسان بن قوهى ، كما فى البيان ٢ : ٣٥٢ .

(٣) س فقط : « عباس بن الطفيل » وهو تحريف . والأبيات فى العقد (٢ : ٢٥٩) وعيون الأخبار (١ : ٢٢٧) وأمالى القالى (٣ : ١١٨) وأمالى المرتضى ١ : ١٠ . وهذا الشعر ممـا تحتج به الشعوبية على العرب . انظر العقد .

(٤) المشهور فى الرواية : «عن وراثة» كما فى المراجع المتقدمة .

(٥) لم أهتد إلى ترجمة زياد بن ظبيان . وأما ابنه عبيد الله فقد كان فاتكا من الشجعان وكان مقربا من عبد الملك بن مروان ، وهو الذى قتل مصعب بن الزبير وحمل رأسـه إلى عبد الملك ، ثم خرج على الحجاج مع ابن الجارود ، فلما قتل ابن الجارود لجأ إلى عمان حيث لاقى منيته سنة ٧٥ . كذا فى معجم الزركلى عن كتاب لمصنف مجهول يظن أنه أنساب الأشراف للبلاذرى . ووجدت النويرى ذكر فى المؤتلف والمختلف من رجال التاريخ عبيد الله هـذا مع عبيد الله بن زياد ابن أبيه ، وقال : وخبرهما يشبه مسائل الدور ، فإن عبيد الله بن زياد بن أبيه قتله المختار ، والمختار قتله مصعب ، ومصعب قتله عبيد الله بن زياد بن ظبيان نهاية الأرب (٩ : ٢١٦) . وانظر الخبر برواية أخرى فى أمالى المرتضى ١ : ٢٠٠ .

(٦) يقال غرغرت الروح : ترددت فى الحلق عند الموت .

ألاَ أُوصى بكَ الأمير ؟ قال : لا . قال : ولم ؟ قال : إذا لم [يكنْ](١) للحى إلاّ وَصِيَّةُ(٢) الميِّت ، فَالحىُّ هو الميِّت .

وقال آخر فى هذا المعنى :

* والعزُّ لايأتى بَغير تطلُّبِ *

وقال بَشامة بن الغَدير(٣) فى خلاف ذلك ، وأن يثبت أن يكون . منه كان(٤) :

وجَدْت أبِى فيهم وَجَدِّى كليهما يُطاعُ ويؤتَى أمرُه وهو مُحْتَبِى

٣٣ فلم أتَعَمَّل للسِّيادَة فِيهِمُ ولٰكِنْ أتَتْنِى طائعاً غيرَ مُتْعَبِ

(بحث فى السعادة)

ومِن الناس من يقول : إن العيشَ كلّه فى كثرة المال ، وصحةِ البدن ، وخمولِ الذكر .

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من ط ، م ، وقد ترك لها فراغ ، وبدلها فى س : « أوص » ويغلب على ظنى أنها من وضع الناسخ ، إذ بها لايتناسق الكلام . واعتمدت فى إثبات ماأثبت على مافى عيون الأخبار (١ : ٢٣٥) وأمالى المرتضى ١ : ٢٠٠ .

(٢) فى الأصل : « بوصية » .

(٣) بشامة بن الغدير هو خال أبى سلمى والد زهير ، وكان زهير منقطعا إليه ، معجبا بشعره . وكان بشامة أحزم الناس رأيا ، وكانت غطفان تستشيره وتصدر عن رأيه . (الأغانى ٩ : ١٤٩) . و « الغدير » هى فى ط ، م : « القدير » ، وهو تصحيف مافى س .

(٤) كذا .

وقال مَن يخالفه : لايخلو صاحب البدَن الصَّحيحِ والمال الكثير ، مِنْ أن يكونَ بالأمور عالماً ، أو يكونَ بها جاهلاً . فإن كانَ بها عالماً فعلمُه بها لايتركه حتَّى يكون له من القول والعمَل على حسب علمه ؛ لأنَّ المعرفة لاتكون كعدمها ؛ لأنَّها لوكانت موجودةً غيرَ عاملة لكانت المعرفة كعدمها ، وفى القول والعملِ ما أوجَبَ النَّباهةَ ، وأدنى حالاته أنْ تُخرِجه من حدِّ الخمول ، ومتى أخرجتْه من حدِّ الخمول فقد صار معرَّضاً لمن يقدِر على سلبه .

وكما أنَّ المعرفَةَ لابدَّ لها من عملٍ ، ولا بدَّ للعمل من أن يكون قولا أو فعلا ، والقولَ لايكونُ قولاً إلاَّ وهناك مَقُول له ، والفعلَ لايكون فعلاً إلاَّ وهناك مفعول له ، وفى ذلك ماأخْرَج من الخمول وعُرِف به الفاعل .

وإذا كانت المعرفَةُ هذا عملُها فى التنبيه على نفسها ، فالمالُ الكثيرُ أحقُّ بأنَّ عملَه الدَّلاَلةُ على مكانه ، والسِّعايةُ على أهله . والمالُ أحقُّ بالنميمة ، وأولى بالشكر ، وأخدع لصاحبه ، بل يكون له أشدّ قهرا ، ولحيه أشدَّ فساداً (١) .

وإن كانتْ معرفتُه ناقصةً فبقدْر نقصانها يجهل مَواضعَ اللذة . وإن كانت تامَّةً فبقَدْر تمامها يُنْسَى الخمول ويُجلَبُ الذِّكر .

وبعدُ فليس يَفْهَم فضيلةَ السلامة ، وحقائقَ رُشْدِ العافية ، الذين ليس لهمْ من المعرفة إلاَّ الشَّدْو ، وإلاَّ خلاَقَ أوساطِ الناس (٢) . ومتى كان ذلك

---

(١) كذا .

(٢) الشدو : القليل من كل كثير . وهى فى ط : « التشدق » وفى س : « الشد » وصوابهما من م . والخلاق : الحظ والنصيب . وفى الأصل : « والأخلاق » ، وقد أراد بأوساط الناس : مادون الخاصة .

كذلك ، لم يُعرَف المَدْخَل الذى من أجله يَكره ذو المال الشُّهرة . ومن عَرَفَ ذلك على حقِّهِ وصدقِهِ ، لم يدَعْه فهمُهُ لذلك حتّى يدلَّ على فهمه . وعلى أنَّه لايفهم هذا الموضعَ حتَّى يفهم كلَّ ماكان فى طبقته من العلم . وفى أقلَّ مِن ذلك مايَبِين به حالُه مِن حال الخامل .

وشروط الأمانىّ غيرُ شروط جوازِ الأفعال وإمكانِ الأمورِ . وليس شىء ألذَّ ولاَ أسرُّ مِن عِزِّ الأمرِ والنهى ، ومن الظَّفَرِ بالأعداء ، ومن عَقْدِ المِنَنِ فى أعناق الرجال ، والسُّرورِ بالرِّياسة وبثمرة السيادة ؛ لأنَّ هذه الأُمورَ هى نصيبُ الرُّوح ، وحَظُّ الذهن ، وقِسْمُ النَّفس[1] . فأمَّا المطعم والمشرب والمنكَح والمشَمَّة ، وكلُّ ما كان من نصيب الحواسّ ، فقد علمْنا أنَّ كُلَّ ماكانَ أشَدَّ نَهَماً وأرغبَ ؛كَانَ أتمَّ لوجدانه الطعم . وذلك قياسٌ
٣٤ على مواقع الطُّعْم من الجائع ، والشرابِ من العطشان[2] .

ولكنَّا إذا ميَّلْنا[3] بين الفضيلة التى مع السُّرور ، وبين لذّة الطعام ، وما يُحْدِث الشَّرهُ له من ألَمِ السهر والالتهابِ والقَلَق وشدَّةِ الكَلَب ، رأينا أنَّ صاحِبَهُ مفضولٌ غيرُ فاضل . هذا مَعَ مايُسَبُّ به[4] ، ومع حمله له على القبيح ، وعلى أنَّ نعمَتَهُ متى زالتْ لم يكن أحدٌ أشقى منْهُ . هذا مع سرور العالمِ بما وهَبَ الله لَهُ[5] من السلامة من آفة الشَّرَه ، ومِن فَسادِ الأَخلاط .

وبعدُ فلا يخلو صاحِبُ الثَّروةِ والصامتِ الكثيرِ[6] ، الخاملُ الذكر مِن أن يكونَ ممَّن يَرغَب فى المركَب الفارِه ، والثوبِ اللَّين ، والجاريةِ

(١) القسم ، بالكسر ؛ النصيب والحصة .
(٢) فى الأصل : « وبين لذة الطعام وبين مايحدث له الشره » .
(٣) ميل بين الأمرين : رجح ووازن . وفى الأصل : «مثلنا» .
(٤) تحتمل أن تكون « يسببه» أى يحدثه .
(٥) ط ، م : « لهم » ، والصواب ماأثبت من س .
(٦) الصامت من المال : الذهب والفضة . والناطق منه : الإبل .

الحسنة ، والدار الجيّدة ، والمطْعَم الطيِّب ؛ أو يكون ممَّن لا يرغب في شيء من ذلك . فإن كان لا يرغب في هذا النوع كلِّه ، ولا يعمل في ماله للدَّار الآخرة ، ولا يُعجَب بالأُحدوثة الحسَنة ، ويكونُ ممَّن لا تعْدو لذَّتُهُ أن يكون كثيرَ الصامت ؛ فإنّ هذا حمارٌ أو أفسَدُ طبْعاً من الحمار ، وأجْهَل من الحمار ؛ وقَدْ رضى أن يكونَ في مَاله أسوأَ حالا من الوَكيل .

وبعدُ فلا بُدَّ للمال الكثير من الحراسة الشَّديدة ، ومن الخوف عليه ؛ فإن أعمَلَ الحراسةَ له ، وتَعب في حفظه [وَ](١) حسَبَ الخوف ، خرجَ عليه فضْلٌ . فإنْ هو لم يَخَفْ عليه — ولا يكون [ذلك](٢) في سبيل التوكُّل(٣) — فهو في طباع الحمار وفي جهْله . والذى أوجب لَهُ الحمول ليؤدِّيه إلى سلامة المَال لَهُ ، قَدْ أعْطاهُ من الجهل(٤) مَالاَ يكُونُ مَعَهُ إلاّ مثْلُ مقْدَار لذة [البهيمة(٥)] في أكل الخَبَط(٦) .

وإنْ هو ابتاع فُرَّهَ الدواب ، وفُرَّهَ الخَدم والجَواري ، واتّخَذ الدارَ الجَيِّدَة ، والطعَامَ الطيِّب والثَّوْبَ اللّيِّنَ وأشباهَ ذلك ، فقَدْ دلَّ على مَاله . ومَن كانَ كَذٰلِكَ ثُمَّ ظَهرتْ لَهُ ضَيْعَةٌ فاشية ، أو تجارَة مُرْبحة ، يحتمل مثلَ ذلكَ الذى يظهَر من نفقته . وإلاّ فإنّه سيُوجَدُ في اللُّصُوص عنْدَ أوَّل مَن يقطع عليْهِ ، أو مكابرة تكُون ، أو تَعب يؤخذ لأهله(٧) المَال العظيم .

---

(١) ليست بالأصل ، وزدتها ليستقيم القول .

(٢) كلمة يحتاج إليها .

(٣) فإن التوكل المطلوب في الدين ما كان معه الحيطة والأخذ بأسباب السلامة ، على نحو ماجاء في الحديث : « اعقلها وتوكل » انظر هذا الجزء ص ١١٥ .

(٤) في الأصل : « قد أعطاه الله تعالى من الجهل » ، وعدلت العبارة بما ترى .

(٥) ليست بالأصل والكلام يحتاج إليها ، أو إلى مثلها .

(٦) الخبط ، بالتحريك : ورق الشجر يخبط بالعصا فتأكله الدواب والإبل.

(٧) العبارة من مبدإ « وإلا فإنه سيوجد » بها اضطراب .

ولو عنى بقوله الخمول وصحةَ البدنِ والمال ، فذهب إلى مقدارٍ من المال مقبولا(١) ولكن مالمن كان مالُه لايجاوز هذا المقدارَ يتهيأً(٢) الخمول(٣) .

(طبقات الخمول)

ولعمرى إنّ الخمولَ لَيكونُ فى طبقاتٍ كثيرة ، قال أبو نُخيلة(٤) :

شكرتُك إنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ من التُّقى
وَمَا كلُّ مَن أقْرَضْتَه نِعمةً يَقْضِى
فأحييتَ من ذكرى وما كان خاملاً
ولكنَّ بعض الذكرِ أنبَه من بَعْضِ

قالوا : ولسقوط الخاملِ من عُيون الناس، قالت الأعرابيّةُ لابنها : إذا جلستَ معَ الناسِ فإنْ أحسَنْتَ أنْ تَقولَ كما يقولون فَقُلْ ، وإلاَّ فخالِفْ تُذْكَر !

---

(١) لعل العبارة « مقدار من المال يسير كان ذلك مقبولا » .
(٢) فى ط : « متهيؤ » وهو تحريف صوابه فى س ، م .
(٣) لعل العبارة «مالمن كان ماله يجاوز هذا المقدار» . . الخ .
(٤) هو أبو نخيلة الراجز السعدى . قال أبو الفرج (الأغانى ١٨ : ١٣٩) : « أبو نخيلة اسمه لا كنيته » وقال ابن قتيبة فى الشعراء : « اسمه يعمر » . كان أبو نخيلة من صنائع مسلمة بن عبد الملك بالشام ومدح الأمويين ، ثم انقطع إلى الهاشميين فهجا الأمويين . وقد صنع فى المنصور أرجوزة يغريه فيها بخلع عيسى بن موسى وبعقد العهد لابنه محمد المهدى ، فوصله المنصور بألفى درهم ، وأمره أن ينشدها بحضرة عيسى ففعل ، فطلبه عيسى ، فأدركه مولى له فى طريق خراسان فقتله . وأخباره مسهبة فى الأغانى . والشعر الآتى فى مديح مسلمة بن عبد الملك كما فى الأغانى (١٨ : ١٤٠) وحماسة ابن الشجرى ١١٧ وأول الشعر :

أمسلم إنى يا ابن خير خليفة ويافارس الهيجا وياجبل الأرض

وأمَّا الأصمعىُّ فزعَمَ أنَّها قالت : فخالفْ ولو بأنْ تعلِّقَ فى عنُقك أيرَ حمار .

وليس يقول هذا القولَ إلاَّ مَنْ ليسَ يعرف شَكَرَ(١) الغِنى ، وتقلُّبَ الأموال إلى مَاخُلِقتْ لَهُ ، وقَطْعَها عُقُلَها ، وخَلْعَها عُذُرَها ، وتِيهَ أصحابِها ، وكثرةَ خُطاهم فى حفظِها وسترْها ، وعجزَهم عن إمَاتةِ حركتِها ومنعها من جميع مَاتُنازع [إليه وتحمل عليه (٢)] .

(ملحة من الملح)

وقد روينا فى المُلَح أنَّ رجلاً قال لصاحبٍ لهُ : أبُوكَ الذى جهل قدْرَهُ ، وتعدَّى طَورَه ، فشقَّ العَصَا ، وفارَقَ(٣) الجماعة ؛ لاجَرَمَ لقد هُزِم ثم أُسر ثمَّ قتلَ ثمَّ صُلب ! قال لَهُ صاحبهُ : دَعْنى مِن ذكر هزيمةِ أبى ، ومن أسْرهِ وقتلِه وصلبِهِ . أبُوكَ هلْ حدَّثَ نفسَه بشىء من هذا قطُّ ؟ !

(حكم الأسباب فى همم الناس)

وليس إلى النَّاس بُعْدُ الهمم وقِصَرُها ، وإنمـا تجرى الهمَمُ بأهلها إلى الغايات ، على قدر مَايعرِض لهم من الأسباب . ألا تَرى أنَّ أبعدَ النَّاس هِمَّة فى نفسهِ ، وأشدَّهم تلفتاً إلى المراتب ، لاتُنازعه نفسهُ إلى طلب الخلافة ، لأن ذلك يحتاجُ إلى نسب ، [أ](٤) وْ إلى أمر قد وُطِّىء لَهُ

---

(١) أراد بالشكر النمو . وهو من شكرت الشجرة – من باب فرح – : خرج منها الشكير ، وهو ما ينبت حول أصلها .

(٢) ط ، م : « من جميع ما تنازع العمل عليه » ، وهو تحريف ما أثبت من س .

(٣) فى الأصل : « فرق » ، والوجه ما كتبت .

(٤) زدتها ليتجه الكلام .

بسبب ، كسبَب طلبِ أوائل الخَوارج الخلافة بالدِّين وحدَه دونَ النَّسب . فإن صارَ من الخوارج فقد حدثَ له سببُ إمكانِ الطَّلب ، أكْدَى أم نجح .

وقد زعمَ ناسٌ من العلماء أنَّ رجالاً خُطِبت للسِّيادة والنَّباهة والطَّاعةِ فى العشيرة .

(سلطان الحظ على نباهة القبيلة)

وكذلك القبيلة ربّما سَعِدت بالحظّ ، وربّما حظيت بالجَدّ ؛ وإنّما ذلك على قدر الاتِّفاق ، وإنّما هو كالمعافَى والمبتلَى ، وإنّما ذلك كما قال زهير :

وَجَدْتُ المنايا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ
تُمِتْهُ ومَنْ تُخْطِئْ يعمَّرْ فيَهْرَمِ

(سلطان الحظ على الآثار الأدبية)

وكما تَحْظَى بعض الأشعار وبعض الأمثال ، وبعضُ الألفاظ دون غيرها ، ودونَ مايجرى مجراها أو يكونُ أرفعَ منها .

قالوا : وذلك موجودٌ فى المرزوق [و [1]] المحروم ، وفى المُحارَف [2]

(١) لا يكون المرزوق محروما ، فزدت الواو ليصح الكلام .
(٢) المحارف : المحدود المحروم .

والذى تجوز عليه الصَّدَقَةُ . [وكم](١) مِن حاذقٍ بصناعته ، وكثير الجَوَلان فى تجارته ، وقد بلغ فَرغانَةَ(٢) مرَّةً ، والأندلس مرّة ، ونقَّب فى البلاد ، وربَع فى الآفاق(٣) ؛ ومن حاذقٍ يُشاوَر ولا يُستَعْمَل ، ثمَّ لاتجدهما ٣٦ يَستَبينان ، من سُوءِ الحال وكثرة الدَّين . ومن صاحب حربٍ منكوب ، وهو اللَّيثُ على برائنه ، معَ تمامِ العزيمةِ وشدَّة الشَّكيمة ، ونَفَاذ البصيرة ، ومع المعرفة بالمكيدة والصَّبْر الدَّائم على الشدّة .

[وبَعْدُ](٤) فكَمْ من بيت شعر قد سار ، وأجودُ منه مقيمٌ فى بطون الدَّفاتر ، لاتزيده الأيَّامُ إلاَّ خمولا ، كما لاتزيد الذى دونَه إلاَّ شُهرةً ورِفعةً . وكم من مَثلٍ قد طار به الحظُّ حتَّى عرَفته الإماءُ ، ورَوَاه الصبِّيان والنِّساء .

(أثر الحظ فى نباهة الفرسان)

وكذلك حظوظ الفُرسان . وقد عُرِفتْ شهرةُ عنترة فى العامَّة ، ونباهةَ عمرو بن مَعْدِ يكرِب ، وضَرَبَ الناسُ المثلَ بعبُيد الله بن الحُرّ(٥) ، وهم

---

(١) ليست بالأصل ، والكلام يحتاج إليها .

(٢) فرغانة ، بالفتح : بلاد فى حدود التركستان .

(٣) نقب فى البلاد : ذهب فيها . وربع فى الآفاق : أقام فى مواضع كثيرة .

(٤) زدتها مطاوعة لأسلوب الجاحظ ، ولحاجة القول إليها .

(٥) عبيد الله بن الحر الجعفى : قائد من الشجعان الأبطال ، وكان بينه وبين مصعب ابن الزبير منافسة ، وقد صمد عبيد الله لرجال مصعب صمداً ، ولكن أصحابه تفرقوا عنه ، فخاف أن يؤسر ، فألقى نفسه فى الفرات ، فمات غريقا . وكان عبيد الله شاعراً فحلا . انظر ابن الأثير حوادث سنة ٦٨ .

لا يعرفون ، بل لم يسمعَوا قطُّ بعتَيْبَة بنِ الحارث بن شهاب[١] ، ولا ببسطامِ ابن قيس[٢] ، وكان عامرُ بن الطفيل أذكَرَ منهما نسباً .

ويذكُرون عُبيدَ الله بنَ الحُرِّ ، ولا يَعرفونَ شُعبة بن ظُهير[٣] ولا زُهيرَ ابنَ ذُؤيب ، ولا عَبَّادَ بنَ الحصين[٤] . ويذكرون اللسن والبيان والخطيب ابن القِرِّيَّة[٥] ولا يعرفون سَحبانَ وائل .

والعامَّة لم يصل ذكر هؤلاء إليهم[٦] إلاَّ من قِبَل الخاصَّة ، والخاصَّة لم تَذْكُر هؤلاء دون أولئك ، فتركَتْ تحصيلَ الأمورِ والموازنَةَ بين الرجال وحكَمتْ بالسَّابق إلى القلب ، على قدر طباع القلب وهيبته ؛ ثمَّ استوت عِلل العامَّة فى ذلك وتشابهت .

والعامَّة والباعَة والأغنياء[٧] والسِّفْلةُ كأنَّهم أعذارُ عامٍ واحد . وهم

(١) كان فارس بنى تميم ، وفيه يقول عمرو بن معد يكرب : « ما أبالى أى ظعينة لقيت على ماء من أمواه معد ، مالم يلقنى دونها عبداها أو حراها » : ويعنى بالحرين عامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث ، وعنى بالعبدين : عنترة والسليك بن السلكة . (الأغانى ١٤ : ٢٧) .

(٢) بسطام بن قيس بن مسعود الشيبانى ، سيد شيبان ، ومن أشهر فرسان العرب فى الجاهلية ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، وقتله عاصم بن خليفة الضبى يوم الشقيقة .

(٣) كذا فى س ، م وفى ط : « زهير » .

(٤) كان يكنى أبا جهضم ، وكان فارس بنى تميم . وولى شرطة البصرة أيام ابن الزبير ، وكان مع مصعب أيام قتل المختار . قال الحسن : « ما كنت أرى أن أحداً يعدل بألف فارس حتى رأيت عباداً » . المعارف ص ١٨٢ .

(٥) قال ابن قتيبة فى المعارف ٢٥٨ : « منسوب إلى أمه ، وهو أيوب بن زيد » . وكان ابن القرية أحد بلغاء الدهر ، خطيبا يضرب به المثل . وكان أعرابيا أميا . (ابن خلكان ١ : ٨٤) . وجاء فى الأغانى ٢ : ١٦٣ : « عن عوانة قال : ثلاثة لم يكونوا قط ولا عرفوا : ابن أبى العقب صاحب قصيدة الملاحم ، وابن القرية ، ومجنون بنى عامر » . وهذه رواية غريبة . قالوا : قتل ابن القرية سنة ٨٤ ، أمر بقتله الحجاج .

(٦) ط : « إليهما » وتصحيحه من س .

(٧) لعلها « الأغبياء » .

فى باطنهم أشدُّ تشابهاً من التوأمين فى ظاهرهما ، وكذلك هم فى مقادير العقول وفى الاعتراض والتسرُّع ، وإن اختلفت الصُّوَر والنَّغَم (١) ، والأسنان والبلدان.

(تشابه طبائع العامّة فى كلّ بلدة وفى كلّ عصر)

وذكر الله عزَّ وجلّ ردَّ قريشٍ ومُشركى العَرَبِ على النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم قولَهُ ، فذكر ألفاظَهم ، وجَهْد معانيهم ، ومقاديرَهِممهم التى كانت فى وزن مايكون من جميع الأمم إلى أنبيائهم ، فقال : ﴿ تَشَابَهَتْ قُلوبُهُمْ ﴾ وقال : ﴿ أَتَوَاصَوْا بِهِ ﴾ ، ثم قال: ﴿ وَخُضْتُمْ كَالَّذِى خَاضُوا ﴾. ومثلُ هذا كثير ، ألا ترَى أنَّكَ لا تَجِدُ بُدًّا فى كلِّ بلدةٍ وفى كلِّ عصرٍ للحاكة من أن يكونوا على مقدارٍ واحد (٢) وجهة واحدةٍ ، من السَّخَط والحمق ، والغَباوة والظلم ؛ وكذلك النخّاسون (٣) على طبقاتهم ، من أصناف مايبيعون . وكذلك السماكون والقَلاّسون (٤) وكذلك أصحابُ الخُلقان (٥) كلُّهم ، فى كلِّ دهرٍ وفى كلِّ بلدٍ ، على مثال واحد ، وعلى جهةٍ واحدَة .

وكلُّ حجَّامٍ فى الأرض فهو شديد الاستهتار بالنبيذ ، وإن اختلفوا فى البُلدان والأجناس والأسنان . ٣٧

---

(١) يريد اللغات واللهجات .

(٢) فى الأصل : « للحاكة فيهم على مقدار واحدة » .

(٣) النخاس : بياع الدواب والرقيق ، وفى ط ، م « النحاسون » وهى على الصواب فى س .

(٤) القلاس : الضارب بالدف . وفى ط « السماكون الغلاسون » وفيه تصحيف وتحريف أصلح من س ، م .

(٥) الخلقان من الثياب : جمع خلق ، وهو البالى ، والمراد تجارها . انظر رسائل الجاحظ (١ : ٥٢) بتحقيقنا .

ولا ترى مسجوناً ولا مَضْروبا عندَ السُّلطان إلاّ وهُو يقول : إنِّى مظلوم!
ولذلك قال الشاعر :

لم يَخلقِ اللهُ مَسْجُوناً تسائلُهُ   مابالُ سِجْنِك إلاّ قالَ مَظلومُ[1]

وليس فى الأرض خَصمانِ يتنازعان إلى حاكم ، إلاّ كلٌّ واحدٍ منهمُا يدَّعِى عدمَ الإنصاف والظُّلم على صاحبه .

(مبالغة الإنسان فى تقدير ماينسب إليه)

وليس فى الأرض إنسانٌ إلاّ وهُوَ يطرَب من صوتِ نفسه ، ويعتريه الغَلَط فى شعرِه وفى ولده . إلاَّ أنَّ الناسَ فى ذلك على طبقاتٍ من الغَلط : فمنهم الغرق المغمور[2] ، ومنهم من قد نال من الصواب ونال من الخطإ ، ومنهم من يكون خطؤه مستوراً لكثرة صوابه ، فما أحسَنَ حالَهُ مالم يُمتَحَنْ بالكشف . ولذلك احتاج العاقل [فى العُجْبِ بولده ، و[3]] فى استحسان كتبه وشعره ، من التحفظ والتوقِّى ، ومن إعادة النظَر والتُّهمة إلى أضعَاف مايحتاج إليه فى سائر ذلك .

---

(١) وكذا فى البيان (٣ : ١٦٩) . ورواية البيت فى عيون الأخبار (١ : ٧٩ ، ٢ : ١١٦) :

ما يدخل السجن إنسان فتسأله   ما بال سجنك إلا قال مظلوم

(٢) الغرق والغارق والغريق بمعنى .

(٣) الزيادة من س .

(جود حاتم وكعب بن مامة)

والعامّة تحكم أنَّ حاتماً أجودُ العرب ، ولو قَدَّمَتْه على هَرِمٍ الجَوادِ لما اعترَضْتَه عليهم . ولكنَّ الذى يُحَدَّثُ [به] (١) عن حاتم ، لايبلُغ مقدارَ مارَوَوْهُ عن كعبِ بن مامة ؛ لأنَّ كعباً بَذَلَ نفسَه فى أعطِية الكرم وبَذْلِ المجهود فساوى حاتما من هذا الوجه ، وبايَنَه ببذْل المُهجة (٢) .

ونحن نقول : إنَّ الأشعارَ الصحيحةَ [بها] (٣) المقدارُ الذى يوجبُ اليقين بأنَّ كعباً كان كما وصفوا . فلو لم يكن الأمرُ فى هذا إلى الجُدود والحُظوظِ والاتِّفاقات (٤) ، وإلى علَلٍ باطنةٍ تجرى الأمورُ عليها ، وفى الغَوصِ عليها وفى مَعْرِفتِها بأعيانها عُسر ، لَمَا جرت الأمورُ على هذه

---

(١) زيادة يحتاج إليها الكلام .

(٢) يشير الجاحظ إلى ماروى من أن كعبا هذا خرج فى ركب ، فيهم رجل من النمر بن قاسط ، فى شهر ناجر ، فضلوا فتصافنوا ماءهم – وهو أن يطرح فى القعب حصاة . ثم يصب فيه الماء بقدر مايغمر الحصاة ، فيشرب كل إنسان بقدر ذلك – فقعدوا للشرب ، فلما دار القعب فانتهى إلى كعب ، أبصر النمرى يحد النظر إليه ؛ فآثره بمائه وقال للساقى : اسق أخاك النمرى ؛ فشرب النمرى نصيب كعب ذلك اليوم من الماء ؛ وحدث فى غدهم ماحدث فى أمسهم ؛ ونال النمرى نصيب كعب . وارتحل القوم وقالوا : ياكعب ارتحل ! فلم يكن بكعب قوة للنهوض ؛ وكانوا قد قربوا من الماء ؛ فقيل له « رد كعب إنك وراد » فعجز عن الجواب ؛ فتركوه مكانه ففاظ (أى هلك) . أمثال الميدانى ١ : ١٦٧ والعقد ١ : ١٤٧ وبلوغ الأرب ١ : ٨١ .

(٣) ليست بالأصل ؛ والكلام فى حاجة إليها .

(٤) فى الأصل : « فلو كان الأمر » الخ ؛ والوجه ماأثبت .

المجارى . ولو كان الأمرُ فيها مفوَّضاً إلى تقدير الرأى ، لـكان ينبغى لغالب ابن صعصعةَ(١) أن يكونَ من المشهورين بالجود ، دون هرِمٍ وحاتم .

(كلف العامة بمآثر الجاهلية)

فإنْ زعمتَ أنَّ غالباً كان إسلاميًّا وكان حاتمٌ فى الجاهلية ، والناسُ بمآثر العرب فى الجاهليّة أشدُّ كلفاً ، فقد صدقْت . وهذا أيضاً يُنبئك أنَّ الأمورَ فى هذا على خلافِ تقدير الرأى ، وإنّما تجرى فى الباطن على نسقٍ قائم ، وعلى نظر صحيح ، وعلى تقدير محكم ، فقد تقدَّم فى تَعْبِيَتهماَ(٢) وتسويتهما مَنْ لاتخفى عليه خافية ، ولا يفُوتُه شئٌ ولا يُعْجزه . وإلاّ فما بالُ أيّامِ الإسلام ورجالها لم تكنْ أكبرَ فى النفوس ، وأحلَّ(٣) فى الصدور مِن رجال الجاهليّة ؛ مع قُرب العهد وعِظَم خَطَرِ ماملـكوا ، وكثرة ماجادت
به أنفسُهم ؛ ومع الإسلام الذى شملهم ، وجعله الله تعالى أولى بهم من أرحامهم. ٣٨

ولو أنَّ جميعَ مآثر الجاهليَّة وُزنت به ، وبما كان فى الجماعات اليسيرة(٤) من رجالات(٥) قريش فى الإسلام لأربت [هذه (٦)] عليها ، أو لـكانت مثلها .

---

(١) كان من وجوه تميم ؛ وهو والد الفرزدق الشاعر ؛ أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ؛ ووفد على على . وأبوه صعصعة له صحبة . وأختـه هنيدة بنت صعصعة زوج الزبرقان بن بدر ؛ أدركت النبى صلى الله عليه وسلم . الإصابة ٦٩٢٥ وكتاب النساء منها ١١١٥ . وتوفى غالب فى نحو سنة ٤٠ .

(٢) التعبية : التهيئة والإعداد ؛ ومنه تعبية الجيش بمعنى تهيئته فى مواضعه ، وفى ط : « تعبيتهما » وهو تحريف ماأثبت من س ، م .

(٣) كذا بالحاء : ولها وجه .

(٤) ط ، م : « اليسر » . وفى س : « اليسير » وأرى الصواب فيما كتبت إذ هى صفة « الجماعات » .

(٥) فى الأصل : « حالات » ؛ وإنما المراد الجماعات من الرجال .

(٦) ليست بالأصل .

(دلالة الخلق على الخالق)

فليس لقَدْر الكلب والدِّيك فى أنفسهما وأثمانهما ومناظرهما ومحلِّهما من صُدور العامَّة أسلفنا[١] هــذا الكلام ، وابتدأنا بهذا القول . ولسنا نقِف على أثمانهما من الفضّة والذّهب ، ولا إلى أقدارهما عند الناس ، وإنما نَتَنَظَّرُ[٢] فيما وضع الله عزّ وجلّ فيهما من الدَّلالة عليه ، وعلى إتقان صُنْعه ، وعلى عجيب تدبيره ، وعلى لطيفِ حكمته ؛ وفيما استخزَنَهُما[٣] من عجائب المعارف ، وأودعهما من غوامض الأحساس[٤] ، وسخَّر لهما من عِظام المنافع والمرافق ، ودلَّ بهما على أنَّ الذى ألبَسهُما ذلك التَّدبيرَ ، وأودَعَهُماَ تلك الحِكم ، يحبّ[٥] أن يفكَّر فيهما ؛ ويعتَبَر بهما ، ويسبَّح الله عزَّ وجلّ عندهما . فغَشَّى ظاهرهما بالبرهان ، وعمَّ باطنَهما بالحِكم ، وهيَّج عَلَى النظر فيهما والاعتبار بهما ؛ ليعلم كلُّ ذى عقل أنّه لم يَخْلق الخلق سُدًى ؛ ولم يترك الصُّور هَمَلا ؛ وليعلموا أنَّ الله عزّ وجلّ لم يَدَع شيئاً غُفْلا غير موسوم[٦] ، ونثرا غير منظوم ، وسُدًى غير محفوظ ؛ وأنّه لايخطئه من عجيب تقديره ، ولا يعطله من حلْى تدبيره[٧] ، ولا من زينة الحكم وجلال قدرة البرهان .

---

(١) ط ، م : « أسبقنا » و س : « سقنا » ، وما كتبت تصحيح الأول .
(٢) التنظر : التأمل وإطالة التفكير . وفى الأصل : « ننتظر » من الانتظار ، وهو تحريف .
(٣) استخزنهما : استودعهما . وفى الأصل : « استخرجهما » ، وليس بشىء .
(٤) الأحساس : جمع حس .
(٥) فى الأصل : « يجب » ، ولعل الصواب فيما كتبت .
(٦) الغفل بالضم : ما ليس به سمة تميزه . ويقابله « الموسوم » . وهى فى الأصل « مرسوم » .
(٧) ط : « حل تدبيره » ، والصواب من س .

ثمَّ عمَّ ذلك بين الصُّؤابةِ(1) والفَراشة ، إلى الأفلاك السبعة وما دونَها من الأقاليم السبعة .

(تأويل الآية الكريمة : ويخلق مالا تعلمون)

وقد قال تعالى : ﴿ وَيَخْلُقُ مَالاَ تَعْلَمُونَ ﴾ . وقد يتَّجه هذا الكلامُ في وجوه : أحدها أنْ تكون هاهنا ضروبٌ من الخلق لايعلم بمكانهم [كثيرٌ](2) من الناس ، ولابدَّ أن يعرف ذلك الخَلْقُ معنَى نفسه ، أو يعلمه صفْوة [جنُودِ](3) الله وملائكته ، أو تعرِفَه الأنبياء ، أو يعرِفَه [بعضُ(4)] الناس ، لايجوز إلاَّ ذلك . أو يكون الله عزَّ وجلَّ إنما عنى أنّه خلق أسباباً ، ووهب عِلَلا ، وجعل ذلك رِفداً لما يظهرُ لنا ونظاما .

وكان بعض المفسِّرين يقول : من أراد أن يعرف معنى قوله : ﴿ وَيَخْلُقُ مَالاَ تَعْلَمُونَ ﴾ فَلْيُوقِدْ نارا في وسط غَيضة ، أو في صحراء بَرِّيَّة(5) ثمَّ ينظر إلى مايغشى النارَ من أصناف الخلق من الحشرات والهمج فإنّه سيرى صُورا ، ويتَعَرَّف خلقاً لم يكن يظنُّ أنَّ الله تعالى خلق شيئاً من ذلك العالم(6) . وعَلَى أنَّ الخلق الذى يغْشى نارَهُ [يختلف(7)] عَلَى قدر اختلافِ مواضعِ الغياض والبحار والجبال . ويعلم أنَّ مَالم يبلغه أكثرُ

---

(1) الصؤابة : بيضة القملة أو البرغوث . وهى فى ط : « الضأبة » وفى س ، م : « الضوابة » ، وكلاهما تحريف .

(2) ليست بالأصل والكلام يحتاج إليها .

(3) ليست بالأصل . وبها يلتئم الكلام . وجنود الله : فى معنى ملائكته .

(4) زيادة ضرورية .

(5) لعلها « أو برية » .

(6) لعلها « خلق شيئاً منه فى ذلك العالم » .

(7) الزيادة من س .

وأعجب . ومَا أردُّ هذا التأويل ، وإنّه ليدخل عندى فى جملةِ مَاتدلُّ عليه الآية . ومَنْ لَمْ يَقل ذلك لم يفهَمْ عن ربِّهِ ولم يفقَهْ فى دينه . ٣٩

(ديدان الخل والملح)

كأنّك لاترى أنَّ فى دِيدانِ الخــلِّ والملحِ ، والدِّيدَانِ التى تتولد فى السُّموم إذا [عَتقت (١)] وعرض لها العفن — وهى بَعْدُ (٢) قواتل — عبرةً وأُعجوبة ، وأنَّ (٣) التفكّر فيها مَشحذةٌ للأذهان ، ومَنْبَهةٌ لذَوى الغفْلة ، وتحليلٌ لعقدة البُلْدة (٤) ، وسببٌ لاعتياد الرويّة وانفساح الصدور ، وعزٌّ فى النفوس ، وحلاوةٌ تقتاتُها الرُّوح ، وثمرةٌ تغَذِّى العقل ، وترَقٍّ فى الغايات الشريفة ، وتَشَرُّفٌ إلى معرفَة الغايات البعيدة .

(فأرة البيش والسمندل)

وكأنّك لاترى أنَّ فى فأرة البيش (٥) وفى السمنْدَل (٦) آيَةً غريبة ، وصفةً عجيبة ، وداعيةً إلى التفكُّر ، وسبباً إلى التعجُّب [والتَّعجيب (٧)] .

---

(١) هذه الكلمة ليست بالأصــل ، وقد ترك لهــا فراغ فى كل من س ، م والتيمورية ، ولم يترك لها فى ط . وقد سددت هذا الفراغ مما نقل الثعالبى عن الجاحظ فى ثمار القلوب ص ٣٤٤ عند كلامه فى (دودة الخل) . وعتق الشىء ، من باب ضرب وكرم ونصر : قدم وطال عليه العهد .

(٢) فى ثمار القلوب : « تعد » وما هنا أشبه بلغة الجاحظ .

(٣) فىالأصل : « ولأن » ، وتصحيحه من الثمار .

(٤) البلدة بالضم ، وبالفتح ، والبلادة أيضاً : ضد النفاذ والذكاء والمضاء فى الأمور . وفى الثمار : « البلادة » . وقد عرفت أنهما بمعنى .

(٥) فأرة البيش : دويبة تغتذى بالسموم فلا تضرها ، وليست بفأرة ولــكن هكذا تسمى . (الحيوان ٥ : ٣٠٩ ، ٦ : ٣١٧) .

(٦) السمندل : طائر يسقط فى النار فلا يحترق ريشه — زعموا . (الحيوان ٥ : ٣٠٩ ، ٦ : ٤٣٤) .

(٧) التكملة من مب .

(الْجُعَل والورد)

وكأنَّك لاترى أنّ فى الجُعَل ،الذى متى دفنتَه فى الورد سكنَتْ حركته وبطلتْ[١] فى رأى العَين رُوحُه ، ومتى أعدْتَه إلى الرَّوث انحلّت عُقدته[٢] ، وعادت حركتُه ، ورجَع حسُّه ـ أعجَبَ العجَبِ ، وأحكم الحكم !

(حصول الخلد على رزقه)

وأىُّ شىء أعجبُ من الخُلْد[٣] ! وكيف يأتيه رزقه ، وكيف يهيِّئ [الله[٤]] له مايقوته[٥] ، وهو أعمى لايبصر ، وأصمُّ لايسمَع ، وبليدٌ لايتصرَّف، وأبلهُ لايعرِف ! ومع ذلك أنّه لايجوز بابَ جُحره ، ولا[٦] يتكلّف سوى مايجلبُ إليه رازقُه ورازقُ غيره .

[وأىُّ شىءٍ أعجبُ من طائرٍ ليس له رزقٌ إلاَّ أن يخلِّل أسنانَ التِّمساح ، ويكون ذلك له[٧]] .

---

(١) ما عدا مب : « وبطل » .
(٢) مب : « عقده » .
(٣) الخلد بالضم ، وقد تفتح الخاء ، وقد تكسر : دويبة عمياء صماء لا تعرف ما يدنو منها إلا بالشم ، تخرج من جحرها ، وهى تعلم أن لاسمع لها ولا بصر لها ، فتفتح فاها وتقف على باب جحرها ، فيجىء الذباب فيسقط على شدقيها ويمر بين لحييها ، فتسد فمها عليها ، وتستدخلها بجذبة النفس ، تعلم أن ذلك هو رزقها وقسمها . (الحيوان ٦ : ٤١١) والدميرى برسمه . وقال داود الأنطاكى فى التذكرة ١ : ١٤٧ « حيوان فى حجم ابن عرس . . وليس له بصر . . . وهو أقوى الحيوانات سمعاً » .
(٤) التكملة من مب .
(٥) س ، م : « يفوته » بالفاء ، تحريف .
(٦) ما عدا مب : « ولأنه » .
(٧) تكملة من مب . وانظر ٤ : ٢٢٨ و ٦ : ٣٤٤ .

(الطائران العجيبان)

وأيُّ شيءٍ أعجبُ من طائرين ، يراهما الناسُ من أدنى جُدود البحر[١] من شِقِّ البصرة ، إلى غاية البحر من شِقّ السِّند ، أحدهما كبيرُ الجُثّة يرتفع فى الهواء صُعُدًا[٢] ، والآخر صغير الجثّةِ يتقلّب عليه ويعبَث به ، فلا يزال مرّةً يرفرفُ حَولَه ويرتقى على رأسه ، ومرّةً يطيرُ عند ذُنابَاهُ ، ويدخلُ تحتَ جَناحه ويخرُج من بينِ رجليه ، فلا يزال يغُمُّه ويَكرُبه[٣] حتّى يتّقيه بذرقِهِ ، فإذا ذَرَق شحا له فاه[٤] فلا يخطئُ أقصى حلقِه حتّى كأنّه دحا[٥] به فى بئر ، وحتّى كأنّ ذَرْقَه مِدحاةٌ بيد أسوار[٦] ، فلا الطائر الصغير يخطئُ فى التلقّى ، وفى معرفته أنّه لارزق له إلاّ الذى فى ذلك المكان ؛ ولا الكبير يخطئُ التّسديد[٧] ، ويعلمُ أنّه لاينجيه منه إلا أنْ يتّقِيَه بذرْقِه ، فإذا أوعى ذلك الذّرْق[٨] ، واستوْفى[٩] ذلك الرِّزق ، رجع

---

(١) الجدود : جمع جد بالفتح ، وهو الشاطىء . والجد بالكسر والجدة بالكسر أيضا ، بمعنى الجد : الشاطىء .

(٢) ماعدا مب : « مصعدا » .

(٣) ط : « بغمه وبكربه » ، وصوابه فى س ، م . وفى مب : « يغصه ويكربه » .

(٤) شحافاه : فتحه . ماعدا مب : « يذرق فإذا ذرق شحا فاه » .

(٥) ط : م : « رما » ، وأثبت مافى س . و « رما - وصوابهما رمى - » و « دحا » بمعنى . وفى مب : «كأنه راد فى بئر » .

(٦) المدحاة : آلة الدحو ، أى الرمى . الأسوار بالضم والكسر : الجيد الرمى بالسهام . مب : « مد حاسد اسوار » ، محرفة .

(٧) التسديد : إصابة الهدف . ماعدا مب : « التشديد » .

(٨) الذرق : نجو الطائر . أوعاه : استوعبه . مب : « وعى » .

(٩) ط : «استوى فى» ، وصوابه فى س ، مب .

شبعانَ ريّانَ بقُوتِ يومه ، ومضى الطائرُ الكبير لِطِيَّتِه . وأمرهما مشهورٌ وشأنُهما ظاهر ، لايمكن دفْعه ولا تُهَمَةُ المخبِرين عنه .

(التخالف بين الحيوان فى الطباع)

فجعل تعالى وعزَّ بعضَ الوحوش كَسُوباً محتالا ، وبعضَ الوحوش متوكِّلا غيرَ محتال ، وبعضَ الحشرات يدَّخِر لنفسه رِزْقَ سنَتِه ؛ وبَعضاً يتّكل على الثِّقةِ بأنَّ له كلَّ يوم قَدْرَ كِفايتِهِ ، رزقاً معَدًّا وأمرًا مقطوعا . وَجَعَلَ [بعضَ[1]] الهَمَج يدَّخر ، وبعضَه يتكَسَّب ، وبعضَ الذكورة يعُولُ وَلده ، وبعض الذكورة لايعرف وَلده ، وبعضَ الإناث تُخَرِّج ولدها[2] ، وبَعض الإناث تضيِّع ولدَها وتكفلُ وَلدَ غيرِها ، وبَعْضَ الأجناس معطوفَةٌ على كل وَلَدٍ من جنسها ، وبعض الإناث لاتعرف وَلدَها بعد استغْنائهِ عنها ، وبعض الإناث لاتزال تعرِفُه وتعطفُ عليْهِ ، وبعضَ الإناث تأكلُ وَلدَها ، وكذلك بعض الذكُورة . وبعضَ الأجناس يُعادى كُلَّ مايكسر بيضَها[3] أو يأكل أولادَهَا . وجعل يُتْمَ بعضِ الحيوان من قِبَل أمّهاتها ، وجعل يُتْمَ بعضها من قِبَل آبائها ، وجعل بعضَها لايلتمس الولد وإن أتاه الولد ، وجعل بعضها مستفرَغَ الهَمِّ فى حُبِّ الذَّرء[4] والتماس الولدِ ؛ وجعل بعضها يُزَاوِج وبعضها لايزاوِج

(١) التكملة من مب .

(٢) التخريج : التربية والتأديب . ويصح أن تكون « تخرج » من الإخراج . كما نقل الجاحظ عن أرسطو فى الحيوان (٦ : ٣٣٨) : أن العقاب لابد أن تخرج واحدا من أولادها ، وربما طردتهن جميعا . اهـ لكن المقابلة ترجح الضبط الأول . وفى مب : « تبغض ولدها » .

(٣) ماعدا مب : « كل شىء ويكسر بيضها » .

(٤) الذرء : النسل .

ليكونَ للمتوكل من الناس جهةٌ فى [توكّله ، وللمتكسِّب جهةً فى(١)] تكسُّبه وليُحضِرَ(٢) على بالهم أسباب البِرِّ والعُقوق ، وأسبابَ الحظْر والتربية ، وأسبابَ الوَحشة من الأرحام الماسَّة .

(افتراق المعانى واختلاف العلل)

ولمكانِ افتراق المعانى(٣) واختلافِ العلل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعضهم : «اعقِلْهَا وتَوَكَّلْ(٤) » . وقال لبلال : « أَنفِقْ بلالُ ، ولا تخشَ مِنْ ذى العَرْش إقْلالاً ! » .

[فافهموا هذا التدبيرَ ، وتعلَّموا هذه الحِكم ، واعرفوا مداخلَها ومخارجَها ومفرَّقَها ومجموعَها ؛ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يُرَدِّد فى كتابه ذِكرَ الاعتبارِ ، والحثَّ عَلَى التفكير ، والترغيبَ فى النظر وفى التثبُّت والتعرُّف والتوقُّف(١)] ، إلاّ وهو يريد أن تكونوا علماءَ من تلك الجهة ، حكماءَ من هذه التعبئة(٥) .

(المعرفة والاستدلال)

ولولا استعمال المعرفة لما كان للمعرفة معنى ، كما أنّه لولا الاستدلال بالأدلة لما كان لوضع الدلالة معنى . ولولا تمييزُ المضارِّ من المنافع(٦) ، والرديِّ من الجيِّد بالعيون المجعولة لذلك ، لما جعَل الله عزَّ وجلّ العيونَ المدرِكَةَ . والإنسانُ الحسَّاس(٧) إذا كانت الأمور المميَّزة عنده ، أخذ مايحتاج إليه وترك مايستغنى عنه وما يَضُرّ أخذه(٨) ، فيأخذ مايحبُّ ويدَعُ مايكره ، ويشكر

---

(١) التكملة من مب . (٢) ماعدا مب : » ولتحظر » .

(٣) ماعدا مب : « اقتران المعانى » .

(٤) رواه الترمذى عن أنس . وقال السيوطى : حديث ضعيف . الجامع الصغير ١١٩١ .

(٥) التعبئة : الإعداد . مب : « بهذه التعبئة » . (٦) كذا . ولعلها : «الضار من النافع» .

(٧) فى الأصل : «ولولا أن الإنسان الحساس » . (٨) ماعدا مب : « ومايضر من أخذه » .

على المحبوب ويصبر على المكروه ، حتى يذكر بالمكروه كيفيَّةَ العِقاب ، ويَذكُر بالمحبوب كيفيّةَ الثواب ، ويعرفَ بذلك كيفيَّة التضاعيف ، ويكون مايغمُّه رادِعًا له ، وممتَحَناً بالصَّبْر عليه ، وما يسرُّه باسطاً له ومُمْتَحَنا بالشكر
٤١ عليه . وللعقل فى خِلال ذلك مجال ، وللرأى تقلب ، وتَنَشّقٌ[1] للخواطر أسبابٌ ، ويتهيّأ لصواب الرأى أبواب . ولتكون المعارف الحسيَّة[2] والوِجدانات الغريزيّة ، وتمييز الأمور بها ؛إلى مايتميز عند العقول[3] وتحصره المقاييس . وليكون عملُ الدُّنيا سُلَّما إلى عمل الآخرة ، وليترَقَّى من مَعْرِفة الحواس إلَى مَعْرِفَةِ العُقول ، ومن معْرِفَة الرويّة من غايةٍ إلَى غايةٍ ؛ حتَّى لاَ يرضى من العِلم والعَمَل إلاّ بما أدّاه إلَى الثَّواب الدائم ، ونَجَّاه من العِقاب الأليم[4] .

(مايحسن الكلب مما لايحسنه الإنسان)

سنذكُرُ طَرَفا مِمَّا أودَعَ الله — عزَّ وجلَّ — الكلبَ مِمَّا لاتحسنُه أنت أيُّها الإنسان ، مع احتقارك له وظلمِك إيّاهُ .

وكيف لاتكون تلك الحِكَمُ لطيفةً ، وتلك المعانى غَريبةً ، وتلك الأَحساسُ دقيقة ، ونحنُ نَعلم أنَّ أدقَّ الناس حِسًّا وأرقَّهُم ذِهناً وأحضَرَهم فَهْماً ، وأصَحَّهم خاطِراً وأكملَهُمْ تجْرِبَة وعلما ، لَوْ رَامَ الشىءَ الذى يحسنُه الكلب فى كثيرٍ من حالات الكلب لَظَهَر [له[5]] من عجزِه وخُرْقه ، وكلال

(١) فى س : ، م : « وتنشر » . وفى ط : « تنشؤ » . وأثبت مافى مب .
(٢) ط : « الحبيبة » ، وتصحيحه من س .
(٣) ماعدا مب : « عنه العقول » تحريف .
(٤) ماعدا مب : «الدائم » . (٥) التكملة من مب .

حدِّه وفَساد حسِّهِ ، ما [لا [١]] يعرف بدونه أنَّ الأمورَ لم تُقسَم على مقدار رأيه ، ولا عَلَى مبلغ ِعقلِه وتقديره ، ولا على محبّتِه وشهوته ؛ وأنّ الذى قسم ذلك لايحتاج إلى المشاورَة والمعاوَنة ، وإلى مكانَفةٍ ومُرافدة[٢] ، ولا إلى تجرِبة ورويّة . ونحن ذاكرون من ذلك جملا إن شاء الله تعالى .

(خبرة الكلب فى الصيد)

أعلم أنَّ الكلب إذا عاين الظِّباء ، قريبةً كانت أو بعيدةً ، عرف المعْتَلَّ وغير المعْتل[٣] وعرَف العَنز من التَّيس . وهو إذا أبصرَ القطيعَ لم يقصِد إلاّ قصدَ التَّيس — وإنْ علم أنّه أشدُّ حُضراً ، وأطولُ وثْبةً ، وأبعدُ شوطاً — ويَدَعُ العنز وهويرى مافيها من نقصان حُضْرها وقصرقابِ خَطوها ، ولكنّه يعلم أنّ التَّيس إذا عدا شوطاً أو شوطين حَقِبَ ببوله[٤] !!

(مايعترى الحيوان عند الفزع)

وكلُّ حيوانٍ[٥] إذا اشتدَّ فزعه ، فإنّه يَعرِض[٦] له إمَّا سَلَس البول والتقطير ، وإمّا الأُسْرُ[٧] والحَقَب . وكذلك المضروب بالسياط على الأَكتاف ، وبالعصيِّ على الأَستاه . وما[٨] أكثر مايعتريهم البول والغائط .

(١) بهذه الزيادة يستقيم الكلام .
(٢) ماعدا مب : « مكاتفة ومرادفة » .
(٣) ط : « المقتل وغير المقتل » . وما أثبت من س ومب . وفى الدميرى — وأحسب أنه نقل عن الجاحظ — « عرف المقبل من المدبر » .
(٤) حقب ببوله : تعسر عليه البول . (٥) ماعدا مب : « وكل الحيوان » .
(٦) ماعدا مب : « سيعرض » .
(٧) الأسر ، بالضم : احتباس البول .
(٨) ط : « وأما » ، وصوابه فى س . وفى مب : « فما » .

وكذلك صار بعضُ الفُرسان الأَبطال إذا عايَنَ العدُوّ قطَّرَ إلى أن يذهب عنه ، لهَولِ الجَنان[١] .

وإذا حَقِبَ التَّيس[٢] لم يستطع البَول مع شدَّة الحُضر ، ومع النَّفْزِ والزَّمَع[٣] ، ووضع القوائم معًا ورَفعِها معاً ، فى أسرَعَ من الطَّرْف[٤] فيثقُل عَدْوُهُ ، ويقصُر مَدَى خُطاه[٥] ، ويعتريه البُهْر حتَّى يلحقه الكلبُ فيأخذه .

والعنز من الظِّباء إذا اعتراها البولُ من شدَّة الفزَع لم تجمعه ، وحذفت

٤٣ به كإيزاغ المَخاض الضَّوارِبِ[٦] ، لسَعَةِ السَّبيل وسهولةِ المخرج ، فتصير لذلك أدومَ شَدًّا ، وأصبرَ على المطاولة .

فهذا شىءٌ فى طبعِ الكلب معرفتُه ، دونَ سائر الحيوان .

والكلب المجرَّب لايحتاجُ فى ذلك إلى مُعاناةٍ ، ولا إلى تعلُّم ، ولا إلى رويّة ولا إلى تكلف ، قد كفاه ذلك الذى خَلَق العَقل والعاقل والمعقُول ، والداء والدواء والمداواةَ والمداوِى ، وقسَم الأُمور على الحكمة ، وعلى تمام مصلحة الخليقة .

(ذكاء الكلب ومهارته فى الاحتيال للصيد)

ومن معرفة الكلب ، أنَّ المُكلِّب يُخرجه إلى الصيد فى يومٍ ، الأَرضُ فيه ملبَسة من الجليد ، ومغشَّاةٌ بالثَّلجِ ، قد تراكم عليها طبقاً علَى طبَق ،

---

(١) ماعدا مب : «هول الجنان» . (٢) حقب : احتبس بوله . ماعدا مب : « تعب » .

(٣) النفز : وثب الظبى خاصة ، ويقال ظبى ينفوز . وفى ط ، س : « النفر » بالراء . وفى مب : « البعر» . وفيما عدا مب : « والجزع » . والزمع : القلق والخرق .

(٤) كذا فى س ، مب ، وهوالصواب . وفى ط : « فما أسرع فى الطرف » .

(٥) ماعدا مب : «فيقصر خطوه » .

(٦) الإيزاغ : دفع الناقة ببولها . والمخاض : النوق الحوامل ، وهى فى ط « المحاض » محرفة ، وصوابها فى س ، مب . والضوارب : التى تضرب بأرجلها إذا أرادها الفحل ، تفعل ذلك لأنها حامل . والجاحظ ينظر إلى قول النابغة :

بضرب يزيل الهام عن سكناته   وطعن كإيزاغ المخاض الضوارب

حتّى طبّقها واستفاض فيها[١]، حتّى رُبّمَا ضربته الريح ببَرْدها، فيعود كلُّ طبَقٍ منها وكأنّه صفاةٌ ملساء، أو صخرةٌ خلْقاء[٢]، حتى لايثبت عليها قَدَمٌ ولا خُفٌّ، ولاحافر ولاظِلف، [إلاَّ][٣] بالتثبيت الشديد، أو بالجَهْدِ والتّفريق — فيمضى[٤] الكلاّبُ بالكلب، وهو إنسانٌ عَاقل، وصيّادٌ مجرِّب، وهو مع ذلك لايدرى أينَ جُحر الأرنب من جميع بَسائِطِ الأَرض[٥]، ولا موضعَ كُناس ظبيٍ، ولا مَكْوِ ثعلب[٦]، ولا غيرَ ذلك من موَالج[٧] وحوشِ الأَرضِ؛ فيتخرَّق الكلب[٨] بينَ يديه وخَلفَهُ، وعن يمينه وشماله ويتشمَّمُ ويتبصّر، فلا يزال كذلك حتَّى يقِف على أفواه تلك الجِحَرة، وحتى يُثير الذى فيها بتنفيس الذى فيها[٩]، وذلك أنَّ أنفاسها وبُخارَ أجوافهاَ وأبدانِها، وما يخرج من الحرارة المستكنّةِ[١٠] فى عمق الأرض — ممّا يُذيب مالاقاهاَ[١١] من فَمِ الجُحْر، من الثّلجِ الجامد، حتى يرقّ ويكاد أن يثقبه[١٢] وذلك خفيٌّ غامض، لايقع عليه قانص[١٣] ولا راعٍ، ولا قائف ولا فلاّح، وليس يقع عليه إلاّ الكلب الصائد الماهر.

---

(١) ط: « استغاض فيها »؛ وصوابه فى سائر النسخ.
(٢) الخلقاء من الصخور: المصمتة الملساء التى لايؤثر فيها شىء.
(٣) التكملة من مب.
(٤) ماعدا مب: « فمضى »، تحريف.
(٥) مب: « بسيط الأرض ».
(٦) مكو الثعلب: جحره؛ ماعدا مب: « مكمن ثعلب ».
(٧) موالج: مداخل.
(٨) يتخرق: يشتد عدوه. وبين يديه: أمامه.
(٩) بتنفيس الذى فيها؛ ليس فى مب.
(١٠) ط: « المستكمنة »، وأثبت مافى س، م، مب.
(١١) ط: « ملاقاها »، والصواب المثبت من س، مب.
(١٢) ماعدا مب: « وإن لم يثقب ».
(١٣) ط: « ناقص »؛ وهو تحريف صوابه فى س، مب. والقانص: الصائد.

وعلى أنّ لِلكلب[١] فى تَتَبُّع الدُّرَّاج[٢] والإصعادِ خَلْفَ الأرانب فى الجبَل الشاهق ، من الرِّفق وحسن الاهتداء والتأنِّى[٣] مايخفى مكانُه على البيازرة[٤] والكلاَّبين .

(الانتباه الغريزى فى الكلب)

وقد خبَّرنى صديقٌ لى أنّه حبس كلباً له فى بيتٍ وأغلَقَ دونه الباب فى الوقت الذى كان طبَّاخُه يرجع فيه من السوق ومعَه اللحم ، ثمَّ أحدَّ سِكِّيناً بسكين ، فنبَح الكلب [وقَلِق[٥]]، ورام فتحَ الباب ؛ لتوهُّمه أنَّ الطبَّاخ قد رجَع من السوق بالوظيفة[٦] ، وهو يحد السِّكِّين ليقطع اللَّحم ! !

قال : فلما كان العشىُّ صنَعْنا به مثلَ ذلك ، لنتعرَّف حالَه فى معرفة الوقت ، فلم يتحرَّكْ ! !

قال : وصنعتُ ذلك بكلبٍ لى آخرَ فلم يَقْلَقْ إلاَّ قلقاً يَسيرا ، فلم يلبث أَنْ رجَع الطبّاخُ فصنَع بالسّكِّين مثل صنيعى ، فقلِق حتَّى رام فتحَ الباب!!

٤٣ قال فقلت : واللهِ لَئِنْ كان عرفَ الوقتَ بالرَّصْد[٧] فتحرَّك له ، فلما لم يشَمَّ ريحَ اللحم عرَف أنَّه ليس بشىء ، ثمَّ لما سمع صوتَ السِّكِّين

---

(١) فى الأصل : « الكلب » ؛ والصواب ما كتبت .

(٢) الدراج : طائر أسود باطن الجناحين وظاهرهما ؛ أغبر على خلقة القطا ؛ إلا أنه ألطف . و « تتبع » هى فى الأصل : « تنبيح » وفى مب : « تبنيج » ، والوجه ماأثبت .

(٣) مب : «التأنى» ؛ وفيما عداها : « التأتى » ؛ والوجه ما أثبت . والتأتى : حسن الاحتيال .

(٤) ماعدا مب : « لايخفى » و « لا » مقحمة ؛ و البيازرة : جمع بيزار بفتح الباء ؛ وهو الصائد بالبازى . ماعدا مب : « البياز » ؛ وهو تحريف ماأثبت من مب .

(٥) التكملة من مب .

(٦) الوظيفة : مايقدر من طعام أو رزق فى اليوم ، وكذا فى السنة والزمان المعين .

(٧) الرصد : الارتقاب .

والوقتُ بَعْدُ لم يَذْهب ، وقَدْ جيء باللحم [فشمَّ رِيحَ اللَّحم] من المطبخ[١] وهو فى البيت ، أو عرف فَصْل[٢] مابين إحدادِى السِّكِّينَ وإحدادِ الطباخ ، إنّ هذا أيضاً لَعَجَب .

وإنّ اللحمَ ليكونُ بينى وبينَه الذراعان والثلاث الأذرع ، فما أجدُ ريحَه إلاّ بَعْدَ أنْ أُدْنِيَه من أنفى . وكلُّ ذلك عجب .

ولم أجِدْ أهل سكّة أصطَفانُوس[٣] ، ودار جاريَةَ ، وباعَةَ مُرَبَّعَةِ بنى مِنْقَرٍ[٤] يشُكُّون أنَّ كلباً كان يكونُ فى أعلى السكة ، وكان لا يجوز مَحْرَس الحارس أيامَ الأسبوع كلِّه ، حتَّى إذَا كان يومُ الجمعة أقبلَ قَبْلَ صلاة الغداة ، من موضعه ذلك إلى بابِ جاريَة ، فلا يزال هناكَ مادام على مِعْلاقِ الجزَّارِ شىءٌ من لحم . وبابُ جاريَةَ تُنحر عندَه الجُزُر فى جميع أيّام الجمع خاصَّة ، فكان ذلك لهذا الكلب عادةً ، ولم يره أحدٌ [منهم] فى ذلك الموضع فى سائر الأيَّام[٥] ، حتَّى إذا كان غداةَ الجمعة أقبَل !

فليس يكونُ مِثلُ هذا إلّا عن مقداريَّةٍ[٦] بمقدار ما بين الوقتين .

ولعلَّ كثيراً من الناس ينتابون بعْض [هذه[٧]] المواضع فى يومِ الجمعة ،

---

(١) ط ، م : « الطبخ » ، وصوابهما فى س ، مب . والتكملة قبله من مب .

(٢) المراد بالفصل الفرق .

(٣) موضع فى البصرة ، مسماة باسم كاتب نصرانى كان فى أيام زياد أو ماقاربها . روى عن ابن عباس أنه قال « الخطوط مقسومة ، لا يقدر أحد على صرفها ونقلها عن أماكنها . ألا ترى إلى سكة أصطفانوس كان يقال لها سكة الصحابة ، نزلها عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تضف إلى واحد منهم ، وأضيفت إلى كاتب نصرانى من أهل البحرين — يريد أصطفانوس — وتركوا الصحابة » . معجم البلدان (أصطفانوس ، وسكة أصطفانوس) .

(٤) الباعة : جمع بائع . والمربعة : الموضع المربع . وفى ط : « مربعة بين منقر » ، وهو تحريف ماأثبت من س ، م ، مب والتيمورية . وهى وسابقتها موضعان بالبصرة .

(٥) التكملة من مب . و « فى سائر الأيام » ساقط من مب . وفى سائر النسخ : « فى سائر أيام الجمعة » ، تحريف .

(٦) مقدارية : بمعنى تقدير ، وهو مصدر صناعى من كلمة « مقدار » . مب : « عن معرفة »

(٧) زدتها للحاجة إليها .

إمّا لصلاةٍ ، وإما لغير ذلك ، فلا يَعْدِمُهُم[١] النِّسيان من أنفسهم ، والاستذكار بغيرهم[٢] . [وهذا[٣]] الكلبُ لم ينسَ من نفسه ، ولا يستذكر بغيره[٤] .

وزعم هؤلاء بأجمعهم أنّهم تفقّدوا شأنَ هذا الكلب منذ انتهوا لصَنيعه هذا[٥] ، فلم يجدُوه غادرَ ذلك يوماً واحداً . فهذا هذا .

(قصّة فى وفاء الكلب)

وأنشد أبو الحسن بن خالويه[٦] عن أبى عُبيدة لبعض الشعراء :

يُعَرِّدُ عنهُ جارُهُ وشقيقُه ... وينبِش عنه كلْبُهُ وهو ضاربُهْ[٧]

قال أبو عبيدة[٨] : قيل ذلك لأنَّ رجلاً خرج إلى الجبّان ينتظر رِكابَه فأتبعه كلبٌ كان له ، فضرب الكلبَ وطردَه ، وكره أن يتبعه ، ورماه بحجر ، فأبى الكلبُ إلّا أن يذهب معه ، فلما صار إلى الموضع الذى يريد فيه الانتظار ، ربضَ الكلبُ قريباً منه ، فبينا هو كذلك[٩] إذ أتاهُ أعداءٌ لَهُ يطلبونه

(١) يقال مايعدمنى هذا الأمر : أى مايعدونى . ويقال أيضا : أعدمنى الشىء : إذا لم أجده . وفى ط : « لايعد فيهم » ، وهو تحريف مافى س ، مب .
(٢) ماعدا مب : « لغير » .
(٣) التكملة من مب . (٤) ماعدا مب : « ولم يتذكر » .
(٥) كلمة «هذا» من مب فقط . وفيما عدا مب : « لصنعه » . (٦) مب : « بن حلوه » .
(٧) التعريد : الإحجام والفرار . وفى الأصل : « يعود » ، وليس لها وجه يصح . والصواب ما كتبت من تأويل مختلف الحديث ص ١٦٦ .
(٨) قصة البيت رواها ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث عن أبى عبيدة أيضا ، ولكنها تباين ماهنا ، قال : « وقد كان أبو عبيدة يذكر أن رجلين سافرا ومع أحدهما كلب له ، فوقع عليهما اللصوص فقاتل أحدهما حتى غلب وأخذ فدفن وترك رأسه بارزاً ، وجاءت الغربان وسباع الطير فحامت حوله ، تريد أن تنهشه وتقلع عينيه ، ورأى ذلك كلب كان معه ، فلم يزل ينبش التراب عنه حتى استخرجه ، ومن قبل ذلك قد فر صاحبه ، وأسلمه » .
(٩) ماعدا مب : « قريبا فبينما هو كذلك » .

بطائلةٍ لهم عنده ، وكان معه جار لَهُ وأخوه دِنْياً(١) ، فأسلماه وهربا عنه ، فجرح جِراحاتٍ ورُمى بهِ فى بئرٍ غيرِ بعيدة القعر ، ثم حَثَوْا عليه من التراب حتَّى غَطَّى رأسَه(٢) ثم كُمِّمَ فوقَ رأسِه منه(٣) ، والكلبُ فى ذلك يَزْجُم(٤) ويَهِرُّ ، فلمَّا انصرفوا أتى رأسَ البئر ؛ فما زال يَعوى وينبث(٥) عنه ويحثُو التُّرابَ بيده ويكشف عن رأسه حتى أظهر رأسَه، فتنفّسَ ورُدَّتْ إليه الرُّوح(٦) ٤٤
وقد كاد يموتُ ولم يبق منه إلّا حُشاشة ، فبينا هو كذلك إذْ مَرَّ ناس فأنكروا مكان الكلب ورأوه كأنَّه يحفِر عن قبر ، فنظروا فإذا هم بالرَّجُلِ فى تلك الحال ، فاستشالوه(٧) فأخرجوه حيًّا ، وحملوه حتّى أدَّوه إلى أهله ، فزعم أنّ ذلك الموضعَ يُدْعَى ببئر الكلب . وهو مُتيامِن عن النَّجف(٨) .

وهذا العملُ يدل عَلَى وَفَاءٍ طبيعى(٩) وإلفٍ غريزى ومحاماةٍ شديدة ، وعلى معرفةٍ وصبرٍ ، وعلى كرم وشكر ، وعلى غناءٍ عجيب ومنفعةٍ تفوق المنافع ؛ لأنّ ذلك كلَّه كان من غير تكلف ولا تصنُّعٍ .

---

(١) قال الوزير أبو بكر البطليوسى : « إذا كسر أوله جاز فيه التنوين ، وإذا ضم لم يجز فيه إلا ترك الصرف ؛ لأن فعلى لايكون إلا للمؤنث . وهو منصوب على المصدر إذا نون كما تقول : هذا درهم ضرب الأمير ، وعلى الحال إن كان ألفه للتأنيث » . ودنيا بمعنى الأدنى من القرابة . انظر ص ٤ من خمسة دواوين العرب . ويفهم من صنيع صاحب اللسان أن هذه الكلمة لا تقال إلا فى ابن العم أو العمة أو ابن الخال ، أو الخالة ، أو ابن الأخ ، أو الأخت .

(٢) ماعدا مب : « ثم حثى عليه التراب ثم غطى رأسه » .

(٣) كمه : غطاه . و « ثم كمم فوق رأسه » ساقط من مب .

(٤) يزجم : يصوت . والغرب : جمع غراب . مب : « يزحم » . وفى سائر النسخ : « يرحم » ، والوجه ماأثبت .

(٥) نبث الأرض : نبش ترابها . ماعدا مب : « ينبش » .

(٦) مب : « ويبحث التراب عن رأسه حتى تنفس ووصل إليه الروح » .

(٧) استشالوه : رفعوه . (٨) مب : « النحيت » .

(٩) مب : « على طبيعة » .

(مؤمن بن خاقان والأعرابى)

وقال مؤمَّل[١] بن خاقان، لأعرابيٍّ من بنى أَسد، وقد أَكلَ جَرْوَ كلب: أتأكل لحم الكلب وقد قال الشاعر[٢] :

إذا أسدىٌّ جاعَ يوماً ببلدةٍ   وكان سميناً كلبُه فهو آكلُه

أكُلٌّ هذا قَرَما إلى اللحم ؟! قال : فأنشأ[٣] الأسدىُّ يقول :

وصَبًّا بحظِّ اللّيثِ طُعْماً وشَهْوَةً
فسائِل أخا الحَلْفَاءِ إن كنتَ لاتدرى[٤]

(طلب الأسد للكلب)

قال : وذلك لأنَّ الأسَدَ[٥] لايحرِص على شئٍ من اللُّحمانِ حِرصَه على لحم الكلب . وأَمّا العَامَّة فتزعُم أَنَّ لُحوم الشاءِ أحبُّ اللُّحمانِ إليه، قَالُوا : ولذلك يُطيف الأسدُ بجَنَبَاتِ القُرى ؛ طلباً لاغترار الكلب ؛ لانَّ وثبة الأسد تُعجِل الكلب عن القيام وهو رابض . حتَّى رُبَّما دعاهم ذلك إلى إخراج الكلاب من قُراهم ؛ إلاَّ أنْ يَكون بقرب ضِياعهم خنازيرُ ، فليس حينئذٍ شئٌ أحبَّ إليهم من أن تكثُر الأُسد عندهم . وإنَّما يُخرِجون عنهم فى تلك الحالات الكلاب[٦] ، لأنَّهم يخافونها على ماهو عندهم أنفَسُ

(١) ماعدا مب : « مؤمن » ، صوابه من مب ، والبيان ١ : ١١٨ ، ١١٩ ، ٣٥٥.
(٢) هو الفرزدق كما فى البخلاء ١٩٨ والمعانى الكبير ٢٥٤ .
(٣) ماعدا مب : « فأنشد » .
(٤) ماعدا مب : « الحلفاء » وفى ط : « أخى » ، صوابه فى مب والمعانى الكبير . قال ابن قتيبة : « وأخو الحلفاء : الأسد ، لأنه يسكن الحلفاء فى الغياض » .
(٥) ط : « وذلك الأسدى » ، والصواب ماأثبت من س ، م . وفى مب : «وذلك أن الأسد» .
(٦) مب : « وإنما يخرجون فى تلك الحال الكلاب » .

من الكلب ، وهذه مصلحةٌ فى الكلب(١) ، ولا يكون ذلك إلّا فى القُرى التى بِقُرْبِ الغَيْضَةِ أو المأسَدة(٢) .

(علة طلب الأسد للكلب)

فزعم لى(٣) بعضُ الدَّهاقِينِ قولاً لا أدرى كيف هو ، ذكر(٤) أنّهم لا يشكُّونَ أنّه إنّما يطالبُ الكلبَ لحَنَقِه عليه ، لا من طريقِ أنّ لحمَه أحبُّ اللُّحمان إليه . وإنّ الأسدَ ليأتى مَناقِعَ المياه ، وشطوطَ الأنهار ، فيأكل السَّراطين والضفادع ، والرَّق(٥) والسلاحف ، وإنّه أَشرَهُ مِنْ أَنْ يختارَ لحمًا على لحم . قال : وإنّما يكون ذلك منه إذا أرادَ المتطرِّفَ من حمير القرية وشائها وسائر دوابِّها . فإذا لَجَّ الكلبُ فى النُّباح انتبهوا ونذِروا بالأسَد(٦) . فكانوا بَيْنَ أنْ يحصِّنوا أموالَهم وَبينَ أن يهجهجوا به(٧) . فيرجعَ خائبا . فإذا أراد ذلك بدأ بالكلب ؛ لأنْ يأمَنْ [بذلك] الإنذار(٨) ، ثمَّ يستولى على القرية(٩) بما فيها . فإنّما يطالب الأسدُ الكلابَ لهذه العلَّة . ٤٥

---

(١) هذه الجملة ساقطة من مب .

(٢) المأسدة : الأرض الكثيرة السباع . ما عدا مب : « التى تقرب » .

(٣) ما عدا مب : « وقال » .

(٤) ما عدا مب : « غير » .

(٥) الرق : العظيم من السلاحف . وفى الأصل : « الزق » بالزاى ، محرفة .

(٦) نذروا به : علموا . يقال أنذرتهم فنذروا ، بفتح النون وكسر الذال . مب : « فألح الكلب فى النباح انتبهوا وبدروا بالأسد » .

(٧) هجهج بالكلب : صاح به ليبعد فقال له : هج ! هج ! .

(٨) أى لكى يأمن الإنذار . ما عدا مب : « لأنه يأمن الإنذار » .

(٩) ط : يبيتون فى أعلى القرية . س ، م : « ثم يستوفى على القرية » ، صوابها من مب .

(من حيل الأسد فى الصيد)

وسمعتُ حديثاً من شُيُوخ مَلَّاحِى الموصل — وأنا هائب له — ورأيتُ الحديثَ يدُور بينهم ، ويتقبّله جميعُهم . وزعموا أنّ الأسدَ رُبَّما جاء إلى قَلس السفينة[١] ، فيتشبَّث به ليلا ، والمَلَّاحون يمدُّون السفينةَ فلا يشكُّون أنَّ القَلْس قد التفَّ عَلَى صخرة ، أو تعلَّق بِجذْم شجرة[٢] . ومن عاداتهم أنْ يبعثوا الأوّل من المدّادين ليحلَّه[٣] . فإذا رجع إليه الملاّح ليمدّه تمدّد الأسدُ بالأرض ، ولزِق بها[٤] وغمّض عينيه كى لايُبصَر وبيصُهما بالليل[٥] ، فإذا قرُب منه وثب عليه فخطِفه[٦] ، فلا يكون للملّاحين همٌّ إلّا إلقاءَ أنفُسهم فى الماء وعبورَهم إليه ؛ وربما أكله إلّا مابقيَ منه ، ورُبما جرَّ فريسته إلى عِرِّيسه وعرينه[٧] ، وإلى أجرائه وأشبالِه ، وإنْ كانَ ذلك عَلَى أميال[٨] .

(سلاح الكلب وسلاح الدِّيك)

قالوا : فليس الدِّيك من بابَةِ الكلب ؛ لأنّهُ إنْ ساوَرَهُ قَهَرَهُ قَهْرًا ذرِيعا . وسلاحُ الكلب الذى هو [فى[٩]] فيه ، أقوى من صِيصة[١٠]

---

(١) القلس ، بالفتح : حبل غليظ من حبال السفن . ماعدا مب : « جلل قلس السفينة » .
(٢) جذم الشجرة : أصلها .
(٣) ط : « أول المدائن » ، محرفة . وفى م : « أول المدادين » ، وأثبت ما فى س ، مب . وفيما عدا مب : «ليحله» .
(٤) مب : « فإذا رجع إليه الملاح تمدد الأسد ولصق بالأرض » .
(٥) الوبيص : البريق . (٦) مب : « فحطمه » .
(٧) العريس والعريسة : مأوى الأسد . وفى م : « عريشته » وفى مب : « إلى عريسته وعرسه » .
(٨) ما عدا مب : « وإن ذلك على أميال » .
(٩) زيادة ضرورية .
(١٠) الصيصة : شوكة فى رجل الديك ، كما فى اللسان والقاموس . وقيل : صوابه « الصيصية » وقيل : تلك مخففة من هذه . انظر تاج العروس . مب : « صيصيته » .

الديك التى [١] فى رجـله [٢] ، وصـوته أَنْدَى - وأبعَد مَدَى [٣] ، وعينه أيقظ .

(دفاع عن الكلب)

والكلب يكفى نفسه [٤] ويحمى غيره ، ويعُول أهلَه ، فيكون لصاحبه غُنمه وليس عليه غُرمه . ولَمَا يَرمَحُ [٥] الدوابُّ من الناس ، ولَمَا يَحرن ويجمَح ، وتنطَح وتقتُل أهلها فى يوم ٍ واحد ، أكثَرُ مِمَّا يكونُ من جميع الكلاب فى عام .

والكبش يَنْطَحُ فيعقِر ويقتل ، من غير أن يُهاج ويُعبَث به .

والبرذَون يَعضُّ ويرمَح من غير أن يُهاج به ويُعبَث .

وأنت لاتكادُ ترى كلباً يَعَضُّ أحداً إلّا من تهييج شديد ، وأكثر ذلك أيضا إنَّما هو النُّباح والوعيد .

---

(١) فى الأصل : « الذى » ، والوجه ماأثبت .

(٢) قرأت فى نثار الأزهار لابن منظور ٩٦ : « وفى الديك الصيصة ، وهى طرف عرفه الحاد ، وهى سلاحه الذى يقاتل به ، وبها سمى قرن الثور صيصة » ، فقد جعل الصيصة فى العرف كما ترى .

(٣) أندى فى معنى أبعد . وفى ط : « الذى أبعد » ، تحريف صوابه فى س . وكلمة « مدى » من هب .

(٤) ماعدا هب : « يحمى نفسه » .

(٥) الرمح : الرفس .

(٦) ماعدا هب : « ولما تحذف وتجنح » .

(معرفة الكلب صاحبه وفرحه به)

والكلب يعرِف وجهَ ربِّه (١) [من وجه عبده] وأمَتِه ، ووجهَ الزائر . حتَّى ربَّما غاب صاحب الدار حولاً مجرَّماً (٢) ، فإذا أبصرَه قادِماً اعتراه من الفرَح والبصبصة ، والعُواء (٣) الذي يدلُّ على السرور ، وعلى شدَّة الحنين ، مالا يكون فيه شيءٌ فوقه (٤) .

(قصّة فى وفاء كلب)

وخبَّرنى صديقٌ لى قال : كان عندنا جروُ كلب ، وكان لى خادمٌ لهِجٌ بتقريبه ، مولعٌ بالإحسان إليه ، كثيرُ المعاينـة له ، فغاب عن البَصرة أشهراً (٥) ، فقلت لبعضِ مَنْ عِنْدى : أتظنون أنّ فلانا (يعنى الكلب) يُثبت اليومَ صورةَ فلان (يعنى خادمَه الغائب) وقد فارقَه وهو جرو ، وقد صار كلباً يشغَر ببوله؟ قالوا : مانشكُّ أنّه قد نسىَ صورتَه وجميعَ برِّه كان به (٦) . قال : فبينا أنا جالسٌ فى الدار إذ سمعت من قِبَلِ بابِ الدار نُباحَه ، فلم أرَ شِكْلَ نباحه من التأنُّب (٧) والتعثيث (٨) والتوعّد ، ورأيت فيه بَصبصةَ

---

(١) ماعدا مب : « صاحبه » . والتكملة بعده من مب .

(٢) مجرما : كاملا . ط : « نعم ربما غارب عند صاحبه حولا كاملا » وفى س : « نعم ربما غاب عنه صاحبه حولا كاملا » ، صوابه فى مب .

(٣) ط : « والالتواء » .

(٤) ماعدا مب : « بما لاشىء فوقه » .

(٥) ماعدا مب : « فغاب عنها إلى البصرة أشهرا » .

(٦) ماعدا مب : « وجميع بر كان يبره » .

(٧) كذا . وفى س : « التونب » وفى مب « من شكل التوثب » .

(٨) التعثيث : الترجيع فى الصوت . والكلمة ساقطة من مب .

السُّرور ، وحَنين الإلْف . ثمَّ لم أَلبَث أن رأيتُ الخادمَ طالعاً علينا ، وإنَّ الـكلبَ ليلتَفُّ على ساقيه ، ويرتفع إلى فخذيه ، وينظُر فى وجهه ، ويصيح صياحاً يستَبِين فيه الفرحُ . ولقد بلَغ من إفراط سُروره أنّى ظَننتُ أنّه عُرِض[1] . ثمَّ كان بعد ذلك يغيب الشّهرين والثلاثة ، أوْ يمضى إلى بغدادَ ثم يرجع إلى العسكر[2] بعد أيَّام ، فأعرِف بذلك الضّرْب من البصبصة ، وبذلك النوع من النُّباح ، أنَّ الخادمَ قدِم . حتّى قلتُ لبعض من عندى[3] : ينبغى أن يكون فلان قد قدم ، وهو داخل عليكم مع الـكلب . ٤٦

وزعم لى أنّه ربَّما أُلْقِىَ لهذا الجرو إلى أن صار كلبا تامًّا ، بعضُ الطعام فيأكل منه ما أكل ، ثم يَمضى بالباقى فيخبؤُه[4] . وربَّما أُلْقِىَ إليه الشىءُ وهو شَبْعان فيحتمله ، حتَّى يأتِىَ به بعضَ المخابئ فيضعه هناك ، حتّى إذا جاع رجَع إليه فأكله .

(أدب الـكلب)

وزعم لى غِلمانى وغيرُهم من أهل الدَّرب ، أنّه كان ينبح على كلِّ راكبٍ يدخل الدرب إلى عراقيب برذونه ، سائساً كان أو صاحبَ دابّةٍ إلَّا أنّه كان إذا رأى محمدَ بن عبدِ الملكِ داخلاً إلى باب الدربِ أو خارجاً منه ، لم ينبَحْ ألبتَّةَ ، لا عليه ولا على دابَّته ، بل كان لايقف له على الباب ولا على الطريق ، ولـكنَّه يدخل الدّهليز سريعاً ، فسألتُ عن ذلك فبلغنى

(١) عرض : أصابه الجنون . مب : « ظننت انه قد عرض له » .

(٢) هو عسكر المهدى ، المعروف بالرصافة ، سمى بذلك لأن المهدى عسكر به حين شخص إلى الرى . معجم البلدان .

(٣) ماعدا مب : « لبعضهم عندى » .

(٤) ماعدا مب : « ليخبأه » .

أنه كان إذا أقبل صاحَ به الخادم، وأهوَى له بالضَّرب[١] ، فيدخل الدِّهليز، وأنه مافعل ذلك بهِ إلَّا ثلاثَ مِرارٍ[٢] ،حتَّى صارإذا رأى محمَّدَ بنَ عبدِالملك، دخل الدِّهليزَ من تلقاء نفسه ، فإذا جاوزَ وثب عَلَى عراقيب دوابِّ الشاكريَّة[٣] . ورأيتُ هذا الخبرَ عندَهم مشهوراً .

قال : وكُنَّا إذا تَغَدَّيْنَا دنا من الخِوان فزجرناه مرَّةً أو مرَّتين، فكان لايقرَبُنا ، لمكان الزَّجر[٤] ، ولا يَبْعُدُ عن الخوان ، لعلَّةِ الطمع ، فإن ألقينا إليه شيئاً أكلَه ثَمَّ ، ودنا من أجل ذلك بعضَ الدُّنوِّ . فكُنَّا نستظهِرُ عليه[٥] ، فنرمى باللُّقمة فوقَ مَربِضِه بأذرُع . فإذا أكلها ازداد فى الطَّمَع ، فقرَّبهُ ذلك من الخِوان ، ثمَّ يجوز موضعَه الذى كان فيه . ولولا ما كنا نقصِد إليه من امتحان ما عندَه ، ليصيرَ مايظهرُ لنا حديثاً ، لكان إطعام الكلب والسِّنَّور من الخِوان خطأً من وجوه : أوَّلُهَا أن يكون يصير له به دُرْبة[٦] ، حتَّى إنَّ منها ما يمـدُّ يَده إلى ما على المائدة[٧] حتَّى

---

(١) ماعدا مب : « وهوله بالضرب » .

(٢) ماعدا مب : « مرات » .

(٣) فى القاموس « الشاكرى : الأجير المستخدم ، معرب چاكر » ، والجاحظ يستعملها بمعنى الجند ، قال فى رسـالته إلى الفتح بن خاقان فى مناقب الترك (رسائل الجاحظ ١ : ٣٠ بتحقيقنا) : « وقد ظن ناس كثيرون أن أسماء أصناف الأجناد لمـا اختلفت فى الصورة والخط والهجاء أن حقائقها ومعانيها على حسب ذلك . وليس الأمر على حسب ماتوهمه ، ألا ترى أن اسم الشاكرية وإن خالف فى الصورة والهجاء اسم الجند ، فإن المعنى فيهما ليس ببعيد ، لأنهم يرجعون إلى معنى واحد وعلم واحد » . فيظهر أن المراد بهذا اللفظ هو الجند المستأجرون .

(٤) ماعدا مب : « فرجمناه » ، و « لمكان الرجم » .

(٥) يريد نحاول التغلب عليه ، من ظهر عليه بمعنى غلبه .

(٦) ماعدا مب : « أن يكون تضرية مضرية له تدربة » ، والوجه مافى مب .

(٧) ماعدا مب : « الخوان » .

ربما تناول بفيه ماعليها[1] ، وربما قاء الذى يأكل[2][وهم يرونه]، وربما لم يرضَ بذلك حتّى يعُودَ فى قيئه . وهذا كله ممّا لاينبغى أن يحضُرَهُ الرئيس، ويشهدَه ربُّ الدار . وهو عَلَى الحاشية أجوز .

(الأكل بين أيدى السباع)

٤٧ فأمّا علماءُ الفرسِ والهِند ، وأطبّاءُ اليونانيِّينَ ودُهاةُ العرب ، وأهلُ التّجربة مِن نازلة الأمصار وحُذّاق المتكلّمين[3] ، فإنهم يكرهون الأكلَ بين أيْدِى السِّباع ، يخافون نفوسَها وأعينَها ، لِلّذى فيها من الشَّرَه والحِرص ، والطَّلَب والكَلَب ، [ولِماَ[4]] يتحلَّلُ عند ذلك من أجوافها من البخار الردِىء ، وينفصل مِن عيونها من الأُمور المفسِدة ، التى إذا خالطتْ طباعَ الإنسان نقضَتْه[5] .

وقد رُوى مثلُ ذلك عن الثّورى عن سِماك بن حَرْبٍ عن ابن عبّاس، أنّه قال على مِنبر البَصرة : إنّ الكلاب من الجِنّ ، وإنّ الجِنّ من ضَعَفَةِ الجِنّ ، فإذا غشِيكم منها شىءٌ [فألقُوا إليه شيئاً[6]] واطردوها ، فإنّ لها أنفسَ سوء .

ولذلك كانوا يكرَهون قِيامَ الخدمِ بالمذَابِّ والأشربةِ على رُءُوسهمْ وهم يأكلون ؛ مخافةَ النّفْس والعَين . وكانوا يأمرون بإشباعهم قبلَ أنْ

---

(١) ماعدا مب : « فإنما تناول بفيه ما عليها » .

(٢) ماعدا مب : « أكله » . والتكملة بعده من مب .

(٣) « وحذاق المتكلمين » ليست فى مب .

(٤) التكملة من مب ، وبعدها فى مب : « ينحل » بدل « يتحلل » .

(٥) ماعدا مب : « طبائع الإنسان نقضتها » . والطباع : الطبيعة .

(٦) الزيادة من س ، م ، مب . وفى تأويل مختلف الحديث ١٦٧ : « فإذا غشيتكم عند طعامكم فألقوا لها ، فإن لها أنفسا » ، قال ابن قتيبة : « يعنى أن لها عيونا تصيب بها . والنفس العين » .

يأكُلوا ، وكانوا يقولون فى السِّنَّور والكلب : إمَّا أنْ تطردَهُ قبل أن تأكلَ وإمَّا أن تشغَلَهُ بشيء يأكله ، ولو بعظم .

ورأيتُ بعضَ الحكماء وقد سقَطت من يده لقمةٌ فَرَفَعَ رأسه ، فإذا عينُ غلامٍ له[١] تحدِّق نحوَ لُقمته ، وإذا الغلامُ يزدَرِدُ ريقَه لتحلُّب فِيه من الشَّهوة . وكان ذلك الحكيمُ جيِّدَ اللَّقْم[٢] ، طيِّبَ الطعام ، ويضيِّق على غلمانه .

فيزعمون أنّ نُفوسَ السِّباع وأعينَها فى هذا الباب أردأ[٣] وأخبَث .

وبينَ هذا المعنى وبين قولهم فى إصابة العينِ الشيء العجيبَ المستحسَنَ شِرْكَةٌ وقَرَابَة ؛ وذلك أنَّهم قالوا : قد رأينا رجالاً ينسب[٤] ذلك إليهم ، ورأيناهم ، وفيهم من إصابة العَين مقدارٌ من العدد ، لانستطيع أن نجعل ذلك النَّسَق من باب الاتِّفاق . وليس إلى ردِّ الخبر سبيل ؛ لتواتره وترادُفِه ، ولأنّ العِيانَقد حقّقه ، والتجربة قد ضُمّت إليه .

(العين التى أصابت سهل بن حنيف)

وفى الحديث المأثور فى العين التى أصابت سَهْل بن حُنيف[٥] فأمرَ

---

(١) ماعدا مب : « غلامه » .

(٢) اللقم : الأكل السريع .

(٣) فى ط ، مب : « أردى » محرفة ، لأنها من الرداءة لا الإرداء ، ولا تكون من الثانى لأنه فوق الثلاثة ، والصواب فى س .

(٤) ط : « رجال لاينسب » ، بزيادة « لا » وصححته من س ، مب .

(٥) سهل بن حنيف من أهل بدر ، وممن ثبت يوم أحد ، حين انكشف الناس ، ونفح عن رسول الله ، وشهد الخندق والمشاهد كلها ، واستخلفه علىّ على البصرة بعد الجمل ، ثم شهد معه صفين . وهو من الأنصار . وعند ماآخى الرسول بين المهاجرين والأنصارجعل سهلا أخا لعلى بن أبى طالب . ومات بالكوفة سنة ثمان وثلاثين . الإصابة ٣٥٢٠ والمعارف ١٢٦ . وقد جعله ابن قتيبة « سهيلا » بالتصغير . والمعروف « سهل » كما فى الإصابة وسيرة ابن هشام فى غير ماموضع .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك بالذى أَمَرَ ، وذلك مشهور[١] .

(كلام فى العين والحسد)

قالوا : ولولا فاصل ينفصل من عين المستحسِن إلى بدن المستحسَن ، حتَّى يكون ذلك الداخلُ عليه هو الناقضَ[٢] لقُواهُ لَمَا جاز أن يلقى [مكروها البتَّةَ . وكيف يلقى[٣]] المكروه من انساقَ فى[٤] حَيِّزه وموضِعه[٥] ، [والذى أصابته العين فى حيِّزه أيضا وموضعه[٣]] ، من غير تماسٍّ ولا تصادُم ، ولا فاصل[٦] ولا عاملٍ لاقى معمولا فيه . ولا يجوز أنْ يكون المعتل بعد صحّته يعتلّ

(١) كنت قد كتبت بشأن هذا الحديث إلى المغفور له الأستاذ المحدث الكبير الشيخ أحمد محمد شاكر ، فكتب إلى رحمه الله بما يأتى : « أما حديث سهل بن حنيف فلا يمكننى جمع طرقه الآن ولكنه فى الموطأ (٣ : ١١٨ — ١١٩) وتيسير الوصول (٣ : ١٥٩) طبع التجارية فى كتاب الطب . وهو فى الموطأ بروايتين ، أولاهما « مالك عن محمد بن أبى أمامة بن سهل بن حنيف ، أنه سمع أباه يقول : اغتسل أبى ، سهل بن حنيف ، بالخرار ، فنزع جبة كانت عليه وعامر بن ربيعة ينظر . قال : وكان سهل رجلا أبيض حسن الجلد . قال : فقال له عامر ابن ربيعة : ما رأيت كاليوم ولا جلد عذراء ! — فى الرواية الأخرى : ولا جلد مخبأة ! — قال : فوعك سهل مكانه واشتد وعكه . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر أن سهلا وعك وأنه غير رائح معك يارسول الله . فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره سهل بالذى كان من أمر عامر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : علام يقتل أحدكم أخاه ! ألا بركت ؟ ! إن العين حق : توضأ له . فتوضأ له عامر ، فراح سهيل مع رسول الله ليس به بأس » . والحديث أخرجه النسائى وصححه ابن حبان ، ورواه الحاكم فى المستدرك من طرق أخرى (٣ : ٤١٠ — ٤١٢ ، ٤ : ٢١٥ — ٢١٦) بعضها مختصر وبعضها مطول .

(٢) ما عدا مب : « الناقص » ، تحريف .

(٣) التكملة من مب .

(٤) ما عدا مب : « من إنسان فى » .

(٥) حيزه : أى حده ومكانه المحدود . ط : « خيره » ، تحريف .

(٦) ط : « مناصل » ، صوابه فى س ، مب .

من غير معنًى بدنه(١) . ولا تنتقض الأخلاط ولا تتزايل إلّا لأمرٍ يعرِض ، لأنه حينئذٍ يكونُ ليس بأولى بالانتقاض من جسمٍ آخر . وإن جاز للصحيح أنْ يعتلّ من غير حادثٍ ، جاز للمعتلّ أن يبرأ من غير حادث.

٤٨ ظ وكذلك القولُ فى الحركة والسكون . وإذا جاز ذلك كان الغائبُ قياساً على الحاضر الذى لم يدخل عليه شىءٌ من مستحسِنٍ له . فإذا كان لابدَّ من معنًى قد عَمِل فيه ، فليس لذلك المعنى وجه إلّا أنْ يكونَ انفصل إليه شىءٌ عَمِل فيه . وإلّا فكيف يجوزُ أن يعتلّ من ذاتِ نفسه ، وهو على سلامتِه وتمام قوّتِه ، ولم يتغيَّرْ ولم يحدُث عليه ما يغيِّره . فهو وجسم غائب(٢) فى السَّلامة من الأعراض سواءٌ . وهذا جواب المتكلِّمين [الذين يصدِّقون بالعين ، ويُثبِتون الرُّؤيا(٣)] .

(صفة المتكلمين)

[وليس يكونُ المتكلمُ(٣)] جامعاً لأقطار الكلام متمكّناً فى الصناعة ، يصلح للرياسة ، حتّى يكون الذى يُحسِن من كلام الدِّين فى وزن الذى يُحسِن من كلام الفلسفة . والعالِمُ عندنا هو الذى يجْمَعهما ، والمصيب [هو(٣)] الذى يجمَع بين تحقيق التوحيد وإعطاء الطبائع حقائقها من الأعمال . ومن زعم أنّ التوحيدَ لايصلح(٤) إلا بإبطال حقائق الطبائع ، فقد حمل

(١) ماعدا مب : « بعد صحة معنى بدنه » .

(٢) هذا ما فى س ، مب ، وهو الحق . وفى ط : « فهو جسم ثابت » ، وفى م : « فهو وجسم نائب » .

(٣) التكملة من مب ، وفى أصلها « الرواية » بدل « الرؤيا » . وانظر ص ١٣٩ .

(٤) ماعدا مب : « لايصح » .

عجْزَه على الكلام فى التوحيد . وكذلك إذا زعمَ أنّ الطبائعَ لاتصحّ إذا قرنتَها بالتوحيد . ومن قال فقد حمل عجزَه على الكلام فى الطبائع .

وإنّما يَيْأس[١] منك الملحد إذا لم يَدْعُكَ[٢] التوفُّر على التوحيد إلى بَخس[٣] حقوقِ الطبائع ؛ لأنّ فى رفع أعمالها رفعَ أعيانها . وإذا كانت الأعيان هى الدالَّة على الله فرفعْتَ الدّليلَ[٤] ، فقد أبطلتَ المدلول عليه . ولعمرى إنّ فى الجمع بينهما لَبعضَ الشِّدّة .

وأنا أعوذُ بالله تعالى أنْ أكون كلّما غمزَ قناتى باب من الكلام صَعْبُ المدخل ، نقضْتُ ركناً من أركان مقالتى ! ومن كان كذلك لم يُنتفَعْ به .

(الفاصل الذى يفصل من العين ونحوها)

فإن قال قائل : وما بلغ من أمر هذا الفاصِل الذى لايشعر بِهِ التموم الحضُورَ ولا الذى انفصل منه ، ولا المارّ بينهما ، ولا المتلقِّى له ببدنِه وليس دونَهُ شيء ، وكيف لم يَعْمَلْ فى الأقربِ دونَ الأبعد ، والأقربُ إنسان مثله ، ولعلَّه أن يكون طبعُهُ أشدَّ اجتذاباً للآفات !

وبعد ، فكيف يكون شىءٌ يصرَع الصحيحَ ويُضجِع القائم ، وينقُض القُوى ، ويُمرِض الأصحّاء ، ويصدَع الصَّخْر ويهشِم العظْم ،

(١) فى الأصل : « يأنس » ، ولا وجه له .

(٢) ط ، م : « يرعك التوقير » ، وفى مب : « يدعك التوفير » والتصحيح من س .

(٣) ط ، م : « تحسن » والصواب من س ، مب .

(٤) ماعدا مب : « وإذا كانت الأعمال الدالة على ذلك قد رفعت الدليل » .

(٥) ماعدا مب : « ولا المار بينهما الملقى » ، تحريف

ويقتُل(١) الثَّور ، ويَهدُّ(٢) الحمار ، ويجرى فى الجماد مَجراه فى النبات ، ويجرى فى النَّبات(٣) مجراه فى الحيوان ، ويجرى فى الصّلابة والملاسة جريهُ فى الأشياء السخيفة الرِّخوة ؛ وهو ممَّا ليس له صدم كصدْم الحجر ، أو غَرْب كغرْب السَّيف ، أو حدٌّ كحدِّ السِّنان ؛ وليس من جنس السمّ [فيحملُ على نفوذ السُّمّ(٤)] ؛ وليس من جنس الغذاءِ فيُحمَل على نفوذ الغِذاء ، وليس من جنس السِّحر فيقال إنَّ العُمَّار(٥) عملوا ذلك من طريق طاعتهم للعزائم . فلعلَّ ذلك إنَّما كان شيئاً وافقَ شيئاً .

قيل لهم : قد تعلمون كيف مقدارُ سَمِّ الجرَّارة(٦) أو سمّ الأفْعى ، وكيف لو وزنتم الجَرّارة(٦) قبل لسعِها وبعده لوجدتموها على حالٍ واحدة . وأنت ترى كيف تفسَخُ عقْدَ بدن الفيل ، وكيف تنقض(٧) قُوى البعير ، من غير صدم [كصدم(٨)] الحجر ، [وغربٍ كغرب السَّيف(٤)] ، وحدٍّ كحَدِّ السنان .

فإنْ قلت : فهل نابُ الأفعَى وإبرةُ العقرب إلَّا فى سبيلِ حدِّ السنان ؟ قلنا : إنَّ البعيرَ لو كان إنما يَتَفسَّخ لطعْن العَقرب بإبرتها لَما كان ذلك يبلغ منها مقدار النَّخس(٩) فقَط ، ولكنَّه لَابُدَّ أن يكون ذلك

---

(١) ط : « يقل » ، والصواب من س .
(٢) ط : « يهدى » ، وهو تحريف مافى س . وفى مب : « ويقتل » .
(٣) ماعدا مب : « الموات » .
(٤) التكملة من مب .
(٥) العمار : سكان البيوت من الجن . س : « العمال » محرفة . وفى مب : « فعلوا » .
(٦) الجرارة : نوع من العقارب إذا مشى على الأرض جر ذنبه ، وقد تحدث عنها الجاحظ فى الحيوان ٤ : ٢١٩ - ٢٢٠ . وفى ط : « الجرادة » ، وهو تحريف مافى س ، م ، مب .
(٧) فى الأصل : « تنقص » بالصاد .
(٨) التكملة من س ، م ، مب .
(٩) ط : « التحسن » ، مب : « الحسن » . والصواب من س ، م .

لأحد أمرين : إمَّا أن تكون العقربُ تمجُّ فيه شيئاً من إبرتها ، فيكون طبع ذلك وإن قلَّ يفسخ الفيلَ والزَّندبيل[١] ، وإمَّا أن يكون طبعُ ذلك الدّم إذا لاقاهُ طبعُ ذلك الناب وتلك الإبرة أن يُجمد[٢] فيقتل بالإجماد، أو يذيب فيقتل بالإذابة . فأيّهما كان فإنَّ الأمرَ فيه على خلاف ما صدَّرتم به المسألة[٣] .

ولا تنازعَ بين الأعراب — والأعرابُ ناس إنّما وَضعوا بيوتَهم وأبنيَتَهم وسطَ السِّباع والأحناش والهمَج، فهم ليس يعبُرون إلّا بها ، وليس يعرفون سواها — وقد أجمعوا على أنّ الأفْعَى إذا هرِمت فلم تَطعَمْ ، ولم يبقَ فى فمها دم أنَّها تنكز بأنفها ، وتطعن به ، ولا تعضُّ بفيها ، فيبلغ النَّكزُ لها ما كان يبلغُ لها قبلَ ذلك اللَّدغُ . وهل عندنا فى ذلك إلَّا تكذيبُهم أوالرجوعُ إلى الفاصل الذى أنكرتموه ؛ لأنَّ أحداً لا يموت من تلك النَّخسة ، إن كان ليس هناك أكثر من تلك الغمْزة .

وقال العجَّاج ، أوابنه رؤبة :

كنتم كَمَنْ أدخَلَ فى جُحْرٍ يدًا   فأخطأ الأفْعَى ولَاقَى الأسودا

ثم قال :

* بالشمِّ لا بالسَّمِّ منه أقصدا[٥] *

وقال الآخر[٦] :

---

(١) الزندبيل : الفيل الكبير . ماعدا مب : « فيكون طبع ذلك السم كالصل والزندبيل » .

(٢) ط ، م : « يحمل » ، وتصويبه من س ، مب .

(٣) ماعدا مب : « فإن الأمر على ماصدرتم به المسألة » .

(٤) نكزت الحية : لسعت بأنفها . ماعدا مب : « لم تطعم ولايبق » إلخ .

(٥) ط : « بالشم إلا بالسم » ، وتصحيحه من س ، م .

(٦) البيت فى الحيوان ٤ : ٢٨٢ منسوب إلى يحيى بن أبى حفصة ، وانظر كذلك الحيوان ٤ : ١٨٣ .

أصمَّ ماشمّ من خَضْرَاءَ أيبسها   أو مسَّ من حجرٍ أوْهَاهُ فانصدعا

وقد حدَّثنى الأصمعِىُّ بِفَرْق ما بينَ النَّكْز وغيره عند الأعراب[١] .

وههنا أمثالٌ نضربُها ، وأمور قد عاينْتموها ، يذلِّلُ بها هذا المعنى عندَكم ويسهِّل بها المدخَل . قولوا لنا : ما بالُ العجينِ يكون فى أقصى الدار ويفلق إنسان بِطِّيخة[٢] فى أدنى الدار ، فلا يفلح ذلك العجين أبداً ولا يختمر ؟ فما ذلك الفاصلُ[٣] ؟

وكيف تقولون بصدمٍ كان[٤] ذلك كصدم الحجر ، أو بغَرب كغرب السيف !! وكيف لم يعرِض ذلك الفساد فى كلِّ معجون هو أقربُ إليه من ذلك العجين .

وعلى أنَّ نكْز الحيَّةِ التى يصفُه[٥] الشُّعَراء بأنَّ المنكوزَ ميِّت لامحالة ، فى سبيل ماحدّثنى به [حاذقٌ من[٦]] حذّاق الأطباء ، أنّ رجلا يضرب الحيّة[٧] ٥ س
مِن دواهى الحيّات بعصاه فيموت الضّاربُ[٨] ؛ لأنهم يرون أنّ شيئاً فَصَل من الحيَّةِ فجرى فيها حتَّى داخَلَ الضارب فقتَله . والأَطباء أيضاً والنَّصارى

---

(١) كذا والكلام ناقص . وانظر الحيوان ٤ : ١٤٩ .

(٢) ط : « ويقلق إنسان بطبخه » وتصحيحه من س ، و مب . وقد ذكر مثل هذا فى تأويل مختلف الحديث ٤٣٩ قال : « وقد يفسد العجين إذا قطع فى البيت الذى هو فيه البطيخ » .

(٣) ماعدا مب : « فما ذلك الفصل » .

(٤) ط : « يصدم ذلك » ، وأثبت مافى س . وفى مب : « انصدم كان » .

(٥) ماعدا مب : « تصف » .

(٦) التكملة من مب .

(٧) ماعدا مب : « أن الرجل يصيب الحية » .

(٨) قال ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث : « وقد زعم صاحب المنطق أن رجلا ضرب حية بعصا فمات الضارب » . فيظهر أن محمد الجاحظ روى له ماأثر عن أرسطو .

أجْرًا على دفع الرُّؤْيا⁽¹⁾ والعين ، وهذه الغَرائبِ التى تحكى عن الحيّات وصرْعِ الشيطانِ الإنسانَ ، من غيرهم .

فأمَّا الدُّهريّة فمُنكِرة للشياطين والجنّ والملائكة والرُّؤيا والرُّقى ، وهم يرون أنَّ أمرَهم لايتمُّ لهم إلاّ بمشارَكةِ أصحاب الجَهالات⁽²⁾ .

وقد نجدُ الرجُل ينقف شحم الحنظل⁽³⁾ ، وبينه وبين صاحبه مسافة صالحة ، فيجد فى حلقه مَرارة الحنظل ، وكذلك السُّوس إذا عولج بهِ وبينه وبين الإنسانِ⁽⁴⁾ مسافة متوسِّطة البعد ، يجِدُ فى حلقهِ حلاوةَ السوس . وناقف الحنظل لاتزال عينه تهمُل مادام ينقفه ؛ ولذلك قال ابن حُمام ، قال أبو عبيدة : وهو الذى يقول⁽⁵⁾ :

كأنّى غداةَ البَينِ يومَ تحمَّلوا ... لَدَى سَمُرَاتِ الحىِّ ناقفُ حنْظل

يخبر عن بكائه ، ويصِف دُرُورَ دَمعتِه فى إثْر الحمول ، فشبَّه [نفسه]⁽⁶⁾ بناقف الحنظل ، [وقد⁽⁶⁾] ذكره امرؤ القيس فى قوله⁽⁷⁾ :

---

(١) أى الاعتقاد بصحة تأويلها وإنبائها عن المستقبل . وأجرا ، أى أجرأ ورسمت فى مب : « أجرى » وفى سائر النسخ : « أجراء » .

(٢) ماعدا مب : « الجهات » . وانظر ١ : ١٠ و ٤ : ٢٨٨ .

(٣) شحم الحنظل : مافى جوفه سوى حبه ، كما أن شحم الرمان مابين حبوبه . ونقف الحنظل : شق الحنظل عن الهبيد . والهبيد : حب الحنظل .

(٤) فى الأصل : « الأسنان » .

(٥) ط : « ولذلك قال أبو عبيدة وهو الذى يقول » وفى س ، م : « ولذلك قال ابن حذام قال أبو عبيدة هو الذى يقول » . وأثبت مافى مب .

(٦) التكملة من مب .

(٧) ماعدا مب : « فى شعره » .

عوجَا على الطَّلَلِ القديم لعَلّنا
نَبْكِي الدِّيارَ كما بكى ابنُ حُمامِ[(١)]

ويزعمون أنّه أوَّل مَن بكى فى الدِّيار[(٢)] .

وقد نجِدُ الرَّجُلَ يقطَع البصل ، أو يُوخِفُ الخَرْدل[(٣)] فتدمع عيناه . وينظر الإنسان فيديمُ النّظرَ فى العين المحمرة[(٤)] فتعترى عينَه حُمرة .

والعرب تقول : « لَهُو أعدَى من الثُّوَباء ! » ، كما تقول : « لَهُو أعدى من الجَرَب ! » ، وذلك أنَّ مَن تثاءب مِراراً ، وهو تُجاه عينِ إنسان ، اعترى ذلك الإنسانَ التثاؤب .

ورأيت ناساً من الأطباء وهم فلاسفة المتكلِّمين ، منهم مَعْمر ، ومحمد ابن الجَهْم ، وإبراهيم بن السِّنْدىّ ، يكرهون دُنُوَّ الطامثِ[(٥)] من إناءِ اللبن لتَسُوطه[(٦)] أو تعالجَ منه شيئاً ، فكأنّهم يرونَ أنَّ لبدَنِها مادام ذلك العَرَضُ يعرِض لها ، رائحةً لها حِدَّةٌ وبخار غليظ ، يكون لذلك المَسُوط مُفسِدا .

---

(١) البيت من قصيدة طويلة لامرئ القيس ، بديوانه شرح الوزير أبى بكر ص ١٦٠ — ١٦٥ . ويروى « لأننا » موضع « لعلنا » . وهما لغتان فى معنى واحد . ماعدا مب : « المحيل لعلنا » ، و « كما بكى ابن خذام » .

(٢) مب : « الدار » .

(٣) ط : « الخروب » ، وتصحيحه من س ، مب . وفى ط ، س : « ويكسر » صوابها فى مب وفى تأويل مختلف الحديث : « . . . وكذلك موخف الخردل وقاطع البصل » . أوخفه : صب عليه الماء وضربه بيده .

(٤) ماعدا مب : « الحمرة » ، صوابه فى مب وتأويل مختلف الحديث .

(٥) الطامث : الحائض . وانظر الاستدراكات فى آخر هذا الجزء .

(٦) السوط : الخلط والمزج .

(من أثر العين الحاسدة)

ولا تُبْعِدَنَّ هذا من قلبك تباعدا يدعُوك إلى إنكاره ، وإلى تكذيب أهله . فإنْ أبيتَ إلاّ إنكارَ ذلك ، فما تقول فى فَرسٍ تَحَصَّن تحتَ صاحبه[1] ، وهو فى وسط موكبه ، وغبارُ الموكب قد حالَ بين استبانة بعضهم لبعض ، وليس فى الموكب حِجْر[2] ولا رَمَكة ، فيلتفتُ صاحبُ ٥١
الحِصان فيرى حجرًا أو رمكةً ، على قاب غَرَضٍ أو غَرَضين[3] ، أو غَلوة أو غَلوتين[4] . حدِّثنى ، كيف شمَّ هذا الفرس ريحَ تلك الفرسِ الأنثى ، وما بالُه يدخل دارًا من الدُّور ، وفى الدَّار الأخرى[5] حِجْرٌ ، فيتحَصَّن[6] مع دخوله من غير معاينة وسَمَاعِ صهيل !!

وهذا الباب سيقع فى موضعه إن شاء الله تعالى .

وقال أبو سعيد عبد الملك بن قُريب[7] : كان عندنا رجُلان يَعينان الناس ، فمرَّ أحدهما بحوضٍ من حجارة ، فقال : تاللهِ مارأيتَ كاليوم قطُّ ! فتطاير الحوض فِلقَين[8] ، فأخذه أهلُه فضبَّبوه[9] بالحديد ، فمرَّ عليه ثانيةً فقال : وأبيك لقلَّما أضرَرْتُ أهلَكَ فيك ! فتطاير أربعَ فِلَق .

---

(١) يريد : بدا عليه ميل الفحول .
(٢) الحجر ، بالكسر : أنثى الخيل . ومثلها « الرمكة » . والرمكة أيضاً : البرذونة . والبراذين من الخيل : ما كان من غير نتاج العراب .
(٣) الغرض : قدر رمية السهم إلى الهدف . اللسان (غرض ٦٠) . ماعدا مب : « عرض أو عرضين » ، تحريف .
(٤) الغلوة : قدر ماتصل الرمية بالسهم . (٥) ماعدا مب : « وفى الدار ذكر » .
(٦) أى يبدو عليه ميل الفحول . وفى ط : « يتخصى » وهو تحريف ماأثبت من س .
(٧) هو الأصمعى .
(٨) ط ، م « فبطل الحوض فرقتين » وفى س : « فنصل الحوض فرقتين » وأثبت مافى مب . والفلق ، بالكسر : الفلقة من الشىء .
(٩) فى اللسان : « ضببت الخشب ونحوه : ألبسته الحديد » . (١٠) ماعدا مب : « فرق » .

قال : وأمَّا الآخر ، فإنَّه سمعَ صوتَ بَولٍ من وراء حائط فقال : إنَّك لشَرٌّ الشَّخب[١] ! فقالوا له : إنه فلانٌ ابنك ، قال : واانقطاع ظهراه ! قالوا : إنه لابأسَ عليه[٢] . قال : لايبولُ واللهِ بَعْدَها أبداً ! قال : فما بال حتَّى مات .

قال الأصمعىّ : ورأيت أنا رجلاً عَيُونا فدُعىَ عليه فعَوِرَ[٣] ، قال : إذا رأيتُ الشىءَ يُعجبنى ، وجدتُ حرارةً تخرجُ من عَينى .

قال : وسمع [رجلٌ[٤]] بقرةً تُحلَب فأعجبه صوتُ شَخْبها ، فقال : أيتّهن هذه ؟ فخافوا عينَه فقالوا : الفلانيّة — لأخرى وَرَّوابها عنها — فهلكتا جميعاً : المُوَرَّى بها والمورَّى عنها .

وقد حَمَل[٥] النَّاسُ كما ترى على العين مالا يجوز ، ومالا يسوغ فى شىء من المجازات . وقولُ الذىاعورّ[٦] : إذا رأيتُ الشىءَ يعجبنى وجدتُ حرارةً تخرج من عينى ، مِنْ أعظم الحجج فى الفاصل من صاحب العين إلى المعين .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال إنَّ فلانا لَعَيون : إذا كان يتشوَّف للناس ليصيبَهم بعين . ويقال عِنْتُ فُلاَنا أَعِينه عيْنًا : إذا أصبتَه بعينٍ ، ورجل مَعِين ومعيون : إذا أصيب بالعين . وقال عبّاس بن مِرداس :

قد كان قومُك يحسَبونكَ سيِّدًا وإخال أنك سيِّدٌ مَعيونُ[٧]

---

(١) ماعدا مب : « بول وراء حائط فقال إنه لبن الشخب » .

(٢) ماعدا مب : « عليك » . (٣) ماعدا مب : «يدعى عليه بقود » .

(٤) التكملة من مب .

(٥) ماعدا مب : « جعل » . (٦) ماعدا مب : « الذى عان » .

(٧) ماعدا مب « وأخاك » . وانظر الأغانى (٤ : ٨٩) ومعاهد التنصيص (١ : ١٣) ودرة الغواص ٣٦ وشرحها ٩٣ . والبيت من أبيات رواها أبوالفرج وصاحب معاهد =

ويقال للعَيون : إنّه لَنُفوسٌ ، وما أنفسَه ؛ أى ماأشدَّ عينه ؛ وقد أصابته نَفس أو عين

(دفاع عن الكلب)

وأمَّا قول القائل : إنَّ من لؤم الكلب وغدرِه أنَّ اللصَّ إذا أراد دارَ أهله أطعَمَ الكلبَ الذى يحرسهم قَبْــلَ ذلك مِراراً ليلاً ونهاراً ، ودنا منه ومسح ظهرَهُ ، حتى يُثبت صورتَه ، فإذا أتاه ليلاً أسْلَمَ إليه الدارَ بما فيها ــ فإن هــذا التأويل لايكونُ إلاّ من نتيجةِ سوءِ الرأى ؛ فإنَّ سوءَ الرأى يصوِّر لأهله الباطلَ فى صورة الحقِّ . وفيه بعضُ الظُّلم للكلب وبعض المعاندة للمحتجّ عن الكلب وقد ثبَتَ للكلب استحقاقُ المدح من ٥٢

= التنصيص ، وقد ذكرا سبب الشعر فى حديث دخلت فيه الجن والهواتف ! : وهو أن حرب بن أمية جد معاوية لما انصرف من حرب عكاظ هو وإخوته مر بالقرية ، وهى إذ ذاك غيضة شجر ملتف لايرام ، فقال له مرداس والد العباس : أما ترى هذا الموضع ! قال : بلى فاله ؟ قال : نعم المزدرع هو ، فهل لك فى أن تكون شريكى فيه ونحرق هذه الغيضة ثم نزرعه بعد ذلك ؟ قال : نعم . فأضرما النار فى الغيضة ، فلما اسطتارت وعلا لهبها سمع من الغيضة أنين وضجيج كبير ، ثم ظهرت منها حيات بيض تطير حتى قطعتها وخرجت منها . . . ولم يلبث حرب ومرداس أن ماتا : فأما مرداس فدفن بالقرية ، ثم ادعاها بعد ذلك كليب بن أبى عهمة الظفرى ، فقال فى ذلك عباس بن مرداس :

أكليب مالك كل يوم ظالما … والظلم أنكد وجهه ملعون
عجبا لقومك يحسبونك سيداً … وإخال أنك سيد معيون
فإذا رجعت إلى نسائك فادهن … إن المسالم رأسه مدهون
وافعل بقومك ماأراد بوائل … يوم الغدير سميك المطعون
وإخال أنك سوف تلقى مثلها … فى صفحتيك سنانها المسنون
إن القرية قد تبين أمرها … إن كان ينفع عندك التبيين
حين انطلقت تخطها لى ظالما … وأبو يزيد بجوها مدفون

أبو يزيد كنية مرداس . . وللخفاجى كلام فى (معيون) فانظره . ورواه ابن الشجرى فى أماليه ١ : ١١٣ : « مغيون » بالغين المعجمة .

حيثُ أرَادَ أن يهجوَه منه ، فإن كان الكلبُ بِفرط[١] إلفِه وشكرِه كفَّ عن اللصِّ عندَ ذِكر إحسانه ، وإثبات صورتِهِ ، فما أكثرَ منْ يُفْرِط عليه الحياءُ حتَّى ينسب إلى الضَّعف والكرم وحتَّى ينسَب إلى الغفلة ورُبَّما شاب الرَّجُلُ بعضَ الفطنة[٢] ببعض التَّغافل ، ليكون أتمَّ لكرَمه ؛ فإنَّ الفطنة إذا تمَّت منعت من أمورٍ كثيرة ، مالم يكن الخِيمُ كريماً والعِرْق سليما .

وإنَّكَ أيُّها المتأوِّل ، حينَ تكلِّف الكلبَ — مع ماقد عَجَّلَ إليه اللصُّ من اللَّطَف والإحسانِ — أنْ يتذكَّرَ نعمةً سالفة ، وأنْ يحترس من خديعة المحسِن إليه ، مخافةَ أنْ يكونَ يُريغُ[٣] بإكرامه سوءًا[٤] — لحَسَنُ الرأيِ فيه ، بعيدُ الغايةِ فى تفضيله

ولو كان للكلب آلة يعرف بها عواقبَ الأمورِ وحوادثَ الدهور ، وكان يوازنُ بينَ عواجلها وأواجلها ، وكان يعرف مصادرها ومواردَها ، ويختار أنقص الشرّين وأتمّ الخيرين ، ويتثبَّتُ فى الأمور ، ويخاف العَيْب[٥] ويأخذ بحجَّةٍ [ويُعطى بحجَّة[٦]] ، ويعرف الحُجَّة من الشُّبهة ، والثِّقَةَ من الرِّيبة ، ويتثبَّت فى العلَّة ، ويخاف زَيغ[٧] الهوى وسرَف الطبيعة — لكانَ من كبارِ المكلَّفين ، ومن رُءُوس الممتحَنين

---

(١) ماعدا مب : « لفرط إلفه » . (٢) مب : « وربما شيح الرجل بعض الغفلة » تحريف .

(٣) يريغ بمعنى (يريد) كما جاءت الرواية فى ط . وفى س : « بريع » ، وفى م : « بديع » والصواب فيهما ماأثبت من مب .

(٤) ط ، س ، مب « سوء » ، وتصحيحه من م ، أو لعله جار على الكتابة القديمة

(٥) ماعدا مب : « الغيب » .

(٦) التكملة من مب .

(٧) الزيغ : الميل . وفى ط : « زيع » ، ولا وجه له ، والصواب من س ، مب .

(اختيار الأشياء والموازنة بينها ، لدى العارفين العاقلين)

والعادةُ القائمة ، والنَّسَقُ الذى لايُتَخَطَّى[١] ولا يغادَرُ ، [و[٢]] النظامُ الذى لاينقطع ولا يختلط ، فى ذوى التمكين والاستطاعة ، وفى ذوى العقول والمعرفة ، أنَّ أبدانَهم متَى أحسَّت بأصناف المكروه والمحبوب ، وازَنوا وقابَلوا ، وعَايَرُوا[٣] وميَّزوا بين أتمِّ الخيرين وأنقص الشرَّين ، ووصلوا كلَّ مضرةٍ ومنفعةٍ فى العاجل [بكلِّ مضرَّةٍ ومنفعةٍ فى][٤] الآجل[٥] وتتبعوا مواقعها ، وتدبَّروا مساقطَها ، كما يتعرَّفونَ مقاديرَها وأوزانها[٦] ، واختاروا بعدَ ذلك أتمَّ الخيرين وأنْقَصَ الشَّرين . فأما الشر صرفا والخير محضاً فإنَّهم لايتوقَّفون عندهما ، ولا يتكلَّفون الموازنَةَ بينهما ، وإنَّما ينظرون فى الممزوج[٧] وفى بعض مايخشى فى معارضته ، ولا يوثقُ بمَعَرَّاه ومُكَشَّفِه[٨] ، فيحملونه[٩] على خلاص الذِّهن ، كما يحمَلُ الذّهب على الكِير .

---

(١) ماعدا مب : « والسن » . و « يتخطى » هى فى الأصل « يخطى » محرفة . ويتخطى — ومثله يختطى — : يتجاوز .

(٢) التكملة من مب .

(٣) عايروا ، أى وازنوا . والكلمة ساقطة من س ، مب . وفى ط : « غيروا » .

(٤) التكملة من مب .

(٥) ماعدا مب : « والآجل » .

(٦) ماعدا مب : « كيما يعرفوا أوزانها » .

(٧) ماعدا مب : « وإنما ينتظرون فى المكروه » .

(٨) ط : « بعراه ومكتشفه » س : « بمغزاه وبمكشفه » ، والوجه ماأثبت من مب .

(٩) إلى هذه الكلمة ينتهى ماوجد من نصوص الحيوان فى نسخة الأمبروزيانا .

وأمَّا ذوات الطَّبائع المسخَّرة والغريزةِ المجبولة[1] فإنما[2] تَعمَل من جهة التسخير والتنبيه ، كالسمّ الذى يقتل بالكَمِّيَّة ولا يغذو ، وكالغذاء الذى يغذو ويقتلْ بالمجاوَزة لمقدار[3] الاحتمال .

وإن هيَّأ الله عزّ وجلّ أصنافَ الحيوان المسخَّرة لدرْك مالا تبلغه العقولُ اللطيفة ، بلغَتْه بغير معاناةٍ ولا رويّة ولا توقُّف ، ولا خوفٍ من عاقبة .

٥٣ ومتى تقدَّمتْ [إلى الأمور التى يعالجها][4] أهلُ العقول المبسوطة ، المتمكِّنة بطبائعها ، المقصورةِ غير المبسوطة ، لم يمكنْها أن تعرفَ من تلك الطبيعة ماكان موازيًا لتلك الأمور ببديهةٍ ولا فكرة . وإذا كانت كذلك فليس بواجب أن تكون كلَّما أحسنَتْ أمراً أمكنَها أن تُحْسنَ ماكان فى وزنه فى الغُموض والإلطاف ، وفى الصَّنعةِ التى لاتمكِنُ ، إلاّ بحُسن التأتِّى وببُعد الرويّة ، وبمقابلةِ الأمورِ بَعضِها ببعض . وهذا الفنُّ لايُصابُ إلاّ عند من جِهتُه العقل ، ويمكنُه الاستدلالُ ، والكفُّ عنه والقطعُ له إذا شاء ، وإتمامُه[5] إذا شاء ، وبلوغُ غايته ، والانصرافُ عنه إلى عَقيبِه من الأفعال ؛ ومَنْ جهتُهُ تعرّفُ العِالِ ، ويُمكِنُهُ إكراه نفسِهِ على المقاييس والتكلُّف والتأتِّى[6] .

(١) ط : « المجهولة » ، وتصحيحه من س .

(٢) فى الأصل : « إنما »

(٣) فى الأصل : « بمقدار » .

(٤) ليست بالأصل ، والقول فى حاجة إلى مثلها . والكلام فى ذوات الطبائع المسخرة .

(٥) فى الأصل : « وبإتمامه » .

(٦) فى الأصل : « التأنى » بالنون ، فى هذا الموضع وسابقه .

ومتى كانت الآلة موجودةً فإنّها تُنبيك(١) على مكانها ، وإلاّ كان وجُودُها كعدمها . وبالحسِّ(٢) الغريزيّ تُشعِر صاحبَها بمكانها ، لايحتاج فى ذلك إلى تلقينٍ وإشارة ، وإلى تعليم وتأديب ، وإن كان صاحبُ الآلة أحمقَ من الحُبارى ، وأجهلَ من العقرب .

(الإلهام فى الحيوان)

والعاقل الممكَّن لايفضُل فى هـذا المكان على الأشياء المسخَّرة ، ولا ينفصل منها فى هذا الباب . وليس عند البهائم والسباع إلاّ ماصُنعت له ، ونُصبت عليه ، وأُلهمتْ معرفتَه وكيفيَّةَ تكلُّفِ أسبابِها والتعلُّمِ لها من تلقاء أنفسها . فإذا أحسَنَ العنكبوتُ نسْجَ ثَوِيِّهِ(٣) وهو من أعجب العجب ، لم يحسن عملَ بيت الزنبور . وإذا صنع النَّحلُ خلاياه مع عجيب القِسْمة التى فيها ، لم يحسنْ أن يعملَ مثلَ بيتِ العنكبوت . والسُّرْفة — التى يقال : « أصنَعُ من سُرْفة » لاتُحسن أن تَبنىَ(٤) مثلَ بيتِ الأَرَضَة ، على جفاءِ هذا العمل وغِلظِهِ ، ودقَّةِ ذلك العمل ولطافته .

وليسَ كذلك العاقلُ وصاحبُ التميز ، وَمَن مَلك التصرُّفَ ، وخُوِّل(٥) الاستطاعة ؛ لأنّه يكون ليسَ بنجّارٍ فيتعلّم النِّجارة ، [ثمَّ

(١) لعلها « تنبهك » .
(٢) ط ، م : « بأحسن » ، وتصحيحه من س .
(٣) الثوىّ : البيت . وفى الأصل : « ثوبه » وهو تصحيف .
(٤) فى الأصل : « لايحسن أن يبنى » .
(٥) خوله الشىء : ملكه إياه وأعطاه . فى ط : « حول » بالحاء ، وتصحيحه من س .

يبدو له[١]] بعدَ الحذقِ الانتقالُ إلى الفِلاحةِ ، ثمَّ ربّما ملَّها بعد أن حذَقها ، وصار إلى التجارة .

(أسمح من لافظة)

وقال صاحب الكلب : وزعمتَ أنَّ قولهم « أسمَحُ مِنْ لافِظة » أنّ اللافظة الدِّيك ، لأنّه يَعَضُّ على الحبَّةِ بطرَفِ منْقاره ، ثمّ يحذفُ بها قُدَّامَ الدَّجاجة . وما رأينا أحداً من العلماء ومِن الذين روَوا هـذا المثلَ يقول ذلك . والناسُ في هذا المثل رجلان : زعم أحدُهما أنَّ اللافظة العنز ؛ لأن العنز ترعى في رَوضةٍ وتأكل من مَعْلَفها وهي جائعة ، فيدعوها الراعي

٥٤ وصاحبُها باسمِها إلى الحلْب ، فتترك ماهي فيه حتى تُنْهَك حلبا . وقال الآخر : اللاّفظة الرَّحَى ، لأنّها لاتمسك في جَوْفها شيئاً ممَّا صار في بطنها .

وكيف تكون اللافظة الديكَ ! وليس لنا أن نُلْحِق في هـذه الكلمة تاء التأنيث في الأسماء المذكَّرةِ[٢] . واللافظة مع هاء التأنيث أشبه بالعنز والرَّحَى[٣] ، وإنّما سمَّينا الجملَ راويةً ، وحاملَ العلمِ راويةً ، وعلاّمة ، حين احتجَّ أهلُ اللغةِ على ذلك ولم يختلفوا فيه[٤] ، وكَيفَ ولا اختلافَ

---

(١) الزيادة من س ، وبدلها في ط : « وله » .

(٢) كذا . ولعل وجه الكلام : « تاء التأنيث وهي لاتلحق في الأسماء المذكرة » .

(٣) أي هذا اللفظ أليق بهما .

(٤) ط : « ولا يختلفوا فيه » ، والصواب في س .

بينهم أنّ الديك خارجٌ من هـذا التأويل ، وإنّ اختلافهم بين العنْزِ والرَّحى[١] .

وبعد فقد زعم ثُمامة بن أشرَس[٢] رحمه الله تعالى : أنَّ دِيَكة مَرْو تطرُد الدَّجاجَ عن الحبِّ[٣] ، وتنزِع الحبَّ من أفواه الدَّجاج .

وقال صاحب الديك : قولهم : « أسمَح من لافظة » ، لا يليق بالرَّحى ، لأنَّ الرَّحَى صَخْرَةٌ صمَّاء ، والذى يُخرج مافى بطنها المُـدِير[٤] لها ، والعربُ إنَّما تمدح بهذه الأسماء الإنسانَ وما جَرَى مجراه فى الوجوه الكثيرة ، ليكون ذلك مَشحذَةً للأَذهانِ ، وداعيةً إلى السِّباق وبلوغ الغايات .

وأمَّا ترْك الشَّاة للعلَف فليس بلفظٍ للعلَف ، إلاَّ أنْ يحملوا ذلك على المجازات البعيدة ، وقد يكون ذلك عنـد بعض الضَّرورة . والشَّاة ترضع من خِلْفِها حتَّى تأتىَ على أقصى لبن فى ضرعها ، وتنثُر العلَفَ ، وتقلبُ

---

(١) أى فى تسمية إحداهما لافظة . فى المزهر للسيوطى ١ : ٢٩٧ نقلا عن أمالى القالى « يقال أجرد من لافظة ، أى البحر » . ومثله فى أمثال الميدانى ١ : ٣٢٢ ، وفيها أيضاً « وقال بعضهم : هى الحمامة ، لأنها تخرج مافى بطنها لفرخها » .

(٢) ثمامة بن أشرس أحد المعتزلة البصريين ، ورد بغداد واتصـل بهارون وغيره من الخلفاء ، وله أخبار ونوادر يحكيها عنه أبو عثمان الجاحظ وغير واحد . تاريخ بغداد ٧ : ١٤٥ . وقال الجاحـظ فى شأنه : « وماعلمت أنه كان فى زمانه قروى ولا بلدى ، كان قد بلغ من حسن الإفهام مع قلة عدد الحروف ، ولا من سهولة المخرج مع السلامة من التكلف ماكان بلغه . وكان لفظه فى وزن إشارته ، ومعناه فى طبقة لفظه ، ولم يكن لفظه إلى سمعك ، بأسرع من معناه إلى قلبك» البيان ١ : ١١١ . « قال رجل لثمامة : إن لى إليك حاجة ، قال ثمامة : ولى إليك حـاجة . قال : وما هى ؟ قال : لا أذكرها حتى تتضمن قضاءها . قال : قد فعلت . قال : حاجتى ألا تسألنى هذه الحاجة ؟ ! قال : رجعت عما أعطيتك ! قال ثمامة : لـكنى لا أرد ما أخذت ! ! » . عيون الأخبار ٣ : ١٣٧ .

(٣) انظر معجم البلدان (مرو) .

(٤) ط : « المدبر » وصوابه من س .

المِحْلَب(١) ، وتنطَح من قام عليها وأتاهـا بغذائها . وهى من أمْوَق البهائم(٢) ، وزوجُها شَتِيم المحيَّا ، منتِنُ الريح ، يبولُ فى جوف فيـه وفى حاق(٣) خياشيمه .

وتقول العرب : « ماهُو إلاَّ تيسٌ فى سفينةٍ(٤) » ، إذا أرادوا به الغَبَاوة و « مَا هُوَ إلاَّ تيس » ، إذا أرادوا بِهِ نَتْنَ الريح .

والعنْزُ خَرقاءُ ، وأبوها وهو التَّيْسُ أخرَقُ منها .

وَأمرُ الدِّيكِ وشأنهُ ، وكيْفَ(٥) يلفِظُ ماقَدْ صَارَ فى منقاره ، وكيف يُؤْثِرُ به طَرُوقَته مِن ذَاتِ نفسهِ — شئٌ يراهُ الناسُ ، ويرَاهُ جميعُ العباد .

وهذه المكرمة ، وهذا الغَزَل(٦) ، وهذا الإيثار ، شئٌ يراهُ الناس لم يكنْ فى ذَكَرٍ قَطُّ ممَّن يزاوِج إلاَّ الديك ، والدِّيكُ أحقُّ بهذا المثل . فإنْ كنتُمْ قد صَدَقتم على العرب فى تأويل هذا المثل(٧) فهذَا غلطٌ من العرب وعصبيَّة للَّبَنِ ، وعشق للدَّقيقِ(٨) .

والمثلُ إنَّمـا يلفِظ به رجلٌ من الأعراب ، وليس الأعرابيُّ بقُدْوةٍ

---

(١) المحلب والحلاب ، بكسرهما : إناء يحلب فيه .
(٢) من أموقها : من أحمقها .
(٣) حاق الشيء : وسطه . وفى الأصل : « حلق » ، ولا وجه له.
(٤) قال أبو الشمقمق فى هجاء بشار (انظر الخبر فى الأغانى ٣ : ٤٦ ، ٦٩ ونكت الهميان ١٢٦):

هللينـه هللينـه طعن قثاة لتينه
إن بشار بن برد تيس اعمى فى سفينه

(٥) ط : « كيف » ، وزيادة الواو من س .
(٦) ط : « التعزل » ، وتصحيحه من س .
(٧) أى إن كانت روايتكم عن العرب صادقة .
(٨) ط : « عشق الدقيق » ، وأثبت ما فى س فهو أشبه بالكلام .

إلاَّ فى الجرِّ والنصب والرفع وفى الأسماء[١] ، وأمَّا غير ذلك فقد يخطئ فيــه ويصيب . فالدِّيك أحقُّ بهذا المثــل الذى ذكرنا ، وسائرِ خصاله الشريفة .

والذى يدُلُّ على أنَّ هــذا الفعلَ فى الدِّيك ، إنَّمـا هو من جهة الغزَل لا غير ، أنّه[٢] لا يفعلُ ذلك إذا هرِم وعجَزَ عن السِّفاد ، وانصرفت رغبتُه ٥٥
عنهنَّ . وهو فى أيَّامِ شَبابهِ أنْهَـمُ وأحرَصُ على المأكول ، وأضنُّ على الحَبِّ ؛ فمـا لَهُ لم يُؤْثِرهنّ به عنْدَ زهده ، ويُؤْثِرهُنَّ عند رغبته ؟ ! وما بالُهُ لمْ يفعل ذلك وهو فرُّوج صغير ، وصنَع ذلك حِين أطاقَ السفاد ؟ ! فتركُه لذلك فىالعجز عنهنَّ ، وبذلُه فى أوقات القوة عليهنَّ[٣] دليل على الذى قلنا[٤] . وهذا بَيِّن لا يرُدُّهُ إلاَّ جَاهل أو معاند .

(دفاع عن الـكلب)

وقال صاحب الـكلب : لسنا نُنكِر خِصالَ الدِّيك ومناقبَه من الأخبارِ المحمودة ، ولولا ذلك ما ميَّلْنا بينَه وبين الـكلب[٥] . ومَنْ يـمَيِّلُ بين العسَل والخلِّ فى وجه الحلاوة والحموضة ؟ ! وكيف يفضَل شىءٌ على شىء وليسَ فى المفضولِ شىءٌ من الفضل ؟ ! والذى قُلتم من قذْفِه الحبّ قُدَّامَ الدَّجاج صحيح ، وليس هذا الذى أنكرْنا ، وإنَّمـا أنـكرْنا

(١) المراد بالأسماء هنا الـكلمات .
(٢) ط : « وأنه » ، والوجه حذف الواو كما فى س .
(٣) ط : « فى الأوقات القوت عليهن » ، والصواب ما أثبت من س .
(٤) ط : « ذلك قلنا » ، وهو تحريف ما فى س .
(٥) يقال ميل بين الشيئين تمييلا : رجح ووازن . وفى الأصل : « ما مثلنا » وبعده : « ومن يمثل » ، والوجه ما اثبت . اللسان (ميل ١٦٠) .

موضعَ المثل الذى صرفتموه إلى حجّتكم(١) ، وتركتم [الذين] ما زال الناس يقلّدونهم [فى] الشاهد والمثل(٢) . وإن جاز لكم أن تردّوا عليهم هذا المثلَ جاز لكلِّ مَن كرِهَ مثلاً أو شاهداً أنْ يردَّ عليهم كما رددتمْ ؛ وفى ذلك إفْسَادُ أمرِ العَرَبِ كله .

فإنْ زعمتَ أنّ الديك ، كانَ أحقّ به ، فخصومُك كثير ولسنا نحيط بأوائل كلامهم ، على أىّ مقاديرَ كانوا يضعونها ؛ ومن أىِّ شىء اشتقّوها ، وكيف كان السبب . ورُبَّ شيءٍ أنكرْنَاهُ فإذا عرفنا سبَبه أقررنَا به

وقال أبوالحسن : مرّ إياس بنُ معاوية بديكٍ ينقُرحبًّا ولايفرقُهُ ، فقال : يَنْبَغِى أن يكون [هذا](٣) هرِماً ؛ فإنَّ الهرِم(٤) إذا أُلقى له الحبُّ لم يفرقْهُ ليجتمع الدَّجَاجُ حولَهُ . والهرِم قد فَنِيتْ رغبتُه فيهنّ ، فليس همُّهُ إلاّ نفسَهُ

وروَوا عنهُ أنّهُ قال : اللافظة الديكُ الشابُّ ، وإنَّهُ يأخذ الحبَّة يؤْثِر بها الدَّجَاجَ ، والهرِمُ لايفعل ذلك ، وإنّما هو لافظةٌ مادام شابًّا .

وقال صاحب الكلب : وذكر ابن سِيرِينَ عن أبى هُريرة : « أن كلباً مرَّ بإمرأةٍ وهو يلهَثُ عند بئر ، فنزعَتْ خُفَّها فسقَتْه ، فغَفَرَ الله تعالى لها » .

وعنه قال : « غفَر الله لبَغِيٍّ أو لمؤمنة مرّ بها كلبٌ فنزَعت خُفَّها فسقته » .

---

(١) فى الأصل : « محبتكم » .
(٢) فى الأصل : « وتركتم مازال الناس يقلدونهم الشاهد والمثل » .
(٣) الزيادة من س .
(٤) ط : وإن الهرم » .

وقال صاحب الكلب : وقال ابن دَاحَة (١) : ضرب ناسٌ من السُّلطاءِ (٢) جارا لهم ، ولبَّبوه وسحبوه وجرُّوه ، وله كلبٌ قد ربَّاه ، فلم يزَلْ ينبَحُ عليهم ويشقِّق ثيابَهم ، ولولا أنَّ المضروبَ المسحوبَ كان يكفُّه ويزجُره ، لقد كان عقَر بعضَهم أو منعَه منهم .

قال إبراهيمُ النَّظَّام : قدَّمتم السِّنَّور على الكلب ، ورويتم أنَّ النبيّ صلى الله عليهِ وسلم أمرَ بقتل الكلابِ واستحياءِ السنانير وتقريبِها وتربيتها ، كقوله عند مسألته عنها : « إنَّهُنَّ من الطَّوَّافَاتِ عليكُمْ ». وكلُّ ٥٦
منفعةٍ عنْدَ السِّنَّوْرِ إنَّمَا هى أكلُ الفأر فقط ، وعلى أنّكُمْ قلَّما تجدون سنّوراً يطلُب الفأْر ، فإن كان ممَّا يَطلُبُ ويأكلُ الفَأرَ ، لم يعدمكم (٣) أن يأكلَ حمَامَكُمْ وفِراخَكُمْ والعَصافِيرَ التى يتلهَّى بهاَ أولادُكُمْ ، والطائرَ يُتَّخَذُ لِحُسنهِ وحُسنِ صَوْته . والذى لابُدّ منه الوثوبُ على صِغار الفراريج . فإنْ هو عفّ عَن أموالكُمْ لم يَعفّ عَن أموال جيرانكُمْ . ومنافع الكلب لايحصيها الطَّوامير (٤) . والسِّنَّور مع ذلك يأكل الأوزاغَ والعقارب ، والخنافيس (٥) ، وبناتِ وَرْدان (٦) ، والحيّات ، ودخَّالاتِ الآذان (٧) والفأرَ والجُرْذان ، وكلَّ خبيثةٍ وكلَّ ذاتِ سمّ ، وكلَّ شىءٍ

(١) ط : « راحة » ، وأثبت ما فى س . وانظر ما سبق فى ص ٨٢ .

(٢) السلطاء : جمع سليط ، وهو الصخاب البذىء اللسان . وفى الأصل : « السلطان » ! .

(٣) ط : « ولم » ، والصواب من س .

(٤) الطوامير : جمع طومار بالضم ، وهو الصحيفة .

(٥) هو جمع خنفس بضم الخاء وفتح الفاء أو كسرها ، أو جمع خنفسة بضم الخاء والفاء ، أو ضم الخاء وفتح الفاء . وزيادة الياء فى هذا الجمع مذهب الكوفيين . انظر همع الهوامع (٢ : ١٨٢) . وأما الخنفساء فجمعها خنفساوات .

(٦) ضرب من الحشرات التى تألف الحشوش ، ومن أنواعه « الصراصير » .

(٧) دخال الأذن : دويبة ذات قوائم كثيرة ، يسميها العامة فى مصر « أم أربعة وأربعين » . انظر معجم المعلوف ٥٤ والحيوان ٦ : ٥٤ .

تعافه النفس . ثمَّ قلتم فى سؤر السِّنَّور وسؤر الكلب ماقلتم . ثمَّ لم ترضوا به حتَّى أضفتموه إلى نبيِّكُمْ صلى الله عليه وسلم[١] !!

(أطيب الحيوان أفواها)

ولا يشُكُّ الناس أنْ ليس فى السباع أطيبُ أفواهاً من الكلاب ، وكذلك كلُّ إنسانٍ سائِل الريق سائِل اللعاب . والخُلوف[٢] لايعرض للمجانين الذين تسيلُ أفواههم . ومن كان لايعتريه الخلوف فهو من البخَر أبعَدُ. وكمَا أنَّ طولَ انطباق الفم يُورث الخلوف ، فكَثْرَةُ تحلُّبِ الأفواه بالريق تنفى الخُلوف . وحتَّى إنَّ من سال فُوه من اللعاب فإنَّما قضَوا له بالسلامةِ من فيهِ ، وإن استنكَهوه مع أشباهِهِ وجَدُوه طيِّبا ، وإن كان لايقرَبُ سِواكاً[٣] على الريق . وكذلك يقال ، إنّ أطيبَ النَّاسِ أفواهاً الزِّنج ، وإنْ كانت لاتعرفُ سَنُوناً ولا سِواكاً[٤] .

على أنَّ الكلبَ سبُع ، وسباعُ الطيرِ وذواتِ الأربع موصوفَةٌ بالبخَرِ ، والذى يضْرَب به فى ذلك المثلَ الأسَدُ ، وقد ذكره الحكَمُ[٥] بن عبدل فى هِجَائِهِ محمَّدَ بنَ حسَّان فقال :

---

(١) بعد هذا فى الأصل عبارة دخيلة على الكتاب ، وهى : « ولا رحم الله إبراهيم النظام ولا من قال بقوله » ، وهى من زيادة الناسخين . ولعل الذى ألجأ الناسخ إلى ذلك ما يوهمه ظاهر العبارة السابقة وهى : « حتى أضفتموه إلى نبيكم » .

(٢) الخلوف ، بالضم : تغير رائحة الفم .

(٣) ط : « سواء كان » ، وتصحيحه من س .

(٤) السنون : ما يستاك به من دواء مؤلف لتقوية الأسنان . وفى ط : « لا تعرف سنوها سواكا » ، وهو تحريف ما أثبت من س .

(٥) فى الأصل : « محمد » ، والصواب ما أثبت . والحكم ترجمة مسهبة فى الأغانى : (٢ : ١٤٤ — ١٥٣) .

فنَكْهَتُه كنَكْهَةِ أخْدَرِيٍّ شتيمٍ شابِكِ الأنْيَاب وَرْدِ[١]

وقال بشّار :

وأَفسَى من الظَّرْبان فى ليلةِ الكرَى
وأخْلَفُ مِنْ صقرٍ وإنْ كانَ قد طعِمْ

يهجو بها حمادَ عجْرَد .

ويقال : ليس فى البهائم أطيبُ أفوَاهاً من الظباء .

(رضيعٌ مُلهَم)

وزعم علماءُ البَصريِّين ، وذكر أبو عبيدة النحويُّ ، وأبو اليقظان
٥٧ سُحيم بن حفص[٢] ، وأبو الحسن المدائنى ، وذكر ذلك عن محمَّدِ بن حفص
عن مَسْلَمَةَ بن محارب ، وهو حديثٌ مشهورٌ فى مشيخة أصحابنا من
البصريِّين ، أنَّ طاعوناً جارفاً جاءَ عَلَى أهلِ دار ، فلم يشكَّ أهلُ تِلك
المَحَلَّةِ أنّه لم يَبْقَ فيها صَغيرٌ ولا كبير ، وقدكان فيهاَ صَبِىٌّ يرتضع ، ويحبو
ولا يقوم على رجليهِ ، فعمَد مَن بقى من المطعونين من أهل تلك المَحلَّةِ إلى
باب تلك الدار فسدَّهُ ، فلمَّا كان بعد ذلك بأشهرُ تحوَّل فيهاَ بعضُ وَرَثَةِ
القوم ، ففتح البابَ ، فلمَّا أفضَى إلى عَرْصة الدَّار إذا هو بصبِىٍّ يلعبُ مع

---

(١) يقول : رائحة فيه تشبه رائحة فم الأسد الفظيع المنظر ، المشتبك الأنياب ، الجرىء
وانظر قصيدة ابن عبدل فى الحيوان (١ : ٢٥٠ — ٢٥٣) . وخبرها فى الأغانى
(٢ : ١٤٨) .

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٠ من هذا الجزء من الحيوان .

أجراءِ كلبةٍ ، وقد كانت لأهلِ الدار ، فراعَهُ ذلك ، فلم يلبَثْ أَنْ أقبلتْ كلبةٌ كانت لأهلِ الدار ، فلمَّا رآها الصبىُّ حبا إليها ، فأمكنتْه من أطبائِها فمصَّها ، فظَنُّوا أنّ الصَّبِىّ لما بقى فى الدارِ وصارَ منسيًّا واشتدَّ جوعُهُ ، ورأى أجراءَها تستقى من أطبائِهَا ، حَبَا إليها فعطفت عليه ، فلمَّا سقَتْهُ مرَّةً أدامتْ ذلك لَهُ ، وأَدَامَ هو الطلب .

والذى أَلْهَمَ هذا المَوْلودَ مَصَّ إبهامه سَاعَةَ يُولَدُ من بطن أُمِّهِ ، ولم يعرف كيفيَّةَ الارتضاع ، هو الذى هداه إلى الارتضاع منْ أطباءِ الكلبةِ . [وَلَوْ][1] لم تكُن الهدايَةُ شيئاً مجعُولاً فى طبيعته ، لما مَصَّ الإبهامَ وحلمَةَ الثّدْى ، فلمّا أفرطَ عليهِ الجوعُ واشتدَّت حالُهُ ، وطلبَتْ نفْسُهُ وتلكَ الطبيعةُ فيهِ ، دعَتْهُ تلك الطبيعةُ وتلكَ المَعْرِفَةُ إلى الطلب والدنوّ . فسبحانَ مَنْ دبَّرَ هٰذا وألهمهُ وسَوّاهُ ودلَّ عَلَيْهِ !!

(إلهام الحمام)

ومثلُ هذا الحديث ماخُبِّر به عن بابويه صاحب الحمَام . ولو سمعت بقصَصه فى كتاب اللُّصوص ، علمتَ أنَّه بعيدٌ من الكذب والتَّزيد . وقد رأيته وجالسته ولم أسمعْ هذا الحديثَ منه ، ولكنْ حدَّثنى به شيخٌ من مشايخ البصرة ، ومن النُّزول بحضرة مسجد محمد بن رَغبان[2] . وقال بابويه : كان عندى زوجُ حمامٍ مقصوص ، وزوجُ حمام طيّار ،

---

(١) ليست بالأصل .

(٢) فى الأصل : « زغبان » ، بالزاى . وتصحيحه من الحيوان (١ : ١٢٣) وانظر التحقيق هناك . وكلمة « محمد » ليست فى س .

وفرخانِ من فراخ الزَّوج الطيار . قال : وكان فى الغُرفة ثَقْبٌ فى أعلاها وقد كنتُ جعلت قُدَّام الكَوَّة(١) رفًّا ليكون مَسقطاً لما يدخلُ ويخرج من الحمام ، فتقدَّمتُ فى ذلك مخافةَ أن يعرضَ لى عارضٌ فلا يكونَ للطَّيار منفذٌ للتكسُّب ولورود الماء . فبيناَ أنا كذلك إذْ جاءنى رسولُ السلطان ، فوضَعَنى فى الحبْس ، فنسيت قدْر الزَّوج الطيَّار والفرخين ، وما لهما من الثمن ، وما فيهما من الكرم ، ومُتُّ من رَحمةِ الزَّوْج المقصوص ، وشغلنى الاهتمامُ بهما(٢) عن كثير ممَّا أنا فيه ، فقلت : أمَّا الزَّوْجُ الطيَّارُ فإنَّهماَ يخرُجان ويرجِعان ويزُقَّان ، ولعلَّهما أن يَسْلَما ولعلَّهما أن يذهبا — ٥٨
وقد كنتُ ربَّيتهما حتى تحصَّنا ووَرَّدَا(٣) — فإذا شبَّ الفرخان ونهضا مع أبويهما ، وسقطا على المعلاة ، فإمّا أن يثبُتا وإمَّا أنْ يذهبا . ولكنْ كيفَ يكونُ حَالُ المقصوصَيْنِ ، ومَنْ أسوأُ حالاً منهماَ ؟ ! فَخلِّى سَبِيلى بَعْدَ شهر ، فلم يكن لى همٌّ إلاَّ النَّظَر إلى ماخلَّفت خلْفى من الحمام ، وإذا الفرخان قد ثَبتاَ وإذا الزَّوْجَانِ قد ثبتا ، وإذا الزَّوجان الطيَّاران ثبتا على حالهما ، إلاّ أنِّى رأيتهما زاقَّين ، إذ علامةُ ذلك فى موضع الغَبَبِ ، وفى القِرطِمَتَين(٤) ، وفى أصولِ المناقير ، وفى عيونهماَ ، فقلت : فكيف يكونان زاقَّين مع استغناءِ فرخَيهما عنهماَ ؟! ولاأشكُّ فى موت المقصوصين . ثمَّ دخلتُ الغرفة فإذاهما على

(١) الكوة : الخرق فى الحائط ، والنقب فى البيت .

(٢) فى الأصل : « بها » .

(٣) هى من وردت الشجرة : إذا خرج نورها . فالمعنى اكتملا نموا .

(٤) قرطمتا الحمام : نقطتان على أصلى منقاره ، أى أعلى منقاره .

أفضلِ حال ، فاشتدَّ تعجُّبى من ذلك ، فلم ألبَثْ أن دَنَوا إلى أفواه الزَّوج الكبار يصنعان كما يصنع الفرْخ فى طلب الزَّقِّ ، ورأيتهما حين زقّاهما ، فإذا هما لمّا اشتَدّ جوعُهماَ ، وكاناَ يريانهماَ يزقّان الفَرخَين ويَرَيانِ الفرخَين كيفَ يستطعمَان ويستزِقّانِ ،حملَهُماَ الجوعُ وحبُّ العيش ، وتَلَهُّبُ العطش ، وما فى طبعهِماَ من الهدايَةِ ، على أَنْ طلباماَيطلَبُ الفرْخُ ، فَزَقّاهما ثمّ صار الزَّقُّ عادةً فى الطيّار ، والاستطعامُ عادةً فى المقصوص .

(من عجائب الحمام)

ومِن الحمام حمامٌ يزُقُّ فراخه ولا يزقُّ شيئاً من فِراخ غيره ، وإن دنا منه مع [فراخِهِ فرخٌ مِنْ[1]] فراخ غيره ، وشاكَلَ فرخيه فى السِّنّ واللَّون طردهما ولم يزقَّهما . ومن الحمام مايزقُّ كلَّ فرخٍ دنا منه ، كما أنَّ من الحمام حماما[2] لايزُقُّ فراخَه ألبتّةَ حتّى يموت . وإنَّما تعظُم البليّةُ على الفَرخ إذاكان الأبُ هو الذى لايزقّ ، لأنَّ الوِلادةَ وعامَّة الحضْن والكَفْل على الأمّ ، فإذا ظهر الولد فعامَّةُ الزّقّ على الأب ، كأنه صاحب العِيال والكاسِب عليهم ، وكالأمِّ التى تلد وتُرضِع .

(١) ليست بالأصل ، وأرى الكلام فى حاجة إليها .

(٢) ط : « حمام » .

(الطائر العجيب : كاسر العظام)

وأعجبُ من هذا ، الطائرُ الذى يقال له كاسر العظام(١) ، فإنّه يبْلُغُ من بِرِّ الفراخِ كلِّها(٢) بعد القيامِ بشأن فراخ نفسه ، أنّهُ يتعاهد فرخَ العُقاب الثالث ، الذى تخرجه من عُشِّهاَ ؛ لأنّهاَ(٣) أشرَهُ وأرغَبُ بَطناً ، وأقسى قلباً وأسوأُ خُلقاً مِنْ أن تَحْتَمِلَ(٤) إطْعامَ ثلاثَة .

وهى مَعَ ذلك سريعة الجَزَع ، فتخرج مافَضَلَ عن فرخين ، فإذا أخرجتْه قبله كاسرُ العِظَام وأطْعَمَهُ ؛ لأَنّ العُقابَ من اللائى تبيض ثلاثَ بيضات فى أكثر حالاتها(٥) .

(دفاع أسدى عن أكل قومه لحوم الكلاب)

قال : وعُيِّرَ رجلٌ من بنى أسدٍ بأكل لحوم الكلاب ، وذهَبَ إلى قوله(٦) :

* يا فَقْعَسِيُّ لِمْ أكلته لِمهْ * ٥٩

---

(١) كاسر العظام : طائر من سباع الطير بين النسر والعقاب ، يحمل كل عظم فيه مخ حتى إذا كان فى كبد السماء أرسله على صخرة فينكسر ، فيهبط فيأكل مخه ، ويسمى البلح والبلت — كلاهما كزفر — وستل ، بالتحريك ، والمكلفة . انظر معجم المعلوف ١٤٣ — ١٤٥ .

(٢) ط : « كليهما » ، والصواب من س .

(٣) فى الأصل : « لأنه » ، والعقاب مؤنثة ، وقيل تذكر وتؤنث . وقد أنثها الجاحظ هنا بقوله : « عشها » .

(٤) فى الأصل : « يحتمل » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) انظر القول فى عقوق العقاب أو برها فى الجزء السابع ص ٣٧ .

(٦) هو سالم بن دارة ، كما فى اللسان (روح) وكما سبق فى ١ : ٢٦٧ .

* لو خافكَ اللهُ عليهِ حَرَّمَهْ *

* فما أَكَلْتَ لحمَهُ ولا دَمَهْ *

قال : فقال الأعرابي : أمَا علمت أنّ الشِّدَّة والشجاعة ، والبأْسَ والقوة من الحيوان ، في ثلاثةِ أصنافٍ : العقابِ في الهواء ، والتمساحِ في ساكن الماء ، والأَسَد في ساكن الغياض .

وليس في الأرض لحمٌ أشهى إلى التمساح ولا إلى الأَسد من لحم الكلب . فإن شئتمْ فعُدُّوه عدُوًّا لهما ، فإنّهما يأكلانه من طريق الغَيظ وطلب الثأر ، وإن شئتم فقولوا غير ذلك .

(الطبيعة الأسدية في بني أسد)

وبنو أسَدٍ أُسْد الغياض(٢) ، وأشبهُ شيءٍ بالأسد ، فلذلك تشتهي من اللُّحمان أشباهها إلى الأسد . والدَّليلُ على أنّهم أُسْد ، وفي طباعِ الأُسْد ، أنّكَ لو أحصَيْتَ جميعَ القتلى من سادات العرب ومِنْ فُرسانهم ، لَوَجَدْتَ شَطْرَها أو قَرِيباً من شَطرها لبني أسد .

---

(١) قال ابن الأنباري : معناه لو علم الله ذلك منك . (الأضداد ١١٩) . وقال الجاحظ في الحيوان (٤ : ٤٢) : « جعل بدل قوله أمن الكلب على أكل لحمه ، أن الله هو الذي لم يخف ذلك فيحرمه » . وقال الجاحظ في البخلاء ١٩٧ : « وتهجى أسد بأكل الكلاب وبأكل لحوم الناس . والعرب إذا وجدت رجلا من القبيلة قد أتى قبيحا ألزمت ذلك القبيلة كلها » .

(٢) كذا في س . وفي ط : « الغياش » ! ولعل صوابهما « للناس » . وجاء في مساءلة الحجاج لابن القرية : « قال فأخبرني عن مآثر العرب في الجاهلية . قال : كانت العرب تقول : حمير أرباب الملك ، وكندة لباب الملوك ، ومذحج أهل الطعان ، وهمدان أحلاس الخيل ، والأزد آساد الناس » . ابن خلكان (١ : ٨٣) . وانظر العمدة (٢ : ١٦٥) .

(أنفة الكلب)

قالوا : ثمَّ بعدَ ذلك كلِّه أنَّ الكلبَ لايرضى بالنوم والرُّبوض على بَياض الطريق ، وعلى عَفَرِ التراب ، وهو يرى ظَهْر البِساط ، ولا يرضَى بالبِساط وهو يجد الوِسادة ، ولا يرضى بالمطارح دون مرافق المطارح (١) . فمن نُبْله فى نفسه أن يتخيَّر أبداً أنبلَ موضِع فى المجلس ، وحيثُ يدَعُه ربُّ المجلس صيانةً له وإبقاء عليه – إلاَّ أن يتصدَّر (٢) فيه مَنْ لايجوز إلاَّ أنْ يكون صدراً ، فلا يقصِّر الكلب دونَ أن يرقَى عليه .

وقد كان فى حُجج معاوية فى اتِّخاذ المقصورة بعد ضرب [البُرَك (٣)] إيّاه بالسيف ، أنّه أبصرَ كلباً على منبره .

هذا على ماطُبِع عليه من إكرام الرّجُل الجميل اللباس ، حتَّى لاينبحَ عليه إن دنا من باب أهله ، مع الوُثوب على كل أسوَد ، وعلى كلِّ رثِّ الهيئة ، وعلى كلِّ سفيهٍ تشبهُ حالُه حالَ أهل الرِّيبة .

---

(١) المطارح : جمع مطرح ، وهو بكسر الميم : المفرش .

(٢) فى الأصل : « يتصور » ، وإنما هو « يتصدر » أى يجلس فى الصدر .

(٣) الزيادة من س . والبرك ، كصرد : اسمه الحجاج بن عبد الله الصريمى ، وكان أحد الثلاثة الذين عهد إليهم بقتل على ومعاوية وعمرو فى ليلة واحدة ، ثانيهم : عبد الرحمن ابن ملجم الذى تكفل بقتل على ، وثالثهم : زاذويه الذى نصب نفسه لعمرو . وقد ضرب البرك معاوية مصليا فأصاب مأكنته (الكامل ٢ : ١٣٥ – ١٤٥) . وانظر البيان (٢ : ٢٠٦) والطبرى (٦ : ٨٦) .

ومِن كِبْره وشدَّة تجبُّره ، وفَرْط حَمِيَّته(١) وأنفته واحتقاره ، أنّه متى نبح على رجُلٍ فى الليل ، ولم يمْنعه حارسٌ ولم يمكنه الفوت ، فدواؤه عند الرجل أنّه لاينجيه منه إلاّ أن يقعُدَ بين يديه مستخزيا مستسلما ، وأنّه إذا رآه فى تلك الحال دنا منهُ فشَغَر عليه(٢) ولم يَهِجْه . كأنّه حينَ ظفر به ، ورآه تحت قدرته ، رأى أنْ(٣) يسِمَه بميْسَمِ ذُلٍّ ، كما كانت العربُ تجزّ نواصِيَ الأسرى من الفُرسان ، إذا رامت أنْ تخَلِّيَ سبيلَها وتمُنَّ عليها ، ولو كَفَّ العربىُّ عن جزِّ ناصيته ، لوسَمَه الأسْرُ من الشِّعر والقوافى الخالدات البواقى ، التى هى أبقى من المِيسَم ، بما هو أضرُّ عليه من جَزِّ ناصيتِه ، ولعلَّهُ لايبلُغُ أهلَه حتَّى تستوِيَ(٤) مع سائر شعرِ رأسه ، ولكنَّ ذُلَّ الجزِّ لايزال يلُوح فى وجهه ، ولا يزال له أثرٌ فى قلبه .

(تقدير مطرف للكلب)

وذُكر أنَّ مطرِّف بن عبد الله(٥) كان يكره أنْ يقال للكلب اخسأ ، وما أشبه ذلك ، وفى دعائه على أصحاب الكلب الذى كان

---

(١) الحمية : الأنفة . وفى الأصل : « حمايته » بمعنى الدفاع والمنع ، ولا وجه له .

(٢) شغر عليه : رفع رجليه فبال . وفى ط : « فشفر » ، وصوابه فى س .

(٣) فى ط : « تحت قدرته أنه » ، وفى س : « رءا أن » وصححتهما بما ترى .

(٤) فى الأصل : « يستوى » ، والكلام فى « الناصية » .

(٥) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير ، أحد التابعين ، ويكنى أبا عبد الله ، وكانت لأبيه صحبة . قال الجاحظ فى شأنه : وكان خطيبا بينا صاحب أخبار وآثار — وذكره فى جملة القصاص ، ثم قال : وقص ابنه مطرف بن عبد الله بن الشخير فى مكان أبيه (يريد بمسجد البصرة) . البيان ١ : ٣٦٧ . وقال الجاحظ : =

أربابُه لايمنعونه من دُخول مُصَلَّاه ، قال : اللهمَّ امنعهْم بركة صيدِه ! !
دليلٌ على حسْنِ رأيه فيه .

(من أقوال المسيح عليه السلام)

قالوا : ومرَّ المسيحُ بن مريم فى الحَوارِيِّين بجِيفة كلب ، فقال بعضهم : ماأشدَّ نتنَ ريحه ! قال : فهلاَّ قلتَ : ماأشدَّ بياضَ أسنانه ! !

قالوا : وقال رجلٌ لـكلب : اخسأْ، ويْلكَ ! فقال هَمَّام بن الحارث[1] : الويلُ لأهلِ النَّار .

(هراش الـكلاب)

والهِـراش الذى يجرى بينها وهو شَرٌّ ، يكونُ بينَ جميع الأجناس المتَّفِقة ، كالبرذون والبرذون ، والبعير والبعير ، والحمار والحمار ، وكذلك جميع الأجناس . فأمَّا الذى يفرط ويتمُّ ذلك فيه ، ويتمنَّع ناس من النَّاس ،

= « وكان يقال : فقه الحسن ، وورع ابن سيرين ، وعقل مطرف ، وحفظ قتادة » . البيان ١ : ٢٤٢ . « وكان مطرف بن عبد الله يقول : لا تطعم طعامك من لايشتهيه . يقول : لاتقبل بحديثك على من لايقبل عليك بوجهه » البيان ١ : ١٠٣ . وقد روى الجاحظ كثيراً من أقواله فى البيان . قال ابن قتيبة : « ومات عمر ومطرف ابن عشرين سنة ، كأنه ولد فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . ومات فى خلافة عبد الملك بن مروان بعد سنة سبع وثمانين » . المعارف ١٩٣ .

(١) فى البيان ٣ : ١٩٣ : « زهاد الـكوفة : عمرو بن عتبة ، وهمام بن الحارث ، والربيع بن خثيم ، وأويس القرنى »

ويقع فيه القِمَار ، ويتّخذ لذلك ، وينفقَ عليه ، ويُغالَى به ، فالكلبُ والكلب ، والكبشُ والكبش ، والدِّيكُ والدّيك ، والسُّمانَى والسُّمَانَى[1] .

(التحريش بين الجرذان)

فأمَّا الجُرَذ[2] فإنَّه لايقاتل الجُرَذَ[2] حتَّى يشدَّ رجل أحدهما فى طرف خيط ، ويشدّ الجُرَذ[2] الآخر بالطرف الآخر ، ويكون بينهما من المساواة[3] والالتقاء[4] ، والعضِّ والخمش ، وإراقة الدَّم وفَرْى الجلود ، مالا يكون بين شيئين من الأنواع التى يُهارَش بها .

والذى يُحدث للجُرْذان[5] طبيعةَ القتالِ ، الرِّباطُ نفسُه ، فإن انقطع الخيْطُ وانحلَّ العَقْد ، أخذَ هذا شرقاً وهذا غرباً ، ولم يلتقِيا[6] أبداً .

وإذا تقابلت جِحَرَة الفأر ، وخَلا لَهَا الموضعُ ، فبيْنَهَا شرٌّ[7] طويل ، ولكنَّه لايعدُو الوعيد والصخَب ، ولا يلتقى منهما اثنانِ أبداً .

---

(١) فى الأصل : «والسمان والسمان » ، صوابه ماأثبت . وانظر ٥ : ٢٤٦ .

(٢) ط : « الجراد » ، س ، م : « الجرد » ، وصوابهما ماأثبت .

(٣) لعلها « المساورة » بمعنى المواثبة ، أو « المشارة » بمعنى تبادل الشر .

(٤) فى الأصل : « الالتفات » . وانظر ماسيأتى من الكلام .

(٥) ط : « للجراد » . س ، م : « الجردان » والوجه ماذكرت .

(٦) فى الأصل : « يلتفتا » وانظر سياق الكلام .

(٧) الجحرة : جمع جحر . و « لها » و « بينها » هى فى الأصل « لهما » و « بينهما » وهو تحريف ، إذ الضميران راجعان إلى الفأر ، والفأر جمع فأرة .

(قصة ثمامة فيما شاهده من الفأر)

وحدَّثنى ثمامة بن أشْرَس قال : كان بقىَ فى الحبس جُحْر فأر[1] ، وتِلْقاءه جُحرٌ آخر ، فيرَى لكلِّ واحدٍ منهما وعيداً وصياحاً ووثوباً ، حتَّى يُظَنَّ أنَّهُما سيلتقيان ثم لايحتجزان حتّى يقتُلَ كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه . فبينا كلٌّ واحدٍ منهما فى غاية الوعيد ، إذ مرَّ هارباً حتَّى دخل جُحره ، فما زالا كذلك ، حتَّى أتى الله تعالى بالفرَج وخُلِّى سبيلى .

(جودة الشم عند الكلاب السلوقية)

وزعم أنَّ السَّلوقيَّةَ الطويلةَ المناخر أجودُ شَمّاً ، والشمُّ العجيبَ والحسُّ[2] اللطيف من ذلك[3] ، إلاَّ أنَّ ذلك فى طلب الذكور للإناث والإناثِ للذُّكور خاصة . وأمَّا شمُّ المأكول ، واسترواحُ الطُّعم ، فللسِّباع فى ذلك ماليس لغيرها . وإنَّ الفأرَ لَيَشَمُّ ، وإنَّ الذَّر والنمل لَيَشَمُّ ، وإنَّ السَّنانير لتشَمُّ ، وكذلك الكلب ، وله فى ذلك فضيلة ، ولا يبلغُ مَايبلغ الذئب . ٦١
وقال أعرابىّ :

كانَ أبو الصّحيم من أربابها ... صَبَّ عليه الله من ذِئابها
أطلسَ لاينحاشُ مِن كلابها ... يلتهِمُ الطائرَ فى ذَهابِها

(١) كذا ، ولعل الكلام « قال إنه كان فى الحبس جحر فأر » .
(٢) ط : « الحسن » ، وتصحيحه من س .
(٣) أى من طول المناخر .

* فى الجَرْيَةِ الأولَى فلا مَشْى بها *

ألا تراه يجتهد فى [الدُّعاء عليها] بذئبٍ[1] لاينحاشُ من الكلاب .

باب

ما يُشَبَّه بالكَلْبِ وليس هو منْه

وإذا جرى الفرَس المحجَّل ، شبَّهوا قوائمَه بقوائم الكلب إذا ارتفعت فى بطنه ، فيصير تحجيلُها كأنَّه أكلُبٌ صغارٌ تعدو ، كما قال العُمانىُّ[2] :

كأنَّ تحت البَطْن منه أكلُبا ... بِيضاً صِغاراً ينتهشْنَ المَنْقَبا[3]

وقال البدرىّ :

كأنَّ أجراءَ كلابٍ بِيضِ ... دونَ صِفاقَيْه إلى التَّغْرِيضِ[4]

---

(١) فى الأصل : « ألا تراه يجتهد فى ذئب » ، وأصلحت القول بما ترى .

(٢) العمانى هو محمد بن ذؤيب الحنظلى ، وقيل له العمانى وهو بصرى ، ولم يكن من أهل عمان ، ولكن نظر إليه دكين الراجز فقال : من هذا العمانى ؟ وذلك أنه كان أصفر مطحولا ، وكذلك أهل عمان ، قال الشاعر :

ومن يسكن البحرين يعظم طحاله ... ويغبط بما فى بطنه وهو جائع

وكان شاعراً راجزا متوسطا ، من شعراء الدولة العباسية ، ليس من نظراء الشعراء الذين شاهدهم فى عصره مثل أشجع ، وسلم ، ومروان ، ولكنه كان لطيفا داهيا مقبولا ، فأفاد بفعله أموالا جايلة ، وكان العمانى مقربا لدى الرشيد . الأغانى (١٧ : ٧٨ - ٨٣) والشعراء لابن قتيبة ٧٣١ - ٧٣٢ .

(٣) انظر ديوان المعانى (٢ : ١١٤) والشعر والشعراء ٣٧٢ .

(٤) الصفاق ، جلد البطن .

وقال الآخر :

كَأَنَّ قِطًّا أو كلاباً أربَعَا دون صِفاقيه إذا ما ضَبَعا (١)

ويصفون الطَّلْعَ أوّلَ ما يبدو صغاراً بآذانِ الكلابِ البيضِ . وقال في ذلك الرّاجزُ :

أنعَتُ جُمّاراً على سحيض (٢) يَخرج بعد التّجْم والتبعيض (٣)

* طَلْعاً كآذانِ الكلابِ البيضِ *

ويُوصَف صوتُ الشَّخْب فى الإناء بهرير هراش الكلاب .

وقال أعرابىّ :

كأنَّ خِلْفيها إذَا ماهرَّا جروَا كلابٍ هُورِشا فهَرَّا (٤)

وقال الآخر :

كأنَّ صوتَ شَخْبِها المسحنْفِر (٥) بينَ الأباهِيمِ وبين الخنصرِ (٦)

* هِراشُ أجراءٍ ولما تُثْغِرِ (٧) *

---

(١) ضبع : أسرع . وضبع وضبّع بالتشديد : مد ضبعيه فى السير ، والضبع : العضد .

(٢) كذا ، ولعلها « نضيض » ، وهو الماء القليل .

(٣) كذا ولعلها « التبريض » ، وهو من ظهور النبت فى أول أمره .

(٤) يقول : كأن صوت لبنها حين الحلب صوت جروين من أجراء الكلاب أغرى أحدهما بالآخر ، فكان منهما نباح .

(٥) الشخب : ماخرج من الضرع من اللبن . والمسحنفر : الكثير الغزير .

(٦) الأباهيم : جمع إبهام ، وقد جمعه ولم يرد جمعه ، وإنما أراد الواحد . انظر ص ٣٩ .

(٧) أى صوت هراش أجراء . وتثغر : تبدو أسنانها . ولعلها « تشغر » بمعنى ترفع إحدى رجليها حين البول ، وهذه أمارة من أمارات بلوغ الكلاب كما فى الحيوان (٢ : ٣٢) .

وقال أبو دُوَاد(١) :

٦٢ طَـويل طامِـح الطَّرْفِ إلى وَهْوَهـةِ الـكلب(٢)

(جواب صبىّ)

وزعم الهيثم بن عدى(٣) قال : كان رجل يسمَّى كلباً ، وكان لهُ بُنَيٌّ يلعبُ فى الطريق ، فقال له رجلٌ : ابن مَنْ ؟ فقال : ابن وَوْ وَوْ وَوْ ! !

(ما يستحبّ فى ذنب كلب الصيد)

ويحبُّون أن يكون ذنَب الـكلْبِ الصَّائِدِ يابساً ، ليس له من اللحم قليل ولا كثير ، ولذلك قال :

---

(١) فى الأصل : « أبو داود » ، وإنما هو « أبو داود » . والبيت الآتى فى أدب الـكاتب ٨٦ والأمالى ٢ : ٢٥٠ والأضداد ٢٦٦ منسوب إلى أبى دواد . لـكن قال أبو عبيد البكرى فى التنبيه : إن هذا البيت ليس لأبى دواد ولا وقع فى ديوانه ، وإنما هو لعقبة بن سابق الهزانى . قلت : وانظر قصيدة عقبة بن سابق فى الأصمعيات ٣٩ ، وانظر كذلك الاقتضاب ٣٢٤ .

(٢) الرواية فى المراجع المتقدمة : « إلى مفزعة الـكلب » : أى نظره طامح إلى أقصى موضع يسمع منه الـكلب إيساد صاحبه أى إغراءه » . والبيت فى صفة فرس . وأما الوهوهة هنا فصوت الـكلب عند جزعه . والبيت يروى برفع « طويل » وخفضه ، فمن خفضه جعله من صفة الفرس المذكور فى البيت الذى قبله وهو :

وقد أغدو بطرف هيـ ـكل ذى ميعة سكب
أشم سلجم المقـ ـبل لا شخت ولا جأب

ومن رفع فعلى خبر مبتدأ مضمر . انظر الاقتضاب ٣٢٥ .

(٣) كذا فى س ، وهو الصـواب . وفى ط : عرابى » ، وفى م : « عربى » وكلاهما تحريف . كان الهيثم عالما بالشعر والأخبار والمثالب والمناقب والمـآثر والأنساب . وكان يرى رأى الخوارج . توفى سنة سبع أو تسع ومائتين . وانظر الخبر فى ٥ : ٢٨٨ .

* تَلوِى بأذنابٍ قليلاتِ اللِّحَا[١] *

وقال الشاعر[٢] :

إنِّى وطَلْبَ ابنِ غلّاقٍ[٣] ليَقرِيَنِى[٤]

كالغابط[٥] الكلبَ يبغى الطِّرْقَ فى الذَّنب[٦]

الطِّرْق : الشحم اليسير ، يقال : ليس به طِرْق .

(طيب لحم أجراء الكلاب)

ويقال : ليس فى الأرض فَرخٌ ولا جرو ولا شىءٌ من الحيوان أسمنَ ولا أرطبَ ولا أطيبَ من أجراء الكلب . وهى أشبهُ شىءٍ بالحمام ؛ فإنَّ فِراخَ الحمام أسمنُ شىءٍ ما دامت صغاراً من غير أن تسمَّن ، فإذا بلغَتْ لم تقبل الشحم ، وكذلك أولادُ الكلاب .

---

(١) ط : « اللحام » س : « اللحى » وصوابهما من م ، ومن الحيوان ٢ : ٦٢ حيث توجد أرجوزة البيت مشروحة مفصلة . وأراد باللحا – وهو مقصور اللحاء – مايكسو الذنب من اللحم . وفى المقصور والممدود لابن ولاد ٩٥ : « ويقال للتمرة إنها قليلة اللحاء ، وهو ما كسا النواة » .

(٢) هو رجل من بنى عمرو بن عامر يهجو قوما من بنى سليم ، كما فى اللسان (غبط) .

(٣) فى أمثال الميدانى ٢ : ٢٠ : « إنى وإن ابن علاق » ، وفى اللسان : « إنى وأتى ابن غلاق » . والطلب : هو الطلب سكنت لامه للشعر .

(٤) ط : « ليقربنى » وتصحيحه من س ، م وأمثال الميدانى واللسان .

(٥) الغابط : الذى يجس الحيوان ليعرف سمنه من هزاله . وفى م : « كالغائط » وفى ط : « كالطالب » . وفى الأمثال : « كعابط » ، وذلك تحريف ماأثبت من س. وفى اللسان : « كغابط » .

(٦) ط ، م : « الذيب » ، وصوابه من المراجع المتقدمة . وقبل هذا البيت فى اللسان :

إذا تحليت غلاقا لتعرفها لاحت من اللؤم فى أعناقها الكتب

قال الميدانى : يضرب هذا المثل لمن يطلب المعروف عند اللئيم .

وقال الآخر :

وأغضَفِ الأُذْن طاوى البَطْنِ مُضْطَمِرٍ
لِوَهْوَهٍ رَذِم الخيشوم هَرَّارِ (١)

الأصمعِيّ قال : قال أعرابيٌّ : أصابتنا سَنَة شديدة ، ثم أعقبتْها سنةٌ تتابَعَ فيها الأمطارُ فسمِنت الماشية ، وكثُرت الألبان والأسمان ، فسَمِن وِلْدان الحيِّ ، حتّى كأنَّ استَ أحدهم جرو يتمطَّى !

(طلب أبى دلامة)

أبو الحسن قال : قال أبو العبَّاس أميرُ المؤمنين (٢) لأبى دُلامة : سَلْ ! قال : كلباً . قال : ويلَك ! ما تصنع بالكلب ؟ ! قال : قلت أصيدُ به . قال : فلك كلب . قال : ودابَّةً . قال : ودابّة . قال: وغلاماً يركَب الدابة ويَصيد . قال : وغلاماً . قال : وجاريَةً . قال : وجارية . قال : يا أمير المؤمنين ! كلبٌ وغلامٌ وجاريَةٌ ودابّة، هؤلاء عِيال ، ولا بدَّ مِن دار . قال : ودار . قال : ولا بدَّ لهؤلاءِ من غَلَّةِ ضَيعة . قال : أقطعناك مائَةَ جَرِيبٍ عامرةً ومائَةَ جريبٍ غامرة . قال : وأىُّ شيء الغامرة ؟ قال : ليس فيها

(١) لوهوه : أى أبوه وهوه ، والوهوه : النشيط الحريص على الجرى . والرذم: الذى يقطر أنفه ، وفى اللسان : « رذم أنفه يرذم ويرذم — أى كيدخل ، ويضرب — رذما ورذمانا : قطر » . وهى فى الأصل : « ردم » وليس لها معنى يتجه . والهرار : الكثير الهرير ، وهو النباح .

(٢) هو أبو العباس عبد الله بن محمد ، الملقب بالسفاح ، أول خلفاء الدولة العباسية (١٠٤ — ١٣٦) . والحديث فى الأغانى ٩ : ١١٦ مع اختلاف فى الألفاظ حيث توجد ترجمة أبى دلامة ٩ : ١١٥ — ١٣٣ . وانظر جمع الجواهر ٩٠ .

ثبات . قال : أَنَا أُقْطِعك خمسَمائةِ جريب من فيافى بنى أسد غامرةً . قال : قد جعلنا لك المائتين عامِرتين كُلَّهاَ(١) ، ثمَّ قال : أبقىَ لك شىء ؟ قال : نعم ، أقبِّل يدك . قال : أمَّا هذه فدعْها . قال : مامنعتَ عيالى شيئاً أهونَ عليهم فقْداً منه ؟ !

(علّمه حيلة فوقع فى أسرها)

أبو الحسن عن أبى مريم قال : كان عندنا بالمدينة رجلٌ قد كثُر عليه الدَّين حتَّى توارى من غرمائه ، ولزِم منزله ، فأتاه غريم له عليه شىءٌ يسيرٌ ، فتلطَّفَ حتَّى وصل إليه ، فقال له : ما تجعلُ لى إنْ أنا دللتُك على حيلةٍ تصيرُ بها إلى الظُّهورِ والسَّلامةِ من غرمائك ؟ قال : أقضيكَ حقَّك ، وأزيدُك ممَّا عندى ممَّا تقَرُّ به عينك . فتوثَّقَ منه بالأيمان ، فقال له : إذا كان غداً قبْلَ الصَّلاةِ مرْ خادمَك يكنُسْ بابَك وفِناءك ويرشّ ، ويبسُطْ على دكَّانك حُصراً ، ويضَعْ لك متَّكأً ، ثمّ أمهِل حتى تصبَح(٣) ويمرَّ الناس ، ثمّ تجلس ، وكلُّ مَن يمرُّ عليك ويسلّم انبح له فى وجهه ، ولا تزيدَنَّ على النُّباح أحداً كائنا مَن كان ، ومَنْ كلّمك من أهلِك أو خدمك أو من غيرهم ، أو غريمٍ أو غيره ، حتَّى تصير إلى الوالى فإذا كلَّمك فانبَحْ له ، وإيَّاك أن تَزيدَه أو غيرَه على النُّباح ؛ فإنَّ الوالىَ

(The marginal number ٦٣ stands beside the line «على حيلةٍ تصيرُ بها إلى الظُّهورِ والسَّلامةِ من غرمائك ؟ قال : أقضيكَ» ٦٣)

---

(١) ط : « كلهما » .

(٢) فى الأغانى عقب هذه القصة « قال الجاحظ : فانظر إلى حذقه بالمسألة ولطفه فيها ، ابتدأ بكلب فسهل القصة به ، وجعل يأتى بما يليه على ترتيب وفكاهة حتى نال مالو سأله بديهة لما وصل إليه » .

(٣) ط : « يصبح » .

إذا أيقَنَ أنَّ ذلك منك جِدٌّ لم يشُكَّ أنَّه قد عرَض لك عارض من مَسٍّ فيخلِّيَ عنك ، ولا يغرى عليك . قال : ففعَل ، فمرَّ به بعضُ جيرانه فسلَّم عليه ، فنبَح فى وجهه ، ثم مرَّ آخرُ ففعل مثلَ ذلك ، حتّى تسامع غرماؤه فأتاه بعضُهم فسلَّم عليه فلم يزِدْه على النُّباح ، ثمَّ آخرُ ، فتعلَّقوا به فرفعوه إلى الوالى ، فسأله الوالى فلم يزدْه على النُّباح ، فرفَعه معهم إلى القاضى ، فلم يزده على ذلك ، فأمَرَ بحبسه أيَّاماً وجعلَ عليه العيون ، وملَكَ نفْسَه وجعَلَ لاينطِق بحرفٍ سوى النُّباح ، فلمَّا رأى القاضى ذلك أمَرَ بإخراجه ووضعَ عليه العيونَ فى منزله ، وجعل لاينطِق بحرفٍ إلاَّ النباحَ ، فلما تقرَّرَ ذلك عند القاضى أمر غرماءه بالكفِّ عنه ، وقال: هذا رجلٌ بِهِ لَمَم . فمكث[1] ما شاء اللهُ تعالى . ثمَّ إنَّ غريمَه الذى كان علَّمه الحيلة ، أتاه متقاضياً لِعِدَتِه[2] فلمَّا كلمه جعَل لايزيدهُ على النُّباح ، فقال لَهُ : ويلَكَ يافلان ! ! وعلىَّ أيضا ، وأنا علَّمتك هذه الحيلة ؟ ! فجعل لايزيدُه على النُّباح ، فلمَّا يئس منه انصرف يائساً مما يطالبه بِهِ .

(اتحاد المتعاديين فى وجه عدوِّهما المشترك)

قال أبو الحسن عن سلمة بن خطّاب الأزدىّ ، قال : لمَّا تشاغل عبدُ الملك بنُ مرْوانَ بمحاربةِ مُصعَبِ بنِ الزُّبير ، اجتمَعَ وجوهُ الرُّوم إلى ملكهم فقالوا له : قد أمكنَتْك الفُرْصةُ من العَرب ، بتَشاغُل بعضهم

(١) اللمم : الجنون . و « مكث » هى فى ط : « مكثت » محرفة ، وإصلاحها من سه .

(٢) لعدته : لما كان وعده به .

مع بعض ، لوقوع بأسهم بينهم ، فالرأىُ لك أن تغزوَهم إلى بلادهم ، فإنَّك إن فعلتَ ذلك بهم نلتَ حاجتَك ، فلا تدَعْهم حتَّى تنقضىَ الحربُ التى بينهم فيجتمعوا عليك ! فنهاهم عن ذلك وخطَّأ رأيَهم ، فأبوا عليه إلاَّ أن يغزُوا العربَ فى بلادهم . فلما رأى ذلك منهم أمَرَ بكلبَين فحرَّش بينهما ، فاقتتلا قتالا شديداً ، ثمَّ دعا بثعلبٍ فخلاَّه ، فلما رأى الكلبان الثعلبَ ، تركا ما كانا فيه ، وأقبلا عليه حتَّى قتلاه ، فقال ملك الروم : كيف
تروْن !؟ هكذا العربُ ، تقتتلُ بينها ، فإذا رأونا تركوا ذلك واجتمعوا علينا ، ٦٤
فعرَفوا صدقه ، ورجَعوا عن رأيهم .

(كرم الكلاب)

قال : وقال المغيرةُ لرجلٍ خاصم إليه صديقاً لهُ ، وكان الصديقُ توعَّدَه بصداقة المغيرة ، فأعلمه الرجلُ ذلك ، وقال : إنَّ هذا يتوعَّدنى بمعرفتك إيَّاه ، وزعم أنَّها تنفعه عندَك . قال : أجَلْ ! إنَّها والله لتنفَع ، وإنَّها لتنفَعُ عند الكلبِ العقور !

فإذا كان الكلبُ العقورُ كذلك ، فما ظنُّك بغيره ؟ وأنت لا تصيب من الناس مَن تنفع عنده المعرفةُ من ألفٍ واحداً[1] .

وهذا الكرمُ فى الكلاب عامٌّ . والكلبُ يحرُس ربَّه ، ويحمى حريمَه شاهداً وغائباً ، وذاكراً وغافلاً ، ونائماً ويقظان ، ولا يقصِّر عن ذلك وإن جفَوه ، ولا يخذُلهم وإن خذَلوه .

---

(١) فى الأصل : « من ألف واحد » .

(نوم الـكلاب)

والـكلبُ أيقَظُ الحيوانِ عيناً فى وقتِ حاجتهم إلى النوم ، وإنّما نومه نهاراً ، عند استغنائهم عن حراسةٍ ، ثمّ لا ينـام إلاّ غِراراً وإلا غِشَاشاً(١) . وأغلبُ ما يكوم النّومُ عليه وأشدُّ [ما يكون(٢)] إسكاراً له ، أنْ يكونَ كما قال رؤبة :

* لاقيت مَطْلاً كنُعاسِ الـكَلْبِ (٣) *

يعنى بذلك القَرْمَطَة فى المواعيد .

وكذلك فإنّهُ أنْوَمُ ما يكونُ أنْ يفتَحَ عينَه بقدْر ما يكفيه للحراسة ، وذلك ساعةً ، وهو فى هذا كلِّه أسمَعُ من فرَس ، وأحذَرُ من عَقْعَق(٤) ، مع بُعد صوته

---

(١) الغرار والغشاش : النوم القليل .

(٢) الزيادة من س .

(٣) سبق الـكلام فى هذا البيت ص ٣١٧ من الجزء الأول .

(٤) العقعق — كثعلب — طائر على قدر الحمامة ، فى شكل غراب ، وهو ذو لونين أبيض وأسود . وكما يضرب المثـل بالعقعق فى الحذر ، يضرب به أيضـاً فى السرقة والخيانة ، قال :

إذا بارك الله فى طائر فلا بارك الله فى العقعق
قصير الذنابى طويل الجناح متى مايجد غفلة يسرق
يقلب عينيه فى رأسه كأنهما قطرتا زئبق

(قول رجل من العرب فى الجمال)

وقيل لرجُل من العرب : ما الجمال ؟ فقال : غُؤور العينَين ، وإشراف الحاجبين ، ورُحْب الأشداق ، وبُعْدُ الصوت .

(صبر الكلب واحتماله)

هذا مع قلة السآمة ، والصَّبْرِ على الجفوة ، واحتمالِ الجراحات الشِّداد ، وجوائف الطعان(١) ونوافذِ السهام . وإذا ناله ذلك لم يَزَلْ ينظِّفه بريقه ؛ لمعرفته بأنَّ ذلك هو دواؤه حتَّى يبرأ ، لا يحتاج إلى طبيب ، ولا إلى مِرْهم ولا إلى علاج .

(طول ذماء الضب والكلب والأفعى)

وتقول العرب : « الضبُّ أطولُ شيءٍ ذَمَاء(٢) » ، والكلبُ أعجبُ فى ذلك منه . وإنَّما عجبوا من الضَّبِّ ، لأنَّه يَغْبُر(٣) ليلتَه مذبوحا مفرِيَّ الأوداج ، ساكنَ الحركة ، حتَّى إذا قُرِّب من النار تحرَّك . كأنَّهم يظنُّون أنَّه قد كان حيًّا ، وإن كان فى العين ميِّتاً .

والأفعَى تبقى أيَّاماً تتحرَّك .

---

(١) الجائفة : طعنة تبلغ الجوف .

(٢) الذماء : بقية الروح . وفى ط : « أطول شيئا » ، وهو على الصواب فى س ، م .

(٣) يغبر : يمكث . وفى ط ، م : « يغير » ، وهو تحريف ماأثبت من س .

(ما يعتريه الاختلاج بعد الموت)

فأمَّا الذى يعتريه الاختلاج بعد جُموده[١] ليلةً ، فلحْمُ البقر والجُزُر[٢] ، تختلج وهى على المعاليق اختلاجاً شديداً .

والحيَّة يُقطَعُ ثلثها الأسفل ، فتعيش وينبُت ذلك المقطوع .

(حياة الكلب مع الجراح الشديدة)

قال : والكلب أشدُّ الأشياءِ التى تعيش على الجراح ، التى لا يعيش عليها شيء إلاَّ الكلبُ ، والخنزيرُ ، والخُنْفَساء .

(قوة فكّ الكلب وأنيابه)

والكلبُ أشدُّ الأشياء فَكًّا ، وأرْهفها ناباً ، وأطيَبُها[٣] فماً ، وأكثرها ريقاً ، يُرمَى بالعظم المدْمَج[٤] ، فيعلم بالغريزة أنَّه إن عضَّه رضَّه ، وإن بلعَه استمرأه[٥] .

---

(١) الجمود : كناية عن الموت ، تقول : مازال يضربه حتى جمد .

(٢) الجزر : الإبل المذبوحة ، جمع جزور .

(٣) ط ، م : « أخبثها » ، وتصحيحه من س .

(٤) المدمج : الصلب . وفى س : « يرى العظم المدمج » .

(٥) سيأتى نحو هذا الكلام بعبارة أكثر تفصيلا فى ص ١٩٤ من هذا الجزء .

(إلف الكلب وغيره من الحيوان للإنسان)

وهو ألوفٌ للناس ، مشاركٌ من هذا الموضع العصافيرَ والخطاطيفَ والحمامَ والسنانير ، بل يزيد على ذلك فى باب الخاصِّ وفى باب العامِّ . فأمَّا باب الخاصِّ ، فإنَّ من الحمام(١) ما هو طُورانىٌّ(٢) وحشىٌّ ، ومنه ما هو آلفٌ أهلى . والخُطَّاف من القواطع غير الأوابد ، إذا قطع إلى الإنس لم يَبْنِ بيتَه إلاَّ فى أبعدِ المواضع ، من حيثُ لا تناله أيديهم . فهو مقسومٌ على بلاده وبلادِ من اضطرَّته إليه الحاجة . والعصافير تكون فى القرب حيثُ تمتنع منهم فى أنفسها . والكلاب مخالطةٌ لها ملابِسة ، ليس منها وحشىٌّ ، وكلُّها أهلى . وليس من القواطع [ولا](٣) من الأوابد ما يكون آنس بالناس — من كثير ممَّا يوصف بالأنس والإلف — من الكلاب دون سواها(٤) . وفى السَّنانير الوحشيَّةُ والأهليةُ .

وعلى أنَّ إلفَ الكلب فوقَ إلف الإنسان الألوف(٥) ، وهو فى الكلب أغرَبُ منه فى الحمام والعصفور ؛ لأنَّه سبع ، والحمام بهيمة ، والسبع بالسباع أشبه ، فتركَها ولم يناسبها ، ورغِب عنها . وكيف ، وهو يصيد الوُحوشَ ويمنَع جميعَ السِّباع [من(٦)] الإفساد ؟ ! فذلك أحمَدُ له

(١) ط ، م : « من » ، س : « منه » ، والصواب فى ذلك ماأثبت .
(٢) فى معجم البلدان : طرآن : جبل فيه حمام كثير ، إليه ينسب الحمام الطرآنى . . . قال : والعامة تقول طورانى ، وهو خطأ » . وفى اللسان : « وحمام طورانى وطورى منسوب إليه» . أى إلى طور سيناء . قال : « وقيل هو منسوب إلى جبل يقال له طرآن ، نسب شاذ » .
(٣) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام .
(٤) فى الأصل : « من الناس دون سواهم » .
(٥) ط : « الألوق » ، وصوابه من س ، م .
(٦) الزيادة من س .

وأوجَبُ لشكره . ثمَّ يصيرُ في كثيرٍ من حالاته ، آنَسَ بالنَّاس منه بالكلابِ دِنيَّةً وقُصْرةً[١] ، ولا تراه يلاعبُ كلباً ما دام إنسانٌ يلاعبه . ثمَّ لم يرْضَ بهذه القرابة وهذه المشاكلة ، وبمقدار ما عليه من طباع الخُطَّاف والحمام والعصفور ، وبمقدار ما فضَّلها الله تعالى بِهِ من الأُنس ، حتَّى صار إلى غايةِ المنافع سُلَّماً ، وإلى أكثر المرافق[٢] .

(الحاجة إلى الكلاب)

[وليس[٣]] لحارس الناس ولحارسِ أموالهم بُدٌّ من كلب ، وكلَّما كان أكبرَ كان أحبَّ إليه . ولا بدَّ لأقاطيع المواشي من الكلاب ، وإلاَّ فإنَّها نهبٌ للذئاب ولغير الذئاب ثمَّ كلابِ الصَّيد ، حتَّى كان أكثرُ أهلِ البيت عِيالاً على كلِّ كلب .

(مقلدات الإنسان من الحيوان)

وقد صار اليومَ عندَ الكلب من الحكايات وقَبول التلقين ، وحُسْن التصريف في أصناف اللَّعِب ، وفي فِطَن الحكايات [ما ليس[٤]]

---

(١) يريد الكلاب القريبة إليه في النسب .

(٢) يصح أن تكون هنا كلمة ساقطة تقديرها « وسيلة » أو « سبباً » أو نحو ذلك . ويصح أن يكون اكتفى بالخبر المتقدم « سلما » .

(٣) ليست بالأصل والكلام في حاجة إليها . وفي س : « لمحارس » بدل « لحارس » .

(٤) بدله في الأصل : « وفي » ، والوجه ماأثبت .

فى الجوارح المذلَّلةِ لذاك ، المصرَّفةِ فيه ، [و(١)] ما ليس عند الدبِّ والقرد والفيل ، والغَنَم المكِّيَّة ، والبَبْغاء .

(الكلب الزينى)

والكلب الزِّينىّ الصِّينىّ(٢) يُسرَج على رأسه ساعاتٍ كثيرةً من اللَّيل فلا يتحرَّك . وقد كان فى بنى ضَبَّةَ كلب زينىٌّ صينىّ ، يُسرَج على رأسه ، فلا ينبِض فيه نابِض ، ويدعونه باسمه ويُرمى إليه بِبَضْعَةِ لحم والمِسْرَجةُ على رأسه ، فلا يميل ولا يتحرَّك ، حتَّى يكونَ القومُ هم الذين يأخذون المصباح من رأسه ، فإذا زايَلَ(٣) رأسَه وثَب على اللحم فأكله ! . دُرِّب فدَرِب ، ٦٦
وثُقِّف فثَقِف ، وأُدِّب فقَبِل . وتعلَّق فى رقبته الزنْبلة(٤) والدَّوْخَلّة(٥) وتوضع فيها رُقعة ، ثم يمضى إلى البقَّال ويجىء بالحوائج .

(تعليم الكلب والقرد)

ثمَّ صار القرَّادُ وصاحبُ الرُّبَّاح(٦) [مِنْ(٧)] ثمَّ يستخرِجُ فيما بين الكلْب والقِرد ضُروبا من العمَل ، وأشكالاً من الفِطَن ، حتَّى صاروا يطحنون

---

(١) ليست بالأصل .
(٢) ضرب من الكلاب قصير القوائم ، شديد الذكاء ، يقال بالهمز وترك الهمز .
(٣) ط : « أزيل » وصوابه فى س .
(٤) كذا ، ولعلها « الزبيل » أو « الزنبيل » .
(٥) الدوخلة ، بفتح الدال وتشديد اللام المفتوحة وتخفف ، أصل معناها : سفيفة من خوص يوضع فيها التمر والرطب .
(٦) الرباح : القرد الذكر ، وفى الأصل : « الرياح » ! .
(٧) تكملة يفتقر إليها الكلام .

عليه ، فإذا فرغ من طحنه مضَوا بهِ إلى المُتمَعَّك[١] ، فيُمعَّكُ كما يُمعَّك حمار المُكَارِى وبغلُ الطحَّان .

وقرابةٌ أخرى بينه وبين الإنسان : أنّه ليس شىءٌ من الحيوان لذكرِه حجْمٌ بادٍ إلاّ الكلبُ والإنسان .

(ما يسبَحُ من الحيوان وما لا يسبح)

والكلبُ بعد هذا أسبحُ من حيّة ، ولا يتعلّق بهِ فى ذلك الثّور ، وذلك فضيلةٌ له على القِرد ، معَ كثْرةِ فِطَن القِرْد وتشبُّههِ بالإنسان ؛ لأنّ كلّ حيوانٍ فى الأرض فإنّه إذا أُلقى فى الماء الغَمْر سبح ، إلاّ القردَ والفرسَ الأعسَر . والكلبُ أسبحُها كلّها ، حتّى إنّه ليُقَدَّم فى ذلك على البقرة والحيَّة .

(مافى إناث الكلاب من الأعاجيب)

وفى طباع أرحامِ الكلاب أُعجوبَة ؛ لأنّها تَلقَح من أجناس غير الكلاب ، ويُلقحها كما يلقح منها ، وتلقح من كلابٍ مختلفة الألوان ، فَتؤدّى شبَه كلِّ كلب ، وتمتلئ أرحَامُها أجراءً من سِفاد كلبٍ ، ومن مرّةٍ واحدة ، كما تمتلئ من عدَّةِ كلابٍ ومن كلبٍ واحد . وليست هذه الفضيلة إلاّ لأرحام الكلاب .

---

(١) المتمعك : مكان تمعك الدابة فى التراب .

(فخر قبيلتين زنجيتين)

قالوا : والزِّنج صِنفان ، قبيلة زَنجيَّة فوق قبيلة ، وهما صِنفان : النمل والكلاب ، فقبيلةٌ هم الكلاب ، وقبيلةٌ هم النمّل ، ، فخر هؤلاء بالكثرة ، وفخر هؤلاء بالشدَّة[١] . وهذان الأسمان هُمَا ما اختاَراهما لأنفسِهما ولم يُكرَها عليهما .

(حديث : « أ كلك كلب الله »)

قال : ويقال إنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال لعُتْبة[٢] بن أبى لَهَب : « أكلكَ كلبُ الله » فأكله الأسد . فواحدةٌ : قد ثبت بذلك أنَّ الأسد كلبُ الله[٣] . والثانية : أنّ الله تبارك وتعالى لا يُضاف إليه إلاّ العظيمُ ،

(١) الإشارة بهؤلاء الأولى إلى قبيلة النمل ، وبالثانية إلى قبيلة الكلاب ، وللقبيلتين حديث فى البيان ٣ : ٥١ .

(٢) فى الأصل : « قال يالهب » . وفى ثمار القلوب ١٩ وفقه اللغة ٢٤٨ — وقد نقل الثعالبى فيهما نص الجاحظ — « عتيبة » بالتصغير . والصواب « عتبة » كما فى الأغانى (١٥ : ٢ — ٣) وكما فى المعارف ٦٢ وسيرة ابن هشام ٤٦٥ جوتنجن . وفى الأغانى عن عكرمة قال : « لما نزلت : والنجم إذا هوى ، قال عتبة للنبى صلى الله عليه وسلم : أنا أكفر برب النجم إذا هوى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم أرسل عليه كلبا من كلابك ! » قال ابن عباس : « فخرج إلى الشام فى ركب ، فيهم هبار بن الأسود ، حتى إذا كانوا بوادى القاصرة ، وهى مسبعة ، نزلوه ليلا فافترشوا صفا واحدا ، فقال عتبة : أتريدون أن تجعلونى حجرة ! لا والله لا أبيت إلا وسطكم ! فبات وسطهم . قال هبار : فما أنبهنى إلا السبع يشم رءوسهم رجلا رجلا ، حتى انتهى إليه ، فأنشب أنيابه فى صدغيه فصاح : أى قوم ! قتلتنى دعوة محمد ! فأمسكوه فلم يلبث أن مات فى أيديهم » . وانظر لتحقيق الخبر ما ورد فى حواشى الاشتقاق ٢٢ بتحقيقنا . وانظر الاستدراك فى آخر الكتاب هنا .

(٣) فى فقه اللغة : « أن الأسد كلب » .

من جميع الخير والشرِّ(١) . فأمّا الخير فقولك : بيت الله ، وأهل الله ، وزُوّار الله ، وكِتاب الله ، وسماء الله ، وأرض الله ، وخليل الله ، وكَلِيم الله ، وروح الله ، وما أشبه ذلك(٢) . وأمَّا الشرُّ فكقولهم : دعْه فى لعنةِ الله وسخَط الله ، ودعْه فى نار الله وسَعيره(٣) ، وما أشبه ذلك . وقد يسمِّى المسلِمون والنَّاسُ كلباً .

(تسمية بنات آوى والثعالب والضباع بالكلاب)

وقد زعم آخرون : أنَّ بناتِ آوى ، والثعالبَ والضِّباعَ ، والكلابَ ، كلَّها كلاب ، ولذلك تَسافَدُ وتَلاَقح(٤) .

وقال آخرون : لَعمرى إنَّها الكلاب إذا أردتم أن تشبِّهوها ، فأمَّا أن تكونَ كلاباً لعِلَّةٍ أو عِلَّتين — والوجوهُ التى تخالف فيها الكلاب أكثر — فإنَّ هذا مِمّا لا يجوز .

٦٧ وقول مَنْ زعم أنّ الجواميس بقرٌ وأنّ الخيلَ حُمُرٌ ، أقربُ إلى الحقِّ من قولِكم ، وقولِ من زعَم أنّ الجواميس ضأنُ البقر . والبقَر ضأنٌ أيضاً ، ولذلك سمَّوا بقرَ الوحْشِ نِعاجا ، كأنهم إنما ابتغوا اتِّفاق الأسماء .

وما بالُ من زعم أنَّ الأسَد والذئب والضبع والثعلبَ وابنَ آوى كلابٌ أحقُّ بالصواب مِمّن زعم أنَّ الجواميس ضأنٌ والبقر ضأنٌ

(١) فقه اللغة : « من الأشياء فى الخير والشر » ، وفى الثمار « من جميع الأشياء من الخير والشر » .
(٢) انظر ماسبق فى ١ : ٣٤١ .
(٣) فقه اللغة : « وحر سقره » ، وفى الثمار : « وسقره » .
(٤) أراد : « تتسافد وتتلاقح » فحذف إحدى التاءين .

[و][1] الماعزُ كلها شيء واحد . وهذا أقربُ إلى الإمكان ؛ لتشابهها في الظِّلف والقُرون والكروش[2] وأنَّها تجترّ . والسِّنَّور والفهد والنمر والبَبْر والأسد والذئب والضبع والثعلبُ إلى أنْ تكونَ شيئاً واحداً أقرب . وعلى أنَّنا لم نتبينْ إلى السَّاعة أنَّ الضِّباعَ والكلابَ وبناتِ آوى والذئابَ تتلاقح ؛ وما رأينا[3] على هذا قط [سِمْعا[4]] ولا عِسْباراً ، ولا كلَّ ما يعُدُّون . وما ذِكْرهم لذلك إلاَّ من طريق الإخبار عن السُّرعة ، أو عن بعضِ ما يُشبه ذلك . فأمَّا التلاقُح والتراكيب العجيب الغريب ، فالأعرابُ أفطنُ — والكلام عندَهم أرخص[5] — منْ أن يكونوا وصَفُوا كلَّ شيءٍ يكون في الوحش ، وكلَّ شيءٍ يكون في السّهل والجبل ، مما إذا جمع[6] جميعُ أعاجيبه لم يكنْ أظرفَ ولا أكثرَ مِمّا يدَّعون من هذا التّسافُد والتّلاقُح والتراكيب في الامتزاجات . فكيفَ يَدَعُون ما هو أظرَفُ ، والذى هُو أعجبُ وأرغب ، إلى ما يستوى في معرفته جميعُ الناس ؟ !

(تتمّة القول في الحديث السابق)

وقال آخرون : ليس الكلبُ من أسماء الأسد ، كما أنْ ليس الأسد من أسماء الكلب ، إلاّ على أنْ تمدحُوا كلبَكم فيقول قائلكم : ما هو إلاّ

---

(١) الزيادة من س .
(٢) ط : « الكبوش » ، والوجه ما أثبت من س .
(٣) ط « ما رأيناها » ، وهو تحريف ما في س .
(٤) الزيادة من س . وقد سبق الكلام على « السمع » في الجزء الأول ص ١٨١ — ١٨٣ .
(٥) س : « أدحض » .
(٦) ط : « أجمع » . وتصحيحه من س .

الأسَد ؛ وكذلك القول فى الأسَد إذا سَمَّيتموه كلباً ، وذلك عند إرادة التصغير والتحقير ، والتأنيب والتقريع ؛ كما يقال ذلك للإنسان على جهة التشبيه . فإن كان النبى صلى الله عليه وسلم [قال ذلك فإنَّ ذلك على بعض ما وصفْنا لك . ويقول أهـل حمص : إنهم لا يُغلَبون ؛ لأن فيها نورَ الله فى الأرض[١] . وما كلبُ الله إلا كنُور الله . والله ، تبارك وتعالى عُلوًّا كبيرا ، لا تُضافُ إليه الكلابُ والسنانيرُ والضِّباعُ والثعالب . والنبى صلى الله عليه وسلم][٢] لم يقل هذا قطُّ . وإنْ كان قالَه فعلى صلة كلامٍ أو على حكايةِ كلام .

وقال صاحب الكلب : قد وضَح الأمر ، وتلقَّاه الناس بالقَبول ، فى أنَّ النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أكَلَكَ كلبُ الله » وهو يعنى الأسد . ومن دفع[٣] هذا الحديثَ فقد أنكرَ علاماتِ الرسول صلى الله عليه وسلم .

(التسمية بمشتقات الكلب)

والنَّاسُ قد سمَّوا الناسَ بكلبٍ وكُليب وكِلاب وأكلُب ومكاليب ومكالبة بنو ربيعة[٤] ، وكليب بن ربيعة بن عامر . وفى العرب من

(١) لعلهم كانوا يعنون بذلك ما بها من قبور أولاد جعفر الطيار ، كما فى معجم البلدان (حمص) . وقال ياقوت : « إن أشد الناس على على رضى الله عنه ، بصفين مع معاوية كان أهل حمص ، وأكثرهم تحريضاً عليه وجدا فى حربه ، فلما انقضت تلك الحروب ، ومضى ذلك الزمان ، صاروا من غلاة الشيعة ، حتى إن فى أهلها كثيراً من رأى مذهب النصيرية ، وأصلهم الإمامية ، الذين يسبون السلف . فقد التزموا الضلال أولا وأخيرا » .

(٢) الزيادة من س .

(٣) ط : « رفع » ، وتصحيحه من س .

(٤) قارن هذا بما فى الجزء الأول ص ٣١٣ — ٣١٧ .

القبائل كلب ، وبنو الكلْبة ، وبنو كلاب[١] ، وأكلبُ بن ربيعةَ بنِ نزار عِمارةٌ ضخمةٌ[٢] . وكلْب بن وَبْرة جِذْمٌ من الأجذام[٣] وهم نفر جُمجُمة[٤] ، وكلّ سادات[٥] فهو يكنى أبا كليب ، ومن ذلك عمرو ذو الكلب[٦] ٦٨
وأبو عمرو الكلب الجرمى[٧] وأبو عامر الكلب النحوى . وكيف لايجوز مع ذلك أنْ يسمِّىَ الأسد بالكلب ، وكلٌّ هؤلاء أرفَعُ من الأسد؟ !

وقد قالوا : كلب الماء ، وكلبُ الرحى . والضَّبَّة[٨] التى فى الرحل يقال لها الكلب ، والكلب : الخشبة التى تمنع الحائطَ من السُّقوط

---

(١) فى ش بعد هذا زيادة « وبنو كلب » .
(٢) العمارة : أصغر من القبيلة ، أو الحى العظيم .
(٣) الجذم : الأصل .
(٤) كذا فى ط ، م . وفى س : « وهم بعد جمجمة » .
(٥) كذا فى ط . وفى س : « شاداب » . وفى م : « شادات » .
(٦) اسمه عمرو بن العجلان بن عامر ، وهو من بنى هذيل . قال ابن الأعرابى : سمى ذا الكلب لأنه كان له كلب لا يفارقه . وقال أبو عبيدة : وإنما خرج غازيا ومعه كلب يصطاد به ، فقال له أصحابه : ياذا الكلب ! فثبتت عليه . وكان يغزو بنى فهم غزوا متصلا . فنام ليلة فى بعض غزواته فوثب عليه نمران فأكلاه ، فادعت فهم قتله ، وقالت أخته ريطة ترثيه بقصيدة أولها :

كل امرئ لمحال الدهر مكروب وكل من غالب الأيام مغلوب

تقول فيها :

الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها مثعنجر من نجيع الجوف أسكوب
والتارك القرن مصفرا أنامله كأنه من رجيع الجوف مخضوب
تمشى النسور إليه وهى لاهية مشى العذارى عليهن الجلابيب
والمخرج العاتق العذراء مذعنة فى السبى ينفح من أردانها الطيب

الأغانى ٢٠ : ٢٢ — ٢٣ .
(٧) انظر الجزء الأول ص ٣١٥ .
(٨) الضبة هنا يراد بها الحديدة العقفاء التى تكون فى طرف الرحل ، تعلق فيها المزاود والأداوى .

وتُشخَص فى القناطر والمسنَّيات (١) .

والكلب الذى فى السماء ذو الصُّوَر (٢) .

ويقال : داء الكَلَب ، وقد اعتراه فى الطعام كلب ، وقد كلب عليهم فى الحرب ، و « دِمَاءُ القوم للكَلْبى شفاء » (٣) .

ومنه الكلْبة والكلْبتان (٤) والكُلَّاب (٥) والكلُّوب (٦) ثمَّ المكلِّب والمكلب (٧) وهذا مختلف مشتقٌّ من ذلك الأصل .

ومنه عَلُّويَهْ (٨) كلب المطبخ ، وحمويه كلب الجنّ .

---

(١) المسناة : السد يعترض به الوادى ليحبس الماء .

(٢) الصورة : مجموعة من الكواكب من الثابتة . وللكلب ثلاث صور : الصورة الأولى ، صورة العواء وهى من الصور الشمالية . والصورة الثانية : صورة الجبار وهو الكلب الأكبر ، وهو الشعرى العبور والشعرى اليمانية . والثالثة صورة الكلب الأصغر ، وهو الشعرى الشامية . وهاتان الصورتان من الصور الجنوبية . انظر مفاتيح العلوم ١٢٣ — ١٢٤ ونثار الأزهار ١٧٤ ، ١٧٧ .

(٣) هو عجز بيت لعوف بن الأحوص ، وصدره كما فى ص ٨ — ٩ من هذا الجزء :

* ولا العنقاء ثعلبة بن عمرو *

(٤) الكلبتان : آلة الحداد يأخذ بها الحديد المحمى ، وهو لفظ ملازم التثنية .

(٥) الكلاب ، بضم الكاف وتشديد اللام : الحديدة التى على خف الرائض للدابة ، وجمعها كلاليب . وتسمى المهماز أيضاً .

(٦) الكلوب : المنشال أى آلة نشل الشىء ورفعه . وقال اللحيانى : الكلاب والكلوب : السفود لأنه يعلق الشواء ويتخلله .

(٧) المكلب ، بكسر اللام المشددة : الرجل الذى يعلم الكلاب أخذ الصيد . والمكلب ، بفتح اللام المشددة : الكلب قد علمه صاحبه أخذ الصيد ، أو أحد اللفظين هو (المكلب) كمحسن ، وهو الرجل الذى كلبت إبله : أى أصابها الجنون .

(٨) ط : « علوبة » ، وتصحيحه من س .

(بين أبى علقمة المزنى وسوار بن عبد الله)

ولما شهدَ أبو علقمة المُزَنِىُّ عند سوّار بنِ عبد الله(١) أو غيره من القضاة [و(٢)] توقَّفَ فى قَبول شهادته ، قال له أبو علقمة : لِمَ توقَّفتَ فى إجازة شهادتى ؟ قال : بلغنى أنَّك تلعَب بالكِلاب والصُّقور : قال : مَنْ خبَّرك أنِّى ألعب فقد أبْطَل ، وإذا بلغك أنِّى أصطادُ بها فقد صدَقَك مَنْ أبلغك ، وإنِّى أخبرك أنِّى جادٌّ فى الاصطيادِ بها غيرُ لاعبٍ ولا هازِئٍ ، فقد وقَفَ المبلِّغ بك على فرقِ مابينَ الجدِّ واللَّعب . قال : ماوقَفَ ولا وقَّفته عليه . فأجازَ شهادتَه .

(قوله تعالى : يَسْأَلونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ)

وقد قال الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ﴾ فقال لنبيِّه : ﴿ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ . فاشتَقَّ لكلِّ صائدٍ وجارحٍ كاسب مِنْ بازٍ ، وصقرٍ ، وعُقاب ، وفَهْد ،

(١) هو سوار بن عبد الله بن سوار بن عبد الله بن قدامة ، أبو عبد الله العنبرى البصرى ، نزل بغداد ، وولى بها قضاء الرصافة ، وكان فقيها فصيحا ، أديبا شاعرا ، وقد وثقه كثيرون ، منهم أحمد بن حنبل ، وتوفى سنة خمس وأربعين ومائتين . (تاريخ بغداد ٤٧٨٨) .

ومن بلاغاته وورعه ما قالوا ، إنه دخل على محمد بن عبد الله بن طاهر ، فقال : أيها الأمير ، إنى جئتك فى حاجة رفعتها إلى الله قبل رفعها إليك . فإن قضيتها حمدنا الله وشكرناك ، وإن لم تقضها حمدنا الله وعذرناك ! فقضى جميع حوائجه .

(٢) ليست بالأصل .

وشاهين ، وزرّق ويؤيؤ ، وباشق ، وعَناق الأرض[١] ، من اسم الكلب . وهذا يدلّ على أنّه أعمّها نفعاً ، وأبعدها صيتاً ، وأنبهها ذكراً . ثمّ قال : ﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسمَ اللهِ عَلَيْهِ ﴾ فذكر تعليمَهم لهـا إذ أضافَ ذلك إلى نفسه ، ثمَّ أخبرَ عن أدَبها وأنّها تُمسِك على أربابها لا على أنفسها . وزعَم أصحاب الصَّيْد أنْ ليس فى الجوارح شىءٌ أجدرُ أن يُمسِك على صاحبه ولا يُمسِكَ على نفسه من الكلب .

(تأويل آية أصحاب الكهف)

قال الله تعالى لنبيِّه صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ[٢] أَنّ أَصْحابَ
الْكَهْفِ وَالرّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِناَ عَجَبًا . إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهفِ
فَقَالُوا : رَبَّناَ آتِناَ مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَناَ مِنْ أَمْرِناَ رَشَدًا ﴾ . فخبَّر كما
ترى عن دعائهم وإخلاصهم ، ثمَّ قال جلّ وعزّ : ﴿ فَضَرَبْناَ عَلَى آذَانِهِمْ
فى الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً . ثُمَّ بَعَثْناَهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا
أَمَداً ﴾ ثمَّ قال عزَّ وجلّ : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالحَقِّ إِنّهُمْ فِتْيَةٌ
٦٩ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْناَهُمْ هُدًى . وَرَبَطْناَ عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا :
رَبُّناَ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلٰهًا لَقَدْ قُلْناَ

---

(١) عناق الأرض : دويبة أصغر من الفهد ، طويل الظهر ، يصيد كل شىء حتى الطير .

(٢) ليست بالأصل .

إذًا شَطَطاً ﴾ ثم قال : ﴿ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا . وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ ثمّ قالَ بعدَ هذه الصِّفةِ لحالهم ، والتمكين لهم من قلوب السَّامعين ، والأعجوبةِ التى أتاهم بها : ﴿ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ ثُمّ قَال : ﴿ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ فخبَّر أنَّهم لم يستصحبوا مِن جميع مَن يألف الناس ويرتفقون به ، ويسكنون إليه ، شيئاً غيرَ الكلب ؛ فإنّ ممّا يألفُ النَّاس ويرتفقون به ، ويسكنون إليه : الفرسَ والبعيرَ ، والحمار والبغل ، والثّورَ والشاة ، والحمامَ والدِّيَكة ، كلّ ذلك مما يرتَفق [به [1]] ، ويُستصحب فى الأسفار ، وينقَل من بلدٍ إلى بلدٍ .

والناس يصطادون بغير الكلب ، ويستمتعون بأمور كثيرة ، فخبَّر عنهم بعد أن جعلهم خياراً أبراراً ، أنّهم لم يختاروا استصحابَ شىءٍ سوى الكلب ، وليس يكون ذلك من الموفّقين المعصومين المؤيَّدين ، إلّا بخاصّةٍ فى الكلب لاتكون فى غيره .

ثمَّ أعاد ذكر الكلب ، ونبَّأ[2] عن حاله ، بأنْ قال عزَّ وجلَّ : ﴿ إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا . سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّى أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَايَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ . فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ

(١) ارتفق يتعدى بالباء ، فزدت هذه .
(٢) فى الأصل : « ونبه » .

إلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ وفى قولهم فى الآية : ﴿ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ دَلِيلٌ عَلَى أنَّ الكلبَ رفيعُ الحال ، نبيه الذِّكر ، إذ جُعِل رابعَهم ، وعُطف ذِكرُه على ذكرهِمْ ، واشتقَّ ذكْره من أصل ذكرهمْ ، حتَّى كأنَّه واحدٌ منهم ، ومن أكفائهم أوْ أشباههِم ، أو ممَّا يقاربهم . ولولا ذلك لقال : سيَقُولون ثلاثَةٌ معهم كلبٌ لهم . وبينَ قول القائل معهم كلبٌ لهم ، وبين قوله رابعهم كلبهم — فرقٌ بيِّن ، وطريق واضح .

فإنْ قلتم : هذا كلام لم يحكه الله تعالى عن نفسه ، وإنَّما حكاه عن غيره ، وحيث يقول : ﴿ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ وَقَدْ صَدَقتم ، والصِّفة على ما[1] ذكرتم ؛ لأنَّ الكلامَ لو
٧٠ كان منكراً لأنكره الله تعالى ، ولو كان معيباً لعابه الله ، فإذْ[2] حكاه ولم يَعِبْهُ ، وجعله قرآناً وعظّمه بذلك المعنى ، ممَّا لا ينكَر فى العقل ولا فى اللغة ، كان الكلام إذا كان على هذه الصفة مثلَه ؛ إذ كان الله عزّ وجلّ المنزِل له .

(الاستطاعة قبل الفعل[3])

ومثلَ ذلك مثَّلَ بعضُ المخالفين فى القدَر ، فإنّه سأل بعضَ أصحابنا فقال : هل تعرفُ فى كتاب الله تعالى أنَّه يُخبِرُ عن الاستطاعة ، أنَّها قبلَ

(١) س ، ط : « من » ، وتصحيحه من م .
(٢) فى الأصل : « فإذا » .
(٣) للقول بالاستطاعة قبل الفعل أصل من أصول المعتزلة ، ينافحون عنه . ولابن حزم بحث قوى فى هدم هذا الأصل وتفنيده . الفصل (٣ : ٢٦ — ٤٣) .

الفعل ؟ قال : نعم ، أنى كثيرٌ ، مِنْ ذلك قولُه تعالى : ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴾ . قال المخالف : سألتك أنْ تخبرنى عن الله ، فأخبرتنى عن عفريتٍ لو كان بينَ يدىَّ لبزَقتُ فى وجهه ! قال صاحبُنا : أمّا سليمانُ النبىُّ ، صلى الله عليه وسلم ، فقد تركَ النَّكيرَ عليه ، ولو كان مثلُ هذا القول كفْرًا وافتراءً على الله ، ومغالبةً وتفويضاً للمشيئة إلى نفسه ، لكان سليمانُ ومَن حضره من المسلمين من الجنِّ والإنس أحقَّ بالإنكار ، بل لم يكن العِفريتُ فى هذا الموضع هو الذى يسرع فيه ويذكر الطاعة ، ولا يتقرَّب فيه بذكر سرعة[1] النفوذ ، ويبشر فيه[2] بأنَّ معه من القوَّة المجعولة مايَتَهَيأ لمثله قضاءُ حاجته ، فيكذب ثمَّ لايرضى بالكذب حتَّى يقول قولا[3] مستنكراً ، ويدَّعى[4] قوَّة لاتُجعَل له ، ثمّ يستقبل بالافتراء على الله تعالى والاستبدادِ عليه ، والاستغناء عنه ــ نبيًّا[5] قدْ ملك الجنَّ والإنس ، والرِّياحَ والطير ، وتسْييرَ الجبال ، ونطقَ كلِّ شىء ، ثمَّ لايزجره فضلًا عن أنْ يضربَه ، ويسجُنه فضلًا عن أن يقتله .

وبعدُ ، فإن الله تبارك وتعالى لم يجعل ذلك القولَ قرآنا ، ويترك التنبيه على ما فيه من العَيب ، إلّا والقول كان صِدقًا مقبولا .

---

(١) ط : « بساعة » ، وتصحيحه من س .

(٢) س : « ويشر » !

(٣) « ولا » ، وصوابه فى س .

(٤) ط : « مستنكر أو يدعى » ، وتصحيحه من س .

(٥) ط : « وبيننا من » ، وصوابه من س .

وبعد ، فإنَّ هذا القولَ قد سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلاهُ على الناس ، وما زالوا يتلونه فى مجالسهم ومحاريبهم ، أفَمَا كان فى جميع هؤلاء واحدٌ يعرف معرفتك ، أو يغضَبُ لله تعالى غضبك ؟ !

(دفاع عن الكلب)

قال صاحب الكلب : لو اعترضْتَ جميعَ أهل البدو فى جميع الآفاق من الأرض ، أنْ تُصيبَ[1] أهلَ خيمةٍ واحدة ، ليس عندهُمْ كلبٌ واحد فما فوقَ الواحد لَما وجدته . وكذلك كانوا فى الجاهليَّة ، وعلى ذلك هم فى الإسلام . فمن رجَع بالتخطئة على جميع طوائف الأمم ، والتأنيبِ والاعتراض على جميع اختيارات الناس ، فليتَّهم رأيَه ؛ فإنَّ رأيَ الفردِ ولا سيَّما الحسودُ ، لايَفِى برأى واحد ، ولا يرى الاستشارة حظا[2] وكيف
٧١ بأنْ يَفِىَ بجميع[3] أهل [البدو][4] من العرب والعجم . والدليل على أنَّ البَدْوَ قد يكون فى اللُّغة لهما[5] جميعاً قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾ ولو ابتُلِى صاحبُ هذا القول بأنْ يَنزل البادية ، لتحوَّل رأيُه ، واستبدَلَ بهِ رأيَ

---

(١) ط : « يصيب » ، وأثبت الصواب من س .
(٢) كذا ولعل الكلام « ولا سيما الحسود الذى لايرى الاستشارة حظا لايفى برأى واحد » .
(٣) فى الأصل : « لجميع » ، والوجه ماأثبت .
(٤) التكملة من س .
(٥) ط : « لها » ، والوجه ماأثبت من س . ومعاد الضمير إلى العرب والعجم .

من قد جرّب تقريبَ الكلب وإبعادَه . [وقد قال أبو عبّادٍ النميرى : لا يكون البُنْيَان[1] قريةً حتى ينبحَ فيه كلبٌ ، ويزْقوَ فيه ديك[2]] .

[ولمّا][3] قال أحمدُ بنُ الخارَكى[4] : لاتَصير القريةُ قريةً حتّى يصيرَ فيها حائكٌ ومعلّمٌ ، قال : أبو عبّاد[5] : يا مجنونُ ! إذا صارتْ إلى هذا فقد صارت مدينة .

وللكلب[6] إثباتُه وجهَ صاحبه ، ونظرُه فى عينيه وفى وجهه ، وحبُّه له ، ودُنُوُّه منه ، حتّى ربّما لاَعبه ولاعب صبيانَه بالعضّ الذى لا يؤثّر ولا يُوجِع ، وهى الأضراسُ التى لو نشَّبها[7] فى الصخر لنَشِبت ، والأنيابُ التى لو أنحى بها[8] على الحصَى لرضَّها .

---

(١) فى الأصل : « البستان » ، والوجه ما أثبت وهو الموافق لما سيأتى فى ص ٢٤٢ من هذا الجزء .

(٢) الزيادة من س .

(٣) زيادة يتطلبها الكلام .

(٤) فى الأصل : « الحاركى » . وفى البخلاء ١٠٥ ، ١٠٦ « أحمد بن الحاركى » والصواب ما أثبت ، وهو منسوب إلى (خارك) جزيرة فى وسط البحر الفارسى ، كما فى معجم البلدان . وهو أحمد بن إسحاق الخاركى البصرى . وانظر طبقات ابن المعتز ٣٠٦ وفيه « الخارجى » ، تحريف ، والفهرست ٢٣٣ وحواشى معجم المرزبانى ٤٣١ .

(٥) هو أبو عباد الكاتب ، كاتب أحمد بن أبى خالد . وأبو عباد هو القائل : إذا أنكر القائل عينى المستمع ، فليستفهمه عن منتهى حديثه ، وعن السبب الذى أجرى ذلك القول له ، فإن وجده قد أخلص له الاستماع ، أتم له الحديث ، وإن كان لاهيا عنه ، حرمه حسن الحديث ، ونفع المؤانسة ، وعرفه بفسولة الاستماع والتقصير فى حق المحدث ». انظر البيان ٢ : ٤١ ، ٩١.

(٦) فى الأصل : « والكلب » ، والوجه ماأثبت .

(٧) أنشبه ونشبه بمعنى .

(٨) ط : « أنحا بها » ، والصواب من س .

وقد تراه وما يصنع بالعظم المدمَج ، وبالفِقْرة من الصُّلب القاسى الذى ليس بالنَّخِر البالى ، ولا بالحديثِ العهدِ بالودَك الذى يلين معه بالمضْغ ويَطيب ، فتراه كيف يرضّه ويفتّته ، ثمَّ إن مانَعَه بعضَ الممانعةِ ، ووافقَ منه بعضَ الجوع ، كيف يبتلِعه وهو واثق بِاستمرائه وهضْمه ، أو بإذابته وحَلِّه .

وله ضروبٌ من النَّغَم ، وأشكال من الأصوات ، وله نوح وتطريب ، ودُعاء وخُوار[١] ، وهَرِير وعُواء ، وبَصبصة ، وشىءٌ يصنَعه عند الفرح ، وله صوتٌ شبيهٌ بالأنينِ إذا كان يَغْشَى الصيد ، وله إذا لا عَبَ أشكالَه فى غُدُوات الصَّيفِ شىءٌ بينَ العُواء والأنين .

وله وَطءٌ للحصى مثله بأن لو وطىء الحصى على أرض السطوح لايكون مثله وطء الكلب يربى على وزنه مرارا[٢] .

وإذا مرَّ على وادٍ جامدٍ ظاهرِ المـاء ، تنكَّبَ مواضعَ الخرير فى أسفله .

قال الشاعر — ورأى رجلاً اسمُه وثّاب واسمَ كلبِه عمرو — فقال :

ولو هَيَّـا له الله من التَّوفيق أسبابا[٣]
لسمَّى نفسَه عَمْرًا وسمَّى الكلبَ وَثّابا

---

(١) فى القاموس : « الخوار بالضم : من صوت البقر والغنم والظباء والسهام » . فاستعماله هنا فى غير موضعه الأصيل .

(٢) كذا ، ووجه العبارة عندى : « وله وطء للحصى مثله (بعضهم) بأن لو وطىء (الحصى) على أرض السطوح لا يكون (وطؤه) مثل وطء الكلب أو وزنه — أى وزن الحصى — يربى على وزنه مراراً » . ووطء الحصى للأرض يوصف بالشدة لأسباب طبيعية ذكرها الجاحظ فى الجزء الأول ص ١١٦ .

(٣) سبق الكلام فى هذا الشعر وصاحبه ص ٢٢ من هذا الجزء .

(أطباء الكلبة والخنزيرة والفهدة)

قال : والكلبة كثيرةُ الأطبْاءِ ، وكذلك الخنزيرة . وللفَهدة أربعة أطباء من لَدُنْ صدرِها وقرب إبطيها إلى رُفغيها[١] . وللفيل حلمتان تصغُران[٢] عن جثّته . وهما ممّا يلى الصَّدر مثل الإنسان ، والذّكرُ فى ذلك يشبَّه بالرجل ؛ لأنّ للرجل ثديَين صغيرَين عن جثّته .

(واقية الكلاب)

ويقال : إنَّ [على[٣]] الكلابِ واقيةً من عبَث السُّفهاء والصِّبيان بها . قال دُريد بن الصِّمَّة ، حين ضرَبَ امرأتَه بالسيف ولم يقتلْها[٤] : ٧٢

أقَرَّ الْعَينَ أنْ عُصِبَت يداها   وما إن يُعصَبان على خِضَابِ

(١) الرفغ بالفتح ويضم : أصل الفخذ .

(٢) فى الأصل : « حلمان يصغران » ! .

(٣) التكملة من س .

(٤) فى الأغانى ٩ : ٩ عن ابن الأعرابى : « تزوج دريد بن الصمة امرأة فوجدها ثيبا وكانوا قالوا له إنها بكر ، فقام عنها قبل أن يصل إليها ، وأخذ سيفه فأقبل به إليها ليضربها ، فتلقته أمها لتدفعه عنها ، فوقف يديها – أى حزهما ولم يقطعهما – فنظر إليها بعد ذلك وهى معصوبة فقال : أقر العين » البيتين . ثم قال « قالوا : يريد أن الكلب يصيبه الجرح فيلحس نفسه فيبرأ » . والميدانى فى الأمثال ٢ : ٢٨٩ يقول : إن الواقية مصدر كالعاقبة ، والكاذبة ، وذكر المثل « واقية كواقية الكلاب » وقال : « أى وقاية كوقاية الكلاب على ولدها . وهى أشد الحيوانات وقاية لأولادها » . وقال الثعالبى فى ثمار القلوب ٣١٨ : « يضرب مثلا للخسيس إذا كان موقى » .

فأبقَاهُنَّ أنَّ لهنَّ جَدًّا[١]   وواقية كواقية الـكلاب

وقال الآخر :

إنْ يَقِنَا اللهُ مِنْ شَرِّها   فإنَّ الـكلابَ لها واقيَه[٢]

ويروى :

* سيُنْجِيه مِنْ شرِّها شرُّه *

وقال غيره[٣] :

ولقدْ قتلتُك بالهجاءِ فلم تمُتْ   إن الكلاب طويلة الأعْمارِ

وقال بِشر بن المعْتمر :

الناسُ دَأباً في طلاب الثَّرَا[٤]   فكُلُّهم من شأنه الخَتْرُ[٥]

كأذؤبٍ تنهَشها أذْؤبٌ   لها عُواءٌ ولها زَفرُ[٦]

---

(١) في الأصل : « جلداً » ، وإنما هو « جداً » بمعنى حظا كما في الأغاني . وفي ثمار القلوب : « لؤما » . والبيت السابق لهذا يروى لحسان بن ثابت في جملة أبيات رواها ابن هشام في السيرة ٥٧٠ جوتنجن ، برواية : « أقر العين أن عصبت يداه » .

(٢) ط : « فإن الـكلب » وتصحيحه من س .

(٣) في المستطرف ٢ : ٧١ أنه أبو زيد العبدي .

(٤) في الأصل وكذا في اللسان : « الثرى » بالياء . وإنما هي مقصور « الثراء » بمعنى « الغنى » . ويؤيد ما أثبت رواية البيت في الجزء السادس بلفظ « الغنى » .

(٥) ط : « رأى الناس رأيا » وفي س ، م : « أرى الناس دأبا » وهو تحريف صوابه من الحيوان ٦ : ٩٢ حيث توجد القصيدة جميعها ، ومن اللسان (مادة ربح) حيث يروى ابن منظور تسعة أبيات منها . و « دأبا » مصدر لفعل محذوف تقديره « يدأبون » ، وهذا الفعل المحذوف وفاعله خبر للمبتدإ « الناس » . وحذف عامل المصدر إذا كان خبراً عن أسماء الأعيان جائز . انظر التصريح ١ : ٣٣٢ .

(٦) في الأصل : « تنهشها أكلب » ، وتصحيحه من الجزء السادس من الحيوان ومن اللسان . قال الجاحظ في تفسير ذلك فإنها – يعني الذئاب – قد تتهارش على الفريسة ولا تبلغ القتل ، فإذا أدمى بعضها بعضاً وثبت عليه فمزقته وأكلته . وقال الراجز :

فلا تكوني يا ابنة الأشم   ورقاء دمى ذئبها المدمى

وقال الفرزدق :

وكنت كذئب السوء لما رأى دما   بصاحبه يوما أحال على الدم

(استطراد لغوى)

قال : ويقال قَزَح الكلب ببوله يقزَح قزْحاً ، إذا بال . قال : وقال أبو الصَّقر : يقزَح ببوله حين يبول ، وشغَر الكلب يشغَر إذا رفَع رجْلَهُ ، بال أو لم يبل . ويقال شغرتُ بالمرأة[1] أشغرُها شغْرًا[2] إذا رفعتَ رِجلَها للنِّكاح . قال : ويقال عاظَل الكلبُ مُعاظَلةً ، يعنى السِّفاد ، قال أبو الزحف[3] :

كَمِشْيَةِ[4] الكلبِ مَشَى للكلبَةِ   يَبغى العِظالَ مُصْحِرًا[5] بالسَّوءَة

قال : ويقال كلبٌ عاظِل وكلابٌ عُظَّل وعَظَالى .

وقال حسّان بن ثابت الأنصارى :

ولَست بخَيرٍ من يَزِيدَ وخَالدٍ   ولست بخيْر من معاظلة الكلبِ[6]

---

(١) مثله شغرتها وأشغرتها كما فى اللسان .

(٢) الوجه « أشغر بها شغرا » ، أو « شغرتها أشغرها شغرا » .

(٣) أبو الزحف هو ابن عطاء بن الخطفى — ابن عم جرير بن الخطفى — وعمّر أبو الزحف حتى بلغ زمان محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس . وهو القائل :

أشكو إليك وجعاً بركبتى   وهدجانا لم يكن من مشيتى

كهدجان الرأل خلف الهيقة   مزوزيا لما رآها زوزت

انظر الشعراء لابن قتيبة ٦٦٩ — ٦٧٠ .

(٤) فى الأصل : « كشية » .

(٥) فى الأصل : « مصخرا » وإنما هو « مصحرا » . والإصحار : المجاهرة .

(٦) هذا البيت ليس فى ديوان حسان . ووجدته فى العمدة (١ : ١١٦) . قال ابن رشيق : « والتصريع يقع فيه من الإقواء ، والإكفاء ، والإيطاء ، والسناد ، والتضمين — ما يقع فى القافية . فمن الإقواء ما أنشده الزجاجى وهو قول بعضهم :

ما بال عينك منها الماء مهراق   سحا فلا غارب منها ولا راقى

ومن الإكفاء قول حسان بن ثابت . أنشده الجاحظ :

ولست بخير من أبيك وخالكا   ولست بخير من معاظلة الكلب

وانظر الاستدراكات :

قال مالكُ بن عبد الله الجَعْدىّ ، يوم فيفِ الرِّيح[١] : حدَّثنى أبى ، لقدْ نظرتُ يَوْمَئِذٍ إلى بنى عبد الحارث بن نمير ، فما شبَّهتُهم إلاَّ بالـكلاب المتعاظلة حَوْلَ اللواء .

وقال أبو بَرَاء عامرُ بن مالكٍ ملاعبُ الأَسِنَّة[٢] — لاعبه الحارث واليوم قال فقال[٣] منذ يومئذ .

قال : والسَّلوقيّة منسوبَةٌ إلى سَلوقَ من بلاد اليَمَن ، لها سلاحٌ جيِّد وكلاب فُرَّه[٤] . وقال القَطَامىُّ :

معه ضَوَارٍ مِنْ سَلوقَ له   طَوْرًا تُعانِدُه وتنفعه[٥]

(تعفير البهائم والسباع أولادها)

قالُوا : وليس فى الأَرض بهيمةٌ [ولا سبع أنثى تريد فِطامَ ولدها وإخراجَه من اللَّبَن إلى اللحم ، أو من اللبَنِ إلى العُشْب ، إن كانت بهيمةً

---

(١) كذا . ولعل الـكلام « وقد ذكر يوم فيف الريح » .

(٢) هو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ، فارس قيس ، وسمى ملاعب الأسنة لقول أوس بن حجر فيه :

ولاعب أطراف الأسنة عامر   فراح له حظ الـكتيبة أجمع

وهو عم لبيد الشاعر ، وهو كذلك عم عامر بن الطفيل . وفى العامرين قالوا : « أفرس من ملاعب الأسنة » و « أفرس من عامر » . انظر الأغانى (١٤ : ٩٠) وأمثال الميدان (٢ ، ٢٩) وقالوا : أخذ ملاعب الأسنة أربعين مرباعا فى الجاهلية — والمرباع : ربع الغنيمة يأخذه رئيس القوم لنفسه . (بلوغ الأرب ٢ : ١٢٧) وتوفى ملاعب الأسنة فى نحو سنة ١٠ من الهجرة.

(٣) كذا جاء النص ، وفيه اضطراب . وفى س : « قال فقالوا » بدل « قال فقال » .

(٤) فره : جمع فاره ، مثل راكع وركع .

(٥) لم أجد هذا البيت فى ديوان القطامى ، ووجدت شبيها به ، من قصيدة نونية ص ١٧ وهو :

معهم ضوار من سلوق كأنها   حصن تجول تجرر الأرسانا

إلاَّ وهى تعفر ولدَها . والتعفير : أن ترضعَه وتمنعه حتى يجوع ويطلب اللحمَ إن كان سبعاً ، والعُشْبَ إن كان بهيمة[١]] ، فلا تزالُ تنوِّله وتُماطله ، [وكلما[٢]] مرَّتْ عليه الأيَّامُ كان وقتُ منعِها له أطولَ ، حتَّى إذا قوِىَ على أكْلِ اللَّحْمِ أو العُشْب فطمته . قال لبيدٌ فى مثل ذلك :

أَفْتِلْكَ أَمْ وَحْشِيَّةٌ مَسْبُوعَةٌ خُذِلَتْ وَهَادِيَةُ الصِّوَارِ قِوَامُهَا[٣] ٧٣
خَنْسَاءُ ضَيَّعَتِ الْفَرِيرَ فَلَمْ يَرِمْ عُرْضَ الشَّقَائِقِ طَوْفُهَا وَبُغَامُهَا[٤]
لِمُعَفَّرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِلْوَهُ غُبْسٌ كَوَاسِبُ لاَ يُمَنُّ طَعَامُهَا[٥]
صَادَفْنَ مِنْهَا غِرَّةً فَأَصَبْنَهَا إنَّ المنايا لا تَطِيشُ سِهامُها[٦]

لأنَّ البقرة إذا كانت بحضْرة ولدها لم تضيِّعه ومَنعت السِّباعَ منه ، وقاتلَتْ دونَهُ بقُرونها أشدَّ القتال ، حتَّى تُنجيَه أو تعطَب .

---

(١) هذه الزيادة من س .

(٢) الزيادة من س .

(٣) وحشية مسبوعة : بقرة من بقر الوحش أكل السبع ولدها . والسبع كل حيوان مفترس . وأراد بالهادية الفحل الذى يتقدم الصوار أى القطيع . فالتاء فيه للمبالغة كعلامة ونسابة . يقول جعلت هذه البقرة الهادية قوام أمرها ، فانطلقت وراءه ترعى وتركت ولدها فأفرده السبع فأكله ، فلما آبت لتفقده أضلته فانصرفت هائمة ثائرة فى طلبه .

(٤) الخنساء : القصيرة الأنف المتأخرته . والفرير : ولدها . والشقائق : جمع شقيقة ، وهى الأرض الصلبة بين رملتين . والطوف : الذهاب والمجىء . والبغام : صوتها . ولم يرم : لم يبرح .

(٥) المعفر : الذى ألقى على العفر وهو التراب ، أو المعفر : الذى تدرجت أمه معه فى فطامه ، كما سبق فى كلام الجاحظ . والقهد : الأبيض . والشلو : الجسد ، أو بقيته . والغبس : الكلاب ، أو الذئاب لها لون شبيه بالغبرة . وكواسب : تكسب الصيد . وما يمن طعامها : ما ينقص ، مثله قوله تعالى « فلهم أجر غير ممنون » .

(٦) صادفن : يعنى الكلاب أو الذئاب .

(بعض من كنى بالكلاب)

[قال : و][1] كان ابنُ لِسَانِ الحُمَّرَة[2] يكنَى أبا كلابٍ[3] . وكان زوجُ حُبَّى المَدَنيَّة يقال له ابن أمِّ كِلاب ، وقال الشَّاعر يذكُرُها[4] :

---

(١) الزيادة من س .

(٢) ابن لسان الحمرة اسمه عبيد الله بن الحصين أو ورقاء بن الأشعر ، كما فى القاموس والمعارف ٢٣٣ (وفى الفهرست ٩٩ ليبسك ، ١٣٢ مصر « ورقاء » وهو تحريف) وهو أعرابى من بنى تيم الله بن ثعلبة ، وكان من علماء زمانه ، قال ابن قتيبة « وكان أنسب العرب وأعظمهم بصراً . دخل الكوفة ، وعليها المغيرة ابن شعبة ، وسألة المغيرة فى طبائع قبائل من العرب ، وفى خاق النساء ، فأجاب أجوبة ممتعة ، تجدها فى الأغانى ١٤ : ١٣٨ . وسأله معاوية يوما فقال له : بم نلت العلم ؟ قال : بلسان سئول وقلب عقول ! انظر الدميرى برسم (الحمرة) وفى البيان ٣ : ١٦٢ « إذا سمعت حديث أبى نضرة وكلام ابن أبى بكرة فكأنك مع ابن لسان الحمرة» . والحمرة : طائر يشبه العصفور .

(٣) فى الأصل : « أبو كلب » ، وتصحيحه من الحيوان ٢ : ٢٠٦ والمعارف ، والدميرى ، وفهرست ابن النديم .

(٤) الشاعر هو هدبة بن خشرم العذرى ، كما فى أمثال الميدانى (١ : ٣٥٣) . وحبى هذه امرأة كانت مزواجا ، فتزوجت على كبر سنها فتى يقال له ابن أم كلاب فقام ابن لها (كهل !) فشى إلى مروان بن الحكم — وهو والى المدينة — وقال : إن أمى السفيهة ، على كبر سنها وسنى ، تزوجت شابا مقتبل السن ، فصيرتنى ونفسها حديثاً . فاستحضرها مروان وابنها ، فلم تكترث لقوله ، ولكنها التفتت إلى ابنها وقالت : يا برذعة الحمار ! أما رأيت ذلك الشاب المقدود العنطنط ، والله ليصرعن أمك بين الباب والطاق فليشفين غليلها ولتخرجن نفسها دونه ! ولوددت أنه ضب وأنى ضبيبته وقد وجدنا خلاء ! فانتشر هذا الكلام عنهما ، فضربت بهما الأمثال . وقد حضرت حبى مصرع هدبة بن الخشرم حين قدم للقتل ، وهو فى ذلك ينشد الأشعار فقالت له : ما رأيت أقسى قلبا منك ! أتنشد الأشعار وأنت يمضى بك لتقتل ، وهذه خلفك كأنها ظبى عطشان تولول ؟ ! تعنى امرأته . فوقف ووقف الناس معه ، فأقبل على حبى فأنشد البيتين الآتيين . انظر أمثال الميدانى والكامل ٧٦٦ ليبسك .

وَمَا وَجَدَتْ وَجْدِى به أمٌّ واحدٍ ولا وجْدُ حُبّى بابنِ أمٍّ كِلابِ
رأتْهُ طويلَ السَّاعدين شَمَرْدَلاً كما انبعثتْ من قوّةٍ وشَبَابِ (١)

(صفة عيون الكلاب)

وقال آخر (٢) يصِفُ عيونَ الكلاب إذا أبصرت الصَّيد :

مجزَّعَةٌ غُضْفٌ كأنَّ عيونَها
إذا آذَنَ القُنَّاصُ بالصَّيد عَضْرَسُ

مجزّعة : فى أعناقها جَزْع ، وهو الودَع يُجعَل فى القلائد . يقول : تبيضُّ عيونُها حينَ تختِلُ الصَّيد . والعَضْرَس هاهنا : البَرَد (٣) .

وقَال الآخر :

خُوصٌ تَرَاح إلى الصُّراخِ إذا غَدَتْ
فِعْلَ الضِّراء تَرَاحُ للكَلَّابِ (٤)

وقال آخر وذكر الضِّراء ، وهو يصف الشَّيخ وضعْفَه :

ومنها أنْ يُقادَ به بَعيرٌ ذَلُولٌ حينَ تَهْتَرِشُ الكِلابُ

---

(١) فى الميدانى : « عنطنطا » موضع « شمردلا » .

(٢) هو البعيث كما فى اللسان (عضرس) . وأنشده ، فى (حرج) بدون نسبة .

(٣) بمثل ذلك فسره الجوهرى ، لكن عقب عليه ابن برى بقوله « والعضرس ههنا نبات له لون أحمر تشبه به عيون الكلاب لأنها حمر ، وليس هوهنا حب الغمام كما ذكر — يعنى الجوهرى — إنما ذلك فى بيت غير هذا وهو :

فباتت عليه ليلة رجبية تحيى بقطر كالجمان وعضرس

قلت : ولامرئ القيس بيت يليق بتأويل ابن برى ، وهو كما فى الديوان ١٤٧ :

مغرثة زرقا كأن عيونها من الذمر والإيحاء نوار عضرس

(٤) ط : « الكلاب » وتصحيحه من س والحيوان ٥ : ٣٤٣ .

قال : وهُم عند الحاجة يُعِدُّون الكلبَ والمطيَّة ، وأنشد[١] :

فأعقَبَ خيراً كلُّ أهوج مِهْرَجٍ وكلُّ مُفَدَّاةِ العُلالة صِلْدِمِ[٢]

وقَال الآخر :

* مُفَدَّيات وملقَّبات[٣] *

وأنشد قول أبي ذُؤَيب[٤] في شبيهٍ بالمعنى الأوّل :

شغِفَ الكلابُ الضّارياتُ به فإذا يَرَى الصُّبْحَ المُصَدَّقَ يَفْزَعُ

يقول : هذه الثِّيران لما قد لُقِّينَ[٥] مع الصبح والإشراق من

---

(١) البيت لأوس بن حجر في ديوانه ١٢٠ تحقيق نجم وأمالي القالي ١ : ١٨٩ .

(٢) قال أبو علي : « أهوج يعنى فرساً . أي أعقب خيراً ، بما أقاموا عليه وصنعوه . والأهوج : الذي يركب رأسه فيمضى » . والمهرج والهراج : الكثير الجرى . وفي الأصل : « مبرج » ، ولا وجه له ، وتصحيحه من الأمالي . والعلالة : الجرى بعد الجرى الأول . ومفداة العلالة : التي يقال لها إذا طلبت علالتها ويهاً ، فداء لك ! ! وفي ط : « معدات » وتصحيحه من س ومن الأمالي . والصلدم : الشديدة .

(٣) ط : « معديات وملقيات » . وانظر تائية أبي نواس المتقدمة ص ٣٨ .

(٤) ط : « ابن ذؤيب » ، س : « ابن أبي ذؤيب » وتصحيحه . من م . والبيت من قصيدة أبي ذؤيب الهذلي المشهورة التي مطلعها :

أمن المنون وريبه تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

وهي قصيدة مفضلية ، اختارها ابن عبد ربه في العقد ٢ : ١٦٤ وقد رثى بها أبو ذؤيب أولاده وكانوا سبعة فاتوا كلهم إلا طفلا . ومنها البيت السائر :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لاتنفع

وقال فيها في الطفل الذي بقي له :

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع

وقد روى صاحب اللسان (مادة شعف) وكذا الراغب في المحاضرات ٢ : ٢٩٦ :

شعف الكلاب الضاريات فؤاده فإذا يرى الصبح المصدق يفزع

قال ابن منظور : « يقول : ذهبت بقلبه الكلاب فإذا نظر إلى الصبح ترقب الكلاب أن تأتيه » . والشطر الأول في رواية الجاحظ عروضه حذاء .

(٥) في الأصل : « لبسن » .

الكلاب ، صار [أحدها حين[١]] يَرَى ساطع الصبح يَفْزَعُ[٢] ؛ وذلك أنّها تمطَرُ ليلتَها فتَشَرَّقُ فى الشمس[٣] ، فعندها تُرسَل عليها الكلاب . ٧٤

(صولة الذئب على الغنم مع الصبح)

ويقال إنَّ أكثرَ ما يعرِض الذّئبُ للغنم مع الصُّبْح ، وإنَّما رقَب فتْرةَ الكلب وكلالَه ؛ لأنّه باتَ ليلتَه دائباً يحرس .

وقَال أعرابيٌّ وكَسَرَ ذئب شاةً له مع الصُّبح[٤] ، فقال :

أودَى بوَردةَ أُمِّ الوَرْدِ ذو عَسَلٍ ... مِن الذِّئاب إذا ماراحَ أو بَكَرَا[٥]
لولا ابنُها وسَلِيلاَتٌ لها غُرَر ... ما انفكَّتِ العَينُ تُذْرِى دمعَها دِرَرَا[٦]
كأنّما الذِّئبُ إذْ يعدو على غنَمى ... فى الصُّبح طالبُ وِترٍ كان فاتّأرا[٧]
اعتامَها اعتامَه شَثْنٌ براثِنُه ... من الضَّوارِى اللّواتى تقصِمُ القَصَرا[٨]

---

(١) زدت الكلمة الأولى ليستقيم الكلام . وأما الثانية فهى من س ، م .

(٢) فى الأصل : « فزع » .

(٣) كذا فى س ، ط . وفى م : « فتتشرق » . وبالرواية الأولى تكون إحدى التاءين قد حذفت تخفيفاً ، وذلك جائز وورد به القرآن قال تعالى : « ولا تيمموا » « ولاتبرجن » ، « ولقد كنتم تمنون » . ويتشرق : يجلس فى الشمس .

(٤) وكان يسمى هذه الشاة وردة ويجعل كنيتها أم الورد كما سيأتى فى ص ٢٧٦ من هذا الجزء حيث يعاد هذا الشعر .

(٥) يقال عسل الذئب يعسل — كيضرب — عسلا بالتحريك وعسلاناً : إذا اضطرب فى عدوه وهز رأسه .

(٦) أراد بالدرر الدموع الغزيرة ، وهى جمع درة بالكسر .

(٧) اتأر : أدرك وتره .

(٨) اعتامه : اختاره . ومنه قول طرفة فى معلقته :

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى ... عقيلة مال الفاحش المتشدد

والشثن البراثن : الغليظها ، وعنى به السبع . وتقصم القصر : تقطع الرقاب ، وهى جمع قصرة بالتحريك .

(مسألة زيد الخيل للرسول الكريم)

ولما قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام لزيدِ الخيل مِن الخير ما قَال ، وسمَّاه زيدَ الخير ، ما سأله زيدٌ شيئاً ، ولا ذكر له حاجة ؛ إلاَّ أنَّه قال : يا رسول الله ، فينا رجُلان يقال لأحدهما ذَرِيح[1] ، والآخر يكنى أبا دُجانة ، ولهما أكلب خمسة تَصِيد الظباء ، فما ترى فى صيدهم[2] ؟ فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلّ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ ﴾ .

فأوَّلُ شيءٍ يعظِّم فى عينِك شأنَ الكلب ، أنَّ هذا الوَافدَ الكريمَ الذى قِيل له ما قيل ، وسُمِّى بما لم يسمَّ به أحد — لم يسأَلْ إلاّ عن شأن الكلب .

وثانية وهى أعظمها : أنَّ الله تعالى أنزل فيه عند ذلك آياً مُحْكماً [فقال[3]] : ﴿ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ﴾ فسمَّى صيدَها طيِّباً ، ثم قال : ﴿ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ مخبراً عنْ قبولها للتعليم[4]

---

(١) روى الحديث برواية أخرى فى تفسير ابن أبى حاتم ، وهى أن عدى بن حاتم وزيد الخيل الطائيين جاءا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا : يارسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة ، وإن كلاب آل ذريح تصيد البقر والحمير والظباء . قال ابن حجر فى الإصابة ٢٤٣٩ : « فهذا يدل على أن ذريحاً بطن من طيىء . لااسم رجل بعينه » .

(٢) كذا .

(٣) التكملة من س .

(٤) ط : « للتعيم » ، وهو خطأ مطبعى فيما أحسب ، صوابه فى س .

والتأديب . ثمّ قال : ﴿ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ ﴾ ولولا أنَّ ذلك البابَ من التعليمِ والعلمِ مَرْضِيٌّ عند الله عزّ وجلّ ، لَمَا أضافه إلى نفسه . ثم [قال(١)] : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ ﴾ فأوّلُ شيءٍ يعظُم به فى عينك إمساكُه عليك . وهكذا يقول أصحابُ الصيَّد، إنَّ كلَّ صائدٍ فإنّما يُمسِك على نفسه إلاّ الكلبَ فإنّه يُمسِك على صاحبه .

ولو كان الجوابُ لزيدِ الخيل سُنَّةً من سُنَن النبى صلى الله عليه وسلم لَكانَ فى ذلك الرِّفعةُ ، فكيفَ والكتابُ فوقَ السُّنَّة .

وقد روى هشام أنّ ابنَ عبَّاسٍ سمَّى كِلابَ ذَرِيحٍ هذه وكلابَ أبى دُجانة فقال : المختلِس ، وغلاَّب ، والقَنيص ، وسَلهب ، وسِرْحان ، والمتعاطِس(٢) .

(دواء الذُّبحة والخانوق)

وزعم الأطبَّاء أنَّ من أجودِ أدويَةِ الذُّبحة والخانوق(٣) أنْ ينفح(٤) فى حلق مَن كان ذلك به ، ماجَفّ من رَجيع الكلاب . وأجودُ ذلك أنْ يكون يتغرغر به وربّما طلوْه على جلد المحموم(٥) الحديدِ الحُمَّى(٦) .

(١) زيادة يفتقر إليها الكلام .
(٢) ط : « المغناطيس » ، وأثبت مافى س . وانظر ماسبق فى ص ١٨ س ٤ .
(٣) الخانوق : داء يأخذ فى الحلق .
(٤) ينفح : بمعنى يدفع .
(٥) ط : « لحوم » وهو تحريف ما أثبت من س .
(٦) الحديد الحمى : الشديدها . وفى الأصل : « الحديد المحمى » .

(رجيع الكلاب)

٧٥ وأجود رجيع الكلابِ أنْ يشتدَّ بياضُه . وليس يعتريه البَياضُ إلاّ عن أ كْل الطعام ، وذلك ردىءٌ للقانص منها .

والجعور(١) قد تبيَضُّ إذا كان قوتُ صاحبها اللبن ، ولذلك قال أبو كلاب – وهو ابن لسان الحمَّرة(٢) – ومرَّ به رجلٌ من بنى أسد فقال : قد علمت العربُ يامعشَرَ بنى أسدٍ أنّكم أشدُّها بَياضَ جُعور ، فعكفَ عليه فضرَبه بالسَّيف حتى بَرَد(٣) .

وذلك أنّه عيّره بأنّهم لايعرفون البَقْل ، ولا يعرفون إلاّ اللبن .

وقال الشاعِرُ يهجو ناساً منهم :

عَراجِلةٌ بيضُ الجُعُورِ كأنّهمْ ... بمنْعَرَجِ الغِيطَانِ شُهْبُ العَناكِبِ(٤)

والعرب تقول : اللّحم أقلُّ الطّعامِ بَخَرا .

---

(١) س : « الجعر » بالإفراد . والجعر : مايبس من العذرة فى المجعر أى الدبر ، أو نجو كل ذات مخلب من السباع .

(٢) سبقت ترجمته فى ص ٢٠٠ من هذا الجزء .

(٣) برد : انقضت حياته .

(٤) عراجلة : أى جماعة مشاة .

(دفاع عن الكلب)

وقال صاحب الكلب : وما للدِّيك وللكلاب ، والكلابُ ينزِّل فيها القرآنُ ويُحْدَث فيها السنن ، ويُشتَقُّ من أسمائها للنَّاس وللأُسد ، ولها أسماءٌ معروفةٌ وأعراق منسوبة ، وبُلدان مشهورة ، وألقابٌ وسِمات ، ومناقِبُ ومَقامات !!

وما للدِّيك إلاّ ماتقول العوامّ : أنّه إذا كان فى الدارِ ديكٌ أبيضُ أفرَق[1] لم يدخله شيطان . وليس يقومُ خَيْر[2] ذلك ، ولو كان ذلك حقًّا ، بشؤمه ؛ لأنَّ العوامَّ تقضى على مَن كان فى داره ديكٌ أبيض أفرق[3] بالزندقة .

والذين يقولون إنّ الدار إذا كان فيها ديكٌ أفرقُ لم يدخُلْها شيطان ، هم الذين يقولون مَنْ أكلَ لحم سِنّورٍ أسودَ لم يَضِرْه سحر ، وإذا دُخِّنت الدار بالدُّخنة[4] الّتى سمَّوها بدُخنة مريم ، أو باللُّبان ، لم يكنْ عليها لعُمَّار الدَّار سبيل ، فإن مَرَّت ساحرة[5] تطير سقَطت . وهم الذين لايشكُّون أنّ مَن نام بين البابَين تخبَّطَه العُمَّارُ وخَبَلته الجنّ .

---

(١) ديك أفرق : عرفه مفروق .

(٢) فى الأصل : « خبر » ، والوجه ماأثبت .

(٣) ط : « أقرق » بالقاف ، وتصحيحه من س .

(٤) الدخنة : ذريرة تدخن بها البيوت .

(٥) لعلها : « فإن مرت عابرة » . وفى م : « فإن موت ساحرة » . وانظر تأويل مختلف الحديث ٢٣١ – ٢٣٢ .

(ما يقال له : جرو)

قال : ويقال لولد الكلب والذِّئبِ والسِّنَّور وأشباه ذلك : جرو . ويقال للصغير من الحنْظل على مِثل ذلك : جرو . وقَال النَّمِرُ بنُ تَوْلَب :

بجَرْوٍ يُلقَّى في سِقاءٍ كأنّه مِنَ الحَنْظَل العامِيِّ جَرْوٌ مفلَّقُ

(من قول صاحب الكتاب)

وممَّا زادَ في ذِكْر الكلب قولُ السَّيِّد بن محمد[1] في شأن عائشة في الحديث الذي رَوَوه[2] — وكان السَّيِّد رافضِيًّا غالياً ، وليس في ذكره شرَف ، ولكنَّه أجمعُ للفنِّ[3] — :

(١) السيد لقبه ، واسمه إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى . وجده يزيد بن ربيعة شاعر مشهور ، وهو الذى هجا زياداً وبنيه ونفاهم عن آل حرب ، وحبسه عبيد الله بن زياد لذلك وعذبه ، ثم أطلقه معاوية . قال أبو الفرج فى الأغانى ٧ : ٢ : يقال إن أكثر الناس شعراً فى الجاهلية والإسلام ثلاثة : بشار وأبو العتاهية ، والسيد . ثم قال : وإنما مات ذكره — يعنى السيد — لما كان يفرط فيه من سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه فى شعره . قال الصلاح الكتبى فى الفوات ٢٣ : « كان شاعراً محسناً كثير القول إلا أنه كان رافضياً . . . وكان مقيماً بالبصرة » . وفى الفوات أيضاً : « ومات أول أيام الرشيد سنة ثلاث وسبعين ومائة وولد سنة خمس ومائة » .

(٢) يشير إلى ماروى : من أن عائشة لما أرادت المضى إلى البصرة فى وقعة الجمل مرت بالحوأب — وهو موضع بئر قريب من البصرة — فسمعت نباح الكلاب فقالت : ماهذا الموضع ؟ فقيل لها هذا موضع يقال له الحوأب . فقالت : إنا لله ، ماأرانى إلا صاحبة القصة . فقيل لها : وأى قصة ؟ قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعنده نساؤه : ليت شعرى ، أيتكن تنبحها كلاب الحوأب سائرة إلى الشرق فى كتيبة ! وهمت بالرجوع فغالطوها وحلفوا لها أنه ليس الحوأب . انظر معجم البلدان برسم (الحوأب) .

(٣) س : « الفن » .

تهْوِى من البَلَدِ الحرَامِ فنبَّهتْ　　بَعْدَ الهُدُوِّ كِلابَ أَهْلِ الحوْءَبِ

قال : ويقال صرَفت الكلبة صِرَافاً وصُروفاً ، وظَلَعت تظْلَع ظُلوعاً .

(قولهم : لا أفعل حتى ينام ظالع الكلاب)

قال : ومن الأمثال فى ذلك : « لاأفعَلُ حتَّى يَنامَ ظالِعُ الكلاب » . قال الأصمعىُّ : هذا باطل ، إنّما ذلك إذا أصابَ الكلبَ ما يظلَع منه لم يُطِق سِفاد الكلبة حتّى تهدأ الرِّجْل ، وحتّى تملَّ الكلابُ النُّباح [1] وتَفترِقَ ، وتحتاجَ إلى النَّوم لطول التعب [2] ، وإذا كان فى ذلك الوقت يلتمس [3] الظالع ورامَ سِفاد الكلبة ، لم يعرف ظَلَعه إلاّ الكلبة . وأنشد فقال [4] : ٧٦

تسدَّيتُها مِنْ بَعْدِ ما نام ظالِعُ الْـكلابِ وأخْبَى نارَهُ كلُّ مُوقِدِ

وأنشد غيرُه لجِرَان العَوْدِ :

وكانَ فُؤادى قدْ صَحَا ثمَّ هاجَه [5]　　حَمائمُ وُرْقٌ بالمَدَائنِ هُتَّفُ

كأنَّ الهديلَ [6] الظّالِعَ الرِّجْلِ وَسْطَها
مِنَ البغْى شِرِّيبٌ يُغَرِّدُ مُتْرَفُ [7]

---

(١) ط : « تفوق » ، وصوابه فى س .

(٢) ط : «أطول التعب » ، وتصحيحه من س .

(٣) س ، م : « تلتمس » .

(٤) البيت للحطيئة ، وقد سبق الكلام فيه فى ص ٥٩ من هذا الجزء .

(٥) الرواية فى الديوان ١٣ : « ثم هاجنى » .

(٦) ط : « الهزيل » ، وهو تحريف صححته من س والديوان . والهديل عنى به هنا الفرخ أو الذكر من الحمام .

(٧) شريب يغرد : سكران يصيح . والمترف : المنعم . ويروى : « منزف » وبفتح الزاى وكسرها ، فالأول من أنزف الرجل : إذا سكر ، والثانى من أنزفه السكر : ذهب بعقله . انظر أدب الكاتب ١٤٩ والاقتضاب ٣٥٢ .

(ماقيل من الشعر فى إشلاء الكلاب على الضيوف)

وقالوا أبياتاً فى غير هذا الباب ، قال الأعرابىّ :

نزلْنا بعَبّاد فأشلَى كلابَه ... عَلينا فكِدْنَا بين بابَيْه نُؤْكَلُ[1]

فَقُلْتُ لأصحابى أُسرُّ إليهمُ ... أَذَا اليَومُ أو يومُ القِيامةِ أطولُ

وقال آخر[2] :

أعدَدْتُ للضِّيفانِ كلباً ضارياً ... عِندى وفضلَ هِراوَة مِنْ أَرْزَنِ[3]

وقال فى خلاف ذلك مالكُ بن حَريم[4] الهمْدانىُّ :

وواحـــدةٌ إلّا أبيتَ بغرَّةٍ ... إذا ماسَوَامُ الحىِّ بات مصرَّعا[5]

---

(١) البيتان رواهما الجاحظ فى البخلاء ٢٠٠ . ورواية البيت الأول فيه : « نزلنا بعمار ».

(٢) هو وبر بن معاوية الأسدى ، وكان يعامل تجار المعدن ويلويهم بحقوقهم . حماسة البحترى ٤١٥ .

(٣) كذلك الرواية فى البخلاء ٢٠٠ وعيون الأخبار ٣ : ٢٤٢ . وفى حماسة البحترى : « أعددت للغرماء سيفا صارما » وهى الرواية الجيدة . وبعد هذا البيت فى حماسة البحترى :

صجراء ظاهرة الجيود متينة ... أعددتها لتجار أهل المعدن

وروى ابن قتيبة بدل البيت الثانى هذا البيت ، وهو :

ومعاذرا كذبا ووجها باسرا ... متشكيا عض الزمان الألزن

ومثل هذا فى اللسان .

وقد روى البحترى لوبر هذا بيتين شبيهين بالمتقدمين وهما :

إنى وجدك ماأقضى الغريم إذا ... حان القضاء ولا تأوى له كبدى

إلا عصا أرزن طارت برايتها ... تنوء ضربتها بالكف والعضد

(٤) فى الأصل : « خرتم » والصواب : « حريم » كما فى القاموس ونوادر أبى زيد وأمالى القالى . ومالك : شاعر جاهلى . انظر شرح المرزوقى للحماسية رقم ٤٣٥ والعمدة ٢ : ٣٠ .

(٥) صواب روايته : « فواحدة » . انظر العمدة ٢ : ٣٠ لأن قبله :

فإن يك شاب الرأس منى فإننى ... أبيت على نفس مناقب أربعا

وثانيـــةٌ ألَّا تفزَّع جَارتى إذا كان جَارُ القوم فيهم مفزَّعا
وثالثـــة ألَّا أُصمِّتَ كلبَنَا إذا نزَل الأضيافُ حِرصاً لتُوزَعا

(استطراد لغوى)

قال : ويقال لحَزَ الكلبُ الإناءَ ، فهو يلحَزه لَحْزًا ، ولِحسَه فهو يلحَسه لَحسا . قال أبو يزيد[1] : وذلك إذا لحِس الإناءَ من باطنه . والقَرْو : مِيلَغة الكلب ، فإذا كان للكلب فإنّما هو من أسفَل كُوزٍ أو ما أشبه ذلك ، وإلَّا فالقَرْوُ أسفلُ نخلةٍ يُنَجَر ويقوَّب ويُنْتَبَذُ فيه .

وقال الأعشى :

أرمِى بها البِيدَ إذا أعرَضَتْ وأنتَ بينَ القَرْوِ والعاصِر[2]
فى مِجْـــدَلٍ شُيِّد بُنْيَانُهُ يزِلُّ عنْــه ظُفرُ الطَّائِر[3]

(أحجيّة فى الكلب)

ومِمّا يُحاجِى به النّاسُ بعضُهم بعضاً أن يقولوا : أتعرفون شيئاً إذا قام كان أقصرَ منه إذا قعد ؟ يريدون الكلب ؛ لأنَّ الكلب قعودُه

---

(١) كذا فى ط ، س . وفى م : « أبو يزن » ولعل الصواب : « أبو زيد » وهو أستاذ الجاحظ .

(٢) س : « أرمى به » وصوابه فى ط ، والضمير للناقة فى بيت قبل هذا ، وهو :

لقد أسلى الهم حين اعترى بجسرة دوسرة عاقر

(٣) المجدل ، كمنبر : القصر المشرف ، سمى مجدلا لوثاقة بنيانه . والقصيدة فى ديوان الأعشى ١٠٤ - ١٠٨ . وانظر منه ص ٢٤٥ . وهى من خير شعر الأعشى .

٧٧ إقعاؤه ، وهو إذا أقعَى كان أرفَعَ لسَمْكه ، وأرفعَ فى الهواء طولًا منه إذا قام . وقال عُمر[1] بن لجإٍ :

عليه حيوف مستقدم[2] مُقْعٍ كإقعا[3] الكلبِ بالمعصم

ويقال أقعى الكلبُ إقعاء ، ولا يقال قعَد ولا جلَس . وفى الحديث : « أنَّه نَهَى أنْ يُقْعِيَ أحدُهم فى الصلاة إقعاءَ الكلب » .

(معرفة سنِّ الكَلْبِ)

قال صاحب الكلب : يُعرَف فَتاء الكلب وهَرَمُهُ بالأسنان ، فإذا كانت سوداء[4] كانت دليلًا على كبره ، وإذا كانت بِيضاً[5] حادّة دلّت على الفتاء والحداثة . وقال : أسنان الذَّكر أكثر .

(أصناف الحيوان المشقوقة الأفواه)

وأصناف الحيوانِ المشقوقةُ الأفواه كالكلب والأسد والفهْدِ موصُوفاتٌ بشدَّة الماضيغ والفكّ والخراطيم ، كالكلب والخنزير والذئب ؛ فأشبَهَ الكلبُ الأسدَ فى شَحْوِ الفم واتّساعه ، وعلى أنَّ شَحْوَ فمه على مقدار

---

(١) ط : « عمرو » وهو على الصواب فى م . وعمر بن لجإ : شاعر إسلامى كانت له مهاجاة مع جرير . انظر لها ابن سلام ٣٦٣ - ٣٦٧ .

(٢) كذا ورد هذا الشطر .

(٣) ط ، س : « كإقعاء » ، وبذلك يختل الوزن ، وصوابه فى م .

(٤) ط : « سوءا » ، وتصحيحه من س .

(٥) ط : « بيضاء » .

جسمه ، وأشبَه الذِّئبَ والخنزيرَ فى طول الخَطم وامتداد الُخرطوم ؛ ولذلك كان شديدَ القلْب ، جيِّدَ الاسترواح . فجمع الكلب دون هذه الأصناف مايصلُح للرضِّ والحطم ، كما جمع مايصلُح للابتلاع والالتهام والخطم[1] [و[2]] الاستمراء .

(بعض ما قيل فى الأسد)

والأسد حريصٌ واسع الشَّحْو ، فهو يبتلع البَضْعَةَ التى لو رآها الإنسان لم يظنَّ أنَّ حلقَه يتَّسع لمرورِ ذلك . ويقال إنّ عنقَه عظمٌ واحد واللُّقَم لاتجول فيه[3] ، وهو فى ذلك قليلُ الرِّيق ، فلا يسلُس فى حلْقه مايمرُّ فيه ، بل يبتلع لفرْط نَهمه وشحْوِ لَحييه ضِعفَى ذلك المقدار .

وقد زعم ناسٌ أنّ الذى يدلُّ على أنَّ عنقَ السبُع عظمٌ واحدٍ ، ضعفُه عن تصريفه عنقَه ، فلا يلتفت إلّا معاً ، فيسمَّى الأصيد[4] .

وقال جِرانُ العَوْدِ فى صفة الذئب :

شدَّ المماضغَ منه كلَّ مُلْتَفَتٍ   وفى الذِّراعين والُخرطومِ تسهيلُ[5]

---

(١) ليست هذه الكلمة فى س .

(٢) التكملة من س .

(٣) اللقمة بالضم وتفتح : مايهيأ للقم أى الابتلاع . وجرى العامة فى مصر على تخصيصه بكسرة الخبز .

(٤) انظر مثل هذا الكلام فى الجزء الثالث ص ٣٠٦ .

(٥) يريد : أن هذا الذئب شد مماضغه على ولد البقرة الوحشية ، التى ذكرها جران العود فى بيت متقدم من قصيدته ص ٤٠ من ديوانه ، وهو :

أو نعجة من إراخ الرمل أخذلها   عن إلفها واضح الخدين مكحول

وكل ملتفت ظرف مكان ، عنى به كل ناحية . والخرطوم : الخطم ، وهو مقدم الفم والأنف . وأراد بالتسهيل هنا الطول .

(أسنان الذئب وبعض الحيات)

وقالوا فى أسنان الذئب وفى أسنان بعض الحيَّاتِ بأنّها مَمطُولة[١] فى الفكّين ، يُذْهَبُ إلى أنّه[٢] عظمٌ مخلوق فى الفك ، وأنّه لايُثْغِر[٣] . وأنشدوا :

مُطِلْنَ فى اللَّحْيينِ مَطلا إلى رأسٍ وأشداقٍ رحيباتٍ[٤]

والحيَّاتُ توصَف بسعة الأَشداق ، والأفاعى خاصَّة هى المنعوتة بذلك .

وقال الشاعر — وهو جَاهلى[٥] — :

[خُلِقَتْ لَهَازِمُهُ عِزِينَ وَرأسُهُ
كالقُرص فُلطحَ من طحينِ شَعيرِ[٦]]

---

(١) ممطولة : أى ممتدة داخلة ، أو بمعنى مطبوعة طبعا .

(٢) ط : « بأنه » .

(٣) أثغر : ألقى ثغره ، والثغر : الأسنان .

(٤) انظر الحيوان ٤ : ٥٣ ، ١٨٠ ، ٢٨٢ حيث توجد سوابق هذا البيت ولواحقه .

(٥) كذا ، والصواب أن صاحب الشعر إسلامى ، فقد نسبه صاحب المؤتلف والمختلف ، وكذا صاحب اللسان (عزا ، فرطح) إلى ابن أحمر البجلى . قال صاحب المؤتلف والمختلف ص ٣٧ : « وابن أحمر هذا إسلامى قديم ، وشاعر مجيد ، وصاف للحيات وعلى قوله احتذت الشعراء » . وهو فى الأصمعيات منسوب إلى ابن مهدى وهو أعرابى صاحب غريب روى عنه البصريون ، وعنه روايات فى أمالى القالى وقد جاء برسم (أبو مهدى) . وابن النديم يعرفه بأبى مهدية ، ومثله فى الحيوان ٥ : ٣٠٩ . وقبل هذا الشعر كما فى الأصمعيات :

قد كاد يقتلنى أصم مرقش من حب كلثم والخطوب كثير
حتى أصد الله عنى رأسه والله بالمرء المضاف بصير

(٦) هذا البيت ساقط من ط وأثبته من س ، م . لهازمه : أصول حنكيه . عزين : متفرقات ، وفى اللسان بمادة فرطح : « فرطح » بدل « فلطح » وهما بمعنى ، يقال فرطح القرص وفلطحه إذا بسطه . وفى الأصمعيات : « فلطح من عجين شعير » . ومثل هذا قول الراجز (اللسان كثب) :

كأن قرصا من طحين معتلث هامته فى مثل كثاب العبث

ويُديرُ عَيناً للوِقاع كأنَّها سَمْراءُ طاحت من نَفيضِ بَريرِ[1]
وكأنّ شِدقيه إذا استعرضتَه شِدْقَا عَجُوزٍ مَضْمضَتْ لطَهُورِ[2]

(مما أشبه فيه الكلبُ الإنسان والأسد)

٧٨ وممّا أشبَه فيه الكلبُ الإنسان والأسد ، أنّ كلّ واحدٍ من هذه الأجناسِ إنّما له بطنٌ واحد ، وبعدَ البطن المِعَى ، إلّا أنّ بعضَ بطنها أعظمُ من بعض ، ويناسبها فى الذى ذكرنا الذئبُ والدُّبّ ، فما أكثَرَ ما يناسبان الكلب ، فلذلك صارا يتناكحان ويتلاقحان . وهذا قول صاحب المنطق . قال : وأمعاء الكلب أشبهُ شىءٍ بأمعاء الحيَّة . وهذا أيضاً مما يزيدُ فى قدره ؛ لأنّه إمّا أن يشبه الإنسان ، وإمّا أنْ يشبه رؤساء السباع ودواهى الحشرات ، وكلّما كانت هذه المعانى فيه أكثر كان قدره أكبر .

---

(١) فى اللسان (مادة فرطح) : « ويدير عينا للوداع » ! وسمراء عنى بها الواحدة من البرير ، وهو ثمر الأراك إذا اسود وبلغ . والنفيض (بالفاء) : المنفوض . وفى الأصل : « نقيض » بالقاف ، وفى اللسان : « نقيص » . والوجه ما أثبت كما فى الأصمعيات . وقد قال طرفة :

وفى الحى أحوى ينفض المرد شادن مظاهر سمطى لؤلؤ وزبرجد

والمرد : هو البرير .

(٢) رواه العسكرى فى ديوان المعانى (٢ : ١٤٥) : « فكأن شدقيه . . » الخ . وفى الأصمعيات : « وكأن شدقيه إذا ما أقبلا » ، وفى اللسان : « وكأن شدقيه إذا استقبلته » .

(ما يحلم من الحيوان وما يحتلم)

قال : والكلب يحلُم ويحتلم ، وكذلك الفرس والحمار ، والصبىُّ يحلم ولا يحتلم ، والثَّور فى هذا كله كالصبىّ . ويعرف ذلك فى الكلب إذا تفزَّعَ(١) وأنعَظ .

وزعم أنَّ الاحتلامَ قد عُوين من الفَرس والبِرذون والحمار .

(بعض الأمور التناسلية لدى الحيوان)

قالوا : وليس العِظال والتحامُ الفرجين إلّا فى الكلب والذئاب ، ومَن أراد أن يُفَرِّق بينَ الكلاب إذا تعاظَلت وتسافدت رامَ أمْرًا عسيراً .

قالوا : والحيوان الذى يطاوِل عند السِّفاد معروف ، مثل الكلب والذئب(٢) والعنكبوت والجمل ، وإن لم يكن هناك التحام . وإذا أراد العنكبوت السفادَ جلَبت الأُنثى [بعض(٣)] خيوطِ نسْجها من الوسط ، فإذَا فعلت ذلك فعَل الذكَر مثلَ ذلك ، فَلَا يزالانِ يتدانيان حتى يتشابكا(٤) فيصير بطنُ الذَّكر قُبالَةَ بطنِ الأنثى . وذلكَ شَبيهٌ بعادات الضفادع :

---

(١) قبل هذه الكلمة موضع أبيض فى كل من س ، م . وهذه الكلمة جاءت برسم « تفرغ » فى كل من ط ، م. وهو تصحيف .

(٢) فى الأصل : « والديك » وإنما عرف الديك بسرعة السفاد . ورأيت الصواب فيما كتبت ، معتمدا على السياق الآتى .

(٣) الزيادة من س .

(٤) فى الأصل : « فلا يزالا يتدانيان حتى يتشابكان » وصوابه ما أثبت .

وقال أبو الحسن عنْ بعض الأعراب ، قال : إذا هَجَم الرَّجلُ على الذّئب والذِّئبةِ وهما يتسافدان ، وقد التحَمَ الفرْجان ، قتلَهما ذلك الهاجمُ عليهما كيف شاء ؛ لأنَّهما قليلاً ما يُوجَدان كذلك ؛ لأنَّ الذئبَ وحشيٌّ جدًّا وشَهِيٌّ[١] جدًّا ، صاحبُ قفرة[٢] وخلوة ، وانفرادٍ وتباعد ، وإذا أراد الذِّئبةَ توخّى موضِعا من القِفار لا يطؤه الأَنِيس ؛ خوفاً على نفسه ، وضنًّا[٣] بالذى يجد فى[٤] المطاولة مِن اللّذة .

(حديث أحمد بن المثنَّى)

وحدَّثنى أحمد بن المثنَّى قال : خرجتُ إلى صحراء خوخ[٥] لجنايةٍ جنيتها وخِفتُ الطّلب ، وأنا شابٌّ ، إذْ عرض لى ذئبٌ فكنْتُ كلّما دُرْت من شِقٍّ استدارَ بِى ، فإذا دُرْت له دَارَ من خلْفِى ، وأنا وسْطَ بَرِّيّةٍ لا أجدُ مُعيناً إلاّ بِشىء[٦] أسند إليه ظهْرى ، وأصابَنى الدُّوار ، وأيقنْتُ بالهَلَكة . فبينا أنا كذلك وقد أصابنى ما أصابنى — وذلك هو الذى أراده الذِّئبُ وقدَّره — إذا ذئبةٌ قد عرَضت ، وكان من الصُّنع وتأخِير الأَجَل أنَّ ذلك كان فى زمن اهتياجِها وتسافُدها ، فلما عايَنَها ترَكَنى وقصَدَ نحوها ، فما

(١) شهى هنا : بمعنى شديد الشهوة ، يقال رجل شهى : إذا اشتدت به شهوته . كما يقال فى غير هذا : ماء شهى ، وطعام شهى : أى لذيذ سائغ .

(٢) س : « قفوة » .

(٣) ط : « ومنعا » وفى س ، م : « وضعا » ، وصوابهما ما أثبت .

(٤) س : « من » وما كتبت من ط أشبه بلغة الجاحظ .

(٥) لم أجد هذا الموضع فيما لدى من المراجع .

(٦) لعلها : « ولا أعثر بشىء » .

٧٩ تَلَعْثَمَ أنْ ركِبها(١) . وقد كنتُ قرأتُ فى بعض الـكتب أنَّها تلتحم ، فَفَوَّقت سهْمِى(٢) وهما ينظران إلىّ ، فلمَّا لم أرَ عندهما نـكيراً حقَّقَ ذلك عندى ما كان فى الـكتاب من تلاحُمِـهما ، فَمَشَيْت إليهما بسَيْفى حتَّى قتلتهما .

(لقاح الـكلاب والخنازير)

قال : ومما يُعَدُّ للـكلاب أنَّها كثيراً(٣) ما تُلقِحُ وتَلقَح لحال الدِّفء أو الخِصب ، والكلبُ والخنزير فى ذلك سواء ، ولا يكاد غيرُهما من الأصناف يتلاقح فى ذلك الزمان. فالكلبُ كما ترى ينازع أيضاً مواضع الإساءة والمحاسن فى جميع الحيوان .

(أسوأ ما يكون الحيوان خلقاً)

قال : وإناثُ الـكلاب تصعُب أخلاقُها إذا كانَ لها جِراء . وكلُّ شىء له بَيضٌ أو جِراء أو فِراخٌ فأسوأُ ما يكون خُلقا وأنزقُ وأكثرُ ما يكون أذًى(٤) وأعْرَمُ ــ إذا كان كذلك(٥) ، إلاَّ إناثَ البقَر .

والـكلْب كلما كان أسنَّ كانَ صوتُه أجهرَ وأغلظ .

---

(١) ما تلعثم : ما لبث . مثلها : ما ثلبث ، وما تلوم ، وما عتّم ، وكثير غيرها .

(٢) ط ، م : « فقومت سهمى » وفى س : « ففومت سهمى » ، والوجه ما أثبت ، يقال فوق سهمه : جعل له فوقا . والفوق : موضع الوتر من السهم .

(٣) ط : « ومما يعد الـكلاب أنها كثير » ، وتصحيحه من س .

(٤) فى الأصل : « إذا » .

(٥) فى الأصل : « وإذا كان كذلك » .

(تناسل الكلاب)

قال : والكلب ينزو إذا تمّت له ستّةُ أشهر ، وربّما كان ذلك منه وهو ابن ثمانية أشهر . والكلبةُ الأنثى تحمِل واحداً وستين يوماً ، أطولَ ما يكون ، ولا تضعُ قبل أن يتمّ لحملها ستُّون يوما ، ولا يبقى الجرْو ولا يتربّى إذا قصّر عن ذلك ، والأنثى تصلح أن يُنزَى عليها بعد ستّة أشهر .

(ولد البكر من الحيوان والإنسان)

والكلبة والحِجْر[1] والمرأةُ وغير ذلك ، يكون أوَّلُ نِتاجها أصغرَ جُثَّة ، وكذلك البَيْضُ إذا كان بكرًا ، وكذلك ما يخرُج منه من فرُّوج أو فرخ .

(بقية القول فى تناسل الكلاب)

وذُكور الكلاب تَهيج قبل الإناث فى السّنّ ، والإناث تهيج قبلها فى وقت حركتها . وكلما تأخّر وقت الحدث إلى تمام الشَّباب كان أقوى لولده .

---

(١) الحجر ، بالكسر : الأنثى من الخيل .

والكلابُ لا تريد السِّفاد عُمرَها كلَّه ، بل إلى وقت معلوم .

وهى تلقح إلى أن تبلغ ثمانىَ عشرة سنة ، وربما انْتَدَرت(١) الكلبة فبلغت العشرين .

والكلاب أجناسٌ كثيرة : الكلب السلوقىُّ يَسفَد إذا كان ابن ثمانية أشهر ، والأنثى تطاب ذلك قبل الثمانية ، وذلك عند شغُور الذكر ببوله . والكلبة تحمِل من نزْوٍ واحد . وقد عرف ذلك الذين عرفوا الكلاب وحضروا ليعرفوا ذلك . قال : والكلبة السَّلوقيَّة تحمِل سُدْس السنة سِتِّين يوماً ، ورُبَّما زادت على ذلك يوماً أو يومين . والجرو إذا وُضع يكون أعمى اثنَىْ عَشر يوماً ثمَّ يبصر ، والكلبة تسفَد بعد وضعِها فى الشهر الثانى ، ولا تسفد قبل ذلك .

ومن إنَاث الكلاب ما تحمل خُمس السنة ، يعنى اثنين وسبعين يوماً ، ٨٠
وإذا وضَعت الجراء تكون عمياءَ اثنين وعشرين يوما .

ومن أصناف الكلاب ما يحمل رُبع السنة ، أعنى ثلاثة أشهر ، وتضع جراء وتبقى كذلك(٢) سبعة عشر يوما ؛ ثمَّ تُرضع جِراءها على عدد أيَّامِها التى لا تبصر فيها .

وزعم أنَّ إناث الكلاب تحيضُ فى كلِّ سبعة أيام ، وعلامة ذلك وَرَم أثفارِها ، ولا تقبَل السفاد فى ذلك الوقت ، بل فى السبعة التى بعدها ليكون ذلك تمامَ أربعةَ عشرَ يوماً أكثرَ مايكون ، وربما كان كذلك لتمام ستَّةَ عشرَ يوماً(٣) .

---

(١) كذا فى س . فى ط « ابتدرت » وهو تصحيف .

(٢) أى عمياء .

(٣) انظر العقد ٦ : ٢٤١ لجنة التأليف .

قالوا : وإناَث الكلاب تُلقى بَعْدَ وضْع الجراءِ رُطوبَةً غليظةً بلغميَّة ، وإذا وضعَتْها بعدَ الجراء اعتراها هُزال ، وكذلك عامَّة الإناث . ولبنُها يظهَر فى أطبائها قبل أن تضَعَ بخمسة أيام أكثر ذلك ، وربما كثُر اللبنُ فى أطبائها قبل ذلك بسبعة أيام ، وربّما كان ذلك فى مقدار أربعة أيام . ولبنُها يظهَر ويجود إذا وَضَعَتْ من ساعتها . قال : فأمَّا السلوقيّة فيظهر لبنُها بعد حملها بثلاثين يوماً ، ويكون لبنُها أوَّلَ ماتضعُ غليظاً ، فإذا أزمن رقَّ ودقَّ . ولبنُ الكلابِ يخالف لبن سائرِ الحيوان بالغلظ ، بعد لبن الخنازير والأرانب .

وقد تكون علامةُ مبلغِ سِفادها مثلَ مَايعرِض للنِّساء من ارتفاع الثَّديين(١) . ومعرفة ذلك عسيرة ، وهذه علامَات تظهر لإناَث الكلاب . وذكورةُ الكلاب ترفع أرجلَها وتبول لتمام ستَّةِ أشهر ، ومنها مَالا يفعل ذلك إلى أن يبلغ ثمانية أشهر ، ومنها مَا يعجِّل قبل ذلك . قال : ونقول بقولٍ عامٍّ إنَّ الذكورَ تفعلُ ذلك إذا قوِيت ، فأمَّا الإناَث فهى تبول مُقْعِية ، ومنها مَا تشغُر .

وأكثرُ(٢) ما تضعُ الكلبةُ اثنا عَشَر جروا ، وذلك فى القَرْط ،

---

(١) ألمح فى الكلام نقصا .

(٢) بعد هذه الكلمة كلام فى النسخة م ليس فى ط ، س . وهو ركيك دخيل على الكتاب لاجرم . وأنا أثبته هنا إثباتا تاريخيا فحسب : « الثعالب ربما عرفت منهم هذه الحالة كما قيل : الثعالب كلاب إلا أنهم مجهولون النسب وقال ابن عوف فى ثعلب بن بدر حيث يقول :

وكرهت أن قال الميم ثعلب يرجى وإنى عند ذلك مرتجى
ما ثعلب إلا ابن عاوية الفلا ناهيك من كلب ولكن أهوجا

وإلى هنا تنتهى النسخة م . وستكون مقابلتنا بعد هذه الكلمة على النسخة س فى تحقيق ومراجعة هذا الجزء من كتاب الحيوان .

وأكثر ذلك الخمسة والسّتة ، وربّما وضعت واحداً . فأمّا إناث السلوقيّة فهى تضعُ ثمانيةَ أجراء ، وإناثُها وَذكورُها تسفَد ما بَقِيَتْ[1] . وَيعرِض للكلاب السلوقيّة عَرَض خاصٌّ : وَهى أنَّها كلَّما بقيت كانت أقوى على السِّفاد .

(أعمار الكلاب)

وذكورة السلوقيَّة تعيش عشرَ سنين ، والإناث تعيش اثنتى عشرة سنة[2] ، وَأكثر أجناس الكلاب تعيش أربعَ عشرة سنة ، وَبعض الأجناس[3] تبقى عشرين سنة .

قال : وإناث الكلاب أطولُ أعماراً من الذكور ، وكذلك هى فى الجملة ، وليس يُلقى الكلب من أسنانه سنًّا ما خلا النَّابين ، وإنما يلقيهما إذا كان ابنَ أربعة أشهر .

قال : ومن أجْل أنَّ الكلابَ[1] لاتُلقِى غيرَ هذين النَّابين يشكُّ بعض الناس أنها لاتلقى سِنًّا ألبتّة .

(١) ط : « ماتقت » وتصحيحه من س .

(٢) ط : « اثنى عشر سنة » ، وهو على الصواب المثبت فى س .

(٣) فى الأصل : « والخاص » .

(٤) ط : « ومن أجل ذلك أن الكلاب ، والوجه حذف « ذلك » كما فى س .

(أمراض الكلاب)

قال : وللكلاب ثلاثة أصنافٍ من المرض ، وأسماؤها[1] : الكلب ٨١
بفتح اللام ، والذُّبْحَة ، والنقرس[2] . والكَلَب جُنون ، فإنْ عرَض لشيء من الحيوان كَلَبٌ أيضاً أماته ، ماخلا الإنسان . وهو داءٌ يقتل الكلاب ، وتقتُل به الكلابُ كلَّ شيءٍ عضّته ، إلاّ الإنسان فإنّه يعالج فيسْلَم .

(أدواء بعض الحيوان)

قال : وداء الكَلَب يعرض للحمار ، فأمّا الجنون وذَهابُ العقل فإنّه يصيبُ كلَّ شيء ، فمن ذلك مايصيب الدوابّ ، فإنَّ منها مَايُصرَع كما يُصرع المجنون . والسائس[3] من الدوابّ : الذاهب العقل .

(صرع أعين الطبيب)

وقد كان شأن أَعين الطبيب عَجَباً ؛ وذلك أنّه كان يُصرع ، واتّفق أنّه كان له بغلٌ يصرَع ، فكان ربَّما اتّفق أن يُصرَعا[4] جميعاً ! وقد رأى ذلك كثير من أصحابنا البصريِّين .

---

(١) ط : « وأسماؤهم » ، وهي على الصواب في س .

(٢) النقرس بالكسر : ورم ووجع في مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين . وفي ط : « النفوس » ، وفي س : « النفوس » بالفاء ، وصوابهما ما أثبت .

(٣) س : « السائسي » .

(٤) انظر كتاب البغال ٢٦٤ من رسائل الجاحظ بتحقيقنا .

(الصَّرْعُ عند الحيوان)

والصَّرْع عامٌّ فى الحيوان ، ليس يسلم منه صِنف منها حتَّى لايعرض له منه شيء . والإنسان فوق جميع الحيوان تعذيباً[1] ، وكذلك هو[2] فى العقل والمعرفة والاحتيال له ، مع دفع المضرّة واجتلاب المنفعة ، ومَا أكثر مَايعتريهم ذلك . ومن ذلك مَايذهب ، ومن ذلك مالا يذهب .

(بعض من عرض لهم الصرع من الفضلاء)

وقد كان بَخْتِيَشوعُ المتطبِّب عرَض له ذلك ، وقد كان عرض لعبد الملك بن قُريب[3] فذهب عنه . وربّما عرض للرّجل الذى لايُظَنُّ به ذلك فى بيان ولا تبيين ، ولا فى أدبٍ ، ولا فى اعتدالٍ من الأخلاط ، والصحَّةِ من المزَاج ، ثُمَّ لا يعرض من ذلك إلاَّ مالا حيلةَ له فيه ، كما [كان][4] يعرض لبشر بن أبى عمرو بن العلاء النحوىِّ

(١) كذا

(٢) س : « وذلك » .

(٣) هو الأصمعى إمام اللغة والغريب والأخبار والملح والنوادر . روى عن أبى عمرو ابن العلاء وقرة بن خالد ونافع بن أبى نعيم وشعبة وحماد وغيرهم . وكان يتقى أن يفسر الحديث كما يتقى أن يفسر القرآن ، وهو من أكثر التأليف . وكان من أهل البصرة . توفى سنة ست عشرة أو خمس عشرة ومائتين ، عن ثمان وثمانين سنة . والجاحظ يروى عنه كثيراً فى كتبه .

(٤) زدتها مساوقة للقول .

المــازنىّ[1] وكما عرض لعبد الرحمن ومنصور الأسديَّين ، فما زالا كذلك حتَّى ماتا ، ولم يبلغنا أنهما صُرِعا .

(الموتة)

والمُوتَة[2] جنسٌ من الصَّرْع ، إلاَّ أنَّ صاحبَه إذا أفاقَ عاد إلى كمال عقله كالنائم والسكران والمغشيِّ عليه ، وإن عاش صاحبُ المُوتة فى ذلك مائة عام .

وليس يلقى شيءٌ من الحيوان فى هذا الباب كما يلقى الوَرَشان .

(اختلاف درجات السُّكْر لدى الحيوان كتباينها لدى الإنسان)

وأمَّا السُّكْر فليس شيءٌ من الحيوان إلاَّ وهو يسكر ، واختلافُ سكره كاختلاف سكر الإنسان ؛ فإنَّ من الناس مَن تراه يتحدَّث وهو يشرَب فلا تنكر منه شيئاً ، حتَّى يغلب عليه نوم السُّكر ضربةً واحدة ،

(١) أبو عمرو بن العلاء كان إمام أهل البصرة فى القراءات والنحو واللغة . قالوا : وكانت دفاتره تملأ بيته إلى السقف ، ثم تنسك فأحرقها . اختلف فى أسمه على واحد وعشرين قولا سردها السيوطى فى البغية ٣٦٧ قال : « وسبب الاختلاف فى اسمه أنه كان لجلالته لايسأل عنه » . توفى أبو عمرو سنة أربع وقيل تسع وخمسين ومائة . وأما ابنه بشر فلم أعرف عنه إلا خبراً واحداً تجده فى الأغانى (٢٠ : ١٨٣) .

(٢) فى القاموس : « الموتة بالضم : الغشى والجنون » .

ومنهم من تراه والنبيذ يأخذُ منه الأوّلَ فالأوّل ، وتراه كيفَ تَثقُل حركتهُ ، ويغلُظُ حسُّه ويتمحَّق ، حتى يَطيش عليه السُّكرُ بالعبث ، ويطبقَ عليه النوم . ومنهم مَن يأخذُه بالعبَث لايعدُوه . ومنهم من لايرضى بدون السَّيف ، وإلاَّ بأن يضرب أمَّه ويطلِّق امرأته . ومنهم مَن يعتريه البكاء ، ومنهم مَن يعتريه الضَّحِك ، ومنهم مَن يعتريه الملَق والتَّفدِيةُ ، والتَّسليمُ على المجالس ، ٨٢
والتَّقبيلُ لرءوس الناس . ومِنهم من يرقصُ ويثِب ، ويكون ذلك على ضربين : أحدهما من العَرْض[1] وفضْل الأشَر[2] ، والآخر تحريك المرارة ، وهى علَّةُ الفساد وهيَجان الآفة .

وكلُّ هــذه الحالات والصُّور ، والنعوت ، والأجناس ، والتوليدِ ، الذى يختلف فى طبائع الناس ، وطبائع الأشربة ، وطبائع البُلدان والأزمان والأَسنان ، وعلى قدر الأَعراق والأَخلاق ، وعلى قدر القلَّة والـكثرة ، وعلى قدر التصريف والتوفيق ، قد[3] وجدوه فى جميع أصناف الناس والحيوان ، إلاَّ أنَّ فى الناس واحدةً لم تُوجَد فى سائر الحيوان قطُّ ؛ فإنَّ فى الناس من لايسْكَر ألبتّة ، كان[4] محمد بن الجهْم[5] وأبو عبد الله العَمِّىُّ[6] .

---

(١) العرض هنا بمعنى الجنون وذهاب العقل ، يقال عرض كعنى .

(٢) الأشر : المرح .

(٣) فى الأصل : « وقد » . والصــواب ما أثبت ، فإن جملة « قد وجدوه » خبر لكلمة « كل » فى صدر هذه الفقرة .

(٤) لعلها « كما كان » أو « كذلك كان » .

(٥) هو محمد بن الجهم البرمكى ، ولاه الخليفة المــأمون عدة ولايات . وقد ذكر أبو الفرج فى الأغانى (١٣ : ١٥) أسئلة طريفة فى الأدب والشعر وجهها إليه المأمون ، فأعجبه جوابها ، وكان هذا الاختبار الأدبى سبباً لحصوله على هذه الولايات . وروى له الجاحظ أخباراً فى البيان .

(٦) سيأتى فى ص ٢٤٠ من هذا الجزء أنه من المعتزلين .

وكان بين عقل زبيد بن حُميد إذا شرب عشْرة أرطال ، وبين عقله إذا ابتدأ الشرب ، مقدارٌ صالح .

(سكْرُ العمّىّ)

وأمّا العَمّىّ فإنَّ بنى عبد الملك الزياديِّين دعَونى مرَّةً ليعَجِّبونى منه ، ولم ينبِّهونى على هذه الخاصَّة التى فيه ، لأكون أنا الذى أنتبه عليه ، فدخلت على رجلٍ ضخمٍ فَدْم[1] غليظِ اللسان ، غليظ المعانى ، عليه من الكلام أشل المؤنة[2] ، وفى معانيه اختلافٌ ، ليس منها شىءٌ يواتى صاحبَه ولا يعاونُه ولا يشاركُهُ ولا يناسبه ، وحتَّى ترى أنَّ أذنه فى شِقٍّ ولسانَه فى شقٍّ ، وحتَّى تظنَّ أنّ كلامه كلامُ محمومٍ أو مجنون ، وأنَّ كلَّ واحد منهما يقطع نظام المعانى[3] ، ويخلط بين الأسافل والأعالى . فشرب القومْ شُربَ الهيم[4] ، وكانت لهم أجسادٌ مدْبرة ، وأجوافٌ منكَرة ، وكنتُ كأنِّى رجلٌ من النَّظَّارة . فما زال العمِّىُّ يشرَب رِطْلًا بعد رِطل ، ويرقُّ لسانُه ، وينحلُّ عَقْده[5] ، ويصفو ذهنُهُ ، ويذهب كدره . ولو قُلْتُ إنِّى لم أرَ مثلَه حُسْنَ نفسٍ كنتُ صادقا . فالتفت إلىَّ القومُ أجمعُهم فقالوا : لولا هذا العَجَب مَاعَجَّبْنَاك[6] اليومَ معَ حداثةِ عهدنا بك .

---

(١) الفدم : الأحمق الجافى .

(٢) كذا فى الأصل .

(٣) فى الأصل : « المعالى » .

(٤) الهيم : الإبل العطاش .

(٥) العقد ، هنا ، بمعنى القوة .

(٦) فى الأصل ، « ما عساك » .

وزعم العمِّىُّ وكان كثيرَ المنازَعة عند القضاة ، أنَّه كان إذا قارب العشرةَ الأرطالِ ثمّ نازَعَ الخصومَ ، كان ذلك اليومُ الذى يفوت فيه ذَرْعَ الخصوم لِلَحَنٍ بحجَّته[1] ، ويستميل فيه رأىَ القاضى المنعقد فى مجلسه الطويل ، القطوبِ فى وجْهِ مَن نازع إليه .

وقال الشاعر[2] :

وجدتُ أقلَّ النَّاس عقلاً إذا انتشى　　أقلَّهُمُ عقلا إذا كانَ صاحِيا
تزيدُ حُسَى الكاسِ السَّفِيهَ سَفَاهةً　　وتَتْرُكُ أخْلاقَ الرِّجَالِ كما هِيا[3]

٨٣ قال : وهذا شعر بعضِ المولَّدين ، والأعاريبُ لا تُخطئ هذا الخطأَ ؛ قد رأينا أسْفَهَ الناسِ صاحياً أحلمَ الناس سكران؛ وهو مِرداسٌ صاحب زهير ، ورأينا أحسنَ النَّاس خُلقاً وأوزنَهم حلماً ، حتَّى إذا صار فى رأسه رِطلٌ كان أخفَّ من فَرَاشة ، وأكثرَ نزواً من جَرادةٍ رَمِضَة[4] ؛ فإنَّ المَثَلَ بها يُضرَب .

(سبب ما له عرَفَ المعتزلة سكرَ البهائم)

وكان سببُ مالَهُ عرَف أصحابُنا سكْر البهائم ،أنَّ محمَّدَ بنَ علىِّ بنِ سليمانَ الهاشمىَّ لمَّا شرب على علُّويَه كلب المطبخ ، وعلى الدُّهمان ، وعلى شُرَّاب

(١) فات ذرعهم : غلبهم وتجاوز مداهم . واللحن ، بالتحريك : أن يفطن المرء لحجته .
(٢) هو أبو نواس . ديوانه ٣٥٨ . وأنشدهما فى ديوان المعانى ١ : ٣٢٤ .
(٣) الحسى بالضم : جمع حسوة بالضم ، وهى المرة من الحسو . وأراد بالرجال هنا : الكاملين فى معنى الرجولة . وفى ديوان المعانى : « أخلاق الكريم » .
(٤) الرمضة : التى أصابها الرمض ، وهو شدة الحر . والنزو : الوثب . وانظر فى أمثال الميدانى : « أنزى من جراد » .

البصريِّين ، وعلى كُلِّ من نزَع إليه من الأَقطار ، وتحدَّاه من الشرَّاب الجَوَادِّ من الشرَّاب ، أَحَبَّ أن يشْرَب على الإبل من البَخاتىِّ والعِراب ، ثُمَّ عَلَى الظِّلف من الجواميس والبقر ، ثم على الخيل العِتاقِ والبَرَاذين ، فلمَّا فرَغ من كلِّ عظيمِ الجثة واسع الجُفْرَة[1] ، صار إلى الشاءِ والظِّباء ، ثمّ صار إلى النُّسور والكلب وإلى ابن عِرس ، وحتَّى أتاهم حاوٍ[2] فأرغبوه ، فكان يحتال لأفواه الحيَّات حتَّى يصبَّ فى حاقٍّ[3] أجوافِها بالأقماع المدنيّة ، وبالمَساعط ، ويتَّخذ لكلِّ شيء شكله . وكان ملكاً تواتيه الأُمور ، وتُطيعه الرجال[4] ، فأَبصَرُوا تلك الاختلافاتِ فى هذه الأجناس المختلفة .

(نعت النّظام)

فخبَّرنى أبو إسحاقَ إبراهيمُ النَّظام ، وقد كان جالسَهُ حيناً — وكان إبراهيمُ مأمونَ اللِّسان ، قَلِيلَ الزَّلَل والزَّيغ فى باب الصدق والكذب . ولم أزعمْ أنَّه قَلِيلُ الزَّيغ والزَّلَل على أنَّ ذلك قد كان يكونُ منه وإن كان قليلاً ، بلْ إنَّما قُلتُ عَلَى مثل قولك : فلانٌ قَلِيلُ الحياء ، وأنتَ لستَ تريد هناك حياءً ألبتة ، وذلك أنَّهم ربَّما وَضعوا القليلَ فى موضعِ ليس . وَإنما كان عيبُهُ الذى لايفارقه سوءَ ظنِّهِ ، وجَودةَ قياسهِ عَلَى العارض

(١) الجفرة ، بالضم : ما يجمع البطن والجنبين . وفى الأصل : « الحفرة » بالحاء ، وهو تصحيف ما أثبت .

(٢) فى الأصل : « حاوى » ، والوجه حذف الياء .

(٣) حاق بمعنى وسط .

(٤) فى الأصل : « وقطيعة الرجال » ، ووجهه ما أثبت .

والخاطر والسابق الذى لايُوثَق بمثله . فلو كان بدّلَ تصحيحِه القياسَ التمسَ[1] تصحيحَ الأصل الذى كان قاس عليه أمرَه على الخلاص[2] ، ولـكنّه كان يظنُّ الظنَّ ثمَّ يقيس عليه وينسى أنَّ بدءَ أمرِه كان ظنًّا . فإذا أتقنَ ذلك وأيقنَ ، جَزَم عليهِ ، وحكاهُ عن صاحبه حكايَةَ المستبصر فى صحَّة معناه . ولـكنّه كان لايقول سمعت ، ولا رأيت . وكان كلامُه إذا خرج مخرج الشَّهادةِ القاطعة لم يشُكَّ السامعُ أنَّه إنَّما حكى ذلك عن سماعٍ قد امتحنه ، أو عن معاينةٍ قد بهرته .

(حديث النظام فى تجربة إسكار البهائم والسباع)

فحدَّثنى إبراهيمُ قال : شهدتُ أكثرَ هـذه التَّجربةِ التى كانت منهم فى إسكار البهائمِ وَأصنافِ السباع ، ولَقَدْ احتالَ لأسدٍ
٨٤ مقلَّم الأظفار يُنادى عليه : العجَب العجَب !! حتَّى سقاه وعرَف مقدارَه فى الاحتمال ، فزعمَ ، أنّه لم يجِدْ فى جميعِ الحيوان أملحَ سُكْرًا من الظَّبى . ولولا أنَّه من الترفُّه لـكنتُ لايزال عندى الظَّبىُ حتَّى أُسكِره وَأرى طرائفَ مايكون منه ؟

(١) فى الأصل : « التمـاس » .
(٢) كذا بحذف جواب الشرط ؛ وهو كثير فى كلامهم .

(القول فى سرعة التعلم والجرأة عند بعض الحيوان)

قال : وإناث الكلابِ السَّلُوقيَّة أسرعُ تعلُّما من الذُّكورة[١] .

قال : وجميع أصناف السباع ذُكورتُها أجرأُ وَأمضى[٢] وأقوى ، إلاَّ الفَهْدة[٣] والذِّيبَةَ .

والعامَّة تزعم أنَّ اللَّبُوَّة أجرأُ من الأسد ، وليس ذلك بشىء ، وهو أنْزَقُ وأَحَدُّ ، وأفرَقُ من الهَجْهجَة[٤] ، وأبعدُ من التصميم وشِدَّة الصَّولة .

(بين عروة بن مرثد وكلب حسبه لصًّا)

قال بِشر بن سعيد : كان بالبَصرة شيخٌ من بنى نَهشَلٍ يقال له عُروة ابن مَرْثد ، نزل ببنى أختٍ له فى سكَّة بنى مازن ، وبنو أخته من قُريش ، فخرج رجالُهم إلى ضياعهم وذلك فى شهرِ رمضان ، وبقِيت النِّساءُ يصلِّين فى مسجدهم ، فلم يبق فى الدار إلاَّ كلب يعُسُّ[٥] ، فرأى بيتاً فدخل وانصفق الباب ، فسمع الحركةَ بعضُ الإماءِ فظنُّوا أنَّ لصًّا دخل الدار ، فذهبتْ إحداهنَّ إلى أبى الأعزّ[٦] ، وليس فى الحىِّ رجلٌ غيره ، فأخبرتْهُ

---

(١) الذكورة : جمع ذكر . وهى فى ط : « المذكورة » وتصحيحها من س .

(٢) ط : « أمضا » ، وتصحيحه من س .

(٣) فى الأصل : « الفهود » .

(٤) أى أن خوفه من صياح الناس به أشد من خوفها .

(٥) عس واعتس : طاف ليلا .

(٦) س : « أبو الأغر » ، وكذلك فى كل موضع ترد فيه هذه الكلمة من القصة . وانظر عيون الأخبار ١ : ١٦٧ — ١٦٨ .

فقال أبو الأعزّ : مايبتغي اللصُّ منّا ؟! ثمّ أخذَ عصاهُ وجاء حتّى وقفَ على بابِ البيت فقال : إيه يامَلْأَمَان[١] ! أَمَا واللهِ إنّك بي لَعارف ، وإنّي بك أيضاً لعارف ، فهل أنتَ إلاّ من لُصوصِ بني مازن ، شربتَ حامضاً خبيثاً ، حتّى إذا دارت الأقداحُ في رأسك منّتْك نفسُك الأمانيّ ، وقلتَ دُورَ بني عمرو[٢] ، والرِّجالُ خُلوف ، والنِّساء يصلِّين في مسجدهنّ ، فأسرقهنّ ! سَوءَةٌ واللهِ ، مايفعلُ هذا الأحرارُ ! لبئْسَ[٣] واللهِ مامنّتك نفسُك ! فاخرجْ وإلاّ دخلتُ عليك فَصَرَمَتْك[٤] منّي العُقوبة ! لأيمُ[٥] اللهِ لتَخرُجَنّ أو لأهتفَنّ هتفةً مشئومةً عليك ، يأتي فيها الحيَّانِ : عمرو وحنظلة ، ويصيرُ أمرُك إلى تباب ، ويجيء سعْدٌ بعَدَدِ الحصى ، ويَسيل عليك الرِّجالُ من هاهنا وهاهنا ! ! ولئن فعلتَ لتكونَنّ أشأمَ مولودٍ في بني تميم ! ! فلما رأى أنّه لايجيبُه أخذَهُ باللِّين وقال : اخرجْ يابُنَيّ وأنتَ مستور ، إنّي والله ما أُرَاك تعرفُني ، ولو عرفتَني لقد قنِعتَ بقولي واطمأننت إليّ ، أنا عُروة بن مَرثد أبو الأعَزِّ المَرْثَدِيُّ ، وأنا خالُ القومِ وجِلدةُ مابينَ أعينهم[٦] لايعصُونَني في أمر ، وأنا لك بالذِّمة كفيلٌ خفير ، أصيِّرك

---

(١) الملأمان : اللئيم ، ويقابله المكرمان بوزنه .

(٢) عامل المفعول محذوف يدل عليه المقام ، تقديره « آتى » أو « أقصد » .

(٣) فى الأصل : « لبس » .

(٤) يقال : عقوبة صارمة : أى قاطعة شديدة . وفى الأصل : « صدمتك » .

(٥) فى الأصل : « لأيم » بهمزة القطع ، والأصح أن تكون ألفها ألف وصل . وكتبت فى القاموس واللسان وكتاب سيبويه ٢ : ٢٧٣ برسم « ليم » . وانظر ما كتب ابن منظور فى اللسان (يمن) .

(٦) يقال هو جلدة ما بين العين والأنف ، أى هو مثلها فى مكان العزة والقرب . قال عبد الله بن عمر — وكان يلام فى شدة حبه لابنه سالم :

يديروننى عن سالم وأديرهم   وجلدة بين العين والأنف سالم

انظر الكلام عليه فى اللسان (حوز ، سلم) وثمار القلوب ١٧٤ والمعارف ٨٠ .

بين شحمةِ أذنى وعاتق لاتُضارّ ، فاخرج فأنتَ فى ذِمَّتى ، وإلاَّ فإنَّ عندى قَوْصَرَّتَين (١) إحداهما إلى ابنِ أختى البارّ الوَصُول ، فخذْ إحداهما فانتَبِذْها ٨٥ حلالاً من الله تعالى ورسولِهِ صلى الله عليه وسلم . وكان الكلبُ إذا سمعَ الكلامَ أطرقَ ، وإذا سكت وثَب يُريغُ (٢) المخرج ، فتهافت الأعرابىُّ ، أىْ تساقط (٣) ، ثمَّ قال : يا ألأمَ الناسِ وأوضَعَهم ، ألا يأْنِ لك أنَّا منذُ الليلة فى وادٍ وأنتَ فى آخر ، إذا قلتُ لك السَّوداءَ والبيضاءَ تسكتُ وتطرِق ، فإذا سكتُّ عنكَ تُريغ المخرج ؟! والله لتخرُجَنَّ بالعَفو عنك أو لأَلِجَنَّ عليك البيتَ بالعُقوبة ! فلما طال وقوفُه جاءَتْ جَارِيةٌ من إماء الحىِّ فقالت : أعرابىٌّ مجنون !! والله ماأرى فى البيتِ شيئاً !! ودفعت البابَ فخرج الكلبُ شدًّا ، وحادَ عنه أبو الأعزّ مستلقياً ، وقال : الحمدُ لله الذى مَسَخكَ كلباً ، وكفانى منك حربا !! ثم قال : تالله مارأيتُ كالّليلةِ ، ماأُراه إلاَّ كلباً !! أمَا والله لو علمتُ بحالِه لولجَت عليه .

(بعض خصال الديك)

قال صاحب الديك : فى الدِّيك الشّجاعَةُ ، وفى الديك الصَّبرُ عند اللِّقاء ، وهم لايجدون الصَّبرَ تحت السِّياط والعصا ، إلاّ أنْ يكون ذلك موصولاً بالصَّبر فى الحرب على وقع السِّلاح .

---

(١) القوصرة : وعاء من قصب يجعل فيه التمر .

(٢) يريغ : يريد .

(٣) فى الأصل : « تضاحك » ولا تكون هذه الكلمة من معانى « تهافت » . وتساقط : تخاذل ودب فيه الضعف .

وفى الدِّيَك الجَوَلان ، وهو ضربٌ من الرَّوَغان ، وجنسٌ من تدبير الحرب ، وفيه الثَّقافةُ والتسديد(١) ؛ وذلك أنَّه يقدِّر إيقاع صِيصِيَتِه(٢) بعين الديك [الآخر(٣)] ، ويتقرّب إلى المذبح فلا يخطئ .

وهم يتعجَّبون من الجَزَّار ، ويضرِبون به المثل إذْ كان لا يخطئ اللَّبَّة ، ومن اللحَّام إذا كان لا يخطئ المَفْصِل ، ولذلك قالوا فى المثل : « يطبِّق المَحَزَّ(٤) ولا يخطئ المَفْصِل ! » . وهذا القولُ يذمُّون به ويَمدحون . والديك فى ذلك أعجبُ ، وله مع الطَّعنة سرعةُ الوَثْبة ، والارتفاع فى الهواء . وسلاحه طَرِير(٥) ، وفى موضعٍ عجيب ، وليس ذلك إلاّ له ، وبه سمَّى قَرْن الثور صِيصِيَة ، ثمَّ سمَّوا الآطام(٦) التى كانت بالمدينة للامتناع بها من الأعداء صياصِيَ ، قال الله عزَّ وجَلَّ : ﴿ وَأَنْزَلَ الَّـذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْـكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ ﴾ . والعَرَبُ تسمِّى الدَّارع وذا الجُنَّة(٧) صاحبَ سلاح ، فلما كان اسم سلاح الديك وما يمتنع به صِيصِيَة ، سمَّوا قرنَ الثور الذى يجْرَح صيصِيَة . وَعلى أنَّه يشبَّه فى صورته(٨) بصيصِية الديك

---

(١) الثقافة : الحذق . والتسديد : صدق الإصابة .

(٢) سبق الكلام فى هذا اللفظ فى ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٣) الزيادة من نهاية الأرب ١٠ : ٢٢٠ نقلا عن الحيوان .

(٤) المحز : موضع الحز ، مثل المفصل : موضع الفصل . وفى الأصل : « الحز » والوجه ماأثبت .

(٥) سلاح طرير : محدد ماض .

(٦) الآطام : جمع أطم بضم وبضمتين ، وهو الحصن يبنى من الحجارة .

(٧) الدارع : لابس الدرع ، وهو القميص الحديدى . والجنة : مايلبسه المرء أو يحمله ليتّق به نفسه . وفى الأصل : « الجارح وذا الجثة » وليس بشىء .

(٨) فى الأصل : « فى صيصية صورته » . وكلمة « صيصية » مقحمة .

وإن كان أعظم . ثمّ لمّا وجدوا تلك الآطامَ معاقِلَهم وحصونَهم وجُنَنَهم ، وكانت فى مَجرى التُّرس والدرع والبَيضة ، أجروهَا مُجْرَى السلاح ، ثم سمَّوها صياصى . ثمّ أسمَوْا شوكةَ الحائك التى بها تهيَّأُ السَّدَاة واللُّحمة صيصِيةً ؛ إذْ[1] كانت مشبَّهة بها فى الصورة ، وإنْ[2] كانتْ أطولَ شيئاً ؛ ٨٦ ولأنّها مانعةٌ من فساد الحَوْك والغَزْل ؛ ولأنّها فى يده كالسلاح ، متى شاء أن يجأ به إنساناً وجأه به[3] .

وقال دُريد بن الصِّمَّة[4] :

نَظَرْتُ إلَيْـهِ والرِّمَاحُ تَنُوشُـهُ
كَوَقْعِ الصَّيَاصِى فى النَّسيجِ المُـمَدَّدِ

(استطراد لغوى)

وقد تسمِّى العربُ إبرةَ العقرب شَوكة ، كما تسمِّى صيصِيَةَ الديك شوكة ، وهى من هذا الوجه شبيهةٌ بشَوك النَّخل .

---

(١) فى الأصل : « إذا » وإنما هى « إذ » التعليلية ، وقد نبهت فيما مضى على كثرة تحريف هذه الكلمة .

(٢) فى الأصل : « فإن » .

(٣) وجأه : ضربه وطعنه .

(٤) البيت الآتى من قصيدة اختارها أبو تمام فى الحماسة ١ : ٣٣٦ ، مطلعها :

نصحت لعارض وأصحاب عارض ورهط بنى السوداء والقوم شهدى

يرثى بها دريد بن الصمة أخاه عبد الله بن الصمة . والبيت المستشهد به قال فيه أبو هلال العسكرى ديوان المعانى ٢ : ٥٨ : « أحسن ماقيل فى سرعة وقع الرماح وتداركه » .

ويقال لمن ضربته الحُمْرة . قدْ ضربته الشَّوكة ؛ لأنَّ الشَّوكةَ إذا ضربت إنساناً ، فما أكثرَ ما تعتريه من ذلك الحمرةُ .

وقد قال القَطاميُّ في تسمية إبرة العقرب شَوكة :

سرى في جَليدِ الأرْضِ حتَّى كأنّما تخزم بالأَطراف شوك العَقارِبِ[1]

وتُوصف الحِجْر[2] وتشبَّه بالشَّوكة ؛ لأنَّ الشَّوكة غليظةُ المآخِرِ[3] ، لطيفة المَقادم . والشَّوكُ والسُّلاّءُ سواءٌ . وقال في ذلك عَلْقمة بن عبَدة يصف الحِجْر :

سُلاَّءَة كعَصَا النَّهْدِيِّ غُلَّ لها ذُو فَيئَةٍ مِنْ نَوَى قُرّانَ مَعْجومُ[4]

ومن سمَّى إبرة العقرب حُمَة فقد أخطأ . وإنَّما الحُمة سمومُ ذواتِ الشعر كالدَّبْرِ[5] والزَّنابير ، وذوَاتِ الأنياب والأَسنان كالأفاعي وسائر

---

(١) هذا البيت في ديوان القطامي ٥٢ واللسان (وكع ، خزم) ، وصدره فيهما :

* سرى في جليد الليل حتى كأنما *

وروى عجزه في مادة (وكع) : « وكع العقارب » بمعنى ضربها ولدغها . وفي (حزم) : « شوك العقارب » كما في الديوان ورواية الجاحظ . وقال : « تخزم الشوك في رجله : شكها ودخل فيها » .

(٢) الحجر ، بالكسر : الأنثى من الخيل .

(٣) في الأصل : « المتأخر » وماكتبته أشبه بالكلام .

(٤) في اللسان (غلل) : « النهدي : الشيخ المسن ، فعصاه ملساء » . وأراه أنا المنسوب إلى نهد ، وهي قبيلة يمنية . وغل للدابة : خلط لها النوى بالقت - والقت هو مايعرف في مصر بالبرسيم . عن داود الأنطاكي - وفي الأصل : « عل بها » وتصحيحه من اللسان (فيأ ، غلل) والبيان ٣ : ١٢٠ والكامل ٤٩٦ ليبسك وخمسة دواوين العرب ١٣١ والمفضليات ٤٠٤ . وقوله « ذو فيئة » أي ذو رجعة ، يريد أن النوى علفته الإبل ثم بعرته فهو أصلب . و « قران » : قرية باليمامة مشهورة بالنخل الجيد . معجوم : ممضوغ .

(٥) الدبر ، بالفتح : جماعة النحل .

الحيات ، وسموم(١) ذوَاتِ الإِبر من العَقارب . فأمّا البِيشُ(٢) وما أشبهه من السُّموم ، فليس يقال له حُمَة .

وها هنا أمور(٣) لها سمومٌ في خراطيمها ، كالذِّبَّان والبَعوض . وأشياءُ من الحشرات تَعَضُّ وربَّما قتلت ، كالشّبَث(٤) وسامٍّ أبرَصَ . والطّبُّوعُ(٥) شديد الأذى ، والرُّتَيْلاء(٦) ربما قتلت ، والضَّمج(٧) دون ذلك ، وعقارب طيَّارةٌ . ولم نرهم يسمُّون جميع السُّموم بالحُمة ، فقلْنا مثلَ ما قالوا ، وانتهينا إلى حيثُ انتهوا .

(بعض من تقتل عضّته)

وقد يُعرفُ بعضُ النّاس بأنّه متى عضّ قَتَل ، كان منهم صفوان أبو جشَم الثّقَفىّ ، وداودُ القرَّاد .

وسيقَع هذا البابُ فى موضعه على ما يمكننا إن شاء الله تعالى .

---

(١) ط : « وسموا » وتصحيحه من س .
(٢) البيش ، بالكسر : نبات سام يكثر فى تخوم الهند والصين . وفى الأصل : « فإنما البيش » .
(٣) كذا .
(٤) فى معجم الحيوان : « شبث : جنس من الرتيلاء كبير يلسع . اسمه عند عرب السودان أبو شبث ، وفى مصر أبو صوفة » .
(٥) الطبوع : صغار القردان : جمع قراد .
(٦) الرتيلاء : ضرب من العناكب ، يمد ويقصر .
(٧) الضمج ، بالفتح : دويبة منتنة تلسع ، وهى ماتسمى فى مصر باسم « البق » . وفى الأصل : « الصحيح »، وصوابه ما أثبت .

(استطراد لغوى)

والناس يسمُّون الرَّجلَ إذا بلغ مِنْ حرصه ألاّ يدع ذكراً ، غلاماً كان أو رجلاً ، وخَصيًّا كان أو فحلاً ، إلاّ نكحه مِن فَرْط غُلْمته ، ومن قوّة فِحلَته : صِيصِيَة . ويقولون : مافلانٌ إلا صِيصِيَة ، وهو عندهم اسمٌ لمن اشتدَّ لِواطه ؛ تشبيهاً منهم بصيصِية الديك فى الحدَّة والصَّلابة .

(بعض مزايا الديك)

وللديك انتصابُهُ إذا قام ، ومباينتُه صورَةً فى العين لصُورة الدجاجة ،
٨٧ وليس هذا الفرقُ الواضحُ من جميعِ الإناث والذكور موجوداً إلاّ فيه ، وليس ذلك للحمام والحمامة ، ولا للحمار والحمارة ، ولاللبِرذَون والرَّمَكة[١] ، ولا للفرس والحِجْر ، ولا للجمَل والنَّاقة ؛ وليس ذلك إلاَّ لهذه الفحولة لأنّها كالرَّجل والمرأة ، والتَّيس والظبية[٢] ، والدِّيك والدَّجَاجة ، وكَالفُحَّال والنخلة المطعمة[٣] . ألا ترى أنّك لو رأيتَ ناقةً مقبلة لم تدر

---

(١) الرمكة ، بالتحريك : البرذونة ، وهى الأنثى من الخيل الأعجمية ، وتعرف الخيل الأعجمية باسترخاء آذانها .

(٢) فى الأصل : « والضائنة » وإنما هى « الظبية » لتصح المقابلة ، فإن المراد بالتيس هنا الذكر من الظباء .

(٣) أطعمت الشجرة : دنا إثمارها ، أو أثمرت . ويقال اطعمت الشجرة — بوزن افتعلت — إذا أدركت ثمرتها ، أى أخذت طعما وطابت . فكلمة « مطعمة » يصح أن تقرأ بإسكان الطاء أو تشديدها . ولكل وجه . وأما الفحال — كرمان — فهو الذكر من النخل . وفى الأصل : « وكالنخلة والفحال والنخلة المطعمة » بتكرار « النخلة » ، وأصلحت القول بما ترى . وانظر الحيوان ٣ : ١٣٧ و٥ : ٢٠٩ .

أنَاقةٌ هى أم جمل ، حتى تنظر إلى موضع الثِّيل والضّرْع ، وإلى موضع الحيا. وكذلك العنز ، وكذلك جميع ما وصفت ، إلاّ أنْ يدّعوا أن للعامة أو لبعض الخاصة فى ذلك خصوصيَّة . ولذلك ضربوا المثل بالتّيس والنخلة والفُحّال ، فاشتقوا من هذا الفحل . وهذا أيضاً من خصال الدِّيك .

ثُمَّ للديك لحية ظاهرة ، وليست تكون اللِّحى إلاّ للجمل فإنّه يوصف بالعثنون ، وإلا للتّيس وإلاّ للرَّجل . وقال الرَّاجز فى الجمل :

مختلط[1] العُثنونِ كالتّيسِ الأحَمّْ

سامٍ كأنّ رأسَه فيه وَذَم

* إذْ ضمَّ من قُطرَيه هياج قَطِم *

ثُمَّ الديك بعدُ صاحب اللِّحيـة والفَرَق[2] . وقالت امرأةٌ فى ولدها وزوجها[3] :

* أشْهَبَ ذِى رَأسٍ كرأسِ الديكِ *

أمّا قولها أشهب ، فإنّها تريد أنّ شعرَ جسده قد ابيضّ من الكِبَر ، وإنّما جعلتْ شعرَ رأسهِ كرأس الديك لأنّه كان مخضوبَ الرأس واللِّحية بالحُمْرة ، ثُمَّ لم ترضَ له بشبه الرجَال من هذا الوجه حتّى جعلتْ رأسه

---

(١) ط : « مخلتط » وهو تغيير مطبعى .

(٢) الفرق : انفراق العرف .

(٣) فى ص ٣٠٣ من هذا الجزء : وقالت امرأة فى زوجها وهى ترقص ابنا لها منه :

وهبته من سلفع أفوك ومن هبل قد عسا حنيك

* أشهب ذى رأس كرأس الديك *

أفرقَ ، وذلك شيءٌ من الجمال والوقار والفضل ، لا يتَهيَّأ للناس مع كمالهم وتمامهم إلاّ بالتكلف والاحتيال فيه .

ثُمَّ يبلغ من شدّة تعجله ومن قوّته على السِّفاد ، وعلى الباب[1] الذى يفخر به الإنسان إذا كان ذا حظٍّ منه وهو ممّا يُذْكى النَّفس — كنحو[2] ما ذكر عن التَّيس المراطىّ[3] ، وكنحو مَا تراهم يُبركون للبُخْتىّ الفالج عدّة قِلاص[4] ، فإذا ضَرَبَ الأُولى فخافوا عليها أن يحْطِمها وهو فى ذلك قد رمى بمَائهِ مِراراً أفْلَتَه الرِّجَالُ على التى تليه فى القرب ، حتى يأتى على الثّلاث والأربعِ على ذلك المثال . وما دعاهم إلى تحويله عن الثالثة إلى الرابعة إلاّ تخوفهم من العجز منه .

وزعم أبو عبد الله الأَبرص العَمِّىُّ ، وكان من المعتزلين ، أنّ التَّيس المراطى قرَع فى أول يومٍ من أوَّل هَيْجِه نَيِّفًا وثمانين قَرعة .

والنّاسُ يحكُون ما يكون من العُصفور فى الساعة الواحدةِ من العَدَد
٨٨ الكثير . والنّاس يُدخلون هذا الشكل فى باب الفضْل ، وفى باب شدّة العجلة وتظاهرِ القوّة . والديك يكون له وحدَه الدّجَاج الكثيرُ ، فيُوسِعها قمطا وسفاداً .

---

(١) لعلها « الباه » .

(٢) فى الأصل : « لأنه كنحو » وليس الكلام فى حاجة إلى « لأنه » . وكلمة « كنحو » صفة لمصدر محذوف من الفعل « يبلغ » المتقدم .

(٣) كذا . وقد جاء فى (٥ : ٢١٩) برسم « المسرطى » ، و « المشرطى » .

(٤) البختى : الواحد من الإبل البختية ، وهى الخراسانية . والفالج : الضخم ذو السنامين . والقلاص : جمع قلوص ، وهى الناقة الشابة .

وقد قلنـا فى حالة البيض الكثير التُّرابى وقلبه إيَّاه بسفادٍ إلى الحيوانيّة[١] . وعلى [أنّ[٢]] الذى يَخصيه إنَّما يُخرج له من بين الزِّمِكَّى[٣] وموضِع القطاة[٤] بيضَتين عظيمَتين معروفتين .

وأنا رأيتُ ديكا هِنديًّا تسنَّم دَجَاجَةً هِنديّة فلم يتمكَّنْ منها ، فرأيت نطفتَه حينَ مَجَّها — وقد زَلِق عن ظهرها — على مَدَرة[٥] ، وكانت الدار مُثارَة[٦] لتُجعَل بُستانا ، فإذا تلك المجَّـة كالبَزْقة البيضاء ، فأخذها بعضُ مَن كان معنا فشمَّها حين رأى بياضَها وخُثورتها وكُدرتها ، ليعلم هل تناسب ريحُها ريحَ نُطفة الإنسـان ، وريحَ طَلع الفُحَّال ، فلم يجدْ ذلك .

ثمّ معرفةُ الدِّيك باللَّيل وساعاته ، وارتفاقُ بنى آدم بمعرِفته وصوته : يعرفُ آناء الليل وعددَ السَّاعات ، ومقاديرَ الأوقات ، ثمَّ يقسِّط أصواتَه على ذلك تقسيطا موزُونا لا يُغادر منـه شيئاً . ثمَّ قد علمنا أنّ اللَّيل إذا كان خمسَ عشْرَةَ ساعةً أنّه يقسِّط أصواتَه المعروفةَ بالعَدد عليها ، كما يقسطها والليل تسعُ ساعات ، ثمَّ يصنع فيما بين ذلك من القسمة وإعطاء

---

(١) انظر ج ٣ : ١٧٧ حيث يسميه الجاحظ بيض الريح .
(٢) ليست بالأصل ، وبها يصلح الـكلام .
(٣) الزمكى ، بكسر الزاى والميم وتشديد الـكاف مقصوراً : أصل ذنب الطائر ، أو منبته. وكتبت فى الأصل بالألف .
(٤) القطاة : مابين الوركين ، أو العجز .
(٥) المدر : قطع الطين اليابس ، واحدته مدرة . وفى ط : « عن مذرة » وفى س : « عن مدرة » ، وهما تحريف ما أثبت .
(٦) أرضى مثارة : محروثة .

الحصَص على حساب ذلك . فليعلم الحكماءُ أنّه فوقَ الأَسطُرْلاب[١] ، وفوق [مقدار[٢]] الجزْر والمدِّ على منازل القمر ، وحتّى كأنَّ طبْعَه فَلَكٌ على حِدَة . فجمَعَ المعرفةَ العجيبةَ والرِّعاية العجيبة .

وربَّ معرفةٍ تكون نبيلةً وأخرى لا تكون فى طريق النَّبالة . وإنْ كانت المعارفُ كلُّها مفصَّلة مقدّرة ، إلاّ أنّها فى منازلَ ومراتب : وليس فى الأَرض معرفةٌ بدقيقٍ ولا جليل وهى فى نفسها شريفةً كريمةٌ .

والمعرفةُ كلُّها بَصر ، والجهْل كله عمًى ، والعمى كلُّه شَيْنٌ ونقص ، والاستبانة كلُّها خيرٌ وفضْل .

ثمّ له بعد ذلك ارتفاق الناس بهذا[٣] المعنى منه .

ومن ذلك بُعدْ صوته ، وأنّه يدلُّ على أنّ موضعَه مأهُولٌ مأنوس ، ولذلك قالوا : لا يكون البُنْيان قريةً حتَّى يصقَع فيها ديك .

وليس فى الأَرض طائر أملح مِلْحاً[٤] من فرُّوج ، وليس ذلك الاسم إلاّ لولد الديك ، وإلاّ فكلُّ شىءٍ يخرج من البيض فإنّما هو فرخ[٥]

---

(١) الأسطرلاب أو الأصطرلاب : مقياس النجوم . وهو باليونانية « أصطرلابون » . وأصطر : وهو النجم ، ولابون هو المرآة . وقد يهذى بعض المولعين بالاشتقاقات فى هذا الاسم بما لا معنى له ، وهو أنهم يزعمون أن لاب اسم رجل وأسطر جمع سطر . وهذا اسم يونانى ، اشتقاقه من لسان العرب جهل وسخف . مفاتيح العلوم ١٣٤ . قلت : وقد وقع صاحب القاموس فى هذا الوهم الذى نبه عليه الخوارزمى (مادة لوب) .

(٢) الزيادة من نهاية الأرب (١٠ : ٢٢٠) حيث نقل النويرى عن الجاحظ

(٣) فى الأصل : « لهذا » . يقال ارتفق بالأمر : انتفع به .

(٤) الملح هنا : بمعنى الملاحة .

(٥) فى الأصل « فروج » وهو تحريف يفسد المعنى . والوجه ما أثبت .

والفَرُّوج حين تنصدع عنه البَيضة ، يخرج كاسباً عارفاً بموضع لقْط الحب وسدِّ الخَلَّة ، وهو أصيَدُ للذُّباب من السُّودانىّ[١] ، ويدرُج مع الولادة بلا فَصْل .

و [هذا[٢]] مع ما أعطى من محبّة النِّساء ، ورحمة الرجَال ، وحُسْن الرَّأى من جميع الدار[٣] ، ثم اتِّباعه لمن دَعَاه ، وإلفُه لمن قرَّبه . ثمّ ملاحةُ صوته وحُسن قَدِّه ، ثمَّ الذى فيه ممَّا يصحُّ له الفروج ويتفرَّج فيه[٤] . ٨٩

(قول جعفر بن سعيد فى تفضيل الديك على الطاوس)

وكان جعفر بن سعيد ، يزعم أنَّ الدِّيك أحمَـدُ من الطاوس ، وأنَّه مع جماله وانتصابه واعتداله وتَقلُّعه[٥] إذا مشى ، سَليمٌ من مقابح الطاوس [ومن مُوقه وقبح صورته[٦]] ، ومن تشاؤم أهل الدار [به ، و[٧]] من قُبح رجليـه ، ونَذَالة مَرْآته[٨] . وزعم أنَّه لو ملك طاوساً لألبَسَ رجليه خفًّا .

---

(١) السودانى : طائر من فصيلة الزرازير .

(٢) ليست بالأصل . والكلام فى الديك .

(٣) كذا . ويصح أن تكون « من جميع من فى الدار » أو « من جميع أهل الدار » .

(٤) كذا .

(٥) تقلع فى مشيته : مشى كأنه ينحدر . وفى الحديث فى صفته صلى الله عليه وسلم « أنه كان إذا مشى تقلع » . وفى الأصل « تعلقه » بتقديم العين ولا وجه له . واعتمدت فى تصحيحها على نقل الثعالبى عن الجاحظ فى ثمار القلوب ٣٧٣ .

(٦) التكملة من ثمار القلوب ٣٧٣ . والموق ، بالضم : الحمق .

(٧) التكملة من ثمار القلوب .

(٨) المرآة ، بالفتح : المنظر .

وكان يقول : وإنّما يُفخَر له بالتّلاوين ، وبتلك التعاريج[١] والتهاويل التى لألوانِ ريشه . وربّما رأيتَ الدِّيك النَّبَطىّ وفيه شبيهٌ بذلك[٢] . ألاَ إنَّ الدِّيك أجملُ من التُّدْرُج[٣] ؛ لمكان الاعتدال والانتصاب والإشراف ، وأسلمُ من العيوب من الطاوس .

وكان يقول : ولو كان الطاوس أحسنَ من الدِّيك النَّبَطى فى تلاوين ريشه [فقط[٤]] لكان فضلُ الديك عليه بفضل القدّ والخَرْط ، وبفضل حُسْن الانتصاب وجودة الإشراف [أكثرَ[٥]] مِن مقدارِ فضْل حُسنِ ألوانِهِ على ألوان الديك ، ولكانَ السليمُ من العيوب فى العين أجمل[٦] لاعتراض تلك الخصال القَبيحة على حسن الطاوس فى عينِ الناظر إليه . وأوَّل منازل الحمد السلامة من الذَّمّ[٧] .

وكان يزعم أنَّ قول [الناس[٨]] : فلانٌ أَحسن مِن الطاوس[٩] ، وما فلان إلاّ طاوس[١٠] ، وأنَّ قولَ الشاعِرِ :

---

(١) التعاريج : الخطوط الملتوية . وفى ثمار القلوب : « التفاريج » .
(٢) فى الثمار : « شبه بذلك » .
(٣) فى الثمار : « الدراج » . والتدرج : ضرب من الدراج ، وهو طائر شبيه بالحمام ، حسن الصوت مبارك ، كثير النتاج يبشر بالربيع .
(٤) الزيادة من ثمار القلوب . وجملة « فى تلاوين » هى فى الأصل « وتلاوين » وتصحيحها من الثمار .
(٥) الزيادة من الثمار .
(٦) فى الأصل : « ولكان السليم من العيوب فى العين ، والعين فيه أعمل » وأثبت ما فى الثمار .
(٧) فى الأصل : « الذنب » والوجه ما أثبت من الثمار .
(٨) الزيادة من الثمار .
(٩) فى الثمار : « فلانة أحسن من الطاوس » .
(١٠) فى الأصل : « إلا طاوسا » وليس له وجه ، إذ أن من شروط عمل ما الحجازية ألا ينتقض نفيها بإلا ، وهى على الصواب فى الثمار .

* جلودُها مثلُ طواوِيسِ الذّهب[1] *

وأنّهم لمّا سمَّوا جيشَ ابن الأشعث[2] الطواويس لكثرةِ مَن كان يجتمع فيه من الفِتيان المنعوتين بالجمال ، إنما[3] [قالوا ذلك[4]] لأنّ العامّة لاتبصر الجمال . ولَفَرسٌ رائعٌ كريم أحسنُ من [كلِّ[5]] طاوسٍ فى الأرض ، وكذلك الرَّجُل والمرأة . وإنما ذهبوا من حسنه إلى حسن ريشه فقط ، ولم يذهبوا إلى حسن تركيبه وتنصُّبه ، كحسن[6] البازى وانتصابه ، ولم يذهبوا إلى الأعضاء والجوارح ، وإلى الشِّيات[7] والهيئة ، والرأس والوجه الذى فيه .

وكان جعفر يقول : لمّا لم يكن فى الطاوس إلاّ حسنُه فى ألوانه ، ولم يكن [فيه[8]] من المحاسن ما يزاحمُ ذلك ويجاذبُهُ وينازعه ويَشغل عنه — ذُكِرَ وتبيّنَ وظهر . وخصال الديك كثيرة ، وهى متكافئة فى الجمال . ونقول : لم يكن لعبد المطّلب فى قريش نظير ، كما أنّه ليس فى العرب لقريش نظير ، وكما أنّه ليس للعرب فى النّاس نظير[9] ؛ وذلك حين لم تكن فيه خصلةٌ أغلبَ من أختها ، وتكاملت فيه وتساوت ، وتوافت إليه

---

(١) انظر الجزء الأول (ص ١٥٥) .
(٢) هو عبد الرحمن بن الأشعث الخارج على الحجاج . انظر ثمار القلوب ٣٨٠ .
(٣) فى الأصل : « وأما » وتصحيحه من الثمار .
(٤) ليست بالأصل . وفى الثمار : « قال ذلك » .
(٥) الزيادة من الثمار .
(٦) فى الأصل : « لحسن » وتصحيحه من الثمار .
(٧) الشيات : جمع شية ، وهو اللون المخالف . وفى الأصل : « الثياب » .
(٨) كلمة يحتاج إليها القول .
(٩) ط : « ليس فى العرب للناس نظير » وتصحيحه من س .

فكان الطَّبع فى وزن المعرفة ، فقالوا عند ذلك : سيِّد الأبطح[1] وسيِّد الوادى ، وسيِّد قريش . وإذا قالوا سيِّد قريش فقد قالوا سيِّد العرب ، وإذا قالوا سيِّد العرب فقد قالوا سيِّد الناس .

ولو كان مثل الأحنف الذى برع فى حلمه وبرَع فى سائر خصاله لذكروه[2] بالحلم ؛ ولذلك ذكر قَيس بن زُهير فى الدَّهاء ، والحارث بن ظالم فى الوفاء ، وعتيبة بن الحارث فى النَّجدة والثّقافة .

ولو أنّ الأَحنَفَ بن قيس رأى حاجبَ بن زُرارة ، أو زُرارة بن عُدَس ، أو حِصْن بن حذيفة ، لقدَّمهم على نفسه . وهؤلاء عيونُ أهلِ الوبر لا يُذكَرون بشىءٍ دونَ شىءٍ ، لاستواءِ خِصال الخير فيهم .

وفى منحول شعر النابغة :

فألفيتُ الأَمانةَ لم تَخُنْها كذلك كانَ نوحٌ لا يَخُونُ

وليس لهذا الكلام وجهٌ ، وإنَّما ذلك كقولهم كان داودُ لا يخون ، وكذلك كان موسى لا يخون عليهما السلام ؛ وهم وَإن لم يكونوا فى حالٍ من الحالات أصحابَ خيانةٍ وَلا تجوزُ عليهم ، فإنّ النَّاسَ إنَّمَا يضربون المثلَ بالشىء النادر من فِعل الرجال ومن سائر أمورهم ، كما قالوا : عيسى ابن مريم رُوح الله ، وموسى كليم الله ، وإبراهيمُ خليلُ الرحمن ، صلى الله عليهم وسلم .

ولو ذكر ذاكرٌ الصبرَ على البلاءِ فقَال : كذلك كان أيُّوب لا يجزع

(١) س : « الأباطح » .
(٢) فى الأصل : « لذكره » .

كان قولاً صحيحاً . ولو [قال[1]] : كان كذلك نوح عليه السلام لا يجزع لم تكن الكلمةَ أعطيت حقَّها .

ولو ذكر الاحتمال[2] وتجرُّع الغيظ فقال : وكذلك كان معاوية لا يسفهُ ، وكان حاتم[3] لا يفحُش ، لكان كلاماً مصروفاً عن جهته . ولو قال : كذلك كان حاتم لا يبخَل لكان ذلك كلاماً معروفاً ، ولكان القول قد وقع موقعَه ، وإن كان حاتمٌ لا يُعرَف بقلّة الاحتمال وبالتَّسَرُّع إلى المكافأة .

ولو قال : سألتك فمنعتني وقد كان الشَّعبيُّ لا يمنع ، وكان النَّخعِيُّ لا يقول « لا » ، لكان غيرَ محمودٍ في جهة البيان ، وإن كان مَّمن يُعطِي ويختار « نعم » على « لا » . ولكنْ لمَّا لم يكن ذلك هو المشهور من أمرهما لم تُصرَف الأمثال إليهما ، ولم تضرب بهما .

قال جعفر : وكذلك القول في الديك وجماله ؛ لكثرة خصاله ، وتوازُن خلاله ، ولأنَّ جمال الديك لايلهَج بذكره إلاّ البُصراء بمقادير الجمال والتوسُّطِ في ذلك ، والاختلاط والقصد ، وما[4] يكون ممزوجا [وما يكون[5]] خالصاً . وحُسن الطاوس حسنٌ لا تعرف العوامُّ غيرَه ، فلذلك لهِجت بذكره .

---

(١) زدتها ليستقيم الكلام .
(٢) في الأصل : « الاحتيال »، والوجه ما أثبت .
(٣) في الأصل : « الأحنف » ، والكلام يقتضي ما أثبت .
(٤) في الأصل : « وبما » .
(٥) زدتها ليستقيم الكلام .

ومن الدَّجاج الخِلاسىّ(١) والهندىّ ، ومن الدَّجاج الزِّنجى(٢) ومنها الكَسْكَرِىّ(٣) ، ومن الدِّيَكة ما يُخصَى فلا يبلغه فى الطِّيب والسِّمن
٩١ شىء وإن اشتدَّ لحمه . وإن كان غير خَصِىٍّ فقد يُمدح ذلك من وجهٍ هو أَرَدُّ عليه فى باب الفخر(٤) ، من رَخاوة اللَّحم واستطابة الأكل . وعلى أنَّه لو كان أدناه من بعضِ سباع الطَّير ، أو عدا خَلْفَه إنسانٌ ، فكان يريد أخْذَه حتَّى إذَ فسخه البهر ارتدَّ فى موضعه لا يبرحُه ، ثم ذبحه على المكان ، لجَمَع به الخصالَ كلَّها .

ولو علِّقَ فى عنقه حَجَرٌ ليلتَه بعد أنْ ذبحه ، أو أولج بطنَه شيئاً من حلْتيت(٥) لجَمَع بِه الخصال ؛ فإنّه أعْمَلُ فيه من البُورَق(٦) وقشورِ البِطّيخ فى اللحم المفصَّل(٧) .

وهو بعدُ غيورٌ يحمى دَجاجَه(٨) . وقال الرَّاجز :

* يغارُ والغَيرةُ خُلْقٌ فى الذَّكَرْ *

---

(١) الخلاسى ، بالكسر : ما تولد بين الهندى والنبطى . كتاب البغال ص ٢٩٨ .

(٢) س « الزنجرى » !

(٣) الكسكرى منسوب إلى كسكر ، قال ياقوت : « كورة واسعة ينسب إليها الفراريج الكسكرية ، لأنها تكثر بها جداً ، رأيتها أنا تباع فيها أربعة وعشرون فروجا كباراً بدرهم واحد » . وقال الثعالبى فى الثمار ٤٢٦ : « كسكر إحدى كور السواد من ريف دجلة والفرات ، ودجاجها موصوف بالجودة والسمن ، ومذكور فى أطايب الأطعمة . وربما بلغت الواحدة منها وزن الجدى والحمل » . وهى فى الأصل : « الكسركرى » تحريف ما أثبت .

(٤) أرد : أنفع . وفى الأصل : « رد علية من باب الفخر ومن رخاوة اللحم » .

(٥) قال داود : « هو صمغ الأنجدان » .

(٦) فى الأصل « فإنه من أعمل فيه البورق » ! والبورق : النطرون ، أو النطرون ضرب من ضروب البورق .

(٧) المفصل : المقطع . وفى الأصل : « المفضل » وهو تصحيف .

(٨) ط « دجاجته » وأثبت ما فى س .

وقال الآخر :

* الفحل يَحْمِى شَوْلَهُ مَعْقُولا[١] *

(لحم الدجاج)

ولحمُ الدَّجاج فوق جميع اللُّحمان فى الطِّيب والبياض ، وفى الحسن . والملوك تقدِّمه على جميع الفراخ والنواهض[٢] ، والبطِّ ، والدُّرَّاج ، وهم للدُّرَّاج آكَلُ منهم للجِداء الرُّضَّع ، وللعُنُق الحُمر[٣] من أولاد الصَّفايا .

والدَّجاجُ أكثر اللُّحوم تصرُّفاً ، لأنَّها تطيب شِواءً ، ثم حارًّا وبارداً ، ثمَّ تطيب فى البَزْمَاوَرْد[٤] ، ثم تطيب فى الهرائِس[٥] ،

(١) الشول : النوق التى خف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر ، أو ثمانية ، والواحدة شائلة ، والشول جمع على غير قياس . يريد أن الحر يحتمل الأمر الجليل فى حفظ حرمه وإن كانت به علة . أمثال الميدانى (٢ : ١٦) .

(٢) النواهض: جمع ناهض ، وهو فرخ الطائر الذى وفر جناحه وتهيأ للطيران ، وتعرف فى لغة عامة مصر بالزغاليل .

(٣) العنق : جمع عناق بالفتح ، وهى الأنثى من أولاد المعز . انظر الحيوان (١ : ٢٣٣) .

(٤) فى القاموس « الزماورد بالضم : طعام من البيض واللحم ، معرب ، والعامة يقولون بزماورد ، وفى التاج : « وقوله بزماورد وهو الرقاق الملفوف باللحم . قال شيخنا : وفى كتب الأدب هو طعام يقال له لقمة القاضى . ولقمة الخليفة ، ويسمى بخراسان نواله ، ويسمى نرجس المائدة وميسر ومهنا » قلت : يبدو أن هذا الاسم تنقل بين هذه المسميات ، فضاع أصل مسماه . وانظر ما سيأتى فى ٦ : ٩١ .

(٥) الهرائس : جمع هريسة ، وهى طعام يتخذ من الحنطة واللحم ، وأجوده المتخذ من الحنطة النقية المقشورة ولحم الدجاج . وصنعتها أن يغلى اللحم حتى تنزع رغوته ثم يرمى معه كنصفه من الحنطة ، أو أقل ، والمساء مثلاهما ، وتغلى مكشوفة حتى يذوب ما فى اللحم من الدهن فينزع ، ويقوم الملح ، وتفوه بنحو الدارصينى والقرنفل وتسد بالعجين إلى نحو عشر ساعات ثم ترفع وتضرب وتسقى دهنها المأخوذ أولا . تذكرة داود ١ : ٣٤٣ . وهى فى ط « الهرائيس » وأثبت ما فى س . وانظر الأشعار والأخبار التى وردت فيها بالمحاضرات (١ : ١٩٣) .

ويحدث لَهَا به نفحةٌ لا تُصاب مع غيرها ، وتَطيب طبيخاً ، وتَطيب فُصوصها ، وإنْ قطَّعتها مع اللحم دَسِمَ ذلك اللحم . وتصلح للحَشاوى ، وللملاقسطى[1] ، وتصلح فى الاسفرجَات[2] وسمينُها يقدَّم فى السِّكباجة[3] على البطّ ، إلاّ أنها تُطْعَمُ المَفْصُودَ[4] وليس ذلك للبطّ .

(لفظ : الدجاج)

قال : والدِّيَكة دَجَاج إذا ذكرت فى جملة الجنس ، وهذا الباب ممَّا تغلَّب فيه الإناث على الذُّكورة . وقال آخرون : لا ، ولكنَّ الدِّيكَ نفسه دَجَاجة ، إلاّ أنَّهم أرادوا إبانَته بأنَّه ذكرٌ فقالوا : ديك ، كما يسمُّون الذَّكر والأنثى فرساً بلا هاء ، فإذا أرادوا أن يُثبتوا إناثها قالوا حِجْر ، وإن كانت حِجْراً فهى فرس . وقال الأخطل :

نازعْتَه فى الدُّجَى الرَّاحَ الشَّمُولَ وقدْ
صاحَ الدَّجَاجُ وحانتْ وَقْفةُ السَّارِى[5]

---

(١) كذا .

(٢) كذا . ولعلها « الأسفيذباجات » . انظر كتاب الطبيخ للبغدادى ص ٣٢ .

(٣) يقال للسكباج الحلية والخالة والصفصافة . ويبدو أنه اللحم يعالج بالخل والتوابل ويضاف إليه أحيانا الزعفران والسذاب . انظر المحاضرات (١ : ٢٩٢) .

(٤) أى يصح للمفصود أن يأكل منها ، بخلاف البط ، فإنه كما قال داود فى تذكرته ١ : ٨١ « يولد دما كثيرا » . وفى الأصل : « المقصود » وأصلحته بما ترى.

(٥) السارى : الذى يسير ليلا . وإنما تحين وقفته للراحة من آخر الليل إذا اقترب الفجر . والدجاج يطلق على المذكر والمؤنث ، وقد أراد الأخطل به هنا الديكة والتاء فى الدجاجــة ليست للتأنيث ، بل هى للإفراد من الجنس . انظر اللسان (دجج) وشرح شواهد المغنى ٦١ .

وقد بيَّن ذلك القرشيُّ[1] حيث يقول :

اطرُدوا الدِّيكَ عن ذُؤابةِ زيـدٍ   كانَ مَا كانَ لاتطَاهُ الدَّجَاجُ[2]

وذلك أنّه كان رأى رأسَ زيدِ بن على[3] فى دار يوسفَ بن عمر[4] ، فجاء ديكٌ فوطئ شعْرَه ونقَره فى لحمه ليأكله .

(حوار فى صياح الديكة)

قالوا : قد أخطأ مَن زعم أنّ الدِّيـكة إنّما تتجاوب ، بل إنّما ذلك منها شيءٌ يتوافق فى وقت ، وليس ذلك بتجاوُبٍ كنباح[5] الـكلاب ؛ ٩٢
لأنّ الـكلبَ لاوقتَ له ، وإنّما هو صامتٌ ساكت مالم يحسَّ بشيء يفزَع منه ، فإذا أحسَّ به نبَح ، وإذا سمع نُباح كلبٍ آخر أجَابَ ثم

(١) هو قرشى وشيعى . انظر الـكامل . ٧١ ليبسك .

(٢) الرواية فى الـكامل : « طالما كان لا تطأه الدجاج » .

(٣) فى الأصل : « زيد بن عمر » وهو خطأ صوابه ما أثبت من الـكامل ، ومعجم البلدان (كناسة) ، وهو زيد بن على بن الحسين ، وكان خرج على هشام بن عبد الملك ، وقتله يوسف بن عمر الثقفى وصلبه بالـكناسة — هى موضع بالـكوفة — عريانا . . . وكان زيد يلقب بالمهدى . فقال شاعر أموى (انظر الـكامل) :

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة   ولم نر مهديا على الجذع يصلب

(٤) هو يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم الثقفى ، ولى اليمن لهشام بن عبد الملك سنة ١٠٦ ثم نقله هشام إلى ولاية العراق سنة ١٢١ ، فاستخلف ابنه الصلت على اليمن وقصد العراق ، فقتل خالدا القسرى (أمير العراق قبله) ، وأقام بالـكوفة إلى أيام يزيد بن الوليد ، فعزله سنة ١٢٦ وقبض عليه ، وحبسه فى دمشق إلى أن قتله يزيد بن خالد القسرى بثأر أبيه سنة ١٢٧. ابن خلـكان (٢ : ٣٦٠ — ٣٦٥) . ويوسف هذا هو ابن ابن عم الحجاج بن يوسف بن الحكم

(٥) فى الأصل : « بتجاوب نباح » .

أجابَ ذلكَ آخرُ ، ثمَّ أجابهما الكلبُ الأوَّلُ ، وتبيَّن أنّه المجاوِب لجميع الكلاب . والدِّيك ليس إذًا من أجْل أنّه أنكر شيئاً استجاب[١] ، أو سمع صوتاً صقع[٢] ، وإنَّما يصقع[٣] لشيءِ في طبعه ، إذا قابل ذلك الوقتَ من اللَّيل هيَّجَه . فعَدَدُ أصواتِهِ في الوقتِ الذي يُظَنُّ أنّه تتجاوبُ فيه الدِّيكة ، كعدَدِ أصواتِهِ في القريةِ وليس في القريَةِ ديكٌ غيره ، وذلك هو في المواقيت . والعلَّةُ التي لهـا يصقَع في وقتٍ بعينه شائعةٌ فيها في ذلك الوقت . وليس كذلك الكلاب ! قد تنبح الكلاب في الخُرَيْبة[٤] وكلابٌ في بني سعد غير نابحة ، وليس يجوز أن تكون دِيَكة المهالبة تصقع[٥] ، وديكة المسامِعة ساكتة[٦] .

فإنْ أراد مريدٌ بقوله إنّ الدِّيكة تتجاوب ، على مثل قول العرب : هـذه الجبال تتناظَر ، إذا كان بعضُها قُبالة بعضٍ ، وإذا كان الجبلُ من صاحبه بالمكان الذي لو كان إنسانٌ رآه — جَاز ذلك . وعلى هـذا المثال قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم في نارِ المشركين ماقال ، حيث قال : « لاتَتَرَاءَى نارَاهما[٧] » ، ومع قول الشاعر :

---

(١) في الأصل : « ليس من أجل أنه أنكر شيئا إذا استجاب » .

(٢) في الأصل : « صقع » وإنمـا هي « صقع » بمعنى صاح .

(٣) في الأصل : « يصقع » .

(٤) الخريبة ، بهيئة التصغير : موضع بالبصرة .

(٥) في الأصل : « تصقع » .

(٦) المسامعة : محلة بالبصرة تنسب إلى بني مسمع بن شهاب بن عمرو . معجم البلدان فلعل « المهالبة » أيضاً محلة أخرى بها منسوبة إلى بني المهلب بن أبي صفرة .

(٧) الرواية في اللسان والنهاية وأمثال الميداني (٢ : ١٦٢) : « لاتراءى » بإسقاطه إحدى التاءين . قال الميداني : « يعني ناري المسلم والمشرك ، أي لا يحل للمسلم أن يسكن بلاد الشرك فيكون معهم بحيث يرى كل واحد منهما صاحبه ، فجعل الرؤية للنار ، والمعنى أن تدنو هذه من هذه . وأراد : لاتتراءى ، فحذف إحدى التاءين . وهو نفي يراد به النهي » .

* لاتتراءى قبورهما(١) *

وقال ابن مُقْبِلٍ العَجْلانىّ(٢) :

سَلِ الدّار من جنْبَى حِبِرٍّ فواهبٍ
وحيثُ يَرَى هَضبَ القَليبِ المضَيّحُ(٣)

وتقول العرب : إذا كنتَ بمكان كذا وكذا ، حيثُ ينظُر إليك الجبُل فخُذْ عَن يسارِك أو عن يمينك .

وقال الرّاجز :

* وكما يرى شَيْخ الجبالِ ثَبيرا(٤) *

وشيخ الجبال عنده أبو قبيس .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأخيار : « أنا برىءٌ من كلِّ مسلمٍ مع كلِّ مشرك » . قيل : ولِمَ يارسولَ الله ؟ قال : « لاتتراءى ناراهُما » .

---

(١) كذا . ولعلها « لاتراءى قبورها » .

(٢) فى الأصل : « ابن مقبر العجلانى » ، وصوابه « ابن مقبل » . وهو تميم بن مقبل ابن عوف بن حنيف بن قتيبة بن العجلان ، كما فى الإصابة ٨٥٨ ، أو هو تميم ابن أبى مقبل . . . الخ كما فى الخزانة (١ : ٣١٤ سلفية) . أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره وأسلم ، وله خبر مشهور مع عمر بن الخطاب فى استعدائه على النجاشى الشاعر . الإصابة والخزانة والعمدة (١ : ٢٧) .

(٣) فى الأصل : « جبير » موضع « حبر » ، وتصحيحه من اللسان (رأى) ومعجم البلدان (حبر) و (واهب) . وكلمة « فواهب » هى فى الأصل « فراهب » وتصحيحه من المعجم فى الموضعين . و « يرى » هى فى الأصل « ترى » مصحفة . و « المضيح » هى فى الأصل « المصبح » كما فى اللسان محرفة . والصواب ما أثبت من المعجم فى موضعيه . وحبر ، وواهب ، والمضيح : أمكنة متقاربة فى ديار بنى سليم . ويرى المضيح هضب القليب ، أى يقابله .

(٤) فى الأصل : « وكما ترى » ، والوجه ما أثبت .

وقال الكسائيّ : تقول العرب : دارى تنظُر إلى دار فلان ، ودورنا تتناظر . وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ .

وإنّما قال القوم فى تجاوُب الدِّيكة ببيتٍ شعرٍ سمعوه للطِّرِمَّاح ، جهلوا معناه ، وهو :

فياصُبْحُ كَمِّشْ غُبَّرَ اللَّيلِ مُصْعِدًا   بِبَمٍّ ونَبِّهْ ذَا العِفاءِ الموَشَّحِ (١)

إذا صاحَ لم يُخْذَل وجَاوبَ صوتَه
حِمَاشُ الشَّوى يَصْدَحن من كلِّ مَصْدَحِ (٢)

٩٣ وكذلك غلطوا فى قول عَبْدة بن الطَّبيب (٣) :

إذ صفّق الدِّيك يدعو بعضَ أسرتِه
إلى الصَّباح وهم قوم معازيل (٤)

وإنّما أرادَ تَوافِىَ ذلك منها معًا ؛ فجعلها دعاء وتجاوبا على مافسرناه.

---

(١) كمّش : أسرع وعجل . وغبر الليل : بقيته . وبم : أرض من كرمان . وذو العفاء : الديك . والعفاء ، بالكسر : ما كثر من الوبر والريش ، الواحدة عفاءة . وفى اللسان : « وديك موشح : إذا كان له خطتان كالوشاح » وأنشد عجز هذا البيت . فبذلك يكون جر « الموشح » على المجاورة . وأنا أراه وصفا للعفاء ، كما يوصف الثوب فيقال : ثوب موشح : إذا كان فيه وشى . حكاه ابن سيده عن اللحيانى ، كما فى اللسان . والبيت فى الأصل محرف ، فصدره فى ط ، س : « فياصبح كهش عبر الليل مصعدا » وعجزه فى ط : « ينم وينها كالعفاء » و س : « ينم وينه كالعفاء » وتصحيحه من ديوان الطرماح ٦٩ واللسان .

(٢) حماش الشوى : دقاق الأرجل ، وعنى بهن الديكة . وفى س : « يصدحن منهن مصلح » وهو تحريف .

(٣) ط : « عبد الله بن الطيب » س : « عبادة بن الطيب » وهما تحريف ما أثبت . والبيت الآتى من قصيدة له مفضلية ، مطلعها :

هل حبل خولة بعد الهجر موصول   أم أنت عنها بعيد الدار مشغول

انظر المفضليات ١٤٣ .

(٤) قد جعل للديك أسرة ، والأسرة للناس . وأراد بقوله « وهم قوم » جماعة الدجاج . والمعازيل : الذين لا سلاح معهم . انظر اللسان (عزل) .

(تفضيل صاحب الكلب الحمار على الديك)

قال صاحب الكلب : لولا أنّا وجدنا الحمار المضروبَ به المثلُ في الجهل ، يقومُ في الصّباح وفي ساعات اللّيل مقامَ الدّيكة ، لقد كان ذلك قولاً ومذْهبًا غيرَ مَرْدُود . ولو أنَّ متفقّدًا يتفقّد ذلك من الحمار لوجدَه منظومًا يتبع بعضُه بعضاً على عددٍ معلوم ؛ ولوجَدَ ذلك مقسوماً على ساعات الليل ، ولكان لقائلٍ أن يقول في نهيق الحمار في ذلك الوقت : ليس على تجاوبٍ ، إنّما ذلك شيء يتوافى معاً ، لاستواء العلة ، ولم تكن للدّيك الموصوفِ بأنّه فوق الأَسْطَرلاب فضيلةٌ ليست للحمار .

وعلى أنّ الحمار أبعدُ صوتاً ، وقد بلغ من شدّة صوته ما إن حلَفَ أحمدُ بن عبد العزيز : إنّ الحمار ماينام ! قيل له : وما ذاك ؟ قال : لأنّي أجدُ صياحَه ليس بصياح شيءٍ انتبه تلك الساعة ، ولا هو صياحُ من يريد أن ينام بعد انقضاء صياحه ! .

هذا والحمارُ هو الذى ضَرب به القرآنُ المثلَ في بُعد الصوت ، وضَرب به المثلَ في الجهْل ، فقال : ﴿ كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ﴾ . فلو كان شيءٌ من الحيوان أجهلَ بما في بطون الأسفار مِن الحمار ، لضرَب الله المثلَ به دونَه .

(عشرة أمثال في شأن الحمار)

وعلى أنّ فيه من الخصال ماليس في الديك ، وذلك أنّ العربَ وضعته من الأمثال التي هي له في عشرة أماكن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«كلُّ الصَّيْدِ فى جوْفِ الفَرَا »[١] وكفاك بِهِ مثلاً إذا كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى تفضيل هدايةِ أبى سفيان .

وقالت العرب : « أنْـكَحُ من الفَرَأ » . والفَرَأُ مهموز مفتوحة الفاء مجموعُهُ فِرَاءٌ[٢] ، قال الشاعر[٣] :

بِضَرْبٍ كآذانِ الفِرَاءِ فُضُولُه   وطَعْنٍ كإيزاغ المخَاضِ تَبُورُها[٤]

وتقول العرب : « العَيْرُ أوْقى لِدَمِهِ[٥] » . وقولهم : « مَنْ يَنِكِ العَيْرَ يَنِك نَيَّاكاً[٦] » . وقالوا : « الجحْشَ إذا فاتَتْكَ الأعيار[٧] » وقالوا :

(١) الفرا بالفتح ، يقصر ويهمز ويمد ، هو الحمار الوحشى . والحديث مثل تمثل به رسول الله . وانظر أصل المثل فى الميدانى (٢ : ٧٤) . والسبب فى هذا الحديث أن أبا سفيان استأذن النبى فحجبه ثم أذن له فقال له : « ما كدت تأذن لى حتى تأذن لحجارة الجلهتين » — وكان قد أدخل غيره من الناس قبله — فقال « يا أبا سفيان أنت كما قال القائل : « كل الصيد فى جوف الفرا » أراد أن يقول له إنه فى الناس كحمار الوحش فى الصيد ، كلها دونه ، يتألفه بذلك على الإسلام . وقال أبو العباس المبرد : معناه إذا حجبك قنع كل محجوب ورضى ، لأن كل صيد أقل من الحمار الوحشى ، فكل صيد لصغره يدخل فى جوف الحمار ، وذلك أنه حجبه وأذن لغيره . اللسان (فرأ) وكذا ابن الأثير فى النهاية . وانظر كامل المبرد ١٨١ ليبسك والدميرى (فرأ) .

(٢) فى الأصل : « مجموعة فراء » ، والصواب ما أثبت .

(٣) هو مالك بن زغبة الباهلى كما فى اللسان (فرأ ، بور) . وانظر ٦ : ٤١٢ .

(٤) س : « كايزاغ المخاض بواعا » ، ط : « كايزاع المخاض الثوازع » . وكلاهما محرف وتصحيح البيت من اللسان (فرأ) و (بور) والكامل ١٨١ ليبسك والمعانى (٢ : ٧٣) . يقول : إن ضربه لخصمه يترك لحمه معلقا يتحرك ، من شدة تمزقه . والإيزاغ : دفع الناقة ببولها . تبورها : تختبرها ، تعرضها على الفحل لتنظر ألاقح هى أم حامل ، وهى إذا كانت حاملا بالت فى وجه الفحل .

(٥) يضرب للموصوف بالحذر ، وذلك أنه ليس شىء من الصيد يحذر حذر العير إذا طلب . وفى الأصل : « أوفى » بالفاء . والوجه ما كتبت من أمثال الميدانى (١ : ٤٢٠) . وانظر نهاية الأرب (١٠ : ٩٥) .

(٦) يضرب مثلا لمن يغالب الغلاب . وأصل المثل فى الميدانى (٢ : ٢٣٢) . وانظر الحيوان (٣ : ٤١) .

(٧) الجحش نصب بفعل مضمر ، أى اطلب الجحش ، وهو ولد الحمار قبل أن يفطم . =

« أصبَرُ من عَير أبي سيَّارة »(١) ؛ لأنَّه كان دفعَ بأهْلِ الموسم على ذلك الحمار أربعينَ عامًا .

وقالوا : « إن ذَهَب عيرٌ فعَيْرٌ فى الرِّباط »(٢) . وقالوا فى المديح لصاحب الرأى : « جُحَيش وَحْدِه » ، و « عُيَير وحده » (٣) ، و « العَيْرُ يَضْرِط والمِكواةُ فى النَّار »(٤) ؛ وقالوا : « حمَارٌ يحمل أسفارًا »(٥) ، و « أضلُّ من حمارِ أهله »(٦) ، و « أخزى الله الحِمارَ مالاً لا يُزَكَّى ولا يُذَكَّى »(٧) ، ٩٤
و « قد حِيلَ بين العَيْر والنَّزَوان »(٨) .

= والمثل يضرب لمن يطلب الأمر الكبير فيفوته ، فيقال له اطلب ما دون ذلك . اللسان (جحش) والميدانى (١ : ١٤٩ - ١٥٠) ونهاية الأرب (١٠ : ٩٦) .

(١) انظر الحيوان (١ : ١٣٩) .

(٢) الرباط : حبالة الصائد ، يقال للصائد : إن ذهب عير فلم يعلق فى الحبالة فاقتصر على ما علق . يضرب فى الرضا بالحاضر وترك الغائب . الميدانى (١ : ٢٣) ونهاية الأرب (١٠ : ٩٦) .

(٣) يضربان لمن يعتزل الناس ويستبد برأيه . اللسان (جحش) والميدانى (١ : ٤٢١)

(٤) يضرب للرجل يخاف الأمر فيجزع قبل وقوعه فيه . وأصل المثل فى الميدانى (٢ : ٣٧) بلفظ : « قد يضرط العير والمكواة فى النار » .

(٥) مثل قرآنى ، والأسفار : جمع سفر ، وهو الكتاب . وأصله قوله تعالى « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » ، يعنى اليهود فى تركهم استعمال التوراة وما فيها . والحمار يحمل الكتب وهو لا يعرف ما فيها ولا يعيها . يضرب مثلا للذى يحوز الشىء الجليل ولا يستطيع الانتفاع به ، أو لمن يعلم ولا يعمل بعلمه .

(٦) لم أهتد إلى مرجع لهذا المثل وانظر (١ : ٢٢١) .

(٧) لا يزكى : لا تجب فيه الزكاة ، فإن الحمير والبغال والحملان والفصلان والعجاجيل لا تجب فيها الزكاة . ولا يذكى : من التذكية ، وهى الذبح ؛ فإن الحمار مما لا يحل أكله فى أصح الأقوال . وهذا المثل فى الدميرى (١ : ٣٧٣) بلفظ : « شر المال ما لا يذكى ولا يزكى » قال الدميرى : « أشاروا بذلك إلى الحمار »

(٨) قالوا : أول من قال ذلك صخر بن عمرو أخو الخنساء ، وقد كان طعن فى =

فالذى مُدح به أكثر ؛ فقد وجدنا الحمار أبعدَ صوتاً ، ووجدناه يعرف من أوقات الليل ويميّز عددًا معـلومًا إلى الصبح ، إلاّ أنّ له فى الأسحار فضيلة .

والحمارُ أجهلُ الخلق ، فليس ينبغى للدِّيك أن يُقضَى له بالمعرفة والحمار قد ساواه فى يَسِير[1] علمه ، ثم بايَنَه أنّ الحمار أحسنُ هداية . والدِّيك إن سقط على حائط جارِه لم يُحسن أن يهتدى إلى داره ، وإن خرج مِن باب الدار ضلّ ، وضلالُه من أسفل كضلالِه من فَوق .

(ما روى صاحب الديك من أحاديث فى الديك)

قال صاحب الديك : حدَّثونا عن صالح بن كيسان ، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة ، قال : « صرخَ ديكٌ عندَ النبى صلى الله عليه وسـلم فسبَّه بعضُ أصحابه ، فقال : لا تَسبَّهُ فإنّه يدعُو إلى الصلاة » .

وعن ابن الماجِشُونِ ، عن صالح بن كيسان ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود ، عن يزيد بن خالد الجُهنى : « أنّ رَسولَ الله صلى الله عليه وسلم نَهَى عن سبِّ الديك وقال : إنّه يؤذِّن للصَّلاَة » .

= غزوة فرض حولا ، فلته زوجه وبرمت به ، وأظهرت غدراً ، حتى لقد هم بقتلها ، وطلب السيف ليقطعها فإذا يده لا تقله ، فقال فى ذلك منوها ببر أمه (الميدانى ٢ : ٣٨) والكامل ٧٤٦ ليبسك :

أرى أم صخر لا تمل عيادتى ... وملت سليمى مضجعى ومكانى
فأى امرئ ساوى بأم حليلة ... فلا عاش إلا فى شقا وهوان
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوان

(١) فى ط : « سيد » وتصحيحه من س .

الحسن بن عمارة ، عن عمرو بن مرَّة ، وعن سالم بن أبى الجعد[1] ، يرفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال: « إنَّ ممّا خلق الله تعالى لَديكاً عُرْفُه تحتَ العرش وبَرَاثِنُهُ فى الأرض السُّفلى ، وجَناحاه فى الهواءِ[2] ، فإذا ذهب ثُلثا الليل وبقى ثلثُه ضربَ بجناحه ثم قال : سبِّحوا الملِكَ القُدُّوس ، سُبُّوح قُدُّوس — أىْ أنَّهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ — فعند ذلك تضرِبُ الطَّيرُ بأجنحتها وتصيحُ الدِّيَكة» .

وأبو العلاء عن كَعب : « إنَّ لِلهِ تَعَالَى دِيكاً عنُقُهُ تَحْتَ العرش ، وبراثنهُ فى أسفل الأرَضين ، فإذا صاحت الدِّيكةُ يقول : سبحانَ الملِك القُدُّوس الملِك الرَّحمٰن ، لا إله غيره » . قال : والدِّيَكة أكيسُ شىءٍ

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنَّ الدِّيكَ الأبيضَ صديقى ، وعدوُّ عدوِّ الله ، يحرس دارَ صاحبِهِ وسبعَ دُور » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيِّته معه فى البيت .

ورُوى أنّ أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يسافرون بالدِّيكة .

(ذبح الديك الأفرق)

وزعم أصحابُ التَّجرِبةِ أنَّه كثيراً ما يَرون الرَّجلَ إذا ذبح الدِّيك الأبيضَ الأفرق[3] ، أنَّه لا يزال يُنْكَب فى أهله وماله .

---

(١) فى الأصل : « سالم مولى أبى الجعد » ، صوابه فى تهذيب التهذيب والمعارف ٢٠٠.

(٢) فى الأصل : « الهوى » .

(٣) الأفرق : المفروق العرف .

(كيف تعرف الديك من الدجاجة إذا كان صغيراً)

ومما فى المحاجاة أن يقال : كيف تعرف الدِّيك من الدجاجة إذا كان صغيراً حين يخرجُ من البيضة ؟ فقالوا : يعلَّق بمنقاره ، فإنْ تحرَّكَ فهو ديك وإن لم يتحرَّك فهو دجاجة .

(بعض ما قيل من الشعر فى حسن الدجاجة ونبل الديك)

قال الشاعر[1] فى حُسن الدَّجاجة ونُبل الديك :

٩٥ غَدَوْتُ بشَربةٍ من ذاتِ عِرْقٍ ... أبا الدَّهناء من حَلَبِ العصير[2]
وأُخرى بالعقَنْقَل ثم رُحنا ... نرى العُصفورَ أعظمَ من بَعير
كأنَّ الدِّيكَ دِيكَ بنى نُمير ... أميرُ المؤمنين على السَّريرِ[3]
كأنَّ دجاجَهم فى الدَّار رُقطاً ... بناتُ الرُّوم فى قُمُصِ الحريرِ[4]
فبتُّ أُرَى الكواكبَ دانياتٍ ... يَنَلنَ أناملَ الرَّجُلِ القَصيرِ[5]
أُدافعُهنَّ بالكفَّينِ عنِّى ... وأمسح جانبَ القمر المنير[6]

(١) انظر الشعر فى هذا الجزء ص ٣٥٦ وديوان المعانى (١ : ٣٣٠) ، و (٢ : ١٣٦) ونثار الأزهار ٩٧ ، ونهاية الأرب (١٠ : ٢٢٧) وحماسة ابن الشجرى (٢٧٨) والعقد (٦ : ٣٤٧ لجنة التأليف) .

(٢) ذات عرق : هو الحد بين نجد وتهامة . والحلب : الشراب .

(٣) السرير هنا : عرش الخلافة ، أو هو الملك والإمارة .

(٤) الرقط : جمع رقطاء ، وهى ذات اللون الأسود يشوبه نقط بيض أو العكس . ورواية النهاية والنثار : « وفود الروم » .

(٥) أرادتنا لهن أنامل الرجل القصير ، ففى الكلام قلب . انظر الصاحبى ١٧٣ .

(٦) الرواية فى ديوان المعانى : « وأمسح عارض القمر المنير » .

(طعن صاحب الكلب فى الديك)

وقال صاحب الكلب : الأشياءُ التى تألفُ الناس لا تُريد سواهم كالعصفور والخطَّاف والكلب والسّنورِ . والدِّيكُ ممَّا يتَّخذه الناس ، وليس ممَّا يحنُّ إليهم فيقطَع البلادَ نِزاعًا ، فيكون كالقواطع من الطير التى تريدهم كالخطَّاف ، ولا هو من الأوابد كالعصفور الذى حيثُما دار رجع إليهم ، ولا هو كالكلب الذى [لا[1]] يعرف سواهم ، ولا هو كالأهليِّ من السنانير التى متى ألفِتهم لم تفارقْهم ، وتعُسُّ باللَّيل ، وتطوف فى القبائل من دار إلى دار ثمَّ لا يكون مرجعُها إلاَّ إليهم . والدِّيك فى خلافِ ذلك كلِّه ، ثمّ لا يألف منزله ولا يعرف رَبْعه ، ثم لا يحنُّ إلى دجاجهِ ، ثمَّ لا تتوق نفسُه إلى طَروقته[2] ، ولا يشتاق إلى ولده ، ولا يعرفُ الذين غذَوه وربَّوه ، بل لم يدر قطُّ أنَّ له ولدًا ، ولو كان درَى لكان على درايته دليل ، فإذْ قدْ وجدناهُ لفراريجه وبيضِه المخلوقة منه ومِنْ نجْلِه ، كما نجده لما لم يلدْ ولما ليس مِن شكله أيضًا ولا يرجعُ إلى نسبه ، فكيف لا نقضى عليه بالنَّقص ، إذ كانت الأمور لا تعرف إلاَّ بهذا وشبهه ! ! .

وهو لا يعرف أهلَ دارِه ، ولا يُثبت وجهَ صاحبه الذى لم يُخْلقْ إلاّ عندَه ، وفى ظلِّه وتحتَ جناحه ، ولم يزلْ فى رزقه وعِياله . والحمام ترجع إليه من مائتى فرسخ ، ويُصطاد فيتحوَّل عن وطنه عشْرَ حِجَج ، ثمَّ هو

---

(١) التكملة من س .

(٢) طروقته : أنثاه .

على ثباتِ عهده وقوَّةِ عقْده ، وعلى حِفاظه وإلفه ، والنِّزاع إلى وطنه . فإن[1] وجد فُرجة ووافق جناحَه وافيًا وافاه وصار إليه ، وإن كان جناحُه مقصوصاً جَدَف[2] إلى أهله ، وتكلَّف المضىَّ إلى سكَنه ، فإمّا بَلَغ وإمّا أَعْذَر[3] .

والخُطّاف يقطع إليهم من حيث لا يبلغه خبر ، ولا يطؤه صاحب سفر ؛ على أنّا لا نراه يتّخذ وكرَه إذا صار إليهم إلاّ فى أحصَنِ موضع ،
٩٦ ولا يحمله الأُنْس بهم على ترك التَّحرُّز منهم ، والحزمِ فى مُلابَستهم ، ولا يحمله الخوفَ منهم على منْع نفسه لذّةَ السُّكونِ إليهم ، ولا يبخس الارتفاق بهم حظّه .

والعصافير لا تقيم فى دار إلاّ وهى مسكونة ، فإن هجرها الناسُ لم تُقِمْ فيها العصافير .

(قول صاحب الكلب فى السنّور والهرة)

والسِّنَّور يعرف ربَّةَ المنزل ، ويألف فرخَ الحمام ، ويُعابِث فراريج الدار . إن سُرق ورُبط شهراً عاد عند انفلاتَه ، وانحلال رباطه .

والهِرَّةُ تعرف ولدَها وإن صار مثلَها ، وإن أُطعِمت شيئاً حملته إليه وآثرته به . وربّما أُلقِى إليها الشىءُ فتدنو لتأكلَه ، ويُقبلُ ولدها فتُمسِك

(١) س : « فتى » .

(٢) جدف الطائر : طار وهو مقصوص ، كأنه يرد جناحيه إلى خلفه . ومجدافاه : جناحاه . وفى الأصل : « حذف » وهو تصحيف . وانظر الحيوان (٣ : ٢٢٩).

(٣) أى كان له عذر فى عدم استطاعته الوصول .

عنه ، وترضُّه له . وربّما طُرح لها الشيء وولدها غائبٌ عنها ــ ولها ضروبٌ من النَّغَم ، وأشكالٌ من الصِّياح ــ فتَصيح ضرباً من الصِّياح يعرفُ أهلُ الدَّارِ أنّه صياحُ الدُّعاء لا غير ذلك . ويقال : « أبَرُّ مِنْ هِرَّة[١] » .

ومتى أرادتْ ما يريدُ صاحبُ الغائط ، أتتْ مواضعَ ترابٍ فى زاويةٍ من زوايا الدَّار فتبحثه ، حتَّى إذا جعلتْ له مكانا كهيئة الحفرة جعلَتْه فيها ثمَّ غطّتهُ من ذلك التُّراب ، ثمَّ تشمَّمتْ أعلى ذلك التراب وما ظهرَ منه ، فإنْ وجدَتْ شيئًا من الرائحة زادت عليها تراباً ، فلا تزال كذلك حتّى تعلم أنَّها قد أخفت المرئىّ والمشموم جميعًا . فإنْ هى لم تجدْ تراباً خمَشت وجهَ الأرض ، أو ظَهْرَ السَّطح ، حتَّى تبلغَ فى الحفر المبلغَ ، ومن ستر ذلك المجهودَ[٢] .

وزعم ناسٌ من الأطبَّاءِ أن السِّنَّورَ يعرفُ وحدَه ريحَ رجْعِه ، فإنما يستره لمكان شمّ الفأر لَهُ ، فإنها تفرُّ من[٣] تلك الرائحة . أو يُغطِّيه لما يكون [فيه] من خلُق من أخلاق الأسد[٤] . [و[٥]] مايشاكل فيهِ الأسدَ فى الخُلُق ، على قدر ما يشاكله فى الخَلق . وتعداد ذلك كثيرٌ .

---

(١) قال الدميرى : « أرادوا بذلك أنها تأكل أولادها من شدة الحب لهم » . قلت : ليس ذلك أرادوا ، وإنما عنوا مابها من خلة الإيثار لولدها على نفسها كما هنا . والدميرى تبع فى قوله مافى أمثال الميدانى (١ : ٤٥١) فى كلامه على « أعق من ضب » ، ومثله لابن قتيبة فى عيون الأخبار (٢ : ٧٢) . وانظر الحيوان (١ : ١٩٦) .

(٢) أى وحتى تبلغ غاية جهدها فى ستر ذلك .

(٣) فى الأصل : « إلى » ، ووجهه ما أثبت . والفأر : جمع فأرة ، وضمير « تفر » راجع إليها .

(٤) فى الأصل : « وتغطيه لما يكون من خلق من أخلاق الأسد » .

(٥) تكملة يحتاج إليها الكلام .

(سُلاح الديك)

والدِّيكُ لا تراه إلاَّ سالحًا ، ثمَّ لا يتوقَّى ثوبَ ربِّ الدار ولا فِراشه ولا بِساطه . هذا ، وحياتَه التُّراب ، ولذا[1] يدفن نفسَه فيهِ ، ويُدخله فى أصولِ ريشهِ .

ثمَّ لا ترى سُلاحًا أنتن من سُلاحهِ[2] ، لا يشبه ذَرْق الحمام ، وصَوْم النَّعام ، وجَعْر الـكلب . ثم مع ذلك لا تراه إلاّ سائلاً رقيقًا . ولو كان مُدَحرَجًا كأبعار الشاء والإبل والظباء ، أو متعلقًا[3] يابسًا كجَعْر[4] الـكلب والأسد ، ثمَّ لو كان على مقدار نتنه لـكان أهونَ فى الجملة .

وقال أبو نُواسٍ فى ديكٍ بعض أصحابه :

آذيتَنا بديكِكَ السَّلاّحِ فنجِّنا مِنْ مُنْتِنِ الأرْوَاحِ[5]

(استخدام الخناقين للـكلب)

وقال صاحب الـكلب : ومن مَرافق الـكلب أنّ الخنَّاقين[6] يظاهر
٩٧ بعضُهم بعضًا ، فلا يكونون فى البلاد إلاّ معًا ، ولا يسافرون إلاّ معا ؛

---

(١) فى الأصل : « ولم » .
(٢) فى الأصل : « منه » . والسلاح بالضم : النجو .
(٣) فى الأصل : « ومتعلقا » .
(٤) فى الأصل : « كبعر » ، تحريف .
(٥) الأرواح هنا : جمع ريح .
(٦) الخناقون هم من المنصورية ، أصحاب أبى منصور الـكسف الذى كان قال لأصحابه : « فى نزل قوله تعالى : وإن يروا كسفا من السماء ساقطا » . والمنصورية من الروافض ، انظر خبرهم فى عيون الأخبار (٢ : ١٤٧) وتأويل مختلف الحديث (٨٦) ، والحيوان أيضاً (٦) والعقـد (١ : ٣٥٠) . وانظر المقارنة بينهم وبين اليهود فى العقد (١ : ٣٥٣) . وتعليل لجوئهم إلى هذا الضرب من القتل فى الفصل (٤ : ١٨٥) .

فربّما استولَوا على دربٍ بأسْره ، أو على طريقٍ بأسره . ولا ينزلون إلاّ فى طريق نافذ ، ويكون خلف دُورهم : إما صحارى وإمّا بساتين ، وإما مزابِلُ وأشباهُ ذلك . وفى كلّ دارٍ كلابٌ مربوطة ، ودُفوف وطُبول . ولا يزالون يجعلون على أبوابهم معلّمَ كُتّابٍ منهم ، فإذا خنق أهلُ دارٍ منهم إنسانًا ضربَ النِّساءُ بالدُّفوف ، وضربَ بعضهم الكلابَ فسمع المعلِّم فصاحَ بالصِّبيان : انبَحُوا ! وأجابهم أهْلُ كلِّ دَارٍ بالدفوف والصُّنوج ، كما يفعل نساءُ أهْلِ القرى ، وهَيَّجوا الكلاب . فلو كان المخنوقُ حمارًا لما شعَر بمكانه أحد[1] ، كما كان ذلك بالرَّقَّة .

و [انظرْ[2]] كيف أخذُوا أهْلَ دَرْبٍ بأسره ! ! وذلك أنّ بعضهم رغِب فى ثُوَيب كان على حمّال ، وفيهِ دريهمات معَهُ ، فألقى الوَهَق[3] فى عنقهِ فغُشى عليهِ ولم يمتْ ، وتحرَّك بطنهُ فأتى المتوضَّأ وتحرَّك الحمَّال والسَّاجور[4] فى عنقهِ ، فرجَعت نفْس الحمال ، فلمّا لم يحسّ بأحَدٍ عندَه ، قَصَدَ نحوَ باب الدار ، وخرج وزِيارةُ[5] فى عنقهِ ، وتلقّتهُ جماعَتُه[6] فأخبرهم الخبر ، وتصايح النَّاس فأُخِذوا عن آخرهم .

---

(١) الحمار أجهر الحيوان صوتا .

(٢) زدتها ليستقيم الكلام .

(٣) الوهق : حبل مفتول يرمى فيه أنشوطة ، فتؤخذ به الدابة . والأنشوطة : عقدة تمد بأحد طرفيها فتنحل .

(٤) الساجور : أصله القلادة أو الخشبة توضع فى عنق الكلب .

(٥) الزيار : — هو فى الأصل — شناق يشد به البيطار جحفلة الدابة . وما أثبت من س . وفى ط : « وزيادة » ، وهو تحريف ما فى س .

(٦) فى ط : « جماعة » وأثبت ما فى س .

(بعض الخبر والشعر فى الخناقين)

وقد كان بالكوفة شبيهٌ بذلك ، وفى غيرها من البلدان . فقال حمادٌ الرَّاويةُ ، وذكر المرميِّين بالخنق من القبائل وأصحاب القبائل والنِّحَل ، وكيف يصنع الخُنَّاق ، وسمَّى بعضَهم فقال :

إذا سرتَ فى عِجْلٍ فسِرْ فى صَحابةٍ ... وكِنْدَةَ فاحْذَرْها حِذارَكَ للخَسْفِ
وفى شيعة الأعمى زيار[1] وغِيلَةٌ ... وقَشْبٌ وإعمالٌ لجَنْدلة القَذْفِ[2]
وكلُّهم شَرٌّ عَلَى أنَّ رأسَهم ... حميدةُ والميلاءُ حاضِنَةُ الكِسْفِ[3]
متى كنتَ فى حَيَّىْ بَجِيلَةَ[4] فاستمعْ ... فإنَّ لهم قَصْفًا يدُلُّ على حَتْفِ[5]
إذا اعتزموا يومًا على خنقِ زائرٍ ... تداعَوْا عَلَيْهِ بالنُّباح وبالعزفِ[6]

---

(١) فى الأصل وكذا فى عيون الأخبار (٢ : ١٤٧) : « زياد » ، وصوابه ما أثبت وانظر التنبيه الخامس من الصفحة السابقة .

(٢) القشب : خلط السم بالطعام ، ويقال قشبه : سقاه سما . والجندلة : واحدة الجندل ، وهو الحجارة . وفى الأصل : « وأعمال محذلة القذف » ، وفى الحيوان (٦ : ١٢٩) حيث يكرر هذا الشعر : « وأعمال لخندلة القذف » ، وتصحيحه من عيون الأخبار . وكان من هؤلاء المنصورية من يشدخ رءوس الناس بالحجارة وهم الشداخون ، كما سماهم ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث (٨٧) .

(٣) فى الحيوان (٦ : ٣٩٠) : « وأما حميدة فكانت من أصحاب ليلى الناعظية ، ولها رياسة فى الغالية » . قلت : وقد عد الجاحظ « ليلى » هذه فى البخلاء (ص ٣١) . والكسف هو – كما سبق – أبو منصور صاحب المنصورية ، وكانت الميلاء حاضنته . وفى الأصل : « والميلا وصاحبة الكسف » وهو تحريف صوابه فى الحيوان (٦ : ٣٨٩) وعيون الأخبار .

(٤) ط : « حيى بجيلية » س : « حى بجيلة » وكلاهما تحريف ما أثبت من المرجعين المتقدمين . قال ابن قتيبة : « كان المغيرة بجليا ، مولى لهم » .

(٥) أى صوتا مدوياً يدل على هلاك ، وكانوا يدقون الدفوف والطبول ويحدثون ضروبا من الجلبة ، ليستروا أمرهم ، كما تقدم فى الصفحة السابقة .

(٦) س : « بالعرف » وتصحيحه من ط والمرجعين السابقين .

وأمَّا ذِكره لبنى عجل فلمكان ذى الضفرتين وغيره من بنى عجل .

وأمَّا ذكره كِندة ، فقد أنشدنا سُفيان بن عيينة ، وأبو عبيدة النحوىّ :

إذا ما سرَّك العيشُ فلا تأخذ عَلَى كِنْدَه(١)

ومن كِندة أبو قصبة(٢) أُخذ بالكوفة وقُتِل وصُلب .

وكان بالكوفة ممَّن يأكلُ لحومَ النَّاس عَدِيَّةُ المدَنية الصُّفراء(٣) . وكان بالبَصرة رَادَوَيه صاحب قصاب رادويه .

وأمَّا الأعمى فى بنى ضبَّة الذى ذكره فهو المُغيرة بن سعيد صاحب ٩٨
المُغِيريَّة ، وهم صِنْفٌ ممَّن يعمل فى الخنق بطريق المنصوريَّة(٤) .

والمغيرة هذا من موالى بَجيلة ، وهو الخارج عَلَى خالد بن عبد الله القَسْرِىّ ، وعِند ذلك قال خالد وهو عَلَى المنبر(٥) : أطعِمُونى ماءً !

وفى ذلك يقول يحيى بن نوفل(٦) :

---

(١) كذا فى الأصل وعيون الأخبار . وفى الحيوان (٦ : ٣٨٩) : « فلا تمرر » .

(٢) فى الجزء السادس من الحيوان : « أبو قطنة » وفى عيون الأخبار : « أبو قطبة » . وفى البخلاء (٩٥) من يدعى « أبو قطبة » فلعله هو .

(٣) فى الأصل : « الصغرى » وأثبت ما فى الجزء السادس من الحيوان .

(٤) وقد أخذه خالد بن عبد الله فقتله وصلبه بواسط . عيون الأخبار (٢ : ١٤٨) .

(٥) وعند ذلك : أى عند خروجه عليه . وقد تبدو هذه العبارة غريبة ، ولكنها صحيحة ، مثلها فى الحيوان (٦ : ٣٩٠) : « ومن أجل خروجه عليه قال : أطعمونى ماء » .

(٦) فى الأصل : « بحر بن نوفل » وإنما هو « يحيى » كما فى الجزء السادس من الحيوان والبيان فى مواضع متعددة ، وقد قال يحيى فى خالد — غير الشعر الآتى — (البيان ١ : ١١٢) .

بل السراويل من خوف ومن وهل واستطعم الماء لما جد فى الهرب
وألحن الناس كل الناس قاطبة وكان يولع بالتشديق فى الخطب

ومن العجيب فى أمر خالد هذا أنه كان بليغا من الأبيناء ، وهو كذلك من رماهم الناس باللحن وكثرة الخطأ . (البيان ٢ : ٢٢٠) .

وقلتَ لِما أصابَك أطعِمونى شراباً ثمَّ بُلْتَ عَلَى السَّرِير
لأعــلاجٍ ثمانيــةٍ وشَيْـخٍ كَبيرِ السِّنِّ ذى بَصرٍ ضرير[1]

وأما حميدة فقد كانت لها رياسة فى الغالية ، وهى ممَّن استجاب لليلى السبائية[2] الناعِطية[3] ، والميلاءُ[4] حاضِنة أبى منصور[5] صــاحب المنصوريَّة ، وهو الكِسْف . قالت الغالية : إيَّاه عَنَى اللهُ تبارك وتعالى ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّماءِ ساقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ . وقد ذَكَرَه أبو السرِىّ مَعْدَانُ الأعمى الشُّمَيطى[6] فى قصيدته التى صنَّف فيها الرَّافضة ثمَّ الغالية ، وقدَّم الشُّميطيَّة[7] عَلَى جميع أصناف الشيعة[8] ، فقال :

---

(١) الشعر يروى بروايات مختلفة عند الجاحظ فى البيان (٢ : ١٩٣) و (٣ : ١٢٢) والحيوان (٦ : ١٣٠) . ويروى قبل البيت الثانى :

وكنت لدى المغيرة عير سوء تصول من المخافة للزئير

والمغيرة هو الأعمى صاحب المغيرية ، وإياه عنى بقوله : « وشيخ كبير السن ذى بصر ضرير » .

(٢) ط : « الشبابية » س : « السبابة » والصواب ما أثبت . يقال سبائية وسبئية كما فى اللسان ، نسبة إلى عبد الله بن سبأ ، وهم فرقة من الغلاة .

(٣) فى البخلاء ٣١ : « الباعطية » .

(٤) فى الأصل : « والميلى » ، وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : « صاحبة أبى منصور » .

(٦) فى الأصل : « السميطى » وصوابه ما أثبت . وانظر التنبيه الآتى .

(٧) الشميطية : فرقة من الشيعة الإمامية الرافضة ، نسبت إلى أحمر بن شميط ، وكان صاحب المختار ، وقد قتلهما معا مصعب بن الزبير . انظر الفرق ٣٦ ، ٣٩ ومفاتيح العلوم ٢٢ وكامل المبرد ٦٤٣ ليبسك ، والملل والنحل (٢ : ٣) .

(٨) قد روى الجاحظ فى البيان (١ : ٢٣) ثلاثة أبيات أخرى من هذه القصيدة ، وفى (٣ : ٧٥) بيتين آخرين وفى (٣ : ٣٥٦) ستة أخر .

إنَّ ذا الـكِشْفَ صَدَّ آل كُمَيلٍ وكُمَيْلٌ رَذْلٌ من الأَرْذالِ[1]
تركا بالعــراق[2] داءً دويّا ضَــلَّ فيــه تلطُّفُ المحتــالِ
منهم جاعــلُ العَسيبِ إماماً وفريقٌ يرض زَنْد الشِّمال
وفريقٌ يقــول إنَّا براءٌ مِن عَلِيٍّ وجُنْــدُبٍ وبِلاَلِ[3]
وبرَاءٌ مِنَ الذى سَــلَّمَ الأَمْـ رَ عَلَى قــدرةٍ بغير قتــال[4]
وفريقٌ يدين بالنصِّ[5] حَتْماً وفريقٌ يدِينُ بالإهمـــال

لأَنَّ الـكميليَّة لا تجيز الوَكالة فى الإمامة ، وتقول لابُدَّ من إمَامٍ صامتٍ أو ناطِقٍ ، ولا بدَّ من عَلَم يمدُّ الناسُ إليهِ أعْناقَهم . وأبو منْصُورٍ يقولُ بخلاف ذلك .

وأمَّا قوله :

وفى شِيعة الأعمى زِيارٌ[6] وغيلة وقشب وإعمالٌ لجَنْدَلَةِ القَذْفِ[7]

---

(١) فى الأصل : « زول من الأزوال » وصوابه ما أثبت ، كما فى الحيوان (٦ : ٣٩١) حيث أعيد هذا الشعر . والرذل : الدون الخسيس . وأما الزول فهو الخفيف الظريف الفطن ، وليس هذا مرادا .

(٢) فى الأصل : « بالعراء » ، وتصحيحه من الجزء السادس من الحيوان .

(٣) جندب هذا هو ابن زهير بن الحارث ، كان مع على بصفين ، وكان على الرجالة يومئذ ، وكان هو والأشتر أقوى رجلين من أصحاب على فى يوم الجمل . انظر الإصابة ١٢١٤ .

(٤) قالوا : إن عليا كفر إذ سلم الأمر إلى أبي بكر ثم عمر ثم عثمان . (الفصل ٤ : ١٨٣) .

(٥) النص ، أى النص على الإمام ، بأن ينص كل إمام على الإمام الذى يخلفه . انظر الفرق ص ٤٥ . وفى الأصل : « بالنصر » وهو تحريف . وانظر الكلام على (النص) فى الملل والنحل (١ : ٢٢٣) .

(٦) فى الأصل : « زياد » . وانظر التنبيه الخامس من (ص ٢٦٥) .

(٧) فى الأصل : « مجزلة القذف » . وانظر التنبيه الثانى من (ص ٢٦٦) .

فقد قال مَعْدان :

حبشىٌّ وكافر سبيـانى حَربىٌّ وناسخ قَتَّـالُ[1]

تلك تيميَّةٌ وهاتيك صمت[3] ثمَّ دين المغـيرة المغتـالِ

خنق مرَّةً وشَمٌّ بخـار ثمَّ رضْخٌ بالجندَلِ المتوالى[4]

لأَنَّ من الخنّاقين من يكون جامعاً ، وبذلك يسمُّونه إذا جمعَ الخنْق ٩٩
والتشميم ، وحمل معـه فى سَفَرِهِ حَجَرَين مستديرين مُدمْلَكين وململمين فإذا خلاَ برجلٍ من أهل الرُّفقة استدبره فرَمى بأحدهما قَمَحْدُوَتَه[5] ، وكذلك إن كان ساجداً . فإن دمغه الأَوّل سلبَهُ ، وَإنْ هُوَ رفَعَ رأسَهُ طبَّق بالآخر وَجْهَهُ . وَكذلك إنْ ألفاه نَا ئمـا أو غافلاً .

ولقد صَحِبَ منهم نَاسٌ رجلاً خرج من الرَّىّ ، وفى حَقوه هِمْيَانٌ[6] ، فكان لاَ يفارق مُعْظَمَ النَّاس ، فلمَّا رأوهُ قد قَرُب مِنْ مفرِق الطَّريقين ، ورأوا احْتراسَهُ ، وهم نزولٌ إمَّا فِى صحراء وَإمَّا فِى بَعْضِ سُطوحِ الخانَات ، والنّاس مُتشاغلون بأمُورهِمْ ، فلم يشعُرْ صاحِبُ الهِمْيان نهاراً والنّاس حَوْلَهُ إلاّ والوَهَقُ[7] فى عنقِهِ ، وطرحَهُ الآخر حين ألقاه فى عنقهِ ، ووَثَبَ إليهِ وجلَسَ علَى صَدره ، ومَدَّ الآخَر برجْليهِ وألقى عليهِ ثَوْباً وأذَّنَ فِى أذُنهِ

(١) كذا . وفى البيت إقواء . و « حبشى » لعلها « خشبى » . والخشبية : فرقة من المنصورية يقتلون بالخشب فقط . الفصل (٤ : ١٨٥) ومفاتيح العلوم ص ٢١.
(٢) كذا .
(٣) ط : « وشنق » ، ولعلها « نشق » ، وأثبت ما فى س .
(٤) انظر التنبيه الثانى من (ص ٢٦٦) .
(٥) القمحدوة : الهنة الناشزة فوق القفا وأعلى القذال خلف الأذنين ، وإصابة هذا الموضع قاتلة .
(٦) الهميان : وعاء للدراهم يشد إلى الوسط .
(٧) الوهق مر تفسيره فى (ص ٢٦٥) .

فقام إليهم بعضُ أهل الرُّفقة كالمعين والمتفجِّع ، فقالوا له : مكانَك ؛ فإنّه إنْ رآك خجِل واستحَى . فأمسك القومُ عنهم ، وارتحل القوم ، وأعجلوا بصاحبهم ، فلمّا خَلَوا به أخذوا ما أحَبُّوا ، وتركوا ما أحَبُّوا ، ثمّ حملوه عَلَى أيديهم ، حتى إذا برزوا رمَوه فى بعض الأَودية .

(شعر أعشى همدان فى السبئية)

وقد ذكر أعشَى هَمْدانَ السَّبئيَّةَ[١] وشأنَهم فى كرسىِّ المختار[٢] :

شهِدتُ عليكم أنّكم سبَئيَّة[٣] وإنِّى بكم يا شُرْطَةَ الكُفْر عارفُ
وأُقسِمُ ما كرسيُّكم بسَكينةٍ وإنْ كانَ قد لُفَّتْ عليهِ اللفائف
وأنْ لُبِّسَ التّابُوتُ فُتْناً وإن سَمتْ حمامٌ حواليهِ وفيكم زخارف[٤]
وإنِّى امرؤٌ أحببتُ آلَ محمّدٍ وآثَرْتُ وَحْياً ضُمِّنَتْهُ المصاحِفُ

---

(١) فى الأصل : « السبيلية » ، وصوابه ما أثبت . والسبئية : فرقة من غلاة الرافضة. قال صاحب الفرق بين الفرق (ص ٣٤) : « ثم إن المختار خدعته السبئية الغلاة من الرافضة فقالوا له : أنت حجة هذا الزمان ! وحملوه على دعوى النبوة ، فادعاها عند خواصه ، وزعم أن الوحى ينزل عليه وسجع . . . » . وقال (ص ٣٥) : « واجتمعت السبئية إليه مع عبيد أهل الكوفة . . . » .

(٢) المختار هذا هو ابن أبي عبيد الثقفى ، وكان أبوه من خيار الصحابة ، استشهد يوم الجسر فى خلافة عمر (لسان الميزان ٦ : ٦) . وكان يقال للمختار « كيسان » وإليه تنسب فرقة « الكيسانية » من الرافضة ، أو هو أخذ المقالة من كيسان مولى على وقد قام بثأر الحسين بن على وقتل أكثر الذين قتلوا حسينا بكربلاء . انظر أخباره وآراءه فى الفرق بين الفرق (ص ٢٦ – ٢٧) والملل والنحل (١ : ١٩٧) . والطبرى (٧ : ١٤١) وابن الأثير (٤ : ١٠٩) . قتل المختار سنة ٦٧ .

(٣) فى الأصل : « سبلية » ، تحريف .

(٤) انظر الكلام على هذا البيت فى الاستدراكات

وإن شاكراً طافتْ به وتمسَّحَتْ بأعواد ذاوٍ دبرت[1] لا تساعف
ودَانَتْ بِهِ لابن الزُّبيرِ رقابُنــا ولا غَبْنَ فيها أو تُحَزُّ السَّوالِفُ
وأحسبُ عُقباها لآلِ محمَّــدٍ فيُنْصَرُ مَظلومٌ ويأمنَ خائفُ
ويجمَعُ ربى أُمَّــةً قَدْ تَشَتَّتَتْ[2] وهاجتْ حُروبٌ بينَهُمْ وحَسَائِفُ

أبو عبيدة : الحسيفة[3] الضغينة ، وجمعها حسائف .

(من قتل نفسه بيده)

وما أكثر من قتل نفسَهُ بيده ، إمَّا لخوف المُثْلة ، وإمَّا لخوف التعذيب والهوان وطولِ الأَسر .

١٠٠ وقد كان الحكمُ بن الطُّفيل، أخو عامر بن الطفيل، وأصحابُه خنَقُوا أنفسَهم في بعض الأَيام[4] ، فعُيِّروا بذلك تعييراً شديداً ، فقال خُراشــة ابن عامر بن الطفيل :

وقُدْتَهــم للموت ثُمَّ خَذَلْتَهُمْ فَلاَ وألتْ نفسٌ عليك تحاذرُ[5]
فهلْ تَبلِغَنِّى عامراً إنْ لَقِيتَه أَسَلِّيتَ عن سلمان أم أنتَ ذاكرُ

(١) كذا . وفي س : « بأعواد داود برت » .
(٢) ط : « تشتت » : وتصحيحه من س .
(٣) ط : « الحسيفية » ، وتصحيحه من س .
(٤) هو يوم ساحوق كما في الكامل لابن الأثير (١ : ٣٩٤) . وانظر العقد الفريد (٣ : ٣١٨) .
(٥) وألت : نجت .

فإنَّ وراءَ الحيِّ غِزْلانَ أيْكةٍ مُضَمَّخَةً آذانُها والغدائرُ(١)

وإنَّكم إذ تخنُقون نفوسَكم لكمْ تحتَ أظْلالِ العِضاهِ جرائرُ

وقال عُروة بن الوَرد في يوم ساحوق(٢) ، ويذكر خنق الحكم بن الطُّفيل وأصحابِه أنفسَهم ، فقال :

ونحنُ صبَحْنا عامراً في ديارِها عُلالَةَ أرماحٍ وعَضْبا مُذَكَّرا(٣)

بكلِّ رقيقِ الشَّفْرتين مُهَنَّدٍ ولَدْنٍ من الخَطِّيِّ قد طَرَّ أسمَرَا(٤)

عجِبت لهم إذ يخنُقُون نفوسَهم ومَقْتَلُهمْ عند الوغَى كانأعذرا(٥)

يَشُدُّ الحليمُ منهم عَقْدَ حبله(٦) ألاَ إنَّما يأتي الذي كان حُذِّرَا(٧)

---

(١) الغدائر : جمع غديرة ، وهي الذؤابة .

(٢) هو يوم لبني ذبيان على بني عامر . انظر تفصيله في كامل ابن الأثير .

(٣) صبحوهم علالة الأرماح : سقوهم وأشبعوهم طعنا بالرماح . العضب المذكر : السيف القاطع .

(٤) س : « لكل » والوجه ما في ط وابن الأثير والديوان ٩٧ ، والرواية في الأخيرين « بكل رقاق الشفرتين » . والرقاق ، بضم الراء ، هو الرقيق ، واللدن : اللين . والخطي : الرمح منسوب إلى الخط : أرض بالبحرين . قد طر : قد سن . أسمر ، نضجت قناته في منبتها ويبست فاكتسبت هذا اللون .

(٥) أي كانوا ذوي عذر بين ، لو أنهم جاهدوا في الحرب وقتلوا ، أما الآن فليس لهم عذر بين الرجال في خنقهم أنفسهم . ورواية العقد (٣ : ٣١٨) : « كان أجدرا » .

(٦) في الأصل : « اشد الحليم منهم عقد حلة » ، وهو تصحيف ما أثبت من الديوان وخزانة الأدب (٤ : ٢١٨ بولاق) . وإنما يشد عقد الحبل ليتعجل خنق نفسه .

(٧) أي إنما يأتي الذي كان حذر منه وهو الموت . وفي الأصل : « ألا يأتي الأمر الذي كان أعذرا » ، وأثبت ما في الديوان والخزانة .

(رثاء أبي زبيد الطائى كلبا له)

وقال أبو زُبَيْدٍ(١) فى كلبٍ لَهُ ، كان يُساور الأسدَ ويمنعه من الفساد ، حين حطمه(٢) الأسد ، وكان اسمه أكدر ، فقال :

أخَال أكْدَرُ مختالا كعادتِه(٣) حتى إذا كان بينَ الحَوْضِ والعَطَنِ(٤)

لاقى لَدَى ثُلَلِ الأطْوَاءِ داهِيَةً(٥) أسْرَتْ وأكدَرَ تحتَ الليل فى قَرَنِ(٦)

---

(١) فى الأصل : « أبو زيد » وإنما هو « أبو زبيد » كما فى الأغانى (١١ : ٢٤) ومعجم الأدباء (١٠ : ٢٠٠) وهو أبو زبيد الطائى . واسمه حرملة بن المنذر وهو شاعر معمر عاش خمسين ومائة سنة — فيما زعموا — وعداده فى المخضرمين ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، ومات نصرانيا ، وكان عثمان بن عفان يقربه ويدنى مجلسه . واشتهر أبو زبيد بكثرة وصفه للأسد وتجويده فى ذلك ، وقد نعته نعتا طويلا عجيباً فى مجلس عثمان (الأغانى ، والمعجم) فلما أطال قال له عثمان : اسكت قطع الله لسانك ، فقد أرعبت قلوب المسلمين ! ! . ومن طريف مايروى فى أمر كلبه « أكدر » أنه كان قد أعد له سلاحا يلبسه إياه ، فيمتنع على الأسد ولا يقوم له . وفى الليلة التى قتل الأسد فيها الكلب ، كان الكلب قد خرج ولم يلبس سلاحه ، فتمكن منه الأسد .

(٢) س : « حطه » ، وتصحيحه من ط .

(٣) أخال ، لعله يريد مشى فى اختيال ، والرواية فى المعجم : « أحال أكدر مشيا لا كعادته » وفى الأغانى : « أحال أكدر مشيا لالعادته » . وفى البغال ٣١١ : « فجال أكدر مشتالا كعادته » .

(٤) الرواية فى الأغانى والمعجم والبغال « بين البئر والعطن » . والعطن : مبرك الإبل حول الحوض .

(٥) الثلل : جمع ثلة بالفتح ، وهو ما أخرج من تراب البئر . والأطواء : جمع طوى كغنى ، وهوالبئر المطوية بالحجارة . وما أثبت هو رواية الأغانى والمعجم وفى الأصل : « لاقى الذى جلل الأطواد داهية » .

(٦) يقول : سرت الدهية مع أكدر فى قرن واحد ، والقرن : الحبل . وقد أثبت رواية الأغانى والمعجم . وفى الأصل : « أشوت وأكدر تحت الليل فى قرن ،

حطَّتْ بِهِ سُنَّةٌ ورْهاءُ تَطْرُدُه(١) حتَّى تَنَاهى إلى الأهوال فى سَنَنِ(٢)
إلى مُقاربِ خَطْوِ الساعِدَينِ(٣) لَهُ فوقَ السَّراةِ كَذِفرَى القارحِ الغَضِنِ(٤)
رِيبالُ ظَلْماءَ(٥) لاقَحْمٌ(٦) ولاضَرَعٌ كالبغل خطَّ به العجلان فى سكن(٧)
فأسرَيا وهما سنَّا هومهما إلى عرين كَعُشِّ الأرمَل اليَفَنِ(٨)
هـذا بما علقت أظفاره بهم وظنٌّ أكدَرَ غيرُ الأَفْنِ والحَتَنِ(٩)

---

(١) يقول : دفعت به خطة حمقاء جعلت تسوق به . ورواية الأغانى : « حطت به شيمة ورهاء تطرده » والشيمة فى معنى الطبيعة . ويتجه المعنى بها أيضا . ورواية المعجم : « حفت به شيمة ورهاء تطرده » .

(٢) رواية الأغانى والمعجم : « حتى تناهى إلى الجولان . . . » . والجولان بفتح الجيم : التراب . وفى الأغانى : « فى السنن » .

(٣) فى الأغانى والبغال : « إلى مقابل خطو الساعدين » . وفى المعجم : « إلى مقابل فتل الساعدين » .

(٤) السراة ، بالفتح : الظهر ، وأعلى كل شىء . والذفرى : ما بين المقذ إلى نصف القذال . والمقذ : ما بين الأذنين من خلف . والقذال : القفا . والذفرى أيضاً : العظم الشاخص خلف الأذن . وأرى أبا زبيد أراد المعنى الأول . و « القارح » : الفرس فى سن الخامسة . والرواية فى الأغانى والمعجم : « كذفرى الفالج القمن » ، وفى البغال : «الفالج الغضن» . والفالج : البعير ذو السنامين . والقمن : السريع .

(٥) ط : « ظلمى » ، وصوابه فى س . وبدله فى الأغانى والمعجم والبغال : « غاب فلا » .

(٦) فى الأصل : «فخم » ، وهو تحريف تصحيحه من الأغانى والمعجم . والقحم : الكبير السن ، يقابله الضرع ، بالتحريك ، وهو الصغير السن . ومثله قول لقيط الإيادى :

حتى استمرت على شزر مريرته مستحكم الرأى لاقحما ولا ضرعا

(٧) كذا . وفى البغال : « حطمن المحلين فى شطن » وفى المعجم « كالفيل يختطم الفحلين فى شطن » . وفى الأغانى : « كالبغل يختطم العجلين فى شطن » ! وإلى هنا تنتهى الرواية فى الأغانى والمعجم .

(٨) فأسريا ، يعنى الأسد والكلب . وسنا هومهما : وجها همهما . وفى س : « وهما مبنا هومهما » ، محرف . والأرمل : الفقير المحتاج ، أو العزب . واليفن : الشيخ .

(٩) بهم لعلها « نهم » . والأفن : ضعف الرأى . والحتن : الباطل ، وحرك التاء للشعر . وفى الأصل : « الأمن والحسن » .

حتّى إذا ورد العِرزالَ وانتبهت   لحِسِّهِ أمُّ أجْرٍ ستّةٍ شُزُنِ (١)
بادٍ جناجِنُها حصّاء قد أفلت   لهن يبهرن تعبيراً عَلَى سدن (٢)
وظنَّ أكدرُ أن تموا ثمانية   أن قد تجلَّل أهلُ البيت باليُمُنِ (٣)
١٠١ فخافَ عزّتهمْ لما دنا لهمُ   فحاص أكدَرُ مشفيًّا من الوَسَنِ (٤)
بأربَع كلُّها فى الخلق داهية (٥)   غُضُفٍ عليهنّ ضافى اللحم واللبن (٦)
ألفاه متّخِذَ الأنيابِ جُنَّتَه   وكانَ باللّيلِ وَلاَّجًا إلى الجُنَنِ

(رثاء أعرابى شاة له أكلها ذئب)

وقال صاحب الكلب : قال أعرابىٌّ وأكل ذيبٌ شاةً لَهُ تسمّى وردة ، وكُنْيَتها أم (٧) الوَرد :

---

(١) العرزال : عريسة الأسد ومأواه . وفى الأصل : « الغروال » ، تحريف. أجر : جمع جرو ، وأم أجر عنى بها اللبؤة . شزن : جمع شزن ، بالتحريك ، وأصله الغليظ من الأرض. والشطر الثانى من البيت فى ط : « لحسنه أن إحدى سنه سدن » وفى س : « لحسنه أم أحر سنه سدن » وأصلحته بما ترى .

(٢) ط : « بادى جناحهما » س : « باد جناحها » والصواب ما أثبت . والجناجن : عظام الصدر . مفردها جنجن وجنجنة ، بكسرهما ويفتحان . والحصاء : القليلة الشعر . وباقى البيت محرف .

(٣) يقول : قد حسب أكدر – لتمام عدد هذه الفرائس ثمانية – أنه بصيدها يجلب لأهله نعيما وعزا . وتجلل : اكتسى . واليمن : جمع يمنة ، كغرفة وهو ضرب من برود اليمن . والبيت فى الأصل هكذا :

أتين أكدرا أن تموا ثمانية   أن قد تحلل أهل البيت باليمن

(٤) س : « فخاف غرتهم » . وحاص : جال جولة يطلب المهرب والمحيص .

(٥) فى هامش س : « آمنة » رواية فى « داهية » .

(٦) كذا .

(٧) فى الأصل : « وردة » ، والوجه ما أثبت ، كما فى الشعر الآتى .

أودَى بِوَرْدَةَ أمِّ الوَردِ ذُو عَسَل   من الذئاب إذا ماراحَ أو بَكَرَا
لولا ابنُها وسَليلاتٌ لهــا غرُرٌ   ما انفكَّت العَيْنُ تَذْرِى دَمْعها دِرَرَا
كأنَّما الذِّئبُ إذ يَعْدُو عَلَى غَنَمى   فى الصُّبحِ طالبُ وِترٍ كانَ فاتَّأَرا
اعتامَها اعتامَهُ شَثْنٌ براثِنهُ   من الضَّوارِى اللَّواتى تقصِمُ القَصَرَا[١]

قال : فى هذا الشعر دَليلٌ أنَّ الذِّئب إنَّما يعدو عليها مع الصبح ، عند فُتورِ الكلْب عن النُّباح ؛ لأنَّه باتَ ليلَته كلَّها دائباً يقظانَ يحرُس ، فلمَّا جَاءَ الصُّبحُ جاءَ وَقتُ نَوْم الكلاب وما يعتريها من النُّعاس . ثم لم يَدْعُ[٢] اللهَ عَلَى الذِّئبِ بأن يأكله الأَسدَ حتَّى يختاره ويعتامه ، إلاَّ والأَسدُ يأكل الذئاب ، ويختار ذلك . وإنَّما استطابَ لحمَ[٣] الذِّئبِ بفضل شهوتِهِ للحم الكلب .

(قول صاحب الديك فى إجازة الشعراء بالدجاج)

وقال صاحب الدِّيك : لم نر شريفاً قَطُّ أجازَ شاعراً بكلْب ، ولا حَبا بِهِ زائرا ، [و][٤] قد رأيتَهم يجيزون الشُّعَرَاء بالدَّجاج . وأعْظَمُ من

(١) سبق شرح هذه الأبيات فى ص ٢٠٣ من هذا الجزء .
(٢) ط : « يدعوا » ، س : « يدعو » ، والوجه ما أثبت .
(٣) فى الأصل : « لهم » .
(٤) من س .

ذلك أن لقيمَ الدَّجَاجِ(١) ، لما قال فى افتتاح خيبر ، وهو يعنى النبى صلى الله عليه وسلم :

رُمِيَتْ نَطاةُ(٢) من النبيِّ بفَيْلَقٍ شهْباءَ ذاتِ مَناكِبٍ وفَقَارِ(٣)

وهَب لَهُ دَجاج خَيبَر عن آخرها . رواه أبو عمرو(٤) ، والمدائنى عن صالح بن كَيْسان ، ولتلك الدَّجَاج قيل : لقيم الدَّجَاج .

(إياس بن معاوية وأخوه)

وقال صاحب الكلب : قال أبو الحسن : كانَ إياسُ بنُ معاويَة وهو صغيرٌ ، ضعيفاً دقيقاً دميما(٥) ، وكانَ لَهُ أخٌ أشدُّ حركَةً منْهُ وَأقوى ، فكان معاويَةُ [أبوه](٦) يقدِّمهُ علَى إياس ، فقال لَهُ إياسٌ يَوْماً : يا أبتِ !. [إنَّك](٧) تقَدِّمُ أخى عَلَىّ ، وسأضربُ لك مثلى ومثلَه : هو مثل الفَرُّوج

(١) فى السيرة ٦٥٦ ، ٧٦٧ « ابن لقيم ». وقد نقل الحافظ ابن حجر فى الإصابة ٧٥٥٤ كلام الجاحظ فى « لقيم » وقال فى تعليل الخلاف بين السيرة والحيوان : « فيحتمل أن يكون وافق اسمه اسم أبيه » ، يريد أن من المحتمل أن يكون اسمه « لقيم بن لقيم » .

(٢) ط : « قطاة » وفى الإصابة « مطاة » وصوابهما ما أثبت من س والسيرة ، وهى اسم لأرض خيبر ، أو عين من عيون قرية من قرى خيبر ، كما فى المعجم .

(٣) وصف الفيلق — وهو مذكر — بشهباء ، لما ضمنه من معنى الكتيبة . والشهباء : العظيمة الكثيرة السلاح . وبعد هذا البيت أبيات سبعة فى السيرة .

(٤) ط : « أبو عمر » ، وصوابه من س والإصابة ، وهو أبو عمرو الشيبانى ، كما فى الإصابة .

(٥) س : « ذميما » ، والأشبه ما فى ط .

(٦) من ثمار القلوب ٧٢ نقلا عن الجاحظ .

(٧) من الثمار .

حين تنفلق عنه البَيضة ، يخرج [كاسيا] كافياً نَفْسَهُ(١) ، يلتقط ، ويستخفُّه النَاس ، وكلّما كبر انتَقص ، حتى إذا تَمَّ فصار دجاجةً ، لم يصلحْ إلاّ للذبح . وأنا مثلُ فَرخِ الحمام حين تنفلق عنه البيضةُ عن ساقطٍ لايقدر عَلَى حركة ، فأبَواه يغذُوانِهِ حتّى يقوى ويثبتَ(٢) ريشُهُ ، ١٠٢
ثمَّ يحسُن بعد ذلك ويطير ، فيَجِدُ به الناس(٣) ويكرمونَهُ ، ويرسل من المواضع البعيدة فيجيء ، فيُصان لذلك ويُكْرَمُ ، [ويُشْتَرى بِالأَثمانِ الغالية(٤)] . فقال أبوه : لقد أحسنت المثل ! ! فقدَّمه عَلَى أخيهِ ، فوجَد عِنْدَهُ أكثرَ ممّا كانَ يظنُّ فيه .

قال صاحب الكلب : وقد أغفل إياس فى هذا القول بعضَ مصالح(٥) الدَّجاج ، وذلك أنّ الدَّجاج مِنْ لدُنْ(٦) يخرج من حَدِّ الصِّغَر والكَيْس إلى أن يدخل فى حَدِّ الكبر واحتمالِ اللَّحم والشَّحم ، يكون أخبثَ حالاً لأنَّهُ لا يصلح فيه للذَّبح ، وقد خرج من حدِّ الكَيْس والاستملاح .

وإياسٌ هو الذى يقول : لستُ بخِبٍّ(٧) والخِبُّ لا يخدعنى ، ولا يَخدَعُ ابن سيرِينَ وهو يخدَع أبى ويخدَع الحسَن .

---

(١) فى الأصل : « يخرج كافيا بنفسه » ، وأثبت ما فى الثمار .
(٢) فى الأصل : « وينبت » ، والوجه ما نقلت من الثمار .
(٣) يقال وجد به أى أحبه شديداً . وفى س : «فيجده الناس » . وفى الثمار : « ويتخذونه الناس » ، وهما تحريف ما أثبت من ط .
(٤) من الثمار .
(٥) كذا
(٦) فى الأصل : « من له أن » .
(٧) الخب ، بالكسر : الذى يخدع الناس . والخبر فى البيان (١ : ١٠١) .

باب
ما يحتاج إلى معرفته

يقال فَرْج المرأة والجمع فُروج ، وهو القُبُل ، والفَرْجُ كِناية ، والاسم الحِرُ ، وجمعه أحْراح . وقال الفرزدق :

إنّى أقودُ جمــلا مُمْرَاحَا　　فى قُبَّــةٍ مُوقَرةٍ أحْرَاحَا[1]

قالوا : وإنّما جمعوه عَلَى أحراح ، لأنَّ الواحد حِرْح[2] . هكذا كان أصله . وقد يستعار ذلك وهو قليل ، قال الشاعرُ[3] :

تراها الضَّبْعَ أعْظَمَهنَّ رَأسًا　　جُرَاهِمَةً لها حِرَةٌ وثِيــلُ[4]

فلم يرض الاستعارة حتّى ألحق فيها الهاء .

وهو الكَعْثَب ، وقال الفرزدق :

إذا بَطِحت فوقَ الأثافِى رَفعنها[5]　　بثديين مَعْ نحر كريمٍ وكَعْثَبِ

وقال الأغلب[6] :

(١) فى اللسان (حرح) : «ذا قبة» ، وفى أمالى ابن الشجرى (٢ : ٣٨): «وقد أقود ... ذا قبة مملوءة» .

(٢) انظر فى اللسان تصريف هذه الكلمة .

(٣) هو ساعدة بن جؤية ، كما فى اللسان (جرهم) .

(٤) عنى بالجراهمة الضخمة الثقيلة . وقوله : «لها حرة وثيل» عنى به مايزعمون من أن كل ضبع خنثى . اللسان .

(٥) س : «رفعتها» . وانظر ديوان المعانى ١ : ٢٨١ والعقد ٤ : ١٦٥

(٦) هو الأغلب بن جشم بن سعد العجلى ، من رجاز العرب ، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وقتل بنهاوند . قالوا : وهو أول من أطال الرجز ، - كما أن أول من طول القصيد امرؤ القيس ومهلهل - وكان الرجل قبله يقول البيت والبيتين من الرجز ، إذا فاخر أو شاتم ، وقال العجاج الراجز مفتخراً :

إنى أنا الأغلب أضحى قد نشر

(الشعراء ٥٩٥) . وانظر أخباره فى الأغانى (١٨ : ١٦٤ - ١٦٧) .

* حَيَّاكة عن كَعْثَبٍ لم يُصْمِحِ (١) *

وهو الأجمّ(٢) ، وقال الرّاجز :

[جارية أعظمها أجَمُّها قد سَمَّنَتْها بالسَّويق أمُّها(٣)]

* بائنة الرِّجْلِ فما تَضَمُّها *

وقال : وقد يسمّى الشَّكْر ، بفتح الشِّين وإسكان الكاف ، وأنشدوا :

وكنتَ كليلة الشَّيْباء هَبَّتْ بمَنْع الشَّكْرِ أتأمَهَا القَبيلُ(٤)

[أتأمها(٣)] : أفضاها . وأمّا قوله :

قد أقبلَتْ عَمْرَةُ من عِرَاقِها مُلْصَقَةَ السَّرْجِ بخَاقِ باقها

قال : وهو إن أرادَ الحِرَ فليس ذلك من أسمائه ، ولكنَّه سمّاه بذلك ١٠٣
على المزاح .

(١) امرأة حياكة تتحيك فى مشيها ، تمشى مفرجة ما بين رجليها . ويصمح من الصماح بالضم ، وهو العرق الكريه الرائحة .

(٢) ط : « الأخثم » وفى سائر النسخ : « الأخم » ، صوابه بالجيم كما فى اللسان (جمم) والمخصص ٢ : ٤٠ . والأجم : قبل المرأة .

(٣) الزيادة من س . وأجمها هى فى الأصل « أحمها » ، والوجه ما أثبت .

(٤) البيت لعروة بن الورد ، كما فى اللسان (شيب وتأم) ولم أجده فى ديوانه بشرح ابن السكيت . يقال : باتت بليلة شيباء : إذا افترعت ليلة زفافها ، ويقال : باتت بليلة حرة : إذا لم تفترع فى تلك الليلة . وفى الأصل : « الشهباء » وهو تحريف صوابه فى اللسان (شيب وتأم) . وانظر المثل فى الميدانى (١ : ٩٠) وثمار القلوب ٥١١ . وفى اللسان : « همت » بدل « هبت » .

قالوا : والظَّبْيَةُ اسم الفَرْج من الحافر ، والجمع الظَّبَيات . وقد استعاره أبو الأخزر[1] فجعله للخُفّ فقال :

ساوَرَها عنــدَ القُرُوءِ الوحم   فى الأرض ذات الظّبيات الجحم

وقد قال الأوَّل :

فجاء بغُرمولٍ وفلك مُدَمْلَك   فَخَرَّقَ ظَبْيَيْها الحِصانُ المُشَبِّقُ

وهو من الظِّلف والخُفّ الحيا ، والجمع أحيية . وهو من السبع ثَفْر ، وقد استعاره الأَخطلُ للظِّلْف فقال :

جَزَى الله عنّا[2] الأَعْوَرَيْنِ مَلامَةً   وعبلة[3] ثَفرَ الثّوْرَةِ المتَضاجِم[4]

فلم يرضَ أن استعاره من السَّبُع للبقرة حتَّى جعل البقرة ثورة .

وقد استعاره النَّابغةُ الجَعــدىُّ للحافر ، كما استعاره الأَخطل للظِّلف ، فقال :

بُرِيذنَةٌ بَلَّ البَرَاذين[5] ثَفْرَها   وقد شربتْ مِنْ آخر الليل أُيَّلاَ

---

(١) ط : « الأحرز » س « الأحزر » وصــوابه ما أثبت . وهو أبو الأخزر الحمانى، أحد رجاز العرب، واسمه (قتيبة) كما فى اللسان (مادة قجر) .

(٢) كذا . ورواية الديوان ٢٧٧ والكامل ١٥٩ ليبسك والثعالبى فى فقه اللغة ٧٦ : « فيها ».

(٣) فى الكامل : « عبدة » وفى فقه اللغة واللســان – مادة ضجم – « فروة » قال ابن منظور : « وفروة : اسم رجل » .

(٤) المتضاجم : المعوج الفم ، كما فى اللسان : وقال أبو الحسن فى شرح الكامل : « المتضاجم : المتسع » ، ولم يزد على ذلك . وفى الأصل : « المتضاخم » وتصحيحه من المراجع المتقدمة .

(٥) « بريذنــة » مصغــر « برذونة » تصغير ترخيم . ويروى « بريذينــة » كما فى اللسان . وفى س « بل البراذن » . والأيل : جمع آيل ، وهو اللبن الخاثر . ورواية اللسان والمخصص ١٦ : ٩٩ : « وقد شربت من آخر الصيف أيلا » . والبيت يقوله النابغة الجعدى فى هجاء ليلى الأخيلية ، وقبله :

ألا يا ازجرا ليلى وقولا لها هلا   وقد ركبت أمراً أغر محجلا

وقد قالوا بِرذونة ، وقال الرَّاجز :

تزَحْزَحِى إليكِ يا بِرذَوْنهْ إنَّ البراذِينَ إذَا جَرَيْنَهْ(١)

* مَعَ الجيادِ ساعَةً أَعيَيْنَهْ *

وقد استعاره آخرُ فَجَعَلهُ للنَّعجة فقال :

وما عمرُو إلاَّ نَعْجَةٌ ساَجِسِيَّةٌ(٢) تَحَرَّكُ تحتَ الكَبْشِ والثَّفْرُ وَارِمُ

والسَّاجِسِيّةُ(٣) : ضأنٌ فى تغلب .

وقد استعاره آخرُ فجعله للمرأة فقال :

نحن بنو عَمْرَةَ فى انتِسابِ بنتِ سُويدٍ أكْرَمِ الضِّبابِ(٤)

* جِلْدَتَنا من ثَفْرِها المِنْجَابِ(٥) *

ويقال لجُردان الحمار غُرمول ، وقد يقال ذلك للإنسان وقضيب البعير ، وهو لكلِّ شىء ، ومِقْلم الجمل فقط . ومن السباع العقدة(٦) ، وأصله للكلب والذِّئب . وقال جرير :

إذا رَوِينَ عَلَى الخنزير من سَكَرٍ نادَينَ ياأعْظَمَ القَسِّينَ جُرْدَانا(٧)

ويقال : صرفت الكلبة صرافا وصروفا ، وظلعت تظلع ظلوعا .

---

(١) الرجز فى البغال ٣٤١ .

(٢) فى الأصل « شاخسية » والصواب ما أثبت . انظر اللسان (سجس وثفر) والمخصص (٨ : ٢١) . والبيت فى اللسان (ثفر) برواية « تخزل تحت الكبش والثفر وارد » .

(٣) فى الأصل : « والشاخسية » وانظر التنبيه السابق .

(٤) الضباب ، بالكسر : أربعة بطون من بنى كلاب : ضب ، وضبيب ، وحسل ، وحسيل . العمدة (٢ : ١٥٧) والمعارف ٣٩ .

(٥) جلدتنا : قبيلتنا . المنجاب : المنجب . ورواية اللسان (مادة ثفر) : « جاءت بنا من ثفرها المنجاب » .

(٦) ط « العقرة » وهو تحريف ما أثبت من س . وفى القاموس عند تفسير « العقدة » : « ومن الكلب قضيبه » .

(٧) السكر ، بالتحريك : الخمر أو النبيذ . والقسين : جمع قس بالفتح ، وهو الرئيس من =

١٠٤ وقالوا فى الأمثال: «لا أفْعَلُ حتَّى ينامَ ظالِعُ الكلاب» أى الصارف. ولم يعرف الأَصمعِيُّ ظلعت الكلبة بمعنى صَرَفت. واستحرمت، وأجْعَلت[1] واستجعلت، واستطارت[2]. والذئبة فى ذلك كالكلبة.

قال: ويقال فى السِّباع: قد وَضَعت، وولَدت، ورمصَت[3] مثلَ ما يقالُ للنَّاس والغنم.

(بحث فى المذكر من الحيوان ومؤنثه)

قال: ويقال كلبة وكلب[4]، وذئبة وذئب، وبِرذون وبِرذَونَة. وأنشد:

= رؤساء النصارى فى الدين والعلم. والبيت من قصيدة لجرير، مطلعها:

بان الخليل ولو طوعت ما بانا وقطعوا من حبال الوصل أقرانا

يهجو بها الأخطل. وقبل البيت:

يا خزر تغلب ماذا بال نسوتكم لا يستفقن إلى الديرين تحنانا

(١) فى ط: «جعلت»، وهى على الصواب فى س.

(٢) يقال «استطارت» كما يقال «استظأرت». وفى اللسان (طير): «ويقال أجعلت الكلبة، واستطارت، إذا أرادت الفحل». وفى مادة (ظأر) —: «قال أبو منصور: قرأت فى بعض الكتب استظأرت الكلبة بالظاء أى أجعلت واستحرمت».

(٣) فى الأصل: «رمضت» والصواب ما أثبت. وفى القاموس: رمصت السباع: ولدت. انظر مادة (رمص). واست تجد هذه الكلمة بهذا المعنى فى اللسان.

(٤) فى الأصل: «ويقال فى السباع كلبة وكلب» ... الخ. وكلمتا «فى السباع» من زيادة الناسخين لاشتباه أول هذه الفقرة بسابقتها.

أَرَيْتَ إذا ما جالت الخَيْلُ جَوْلةً　　وأنتَ على بِرْذَوْنَةٍ غيرِ طائِلِ (١)

ويقال رجل ورجال ، وامرأة ونساء ، وليس لها جمعٌ من واحدها . ويقال بعير وناقة وجمل ، ولا يقال جملة ولا بعيرة ، وقد قالوا رجل ورجلة وشيخ وشيخَة . ويقال كبش ونعجة ، ولا يقال كبشة ، كما لا يقال أسدة (٢) ويقال أسد ولبوة ولبوات ، ويقال ذئبة وذئب (٣) ، وقال الشاعرُ :

كأنَّهما ضِبْعانَةٌ في مَفازَةٍ　　وذِئْبةُ مَحْلٍ أمُّ جِرْوَيْنِ تعسلُ (٤)

ويقال إنسان وإنسانَةٌ ، وسبع وسبعة ، وحمام وحمامة ، وحمار وحمارة ، وسِرْحان وسرحانَة ، وسِيدٌ وسِيدة ، وهِقل وهِقلة ، وإلق وإلْقَة (٥) ، وقال رؤبة :

* جَدَّ وَجدَتْ إلقَةٌ من الإلق (٦) *

وزعم أنّه يقال ضبع وضبعة ، وثعلب وثعلبة . وأصحابُنا لا يقولون هذا ويضحكون ممَّن يقولون : ضَبُعة عرجاء . ويقال ثُرمُلة (٧) .

---

(١) أريت بمعنى أرأيت . وفى س « أرأيت » وهو خطأ ، به يبطل الوزن . صوابه فى ط . ورواية اللسان : (برذن) « رأيتك إذ جالت » . وفى البغال ٣٤١ : « أريتك » ويقال للشيء الخسيس الدون : غير طائل ، الذكر والأنثى فيه سواد .

(٢) قلت : ذكر صاحب القاموس « الأسدة » فى مادتى (لبأ ، ولبو) .

(٣) فى الأصل : « ويقال لبوات وذئبة وذئب » ، وقد جعلت نظم الكلام كما ترى . واللبوة مخففة من اللبؤة بالهمز .

(٤) الضبعانة بالكسر : الأنثى من الضباع . وفى ط « مغارة » موضع « مفازة » وفى س « غنسل » مكان « تعسل » . وتعسل : تضطرب فى عدوها وتهز راسها . وأما « غنسل » فهو مصحف « عنسل » وهو فى الأصل الناقة القوية السريعة .

(٥) السرحان : الذئب ، وكذلك السيد بالكسر . والهقل بالكسر : الفتى من النعام . وفى الأصل : « مقل ومقلة » وهو تحريف . والإلق بالكسر : الذئب .

(٦) ديوان رؤبة ١٠٧ . وانظر الحيوان ٦ : ٣١٤ وأراجيز البكرى ص ٣٣ .

(٧) الثرملة : الأنثى من الثعالب .

ويقال من الفراخ فرخ وَفرخة ، ومن النمور نَمِرٌ ونَمِرة . قال : ويقال ذِيخٌ وذِيخَةٌ (١) ، وضِبْعان وَضِبْعانَةٌ ، وجيأل وجَيْألة (٢) . ويقال عقرب وعَقرَبَة . والعُقْرُبان الذَّكَر وحدَه . وقال الشاعرُ (٣) :

كأنَّ مَرْعى أُمَّكُمْ إذْ غَدَتْ عَقْرَبَةٌ يكُومُها عُقْرُبان (٤)

ومن الضفادع ضِفدَع وَضِفدَعَة ، ومن القنافذ قُنفُذ وقُنفذة ، وشَيْهَمٌ وشَيهمةٌ (٥) ، ومن القرود قرد وقردة .

ويقال إلْقة وقِشَّة (٦) ، ولا يقال إلْق وقِشّ ، ويقال لولد القرد رُبَّاح والأُنثى إلقة . وقالَ الشَّاعِرُ (٧) :

وإلْقَـةٌ تُرغِث رُبَّاحهَا والسَّهْلُ والنَّوفَلُ والنَّضْرُ (٨)

---

(١) هما الذكر والأنثى من الضباع .

(٢) هما في معنى سابقتيهما .

(٣) هو إياس بن الأرت الطائي كما في الحيوان (٤ : ٢٥٩) والحماسة (٢ : ٢٠٢) واللسان (عقرب) .

(٤) مرعى : اسم أمهم ، كما في اللسان . ويكومها : يخالطها . و « إذ غدت » هي في الأصل : « إذا غدت » وبهذا يختل الشعر ، وهو من السريع . ويروى « إذ بدت » كما في اللسان والحماسة . ويروى : « سوءة » كما في الحيوان (٤ : ٢٥٩) . وانظر ياقوت (رسم العقربة) . وبعد البيت :

إكليلها زول وفي شـولها وخز أليم مثل وخز السنان
كل عـدو يتقى مقبـلا وأمكم سـورتها بالعجان

(٥) الشيهم : العظيم من القنافذ .

(٦) الإلقة : الذئبة . والقشة ، بالكسر : الصغيرة من إناث القرود .

(٧) هو بشر بن المعتمر . وستأتي قصيدة البيت في (٦ : ٢٨٤ - ٢٩١) .

(٨) ترغث : ترضـع . وهي في ط : « نزعت » وفي س « نزغت » وهما محـرفتان . وانظر اللسان (ربح) . السهل : الغراب . والنوفل : البحر . والنضر : الذهب . وهذه الأخيرة هي في الأصل « النمر » وتصحيحها من اللسان والحيوان (٦ : ٢٨٥ ، ٣١٣) .

ومِن النعام هِقل وَهِقلة[١] ، وهَيق وهَيقَةٌ[٢] ، وصَعل وصَعلة[٣] ، وسفَنَّج وسفَنَّجة[٤] ،ونعامٌ وَنعامة[٥] ،والواحد من فراخها الرأل والجمع رئال [ورِئلان[٦]] وأرآل[٧] وأرؤل ، والأُنثى رألة ، وحفّانَةٌ والجمع حَفّان ، وقد يكون الحَفّان[٨] أيضًا للواحد . ويقال لها قِلاص والواحدة قلوص[٩] ولايقال قَلوصة ، ويقال ظليم ولا يقال ظَليمة ، ويقال نِقْنِق ولا يقال نِقنِقة[١٠] .

ويقال من الأَرانب أرنب ولا يقال أرنبة ، والذكر خُزَز . ويقال للأُنثى عِكْرِشة ولولدها خِرْنِق . ويقال هذه أرنب وهذه عقاب ، ولا يقال هذا الأَرنب ولا هذا العقاب . وقال الشَّماَّخ :

فما تنفكُّ بين عُويرِضــاتٍ تجرّ برَأسِ عِكْرِشَةٍ زَمُوعِ[١١]

---

(١) انظر التنبيه رقم (٦) من ص ٢٨٥ .

(٢) هما بمعنى سابقتيهما .

(٣) الصعل من النعام : الدقيق الرأس والعنق .

(٤) السفنج : الخفيف من النعام .

(٥) نعام : يقع على الجنس وعلى الواحد أيضا ، كما هنا وكما فى القاموس .

(٦) الزيادة من س . ومثله فى القاموس والدميرى واللسان .

(٧) ط : « رال » وتصحيحه من س .

(٨) وردت هذه الكلمة وأختاها بالقاف فى ط ، وصوابه بالفاء كما فى س .

(٩) القلوص يقال للإبل كما يقال للنعام .

(١٠) النقنق : الظليم . أى الذكر من النعام . وفى الأصل: « ويقال تفيق ولا يقال تفيقة » وهو تصحيف ما أثبت .

(١١) يصف عقابا تقتنص الأرانب اقتناصاً . والزموع : الأرنب قد تدلت فى أرجلها الزمعات : شعرات فى مؤخر أرجلها . وقد استعمل (بين) وهى لاتكون إلا بين اثنين أو أكثر ؛ لأنه أراد بين نواحي ذلك المكان المسمى « عويرضات » وقد أتى الجاحظ بالبيت شاهداً على تأنيث كل من الأرنب والعقاب .

قال ويقال لولد الكلب جروٌ والأنثى جروة ، وهو دِرْص والجمع أدراص، ويقال لمن عضّه الكلْبُ الكَلِبُ : بالَ كأدراص الكلاب .

(بدء الإبصار عند أولاد السباع)

وجرو الكلب يكون أعمى عَشرةَ أيّام وأكثَر ، وقد يعرِض شبيهٌ بذلك لكثيرٍ من السِّباع .

(استطراد لغوى)

ويقال بصبص الجروُ وفقّح[١] وجصّص ، إذا فتح عينيه شيئاً . وصأصأ إذا لم يفتح عينيه[٢] . ولذلك قَال عبد الله بن جحش[٣] ، والسَّكران ابن عمرو[٤] ، للمسلمين ببلاد الحبشة : « إنّا فَقّحنا وصأصأتم[٥] » . قَال بعض الرُّجاز[٦] فى بعض الصِّبيان :

(١) ط : « وفتح » وصوابه فى س .
(٢) فى القاموس : « صأصأ الجرو : حرك عينيه قبل التفتيح أو كاد يفتحهما » .
(٣) س : « عبيد الله بن جحش » . وعبد الله وعبيد الله أخوان هاجرا معا إلى بلاد الحبشة . السيرة ٢١٠ جوتنجن ، وقد ترجم ابن حجر لعبد الله فى الإصابة . وقد تزوج الرسول أختهما زينب بنت جحش . وكانت قبله عند زيد بن حارثة مولاه .
(٤) هاجر السكران إلى الحبشة ثم رجع إلى مكة فمات بها ، فتزوج الرسول بعده زوجته سودة بنت زمعة . الإصابة ٣٣٣٠ والسيرة ١٠٠١ جوتنجن .
(٥) انظر اللسان (صأصأ) ومقاييس اللغة (صأ) .
(٦) ط : « ثم قال بعض الرجاز » ، والوجه ما أثبت من س . وفى الأغانى (٤ : ٤٢) أن صاحب الرجز الآتى هو الأحوص . يهجو نفسه ويذكر حوصه — أى ضيق عينيه — وفى الحيوان (١ : ٢٥٤) أنه أبو الأحوص .

أَقبِــحْ بِهِ مِنْ وَلَد وأَشْقِــحِ مثْلَ جُرَىٍّ الكلْبِ لم يفقِّح[١]
إنْ يَسْرِ سارٍ لم يَقُمْ فيَنْبَحِ[٢] بالبابِ عِنْدَ حاجةِ المستَفْتِـحِ

ويقال لولد الأسد جرو وأجراء وجِراء ، وهى لجميع السباع ، ويقال له خاصَّةً : شِبْل . والجمع أشبال وشُبول . وقال زُهير :

ولأَنتَ أَشجَعُ حِينَ تتَّجِهُ الـ ـأبطالُ مِنْ لَيْثٍ أبى أَجْرٍ[٣]

(خبث الثعلب)

وحدَّثنى صديقٌ لى قال : تعجَّبَ أخٌ لنا من خُبث الثَّعلب ، وكان صاحبَ قَنص ، وقال لى ما أعجب أمر الثعلب ! يفصل بين الكلب والكلاَّب ، فيحتالُ للكلاَّب بما يعلم أنَّه يَجوز عليهِ ، ولا يحتال مثل تلك الحيلة للكلب ؛ لأنّ الكلب لا يَخفى عليه الميِّت من المغشِيِّ عليه . ولا ينفع عِنْدَه التَّماوُت . ولذلك لا يُحمل مَن مات من المجوس إلى النَّار[٤] حتى يُدْنَى منه كلبٌ ؛ لأنَّه لا يَخفى عليه مغْمُور الحِسِّ أحَيٌّ هُوَ أو ميت[٥]. وللكلب عند ذلك عملٌ يستَدِلُّ بِهِ المجوس .

---

(١) فى الأصل : « مثل جرو » ، والوجه ما أثبت من الأغانى والحيوان (١ : ٢٤٤) .
(٢) انظر الرواية فى الجزء الأول من الحيوان . والشعر يصح فيه أن يقرأ بإسكان الروى أو كسره .
(٣) أجر : جمع جرو .
(٤) فى الجزء الأول ص ٣٧٥ : « إلى الناووس » ، بمعنى القبر .
(٥) ط : « أهوحى أو ميت » وأثبت ما فى س .

قال : وذلك أنِّى هَجَمْتُ على ثعلبٍ فى مَضيق ، ومعى بُنَىٌّ لى ، فإذا هو ميِّتٌ منتفِخٌ ، فصدَدْت عنه ، فلم ألبَثْ أن لحِقتنى الكلاب ، فلمَّا أحسَّ بها وثَب كالبرق ، بعد أن تحايَدَ(١) عن السَّنَن ، فسألت عن ذلك فإذا ذلك من فِعـلِه معروفٌ ، وهو أنْ يستلقِىَ وينفخَ خواصرَه ويرفعَ

١٠٦ قوائمه ، فلا يشكُّ مَن رآه من الناس أنَّه ميِّت منذُ دهر ، وقَدْ تزكَّرَ بالانتفاخِ بدنُه ، فكنتُ أتعجَّب مِنْ ذلك(٢) ، إذْ(٣) مررْتُ فى الزُّقاق الذى فى أصل دار العبَّاسيّة ومنفَذه إلى مازن ، فإذا جرو كلبٍ مهزولٌ سَيِّئُ الغذاء ، قد ضربه الصِّبيان وعقَروه ففرَّ منهم ودخل الزُّقاق ، فرمى بنفسه فى أصل أُسطُوانة(٤) وتبِعوه حتَّى هَجَمُوا عليه ، فإذا هو قد تَمَاوَتَ(٥) فضربوه بأرجلهم فلم يتحرَّكْ فانصرفوا عنه . فلمَّا جاوَزُوا تأمَّلت عينَه فإذا هو يفتَحُها ويُغمِضها ، فلمَّا بعدُوا عنه وأمِنَهم عدَا ، وأخذَ فى غير طريقهم فأذهَبَ الذى كان فى نفسى للثَّعلب ؛ إذ كان الثَّعلب ليس فيه إلاَّ الرَّوَغانُ والمكر ، وقد ساواه الكلبُ فى أجودِ حِيلِهِ .

---

(١) فى الأصل : « تحاير » .

(٢) تزكر : عظم . وفى ط : « وقد أتذكر انتفاخ بدنه فأتعجب من ذلك » وأثبت ما فى س .

(٣) ط : « إذا » .

(٤) فى الأصل : « أصطوانة » ، وإنما هى بالسين كما فى اللسان والقاموس .

(٥) فى الأصل : « تمرد » ووجهه ما أثبت .

(مقايسة بين الثعلب والكلب)

ومع الكلب بعدُ ماليس مَعَهُ ، إلاَّ أنْ يُفخَر بفروته[١] فى موضع انتفاع النّاس به ؛ فجعْر الكلب للذُّبحة أنفع منه ، إذ كان فى الذُّبحة الموت وليس يقوم مقامه شيءٌ . وجلد الثّعلب منه عِوَض[٢] .

(قول صاحب الديك فى الكلاب)

قال صاحب الديك : شِرارُ عِباد الله مَن قتلَ أولادَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ولم نجدْ شعراءَ النّاس شبَّهوا أولئك القاتلين بشيءٍ سوى الكلاب . قال أبو نضلة الأبّار ، فى قتل سلم بن أحوز المازنىّ ، صاحب شرطةِ نَصْرِ بن سيَّار اللَّيثى ، يحيى بنْ زَيدٍ[٣] وأصحابَه ، فقال :

ألم تر لَيثاً ما الذى خَتَمتْ بِهِ ... لها الوَيْلُ فى سُلطانِها المتخاذلِ[٤]

كلابٌ تعاوَتْ لاهَدَى الله سُبْلَها ... فجاءتْ بصَيدٍ لا يحلُّ لآكل[٥]

بنفسى وأهلى فَاطمىٌّ تقنَّصوا ... زَمانَ عمًى مِنْ أمَّةٍ وتخاذُل

لقد كشفت للنّاس ليثٌ عن استها ... وغابَ قَبيلُ الحقِّ دُونَ القبائِلِ

---

(١) أى فروة الثعلب .

(٢) أى يستعاض عنه بجلد غيره .

(٣) هو يحيى بن زيد بن على بن الحسين ، أحد الأبطال الأشداء ، ثار على بنى مروان وقتل فى الجوزجان سنة ١٢٥ : أصابه سهم من رجال سلم بن أحوز فأرداه قتيلا ، فصلب بالجوزجان ، ولم يزل مصلوبا ، حتى ظهر أبو مسلم واستولى على خراسان ، فأنزله وصلى عليه ودفنه .

(٤) أراد بليث القبيلة .

(٥) يعنى قتلى العلويين .

قال صاحب الديك : وروى هُشيم عن المغيرة عن إبراهيم قال : لم يكونُوا ينْهَوْنَنا عن شيءٍ من اللعب ونحنُ غِلمانٌ إلاَّ الكلاب .

(التقامر بالبيض)

وذكر محمَّد بن عجلان المدينىّ[1] عن زيد بن أسلم[2] ، أنّه كان لا يرى بأساً بالبيض الذى يتقامر بهِ الفتيان ، أن يُهدَى إليه منه شىء أو يشتريَه فيأكله .

وهشام بن حسَّان[3] قال : سئل الحسن عن البيض يَلعَب بهِ الصِّبيان يشتريه الرجل فيأكله ، فلم ير بهِ بأساً وإن أطعموه أن يأكل منه ، والجوز الذى يلعب بهِ الصِّبيان .

وحاتم بن إسماعيلَ الكوفىُّ قال : حدّثنا عبد الرحمن بن حَرْمَلة ، عن سعيد بن المسيّب ، أنّه لم يكن يرى بأسًا بالبيض الذى يلعب به الصِّبيان .

---

(١) ط : « محمد بن العجلان المدائنى » ، وهو تحريف ، وإنما هو مدينى . ذكره ابن حجر فى تقريب التهذيب وقال : « صدوق إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبى هريرة . . . مات سنة ثمان وأربعين » ، أى ومائة ، كما هو اصطلاح ابن حجر . وفى النسبة إلى مدينة رسول الله كلام ذكره ياقوت فى معجمه .

(٢) زيد بن أسلم العدوى مولى عمر ، أبو عبد الله ، أو أبو أسامة المدنى ، ثقة عالم مات سنة ست وثلاثين . تقريب التهذيب .

(٣) هو أبو عبد الله هشام بن حسان الأزدى القردوسى ، روى عن الحسن ومحمد بن سيرين وعكرمة وهشام بن عروة ، وعنه سعيد بن أبى عروبة والحمادان والسفيانان . توفى سنة ١٤٨ . تهذيب التهذيب .

(قتل الحيات والكلاب)

قال : وحدَّثني ابن جُريج قال ، وأخبرني عبد الله بن عُبيد بن عمير ١٠٧
قال : أخبرني أبو الطفيل أنَّه سمع عليَّ بنَ أبي طالب يقول : اقتلوا [من][1] الحيَّات ذا الطُّفْيتين[2] ، والكلبَ الأسودَ البهيم ذا الغُرَّتين[3] .

قال : والغُرَّةُ[4] : حُوَّة تكون بعينيه[5] .

(قول صاحب الكلب في صقاع الديك)

قال صاحب الكلب : قد أخبرني أبو حرب عن منصور القصَّاب ، قال : سألت الحسن عن البيض الذي يتقامرون بهِ ، فكرههُ .

وما رأينا قطُّ أحَدًا يريد الادِّلاج ينتظر صُقَاع الدِّيك[6] . وإنَّما يوالي الدِّيك بين صياحه قُبيل الفجر ثمَّ مع الفجر إلى أنْ ينبسط النهار ؛ وفيما بين الفَجْر وامتدَادِ النهار لايحتاج النَّاس إلى الاستدلال بأَنْ يصوِّت الديك[7] . وله في الأسحار أيضاً بالليل الصَّيْحة والصَّيحتان ، وكذلك

(١) زيادة يقتضيها الكلام .

(٢) الطفيتان : خطان أسودان في ظهر الحية . وانظر ٦ : ٢٢٤ .

(٣) في الأصل : « العزتين » ، والصواب ما أثبت ، كما في النهاية لابن الأثير ، واللسان .

(٤) في الأصل : « والعزة » ، وانظر التنبيه السابق .

(٥) في النهاية واللسان ، أن الغرتين نكتتان بيضاوان فوق عينيه .

(٦) الادلاج : افتعال من ادلج بتشديد الدال ، أي سار من آخر الليل ، وهو المراد هنا . والإدلاج : إفعال من أدلج السير من أول الليل ، وليس مراداً . وصقاع الديك : صياحه .

(٧) في الأصل : « لأن يصوت الديك » وصوابه ما أثبت .

الحمار . عَلَى أنّ الحمارَ أبعدُ صوتاً ، وأجدر أنْ ينبِّه كلَّ نائمٍ لحاجةٍ إن كانتْ له[١] . وما رأينا صاحبَ سَحُورٍ يستعمله[٢] ، وكذلك صاحب الأذان ، وما رأيناه يتّكل فى وقتِ أذانِه عَلَى صياحِ الدِّيك ، لأنّ صورَةَ صوتِه ومقدارَ مَخرجِه فى السَّحَر الأكبر كصياحِه قبلَ الفجر . وصياحَهُ قبلَ الفجر ؛ كصياحِه وقد نوَّر الفجْرُ وقدْ أضاء النهار . ولو كان بين الصيحتين فرقٌ وعلامةٌ كانَ لعمرى ذلك دليلاً . ولـكِنَّهُ مَن سمع هُتافهُ وصُقاعَهُ فإنّما يفزع إلى مواضع الـكواكب ، وإلى مطلع الفجر الكاذب والصادق .

والديك له عِدَّةُ أصواتٍ بالنَّهار لايغادر منها شيئاً ؛ ولتلك أوقَاتٌ لايحتاج فيها النَّاس إليهِ . وملو كُنا وعلماؤنا يستعملون بالنَّهار الأَسْطُرلابات[٣] وبالليل البَنكامات[٤] ، ولهم بالنّهار سوى الأسطرلاباتِ[٥] خطوطٌ وظلٌّ يعرفون بِهِ مامَضى من النهار وما بقى . ورأيناهم يتفقَّدُون المطالع والمجارِيَ . ورأينا أصحابَ البَساتين [و][٦] كلّ مَنْ كان بقُرب الرِّياض ، يعرفون ذلك بريح الأَزهار . ورأينا الرُّومَ وَنَصَارى القُرى يَعرفُون ذلك بحركاتِ الخنازير وبِبُكُورها وغدوِّهَا وأصواتها ؛ ولذلك قالوا فى وَصف الرجل : له

---

(١) فى الأصل : « وأجدر على أن ينبه » الخ . والوجه حذف « على » .

(٢) أراد بصاحب السحور من يتكفل إيقاظ الناس للسحور .

(٣) مر القول فى الأسطرلاب ص ٢٥٥ من هذا الجزء . وفى س : « الأصطرلاب » .

(٤) فى الأصل : « المنكابات » . وانظر الاستدراكات .

(٥) فى الأصل : « الأصطرلابات » .

(٦) زدتها لحاجة القول إليها .

وَثْبة الأسد ، ورَوَغان الثعلب ، وانسلاب الذِّئب[١] وَجَمْع الذرّة[٢] وبُكور الخِنزير . والرَّاعى يعرف ذلك فى بكور الإبل وفى حنينها وغيرِ ذلك من أمرها .

وللحَمام أوقاتُ صياحٍ ودُعاءٍ مع الصُّبح وقُبيلَ ذلك على نسَق واحد ، ولكنَّ النَّاس إنَّما ذكروا ذلك فى الدِّيك والحمار ، لامتداد أصواتهما .

(هديل الحمام)

وهديلُ الحمامِ ودعاؤه لايُجوزُ بعيداً[٣] ، إلاَّ ماكان من الوراشين[٤] والفَواخِت فى رُءُوس النَّخل وأعالى الأشجار ، فلَعمرْى إنَّ ذلك لمـا يُسمَع من موضعٍ صالح البعد . ١٠٨

(مايصيح من الطير مع الفجر والصبح)

وللعصافير والخطاطيفِ وعامَّة الطَّير ، ممَّا يصفِر أو يُصرصِر[٥] ، وممَّا يهدِل مع الفجر إلى بُعيدِ ذلك — صِياحٌ كثير . ثمَّ الذى لايدع الصِّياح

(١) انسلاب الذئب : انفلاته وسرعة عدوه . وفى س : « استلاب الذئب » من السلب بمعنى النهب ، وهو الموافق لما فى الجزء الأول ص ٣٠٣ .

(٢) ط : « الذر » . والذرة : الواحدة من الذر ، وهن ضرب من النمل أحمر صغير .

(٣) لايجوز بعيداً : لاينتهى إلى مدى بعيد .

(٤) الوراشين : جمع ورشان ، وهو ضرب من الحمام . وفى ط : « الوارشين » وهو على الصواب فى س .

(٥) فى اللسان : « صرصر الطائر : صوت . وخص بعضهم به البازى والصقر » .

فى الأسحار مع الصبح أبداً الضُّوَع[1] ، والصَّدَى[2] ، والهامَة ، والبُومةوهذا الشَّكلُ من الطَّير . وقد كتبْنا فى غير هـذا الموضع الأشعارَ فى ذلك[3] .

قال : وقد يصيح مع الصُّبح البُوم ، والصدى[2] والهام ، والضُّوَع[1] والخطاطيف ، والعصافير ، والحُمَّر[4] فى ذلك الوقت أكثرَ من الدِّيَكة .

قال الوليدُ بن يزيدَ فى ذلك :

سُلَيمى تِيلكَ[5] فى العـير قفى إنْ شئتِ أوْ سيرِى
فلما أنْ دَنا الصُّبحُ بأصواتِ العَصَافيرِ

وقال كلثوم بن عمرو العَتَّابى[6] :

ياليلةً لى بِحُوَّارِينَ ساهرةً حتَّى تكلمَ فى الصُّبْحِ العَصافيرُ[7]

---

(١) ط : « الصوع » س : « الصوغ » ، وإنما هو « الضوع » ، وهو طائر ليلى من جنس البوم .

(٢) الصدى ، بالقصر : ذكر البوم . وفى الأصل : « الصداء » بالمد ، وهو تحريف ، وقد جاء على الصواب فى الصفحة التالية .

(٣) انظر ص ٢٩٩ — ٣٠٠ من هذا الجزء .

(٤) الحمر : ضرب من الطير كالعصفور . وفى الأصل : « الحمير » ، وهو تحريف لاوجه له .

(٥) ط : « تبك » والصواب فى س . و « تيك » بمعنى « تلك » .

(٦) كلثوم بن عمرو العتابى : شاعر مترسل بليغ مطبوع مقدم ، من شعراء الدولة العباسية ، وكان منقطعاً إلى البرامكة فوصفوه للرشيد ووصلوه به ، فبلغ عنده كل مبلغ . وهو من أحفاد أحفاد عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة . انظر الأغانى ١٢ : ٢ — ٩ وتاريخ بغداد ٦٩٦١ ومعجم الأدباء ١٧ : ٢٦ — ٣١ . وفى ط : « كلثوم أبو عمرو العتابى » ، وهى على الصواب فى س .

(٧) حوارين بالضم وتشديد الواو ، من قرى حلب ، وحصن من ناحية حمص . وفى ط : « فى حوران » وهى بالفتح كورة واسعة من أعمال دمشق . وقد أثبت رواية س . وقد استعمل الكلام فى معنى الصياح . مثله قول الآخر :

نصبحت والطير لم تكلم جابية حفت بسيل مفعم

فالعَصافير والخطاطيف والحُمَّر (١) والحمام والضُّوعان (٢) وأصناف البوم كلُّها تقوم مَقام الديك . وقال ثَعْلبة بن صُعَير المازنيّ (٣) :

أعُمَيْرَ مايُدريكِ أنْ رُبَ فِتْيَةٍ بيضِ الوَجوهِ ذوى ندًى ومآثرِ (٤)
حَسَنِي الفُكاهةِ لاتذمُّ لحامهُم سَبْطِي الأكُفِّ لدى الحروبِ مساعرِ (٥)
باكَرْتُهُم بسِباء جَوْنٍ مُتْرَعٍ قبْلَ الصَّباحِ وقبْل لغوِ الطائرِ (٦)

(صوت الديك وما قيل فيه من الشعر)

قال : ويقال لصوت الدِّيَكة الدُّعاء ، والزقاء ، والهُتاف ، والصُّراخ ، والصُّتاع . وهو يهتِف ويَصقَع ويزْقُو ويصرُخ . وقال جِرانُ العَوْد (٧) :

(١) فى الأصل : « والحمير » . وانظر الصفحة السابقة .

(٢) فى الأصل : « الصوغان » ، وهو تحريف ، وأراد بالضوعان جمع الضوع : الطائر الليلى ؛ والقياس فى الجمع « ضيعان » كما فى اللسان والقاموس .

(٣) ثعلبة بن صعير شاعر جاهلى ، ترجم له ابن حجر فى الإصابة . والأبيات الآتية من قصيدة مفضلية (المفضليات ١٢٨) مطلعها :

هل عند عمرة من بتات مسافر ذى حاجة متروح أو باكر

(٤) قد خفف باء « رب » كما ترى . والرواية فى المفضليات : « أسمى مايدريك » والوجه رواية الجاحظ . « وعمير » تصغير ترخيم لـ « عمرة » .

(٥) فى الأصل : « حسن الفكاهة » والوجه ماأثبت من المفضليات . وفى ط : « لاتذم كما هم » وهو تحريف صوابه فى س ، والمفضليات ، وهذا كناية عن الكرم وطيب القرى . وفى الأصل : « سبط الأكف » وتصحيحه من المفضليات . والمساعر : جمع مسعر ، وهو الذى يوقد نار الحرب ويؤرثها . وفى المفضليات : « وفى الحروب مساعر » فيكون فى البيت إقواء .

(٦) سباء : شراء . جون مترع : يعنى زقا أسود ممتلئا خمراً . ويصح أن يكون السباء فى معنى الخمر نفسها ، فالسباء الخمر كما فى القاموس .

(٧) من قصيدة مطولة مثبتة فى ديوانه ١٣ — ٢٤ والأبيات الآتية فى ص ١٧ . وقبل هذه الأبيات مما يرتبط بمعناها :

وقالت لنا والعيس صعر من البرى وأخفافها بالجندل الصم تقذف
وهن جنوح مصغيات كأنما براهن من جذب الأزمة علف
حمدت لنا حتى تمناك بعضنا وأنت امرؤ يعروك حمد فتعرف
رفيع العلا فى كل شرق ومغرب وقولك ذاك الآبد المتلقف
وفيك إذا لاقيتنا عجرفية مراراً وما نستيع من يتعجرف

تميلُ بك الدنيا ويَغْلِبك الهوى كما مَالَ خَوَّارُ النَّقا المتقصف(١)

ونُلْغَى كأنَّا مَغْنَمٌ قد حويته وترغبُ عن جَزْلِ العَطاءِ وتَصْدِفُ(٢)

فموعدُكَ الشَّطُّ الذى بينَ أهلِنا وأهلِكِ حتَّى تسمَعَ الديكَ يهتِفُ

وقال الممزَّق العَبْدىُّ :

وقَدْ تخِذَتْ رجلاىَ فى جَنْبِ غَرْزِها

نَسِيفاً كأُفحوصِ القَطَاةِ المطرِّقِ(٣)

أُنيختْ بجوٍّ يصرُخ الديك عندَها وباتَتْ بِقاعٍ كادِئِ النبت سَمْلَقِ(٤)

١٠٩ وقال لَبيد :

لَدُنْ أن دعا ديكُ الصَّباح بسُحرَةٍ إلى قدر وِرْدِ الخامِس المتأوِّبِ

(طيور الليل)

ويقال للطائر الذى يخرجُ من وَكره باللَّيل البومة والصَّدَى والهامة والضُّوَع(٥) والوَطواط والخُفَّاش ، وغُراب اللَّيل ، ويصيدُ بعضها الفأرَ(٦)

---

(١) خوار النقا المتقصف : الرمل اللين السهل ، الذى ينهال من لينه ونعومته . وفى الأصل : « جوان الفتى المتقصف » وهو تحريف أصلحته من الديوان .

(٢) فى الديوان : « ونلقى » ، قال العسكرى : « من اللقاء » . وفيه « وتسرف » موضع « وتصدف » ، ورواية الجاحظ هنا أشبه .

(٣) الغرز : ركاب الرحل من جلد . والنسيف : أثر ركض الرجل بجنبى البعير إذا انحص عنه الوبر . والقطاة المطرق : التى حان خروج بيضها . والأفحوص : مجثمها .

(٤) الجو : المنخفض من الأرض . وكدأ النبات : أصابه البرد فلبده فى الأرض ، أو أصابه العطش فأبطأ نبته . وفى الأصل : « كارى النبت » ، والوجه ما أثبت . والقاع السملق : الأرض المستوية الجرداء .

(٥) س : « الصوغ » ، وهو تصحيف .

(٦) فى الأصل : « يصيد بعضها والفأر » .

وسامَّ أبرصَ والقَطا وصِغارَ الحشرات ، وبعضُها يصيد البعوضَ والفَرَاش وما أشبَه ذلك . والبُوم يدخل بالليل على كل طائرٍ فى بيته ، ويُخرجه منه ويأ كُلُ فِراخه وبَيضَه . وهذه الأسماء مشترَكة .

(ماقيل من الشعر فى الهامة والصدى)

وقال خُزيمة بن أسْلم :

فلا تَزْقُوَنْ لى هامةٌ فوقَ مَرْقَبٍ فإنَّ زُقاءَ الهامِ أخبَثُ خابِثِ [1]

وقال عَبد الله بن خازم [2] أو غيره [3] :

فإنْ تكُ هَامَةً بهَراةَ تَزْقُو فَقَدْ أزْقَيْتَ بالمَرْوَينِ هَاما [4]

وقال تَوْبَة بن الحميِّر [5] :

ولو أنَّ ليلَى الأخْيَليَّةَ سَلَّمتْ عَلَيَّ ودُونِى جَنْدَلٌ وَصفائحُ

لَسلَّمتُ تسليمَ البَشاشةِ أوزَقا إليها صَدًى مِنْ جَانبِ القَبْرِ صائحُ

---

(١) انظر مثل هذا البيت مع قرين له فى بلوغ الأرب (٢ : ٣١٢) .

(٢) هو عبد الله بن خازم بن أسماء السلمى البصرى ، أمير خراسان ، ولى إمرتها لبنى أمية فلما ظهر ابن الزبير كتب إليه ابن خازم بطاعته ، فأقره على خراسان ، ثم ثار به أهل خراسان فقتلوه وأرسلوا رأسه إلى عبد الملك سنة ٧٢ . فى الأصل : « عبد الله بن حازم » ، مصحف . والبيت يقوله فى ابنه محمد الذى قتله شماس ابن دثار العطاردى بهراة . (المخصص ٨ : ١٦٢ والأمالى ٣ : ٣١) .

(٣) يروى البيت لابن عرادة ، كما فى الأمالى .

(٤) المروان يعنى بهما مرو الشاهجان ومرو الروذ بخراسان .

(٥) هو صاحب ليلى الأخيلية . كان بينهما حب مشهور ، ولما قتل رثته بمراث كثيرة جيدة . انظر لها الأغانى (١٠ : ٧١ – ٧٤) وحماسة البحترى (٤٢٣ – ٤٢٦) .

وقال الرَّاجز :

ومَنْهَلٍ طامِسَةٍ أعْلامُهُ يَعْوِى بِهِ الذِّئْبُ وَيزْقُو هامُه

وأنشدنى فى الصَّدَى (١) :

تجشَّمتُ مِنْ جَرَّاكِ والبُومُ والصَّدَى
له صائح أنْ كنْتِ أسْرَيتِ مِنْ أجْلى

وقال سُوَيد بن أبى كاهل (٢) فى الضُّوَع (٣) :

لَنْ يَضِرْنى غيْرَ أنْ يَحْسُدَنى فَهْوَ يَزْقُو مِثْل مَا يزْقُو الضُّوَعْ

قال : فى قراءة ابن مسعود : ﴿ إنْ كانتْ إلاّ زَقْيَةً وَاحِدَةً (٤) ﴾ ﴿ وَنفخَ فى الزَّقية ﴾ يريد الصُّور .

وصَوْتُ الدجاجَةِ القوقأة ، تقول هى تقوقئ .

(شعر فى الدجاج)

وقال أعرابىٌّ :

أَلَيْسَ يَرَى عَيْنَىْ جُبَيرة زَوْجُها ومَحْجِرَهَا ، قامَتْ عليهِ النَّوائحُ
تنجَّبَها لا أكْثَرَ اللهُ خَيْرَهُ رُميصاءَ قدْ شابَتْ عليها المَسائح (٦)
لها أنْفُ خِنزيرٍ وساقَا دَجَاجَةٍ ورُؤيتها تَرْحٌ من العَيْشِ تارِحُ

---

(١) فى الأصل : « الصداء » ، وهو تحريف نبهت عليه قريباً . ويبدو أن هنا سقطا بعد « وأنشدنى » .

(٢) سويد بن أبى كاهل اليشكرى : شاعر مخضرم ، ترجمته فى ابن سلام والأغانى ١١ : ١٦٥ والخزانة ٢ : ٥٤٦ والإصابة ٣ : ١٧٢ والشعراء ٣٨٤ وقصيدته هذه فى المفضليات ١٩١ .

(٣) س : « الصوغ » وهو تصحيف نبهت عليه . والبيت الآتى من قصيدة مفضلية

(٤) فى المفضليات : « لم يضرنى » .

(٥) أى صيحة واحدة . انظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٢٩ .

(٦) تنجبها : اختارها واصطفاها . وفى الأصل : « تجنبها » وهو عكس ما أريد . والرميصاء : التى رمصت عيناها ، أى ظهر بهما القذى . والمسائح : جمع مسيحة وهى الضفيرة ، أو شعر جانبى الرأس .

وقال العُجَير السَّلُولىّ :

لانَوْمَ إلاَّ غِرَارُ العَيْنِ ساهرةً حتّى أُصيبَ بغيظ آلَ مَطلوبِ [1] ١١٠

إن تَهْجُرونى فقد بدَّلْتُ أيكتَكم ذَرْقَ الدجاج بحفّاز اليَعاقِيبِ [2]

وقال أبو الأسود الدُّئِلىّ :

ألم تعلما يا ابنَى دَجاجةَ أنَّنى أَغُشٌّ إذا ما النُّصْحُ لم يُتَقَبَّلِ [3]

(شعر فى هجاء الدجاج وهجاء من اتخذها)

وقال صاحب الكلب : وسنروى فى الدَّجاج ونذكرُ كلَّ من هجاهَا وهَجا مَنِ اتَّخَذَها وأشبَهَها فى وجهٍ من الوجوه ، قال الراجز :

أقْبَلْنَ من نِيرٍ ومن سُوَاجِ [4] بالحىِّ قد ملّ من الإدْلاَجِ [5]

فَهُمْ رَجاجٌ وعلى رَجَاجِ [6] يمشُون أفْوَاجاً إلى أفْوَاجِ

(١) مطلوب : ماء كان لخثعم ، جنوبى مكة ، وكان العجير دل عبد الملك عليه فاتخذ ذلك الماء ضيعة . وقد يسمى هذا الموضع المعمل . ياقوت (مطلوب ، ومعمل) والأغانى (١١ : ١٤٦) .

(٢) ياقوت : الأيكة : جماعة الأراك، وذلك أنه نزع ووضع مكانه الفسيل . وذرق الدجاج : نجوه ، وفى الأصل « زرق » وصوابه ما أثبت من المعجم والأغانى . واليعاقيب : جمع يعقوب ، وهو ذكر الحجل . يريد أن الدجاج حل موضع اليعاقيب لتحول تلك الأيكة إلى قرية .

(٣) فى ديوان الفرزدق ٧٠٧ : وقال الفرزدق لعوف بن القعقاع وأخيه :

ألم تعلما يا ابنى أمامة أننى أغش إذا ما النصح لم يتقبل

(٤) النير : جبل . وكذلك سواج . وفى الأصل : « من بر » وتصحيحه من اللسان (رجج ونير) ومعجم البلدان (سواج) حيث يوجد فيهما الرجز . وفى الدميرى (فروج) : « من بُر » محرفة .

(٥) يروى : « بالقوم قد ملوا » .

(٦) الرجاج بالفتح : الضعفاء من الناس والإبل . وفى ط : « فهم دجاج على دجاج » و س : « فهم دجاج وعلى دجاج » وهو تحريف عجيب ، وتصحيحه من اللسان (رجج). قال : أى ضعفوا من السير وضعفت رواحلهم .

* مَشْيَ الفَراريجِ إلى الدَّجاجِ (١) *

وقال عبد الله بن الحجّاج (٢) :

فإن يُعْرِضْ أبو العبّاسِ عَنِّي ويركبْ بى عَرُوضاً عن عَرُوضِ (٣)
ويجعلْ ودَّهُ يوماً لغيرى ويُبْغِضْنى فإنِّى من بَغِيضِ (٤)
فَنَصْرُ اللهِ يأسُو كلَّ جُرْحٍ ويَجْبُر كسْرَ ذى العَظْمِ المهيضِ (٥)
فِدًى لكَ مَنْ إذا ماجئْتَ يوماً تلقانى بجامعةٍ رَبُوضِ (٦)
لدى جَنْبِ الخِوان وذاك فُحشٌ وبِئْستْ خُبْزَةَ الشَّيخِ المريضِ (٧)
كأنِّى إذ فزِعت إلى أُحَيْحٍ فزِعْتُ إلى مُقَوْقِيَةٍ بَيوضِ (٨)

---

(١) « إلى» هنا بمعنى « مع » ، وبالأخيرة جاءت الرواية فى اللسان والدميرى .

(٢) عبد الله بن الحجاج : شاعر فاتك شجاع ، من معدودى فرسان مضر ، فكان ممن خرج مع عمرو بن سعيد على عبد الملك بن مروان ، فلما قتل عبد الملك عمراً ، خرج مع نجدة بن عامر الحنفى ، ثم هرب فلحق بعبد الله بن الزبير ، فكان معه إلى أن قتل ، ثم جاء الى عبد الملك متنكرا واحتال عليه حتى أمنه ، وهو القائل :

رأيت بلاد الله وهى عريضة على الخائف المطرود كفة حابل
تؤدى إليه أن كل ثنيـة تيممها ترمى إليه بقاتل

الأغانى ١١ : ٢٤ — ٣٢ .

(٣) أبو العباس ، يعنى به الوليد بن عبد الملك ، وكان حبس عبد الله فقال قصيدته هذه فى الحبس .

(٤) يريد بغيض بن ريث بن غطفان ، وهو من أجداد عبد الله ، ولهذا البيت خبر فى الأغانى ١١ : ٢٧ .

(٥) المهيض : المكسور بعد أن كان جبر .

(٦) الجامعة الربوض : السلسلة الضخمة . وفى ط : « ريوص » و س : « ويوض » محرفتان . وهما على الصواب الذى أثبت فى الأغانى .

(٧) فى الأغانى : « دسست بخفة الشيخ المريض » ، صواب هذه « وبئست تحفة » .

(٨) أحيح هذا هو ابن خالد بن عقبة بن أبى معيط ، وكان عبد الله قد لجأ إليه ، فسعى به إلى الوليد فأخذه من دار أحيح فحبسه . س : « إذ دخلت على أحيح » ، والوجه ماأثبت من ط والأغانى . ط : « مقوقية ربوض » ، والوجه ما كتبت من س والأغانى . يعنى بالمقوقية الإوزة .

إوَزَّة غَيْضةٍ لَقِحت كشافاً   لِفَقْحَتِها إذا بَرَكَتْ نَقِيضُ(١)

وقالت امرأة فى زوجها وهى ترقّص ابناً لها منه :

وُهبتُه من سَلْفَعٍ أَفُوك(٢)   ومن هِبَلٍّ قَدْ عَساَ حَنيكِ(٣)

* أَشْهَبَ ذِى رأسٍ كرأسِ الدِّيكِ *

تريد بقولها « أشهب » أنّه شيخ وشعر جسده أبيض وأنّ لحيته حمراء .

وقد قال الشاعرُ ، وهو الأعشى :

وبنى المنْذِرِ الأشاهِب بالحِيـ   رَةِ يَمْشُونَ غُدْوَةً كالسُّيوفِ ١١١

وإنما أراد الأعشى أنْ يعظِّم ويفخِّم(٤) أمرَهم وشأنهم ، بأنْ يجعلهم شيوخا . وأمّا قولها : « ذى رأس كرأس الدِّيك » فإنّما تعنى أنَّه مخضوبُ الرَّأس واللِّحية .

وقال الآخر(٥) :

حَلَّتْ خُويلةُ فى حَيٍّ مجاوِرَةً   أهلَ المدائنِ فيها الدِّيكُ والفيلُ

يقارِعُون رءُوس العُجْمِ ضَاحِيةً   منهم فَوَارِسُ لاعُزْلٌ ولا مِيلُ(٦)

---

(١) أصله من لقحت الناقة كشافا : إذا حملت بعد نتاجها . والنقيض : الصوت. ورواية أبى الفرج : « لقحقحها إذا درجت » . والقحقح ، بضم القافين : العظم المطيف بالدبر .

(٢) السلفع : الشجاع الجرىء الجسور . وهو فى الأصل : « سلفك » ، وتصحيحه من اللسان (حنك) .

(٣) الهبل : الثقيل المسن الكبير . وفى الأصل : « هبتل » ، وصوابه فى اللسان . وعسا : كبر . والحنيك : الشيخ . وانظر هذا الجزء ص ٢٣٩ .

(٤) ط : « يفخر » ، س : « يفحم » وهما تحريف ما كتبت .

(٥) هو عبدة بن الطبيب من قصيدة له (فى المفضليات ١٣٥) مطلعها :

هل حبل خولة بعد الهجر موصول   أم أنت عنها بعيد الدار مشغول

(٦) العزل : جمع أعزل ، وهو من لا سلاح معه . والميل : جمع أميل ، وهو من لا ترس معه ، أو لا سيف ، أو لا رمح ؛ أو الجبان .

قال ابن أحمر :

فى رأس خَلْقَاء من عَنْقَاءَ مُشْرِفَةٍ   لا يُبْتَغَى دُونَها سَهْلٌ ولا جَبَلُ (١)
إلَّا كمثلك فينا غير أنّ لنا   شوقاً وذلك ممَّا كلّفت جَلَلُ
هَيهاتَ حَيٌّ غَدَوْا من ثَجْرَ مَنْزِلُهُمْ   حَيٌّ بنجرانَ صاحَ الدِّيكُ فاحتملوا (٢)

وقال :

أبَعدَ حُلولٍ بالرِّكاء وجَامِلٍ   غداً سارحاً مِنْ حَوْلنا وتَنَشَّرا (٣)
تبدَّلْت إصطبلا وتَلاًّ وَجَرَّةً   ودِيكًا إذاما آنسَ الفَجْرَ فرفرا (٤)
وبستانَ ذى ثَوْرَيْنِ لا لِينَ عنده   إذا ما طَغَى ناطُورُه وتَغَشْمَرا (٥)

وقال أوس بن حجَر :

كأنَّ هِرًّا جَنِيبًا عِنْدَ مَغْرِضِها   والتفّ دِيكٌ بِرِجْلِها وخِنْزِيرُ (٦)

---

(١) الخلقاء : الصخرة الملساء . والعنقاء : الأكمة فوق جبل مشرف .

(٢) ط : « هيهات حتى » و « حتى بنجران » وتصحيحه من س . وفى ط أيضاً : « من بحر » وفى س : « من تجر » ، وصوابهما « ثجر » بالثاء ، وهو ماء قرب نجران ، كما فى معجم البلدان والقاموس . ونجران : موضع من بلاد اليمن .

(٣) الركاء ، بالفتح أو بالكسر : اسم موضع . الجامل : الجمال . وتنشر : تفرق .

(٤) الفرفرة ، بالفاء : الصياح .

(٥) ذو الثورين ، أراد به الزارع . والناطور : حافظ الزرع والكرم والتمر . وتغشمر : بدا منه العنف والجفاء .

(٦) انظر هذا البيت فى الجزء الأول ص ٢٧٧ . وفى الأصل : « وألف ديك » ، وهو من عجيب التحريف .

وقال الحكَم بن عَبْدل :

مَرَرْتَ على بَغْلٍ تَزُفُّكَ تِسعةٌ (١)   كأنَّك ديكٌ مائلُ الرَّأسِ أعوَرُ
تخـيَّرتَ أثواباً لِزينةٍ مَنْظَرٍ   وأنتَ إلى وجهٍ يَزِينُك أَفْقَرُ

وقال النَّمِر بن تَولب :

أَعِذْنى رَب مِنْ حَصَرٍ وعِيٍّ   ومِنْ نَفسٍ أُعالِجُها عِلاجَا
ومن حاجاتِ نفسى فاعصِمَنِّى   فإنَّ لمُضْمَراتِ النَّفْسِ حَاجَا (٢)
وأنتَ وَلِيُّها وبرئتُ منها   إليكَ وما قَضَيْتَ فلا خِلاجَا (٣)
وأنتَ وَهَبْتَها كُومًا جِـلاداً   أرجِّى النَّسْلَ منها والنِّتاجَا (٤)
وتأمرُنى رَبيعةُ كلَّ يومٍ   لأشرِيَها وأقتَنِىَ الدَّجاجَا (٥)
وَما تُغْنِى الدَّجَاجُ الضَّيفَ عنِّى   وليس بنافِعِى إلَّا نِضَاجَا (٦) ١١٢
أأُهْلِكُها وقد لاقيتُ فيها   مِرَارَ الطَّعنِ والضَّرْبَ الشِّجَاجا (٧)

---

(١) ط : « تزفك نعسة » ، وأثبت مافى س وكتاب البغال للجاحظ . ورواية اللسان (زين) :

أجئت على بغـل تزفك تسعة   كأنك ديك مائل الزين أعور

والزين : العرف ، كما فى اللسان .

(٢) الحاج : جمع حاجة .

(٣) الخلاج هنا : بمعنى الاعتراض .

(٤) الكوم : جمع كوماء ، وهى الناقة العالية السنام . والجلاد : الصلاب الكبار .

(٥) لأشريها : لأبيعها . وهى فى الأصل : « لأشربها » ، مصحفة . وفى الخزانة ٤ : ٣٧٦ بولاق : « لأهلكها » ، بفتح لام التعليل ، لغة لبنى العنبر .

(٦) رواية اللسان : « ولاينفعنى إلا نضاجا » . والنضاج : جمع نضيج .

(٧) ط : « الشجاجا » .

وتَذْهَبَ باطلاً غَدَوَاتُ صُهْبَى على الأعداء تختلِجُ اختلاجا[١]
جَمُوم الشدِّ شائلةُ الذُّنابَى تخال بياضَ غُرَّتها سِراجا[٢]
وشدِّى فى الكريهة كلَّ يومٍ إذا الأصوات خالطت العَجَاجا[٣]

وقال عبد الرحمن بن الحكم[٤] :

ولَلأَنْصَارُ آكَلُ فى قُرَاهَا لُخبثِ الأطْعِمَاتِ من الدَّجَاجِ[٥]

وقال الآخر[٦] لصاحبه :

آذيتَنا بديكك السَّلَّاحِ فَنَجِّنا مِن مُنْتِنِ الأرْواحِ

وقالوا : « هو أسلح من حُبارَى » ساعة الخوف ، ومن « دجَاجَةٍ » ، ساعةَ الأمن .

وقال عقيل بن علَّفة :

وهَلْ أَشْهَدَنْ خَيلًا كأنَّ غُبارَهَا بأسفَلِ علْكَدٍّ دَواخِنُ تَنْضُبِ[٧]
تَبيتُ عَلَى رَمْضٍ كأنَّ عُيُونَهم فِقَاحُ الدَّجاج فى الوَدِىِّ المعصبِ[٨]

(١) صهبى : فرس النمر بن تولب ، كما فى صحاح الجوهرى ولسان العرب والاقتضاب ٣٣١ ونهاية الأرب ١٠ : ٤٧ والعمدة ٢ : ١٨٢ . وهى فى ط : « صحبى » محرفة ، وعلى الصواب فى س . وفى (صهبى) يقول النمر أيضاً :

لقد غدوت بصهبى وهى ملهبة إلهابها كضرام النار فى الشيح

(٢) قال ابن قتيبة فى أدب الكاتب ٨٩ ، « ويستحب فى الخيل أن ترفع أذنابها فى العدو » . واستشهد بهذا البيت .

(٣) ط : « وشد » س : « وشدو » . والوجه ماأثبت .

(٤) انظر ترجمته فى الجزء الأول ص ٢٣٢ .

(٥) فى الأصل : « فخبث » وتصحيحه من الجزء الأول ص ٢٣٣ .

(٦) هو أبو نواس كما مر فى ص ٢٦٤ من هذا الجزء .

(٧) علكد : موضع لم يذكره ياقوت وصاحبا القاموس واللسان . وفى س : « علكيد » . والدواخن : جمع دخان ، وهو جمع شاذ ، مثله عثان وعواثن . والتنضب : شجر ضخام ليس له ورق ، وهو يسوق ، ودخانه أبيض فى مثل لون الغبار ، ولذلك شبهت الشعراء الغبار به . وقال النابغة الجعدى :

كأن الغبار الذى غادرت ضحيا دواخن من تنضب

اللسان (دخن) وسيبويه ٢ : ١٣٨ .

(٨) عنى بالرمض القلق . ط : « ربض » . والودى المعصب : صغار النخيل المتجمع .

(كلب الرفقة)

وقال صاحب الديك : حدَّث الأصمعىُّ قال : أخبرنى العَلاء بن أسلم قال : أردت الخروج إلى مكّة المعظّمة ، شرَّفها الله تعالى ، فجاءنى هشامُ ابنُ عقبة — وهو أخو ذى الرُّمة — فقال لى : يا ابن أخى ، إنَّك تريد سفراً يحضُر الشّيطانُ فيهِ حُضُورًا لا يحضره فى غيره ، فاتّقِ الله وصَلِّ الصَّلوات لوقتها فإنّك مصلِّيها لا مَحالة ، فصلِّها وهى تنفعك ، واعْلم أنّ لكلّ رُفقةٍ كلباً ينبَحُ عليهم ، فإن كان نهبٌ شَرِكُوه فيه ، وإن كان عارٌ تقلّده دونَهم فلا تكنْ كلبَ الرُّفقة[1] ! !

وقد رووا شبيهاً بذلك عن تبيع بن كعب[2] .

(أم كلبة)

وقال زيد الخيل :

يا نَصْرَ نَصْرَ بنى قُعَيْنٍ إنَّما أَنْتُمْ إماءٌ يَتَّبِعْنَ الأشْتَرَا[3]

---

(١) مثل هذا الخبر فى ثمار القلوب ٣١٥ . وقد عزا الميدانى المثل إلى لقمان الحكيم انظر الأمالى ٢ : ٢٣٤ .

(٢) هو ابن امرأة كعب الأحبار ، لا ابن كعب . ترجم له ابن حجر فى الإصابة ٨٥٦ ، وهو كما فى القاموس تبيع بن عامر ابن امرأة كعب الأحبار .

(٣) فى الأصل : « نصر أبى قعين » ، وليس كذلك . وقعين : بطن من أسد . وفى اللسان : « وسئل بعض العلماء أى العرب أفصح ؟ فقال : نصر قعين » .

يَتْبَعْنَ فَضْلَةَ أَيْرِ كَلْبٍ مُنْعِظٍ عضَّ الكلابُ بعَجْبِهِ فاسْتَثْفَرَا(١)

قال : فلمَّا قَدِم زيد من عند النبي صلى الله عليه وسلم قال « أَبْرَحَ فَتًى إنْ لَمْ تُدْرِكْهُ أُمُّ كَلْبَة(٢) ، يعني الحُمَّى .

(الكلب بين الهجاء والفخر)

وقال جرير في البَعيث :

إذا أنتَ لاقيت البَعيثَ وجَدْتَه أشَحَّ على الزَّادِ الخبيثِ من الكلب

١١٣ وقال صاحب الكلب : وقد قال عمرو بن مَعْدِ يكَرِب :

وقد كنتُ إذا ما الحـ ـيُّ يوماً كَرِهُوا صُلْحى

أَلُفُّ الخيْـلَ بالخيْلِ وأكْفِي النَّبْحَ بالنَّبْح

(استعارات من اسم الكلب)

قال ومن الاستعارات من اسم الكلْب قولُ الرَّجل منهم ، إنْ أوْطَنَ نفسَهُ على شيء : قد ضَرَبت جَروتي ، وضَرَبت عليه(٣) . وقال أبو النَّجْم :

---

(١) استثفر الكلب : أدخل ذنبه بين فخذيه حتى يلزقه ببطنه .

(٢) أبرح فتى : أي ما أعجبه فتى . و « فتى » تمييز . مثاله قول الأعشى الخزانة ٣ : ٢٧٥ :

تقول ابنتي حين جد الرحيـ ـل أبرحت ربا وأبرحت جارا

وانظر للخبر السيرة ٩٤٧ جوتنجن (وفد طيء) والجزء الأول من الحيوان ٣١٧ والأغاني ١٦ : ٤٧ - ٤٨ . والإصابة ٩١٣٤ وقد حم زيد منصرفه من عند الرسول ومات ببلده . الخزانة ٢ : ٤٤٨ بولاق .

(٣) الجروة بمعنى النفس ، كما في اللسان (جرا) وكما في أمثال الميداني ١ : ٣٨٣ . و « ضربت عليه » يريد : « ضربت عليه جروتي » . وفي الأصل : « ضربت جروه وضربت عليه » وهو تحريف . قال ابن بري : وأنشد أبو عمرو :

=

حتّى إذا ما ابيضَّ جرو التّتْفُل (١) وبُدِّلتْ والدَّهْرُ ذو تَبَدُّلِ

وقال (٢) :

من الحنْظَلِ العامىِّ جروٌ مفلَّقُ

وقال عُتبة الأعور (٣) :

ذهبَ الذين أحبُّهم وبَقِيت فيمَنْ لا أُحِبهْ

إذْ لايزال كريمُ قو مى فيهمُ كلبٌ يسُبُّه

(احتقار العرب للصيد)

[قال صاحب الديك (٤)] :

فخرتم علينا بصَيْد الكلْب ، وهَجوتم (٥) الديك إذْ كان ممَّا لايصيد ولا يُصاد به ، وقد وجدْنا العربَ يستذلُّون الصَّيدَ ويحقِرون الصَّيَّاد ، فمن ذلك قولُ عمرو بن معد يكرب :

= ضربت بأكناف اللوى عنك جروتى وعلقت أخرى لاتخون المواصلا

أى اطمأنت نفسى . ويقال أيضاً – كما فى اللسان – : ضرب جروة نفسه . قال الفرزدق :

فضربت جروتها وقلت لها اصبرى وشددت فى ضنك المقام إزارى

ويقال أيضاً : ألق جروته ، بمعنى ماتقدم . اللسان والميدانى .

(١) التتفل : الثعلب ، أو نبات أخضر فيه خطبة ، أى غبرة ؛ وهو آخر مايجف من النبات . وهذا المعنى الأخير هو المراد . والجرو : الثمر ، واحدته جروة .

(٢) القائل هو النمر بن تولب . وانظر صدر البيت فى هذا الجزء ص ٢٠٨ .

(٣) عتبة الأعور ، ذكره ابن النديم فى الفهرست ١٦٣ ليبسك ، ٢٣٢ مصر ، قال : « عتبة الأعور الكوفى ، مقل » . ووجدت فى معجم المرزبانى ص ٢٦٥ « عتبة ابن أبى عاصم الحمصى الأعور ، هجا بنى عبد الكريم الطائى من أهل الشام ، فعارضه أبو تمام الطائى وهجاه ومدحهم » .

(٤) زدتها لحاجة الكلام إليها .

(٥) ط : « وهجرتم » وتصحيحه من س .

أبنى زيادٍ أنتمُ فى قومِكُمْ ذَنَبٌ ونحنُ فروعُ أصل طَيِّبِ
نَصِلُ الخميس إلى الخميس وأنتمُ بالقَهْرِ بين مربِّق ومكلِّبِ (١)
لايحسَبَنَّ بنو طُليحَةَ حَرْبَنَا سَوْقَ الحمير بجانةٍ فالكَوْكَبِ (٢)
حِيدٌ عن المعروفِ سَعْىُ أبيهمُ طَلَبُ الوُعول بوَفْضَةٍ وبأكلُبِ (٣)
حتَّى يكهَّنَ بعْدَ شَيبٍ شامِلٍ ترحاً له من كاهن متكذِّبِ

(الاشتفاء بدماء الملوك والأشراف)

وأما قولُ زهير :

وإن يُقتلوا فَيُشْتَفَى بدمائهم وكانوا قَدِيماً مِنْ مَنَاياهمُ القتْلُ (٤)

فهذا البيت نفسُه ليس يَدُلُّ على قولهم أنَّ كُلَّ مَن كان بهِ جُنُونٌ أو كلَبٌ ثمَّ حسَا من دمِ ملكٍ أو سيِّدٍ كريم أفاقَ وبرئ .

(فرار الكلْبِ الكلبِ من الماء)

وقَدْ ضربُوا لصاحب الكلَب أمثالاً فى شدَّة طلبهِ الماء ، وفى شِدَّة فِرارِه منهُ إذا عاينه .

---

(١) الخميس : الجيش . والقهر : الذل . والمربق : أراد به الصائد بالربقة ، وهى العروة فى الحبل . والمكلب : الصائد بالكلاب .

(٢) لعل فى البيت تحريفا .

(٣) الوفضة : جعبة السهام إذا كانت من أدم .

(٤) يقول : هم أهل حروب فلا يموتون على فرشهم حتف أنوفهم .

وقالوا وقلتم : فالماءُ المطلوبُ إذا عايَنه من غير أن يمسَّه ، وهو الطالب له ولم يحرص عليه إلاَّ من حاجة إليه . فكيف صار إذا رآه صاح[١] ؟ !

قالوا : وقد يعترى النَّاظرَ إلى الماء ، والذى يديم التَّحديقَ إليه وهو يمشى على قنطرةٍ أو جُرُف أو جسْر الدُّوَّارُ ؛ فإنَّه ربَّما رمى بنفسه من تلقاء نفسه إلى الماء ، وإن كان لا يحسن السباحة . وذلك إنَّما يكون على قدر ما يصادف ذلك من المِرَار[٢] ، ومن الطِّباع . ١١٤

فمِمَّن فعل ذلك بنفسه أبو الجهجهاه محمَّد بن مسعود ، فكاد يموت حتى استُخرِج . ومنهم منصور بن إسماعيل التَّمار، وجماعةٌ قد عُرفت حالُهم .

(ما يعترى المختنق والممرور)

وهذا كما يعترى الذى يصيبه الأسَنُ[٣] من البخار المختنق فى البئر إذا صار فيها ؛ فإنَّه [ربَّما][٤] استقى واستخرج وقد تغيَّر عقله . وأصحاب الرَّكايا[٥] يرون أنَّ دواءه أن يُلقوا عليه دِثاراً ثقيلا ، وأن يزَمَّل تزميلاً[٦] وإن كان فى تمُّوزَ وآب[٧] ، ثم يحرس وإن كان قريباً من رأس البئر ؛ فإنَّه

(١) ضمير : « قالوا » عائد إلى العرب . وضمير « قلتم » راجع إلى أنصار الكلب وجملة « فكيف إذا رآه صاح ؟ ! » اعتراض عليهم من صاحب الديك . وضمير : « قالوا » الآتية لأنصار الكلب .

(٢) المرار : جمع مرة بالكسر ، وهى مزاج من أمزجة البدن .

(٣) الأسن : مصدر أسن كفرح : دخل البئر فانتشق هواء فاسداً فغشى عليه .

(٤) التكلة من س .

(٥) الركايا : جمع ركية وهى البئر .

(٦) يزمل : يلف فى ثوب .

(٧) شهران من الشهور الرومية ، وفيهما يشتد الحر . انظر عجائب المخلوقات ٧٥ - ٧٦ .

إنْ لم يُحَلْ بينَه وبينَها طرَح نفسَهُ في تلك البئر ، أتاها سعياً في أوَّلِ ما يفتح عينَه ويرجعَ إليه اليَسيرُ من عقله ، حتَّى يُكفِيَ[1] نفسَه فيها من ذات نفسِه ، في الموضع الذي قد لقِيَ منه ما لقِيَ ، وقد كان عنده معلوماً أنَّ القومَ لو تركوه طَرْفَةَ عينٍ لهلَكَ . هكذا كان عنده أيّامَ صحّةِ عقله ، فلمّا فسد أراه الفسادُ أنّ الرَّأيَ في العَود إلى ذلك الموضع .

وكما يعترى الممرورَ[2] حتَّى يرجُم النَّاس ؛ فإنَّ المِرَّة تصوِّر له أنَّ الذي رَجَمه قد كان يريدُ رجمَه ، فيرى أنَّ الصَّواب أن يبدأه بالرَّجْم . وعلى مثلِ ذلك تُريه المِرّةُ أنَّ طرْحَه نفسَه في النَّار أجودُ وأحزم .

وليس في الأرض إنسانٌ يذبح نفسَه أو يختنق أو يتردَّى في بئر ، أو يرمى نفسه من حالقٍ ، إلاَّ من خوف المثْلة أو التعذيب أو التعيير[3] وتقريع الشامتين ، أو لأنّ به وجعاً شديداً فيحرِّكُ عليه المِرَّة فيحمَى لذلك بدنُه ويسخنُ جوفُه ، فيطير من ذلك شيءٌ إلى دِماغه أو قلبِه ، فيوهمه ذلك أنّ الصَّواب في قتلِ نفسه ، وأنّ ذلك هو الرَّاحة ، وأنّ الحزم مع الرَّاحة .

ولا يختار الخنقَ الوادعُ الرابح[4] الرافه ، السليمُ العقلِ والطِّباع . وللغيظ ربَّما رَمى بنفسه في هذه المهالك ، وقَذف بها[5] في هذه المهاوِى .

وقد يعترى الذى يصعَد على مثل سنسيرة أو عَقَرْقُوفَ[6] أو خضراء

(١) مخفف « يكفئ » بمعنى يقلب .

(٢) الممرور : من غلبت عليه المرة ففسد عقله .

(٣) ط : « التعبير » ووجهه ما أثبت من س .

(٤) كذا .

(٥) فى الأصل : « به » والضمير للنفس .

(٦) عقرقوف : قرية بينها وبين بغداد أربعة فراسخ ، إلى جانبها تل عظيم يرى من خمسة فراسخ كأنه قلعة عظيمة » . وفى الأصل : « عقرقوب » .

زوج(١) ، فإنّه يعتريه أن يرمى(٢) بنفسه من تلقاء نفسه ، فيرون عند ذلك أن يَصعَد إليه بعضُ المعاودين المجرّبين ، ولا يصنع شيئاً حتّى يشُدَّ عينَيه(٣) ، ويحتال لإنزاله . فهذا المعنى عامٌّ فيمن(٤) كانت طبيعته تثور عندَ مثلِ هذه العلَّة . وما أكثر من لايعتريه ذلك .

وقد قال النّاسُ فى عذر هؤلاء ولأنّ فيهم(٥) ضروباً من الأقاويل .

١١٥ وإنّما تكلمنا على المغلوب . فأمّا من كانت هذه العوارضُ لا تُفسِد عقلَه ، ولا تنقُضُ(٦) استطاعته ، فليس بيننا اختلافٌ فى أنّه ملوم . على أنّ إلزامَه اللائمةَ لا يكونُ إلاّ مِن بَعْدِ خُصومةٍ طويلة ، لا يصلُح ذكرُها فى هذا الباب .

(لؤم الغراب وضعفه)

وقال صاحب الكلب(٧) : الغراب من لئام الطير وليس من كِرامها ، ومن بغاثها وليس من أحرارها ، ومن ذوات البراثنِ الضعيفة والأظْفار

---

(١) لم يذكره ياقوت .

(٢) ط : « يرميه » ، وصوابه من س .

(٣) ط : « حتى ليسد عينيه » ، وفى س : « حتى يسد عينيه » والوجه ما أثبت .

(٤) فى الأصل : « فن » وهو تحريف .

(٥) كذا . وفى س : « ولأن منهم » ولعل صواب ذلك : « ولهم فيهم ضروب من الأقاويل » .

(٦) فى الأصل : « تنقص » ، وما كتبت أشبه بلغة الجاحظ .

(٧) سيتحدث صاحب الكلب عن الغراب ليبين أن الغراب مع لؤمه واتضاعه ، قد أمكنه أن يخدع الديك ويسخر منه . كما سيظهر ذلك فيما يأتى ص ٣١٩ . وليس الحديث فى الغراب مقصوداً لذاته .

الـكليلة ، وليس من ذوات المخالب المعقّفة والأظفار الجارحة[(١)] ، ومن ذوات المنـاقير وليس من ذوات المناسر[(٢)] . وهو مع أنّه[(٣)] قوىُّ النّظَر[(٤)] . لا يتعاطى الصّيد . وربّما راوغَ العصفور ، ولا يَصيد الجرادةَ إلاّ أن يلقاها فى سُـدٍّ من الجراد[(٥)] . وهو فَسْلٌ إن أصاب جِيفةً نال منها وإلاّ مات هُزالا ، ويتقمّم كما يتقمم بهائم الطير وضعافُها ، وليس ببهيمةٍ لمكانِ أكْلِه الجِيف ، وليس بسَبع لعَجْزه عن الصّيد .

(ألوان الغربان)

وهو مع ذلك يكون[(٦)] حالكَ السّوادِ شديدَ الاحتراق ، ويكون مثلُه من النّاس الزّنجَ فإنّهم شِرارُ الناس ، وأردأُ الخلق تركيباً ومزاجاً ، كَمَنْ بردت بلادُه فلم تطبخه[(٧)] الأرحام ، أو سخنت فأحرقته الأرحام . وإنما صارت عقولُ أهل بابَل وإقليمِها فوقَ العقول ، وجمالهم فوق الجمال[(٨)] لعلّةِ الاعتدال .

---

(١) ط : « الـكلية » وتصحيحه من س . وفى س ، ط : « القصار » موضع « الأظفار » ولاوجه له . وأثبت ماتقتضيه المقابلة .

(٢) المناسر : جمع منسر ، كمنبر ، وهو المنقار لسباع الطير .

(٣) فى الأصل : « ذلك » ، وكذلك فى نهاية الأرب ١٠ : ٢١٠ حيث نقل النويرى عبارة الجاحظ .

(٤) فى الأصل : « البطن » ، وفى النهاية : « البدن » . وأثبت مافى هامش س ، حيث كتب « ن : النظر » ، إشارة إلى كلمة (نسخة) .

(٥) السد ، بالضم : جماعة الجراد تسد الأفق .

(٦) س : « ذلك أن يكون » وفى النهاية : « ذلك إما أن يـكون » والأول تحريف ، والثانى تصرف من النويرى حيث أوجز النقل إيجازاً .

(٧) الدميرى حيث نقل كلام الجاحظ : « تنضجه » .

(٨) الدميرى : « وكمالهم فوق الـكمال » .

والغراب إمّا أن يكونَ شديدَ الاحتراق فلا يكون له معرفةٌ ولا جمال ، وإمّا أن يكونَ أبقعَ فيكونَ اختلافُ تركيبه وتضادُّ أعضائهِ دليلاً على فسادِ أمْره . والبُقْع ألأَمُ من السُّود وأضْعَف .

(أنواع الغربان)

ومن الغِرْبان غُراب الليل ، وهو الذى ترك أخلاقَ الغِربان وتشبَّه بأخلاق البوم .

ومنها غُراب البَيْنِ . وغراب البَيْنِ نوعان : أحدهما غِربانٌ صِغارٌ معروفةٌ بالضَّعف واللُّؤم ، والآخَر : [كُلُّ غُرَابٍ يُتَشَاءَمُ به(١) . و] إنّما لزمهُ هذا الاسمَ لأنّ الغرابَ إذا بانَ أهْلُ الدَّارِ للنُّجعة ، وقَعَ فى مرابض(٢) بيوتهم يلتمس(٣) ويتقمَّم ، فيتشاءمون به ويتطيَّرون منه ؛ إذْ كان لا يعترى منازلهم إلاّ إذا بانوا ، فسمَّوه غراب البين . ثمَّ كرهوا إطلاق ذلك الاسم له مخافة الزَّجْر والطِّيرَة(٤) ، وعلموا أنّه نافذ البصر صافى العين — حتّى قالوا « أصفَى مِنْ عَيْنِ الغراب » ، كما قالوا : « أصفَى مِن(٥) عين الدِّيك » —

---

(١) الزيادة من ثمار القلوب ٣٦٢ حيث نقل الثعالبى كلام الجاحظ .

(٢) فى النهاية : « مواضع » ، وكذلك فى الدميرى وثمار القلوب .

(٣) ط : « ويتملس » وتصحيحه من س وثمار القلوب . وفى النهاية : « يتلمس » ، وكذلك فى أمثال الميدانى (١ : ٣٤٩) حيث نقل عن الجاحظ ، ولو أنه لم يصرح بذلك .

(٤) الطيرة ، كعنبة : التشاؤم .

(٥) فى الأصل : « عن » .

فسمّوه الأعور [كنايَةً[1]] ، كما كنَوا طيرةً عن الأعمى فكنوه أبا بَصِير[2] . وبها اكتنى الأعشَى بعــد أنْ عمِى . ولذلك سمَّوا الملدوغ[3] والمنهوش سليما ، وقالوا للمهالك[4] من الفيافى : المفاوز . وهذا كثير .

والغِدْفان[5] جنس من الغِربان ، وهى لئام جدًّا .

(التشاؤم بالغراب)

[و] منْ أجْل تشاؤُمِهم بالغراب اشتقُّوا من اسمــه الغُربة ، والاغتراب ، والغريب .

١١٦ وليس فى الأَرض بَـارحٌ ولاَ نَطيح[6] ، ولا قَعيد ، ولا أَعضب[7] ولا شيءٌ مما يتشاءمون به إلاّ والغرابُ عندَهم أنكدُ منــهُ ، يرون أَنّ صِيَاحَهُ[8] أكثر أخبارا ، وأَنّ الزَّجْر فيه أَعمُّ . وقال عنترة :

حَرِق الجناح كَأَنّ لَحيَيْ رأسهِ جَلَمانِ ، بالأَخْبار هَشٌّ مُولَع[9]

---

(١) الزيادة من أمثال الميدانى .

(٢) فى الأصل : « كما كنوا عن الطير الأعمى بالبصير » وهو تحريف عجيب اعتمدت فى تصحيحه على مافى أمثال الميدانى (١ : ٣٥) .

(٣) ط : « الملد » ، وتصحيحه من س وأمثال الميدانى .

(٤) المهلكة : المفازة ، جمعها مهالك .

(٥) الغدفان ، بالكسر : جمع غداف بالضم ، وهو الأسود الضخم من الغربان .

(٦) البارح : مامر من الطير من ميامنك إلى مياسرك ، يقابله السانح . والنطيح : مايأتى إليك من أمامك من الطير والوحش .

(٧) القعيــد : ما أتى إليك من ورائك من ظبى ، أو طائر . والأعضب : المكسور القرن .

(٨) فى الأصل : « صاحبه » ، وهو على الصواب الذى أثبته فى أمثال الميدانى .

(٩) فى الأصل : « خرق الجناح » ، وتصحيحه من الحيوان (١ : ٣٤) .

(التعاير بأكل لحم الغراب)

وهو عندهم عار ، وهم يتعايرون بأكل لحمه . ولو كان ذلك منهم لأنّه يأكل اللحوم ، ولأنّه سبع ، لكانت[1] الضّوارى والجوارحُ أحقَّ بذلك عندهم . وقد قال وَعْلَة الجَرْمى[2] :

فما بالعار ما عَيَّرْتُمونا   شِواءَ الناهضاتِ مع الخبيص[3]
فما لَحْمُ الغُرابِ لنا بزادٍ   ولا سَرَطانُ أنهارِ البريص[4]

(فسق الغراب وتأويل رؤياه)

قال : والغِربانُ جنسٌ من الأجناس التى أُمر بقتلها فى الحِلِّ والحرم ، وسمِّيت بالفسق وهى فواسق ، اشتقَّ لها من اسم إبليس .

وقالوا : رأى [فلان][5] فيما يرى النَّائمُ أنه يُسقِطُ أعظمَ صومعةٍ بالمدينة غرابٌ . فقال سعيدُ بن المسيِّب : يتزوج أفسَقُ الفاسقين امرأةً من أهل المدينة . فلم يلبثوا إلاَّ أيَّاماً حتى كان ذلك .

---

(١) ط : « فكانت » ، وتصحيحه من س .

(٢) هو وعلة بن الحارث الجرمى . ذكره صاحب المؤتلف ص ١٩٧ . وفى العرب وعلة بن عبد الله الجرمى ، أحد فرسان قضاعة ، وله خبر فى يوم الكلاب الثانى . الأغانى (١٥ : ٧١) .

(٣) الناهضات : أرادبها الفراخ الناهضات ، وهى التى وفرت أجنحتها وقويت على الطيران وعلى الدجاج والحمام وما أشبهه ، وليس كما وهم بعضهم فزعم أنها جمع ناهضة بمعنى الأنثى من فرخ العقاب . فى ط : « سواء » وتصحيحه من س ونهاية الأرب (١٠ : ٢١١) . والخبيص : ضرب من الحلوى ، ذكر له البغدادى (فى كتاب الطبيخ ٧٣ — ٧٤) ست صنعات . وفى الأصل : « المبيض » ، وصوابه فى النهاية .

(٤) البريص : نهر دمشق . وفى الأصل : « البريض » محرفة ، صوابها فى النهاية ومعجم البلدان (البريص) واللسان (برص) .

(٥) الزيادة من س .

(غراب نوح)

وقالوا في المثل : « لا يرجعُ فلانٌ حتَّى يرجعَ غرابُ نوح » ، وأهل البصرة يقولون : « حتَّى يرجِعَ نَشِيطٌ من مَرْو[١] » ، وأهل الكوفة يقولون : « حتَّى يرجِعَ مَصقَلة[٢] من سِجِستان » . فهو مثلٌ في كل موضعٍ من المكروه .

(قبح فرخ الغراب وفرخ العقاب)

وزعم الأصمعيُّ عن خلفٍ الأحمر ، أنَّه قال : رأيت فرخ غراب فلم أر صورة أقبحَ ولا أسمجَ ولا أبغضَ ولا أقذرَ ولا أنتنَ منه . وزعم أنَّ فِراخ الغِربان أنتنُ من الهدهد — على أنَّ الهدهدَ مَثَلٌ في النَّتْن — فذكر عِظَمَ رأسٍ وصِغَر بدن ، وطولَ منقار وقِصرَ جناح ، و [أنَّه[٣]] أمْرَطُ أسود ، وساقط النَّفْس ، ومُنتِن الرِّيح .

---

(١) قال هذا المثل زياد ، وكان « نشيط » قد بنى له داراً وهرب إلى مرو قبل إتمامها ، وكلما قيل لزياد : تمم ، قال : حتى يرجع نشيط من مرو ! . وكان زياد لا يرضى إلا عمله . القاموس والميداني (١ : ١٩٨) .

(٢) في الأصل : « مسعر » ، وهو تحريف صوابه في ثمار القلوب ٣٠ حيث نقل الثعالبي كلام الجاحظ ، وكذا في المعارف ١٧٧ ومعجم البلدان (رسم طبرستان) . وفي المعجم والمعارف (طبرستان) : ومصقلة هذا هو مصقلة بن هبيرة كان معاوية وجهه إلى طبرستان فسار وأوغل بجيشه ، وكان عشرين ألف رجل ، فأخذهم العدو وأهلك أكثرهم ، وهلك مصقلة فضرب الناس به مثلا . انظر المثل في المراجع المتقدمة والحيوان (٥ : ٥٢٩) .

(٣) ليست بالأصل .

وصاحب المنطق يزعُم أنَّ رؤيَةَ فَرْخ العُقاب أمرٌ صعب ، وشيءٌ عسير . ولست أحسنُ أنْ أقضيَ بينهما[1] .

والغِربان عندنا بالبَصرة أوابدُ غير قواطع ، وهي تُفرخ عندنا في رءوس النَّخل الشَّامخة ، والأشجار العالية .

(أسطورة خداع الغراب للديك)

فالغرابُ عند العرب مع هذا كلِّه ، قد خدع الدِّيك وتلعَّب به ، ورَهَنَه عند الخمَّار[2] وتخلَّص من الغُرْم ، وأغلقه[3] عند الخمَّار ، فصار له الغنم وعلى الدِّيكِ الغُرم ، ثم تركه ترْكًا ضُرب به المثل .

فإن كان معنى الخبر على ظاهر لفظه ، فالدِّيك[4] هو المغبون والمخدوع والمسخور به ، ثمَّ كان المتلعِّب به أنْذلَ الطير وألأمَه .

١١٧ وإن كان هذا القولُ منهم يجري مَجرى الأمثال المضروبة ، فلولا أنَّ عُلْيَا الدِّيك في قلوبهم[5] دونَ محلِّ الغُراب — على لؤم الغراب ونذالته ومُوقه وقلّة معرفته — لَمَا وضعوه في هذا الموضع .

---

(١) أي بين خلف وصاحب المنطق .

(٢) انظر الصفحة الآتية ، ثم ٣ : ٤١٠ وتأويل مختلف الحديث ٣٦٤ .

(٣) أغلقه كما يغلق الرهن : إذا لم يستطع فكاكه .

(٤) في الأصل : « والديك » .

(٥) كذا في ط . وفي س : « على الديك من قلوبهم » ، ولعل صوابهما « محل الديك في قلوبهم » .

(دهاء أمية بن أبى الصّلت)

فإن أردتمْ معرفةَ ذلك فانظروا فى أشعارهم المعروفة، وأخبارهم الصحيحة ثمّ ابدءوا بقول أُميَّة بن أبى الصَّلت ؛ فقد كان داهيةً من دواهى ثَقيف ، وثَقيفٌ من دُهاةِ العرب ، وقد بلغ من اقتداره فى نفسه أنَّه قد كان همَّ بادِّعاد النُّبوة ، وهو يعلم كيف الخصالُ التى يكون الرجل بها نبيًّا أو متنبِّياً إذا اجتمعتْ له . نعمْ وحتَّى تَرَشَّحَ[1] لذلك بطلب الرِّوايات ، ودرْس الكُتُب . وقد بان[2] عندَ العرب علاّمةً ، ومعروفاً بالجوَلان فى البلاد ، راوِيةً[3] .

(حديث العرب فى الغراب والديك وطوق الحمامة)

وفى كثيرٍ من الروايات مِن[4] أحاديث العرب ، أنّ الدِّيك كان نديمًا للغراب ، وأنَّهما شربا الخمر عند خمَّارٍ ولم يعطياه شيئاً ، وذهب الغرابُ ليأتيَه بالثَّمنِ حين شرب ، ورَهن الدِّيك ، فخاس به[5] ، فبقى محبوساً .

---

(١) ترشح : تقوى ، من ترشح الفصيل ، إذا قوى على المشى .
(٢) بان بمعنى : برز ونبغ . وفى س : «كان» .
(٣) فى الأصل : « رواية » .
(٤) فى الأصل : « مع » .
(٥) خاس به : غدر به .

وأنَّ نوحا صلَّى الله عليه وسلم حينَ بقى فى اللُّجَّة أيّامًا بعث الغرابَ ، فوقع على جيفةٍ ولم يرجع ، ثمّ بعث الحمامة لتنظرَ هل ترى فى الأرض موضعًا يكون للسفينة مَرفأً ، واستجْعَلت على نوحٍ الطَّوق الذى فى عنقها[1] ، فرشاَها بذلك — أى فجعَلَ ذلك جُعْلاً لها .

وفى جميع ذلك يقول أميّة بن أبى الصَّلت .

بآيةِ قامَ ينْطِقُ كلُّ شىءٍ   وخانَ أمَانَةَ الدِّيكِ الغرابُ

يقول : حين تركه فى أيديهم وذهب وتركه .

والعامّة تضرب به المثل وتقول : « ما هُوَ إلاّ غرابُ نوح » .

ثمّ قال :

وأُرْسِلتِ الحَمَامَةَ بَعْدَ سَبْعٍ   تَدُلُّ على المهالك لاتَهابُ

تَلَمَّسُ هَلْ تَرَى فى الأرضِ عيناً   وغايته من المـاء العُبابُ[2]

فجاءَتْ بَعْدَ ما رَكَضَتْ بقِطْفٍ   عليه الثَّأط والطين الكُبابُ[3]

فلما فرَّسُوا الآياتِ صَاغُوا   لها طَوْقًا كما عُقِدَ السِّخابُ[4]

---

(١) استجعل : طلب الجعالة — كسحابة — وهى الرشوة . والرشوة : العطاء فى مقابل نفع .

(٢) كذا . وفى نهاية الأرب (١٠ : ٢٧٧) : « وعاينه من المـاء العباب » ولعل صوابهما مافى الديوان ١٨ : « وغايته بها المـاء العباب » أى أن المـاء العباب غايته وانتهاؤه إلى الأرض . والعين هنا : الناحيـة . جاء فى اللسان : « والعين : الناحية » .

(٣) الركض هنا بمعنى الطيران . والثأط : الطين الأسود المنتن . وفى ط : « عليها الشاة » و س : « عليها الشاط » ، وأثبت ما فى اللسان والديوان ١٨ . وفى أصل نهاية الأرب : « عليها الناط » . والكباب ، بالضم : الطين اللازب .

(٤) السخاب ، بالكسر : القلادة . وفى ثمـار القلوب ٣٦٨ : « فلمـا فتشوا الآيات » .

إذا ماتت تورّثه بنيها وإنْ تقْتل فليس لها استلاب[1]

كذِى الأفْعَى يربّبها لديه وذى الجِنِّى أرسله يتابُ[2]

* فلا ربٌّ المنيـة يأمَنْها ولا الجنّىُّ أصبَح يُستَتابُ

الجنّىّ : إبليس ؛ لذنوبه . والأفعى هى الحيَّة التى كلم إبليس آدمَ

١١٨ من جَوفها . ومَنْ لاعِلمَ عندَه يروى أيضاً أنَّ إبليس قد دخل جوفَ الحمار مرَّة ؛ وذلك أنَّ نوحا لمَّا دخل السفينة تمنَّع الحمار بعسره وتَنكّدِه ، وكان إبليسُ قد أخذَ بذَنَبه . وقال آخرون : بل كان فى جوفِه فلمَّا قال نوح للحمار : ادخل ياملعون ! ودخل الحمار ، دخَل إبليس معه ؛ إذْ كانَ فى جوفه . قال : فلمَّا رآه نوحٌ فى السفينة قال : يا ملعون من أدخلك السَّفينة ؟ قال : أنتَ أمرتَنى . قال : ومتى أمرتك ؟ قال : حينَ قلتَ ، ادخل ياملعون ، ولم يكن ثَمَّ ملعونٌ غيرى .

(شعر أمية فى الديك والغراب والحمامة)

قال أميَّة بن أبى الصَّلت :

هو أَبْدَى مِن كلّ ما يأْثُرُ النّا سُ أماثيلَ باقياتٍ سُفُورا[3]

خَلَقَ النَّخْلَ مُصْعِداتٍ تراها تقصف اليابساتِ والخضُّورا[4]

(١) أى فلا يستلب منها ذلك الطوق . وأجود من هذه الرواية المثبتة هنا ، وفى نهاية الأرب — رواية الثعالبى فى الثمـار : « فليس له استلاب » .

(٢) كذا فى س . وفى ط : « تباب » .

(٣) فى الأصل : « هو أبدى كل » . والشعر من الخفيف .

(٤) كذا . وفى الديوان : « المخضورا » . وفى اللسـان : « والخضر والمخضور اسمان للرخص من الشجر إذا قطع وخضر » .

والتّماسيح والتماثيل والأيِّلَ شَتّى والرِّيمَ واليَعْفُورا(١)
وصواراً من النّواشطِ عِيناً ونَعَاماً خَواضباً وحَمِيرا(٢)
وأُسُوداً عـواديًا وفيولاً وذِياباً والوَحْشَ والخِـنْزِيرَا
ودُيوكًا تدعو الغرابَ لِصُلْحٍ وإوَزِّينَ أخرجتْ وصقُورَا(٣)

قال : ثم ذكر الحمامة فقال :

سمعَ اللهُ لابنِ آدَمَ نُوحٍ ربُّنا ذُو الجـلال والإفْضالِ
حينَ أوفَى بذى الحمامــة والنَّا س جميعاً فى فُلْـكِهِ كالعِيال
فأَتَتْهُ بالصِّدْقِ لمَّـا رشَاها وبقِطْفٍ لما غـدا عِثْـكالِ(٤)

ووصف فى هذه القصيدة أمرَ الحمامة والغراب صفةً ثانية ، وغيرَ ذلك ، وبدأ بذكر السفينة فقال :

تَرفَّعُ فى جَرْىٍ كأَنَّ أَطِيطَه صَرِيف مَحَالٍ تَستعيد الدّواليا(٥)

---

(١) « التماثيل » لعلها « الثياتيل » : جمع ثيتل . وبدلها فى الديوان : « السنادل » وفى اللسان : « السندل : طائر يأكل البيش » . والبيش : نبات سام . والريم : الظبى الخالص البياض . واليعفور : الظبى لونه كلون العفر .

(٢) الصوار بضم الصاد وكسرها : قطيع بقر الوحش . والنواشط : التى تنشط من بلد إلى آخر . والعين : الواسعات العيون . والخواضب : جمع خاضب ، وهو من النعام الأحمر الساقين :

(٣) الإوزون : جمع إوزة ، وهو من نادر الجمع . وجاء مثل هذا فى قول القائل : (اللسان وزز ، دور) :

تلقى الإوزين فى أكناف دارتها فوضى وبين يديها التين منثور

(٤) ومثـل هذه الرواية فى الديوان . وفى نهـاية الأرب ١٠ : ٢٧٨) : « لمـا بدا » .

(٥) ترفع : تترفع ، أى تسرع فى جريها . والأطيط : الصوت ، وكذلك الصريف . والمحال بالفتح : جمع محالة ، وهى المنجنون أو البكرة العظيمة . وفى الأصل : « يستعيد الدواليا » ، ووجهه بالتاء .

على ظَهْر جَوْنٍ لم يُعَدَّ لراكبٍ سرَاهُ وغَيمٍ ألبس الماءَ دَاجيا (١)
فصارتْ بها أيَّامَها ثُمَّ سَبْعَةً وستٌّ ليالٍ دائباتٍ غَواطيا (٢)
تشُقُّ بهم تهوى بأحسن إمرةٍ كأنَّ عليها هَادياً ونَوَاتِيا (٣)
وكان لها الجُودِيُّ نِهيًا وغَايةً وأصبح عنــه مَوجُه متراخيا

[ثم قال] (٤) :

١١٩ وما كان أصحابُ الحمامةِ خيفة غَدَاةَ غدَتْ منهم تضمُّ الخوافيا (٥)
رسولًا لهم والله يُحكِمُ أمرَه يُبينُ لهم هل يُونَسُ التُّربُ باديا (٦)
فجاءتْ بقِطفٍ آيةً مستبِينَةً فأصبحَ منها موضِعُ الطِّين جاديا (٧)
على خَطْمِها واستوْهَبَتْ ثُمَّ طَوقَها وقالتْ ألا لاتجعلِ الطَّوقَ حَاليا
ولا ذهَبًا ، إنِّى أخافُ نِبالَهم يخالونه مالى وليسَ بماليا (٨)
وزِدْنى على طَوْقى من الحَلْىِ زينةً تُصيب إذا أتبعت طوْقى خِضابِيا

---

(١) الجون : أراد به البحر ، وجعله أسود لكثرة مائه . ط : « راجيا » وتصحيحه من س ، والديوان .

(٢) فى الأصل : « عواطيا » ، ولا وجه له . وفى اللسان (غطا) : « وغطاه الليل وغطاه — أى بالتشديد — : ألبسه ظلمته » .

(٣) الإمرة ، بالكسر : اسم من أمر عليهم إذا ولى . وفى الأصل : « أمره » وتصحيحه من الديوان . والنواتى ، مخفف النواتى : جمع نوتى ، وهو الملاح .

(٤) الزيادة من س .

(٥) كذا فى نهاية الأرب والديوان . وفى ط : « جيفة » وفى س : « حيفة » .

(٦) كذا فى الأصل والديوان . ويونس : مخفف يؤنس : يرى . والرواية فى النهاية « يؤنس الترب » .

(٧) الجادى : الزعفران . والمعنى : صار لون خطمها كالزعفران . وفى الأصل : « جاريا » . وتصحيحه من الديوان والنهاية .

(٨) كذا فى الأصل والنهاية . وفى الديوان : « ولا ذاهبا » .

وزِدنى لطَرْف العَينِ منك بنعمةٍ وأَرِّث إذا مامتْ طَوقى حماميا(١)

يكون لأولادى جمالًا وزينةً ويهوين زينى زينة أن يرانيا(٢)

ثم عادَ أيضاً فى ذكر الدِّيك فقال :

[ولا غروْ إلّا الدِّيكُ مدمن خمرةٍ نديم غرابٍ لايملُّ الحوانيا](٣)

وَمَرْهَنُــهُ عن الغُراب حبيبَهُ فأوفيت مرهونا وخلفا مُسَابِيا(٤)

أدل علىَّ الدِّيك إنّى كما ترى فأقبِلْ على شأْنى وهاكَ رِدائيا

أمنتك لاتلبَثْ من الدَّهر ساعةً ولا نِصفَها حتّى تئوب مآبيا(٥)

ولا تدركنْك الشّمسُ عندَ طلوعها فأعلقَ فيهم أو يَطولَ ثَوَائيا(٦)

فردّ الغُرابُ والرداءِ يحوزه إلى الدِّيك وعدًا كاذبا وأمانيا

بأيَّةِ ذنبٍ أو بأيَّةِ حُجَّةٍ أدَعْكَ فلا تدعو علىَّ ولا ليا

فإنِّى نذرتُ حَجَّةً لن أعوقها فلا تدعونِّى مرَّة من ورائيا(٧)

---

(١) كذا فى الديوان والأصل . وفى النهاية : « لطرف الطين » وبها أيضاً : « وورث » كما فى الديوان . وهما لغتان .

(٢) هذه رواية الأصل والديوان . وفى النهاية : « وعنوان زينى زينة من ترابيا » .

(٣) زدت هذا البيت من نهاية الأرب ١٠ : ٢٢٢ ، وقد نقل النويرى هذا البيت وما بعده من كتاب الحيوان . الحوانى : الحانات ، مفردها الحانية ، وهذه مثل الحانوت والحاناة .

(٤) كذا فى الديوان والأصل . وفى النهاية :

ومرهنه عنـد الغراب جبينه فأوفيت مرهونا وخان مسابيا !

(٥) فى الأصل : « ولاتصفها » ، وتصحيحه من الديوان والنهاية .

(٦) كذا فى الأصـل والديوان . وفى النهاية : « فأغلق » ، من غلق الرهن إذا لم يفك وآل إلى المرتهن .

(٧) فى الأصل : « أن أعوقها » ، وتصحيحه من الديوان والنهاية . وفيهما : « دعوة » مكان « مرة » .

تطيَّرت منها والدُّعاءُ يَعُوقنى ... وأزْمَعْتُ حَجًّا أنْ أطيرَ أماميا
فلا تيأسَنْ إنِّى مع الصُّبح باكرٌ ... أُوافى غداً نحوَ الحجيجِ الغواديا(١)
لحبِّ امرئٍ فَاكهتُه قبلَ حَجَّتى ... وآثرْتُ عَمْداً شَأنَه قبلَ شانيا
هنالك ظنَّ الدِّيكُ إذ زال زَوْلُهُ ... وطالَ عليه اللَّيلُ ألّا مُفادِيا(٢)
فلما أضاءَ الصُّبحُ طرَّبَ صَرْخةً ... ألا يا غرابُ هل سمعتَ نِدائيا
على ودِّه لو كان ثَمَّ مجيبَه ... وكان له نَدْمانَ صِدقٍ مُوَاتيا
وأمسى الغُرابُ يضرِبُ الأرضَ كلَّها
عتيقاً وأضْحَى الدِّيكُ فى القِدِّ عانيا(٤)
فذلك مِمّا أسْهَبَ الخمرُ لُبَّهُ ... ونادمَ نَدماناً من الطَّير عاديا(٥)

---

(١) ط : « تبتئس » س : « ييأسن » ، وصوابهما ماأثبت من النهاية والديوان . وفى النهاية : « مع الصبح باكراً » .

(٢) زال زوله : فارقه شخصه ، من الذعر والفرق . والمعروف فى هذا : زال زويله وزواله ، كما فى القاموس واللسان وأمثال الميدانى ١ : ٢٩٦ . وفى ط : « زل دولة » و س : « زل دوله » ، وأثبت مافى النهاية .

(٣) رواية النويرى : « لو كان ثم يجيبه » وهما بمعنى . والندمان المواتى : النديم الموافق .

(٤) عتيقاً : طليقا حرا ، يقابله « عانيا » : أسيراً . والقد ، بالكسر : السير يقد من جلد غير مدبوغ .

(٥) أسهبه الخمر وأسهبته : ذهبت بلبه . والمعروف فى هذا الفعل أن يكون بالبناء للمفعول . والرواية فى النهاية « أسهت » . وفى س : « عاريا » مكان « عاديا » وفى نسخة من أصل نهاية الأرب : « غاويا » . هذا وأبيات هذه القصيدة كما رأيت بها كثير من التحريف والتصحيف ، وهى عزيزة فى المراجع . ولست تجد فى شواهد كتب اللغة والنحو منها إلا قدراً ضئيلاً . وقد اجتهدت قدر الطاقة فى تخريج ما استطعت تخريجه ، وتصحيح ماقدرت على تصحيحه .

(ما يلقم فراخه وما يزقها)

قال : ومن الطَّير ما[1] يُلقِم فِراخه مثل العصفور ؛ لأنَّ العصفور لا يزُقّ. وكذلك أشباه العصفور .

ومن الطير ما يَزُقُّ فراخَه ، مثلُ الحمام وما أشبه ذلك كبهائم الطير الخالصة ؛ لأنَّ الدَّجاجةَ تأْكل اللَّحم ، وتلَغُ فى الدم ، وولدها حين يخرج من البيض يخرج كاسبًا مليحا ، كيساً بصيراً بما يُعيشه ويقوته ، ولا يحتاج إلى تلقيم سباع الطيرِ والعصافيرِ لأولادها ؛ لأنَّ أولادها إذ لم ترضع[2] ولم تلقط الحبَّ كالفراريج أوَّلَ ماتخرج من البيض ولم تزقَّها الآباءُ ولا الأُمهات كأجناس الحمام ــ فلا بدَّ لها من تلقيم .

(ماله طبيعة مشتركة من الطير)

والفَرُّوج مشترك الطبيعة ، قد أخذ من طبائع الجوارح نصيباً ، وهو أكْلُه للحم ، وحَسْوه للدَّم ، وأكلُه للديدان وما هو أقذر من الذُّباب . والعصفور أيضاً مشارِك الطِّباع ؛ لأنَّه يجمع بين أكل الحبوب واللُّحمان ، وبين لقْط الحبوب وصيدِ أجناسٍ كثيرة من الحيوان ، كالنمل إذا طار[3] ،

(١) فى الأصل : « من » .
(٢) فى الأصل : « إذا لم » ، وهو تحريف . وفى س : « ترتضع » .
(٣) يريد أنه يصيد النمل الطائر . وقد سبق الكلام فى طيران النمل فى الجزء الأول ص ٢٩ . وانظر الجزء الرابع ص ٣٢ ، ٣٥ — ٣٦ .

وكالجراد ، وغير ذلك . وليس فى الأرض رأسٌ أشبهُ برأس الحيَّة من العصفور .

(هداية العصفور)

والعصفور يتعالى ويطير ، ويهتدى ويستجيب . ولقد بلغنى أنّه قد رجع من قريبٍ من فرسخ . وهى تكون عندنا بالبصرة فى الدُّور ، فإذا أمكنت الثمارُ[1] لم تَجِدْ منها إلاّ اليَسير ، فَتصير[2] من القواطع إلى قاصى النَّخْل ؛ وذلك أنَّها إذا مرّت بعصافير القرى وقَدْ سبقتْ إلى ماهو إليها أَقرب ، جاوزَتْها إلى ماهو أَبْعَدَ ، ثمَّ تقرُبُ الأَيَّامَ الكثيرةَ إلى ماهو أَبعد ، ثمَّ تقربُ الأَيَّامَ الكثيرةَ المقدار ، فى المسافة [إلى] أَكثَرَ ممَّا ذكرتُ من الفَرْسَخ أَضعافاً .

(تحنّن العصافير وتعطفها)

والعَصافير لا تقيم فى دُورِ الأمصار إذا شخص أهلها عنها ، إلاّ ما كان منها مقيماً على بَيض أَو فِراخ ؛ فإنّه ليس فى الأَرض طائرٌ أحنَى[3] على ولده ولا أَشدّ تعطفاً من عصفور . والذى يدلّ على أَنّ فى طبعها من ذلك ما ليس

---

(١) أمكنت الثمار : نضجت وصار فى الإمكان أكلها .

(٢) ط : « فيصير » وتصحيحه من س .

(٣) فى الأصل : « أحن » ، والوجه ماأثبت ن ٥ : ٢١٠ .

فى طبع سواها من الطَّير ـــ الذى تجدُ من إسْعادِ[١] بَعضِهِنَّ لبعض ، إذا دخلت الحيَّةُ إلى جُحر بعضِهن لتأكلَ فرخاً ، أو تبتلعَ بيضاً ؛ فإنَّ لأَبوَى الفرْخ عند ذلك صياحاً وقلقاً وطيراناً ، وتدفيفاً وترنيقاً[٢] فوق الجُحْرِ ودونَه وحوالَيه ، فلا يبقى عصفورٌ من حيثُ يسمع صياحَهما أو يسمع أصواتَهما إلاّ جئنَ أَرْسَالاً[٣] مُسْعِدَاتٍ ، يصنعن معهما كما يصنعان .

(حذر العصفور)

وليس فى الأرض أصدقُ حَذَرًا منهُ . ويقال إنّه فى ذلك لأَكثر من العَقْعَق[٤] والغراب . ١٢١

وخبَّرنى من يصيد العصافيرَ قال : ربما كان العصفور ساقطا على حائطِ سطح بحذائى ، فيغمُّنى صِياحُهُ وَحِدَّةُ صوتِه ، فأَصيح وَأُومِئُ إليه بيدى[٥] ، وَأُشير كأَنِّى أَرميه ، فما يطير . حتَّى ربَّما أَهويت إلى الأرض كأَنى أَتنَاوَلُ شيئاً ، كُلَّ ذلك لا يتحرَّك له . فإنْ مسَّت يدى أَدنى حصَاة أَو نَواةٍ وَأَنَا أُرِيدُ رميهاَ ، طَارَ قبل أَن تستمكن منها يدى .

---

(١) الإسعاد : الإعانة . وفى الأصل : « إشعار » ، والسياق يقتضى ماأثبت .

(٢) فى الأصل : « وترفيفا » صوابه من ٥ : ٢١١ . والترنيق : أن يخفق بجناحيه فى الهواء ولا يطير .

(٣) الرسل ـــ بالتحريك ـــ : الطائفة ، جمعها أرسال .

(٤) العقعق ـــ كثعلب ـــ طائر فى قدر الحمامة وشكل الغراب ، طويل الذنب ؛ وهو يخفى بيضه بورق الدلب .

(٥) فى الأصل : « فأصيح إليه وأومئ بيدى » ، ووجهه ماأثبت .

(سفاد العصفور وأثره فى عمره)

وليس فى الطَّير أكثرُ عَددَ سِفادٍ من العصافير ، ولذلك يقال إنَّها أقصر الطَّير أعمارًا . ويقال إنّه ليس شيءٌ ممّا يألَفُ النَّاسَ ويعايشهم فى دُورِهم أقصرَ عمرًا منها . يعنُون : من الخيل والبغال والحمير ، والبقر والغنم ، والكلاب والسَّنانير ، والخطاطيفِ والزرازير ، والحمام والدَّجاج .

(نقزان العصفور)

ولا يقدر العصفورُ على المشى ، وليس عنده إلا النَّقَزَان[1] ، ولذلك يسمَّى النَّقَّاز ، وإنَّما يجمع رجليه ثمَّ يثِب ، وذلك فى جميع حركاته ، وفى جميع ذَهابه ومجيئه . فهى الصَّعْو ، والعصافير ، والنقاقيز[2] . وإن هو مشى هذه المشيةَ — التى هى نَقَزان — على سَطحٍ وإن ارتفع سَمْكه ، فكأنَّك تسمع لوطئه وقْعَ حجرٍ ؛ لشدَّة وطئـهِ ، ولصلابة مشيه . وهو ضدُّ الفيل ؛ لأنَّ إنساناً لو كان جالساً ومن خلف ظهره فيلٌ لما شعَرَ به ، لخفَّة وقْع قوائمه ، مع سرعةِ مَشى وتمكينٍ فى الخطَا .

---

(١) النقزان : الوثب .

(٢) النقاقيز : جمع نقاز . وكلمة « فهى » تفيد المساواة فى إطلاق تلك الألفاظ على العصافير . لكن الصعو — كما ذكروا — ضرب من صغار العصافير . وفى ط : « فهى الصقور العصافير » ، وهو تحريف صوابه فى س .

(سبُعِية الرَّخَم والنسر)

والرَّخَم والنَّسر سِباع ، وإنَّما قصَّر بها عدمُ السلاح . فأمَّا البدن والقوَّة ففوقَ جميعِ الجوارح ، ولكنّها في معنى الدَّجاج ؛ لمكانِ البَرَاثِنِ ولعدم المخالب[1] .

(وفاء العصافير)

ولقد رأيتُ سِنَّورا وثب على فرْخ عصفورٍ فأخطأه[2] فتناولَ الفرخَ بعضُ الغِلمان فوضعه في البيت ، فكان أبوه يجيء حتَّى يطعمه ، فلمَّا قوِيَ[3] وكاد يطير جعله في قفص ، فرأيت أباه يجيء يتخرَّق السَّنانير وهي تهُمُّ به ، حتَّى يدخل إليه من أعلى فتح الباب ، وهي تهُمُّ بالوثوب والاختطاف له ، حتَّى يسقُط على القفص فينازعه ساعة ، فإذا لم يجدْ إلى الوصول سبيلا طارَ فسقط خارجاً من البيت ، ثمَّ لا يصبر حتَّى يعود . فكان ذلك دأبَه . فلمّا قوى فرخه أرسلوه معه فطارا جميعاً .

وعرفنا أنّه الأبُ دونَ الأمِّ لسوادِ اللِّحية .

---

(١) النسر من سباع الطيور ، وليس من جوارحها ، فهو لايصيد إلا في الندرة ، ولا مخالب له بل له أظفار ، ولايقوى على جمع أظفاره وحمل فريسته كما تفعل العقاب بمخالبها . انظر معجم المعلوف ٢٦٠ . والرخمة تشبهه في ذلك ، كما يفهم من صنيع الجاحظ . والمخلب هو ظفر الطائر الصائد .

(٢) ط : « فأخصاه » ، وصوابه في س .

(٣) ط : « قرب » ، وتصحيحه من س .

(القول فى سماجة صوت الديك)

قال : والدليلُ على أنَّ صوت الدِّيك كريهٌ فى السَّماع ، غيرَ مطربٍ ، قولُ الشاعر (١) :

ذَكَرَ الصَّبُوحَ بسُحْرَةٍ فارتَاحَا ... وأَمَلَّهُ دِيكُ الصَّبَـاحِ صِياحَا

أَوفَى على شُرَف (٢) الجِدَارِ بسُدْفةٍ ... غَرِداً يصفِّقُ بالجَنَاحِ جَنَـاحَا

(صغر قدر الدجاج)

١٢٢ قال : ويدلُّ على صِغَر قدْر الدَّجاج عندهم قولُ بشَّارِ بْنِ بُرْدٍ الأعمى :

بجدِّك يا ابنَ أقْرَعَ نِلتَ مالاً ... ألا إنَّ اللِّئامَ لهم جُدُودُ (٣)

فمن نذر الزِّيادة فى الهـدايا ... أقمتَ دَجاجة فيمن يَزِيدُ (٤)

(أثر كثرة الدجاج فى عدد بيضها وفراريجها)

قال : وإذا كثر الدَّجاج فى دارٍ أو إصطبل أو قريَة ، لم يكن عددُ بيضِها وفراريجها على حسَب ما كان يبيض القليل منهنَّ ويُفرخه (٥) . يعرف ذلك تُجّار الدَّجاج ومَن اتخذها للغَلَّة .

---

(١) هو أبو نواس . وهذه الخمرية فى ديوانه ٢٥٦ .

(٢) الشرف : جمع شرفة ، كغرفة ، وهو مايوضع فى أعلى القصر . وفى الأصل : « سعف » : ولا وجه له . وأثبت مافى الديوان .

(٣) الجد : الحظ ، جمعه جدود .

(٤) س : « فمن حذر الزيادة . . . » .

(٥) انظر تعليل هذه الظاهرة فى ص ٣٣٥ الآتية .

(رعى الدجاج فى مصر)

وهى بمِصرَ تَرْعَى كما يَرْعَى الغنم ، ولها راعٍ وقيِّم .

(فراخ الدجاج وفراخ الحمام)

والموتُ إلى الدَّجاج سريعٌ جدًّا ، والعادة فى صِغار فراريجها خلاف ماعليها نتوُّ فراخ الحمام(١) ؛ لأنَّ الفرُّوج تتصدَّع عنه البَيضة فهو كيِّسٌ ظريف ، مليح مقبول ، مُحَبٌّ ، غنىٌّ بنفسه ، مكتفٍ بمعرفته ، بصيرٌ بموضع معيشته من لَقْط الحب ، ومن صَيْد الذُّباب وصغار الطير من الهوامّ . ويخرج كاسياً حتى كأنَّه من أولاد ذواتِ الأربع . ويخرج سريعَ الحركة شديدَ الصوت حديده(٢) ، يُدْعى بالنَّقْرفيُجيب ، ولا يقال له : قَرْ ، قَرْ ، ثلاثَ مرّات — حتى يَلقنَه . فإن استدبره مستدْبرٌ ودعاه عطفَ عليه ، وتتَّبع الذى يطعمه ويلاعبه ، وإن تباعد من مكانه الأوَّل . فهو آلفَ شىء . ثمَّ كلما مرَّت عليه الأَيامَ ماق وحَمق ، ونقص كيسه ، وأقبل قبحُه وأدبر مِلْحَه(٣) . فلا يزال كذلك حتى ينسلخ من جميعِ ما كان يُحَبٌّ له إلى ضدِّ ذلك ، ويصير من حالة إلى حال لم يبلغ الانتفاع بذبحه وبيضه وفراريجه(٤) ، وذهب عنهم الاستمتاع بكيسه . ولا يكاد يقبل الشَّحم

---

(١) ط : « . . . فراريجها على ماعليها نتن فراخ الحمام » ، وأصلحته من س . والنتو : مخفف النتوء أى الظهور .

(٢) حديده : مرادف شديده . وفى الأصل : « حنينه » ، ولا وجه له .

(٣) الملح ، بالكسرة : الملاحة .

(٤) كذا .

حتى يلحقَ بأبيه ، وكذلك إن كانت أنثى ، لا تقبل السِّمن ، ولا تحمل اللَّحمَ حتَّى تكادَ تلحقُ بأُمِّها فى الجثّة .

والفرخ يخرج حارضاً[1] ساقِطاً ،أنقصَ من أنْ يقالَ له مائق ، وأقبحَ شيء . وهو فى ذلك عارى الجلد مختلف الأوصال[2] متفاوت[3] الأعضاء، ضعيفُ الحوصَلة[4] ، عظيم المنقار . فكلَّما مرَّت به الأيَّام زادت فى لحمه وشحْمه ، وفى معرفته وبصره ،حتى إذا بلغ خرجَ منه مِن الأُمور المحمودةِ ماعسى لو أنَّ واصفاً تتبَّع ذلك لمَلأَ منهُ الأجْلاد الكثيرة[5] . ثم إذا جاز حدَّ الفِراخ إلى حَدِّ النواهض[6] ، إلى حَدِّ العُتّق والمخالب[7] ، قلَّ لحمُه وذهب شحمُه على حساب ذلك ينقص . فإذا تمَّ وانتهى لم تكنْ فى الأرض دابَّةٌ ولا طائرٌ أقلَّ شحماً ولا أخبثَ لحماً منه ، ولا أجدرَ ألاَّ يقْبلَ شيئاً من السِّمَن

١٢٣ ولو تخيَّروا له فؤارَة[8] المسْمِنات وما يسمّن به — ما سمِن .

---

(١) الحارض : الضعيف المريض .

(٢) الأوصال : الأعضاء . وفى صفة الرسول الكريم أنه كان « فعم الأوصال » وفى اللسان : أى ممتلئ الأعضاء .

(٣) فى الأصل : « متقارب » .

(٤) فى الأصل : « ضعيف القوة » ! واعتمدت فى تصحيحه على ما سيأتى من مثل هذا الكلام فى ٣ : ١٥٢ .

(٥) مبالغة جاحظية .

(٦) الناهض : الفرخ الذى قد وفر جناحاه ونهض للطيران .

(٧) العتق : جمع عاتق ، وهو فوق الناهض ، حين ينبت له ريش شديد . و « المخالب » هكذا جاءت ، ولعلها « الجوازل » .

(٨) الفؤارة والفئرة والفيرة : حلبة وتمر يطبخ للنفساء . فى الأصل : « فوراة » محرفة .

(علة قلة البيض والفراخ إذا كثر الدجاج)

وسألت عن السَّبب الذى صار له الدَّجاجُ إذا كثُرن قلّ بيضهُنَّ وفراخهنَّ ، فزعموا أنَّها فى طباع النَّخْل ، فإن النَّخلَة إذا زَحمت أختها ، بل إذا مسّ طرَفُ سعَفِها طرفَ سعفِ الأُخرى وجاورتْها ، [و][1] ضيّقت عليها فى الهواء ، وكذلك أطراف العُروق فى الأرض — كان ذلك كرباً عليها وغمًّا .

قالوا : فتَدَانيها وتضاغُطُها ، وأنفاسها وأنفاسُ أبدانها ، يُحدث لها فساداً .

قال : وكما أنّ الحمامَ إذا كثُرت[2] فى الكُنّة والشريحة[3] احتاجتْ إلى شمس وإلى ماء تغتسِل فيهِ فى بعض الأحايين ، وإلى أن تكون بيُوتُها مكنوسة[4] فى بعض الأوقات ومرشوشة ، وإلاّ لم يكنْ لها كبيرُ بيض . على أنّه إذا كان لها [فى الصميمين[5]] الدِّفءُ فى الشتاءِ والكِنُّ فى الصيّف ، لم تُغادِر الدهْر كلَّه أنْ تبيض .

---

(١) ليست بالأصل .

(٢) فى الأصل : « كثر » .

(٣) الكنة ، بالضم : جناح يخرج من حائط ، أو سقيفة فوق باب الدار ، أو رف فى البيت . والشريحة : بيت من قصب يتخذ للحمام . وفى الأصل : « الشريعة » ، وليس لها وجه .

(٤) ط : « مكنونة » ، وتصحيحه من س .

(٥) الصميميان يراد بهما الصيف والشتاء فى أشد حالتيهما . وهذه التكملة من س .

(فخر صاحب الديك بكثرة ما اشتق من البيض)

قال صاحب الدِّيك : فخرتم للكلب بكثرة ما اشتقّ للأشياء من اسم الكلب ، وقد اشتُقّ لأكثر من ذلك العدد من البيض ، فقالوا لقَلانس الحديد : بَيْضٌ ، وقالوا : فُلاَن يَدْفع عن بَيضة الإسلام ، وقالوا : قال علىٌّ ابن أبى طالبٍ رضى الله عنهُ : أنا بَيضَةُ البَلَدِ . وفى موضع الذمِّ من قولهم[1] :

تأْبى قضَاعة أن تدرى لكم نَسَباً   وابنَا نزارٍ وأنتمْ بَيْضَةُ البَلَدِ

ويسمّى رأس الصَّوْمَعة والقُبّةِ بَيضة . ويقال للمجلِسِ إذا كان معمُورا غير ءطوّل بَيْضٌ جاثمة[2] ، ويقال للوعاءالذى يكون فيه الحِبْن[3] والخُرَاج[4] وهُوَ الذِى يجتمع فِيهِ القَيح — بيضة . وقال الأشتر بن عُبادة :

يكفٌّ غُرُوبَها وَيَغضٌّ منها   وَراء القَوم خشية أن يلامُوا

مُظاهِرُ بَيْضَتَين علـى دِلاَصٍ   بِهِ من وَقْعـةٍ أُخرى كِلاَمُ

وقال النّابغة :

فَصَبَّحَهُمْ مَلَمْلَمَةً رَدَاحاً   كَأَنَّ رُؤوسهُمْ بَيْضُ النعام

---

(١) أى قول شاعرهم ، وهو الراعى كما فى الحيوان ٤ : ٣٣٦ واللسان (بيض) وثمار القلوب ٣٩٢ والعمدة ٢ : ١٥٣ ، يهجو عدى بن الرقاع العاملى .

(٢) كذا .

(٣) الحبن ، بكسر الحاء : الدمل . وفى الأصل : « الجبن » ، وهو تصحيف .

(٤) الخراج ، كغراب ، ورم قرح يخرج بدابة أو غيرها من الحيوان .

وقَال العُجيرُ السَّلولى(١) :

إذا البَيْضَةُ الصَّمَّاء عضّت صفيحةً ... بِحرْبَائِها صاحَتْ صِياحاً وصَلَّت(٢)

(شرط أبى عباد فى الخمر)

ولما أنشدوا أبا عبَّاد النَّمَرِىَّ(٣) قولَ ابنِ مَيَّادة ، وهو الرَّمَّاح :

ولقد غدَوْتُ على الفَتَى فى رحله ... قبْلَ الصَّباحِ بمُتْرَعٍ نَشَّاجِ(٤)

جادَ القِــلالُ له بدَرٍّ صبابة ... حمــراءَ مثل سخينة الأوداجِ(٥) ١٢٤

حُبِسَتْ ثلاثةَ أحْرُسٍ فى دَارةٍ ... قَوْراءَ بَيْنَ جَوازِلٍ ودَجاجِ(٦)

تَدَعُ الغوىَّ كأنَّه فى نفسه ... مَلِكٌ يعصَّبُ رأسُهُ بالتَّاجِ(٧)

---

(١) العجير السلولى : شاعر من شعراء الدولة الأموية ، مقل . ويصح أن يقرأ اسمه بضم العين وفتحها . (الخزانة ٢ : ٢٩٨ بولاق) . وعده ابن سلام فى الطبقة الخامسة من شعراء الإسلام . وانظر الأغانى ١١ : ١٤٦ – ١٥٤ . وفى الأصل : « العجيز » ، محرفة .

(٢) يقول : إذا ضرب السيف مسمار تلك البيضة بدا لها صوت عال وصليل .

(٣) انظر هذا الجزء ص ١٩٣ .

(٤) المترع أراد به قدح الخمر . والنشاج : الذى يغلى مافيه من الخمر حتى يسمع صوته .

(٥) القلال : جمع قلة ، بالضم ، وهى الجرة العظيمة .

(٦) الأحرس : جمع حرس بالفتح ، وهو الدهر . وفى الأصل : « أخرس » وهو تصحيف . والدارة : الرملة المستديرة. والقوراء : الواسعة .

(٧) الغوى : الضال . وفى ط : « القوى » .

ويظَلُّ يحسِب كلَّ شيءٍ حولَه   نُجبَ العراق نزَلْنَ بالأحْداجِ

فحين سمعه أبو عبّاد يقول :

حُبست ثلاثَةَ أخرُسٍ فى دَارةٍ   قَوراءَ بَيْنَ جَوازل ودَجاجِ (٢)

قال : لو وجدْتُ خمراً زيتيّة ذهبية (٣) ، أصفى من عين الديك ، وعين الغراب ، ولعابِ الجُندب وماء المفاصل (٤) ، وأحسنَ حمرةً من النّار ، ومن نَجِيع غزال (٥) ، ومن فُوَّةِ الصَّباغ (٦) — لَمَا شربْتها حتّى أعلمَ أنّها من عصير الأرجل ، وأنّها [من] (٧) نبات القرى ؛ وممالم تكدر فى الزّقاق (٨) ،

(١) النجب هنا : جمع نجيبة ، وهى الناقة الكريمة . وهذه اللفظة مهملة من الأعجام فى س .

(٢) فى الأصل : « حسبت ثلاثة أخرس » وانظر الصفحة السابقة . والأحداج : جمع حدج بالكسر : مركب للنساء . والمعنى أنه يخال الشىء الدقيق عظيما ، مما لعبت برأسه الخمر ، مثله قوله :

وأخرى بالمقنقل ثم رحنا   نرى العصفور أعظم من بعير

(٣) س : « لو وجدت حمراء . . . » و « زيتية » : لونها لون الزيت . ومنه قول أبى نواس (انظر أخبار أبى نواس ٢٠٨ ، ٢٢١) :

فجاء بهـا زيتية ذهبية   فلم نستطع دون السجود لها صبرا

(٤) المفاصل هى منفصل الجبل من الرملة يكون بينها رضراض وحصى صغار ، فيصفو ماؤه ويرق . (٥) نجيع الغزال : دمه .

(٦) الفوة : جـاء فى المعتمد نقلا عن كتاب ابن جزلة : « وتعرف بفوة الصباغين » . وفى تذكرة داود : « الفوة وتسمى عروق الصباغين » . وقد جاء هـذا اللفظ فى كل من اللسان والقاموس بمادتى (ف و و) و (ف و ه) ، فعلى الأولى يكون منتهيا بتاء مثل قوة ، وحوة . وعلى الثانية يكون منتهيا بالهاء على وزن سكر . والحق أنه من المادة الأولى بدليل الاشتقاق منه ، تقول : ثوب مفوى : مصبوغ بها ، كما تقول شىء مقوى من القوة . وتقول أيضاً : أرض مفواة : ذات فوة ، أو كثيرة الفوة . وجاء فى صحاح الجوهرى من المـادة الأولى فقط . والفوة ، كما قال أبو حنيفة : عروق ولها نبات يسمو دقيقا فى رأسه حب أحمر شديدة الحمرة ، كثير الماء ، يكتب بمائه وينقش . قال الأسود بن يعفر :

جرت بها الريح أذيالا مظاهرة   كما تجر ثياب الفوة العرس

والصباغ : من يلون الثياب . وفى الأصل : « قوة الضباع » وهو تحريف ، صوابه ماأثبت .

(٧) التكملة من س . (٨) س : « ومما لم تكدر فى الزقاق » .

وأنَّ العنكبوت قد نسَجَت عليها ، وأنَّها لم تصرْ كذلك إلاَّ وسْطَ دَسكرةٍ ، وفى قرية سَوادِيَّة[1] وحولَها دَجاجٌ وفراريج . وإن لم تكنْ رقطاءَ أو فيها رُقْط فإنَّها لم تتمَّ كما أريد . وأعجَب من هذا أنِّى لا أنتفع بشُربها حتَّى يكون بائعُها على غير الإسلام ، ويكونَ شيخاً لايُفصح بالعربيَّة ، ويكونَ قميصُه متقطِّعاً[2] بالقار . وأعجب من هذا أنَّ الذى لابدَّ منه أنْ يكون اسمه إنْ كان مجُوسيًّا شهريار ، ومازيار ، وَما أشبه ذلك ، مثل أدير ، واردان ، ويازان . فإن كان يهوديًّا فاسمه مانشا ، وأشلوما ، وأشباه ذلك . وإن كان نصرانيًّا فاسمه يُوشع وشمعون وأشباه ذلك .

(استطراد لغوى)

ويقال حَمِسَ الشرُّ وأحْمَسَ إذا اشتدَّ . ويقال قد احتَمَسَ الدِّيكان احتماساً، إذا اقتتلا اقتتالا شَديداً . ويقال وقَعَ الطائر يقَع وُقوعا . وكلُّ واقعٍ فمصدره الوقوع ، ومكانه موقَعَةٌ[3] ، والجمع مواقع . وقال الرَّاجز[4] :

كأنَّ متنيْهِ من النَّفىِّ[5] مواقعُ الطيرِ على الصُّفىِّ

(١) سوادية : منسوبة إلى سواد العراق ، أى قراه .

(٢) أى ملوثا به فى مواضع مختلفة . س : « منقطا » .

(٣) فى الأصل : « موقعه » وتصحيحه من الأمالى ٢ : ٨ واللسان والقاموس (وقع ، وهى بفتح القاف وتكسر .

(٤) هو الأخيل كما فى اللسان (وقع ، صفى ، نفى) . يصف ساقيا يستقى ماء ملحا . (الأمالى ٢ : ٨) .

(٥) المتنان : مكتنفا الصلب . وفى ط : « متنيه » وصوابه فى س ، وما سبق من المراجع . وفى اللسان : (قال ابن سيده : كذا أنشده أبو على . وأنشده ابن دريد فى الجمهرة : « كأن متنى » ، قال : وهو الصحيح لقوله بعده :

* من طول إشرافى على الطوى *)

يقال صَفاً وصُفِيّ . والنّفِيُّ : مانفى الرِّشاء من الماء ، وما تنفيه مشافرُ الإبل من الماء المَدِير (١) . فشبَّه مكانَه على ظهر الساقى والمستقى بِذَرْق الطَّير على الصَّفا .

ويقال «وقع الشيءُ من يدى وُقوعا ، وسقط من يدى سُقوطا» . ويقال وقَع الربيع بالأرض ، ويقال سقَط . وقال الرّاعى :

وقَعَ الربيع وقَدْ تقاربَ خَطْوُهُ ورأى بعَقْوَتِهِ أزلَّ نَسُولا

(لؤم الفروج)

١٢٥ قال : وكان عِنْدَنا فرُّوجٌ ، وفى الدار سنانيرُ تُعابث الحمامَ وفراخه ، وكان الفرُّوج يهرُب منها إلى الحمام ، فجاءُونا (٢) بدُرَّاج ، فترك الحمامَ وصار مع الدُّرَّاج ، ثمَّ اشترينا فَروجاً كَسْكَرِيًّا (٣) للذّبح فجعلناه فى قفص ، فترك الدُّرّاج ولزم قُرْب القفَص ، فجئْنا بِدَجَاجَةٍ فترك الدِّيك وصار مع الدَّجاجة ، فَذَكَرتُ قولَ الفِزْر (٤) عبد بنى فَزَارة — وكانت بأُذنِهِ خُربة (٥) — :

---

(١) الماء المدير : الذى به المدر ، وهو الطين اليابس .

(٢) كذا فى س . وفى ط : « فجاءنا » !

(٣) سبق القول فى الدجاج الكسكرى ص ٢٤٨ .

(٤) ش : « العرر » وسائر النسخ : « الغرير » ، صوابه من رسائل الجاحظ ٥٤ ساسى .

(٥) الخربة ، بالضم : ثقب شحمة الأذن . فى الأصل : « ضربة » تحريف . قال ذوالرمة :

كأنه حبشى يبتغى أثراً أو من معاشر فى آذانها الخرب

إنَّ الوئام يتبرَّع في جميع الطَّمْش[1] ، لايقرب العنزُ الضأن ماوجدت المعز ، وتنفر من المِخْلَب ولا تتأنّس بالخفّ . فجعلَها كما ترى تنفر ولا تأنس منزله

وكذلك حدّثنا الأصمعيُّ قال : قلتُ للمنتَجِع بن نبهان — وكانت بأُذنِهِ خربة[2] — أكان تميمٌ مسلماً ؟ قال : إن كان هو الذى سمَّى ابنَه زَيْدَ مناةَ فما كان مُسلِماً ، وَإلاَّ يكنْ هو الّذى سمَّاه فلا أدرى . ولم يقلْ : وإلاّ يكنْ هو سمّاه فقد كان مسلماً .

(الوئام)

والوئام : المشاكلة . وقالوا : تقول العرب : « لولا الوئام لهلك الأنام[3] » . وقال بعضهم : تأويلُ ذلك : لولا أنَّ بعضَ الناس إذا رأى صاحبه قد صنَع خيراً فتشبَّه بِهِ لهلك الناس . وَقال الآخرون : إنّما ذهب إلى أُنسِ بَعْض الناس ببَعض ، كأنّه قال : إنّما يتعايشون عَلى مقادِير الأُنس الذى بينهم ؛ ولو عمَّتهم الوَحْشة عمّتهم الهَلَكة . وقال قَوم بن مَالك ، فى الوئام :

عَلامَ أُوَائِمُ البخلاءَ فيها   فأقعد لاأَزُورُ ولاَ أُزارُ

---

(١) فى الأصل : « إن اللؤم يسرع فى جميع العطش » . صوابه من رسائل الجاحظ ١ : ١٧٧ بتحقيقنا . والمراد بالطمش الخلق من إنسى ووحشى . والتبرع : التسرع .

(٢) فى الأصل : « ضربة » . وانظر رسائل الجاحظ ١ : ١٩٨ .

(٣) ويروى : « لهلك اللئام » و : « لهلكت جذام » . قال الزمخشرى فى الأساس (وأم) : « أى لولا أن الكرام وأهل الخير يحكيهم غيرهم ويتشبهون بهم لكان الهلاك » . وانظر المثل فى الميدانى ٢ : ١١١ والمخصص ١٢ : ١٥١ .

وقال الأخْطل :

فازعتهُ فى الدُّجَى الرَّاحَ الشَّمُولَ وقدْ
صاحَ الدَّجاَجُ وحانتْ وقفةُ السَّارِى [(١)]

وقال جرير :

لَمَّا مَرَرْتُ على الدَّيْرَيْنِ أرَّقَنى صَوْتُ الدَّجاجِ وقَرْعٌ بالنواقيسِ [(٢)]

(شعر فى الديكة والدجاج)

قالوا : وقد وجدنا الدِّيَكةَ والدَّجاَجَ وأفعالَها ، مذكوراتٍ فى مواضعَ كثيرة ، قال ذو الرُّمة :

كأنَّ أصواتَ من إيغالهنَّ بنا أواخرِ المَيْسِ أصواتُ الفَرَاريجِ [(٣)]

وقال الهذلى [(٤)] :

ومن أينها بعد إبدانها ومن شحم أَثْباجها الهابط [(٥)]

---

(١) ط : « وقعة السارى » .

(٢) هذا البيت من الشواهد المتنازعة فى كتب اللغة والأدب والنحو . والرواية المشهورة فيه : « لما تذكرت بالديرين » . وصاحب العقد يرى أنه أراد ديرا واحدا هو دير الوليد بالشام (العقد ٤ : ١٠) . وصاحب معجم البلدان يصرح بأنه أراد ديرين وهما « دير فطرس » و « دير بطرس » بظاهر دمشق . وروى بيتاً آخر لجرير فى رثاء ولده ، وهو :

إلا تكن لك بالديرين باكية فرب باكية بالرمل معوال

(٣) قد فصل بين المتضايفين — وهما أصوات ، وأواخر — بالجار والمجرور . يريد : كأن أصوات أواخر الميس — بسبب إيغال هذه الإبل بنا — أصوات الفراريج . والميس : شجر تتخذ منه الرحال . وانظر الكلام على هذا البيت فى الخزانة ٤ : ٨٠ سلفية وكتاب سيبويه ١ : ٩٢ ، ٢٩٥ ، ٣٤٧ بولاق .

(٤) هو أسامة الهذلى . ديوان الهذليين ٢ : ١٩٥ وفى اللسان (هبط) .

(٥) كذا فى ط : واللسان (مادة هبط) . وفى س : « بعد إبدائها » . والأثباج : الأعالى .

تَصِيحُ جنادِبُهُ رُكَّداً صِياحَ المسامِيرِ فى الواسط[١]
فهو على كلِّ مستوفز سقوط الدَّجاجِ على الحائط

وقال مَرْوان بن محمد[٢] : ١٢٦

ضيَّع ماوُرِّثه راشدٌ مِن كيلَةِ الأكداسِ فى صفِّهِ[٣]
فربَّ كُدْسٍ قد علا رمسَه كالدِّيك إذ يعلو عَلَى رَفِّه

(بيضة الديك وبيضة العقر)

ويقال فى المثل للذى[٤] يعطى عطيَّةً لايعودُ فى مثلها : «كانَتْ بَيْضَة الدِّيك » . فإن كان معروف له قيل : « بَيْضة العُقْر[٥] » .

(استطراد لغوى)

ويقال دجاجة بَيوض فى دَجاجٍ بيضٍ وبُيْض ، بإسكان موضع العين من الفعل من لغة سفلى[٦] مضر ، وضمِّ موضع العين من نظيره من الفعل مع الفاء من لغة أهل الحجاز .

---

(١) واسط الرحل : وسطه .

(٢) هو الشاعر المعروف بأبى الشمقمق . انظر ترجمته فى الجزء الأول ٢٢٥ .

(٣) الأكداس : جمع كدس بالضم ، وهو الحب المحصود المجموع . ط : « ضيع ماورثه راشد » .

(٤) فى الأصل : « الذى » .

(٥) أى فإن كان قد سبق معروف له قبل هذه المرة التى قطع فيها معرونه . قال أبو عبيد : يقال للبخيل يعطى مرة ثم لايعود : كانت بيضة الديك . فإن كان يعطى شيئاً ثم قطعه قيل للمرة الأخيرة : كانت بيضة العقر . انظر اللسان وأمثال الميدانى ١ : ٨٦ وثمار القلوب ٣٩٢ - ٣٩٣ .

(٦) فى الأصل : « سفل » .

ويقال عمد الجُرح يَعمَد عَمَداً ، إذا عُصِر[1] قبل أن ينضجَ فورِم ولم يُخرِج بَيضَته[2] ، وذلك الوِعاء والغِلاف الذى يجمع المِدَّة يسمّى بيضة . وإذا خرجَ ذلك بالعصر من موضع العَين فقد أفاق صاحبُهُ .

ويقال حضَن الطائر فهو يحضُن حِضاناً[3] .

(السفاد والضراب ونحوهما)

ويقال هو التَّسافُد[4] من الطير ، والتعاظل من السِّباع . ويقال قَمَط الحمام الحمامة وسفِدَها . ويقال قَعَا الفحلُ يقعو قَعْوا ، وهو إرساله بنفسه عليها فى ضرابه . والفحل من الخفِّ يَضرِب ، وهو القَعْو والضِّراب . ومن الظِّلف والحافر ينزو نزْوا ، وكذلك السنانير . والظليم يقعو ، وكلّ الطير يقعو قعوا . وأما الخفّ والظِّلف فإنّه يقعُو بعد التسنّم . وهو ضرابٌ[5] كلُّه ماخلا التسنُّم . وأما الظِّلف خاصَّة فهو قافط ، يقال قفَط يقفُط قفْطا . أو القفْط نزْوةٌ واحدة . وليس فى الحافر إلاّ النَّزو .

(حضن الدجاج بيض الطاوس)

قال : ويُوضع بيضُ الطاوس تحتَ الدّجاجة ، وأكثرُ ذلك لأنَّ الذّكر يعبَث بالأنثى إذا حَضَنت . قال : ولهذه العلّة كثيرٌ من إناث

---

(١) ط : « أعصر » ، وتصحيحه من س .
(٢) فى اللسان : « ولم تخرج بيضته » .
(٣) وكذا حضنا ، وحضانة بالكسر ، وحضونا .
(٤) فى الأصل : « السافد » .
(٥) ط : «ضرابه» ، وأثبت مافى س .

طير الوحش يهرِّبن بيضهُنَّ من ذكورتها ، ثمَّ لاتضعه بحيث يشعر به ذكورتُهنّ .

قال : ويُوضَع[1] تحتَ الدجاجةِ بيضتان من بيض الطاوس ، لاتقوى على تسخينِ أكثرَ من ذلك . عَلَى أنَّهم يتعهّدون الدَّجاجة بجميع حوائجها خوفاً من أن تقوم عنه فيفسده الهواء .

(خصى ذكور الطير)

قال : وخُصَى[2] ذكورِ أجناس الطَّير تكونُ فى أوان أوّل السفاد أعظم . وكُلَّما كانَ الطيْرُ أعظم سِفاداً ، كانت خصيتُه أعظمَ ، مثلُ الدِّيك ، والقَبَج ، والحَجَل .

وخُصية العصفور أعظمَ من خُصيةِ مايساويه فى الجثَّة مرَّتين .

(بيض الدجاج)

قال : وكلُّ ما كان من الدَّجاَج أصغرَ جثَّةً يكونَ أكبر لبيضه[3] . وبعض الدَّجاَج يكون يبيض بيضاً كثيراً ، وربما باض بَيضتين فى يومٍ واحد ؛ وإذا عرض له ذلك كان من أسباب موته ١٢٧

(١) ط : « ترضع » وتصحيحه من س .

(٢) فى الأصل : « وخصا » .

(٣) كذا بالأصل . وهو تحريف ، انظر لتصحيحه ج ٣ ص ١٦٩ — ١٧٠ .

(شعر فى صفة الديك)

وقال آخر [1] فى صفة الديك :

ماذا يؤرِّقنى والنومُ يُعْجِبُنى
مِنْ صوتِ ذِى رَعَثاتٍ ساكِنِ الدّار [2]

كأنَّ حُمّاضةً فى رأسهِ نبتَتْ
من آخر الليل قد همَّتْ بإثمار [3]

وقال الطِّرِمّاح :

فياصبحُ كَمِّشْ غُبَّرَ اللّيلِ مُصْعِداً
بِبَمّ ونَبِّهْ ذا العفاءِ الموشَّحِ [4]

إذا صاحَ لم يُخْذَلْ وَجاوَبَ صَوْتَهُ
حَماشُ الشَّوَى يَصْدَحْنَ مِنْ كُلِّ مَصْدَحِ [5]

---

(١) البيتان فى اللسان (حمض) والحماسة ١٨٨٣ بشرح المرزوق ومحاضرات الراغب ٢ : ٣٠١ بدون نسبة . والبيت الأول فى اللسان (رعث) منسوب إلى الأخطل .

(٢) فى اللسان : « ورعثة الديك : عثنونه ولحيته » .

(٣) قال أبو حنيفة : « الحماض من العشب ، وهو يطول طولا شديدا ، وله ورقة عظيمة وزهرة حمراء . وإذا دنا يبسه ابيضت زهرته ، والناس يأكلونه » . ورواية اللسان : « من آخر الصيف »، ورواية الراغب : « من أول الضيف » .

(٤) سبق البيتان فى ص ٢٥٤ ، وفى الأصل : « غير الليل » محرف . وفى ط : « ينم » وتصحيحه من س والديوان . وفى الأصل : « وفيه ذا العفاء » ، وتصحيحه من الديوان .

(٥) انظر ص ٢٥٤ . وفى س : « يصرخن من كل مصرخ » .

(حضن الحمام بيض الدجاج)

قال : والفرُّوج إذا خرج من بيضه عن حَضن الحمام ، كان أكيسَ له .

(بيض الطاوس)

وبيضُ الطَّاوس إذا لم تحضُنه الأنثى التى باضته خرج الفرخ أقمأ[1] وأصغر .

(بيض الدجاج)

قال : وإذا أُهْرِمَت[2] الدَّجاجة فليس لأواخر ماتَبيض صُفْرة . وقد عايَنوا للبَيضة الواحدة مُحَّتين ، خبّرنى بذلك جماعةٌ ممَّن يَتَعَرَّف[3] الأُمور . وإذا لم يكن للبيضة مُحٌّ لم يُخلق من البيضة فرُّوج ولا فرخ ؛ لأنّه ليس له طعام يغذوه ويُرْبِيه . [والبيض[4]] إذا كان فيه محّتان وكان البياض وافراً — ولا يكون ذلك للمسِنَّات — فإذا [كان كذلك[4]] خلق الله تعالى من البَياض فَرُّوجين ، وتربَّى الفَرُّوجان[5] ، وتمَّ الخلق ؛ لأنَّ الفرْخ إنّما يخلق من البَياض ، والصفرة غذاء الفروج .

---

(١) أقمأ : من القماءة ، بمعنى الصغر .

(٢) هى صحيحة . يقال : أهرمه الدهر وهرمه بالتشديد .

(٣) كذا فى س . وفى ط : « يعرف » .

(٤) زدت هذا لحاجة الكلام إليه .

(٥) فى الأصل : « وهناك محتين (كذا) تربى الفروجان » .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال قفَط الطائر يقفُط قفْطا ، وسفِد يسفَد سفاداً ، وهما واحد. ويكون السِّفاد للكلب والشاة . ويقال قَمط الحمام يقمُط قمطا .

ويقال ذَرق الطائر يذرُق ذرْقا ، وخزَق يخْزِق خَزْقا ، ويقال ذلك للإنسان . فإذا اشتقّ له من الحذقة نفسه ومن اسمه الذى هو اسمه[١] قيل خرىء ، وهو الخُرءُ والخِراءُ[٢] . ويقال للحافر راث يرُوث ، وللمعْز والشاء[٣] : بعر يبعُر . ويقال للنَّعام : صام [يَصُوم] ، وللطير : [نجا] ينجو[٤] واسم نجْو النَّعام الصَّوم ، واسم نجو الطَّير العُرَّة . وقال الطِّرِمّاح :

فى شَـنَاظِى أُقَنٍ بَيْنَها عُرَّة الطَّيرِ كَصَوْمِ النَّعامْ[٥]

ويقال للصبى عَقَى[٦] ، مأخوذ من العِـْقى .

ويقال لحمت الطير . ويقال ألحم طائرَك إلحاماً[٧] ، أى أطعمْه لحما واتّخذ له . ويقال هى لُحمة النَّسب . ويقال ألحمت الثَّوب إلحاما ، وألحمْت الطائر إلحاماً ، وهى لَحمة الثَّوب ، ولُحمة ، بالفتح والضمِّ .

---

(١) عبارة مبهمة . ومبلغ الظن أنها محرفة .

(٢) فى الأصل : « والخراة » .

(٣) فى الأصل : « والشاة » ، ووجهه ما أثبت.

(٤) زدت الكلمتين السالفتين ليلتئم الكلام . و « ينجو » هى فى الأصل : « نجو » .

(٥) فى اللسان : « شناظى الجبال : أعاليها وأطرافها ونواحيها ، واحدتها شنظوة » . و « الأقن » : حفر تكون بين الجبال ينبت فيها الشجر ، واحدها أقنة » و « عرة الطير : ذرقها » . وصدر البيت محرف فى س هكذا : « فى شناطى أمر بها » . وانظر ديوان الطرماح ٩٧ و اللسان (شنظ وأقن) .

(٦) فى الأصل : « عقى » ، وتصحيحه من اللسان والقاموس .

(٧) فى الأصل : « لحم طائرك لحاما » .

(صفاء عين الديك)

ومن خصال الدِّيك المحمودةِ قولهم فى الشراب : « أصفَى مِنْ عَيْنِ الدِّيك » وإذا وصفوا عَين الحمام الفَقيع [١] بالحمرة ، أو عينَ الجرادِ قالوا : كأنَّها عينُ الدِّيك . وإذا قالوا : « أصفى من عين الغراب » فإنّما يريدون حِدَّته ونفاذَ البصر . ١٢٨

(ما قيل فى عين الديك)

وفى عين الديك يقول الأعشى :

وكأسٍ كعَينِ الدِّيكِ باكَرْت حَدَّها
بفتيانِ صِدق والنّواقيسَ تُضربُ

بغــرتها إذ غابَ عنها بُغاتُها [٢]

وقال آخر [٣] :

وكأس كعين الديك باكرتُ حَدَّها

بفتيانِ صِدق والنّواقِيسَ تُضربُ

(١) الفقيع : جنس من الحمام أبيض .

(٢) فى ديوان الأعشى ٦٠ : « كماء النىء » . وقالوا : حد الخمر : صلابتها . الصحاح واللسان . والمراد بالصلابة قوة تأثيرها . وانظر لوصف الخمر بالصلابة محاضرات الراغب ١ : ٣٢٨ . وفى الديوان : « إذا غاب عنى » .

(٣) هو الأعشى أيضا ، فى الصحاح واللسان . وانظر ديوانه ١٣٧ .

وقال آخر (١) :

قَدَّمَتْهُ على عُقارٍ كَعين الدِّيـ ... ـك صفَّى زُلاَلَهَا الرَّاوُوق

وقال الآخر (٢) :

ثلاثَةَ أحوالٍ وشَهْرًا مُجَرَّما (٣) ... تضىء كَعيْنِ العُتْرُفَان المجَاوِبِ

والعُتْرُفان من أسماء الدِّيك ، وسماه بالمجاوب كما سمَّاه بالعُتْرُفان .

(وصف الماء الصافى)

وإذا وصفوا المَاءَ والشَّرابَ بالصَّافى قالوا ، كأنّه الدَّمع ، وكأنَّه ماء قَطْر ، وكأنّه [ماء] (٤) مَفْصِل ، وكأنَّه لعاب الجندب . إلاّ أنّ هذا الشاعر قال :

مطبقة ملآنة بابليَّـة ... كأنّ حُمَيَّاها عُيُونَ الجَنادِب (٥)

---

(١) هو عدى بن زيد العبادى كما فى الأغانى ٥ : ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٥ و ٦ : ١١٩ ، ١٢٨ . والرواية فيما عدا الموضع الثالث :

قدمته على عقار كعين الـ ... ـديك صفى سلافها الراووق

وفى الموضع الثالث :

قدمته على سلاف كريح الـ ... ـمسك صفى سلافها الراووق

وقبل البيت :

ثم ثاروا إلى الصبوح فقامت ... قينة فى يمينها إبريق

(٢) هو عدى بن زيد العبادى كما فى اللسان (عترف) وحياة الحيوان ٢ : ١٥٧ برسم (عترفان) .

(٣) فى الأصل ، وكذا فى اللسان : « محرما » بالحاء ، وهو تصحيف ما أثبت . يقال حول مجرم ، وسنة مجرمة وشهر مجرم ، ويوم مجرم ، أى تام . انظر اللسان والقاموس . و (العترفان) شرحه الجاحظ .

(٤) زيادة يقتضيها الكلام .

(٥) حميا الخمر : أثر إسكارها ، أو شدتها . فى ط : « حملياها » وتصحيحه من س .

وقال آخر (١) :

ومَا قَرْقَفٌ من أَذْرِعاتٍ كأَنّها إذا سُكِبَتْ مِنْ دَنِّها ماءُ مَفْصِلِ (٢)

(المفاصل وماء المفاصل)

والمفاصل : ماءٌ بين السَّهل والجَبَل . وقال أبو ذُؤيب :

مَطافيلَ أبكارٍ حَدِيثٍ نِتاجُها تُشَابُ بماءٍ مِثْلِ ماءِ المَفَاصِلِ (٣)

وقال ابن نجيم (٤) : إنّما عنَوا مفاصل فَقَارِ الجَمَل ؛ لأنّ لكلِّ مَفْصِل حُقًّا ، فيستنقع فيه مَاءٌ (٥) لاتجد مَاءً أبداً أصفى ولا أحسن منه وإن رقّ (٦) .

---

(١) هو كثير ، كما فى ثمار القلوب ٤٤٦ .

(٢) أذرعات : بلد فى أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان ، ينسب إليه الخمر . ياقوت .

(٣) المطافيل : جمع مطفل ، وهى ذات الولد . والأبكار : جمع بكر ، بالكسر ، وهى الناقة التى ولدت بطناً واحداً ، وولدها بكرها أيضاً . وقبل هذا البيت :

وإن حديثاً منك لو تبذلينه جنى النحل أو ألبان عوذ مطافل

وانظر الحديث عنه فى البيان ١ : ٢٧٨ وأمالى المرتضى ١ : ١٨٧ وثمار القلوب ٤٤٦ والمخصص ٧ : ٢٨ .

(٤) هو يحيى بن نجيم ، قال الجاحظ فى شأنه (البيان ٤ : ٢٣) « وقد جلست إلى أبى عبيدة والأصمعى ويحيى بن نجيم وأبى مالك عمرو بن كركرة ، مع من جالست من رواة البغداديين ، فما رأيت أحدا منهم قصد إلى شعر فى النسيب فأنشده » . وقد ذكره ابن النديم فى الفهرست (١٧٠ ليبسك ، ٢٤٢ مصر) مع أصحاب القصائد التى قيلت فى الغريب . وفى أصل الحيوان : « أبو نجيم » محرف .

(٥) ط : « ما » ، وأثبت ما فى س .

(٦) س : « إن روق » ، والوجه ما أثبت من ط . وفى ط بعد هذا زيادة ليست فى س فحذفتها ، وهى : » ولاقول أصحابنا » .

(ثقوب بصر الكلب وسمعه)

وقال مَرَّةً قطربٌ ، وهو محمد بن المستنير(١) النحوىُّ : « والله لَفلانٌ أبصرُ من كلب ، وأسمعُ من كلب ، وأشمُّ مِن كلب » ! . فقيل له : أنشدْنا فى ذلك ما يُشبِه قولَك . فأنشد قوله(٢) :

يا رَبَّةَ البَيتِ قومى غيرَ صاغرة   حُطِّى إليك رِحالَ القَوْمِ فَالقُرُبا(٣)

١٢٩ فى ليلةٍ من جُمادَى ذاتِ أنْدِيَةٍ   لايُبصِرُ الكلْبُ مِنْ ظَلْمائِها الطُّنُبا(٤)

لا يَنْبَحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ   حتَّى يجرَّ على خَيشُومِه الذَّنَبا(٥)

---

(١) فى الأصل : « المنتشر » وصوابه ماأثبت . لازم محمد بن المستنير سيبويه ، وكان يدلج إليه ، فإذا خرج رآه على بابه فقال : « ما أنت إلا قطرب ليل ! » . وكان قطرب يرى رأى المعتزلة النظامية ، واتصل بأبى دلف العجلى وأدب ولده . توفى قطرب سنة ست ومائتين . بغية الوعاة ، ونزهة الألباء ١١٩ .

(٢) هو مرة بن محكان التميمى السعدى ، كما فى الحماسة ٢ : ٢٥٣ والأغانى ٢٠ : ١٠ ومعجم المرزبانى ٣٨٣ ، وكما سيأتى بعده .

(٣) القرب : جمع قراب ، وهو غمد السيف أو جفن غمده . ورواية الحماسة :

* ضمى إليك رحال القوم والقربا *

وسئل أبو عبيدة عن معنى هذا الشطر فقال : « كان الضيف إذا نزل بالعرب فى الجاهلية ضموا إليهم رحله ، وبقى سلاحه معه لايؤخذ ، خوفا من البيات . فقال مرة يخاطب امرأته : ضمى إليك رحال هؤلاء الضيفان وسلاحهم ؛ فإنهم عندى فى عز وأمن من الغارات . (الأغانى ٢٠ : ١٠) .

(٤) الأندية : جمع ندى . والطنب : حبل البيت .

(٥) أى لاينبح غير نبحة واحدة لشدة البرد ، ثم هو يجر ذنبه إلى خيشومه ليستدفئ به . ورواية الحماسة :

* حتى يلف على خيشومه الذنبا *

وأنشد هذا البيت فى ثُقوب بصره، والشِّعر لمرَّة بن مِحْكَان السعدىّ[1] .

ثمَّ أنشدَ فى ثُقوب السّمع :

خَفِىّ السُّرَى لا يَسْمَعُ الكَلْبُ وَطْأَهُ

أتى دُونَ نَبْحِ الكلبِ والكلبُ دابب[2]

(خصال القائد التركى)

قال أبو الحسن : قال نصْر بن سَيَّارٍ اللَّيثى[3] : كان عظماءُ التُّركِ يقولون للقائِد العظِيم القِيادة : لابدَّ أن تكونَ فيه عشرُ خصالٍ من أخلاق

(١) مرة بن محكان : شاعر إسلامى مقل ، من شعراء الدولة الأموية . وكان فى عصر جرير والفرزدق فأخملا ذكره لنباهتهما فى الشعر . كان مرة شريفاً جوادا ، وكان أنهب ماله الناس فحبسه زياد ، فقال فى ذلك الأبيرد الرياحى :

حبست كريما أن يجود بماله ستعرف مافى قومه من مفاقم

وقتله مصعب بن الزبير . وذلك أن الحارث بن أبى ربيعة كان واليا على البصرة أيام ابن الزبير ، فخاصم إليه مرة بن محكان رجلا ، فلما أراد إمضاء الحكم عليه أنشأ يقول :

أحار تثبت فى القضاء فإنه إذا ما إمام جار فى الحكم أقصدا

وإنك موقوف على الحكم فاحتفظ ومهما تصبه اليوم تدرك به غدا

فإنى مما أدرك الأمر بالأنى وأقطع فى رأس الأمير المهندا

فلما ولى مصعب بن الزبير دعاه فأنشده الأبيات ، فقال : أما والله لأقطعن السيف فى رأسك قبل أن تقطعه فى رأسى ، فأمر به فحبس ، ثم دس إليه من قتله (الأغانى ٢٠ : ١٠) والشعراء ٦٦٧ .

(٢) كذا . ولعلها « دائب » أى دائب النباح .

(٣) نصر بن سيار : أمير من الدهاة الشجعان ، كان أمير خراسان سنة ١٢٠ ولاه هشام بن عبد الملك . ثم غزا ماوراء النهر ففتح حصونا وغنم كثيرا ؛ وأقام بمرو ، وقد انتبه إلى استفحال الدعاوة العباسية ، فكتب إلى بنى مروان بالشام ، فلم يأبهوا للخطر ، وظل يكافح هو حتى عجز وتغلب أبو مسلم على خراسان ، فخرج نصر من مرو إلى قومس ، واستمر فى كفاحه إلى أن لحقه المرض فى مفازة بين الرى وهمذان ، ومات بساوة سنة ١٣١ .

الحيوان : سخاء الديك ، وتحنُّن الدجاجة ، وقلب الأسد ، وحملة الخنزير[١] وروَغان الثعلب ، وختْل الذئب ، [وصبر الكلب على الجراحة ، وحذَر الغراب ، وحِراسة الكُركيّ ، وهداية الحمام[٢]] .

وقد كتبْنا هذا فى بابِ ما للدَّجاج والدِّيك ؛ لأنَّ صاحبَ هذا الكلامِ قسّم هذه الخصال ، فأعطى كلَّ جنسٍ منها خَصْلةً واحدة وأعطى جنس الدجَاج خَصلتين .

(بعض ماورد من الحديث والخبر فى الديك)

وعبَّاد بن إبراهيم عن عبد الرحمٰن بن زيد قال : كان مكحولٌ يسافر بالدِّيك .

وعنه فى هذا الإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدِّيكُ صديقى ، وصديق صديقى ، وعدُوٌّ عدوِّ الله ، يحفَظ دارَه وأربَعَ دُور من حواليه » .

والمسيب بن شريك عن الأعمش نحسبه عن إبراهيم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تَذْبَحُوا الدِّيك ؛ فإنَّ الشَّيْطَان يُفْرَحُ بِهِ[٣] » .

---

(١) أصل معنى الحملة : الكرة فى الحرب . قال الثعالبى فى ثمار القلوب ٣٢١ : « يضرب المثل بحرص الخنزير وقبحه وقذره ، وحملته ، وصعوبة صيده ، وشدة الخطر فى طرده » .

(٢) الزيادة من ثمار القلوب ٣٠٦ والإمتاع والمؤانسة ١ : ١٤٤ وجمهرة العسكرى ٨٥ والفخرى ٥١ حيث يوجد هذا النص . وبها تم الخصال العشر .

(٣) يفرح به : يغم . وهذا الحرف من الأضداد : يقال أفرحه إذا سره ، وأفرحه إذا غمه وأثقل عليه .

(ريش جناح الطائر)

قال : وليس جناح إلاَّ وفيه عشرون ريشةً : فأربعٌ قوادم ، وأربعٌ مناكب ، وأربع أباهر ، وأربع كُلًى[1] ، وأربعٌ خَوَافٍ . ويقال : سبعٌ قوادم ، وسبعٌ خَوافٍ ، وسائره لقب .

(الكف والرُّكبة لدى الإنسان وذوات الأربع)

قال : وكلٌّ شيء من ذوات الأربع فركبتاه في يديه ، وركبتا الإنسانِ في رجليه ، قال : والإنسان كفُّه في يده ، والطائر كفه في رِجله .

(أسنان الإنسان)

قال : وفي الفم ثَنِيَّتان ورَبَاعِيَتان ونابان وضاحكان وأربعةُ أَرحاءٍ سوى ضِرْس الحُكْم[2] . والنَّواجذ والعوارض سواء . ومثلها أسفل[3] .

---

(١) في الأصل : « أربع أباهن وأربع طلى » ، وهو تحريف ما أثبت . انظر أدب الكاتب ١١٩ والمخصص ٨ : ١٣٠ ناقلا عن ابن قتيبة ، ومبادئ اللغة ١٦٩ ، واللسان (بهر) .

(٢) الحكم والحلم بمعنى ، وهذا هو الضرس المعروف بضرس العقل ، وجاء في أدب الكاتب ١١٦ : « والناجذ : ضرس الحلم » .

(٣) أي مثل ماذكر .

(التفاؤل بالدجاجة)

قال صاحب الدِّيك : والدَّجَاجةُ يُتفاءَل بذِكرها ، ولذلك لمَّا ولد لسعيد بن العاص عَنْبَسَةُ بن سعيد ، قال لابنه يحيى : أىَّ شىءٍ تَنْحَلُه⁽¹⁾ ؟ قال : دَجَاجةً بفراريجها ! يريد احتقاره بذلك ، إذ كان ابنَ أَمَةٍ ولم يكن ابنَ حرّة . فقال سعيد — أو قِيلَ له — : إن صـدَقَ الطَّيرُ لَيكونَنَّ أكثرَهُمْ ولداً !

فهم⁽²⁾ اليومَ أكثرُهُمْ وَلَداً ، وهم بالكوفة والمدينة .

(شعر فى الدجاج)

وقال الشاعر⁽³⁾ :

غدَوتُ بشَرْبةٍ مِنْ ذات عِرْقٍ ... أبا الدَّهناء من حَلَب العصيرِ
وأُخرى بالعَقَنْقَلِ ثمَّ سِرْنا ... نرى العُصفورَ أعظمَ مِن بَعيرِ
كأنَّ الدِّيكَ دِيكَ بنى نُميرٍ ... أميرُ المؤمنين على السَّريرِ
كأنَّ دَجَاجَهُمْ فى الدَّار رُقطاً ... بناتُ الرُّومِ فى قُمُصِ الحريرِ
فبتُّ أرى الكَوَاكبَ دانياتٍ ... يَنَلْنَ أنامِلَ الرَّجُلِ القصيرِ
أُدافعهنَّ بالكَفَّين عنِّى ... وأمسَحُ جَانبَ القَمَرِ المُنيرِ

---

(1) نحله ينحله : أعطاه . والمصدر : النحل ، بالضم ، كقفل .

(2) أى فأولاده . وانظر نهاية الأرب ٢ : ١٤٣ .

(3) انظر الشعر ومراجعه فى هذا الجزء ص ٢٦٠ .

(نطق الدجَاج)

قال : ويوصف بالدُّعاءِ وبالمنطق ، قال لَبيد بن ربيعة :

وصدَّهُمْ مَنطِقُ الدَّجَاجِ عن القَصْـ ـد وضَرْبُ النَّـاقوس فاجتنبا

وقَال :

لَدُنْ أنْ دعا ديكُ الصباح بسُحْرةٍ إلى قَدر وِرد الخامِس المتأوِّبِ

(دعابة أعرابى ، وقسمته للدجاج)

قَال أبو الحسن : حدَّثنى أعرابىٌّ كان ينزل بالبَصْرة قال : قدِم أعرابىٌّ من البادية فأَنزلته ، وكان عندى دَجَاجٌ كثير ، ولى امرأةٌ وابنان وابنتان منها ، فقلت لامرأتى : بَادِرى واشوى لنا دَجَاجةً وقدِّميها إلينا نتغدَّاها(١) فلمَّا حضر الغـداء جلسنا جميعاً أنَا وامرأتى وابناى وابنتاى والأعرابىّ . قال : فدفعنا إليه الدَّجَاجة فقلنا له : اقسِمها بيننا ـ نريد [بذلك(٢)] أنْ نضحك منه ـ فقال : لا أحسنُ القِسمة ، فإن رضيتم بقسمَتى قسمْتُها بينكم . قلنا : فإنَّا نرْضَى . فأخذَ رأسَ الدَّجَاجة فقطعه(٣) فناوَلَنيه وقال : الرَّأس للرّأس(٤) . وقَطَعَ الجناحين وقال : الجنـاحان

---

(١) رفع هذا الفعل على الاستئناف ، وقد نقل النويرى فى نهاية الأرب هـذه القصة ١٠ : ٢٢٣ وفيها : « نتغدها » بالجزم على جواب الأمر . وفى أخبار الظراف ٦٧ : « نتغدى بها » .

(٢) الزيادة من نهاية الأرب .

(٣) فى الأصل : « فقطعها » والرأس مذكر . فالصواب ماأثبت من نهاية الأرب .

(٤) فى النهاية : « للرئيس » والرأس والرئيس بمعنى .

للابنين . ثمَّ قطع السَّاقين فقال : السَّاقان للابنتين . ثمَّ قَطَعَ الزِّمكَّى وقال : العجُز للعُجُز[1] . وقال : الزَّور للزَّائر[2] قال : فأَخَذَ الدَّجَاجة بأَسْرها وسَخِر بنا . قال : فلما كان من الغد قالتُ لامرأتى : اشوى لنا خَمْسَ دَجَاجَاتٍ . فلما حضر[3] الغداءُ . قالت : اقسم بيننا . قَال : إنِّى أظنُّ أنَّكم وجَدْتم[4] فى أنفسكم ! قلنا : لا ! لم نجد فى أنفسنا فاَقْسِم . قَال : أقسِمُ شفعاً أو وِتراً ، قلنا : اقسِم وِتراً . قالَ : أنت وامرأتك ودَجَاجة ثلاثة . ثمَّ رمى إلينا بدجاجة . ثُمَّ قَالَ : وابناك ودجاجة ثلاثة . ثمَّ رمى إليهما بدجاجة . ثمَّ قَال : وابنتاك ودجاجة ثلاثَة . ثمَّ رمى إليهما بدجاجة . ثمَّ قَالَ : أنَا ودجاجتان ثلاَثَةً . وأخذ دَجاجتين وسخِر بنا . قَالَ : فرآنا ونحن ننظر إلى دجاجتيه فقال : ما تنظرون ! لعلَّكم كرهتم قسمَتِي[5] الوِتر لا يجىء إلاَّ هكذا ، فهل لكُمْ فى قِسمَة الشَّفع ؟ قلنا : نعم . فضمَّهنَّ إليه ، ثم قال : أنتَ وابناك ودجاجة أربعة . ورمى إلينا بدجَاجَة ، ثمَّ قال :
١٣١ والعجوز وابنتاها ودجَّاجة أربعة ، ورمى إليهنَّ بدَجَاجةٍ ، ثمَّ قالَ : أنَا

---

(١) العجز : جمع عجوز . وفى نهاية الأرب : « للعجوز » . والزمكى : أصل الذنب .

(٢) هكذا جاء فى الأصل ونهاية الأرب . ومقتضى الكلام : ثم قطع الزور وقال . . . الخ .

(٣) فى الأصل : « حضرا » ، وتصحيحه من النهاية .

(٤) وجدتم هنا بمعنى غضبتم .

(٥) فى الأصل : « قسمة » ، وأثبت ما فى نهاية الأرب .

وثلاث دَجَاجَات أربعة ، وضمَّ إليه الثَّلاَث ، ورفعَ يديه إلى السماء وقال :
اللهم لك الحمد ، أنتَ فَهَّمتنيها !

(قول صاحب الكلب فى كيس الفروج)

قال صاحب الكلب : [أمَّا قولهم[1]] : من أعظم مَفاخِرِ الدِّيك والدَّجَاج على سائر الحيوان ، أنَّ الفَرُّوج يخرُج من البيضة كاسيا يكفِى نفسه ، ثمَّ يجمع كَيْس الخِلقة وكَيْس المعرِفة ، وذلك كلُّه مع خُروجه من البيضة — فَقد زعم صاحبُ المنطق أنَّ ولد العنكبوت يأخذُ فى النَّسج ساعةَ يُولد . وعملُ العنكبوتِ عملٌ شاقٌّ ولطيفٌ دقيق ، لا يبلغه الفَرُّوجُ ولا أبو الفرُّوج ! !

على أنَّ ما مدَحوا الفرُّوج به من خُروجه من البَيضة كاسياً ، قد شرِكه فى حاله غيرُ جِنسه . وكذلك ذَوات الأربَع كلها تُولد كواسِيَ كواسب ، كولد الشاء .

وفِراخ القَبَجِ والدُّرَّاجِ ، وفِراخ البطِّ الصِّينيِّ فى ذلك كلِّه لاحقةٌ بالفراريج ، وتزيدُ على ذلك أنَّها تزداد حُسناً كلَّما كبِرت . فقد سقط هذا المفخر .

(١) ليست بالأصل ، وزيادتها ضرورية .

(شعرٌ هزلىّ فى الديك)

ومن الشِّعر الذى قيل فى الدِّيك ، ممَّا يُكتَب للهزْل وليس للجِدِّ والفائدة ، قولُ أبى الشَّمَقْمَق :

هَتَفَتْ أمُّ حُصَينٍ ثمَّ قالت : مَن يَنِيك
فتحتْ فَرْجاً رَحيباً مِثلَ صَحراء العَتيكْ
فيه وَزٌّ فيه بَطٌّ فيه دُرّاجٌ وديكْ

(حديث صاحب الأهواز عن العرب)

قال : وممّا فيه ذِكرُ الدَّجاج وليس من شِكْل ما بَنينا كلامَنا عليه ، ولكنَّه يُكتَب لما فيه من العجب . قال : قال الهامَرز . قال صاحب الأهواز(١) : مارأينا قوماً أعجب من العَرَب ! أتيتُ الأحنفَ بنَ قيسٍ فكلَّمته فى حاجةٍ لى إلى ابن زياد ، وكنتُ قد ظلمت فى الخَراج ، فكلَّمه فأحسَنَ إلىّ وحطّ عنِّى ، فأهدَيْتُ إليه هدايا كثيرةً فغَضِب وقال : إنّا لا نأخُذُ على مَعُونتِنا أجراً ! فلمّا كنتُ فى بعضِ الطريق سقطَتْ من ردائى دَجاجةٌ فلحِقَنى رجلٌ منهم فقال : هذهِ سقطتْ من ردائك . فأمرتُ له بدِرْهَمٍ ، ثمَّ لحِقَنى بالأُبُلَّة(٢) فقال : أنا صاحبُ الدَّجاجة ! فأمرْتُ لَهُ

---

(١) فى القاموس : « الهامرز بفتح الميم من ملوك العجم » . فلعل وجه الكلام : « قال الهامرز صاحب الأهواز » . والأهواز : كورة بين البصرة وفارس .

(٢) الأبلة : بلد بالعراق على شاطىء دجلة .

بدراهم ؛ ثمَّ لحقَنى بالأهواز فقال : أنا صاحب الدَّجاجة ! فقلت له : إن رأيتَ زادى بعد هذا كلِّه قد سقَط فلا تُعْلِمنى ، وهُوَ لك ! !

(جرو البطحاء)

قال صاحب الكلب : كان يقال لأبى العاصى بن الربيع بن عبد العُزَّى ابن عبد شمس[1] ، وهو زوج زَينبَ بنتِ رسول الله — صلى الله عليه وسلَّم ولأخيه كنانة بن الرَّبيع[2] : جروُ البطحاء[3] .

(الموريانى وأسطورة البازى والديك)

قال صاحب الديك لصاحب الكلب : وسنضرب لك المثلَ الذى ضَرَبه المورِيانىُّ[4] للدِّيك والبازى : وذلك أنَّ خلاَّد بن يزيدَ[5] الأرقط ١٣٢

(١) كان أبو العاصى قبل البعثة مواخيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : وكان يكثر غشيانه فى منزله ، وزوجه زينب أكبر بناته ، ولم يسلم إلا بعد الهجرة . وأمه هالة بنت خويلد أخت خديجة . ومات فى خلافة أبى بكر سنة اثنتى عشرة من الهجرة ، الإصابة (باب الكنى ٦٨٤) .

(٢) انظر خبرا طريفاً له فى السيرة ٤٦٦ — ٤٦٨ جوتنجن .

(٣) أى بطحاء مكة ، وهو مسيل واديها . وفى ط : « البطاء » وتصحيحه من س : والإصابة .

(٤) هو سليمان بن مخلد ، المكنى بأبى أيوب ، ونسب إلى موريان : قرية من قرى الأهواز . كان أبو أيوب وزير المنصور العباسى بعد خالد بن برمك جد البرامكة ، وكان فى أول أمره مقربا لدى المنصور ، ثم نقم عليه فأوقع به وعذبه ، وأخذ أمواله. وتوفى سنة ١٥٤ . وفيات الأعيان ١ : ٢١٥ — ٢١٦ .

(٥) خلاد بن يزيد الأرقط : أحد الرواة للأخبار والقبائل والأشعار . انظر الفهرست لابن النديم ١٠٧ ليبسك و ١٥٦ مصر . وفى ط : « زيد » ، وتصحيحه من س و الفهرست .

قال : بينما أبو أيُّوب الموريانىُّ جالسٌ فى أمْره ونهيه ، إذ أتاه رسولُ أبى جعفرٍ فانْتُقِع لونُه[1] ، وطارت عصافيرُ رأسِه[2] ، وأُذِن بيوم بأسه[3] ، وذعِر ذُعرًا نقَضَ حُبْوته[4] ، واستطار فؤاده[5] ، ثمَّ عاد طلقَ الوجْه ، فتعجَّبنا من حالَيه وقلْنا لَهُ : إنَّك لطيفُ الخاصَّة قريبُ المنزلة ، فلمَ ذهب بك الذُّعرُ واستفرَغك الوَجل[6] ؟ فقال : سأَضرب لكم مثلاً مِن أمثال الناس .

زعموا أنَّ البازىَ قَال للديك : ما فى الأرض شىءٌ أقلُّ وفاءً منك ! قَال : وكيف ؟ قَال : أخذَكَ أهلكَ بيضةً فحضَنوك ، ثمَّ خرجتَ على أيديهم فأطعمُوك عَلَى أكفِّهم[7] ، ونشأتَ بينهم ، حتَّى إذاكبِرتَ صرتَ لا يدنُو منك أحدٌ إلاَّ طرتَ هاهنا وهاهنا وضَجِجْتَ وَصِحتَ . وأُخِذتُ أنا من الجبال [مُسِنًّا[8]] فعلَّمونى وألَّفونى[9] ، ثمَّ يخلَّى عَنِّى فآخذُ صيدى

(١) انتقع لونه وامتقع ، بالبناء للمجهول فيهما : تغير .

(٢) يضرب للمذعور ، أى كأنما كانت على رأسه عصافير عند سكونه ، فلما ذعر طارت . الميدانى (١ : ٣٩٦) .

(٣) البأس : العذاب . وأذن به : علمه . وفى التنزيل العزيز : « فأذنوا بحرب من الله ورسوله » أى كونوا على علم .

(٤) أصل الحبوة أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه بعمامة ، وكذلك كانوا يفعلون فى جلوسهم ، ولا ينقضونها إلا لأمر هام .

(٥) ط : « فئواه » ، وصوابه فى س . واستطار بمعنى انتزع . وفى اللسان : « استطار فلان سيفه : إذا انتزعه من غمده مسرعا » .

(٦) استفرغه الوجل : أخذ منه قواه وذهب بها . وفى ط : « استفزعك » وأثبت ما فى س .

(٧) فى الدميرى وقد روى هذه القصة ١ : ١٦٢ : فيطعمونك بأكفهم » . وفى الوفيات ١ : ٢١٦ : « وأطعموك فى أكفهم » .

(٨) الزيادة من الوفيات . وفى الدميرى : وقد كبرت سنى » .

(٩) ألفه ، بالتشديد : جعله أليفا . وفى الوفيات : « وألفوا بى » ، محرفة . وفى الدميرى: « وأونس » .

فى الهواء فأَجىءُ بِهِ إلى صاحبى . فقال له الدِّيك : إنَّك لو رأيتَ من البُزاة فى سَفافيدهم مثلَ مارأيتُ من الدُّيُوك لـكنتَ أنفرَ منِّى !

ولـكنَّـكم أنتمْ لو علمتم ما أعلَم ، لم تتعجَّبوا من خوْفى ، مع ماترونَ من تمـكُّنِ حالى[1] .

(استجادة الخيل والـكلاب)

قال صاحب الـكلب : ذكر محمَّد بن سلاَّمٍ عن سعيد بن صَخْرٍ[2] قال : أرسل مسلمَ بنُ عمرو[3] ، ابنَ عَمٍّ لَهُ إلى الشَّام ومِصر يشترى لَهُ خيلاً ، فقال له : لاعلم لى بالخيل - وكان صاحبَ قَنْص - قال : ألستَ صاحبَ كلاب ؟ قال : بلى . قال : فَانْظرْ كلَّ شىءٍ تستحسنُهُ فى الـكلب فَاستعملْه فى الفَرَس . فقدِم بخيلٍ لم يكنْ فى العرَب مثلُها[4] .

---

(١) الفقرة الأخيرة من كلام أبى أيوب . وقد سبق فى ترجمته أنه كان متمكن الحال لدى المنصور . وقد وقع ماكان يترقبه أبو أيوب ، فقد عذبه المنصور وأخذ أمواله ، كما مر .

(٢) سعيد بن صخر : أبو أحمد الدارمى ، روى عن حماد بن سلمة ، مجهول . وولده أحمد من كبار الحفاظ . روى عنه البخارى ومسلم ، لسان الميزان ٣ : ٣٤ .

(٣) مسلم بن عمرو : قائد عربى ، كان على ميسرة إبراهيم بن الأشتر النخعى صاحب مصعب بن الزبير . أصيب مسلم بجراحات شديدة فى حرب « مسكن » التى كانت بين مصعب وبين عبد الملك بن مروان فى سنة ٧٢ هـ ومات بها . (انظر الأغانى ١٧ : ١٦١ - ١٦٤) . وقال يزيد بن الرقاع العاملى يذكره هو ، ومصعبا ، وابن الأشتر :

نحن قتلنا ابن الحوارى مصعبا أخا أسد والمذحجى اليمانيا
ومرت عقاب الموت منا لمسلم فأهوت له طير فأصبح ثاويا

(٤) انظر هذا الخبر فى العقد ١ : ٧٩ .

(حاجة الديك إلى الدجاجة)

قال محمَّد بن سلاّم . استأْذنَ رجلٌ عَلَى امرأةٍ فقالت له : مَالهَ من حاجةٍ [1] . قالت الجارية : يريدُ أن يذكر حاجة . قالت : لعلها حاجة الدِّيك إلى الدَّجاجَة !

(هرب الكميت من السجن متنكرا بثياب زوجه)

محمَّد بن سلاّم عن سَلاّم أبي المنذر [2] قَالَ : حبس خالدُ بن عبد الله [3] الكميتَ بنَ زَيْد ، وكانت امرأتُه تختلف إليه فى ثيابٍ وهَيئة ، حتَّى عرَفها البوَّابُونَ ، فلبسَ يَوْماً ثيابَها وخرج عليهم . فسمَّى فى شِعره البوَّابينَ النَّوابحَ ، وسمَّى خالداً المشْلِى [4] :

---

(١) كذا .

(٢) هو سلام بن سليمان ، ويكنى أبا المنذر ، وهو من أصحاب القراءات غير السبع . ابن النديم (٣٠ ليبسك ، ٤٥ مصر) والمعارف ٢٣٢ . وقد عده ابن النديم فى عداد المجبرة ، وقال : « ويكنى أبا المنذر ، ويلقبه أهل العدل (يعنى المعتزلة) أبا المدبر » وروى خبرا له فى الإجبار : أنه أصاب غلامه على جاريته ، فقال له : ماهذا ويلك ؟ ! قال : كذا قضاء الله . فقال له : أنت حر لعلمك بالقضاء والقدر . وزوَّجه الجارية. ابن النديم (١٨٠ ليبسك و ٢٥٦ مصر) .

(٣) هو خالد بن عبد الله القسرى ، والخبر الآتى مفصل تفصيلا فى الأغانى ١٥ : ١١٤ - ١١٥ .

(٤) المشلى : الذى يغرى الكلاب بالصيد .

خرجت خروجَ القِدْحِ قدحِ ابنِ مُقْبِلٍ [1]
على الرَّغم من تِلْكَ النَّوابحِ والمشْلِي
عليَّ ثِيابُ الغانِياتِ وتَحْتَها صَرِيمةُ عَزْمٍ أشْبَهَتْ سَلَّةَ النَّصْلِ [2]

(فتيا الحسن فى استبدال البيض)

قال : وأخبرنا خَشْرَم قال: سمعتُ فلاناً البقَّالَ يسأل الحسنَ [3] قَالَ : إنّ الصبيان يأتُونَنى ببيضَتين مكسورتين ، يأْخذون منِّى صحيحةً واحدة . قال : ليس به بأْس .

(أرحام الكلاب)

محمّد بن سلاّم عن بعض أشياخه قال : قال مُصعَب بن الزُّبير على ١٣٣
منبر مسجد البصرة ، لبعض بنى أبى بكْرة [4] : إنما كانت أمُّكم مثلَ الكلبة ، ينزُو عليها الأعفر والأسودَ والأبقَع ، فتؤدى إلى كلِّ كلب شِبْهَه .

---

(١) هو قدح من قداح الميسر ، كان لبنى عامر بن صعصعة ، لا يجعل فى القداح إلا خرج فائزا أبدا . انظر الميسر والقداح ص ٦٦ . وقال ابن قتيبة ص ٣١ فى الحديث عن الشعراء : « ولم أجد فيهم أحدا ألهج بذكر القداح من ابن مقبل ، ثم الطرماح بعده » . والبيتان اللذان اشتهر بهما قدح ابن مقبل هما ، كما فى الأمالى ١ : ١٥ وثمار القلوب ١٧٣ :

غدا وهو مجدول وراح كأنه من المش والتقليب بالكف أفطح
خروج من الغمى إذا صك صكة بدا والعيون المستكفة تلمح

(٢) سل النصل : أخرجه . والنصل : حديدة السيف . وفى س : « صلة النصل » . وفى الأغانى :

عزيمة أمر أشبهت سلة النصل

(٣) هو الحسن البصرى .

(٤) هو نفيع بن الحارث ويقال ابن مسروح ، وقيل اسمه مسروح ، كان من فضلاء =

هذا فى هذا الموضع هِجاء ، وأصحابُ الكلاب يرون هذا من باب النَّجابة ، وأنَّ ذلك من صِحّة طِباع الأرحام ، حين لا تختلط النُّطَف فتجىء جوارحُ الأولاد مختلفةً مختلطة .

(من وصية عثمان الخياط للشطار)

وقال صاحب الكلب : فى وصيَّة عثمانَ الخيَّاطِ للشُّطَّار اللُّصوص : إيَّاكم إيَّاكم وحبَّ النِّساء وسماعَ ضربِ العود ، وشربَ الزَّبيب المطبوخ ، وعليكم باتِّخاذ الغِلْمان ؛ فإنَّ غلامَك هذا أنفعُ لك من أخيك ، وأعونُ لك مِن ابنِ عمِّك ، وعليكم بنَبيذ التَّمر ، وضرب الطُّنْبور[1] ، وما كان عليه السلف واجعلوا النَّقل باقلاَّء ، وإن قدَرتم على الفُستقِ ، والرَّيحان شاهَسْفَرَم[2] ،

= الصحابة وسكن البصرة وأنجب أولادا لهم شهرة . وكان تدلى إلى النبى صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ببكرة - أى خشبة مستديرة فى وسطها محز للحبل تدور على محور - لما قال رسول الله لأهل الحصن : أيما عبد نزل إلى فهو حر . فاشتهر لذلك بأبى بكرة . توفى أبو بكرة عن أربعين ولدا من بين ذكر وأنثى ، فى خلافة عمر . الإصابة ٨٧٩٤ - وانظر ١٤٣ من باب الكنى والمعارف ١٢٥ والروض الأنف ٢ : ٣٠٤ - ٣٠٥ .

(١) الطنبور : آلة موسيقية .

(٢) شاهسفرم : نوع من الريحان يقال له الريحان السلطانى . شفاء الغليل ١١٩ ، وجاء فى اللسان : شاهسفرم : ريحان الملك . قال أبو حنيفة : هى فارسية دخلت فى كلام العرب ، قال الأعشى :

وشاهسفرم والياسمين ونرجس يصبحنا فى كل دجن تغيما

وقد وصفه داود (فى تذكرته ١ : ٢١٢) بقوله : « وهو الأخضر الضارب إلى الصفرة ، الدقيق الورق » . وفى الأصل : « وشاهبتر » ، وهو تحريف ما أثبت .

وَإن قدرتم على الياسمين[١] . ودَعوا لُبس العمائم وعليكم بالقِناع . والقَلَنْسوه كُفْر ، والخف شِرك واجعل لهوَك الحَمَامَ ، وهارِشِ السكلابَ وإيَّاك والكباشَ واللَّعِب بالصُّقورة والشَّواهين ، وإيَّاكم والفهودَ .

فلما انتهى إلى الديك قال : والدِّيكَ فإنَّ لَهُ صبراً ونجدة ، ورَوَغاناً وتدبيراً ، وإعمالاً للسِّلاح ، وهو يبهر بهر الشُّجاع .

ثم قال : وعليكم بالنَّرد ودعوا الشِّطْرَنج لأهلها ، ولا تلعبوا فى النَّرْد إلا بالطويلتين . والودَعُ رأس مالٍ كبير ، وأوَّلُ منافعه الحذق باللَّقف .

ثمَّ حدَّثهم بحديث يزيد بن مسعود القَيسىّ .

(مايصيده الكلب الأسود البهيم)

وقال صاحب الديك : ذكر محمَّد بن سلاَّم عن يحيى بن النضر ، عن أبى أميَّة عبد الكريم المعلِّم قال : كان الحسنُ بن إبراهيم يكرَهُ صيدَ الكلبِ الأسودِ البهيم .

(قصيدة ابن أبى كريمة فى الكلب والفهد)

وأنشد صاحبُ الكلب قولَ أحمد بن زياد بن أبى كريمة[٢] فى صفة صَيْدِ الكلب ، قصيدةً طويلةً أوَّلُهَا :

---

(١) ط : « ثم إن قدرتم على الياسمين » ، س : « تم إن قدرتم على الياسمين » وكلمة « ثم » أو « تم » هى تحريف الميم الذى كان ينقص كلمة « شاهسفرم » فى الصفحة السابقة . وقد جعلت بدلها هنا حرف الواو ، ليتساوق القول .

(٢) ابن أبى كريمة من معاصرى الجاحظ . وانظر خبرين طريفين له مع الجاحظ فى الحيوان ٣ : ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

وغِبَّ غمامٍ مَزَّقتْ عن سمائه شاميَّةٌ حصَّاءُ جُونَ السَّحائبِ (١)
مُواجِهِ طَلْقٍ لم يردِّدْ جَهامَه تذاوبُ أرْواحِ الصَّبا والجنائبِ (٢)
بعثْتُ وأثوابُ الدُّجى قد تقلَّصَتْ لغُرَّةِ مشهورٍ من الصُّبح ثاقبِ (٣)
وقد لاح ناعِي الليلِ حتَّى كأنَّه لسَارِي الدُّجَى في الفجرِ قِنديلُ راهبِ (٤)
بهاليلَ لا يَثنيهم عن عزيمةٍ وإنْ كان جَمَّ الرشْدِ، لوْمُ القرائبِ (٥)
بتَجْنيبِ غُضْفٍ كالقِداحِ لطيفةٍ مُشرَّطةٍ آذانُها بالمَخالبِ (٦)

---

(١) غب غمام : أى بعده . والشآمية : الريح الشمالية التى تهب من ناحية الشام . والحصاء : الصافية بلا غبار .

(٢) يقول : هـذا الغمام واجه هواء طلقا : لا حارا ولا باردا . وأن الرياح لم تتذأب أى لم تجىء من هنا ومن هنا ، فلذلك لم يتردد جهام هـذا الغام . وجاء البيت محرفاً على الوجه التالى — وأثبت صـوابه من نهاية الأرب ٩ : ٢٦٦ حيث توجد هذه القصيدة — :

مواجه طلق لم يرد رجامها تذاب بأرواح الصبا والجنائب

(٣) الغرة : أصلها البياض فى الجبهة . وعنى بها أول النهار ووجهه . والرواية فى النهاية : « بغرة » وماهنا أجزل . وفى س : « لعزة » وهو تحريف . والصبح المشهور : الظاهر الساطع . وفى الأصل : « مشهوب » ، ولا وجه له وتصحيحه من النهاية .

(٤) قنديل الراهب يعنى به أبدا ويتفقده ، فهو زاهر منير . وقد نظر ابن أبى كريمة إلى امرئ القيس فى قوله :

يضىء سناه أو مصابيح راهب أهان السليط بالذبال المفتل

(٥) البهلول ، بالضم : العزيز الكريم ، جمعه بهاليل . وهذه معمول « بعثت » فى البيت الذى قبل السابق ، والقرائب : جمع قريبة . وهذه الرواية أجود من رواية : « الأقارب » فى نهاية الأرب . فإنما يلوم الرجل على عزمته الجريئة ، ويخشى عليه الخطار أهله من النساء .

(٦) الغضف : الكلاب المسترخية الآذان . وتجنيب الكلاب : أراد به قيادتها ، كما يجنب الرجل البعير : أى يقوده إلى جنبه . وتشريط الكلاب آذانها بالمخالب أمارة من أمارات فراهتها ونشاطها وقوتها فى العدو . ومثله قول أبى نواس فى ص ٢٩ من هذا الجزء :

* خرق أذنيه شبأ أظفاره *

وقوله فى ص ٣١ من هذا الجزء :

* منتشطا من أذنه سيورا *

وقوله فى ص ٣٣ :

* ينشط أذنيه بهن نشطا *

تخالُ سِياطاً فى صـلاها مَنُوطةً ... طوالَ الهوادى كالقداح الشوازب (١) ١٣٤
إذا افترَشَتْ خَبتاً أثارتْ بمتْنه ... عجاجاً وبالكَذَّان نارَ الحَباحِب (٢)
يفوتُ خُطاها الطَّرْفَ سبقاً كأنّها ... سهامُ مُغالٍ أو رُجومُ الكواكب (٣)
طِرادُ الهَوادى لاحَها كلَّ شَتْوَةٍ ... بطامسة الأرجاءِ مَرْتِ المسارب (٤)
تكادُ من الأَحراج تنسَلُّ كُلَّما ... رأتْ شبَحاً أولاعتراضُ المناكب (٥)
تَسُوف وتُوفى كلَّ نَشْزٍ وفَدفدٍ ... مرابضَ أبناءِ النِّفاق الأرانب (٦)
كأنّ بها ذُعراً ، يُطِير قُلوبَها ... أنينُ المكاكى أو صريرُ الجنادب (٧)

(١) منوطة فى صلاها : معلقة فى مغرز ذنبها ، ولعله عنى وجود حافز دائم يحفزها على العدو . وبالأصل : « من سلاها » وهو تحريف صوابه من النهاية . والهوادى : الأعناق . والشازب من قداح الميسر : الذى ضمر من كثرة المداولة والتقليب . وفى الأصل : « الشواذب » بالذال ، وتصويبه من نهاية الأرب .

(٢) الخبت : البطن الواسع من الأرض . وفى ط : « جبتا » وفى س : « جتنا » والأولى لاوجه لها . وليس للثانية معنى . والعجاج : الغبار . والكذان ، بالفتح : حجارة فيها رخاوة . وفى الأصل : « بالكدان » . ونار الحباحب : الشرر يحدث من تصادم الحجارة .

(٣) المغالى بالسهم : الرافع يده به يريد أقصى الغاية .

(٤) يقول : مطاردتها للهوادى ، أى أوائل الوحش ، قد غيرتها وأضمرتها . وطامسة الأرجاء : أراد فلاة متباعدة النواحى ، أو لاأثر بها لسالك لما يسفى عليها من الريح . ومرت المسارب : قفرة المسالك . وفى الأصل : « بطامية الأرجاء » . وهو تحريف ، إذ أن الطمى إنما يكون مع الخصب . وهى على الصواب الذى أثبت فى نهاية الأرب .

(٥) الأحراج : قلائد الكلاب ، واحدها حرج بالكسر . وفى الأصل : « الأخراج » وليس بشىء . و « تنسل » هى فى الأصل : « تسأل » وتصحيحه من النهاية .

(٦) تسوف المرابض : تشمها لتتعرف مابها . وتوفى النشز : أى تأتى المكان المرتفع . والفدفد : الفلاة لاشىء بها . والنفاق : جمع نفق وهو الجحر .

(٧) المكاكى : جمع مكاء ، بضم الميم وشد الكاف ، طائر من القنابر ، له صفير حسن ، وتصعيد فى الجو وهبوط ، وهو فى ذلك يمكو أى يصفر ، وهو من الطيور الجواثم التى تبنى أفاحيصها فى الأرض . انظر معجم المعلوف ١٤٧ – ١٤٨ وقد خففت الياء هنا للشعر .

تديرُ عيوناً رُكِّبت فى بَراطِلٍ   كجَمْر الغَضَى خُزْراً ذِرَابُ الأنائب (١)
إذا مَا استُحِثَّتْ لم يُجِنَّ طَرِيدَها   لهنَّ ضَراءٌ أو مجارِى المَذَانبِ (٢)
وإن باصهاصَلْتاً مدَى الطَّرفِ أمسكَتْ   عليه بدُون الجُهد سُبلَ المذاهب (٣)
تكادُ تَفَرَّى الأُهبُ عنها إذا انتحت
لنبْأة شَخْتِ الجِرْم عارى الرَّواجبِ (٤)

---

(١) البرطيل بالكسر : حجر أو حديد طويل صلب خلقة ، ينقر به الرحى ، أو هو المعول . وجمعه براطيل ، وحذف الياء فى نحو ذلك هو مذهب الكوفيين . انظر همع الهوامع ٢ : ١٨٢ . شبه محاجر عيون هذه الكلاب فى شدتها بالبراطيل . وخزرا : جمع خزراء أى ضيقة صغيرة . وفى الأصل : « خزر » وإنما هى صفة « عيونا » . و « ذراب الأنائب » : حداد الأنياب ، و « ذراب » هى فى النسختين : « دواب » محرفة تصحيحها من النهاية . والأنائب أصلها « الأنابيب » حذفت الياء الثانية على مذهب الكوفيين ، ثم أبدلت الياء الباقية بهمزة وهى لغة شاذة . والرواية فى نهاية الأرب : « الأنابيب » .

(٢) يقول : إذا أهيب بهذه الكلاب لتدرك الصيد ، فإن ذلك الصيد لا يمهل حتى يستتر بذلك الشجر الملتف ، أو بتلك المجارى . « يجن » هى فى الأصل : « يحن » محرفة . ويقال « جنه » من باب نصر ، و « أجنه » أيضا . و « المذانب » جمع مذنب - كمنبر - وهو المسيل ، أو المسيل فى الحضيض ، أو الجدول يسيل عن الروضة بمائها إلى غيرها . وهى فى الأصل : « المقانب » ولا وجه له . وصوابه من نهاية الأرب .

(٣) باصها : سبقها ، يريد الصيد . صلتا : ركضا ، وأصل الصلت بمعنى الركض فى الخيل . مدى الطرف : غاية امتداد العين . وفى الأصل : « باصها صلت مدى الدهر » وتصحيحه من النهاية .

(٤) يقول : إذا سمعت هذه الكلاب صوتا خفيا من صاحبها ، كادت أن تشقق جلودها من شدة نشاطها . وقد أخذ هذا المعنى من ذى الرمة حيث يقول :

لا يذخران من الإيغال باقية   حتى تكاد تفرى عنهما الأهب

والشخت : الضامر الدقيق لا من هزال . والرواجب : مفاصل أصول الأصابع ، أو قصب الأصابع ، وقيل غير ذلك . الواحدة راجبة أو رجبة بالضم . وعارية : ليس عليها لحم .

كأنّ غصونَ الخيزُرانِ مُتُونُها   إذا هيَ جالت في طِرادِ الثّعالب (١)
كواشرُ عن أنيابهنَّ كوالحٌ   مُذلّقة الآذان شوس الحواجب (٢)
كأنّ بناتِ القَفْرِ حينَ تفرّقتْ   غدَونَ عليها بالمنايا الشّواعبِ (٣)

ثم وصفَ الفهود :

بذلك أبغى الصَّيدَ طوراً وتارة   بمُخْطَفَةِ الأكْفال رُحْب التّرائب (٤)
مرقّقَة الأذنابِ نُمْرٍ ظهورُها   مخطّطةِ الآمَاق غُلْبِ الغَوارب (٥)
مُدَنّرةٍ وُرْقٍ كأنّ عيونَها   حَواجِلُ تستَذْمى متونَ الرّواكب (٦)

(١) متونها : ظهورها ، مفرده متْن .

(٢) كشر عن نابه : أبداه . وكوالح : عوابس . مذلقة : محددة . وفى س : « مذللة » .

(٣) بنات القفر : عنى بها الوحوش . وجاء فى س : « غدوت عليها بالمنايا » ، ومثل هذه الرواية فى الحيوان ٦ : ٤٧٥ . والشواعب : المفرقات .

(٤) فى الأصل : « أبقى الصيد » وهو تحريف صوابه فى النهاية . وفى الحيوان ٦ : ٤٧٦ : « بذلك يبغى » ولهـا وجـه . ومخطفة الأكفال : ضامرة الأعجاز صغيرتها . وأجود من هـذه الرواية مافى الجزء السادس : « بمخطفة الأحشاء » . والترائب : عظام الصدر .

(٥) نمر : جمع أنمر ، وهو الذى فيه نمر ، بضم ففتح أى نكت بيضاء وسوداء . وفى ط : « ثم » وتصحيحه من س ونهاية الأرب والجزء السادس من الحيوان . والآماق : جمع موق ، وهو طرف العين مما يلى الأنف . ومثل هـذه الرواية فى الجزء السادس . وفى النهاية : « الآذان » . وغلب الغوارب : غلاظها . والغارب : مابين العنق والظهر .

(٦) مدنرة : بها نكت كأنها الدنانير . وفى الأصـل : « مدربة » وتصحيحه من مباهج الفكر . والورق : مفرده أورق ، وهو الذى فى لونه سواد وبياض . والحواجل : جمع حوجلة ، وهى القارورة الصغيرة الواسعة الرأس ، قال العجاج :

كأن عينيه من الغئور   قلتان فى لحدى صفا منقور
صـفران أو حوجلتا قارور

والرواكب : جمع راكب ، وهو رأس الجبـل . وتستذمى : تتتبع . وإنما تتتبع لتتعرف الصيد ، وتبحث عنه . وفى الأصل : « تستدمى » ولا يصح إلا بتكلف وتعمل ؛ فإن معنى استدمى : استخرج من غريمه الدين فى رفق .

إذا قلَّبتَها فى الفِجاج حسبتَها سَنا ضَرَم فى ظُلمةِ اللَّيل ثاقبِ (١)
مُوَلَّعة فطح الجِباهِ عوابسٍ تخالُ على أشداقِها خطَّ كاتبِ (٢)
نَواصِب آذان لِطَافٍ كأنّها مَداهنُ، للإجْراسِ من كلِّ جانبِ (٣)
ذوات أشافٍ رُكِّبت فى أكُفِّها نَوافِذَ فى صُمِّ الصُّخور نَواشِبِ (٤)
ذِراب بلا ترهيفِ قَينٍ كأنَّها تعقربُ أصداغِ الملاحِ الكواعِبِ (٥)
فوارسُ مَالم تلق حَرْباً، ورَجْلَةٌ إذا آنسَتْ بالبِيدِ شُهبَ الكتائبِ (٦)

---

(١) الفجاج : جمع فج ، وهو الطريق الواسع بين جبلين . ورواية نهاية الأرب : « فى الحجاج » وهو بكسر الحاء وفتحها : العظم المستدير حول العين .

(٢) المولعة : المستطيلة البلق ، وهو سواد وبياض ، أو ارتفاع التحجيل إلى الفخذين . و « فطح الجباه » : عريضتها . ومفرد « فطح » : أفطح . فى ط : « قبح » وفى س : « فتح » وفى الحيوان ٦ : ٤٧٦ : « قطع » وذلك كله تحريف ماأثبت . والرواية فى نهاية الأرب : « فطس الأنوف » .

(٣) المداهن : جمع مدهن بضم الميم والهاء ، وهو آلة الدهن أو قارورته ، وأراد هنا آلة الدهن . والإجراس : استماع الجرس ، بفتح الجيم ، وهو الصوت . وفى الأصل : « للأحراس » وليس بشىء . يقول : قد نصبت هــذه الفهود آذانها الصغيرة الشبيهة بالمداهن ، لتتسمع الأصوات من شتى الجوانب .

(٤) الأشافى : جمع إشفى ، وهى مثقب الإسكاف ، وقد عنى بها الأظافر ، وفى الأصل : « أثاف » جمع أثفية ، ولا وجه له هنا . والصخرة الصماء : الصلبة المصمتة .

(٥) القين : الحداد ، والترهيف : ترقيق الحد . والصدغ ، بالضم : الشعر المتدلى بين العين والأذن . وتعقرب الصدغ : تلويه وتعطفه .

(٦) رجلة : جمع راجل ، وهو الماشى على رجليه . قال أبو عمرو : وليس فى الكلام فعلة جاء جمعاً غير رجلة جمع راجل . وكمأة جمع كم‍ء . وفى الأصل : « رحله » وصوابه ما أثبت ، لتتم مقابلته لكلمة « فوارس » . ومما يحسن الإشارة إليه أن الفهود تركب الخيل ، جاء فى نهــاية الأرب ٩ : ٢٤٧ عند الكلام على الفهد : « وأول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية بن أبى سفيان » . ومثل ذلك عند الدميرى فى رسم (الفهد) ، ومحاضرة الأوائل للبنسوى ص ١٢١ . ولابن المعتز فى هــذا المعنى (انظــر الأوراق قسم أشــعار أولاد الخلفاء ص ٢١٥ وديوانه ٢ : ١٠٢) :

يلاحق الوثبة ممتــد النفس نعم الرديف زاننا فوق الفرس =

تَرَوٍّ وَتَسْكِينٌ يَكُونُ دَرِيئَةً ... لهنَّ بِذى الأَسْراب في كلِّ لاحِب (١)

تضاءلُ حتَّى لاتـكادُ تُبِينُها ... عُيُونٌ لدى الصَّرَّات غيرُ كواذبِ (٢)

حراصٌ يَفوتُ البرقَ أمكَثُ جَريِها ... ضِراءٌ مبلَّاتٌ بطول التَّجارب (٣)

تُوَسِّدُ أجْيادَ الفَرائِس أذرعا ... مرمَّلةً تحكى عناق الحبائب (٤)

= ولأبى نواس فى صفة الفهد (الديوان ٢٢٣) :

فجاء يزكيه على سمنده

والسمند : الفرس ، كلمة فارسية .

وشهب الكتائب : عنى بها جماعة الوحش التى تتصيدها هذه الفهود . والكتيبة الشهباء : هى العظيمة الكثيرة السلاح .

(١) يقول : قد جعلن التروى وتسكين الجوارح دريئة لهن . وأصل الدريئة ماتستتر به من الصيد لتختله . و « بذى الأسراب » أى بتلك الطرق ، مفردها سرب بفتح السين وبكسرها . فى ط : « بذى الأسوار » ، ولا وجه له ، وأثبت مافى س . واللاحب : الطريق الواضح .

(٢) يقول : هذه العيون التى لاتكذب صاحبها عند صرها وشدها ، لاتستطيع مع مابها من القوة والحدة أن تبصر هذه الفهود عند ماتتضاءل وتجتهد فى إخفاء أشخاصها . « الصرات » هى فى الأصل : « الضرات » . وفى الحيوان ٦ : ٤٧٦ : « الصراب » والوجه فيهما ما كتبت .

(٣) يقول : إن سرعة البرق لاتدانى أبطأ جرية لهذه الفهود . ضراء : معتادة الصيد ، واحدها ضرو بالكسر . والمبل ، بكسر الميم وفتح الباء : الثبت الجرىء .

(٤) يقول : هى تمسك بفرائسها بين أذرعها المرملة - أى الملطخة بالدم - وتضمها فلا تفلت منها ، وهى فى ذلك تحكى صنع المحب يعانق حبيبه ، فهو أشد التزام وأقوى ضم . (الفرائس) : هى فى الأصل : (الفوارس) وليس يكون منها أن تفعل ذلك بالفرسان . ولابن المعتز فى مثل المعنى الذى وجهنا به البيت ، يصف فهدة :

تضم الطريد إلى نحرها ... كضم المحبة من لايحب

أى أن طريدها لايحبها ولكنها تحبه فهى تضمه ، ومهما حاول الخلاص ضمته . و (مرملة) هى فى الأصل : « مزملة » بالزاى ، وليست تتجه ، وتصحيحها من نهاية الأرب ٩ : ٢٥٢ . وفى ط : « عتاق الجنائب » وهو تحريف ، صوابه فى س ونهاية الأرب .

(سهل بن هارون وديكه)

قال دِعْبِلٌ الشاعر(١) : أقمنا عند سهل بن هارونَ فلم نبرحْ ، حتَّى كدنا نموتُ من الجوع ، فلما اضطررناه قال : ياغلام ، ويْلَكَ غدِّنا ! قال : فأُتِينا بقَصعةٍ فيهامرقٌ فيهِ لحمُ ديك [عاسٍ هرم(٢)] ليس قبلَها ولا بعدَها غيرُها لاتحزُّ فيه السكين ، ولا تؤثِّر فيه الأضراس . فاطّلع فى القصعة وقلَّب بصرَه فيها ، ثمّ أخذ قِطْعةَ خبزٍ يابس فقلَّب جميع مَافى القَصعة حتَّى فقد الرأس من الدِّيك وحده ، [فبقى مطرِقاً ساعَةً(٣)] ثمَّ رفع رأسه إلى الغلام فقال : أين الرَّأس ؟ فقال : رميتُ به . قال : ولم رميت به ؟ قال : لم أظنّك تأ كُله ! قال : ولأَىِّ شىءٍ ظَننتَ أنِّى لا آ كُلُه ؟ فوالله إنِّى لَأَمقتُ مَن يرمى برجليهِ [فكيف من يرمى برأسه(٤)] ؟ ! ثم قال لَهُ : لو لم

---

(١) هو دعبل بن على بن رزين الخزاعى ، شاعر متقدم مطبوع هجاء خبيث اللسان ، لم يسلم عليه أحد من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا أولادهم ، ولا ذو نباهة . وكان شديد التعصب للقحطانية على النزارية ، وكان شيعيا ، وكان يتشطر ويصحب الشطار . وأخباره مسهبة فى الأغانى ١٨ : ٢٩ — ٦١ . ومن خير شعره الأبيات المشهورة :

أين الشباب وأية سلكا   لا أين يطلب ضل بل هلكا
لاتعجبى ياسلم من رجل   ضحك المشيب برأسه فبكى
ياليت شعرى كيف يومكما   ياصاحبى إذا دمى سفكا
لاتأخذا بظلامتى أحدا   قلبى وطرفى فى دمى اشتركا

كان دعبل يتنقل فى البلاد ، وأقام ببغداد مدة ثم خرج منها هاربا من المعتصم لما هجاه ، وعاد إليها بعد ذلك . ولد سنة ثمان وأربعين ومائة ، وتوفى سنة ست وأربعين ومائتين . تاريخ بغداد ٤٤٩٠ .

(٢) التكملة من عيون الأخبار ٣ : ٢٥٩ نقلا عن الجاحظ . والعاسى : الذى أسن حتى صلب وجف .

(٣) التكملة من عيون الأخبار .

(٤) من عيون الأخبار . وفى العقد الفريد ٤ : ٢١٧ مثل هذا المعنى .

أكرهْ ماصنعتَ إلاّ للطِّيَرة والفأل ، لـكَرِهْتُه[1] ! الرأس رئيسٌ وفيه الحواسُّ[2] ، ومنهُ يصدحُ الديك ، ولولا صوتُه ماأريدَ ؛ وفيه فَرقُه[3] الذى يُتبرّك به ، وعَينُهُ التى يضرب بها المثل ، يقال : « شرابٌ كعين الديك »[4] ، ودِماغُه عجيب لوجع الكلية ، ولم أرَ عَظما قطُّ أهشَّ تحت الأسنانِ من عَظْم رأسِهِ ، فهَلاّ إذْ ظننتَ أنّى لا آكلُه ، ظننتَ أنّ العِيال يأْكُلُونه ؟ ! وإنْ كانَ بلَغَ من نُبْلِك أنّك لاتأْكله ، فإنّ عِنْدَنا من يأْكُلُه . أوَ ماعلمتَ أنّه خيرٌ من طَرَف الجَناحِ ، ومن السّاق والعنق ! انظرْ أين هو ؟ قال : والله ما أدرى أينَ رميتُ بِهِ ! قال : لـكنّى أدرى أنّك رمَيت بِهِ فى بطنك ، واللهُ حَسيبك !

كمل المصحف[5] الثانى من كتاب الحيوان بحمد الله تعالى وحسن عونه

ويتلوه فى الثالث إن شاء الله ذكر الحمام[6]

---

(١) أى لـكرهت ماصنعت .

(٢) فى عيون الأخبار وكذا فى العقد : « الحواس الخمس » وليس بشىء ، إذ أن فى الرأس أربعا من الحواس ، هن السمع والبصر والشم والذوق . وفى وفيات الأعيان ١ : ١٧٩ : « والرأس رئيس وفيه الحواس الأربع » .

(٣) فرق الديك : انفراق عرفه ، وقد أسلف الجاحظ . فى ص ٢٠٧ من هذا الجزء كلاما فى التبرك بالديك الأفرق وانظر كذلك ص٢٥٩ . وفى ط : « وفيه قرنه » وهو تحريف ما أثبت من س . وفى عيون الأخبار : « عرفه » .

(٤) أى فى الصفاء ، وقد سبق كلام الجاحظ فى هذا المثل ص ٣٤٩ .

(٥) هذا ماأثبت من س . وفى ط : « تم الجزء » .

(٦) هذا مافى س . وفى ط : « ويتلوه الجزء الثالث إن شاء الله أوله ذكر الحمام » .

تذييل واستدراك

صفحة سطر

١٤٠ ١١ مثل هذه العقيدة فاشٍ بين النساء إلى اليوم ، فهنَّ يعتقدن أن المرأة إذا قامت أثناء الحيض بعملية حفظ الفواكه أو الخضراوات ، فإنَّها تتلف . كما يعتقدن أنّ الحائض يتلف عجينها ولا يختمر . كما لوحظ أن الزّهرة تذبل بعد ساعات قليلة إذا قبضت عليها حائض أو تأبطتها بضع دقائق . وقد فسّرت هذه الظاهرة تفسيرا علميا ؛ إذ أن إفراز الحيض ، المكون من الزرنيخ ، والجليكوكين ، والليبوئيد ، وبعض الخمائر والفسفور ، والمغنزيا ، والكبريت ، والجير — له أثره الذى لا ينكر . انظر مجلة الرياضة البدنية ، ديسمبر سنة ١٩٣٨ .

١٤٣ ٨ ش كليب بن أبى عهمة الظفرى . كذا فى الأغانى ومعاهد التنصيص . وقد عده ابن حجر فى الإصابة ٧٤٤٨ من الصحابة ، وجعل اسمه «كليب بن عميمة » . أما ابن الشجرى فى أماليه (١ : ١١١) فقد جعله «كليب بن عيِيمة » وقد ضبطه وذكر اشتقاقه فقال : «عييمة : منقول من محقر العيمة ، وهى شهوة اللبن : أومحقر العيمة ، بكسر العين ، وهى خيار المال» . فلعل هذا صوابه .

١٨١ ٨ قد استغل الشيعة مثل هذا الخبر فنسبوا مثله إلى عبد الله ابن جعفر . جاء فى معجم الأدباء (١٠ : ٢٤٨ — ٢٤٩) : « وجاء رجل إلى عبد الله بن جعفر فقال له : يابن رسول الله ، هذا

صفحة سطر

حكيم الكلبيّ ينشد الناس هجاءكم بالكوفة ! فقال : هل حفظت منه شيئاً ؟ قال : نعم . وأنشده :

صَلَبنا لكم زيدًا على جِذْعِ نخلةٍ ولم نر مهديًّا على الجذع يُصْلَبُ
وَقِسْتُم بعثمانٍ عليًّا سفاهة وعثمانُ خيرٌ من عليٍّ وأطيبُ

فرفع عبد الله يديه إلى السماء ، وهما ينتفضان رعدة فقال : اللهم إن كان كاذبا فسلط عليه كلبا ! فخرج حكيم من الكوفة فأدلج فافترسه الأسد فأكله » .

٢٧٩ ٨ السكينة معناها الاطمئنان . وجاء فى القرآن الكريم : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ والكلام فى بنى إسرائيل . والنبى هذا هو يوشع ، أو شمعون ، أو اشمويل . والملك : طالوت . والتابوت : صندوق التوراة ، قالوا : رفع بعد موسى إلى السماء ، ثم نزل من السماء تحمله الملائكة ، علامة على ملك طالوت . وكان بنو إسرائيل يحملونه فى حروبهم ليكسبهم طمأنينة . انظر الكشاف ، وتفسير الفخر . قدّمت هذا لألقى ضوءاً عَلَى الشعر ؛ فقد كان المختار اتخذ كرسيًّا قديم العهد ، غشّاه بالدّيباج ، وزيّنه بأنواع الزينة ، وقال : هذا الكرسى من ذخائر أمير المؤمنين عَلِيّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فضعُوه فى حومة القتال وقاتلوا عنه ؛ فإن محلّه فيكم محل التابوت والسكينة فى بنى إسرائيل . انظر الملل والنحل (١ : ١٩٩) وثمار القلوب ٧١ .

صفحة سطر

٢٧١ ٩ « فُتْنا » جمع فِتان بالكسر ، وأصل معناه غشاء يجعل للرحل من أدم . وأما أمر الحمام ، فإنّ المختار لمّا وجّه إبراهيم بن الأشتر لحرب عبيد الله بن زياد ، دفع إلى قوم من خاصّته حماماً بيضاً ضخاماً ، وقال لهم : إن رأيتم الأمر علينا فأرسلوها فى المعركة . وقال للناس ، إنى أجد فى محكم الكتاب ، وفى اليقين والصّواب ، أنّ اللهَ مُمدُّكم بملائكةٍ غِضاب ، تأتى فى صور الحمام دون السحاب ! فلما التقت الفئتان وكادت الدائرة تكونُ عَلَى عسكر ابن الأشتر ، أرسلت الحمام البيض ، فتصايح النّاس : الملائكة ! الملائكة ! فتراجعوا ، فأسرع القتل فى أصحاب عبيد الله ، ثم انكشفوا ، ووضعُوا السيُوف فيهم ثم أفنوهم. ثمار القلوب ٧١. وانظر الملل والنحل (١ : ١٩٩) . وكانَ البيت فى الأصل محرَّفا عَلَى الوجه الآتى :

وأن ليس كالتابوت فينا وأن سعت
سنام حواليه ، وفيهم زخارف

٢٩٤ ١٠ « المنكابات » فى شفاء الغليل « بنكام : لَفظ يونانى ، مايقدر به الساعة النجومية من الرمل ، وهو معرّب عرَّبه أهل التوقيت ، وأرباب الأوضاع ، ووقع فى شعر المحدثين فى تشبيه الخصر :

* وخَصرهُ شُدَّ ببَنْكامِ * »

ثم قال : « وتقلبه العامة فتقول : منكاب ، وهو غلط ». فما ذكره الجاحظ هو عامية هذا الاسم ، وقد وجدت فى العمدة (٢ : ٢٣١) وصفاً شعريا للبنكام ويفهم منه أنه آلة مائية ، لا رملية كما قال الخفاجى .

صفحة سطر

٣٦٦ ٥ عثمان الخياط هذا زعيم عصابة للّصوص، كانت فى عصر الجاحظ ؛ وإنّما سمّى خيّاطا لأنّه نقب على أحذق الناس وأبعدهم فى صناعة التلصّص ، وأخذ ما فى بيته وخرج ، وسدّ النّقب كأنّه خاطه ، فسمّى بذلك . ويظهر أنّه قد شاع فى هذا العصر اتخاذ التلصص مهنةً لكسب العيش ، وجعل اللصوص لها نُظما ، وأنشئوا لأنفسهم ألقابا ومراتب مختلفة ، فمنهم العين ، والمؤنىّ ، والشاغل والطرّار . فالعين : الذى يلزم الصيارف ، ويتأمّل كلّ مالٍ محمول ، ويأتى السفن فيتعرّف موضع الحرز ، ويأتى دار قوم فيطلب أن يتوضّأ ، فيتعرّف خزائنهم والموضع الذى يقصدون منه . والمؤْنىّ : الذى يتولّى البيع والابتياع لهم ، ويجعل عند ذلك كأنّه أمير قرية ، أو زعيم محلّة . والشاغل : هو الذى يشغل القومَ عن اللصّ والطرّارِ ، إذا ظفروا به ، يجىء اللصّ فيضربه ما لا يضربه السلطان ، ويقول : هذا والله صاحبى ، هو الذى ذهب بمالى ، ويضربه ويحتال بذلك حتّى يتشاغل عنه القوم ، فإذا تشاغلوا عنه أفلتَه وتأسّف مع القوم . والطرّار : الذى يقطع الهمايين ويشقها .

والعجب أن تلك العصابات ، كانت فى أكثر أمرها تلتزم ضربًا من ضروب الشهامة والنّبل ، ورووا عن عثمان الخيّاط أنه قال : « ما سرقت جارًا وإن كان عدوًّا ، ولا كريماً ، ولا كافأت غادرًا بغدره ! » .

وكانوا يحسّنون لأنفسهم هذه الصناعة ، ويحتجّون لها . قال عثمان

صفحة سطر

الخيّاط : « لم تزل الأمم يسبى بعضُها بعضا ، ويسمُّون ذلك غزوا وما يأخذونه غنيمة ، وذلك من أطيب الكسب ! ! وأنتم فى أخذ مال الغَدَرَة والفجَرة أعذر ! فسمُّوا أنفسَكم غُزاةً ، كما سمّى الخوارجَ أنفسَهم شُراةً ! ! » .

وقالوا : « اللص أحسن حالاً من الحاكم المرتشى ، والقاضى الذى يأكل أموال اليتامى ! » .

وتجد أخبار هؤلاء القوم ونوادرهم ، مسهبة مفصَّلة ، فى محاضرات الراغب (٢ : ٨١ ــ ٨٤) .

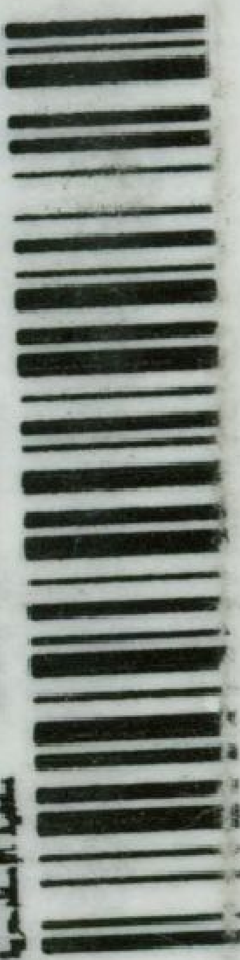
كتبه

مصر الجديدة فى { ٥ جمادى الثانية سنة ١٣٨٥
٣٠ سبتمبر سنة ١٩٦٥ }

عبد السلام محمد هارون

أبواب الكتاب

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم - خلفاء


Bibliotheca Alexandrina
0580908
